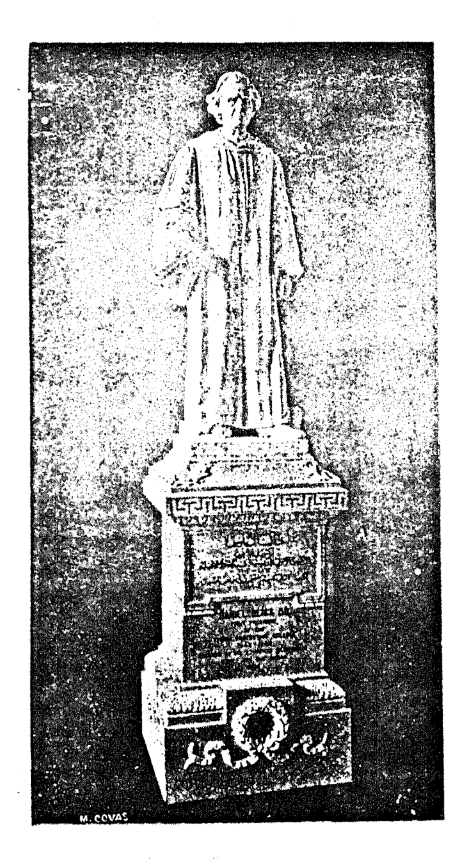




تمثال الدكتور دانيال بلس

المقتطف

الجزء السابع من المجلد التاسع والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٢

تمثال الدكتور بلس

اشرنا في الجزء الماضي الى الاحتفال الباهر الذي احتفلتهُ المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت باستلام التمثال الذي صنعهُ متخرجو المدرسة الكلية المقيمون في هذا القطر لرئيسهم الاول الدكتور دانيال بلس ووعدنا هناك بنشر صورة هذا التمثال حالما ترد الينا فصدرنا بها هذا الجزء الآن

والتمثال من الرخام الابيض الناصع البياض وهو بالقطع الطبيعي تماماً يمثل الدكتور بلس بحلة الرئاسة ماسكاً بيدهِ الدبلوما التي يسلمها للتلامذة وتحتهُ قاعدة من الرخام الابيض ايضاً ارتفاعها نحو مترين وقد نقش عليها بالعربية ما نصهُ

دانيال بلس

دكتور في اللاهوت

الرئيس الاول للمدرسة الكلية السورية الانجيلية

اقام هذا التمثال تلامذتهُ المقيمون في مصر والسودان

وتحتها ترجمتها بالانكليزية . وها صورة الكتاب الذي قرأهُ المندوب الذي انتدب لازاحة الستار عن التمثال وتقديمهِ الى لجنة المدرسة الكلية الانجيلية

استاذنا العزيز

ان ابناءك المنتشرين في هذا القطر السعيد يزرعون ويتجرون ويتعلمون ويطببون وينشئون الصحف والمجلات ويخدمون حكومة البلاد في كل دوائرها وفي جميع انحائها من خط الاستواء جنوباً الى ثغور بحر الروم شمالاً وفي يدهم نبراس المعارف الذي اسرجوهُ في هيكل العلم هذا

انتدبوني لكي اعرب كتابةً كما انتدبوا الاخ نسيم افندي البرباري لكي يعرب شفاهاً عمَّا يخالج قلوبهم من الشكر لك يوم يرفع الستار عن هذا التمثال في مشهد من ابناء مدرستهم ومن وجهاء هذه المدينة

حالما انتشر بين ظهرانيهم عزم اخوانهم المقيمين في سورية على تقديم علامة شكر لك اجتمع جمهور كبير منهم في القاهرة عاصمة الديار المصرية في ادارة المجلة العلمية التي نشأت في حمى هذه المدرسة ولا تزال ترتوي من المعارف المقتبسة منها . والذين تعذَّر عليهم الاجتماع معهم لبعد اماكنهم كتبوا يعربون عن سرورهم بهذا الرأي الجيد واجمعوا كلهم على ان تكون علامة الشكر لك مما يرى بالعيان ويبقى راسخاً على كرور الازمان ويكون من ادل الدلائل على مزاياك علو الهمة وثبوت العزيمة وطهارة السيرة تمثالاً من الرخام الاصم يثبت ثبوت التماثيل التي نصبت للعظماء في كل العصور يمثل ما في وجهك من المهابة والجلال والذكاء والدعة ويدلُّ ببياضهِ الناصع على طهارة قلبك وصفاء سريرتك ليكون تذكاراً للخلف من رؤساء هذه المدرسة واساتذتها وتلامذتها يرون فيهِ شكل الرئيس الاول الذي غرست يمينهُ بزرة صالحة وتعهَّدتها بالعناية فنمت واينعت وانتشر عرف ازهارها في الخافقين والحلقة الاولى من سلسلة رؤساء افاضل يقتفون آثارك فيستحقون ان يقوم تلامذتهم و ينصبوا لهم التماثيل الى جانب تمثالك

اما شكرنا لك الذي يشاركنا فيهِ كل ناطق بالضاد فاسبابهُ واضحة مشهورة فقد كان لك اليد الطولى في انشاء هذه المدرسة وتسهيل الطلب فيها على طلاَّب المعارف اغنياء كانوا او فقراء ولك اليد البيضاء في تهذيب اخلاقهم وتكبير نفوسهم حتى يصيروا رجالاً يعتمدون على ما وهبهم الله من قوى العقل والجسد

وقد لا يتصوَّر ابناء المدرسة المقيمون فيها الآن وكثيرون من هذا الجمع مقدار المصاعب التي ذللتها حتى انشئت هذه المدرسة وبلغت ما بلغتهُ من السعة والشهرة فان المدارس الكليَّة تحتاج الى نفقات كبيرة لا يقوم بها الاَّ الممالك الغنية او كبار الموسرين الذين اعتادوا الانفاق على الاعمال النافعة ولذلك لم يكن في الامكان انشاء مدرسة كلية من اموال تجمع في هذه البلاد فطرقت ابواب قومك الاميركيين في مواطنهم وما زلت تحث الاغنياء والفضلاء وترغبهم في هذا العمل المبرور حتى جمعت ما يكفي من المال للشروع في هذا العمل . وكان اهالي هذه البلاد بين الستين والسبعين (بعد الثامنمائة والالف) ينفقون على كل شيء بسخاء الاَّ على تعليم اولادهم وكثيراً ما كان الواحد منهم يولم وليمة فاخرة للمرسل من المرسلين ينفق عليها مئات من الغروش ثم يتوسل اليهِ ان يتنازل لهُ عن قليل من اجرة تعليم ابنهِ او عن ثمن كتاب

يتعلم فيهِ · ورأيت بعينك النقادة ان ارباب العلوم والفنون وقادة الامم في معارج العمران لا يكونون غالبًا من اهل الثروة والجاه بل من ابناء الفقراء الذين لا يستطيعون ان ينفقوا على التعليم في المدارس العالية ولا سيما حيث لم يشع الانفاق على التعليم فاعددت المال الكافي للانفاق على تعليمهم بل كنت تكسو البعض منهم وتعطيهم الكتب مجانًا .

ثم ان العربية كانت خالية من الكتب العلمية الحديثة على مافيها من كتب اللغة ولم يكن من الكتب العلمية في ايدي التلامذة الاولين سوى كتاب الجبر والهندسة فاضطر الاساتذة ان يؤلفوا ويترجموا كتبًا في الرياضيات والطبيعيات والعقليات والكيمياء والفسيولوجيا والنبات والحيوان والعلوم الطبية على انواعها · ولم يكن للمدرسة بناء تأوي اليهِ فاضطرت ان تأوي دارًا عارية سبع سنوات متوالية وبسعيك وسعي اخوانك الاساتذة واصدقائكم في اميركا واوربا ايضًا صارت المدرسة الكلية بلدًا يقيم فيهِ مئات من التلامذة على الرحب والسعة

وكان ابناء المدارس يربون على الخوف من المعلمين والنظر اليهم نظر العابد الى المعبود حتى جرى على ألسنتهم المثل المألوف من علمني حرفًا صرت لهُ عبدًا وكانت المرأة تأخذ ابنها الى المدرسة وتقول للمعلم اللحم لك والعظم لي فيتخذ المعلم قولها حجة ويفهم كلامها على ظاهرهِ ولا يدخر وسعًا في اقناع الولد بان ما قالتهُ امهُ هو الصواب· وكثيرًا ما رأينا شبان بيروت يطرحون على الثرى في احدى المدارس الكبرى وتكسر على اقدامهم بضعة قضبان من الرمان

امور تحقر التعليم وتصغّر النفوس وتربي فيها البغض للمدارس . هذه كلها كانت جارية في مدارس سورية وقبما انشأت المدرسة الكلية وجعلت تعلم تلامذتها كأنهم ابناؤك وتدعوهم الى بيتك كأنهم اقرانك وتعرّف بهم الناس كأنهم اخوانك لم تضع يدك على تلميذ وانت مغتاظ ولم تكلمهُ كلمة تصغر نفسهُ بل كنت بالضد من ذلك لاتبث في نفوس التلامذة الا المروءة والشهامة وعزة النفس

فتلامذتك مديونون لك لانك يسّرت لهم وسائل التعليم والتهذيب مديونون لك بما يرفع شأن الانسان بين اقرانهِ ويجعلهُ نافعًا لوطنهِ فلا عجب اذا شكروا لك هذه الايادي البيضاء ومثلوا شكرهم بعلامة ظاهرة للعيان

ولقد كنا نود الاستقلال بهذا العمل ولكننا كنا نقدم رجلاً ونؤخر اخرى مخافة ان لا يأتي طبق المرام فأتيتنا على غير انتظار وتفضلت علينا بما لم نكن نخسران نتوقعهُ منك وتحملت مشقة السفر الى ايطاليا على كبر سنك لكي يراك النحات ويأتي عملهُ كاملاً على قدر الامكان ورافقتك قرينتك الكريمة في هذا السفر كما رافقتك في كل اعمالك السابقة من حين

شرعت في مناداة الناس الى مساعدتك على انشاء هذه المدرسة الى الآن فلها كما لك الفضل الاكبر علينا حتى في هذا العمل الذي كنا نود ان نكون مستقلين فيهِ

وانتم أيها السادة رئيس المدرسة واساتذتها وعمدتها لقد تفضلتم علينا فسمحتم لنا ان نضع هذا التمثال في حماكم فاقبلوهُ منا واحتفظوا بهِ كرماً منكم واكدوا ان لكم كما لرئيسنا الاول مثات من التماثيل مبثوثة في اقطار المسكونة وهم رسائل حية لكم معروفة ومقروءة من جميع الناس وبهم فخركم الاكبر ترونهم في معترك الحياة يذللون الصعاب بالقوى العقلية والادبية التي استمدوها منكم . وغاية ما نرجوهُ الآن ان يكون عملنا هذا مقبولاً لديكم ولدي جمهور الفضلاء الذين تكرموا فشرفوا هذا الاحتفال نسأل الله ان يرسخ فينا خلق الاعتراف بالجميل والشكر على المعروف حتى نتبارى فيهِ ونتنافس لا زالت معاهد العلم سماءً وانتم شموسها . (يعقوب صروف)

اما الخطبة التي خطبها المندوب فكانت بالانكليزية وسننشر تعريبها في جزء تالٍ

فضل الشرق على الغرب

لم يقم حتى الآن دليل علمي على وطن الانسان الاول ولكن الادلة متوفرة على ان العمران ابتدأ في المشرق واتصل منهُ الى المغرب ودعائم هذا العمران كثيرة اكبرها ما يلي

اولاً الدين — الاديان المشهورة التي لها الآن الشأن الاكبر في مصالح الامم اليهودية والمسيحية والاسلامية ابتدأت كلها في الشرق . ومهما حاول اهالي اوربا ان يغمطوا فضل الشرق عليهم فلا يستطيعون ان ينكروا فضل الديانة المسيحية في تهذيب اخلاقهم وتشييد دعائم عمرانهم

ثانياً الكتابة — رأى بعضهم من النقوش التي اكتشفت حديثاً في جزيرة كريت ما استدلَّ منهُ على ان الكريتيين استنبطوا الكتابة بالحروف الهجائية قبل غيرهم لكن العلماء المحققين ينكرون ذلك . ولا يزال جمهورهم يعتقد ان الفينيقيين اهالي سورية هم اول من استنبط الكتابة بالحروف الهجائية . وهب ان الفينيقيين لم يستنبطوها فهم الذين نقلوها الى اوربا وعلَّموا اليونان استعمالها ويكاد ذلك يكون امرًا تاريخيًّا ولا تزال اسماء الحروف اليونانية دليلاً على اصلها السامي

ثالثاً الارقام الهندية — هذه الارقام اعترف العرب انهم اقتبسوها من الهنود كما يدل اسمها العربي واعترف الافرنج انهم اقتبسوها من العرب كما يدل اسمها في لغاتهم ولا مجال للشك

في هذين الامرين . وفوائد العلوم الحسابية وكل ما بني عليها اعظم من ان تذكر واكثر من ان تحصى . انزع من العمران الحروف الهجائية والارقام العددية وما بني عليها فلا يبقى منهُ ربعهُ . واقدم ما وجد من الكتابات العربية وفيهِ ارقام هندية قراطيس من البردي وجدت حديثًا في الفيوم تاريخها سنة ٨٧٣ للميلاد

رابعًا الحك المغنطيسي — ان جانبًا كبيرًا من العمران ومن تعمير المسكونة سببهُ سهولة السفر بحرًا وللحك المغنطيسي اليد الطولى في ذلك . ولقد كان الحك معروفًا ومستعملاً عند الصينيين في اوائل القرن الثاني من التاريخ المسيحي واستعملهُ العرب في اواسط القرن التاسع

خامسًا البارود — لا يرتقي العمران الاَّ في زمن السلم ولا يدوم السلم الاَّ اذا قويت معدات الحرب وخيف منها ولقد كان لاستعمال البارود اليد الطولى في تقليل الحروب وتقصير مددها واطالة ازمنة السلم . والادلة متوفرة على ان الصينيين استعملوا البارود في اواسط القرن الثالث عشر وان العرب تعلموا عملهُ منهم في ذلك الحين فسموا ملح البارود ثلج الصين . قال ابن البيطار ثلج الصين هو البارود المعروف بزهرة حجر اسيوس وقال في كلمة اسيوس هو ثلج الصين عند القدماء من اطباء مصر ويعرفهُ عامَّة المغرب واطباؤُها بالبارود . وذكر حسن الرماح مقذوفات البارود في كتابهِ الذي الفهُ بين سنة ١٢٧٥ و ١٢٩٥ للميلاد فقال انها بيضة تخرج وتحرق

سادسًا الطباعة — لامشاحة ان الطباعة من انفع المخترعات للعمران ان لم تكن انفعها كلها ولها اساسان لاغنى لها عنهما الاول استنباط الحروف الهجائية والثاني استنباط الورق والاَّ فالطباعة نفسها اهتدى اليها الناس من عهد قديم منذ صنعوا الخواتم والختوم ولكنهم لم يتوسعوا فيها لانهم لم يكونوا قد اهتدوا الى اساسيها المهمين الحروف الهجائية المنقطعة والورق

اما الحروف الهجائية فقد تقدم ان الفضل للمشارقة في استنباطها وفي نقلها الى اوربا . والوراقة او عمل الورق الفضل في استنباطها للصينيين فانهم كانوا يكتبون اولاً على القنا كما كان المصريون يكتبون على البردي ثم صاروا يكتبون على الحرير ونحو سنة مئة للمسيح استنبط واحد منهم عمل الورق من القنَّب والخرق ولحاء الاشجار كما يُعمل اللبد من الصوف ورأوا فائدة هذا الاستنباط فاكرموا صاحبهُ ورفعوا قدرهُ

وذكر الثعالبي في كتاب لطائف المعارف ما نصهُ " ومن خصائص سمرقند الكواغيد التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها احسن وانعم وارفق واوفق ولا تكون الاَّ بها وبالصين . ذكر صاحب كتاب المسالك والممالك انهُ وقع من الصين الى سمرقند في سبي سباهم زياد بن صالح من اتخذ الكواغيد بها ثم كثرت الصنعة واستمرَّت

العادة حتى صارت متجرًا لاهل سمرقند فعم خيرها والارتفاق بها في الآفاق "

ويظهر من كتب التاريخ العربية والصينيَّة ان زياد بن صالح قهر الترك وانصارهم من الصين في شهر يوليو سنة ٧٥١ للمسيح وهي توافق اواخر سنة ١٣٣ للهجرة وعليهِ قد اتصلت الوراقة من الصين الى ممالك العرب في اواسط القرن الثامن للميلاد

ويظهر مما رواهُ ابن خلدون في المقدمة انهُ لما كان الفضل بن يحيى البرمكي واليًا على خراسان عرف ان الصينيين يصنعون الورق في سمرقند فنقل صناعتهُ الى خراسان ومن ثم انتشرت الوراقة في ممالك المسلمين وكان الورق الخراساني يعمل من الكتان على ما جاء في كتاب الفهرست قال " والصين تكتب في الورق الصيني ويعمل من الحشيش واما الورق الخراساني فيعمل من الكتان ويقال انهُ حدث في ايام بني اميَّة وقيل في ايام الدولة العباسية وقيل ان صنَّاعًا من الصين عملوهُ بخراسان على مثال الورق الصيني" . ظهر بالبحث المكرسكوبي ان الورق المصنوع من الكتان اقدم من الورق المصنوع من القطن . وقد عثر بعض الاوربيين على رسالتين كتبتا سنة ٨٠٠ للميلاد على ورق صنع في بغداد . ولم يكد عمل الورق ينتشر في القطر المصري حتى اهمل عمل قراطيس البردي رويدًا رويدًا ولم يعد يصنع منها شيء بعد القرن العاشر ولكن لم يصل عمل الورق الى جنوبي اوربا الاَّ في القرن الثاني عشر وبلغ المانيا في القرن الرابع عشر

وانتقلت الطباعة من الشرق الى الغرب كما انتقلت الوراقة فان المصريين كانوا يطبعون النقوش على منسوجاتهم منذ القرن السادس . وكان الصينيون يطبعون على الورق منذ سنة ١٧٥ للميلاد وانتشرت الطباعة في بلاد الصين في القرن السادس للمسيح وكانت عن صفائح خشبية وامتدت منها الى بلاد اليابان وجاء في مجلات اليابان ان الملكة شوتوكو امرت بتوزيع مليون من الهياكل الخشبية الصغيرة وقد طبع على كلٍّ منها آية من كتاب البوذيين فمالا نربهاسا شترا وكان ذلك سنة ٧٦٤ للمسيح وتمَّ العمل بامرها سنة ٧٧٠ للمسيح . وقد وجد بعض هذه الهياكل الصغيرة ووجد فيها دروج عليها الكتابة المشار اليها بالحروف الصينية . ووجدت صفائح معدنية للطباعة تمتد في تاريخها الى سنة ٨١٦ للمسيح ووجد بعضهم كتابًا في الصينية طبع سنة ١٠٥٤ وفيهِ صورة المؤلف وصور اخرى . والظاهر ان العرب اقتبسوا صناعة الطباعة من الصينيين حال اتصالهم بهم فقد وجد في دفائن الفيوم ثلاثون صفحة عربية مطبوعة من القرن التاسع والعاشر للميلاد . وفي بعضها حروف قبطية وفي بعضها اجزاء من القرآن دلالة على ان المسلمين لم يكونوا يأنفون من طبعهِ في المطابع حينئذٍ . ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يطبعون نقود الورق ويتداولونها فقد

جاء في كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامه انهُ "حضر جماعة من التجار (الى الملك العادل) وشكوا ان القراطيس كان ستون منها بدينار وتزيد وتنقص فيخسرون فسأل عن كيفية الحال فذكروا له ان عقد المعاملة على اسم الدينار ولا يرى الدينار في الوسط وانما يعدون القراطيس بالسعر تارة ستين بدينار وتارة سبعة وستين بدينار"

وظهر بعد البحث الدقيق ان اهالي كوريا اول من استنبط الطباعة بالحروف المنفصلة كما هو جار الآن فقد قال الصينيون ان حداداً منهم اسمهُ بي شونغ صنع حروفاً للطباعة من الخزف بين سنة ١٠٤١ و ١٠٤٩ للميلاد ورأى بعض الباحثين في هذا الموضوع كتباً صينيةً مطبوعة بحروف منفصلة منذ سنة ١٣١٧ ولا يعلم ما اذا كانت صينيةً او كوريةً ورأى كتباً اخرى كورية الاصل طبعت بحروف معدنية واحداً منها طبع سنة ١٤٠٩ وفيهِ وصف الطباعة بالحروف المنفصلة ويقال فيهِ ان ملك كوريا رأى ان الطباعة عن الصفائح الخشبية لا تفي بالمراد فامر بعمل حروف الطباعة من النحاس على نفقتهِ الخاصة وكان ذلك في اواخر سنة ١٤٠٣ واوائل سنة ١٤٠٤ ويختم هذا الفصل بالصلوات والابتهالات لنجاح هذا العمل

والظاهر ان العرب تعلموا الطباعة بالحروف المنفصلة من الصينيين ولكن لا دليل على ان الاوربيين تعلموها منهم والمرجح ان الاوربيين اتصلوا اليها من تلقاء انفسهم ولكن لو لم يتعلموا من العرب عمل الورق ما كان للطباعة شأن يذكر

وجملة القول ان الفضل لاهالي المشرق في دعائم العمران الدين والكتابة والارقام الهندية والحك المغنطيسي والبارود والوراقة والطباعة

الصور في الطباعة

عبّر الناس عن معانيهم بالصور المرسومة قبلما عبّروا عنها بالكلمات المكتوبة . ثم اختزلوا الصور فتولدت منها الكتابة بالكلمات اولاً ثم بالحروف . ولذلك تجد الصور في اقدم ما كتبهُ الناس او ارادوا التعبير بهِ عن اغراضهم بل تجدها بين الآثار التي بقيت من عهد سكان الكهوف الذين كانوا يصيدون الفيل في فيافي اوربا قبلما غمرها الجليد في العصر الجليدي الاخير وقرض الافيال منها ولعلّ ذلك كان منذ اكثر من عشرة آلاف عام

وكان المصريون يجمعون بين التصوير والكتابة في كل نقوشهم القديمة والحديثة من قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف او خمسة آلاف سنة الى ما بعدهُ باربع مئة او خمس مئة سنة

وترى نقوشهم القديمة والحديثة في كل هيا كلهم وقراطيسهم ممزوجة بكتاباتهم

وظلَّ الناس يمزجون الصور بما يكتبونهُ الى يومنا لانها تعبّر عن المراد على اقرب سبيل بل ان الكلمات المكتتبة تعجز احياناً كثيرة عن وصف المراد مهما كان فيها من الاسهاب ولا ترسم في ذهن القارىء صورة واضحة الاَّ اذا كان الكاتب بليغاً في الوصف وكان الموضوع مما يسهل التعبير عنهُ . وقد رأينا كتباً عربيَّة خُطَّت منذ مئات من السنين في علم الحيوان والنبات وفي علم الهيئة رسمت فيها صور الحيوانات والنباتات وصور ابراج السماء ومجاميع النجوم كما تخيلها الاقدمون وبعضها متقن الصنعة بديع الالوان يدل على مهارة صانعيها في صناعة الرسم والتصوير

ولما شاعت الطباعة في اوربا عن الصفائح قبلما شاعت عن الحروف المنفصلة صار الصنّاع ينقشون الصور على الخشب او المعدن كما ينقشون الحروف عليها و يطبعون هذه وتلك معاً وقد طبعوا كذلك قصص التوراة وسموها توراة الفقراء . ثم شاع استعمال الحروف المنفصلة فصارت الصور تنقش وحدها وتطبع معها او يترك لها مكان بين الحروف تطبع فيهِ

وتفنَّن النقاشون في نقش الصور وبرعوا فيهِ براعة منقطعة النظير حتى انك تجد في بعض الكتب التي طُبعت في القرن الماضي والذي قبلهُ صوراً بالغة غاية الدقة لا تكاد تفرق بينها وبين الصور الشمسية المتقنة ولا ترى ما فيها من الخطوط والنقط الدقيقة ما لم تنظر اليها بنظارة تكبر المنظورات وكان للصناع الفرنسويين اليد الطولى في اتقان النقش واقتدى بهم الالمان والانكليز

وبينما كان النقاشون يتفننون في نقش الصور وطبعها حتى صار ذلك صناعة لا يستطيعها الاَّ النابغون منهم ظهر اسلوب جديد لنقش الصور بواسطة التصوير الشمسي والحفر الكيماوي وكانت الصور الاولى التي نقشت كذلك بعيدة عن الاتقان ثم زاد اتقانها رويداً رويداً في عهد قرَّاء المقتطف حينما استنبطت الشبكة التي تحل الصور الى مربعات صغيرة دقيقة . ومن ثم صار النقش صناعة ميكانيكية يستطيعها الصانع الماهر وغير الماهر وللحال كثرت الجرائد والمجلاَّت المصورة كثرة فائقة الحد وصار بعضها يملأ صفحاتهِ بالصور لانهُ وجدها ارخص من الكتابة

والناس في عصر البخار يقتبس بعضهم ما عند البعض الآخر بسرعة البريد ان لم يكن بسرعة البرق فحالما شاع في اوربا نقش الصور بالمواد الكيماوية بعد تصويرها بالفوتوغرافيا رأى بعض النجباء من ابناء الشرق ان يقتبسوا هذه الصناعة ويزينوا كتبنا وجرائدنا بها .

ويظهر لنا ان الاساليب الاخيرة التي اعتمد عليها الخواجه ميشال كوفا الذي صنع لنا صورة تمثال الدكتور بلس المنشورة في صدر هذا الجزء بشبكة متقاطعة الخطوط والصورة المقابلة بشبكة متوازية الخطوط هي ادق الاساليب التي استعملت حتى الآن وقد اتقنها غاية الاتقان [illegible]



نقش شبكيتهُ خطوط متوازية

قوانين يوستنيانوس

الكتاب الثاني

الفصل الاول في تقسيم الاشياء واسباب تملكها

الاشياء اما موروثة واما غير موروثة فمنها مباح بالشرع الفطري لجميع الناس . ومنها مشاع . ومنها مختص بجماعة . ومنها غير مملوك لاحد . ومعظمها مملوك لافراد

(١) الاشياء المباحة لجميع الناس بالشرع الفطري الهواء والماء الجاري والبحر وشواطئه[١]

(٢) الانهار والمراسي مباحة

(٣ و ٤) شواطىء الانهار مباحة بحكم شرع الامم

(٥) شواطىء البحر مباحة ايضاً بمقتضى شريعة الامم وما هي بمملوكة لاحد

(٦) الاشياء المختصة بجماعة هي ما في المدن مثل الملاعب ومضامير السباق الى غير ذلك من الاشياء المشتركة

(٧) ان الاشياء الموقوفة والاشياء الدينية والمقدسة غير مختصة باحد

(٨) الاشياء الموقوفة هي ما أُفرد لله باحتفال ديني ولا يسوغ لنا ان نبيعها اونرهنها الا لافتداء الاسرى[٢]

(٩) من يدفن في ارضهِ ميتاً يجعل فيها مكاناً دينياً[٣] ومتى كانت الارض مشتركة ولا مدفن فيها فليس لاحد الشريكين ان يأذن في الدفن فيها الا برضا شريكهِ وهذا جائز في قبر مشترك . وليس لمالك الارض المستأجرة ان يجعل فيها مكاناً دينياً الا برضا المستأجر

(١٠) الاشياء المقدسة متعلقة بالشريعة الالهية

(١١) تمتلك الاشياء بوجوهٍ مختلفة منها ما يمتلك بالشرع الفطري ومنها ما يمتلك بالشرع المدني ومن المناسب الابتداء بالاول

---

(١) في الفقه الاسلامي « الماء والكلاء والنار مباحة وكذا البحر والبرك الكبيرة » كما في المجلة والدر المختار

(٢) في الفقه الاسلامي « اذا صح الوقف لم يجز بيعه ولا تمليكه لخروجهِ عن ملك الواقف » كما في شرح القدوري لشيخنا المرحوم الشيخ عبد الغني الميداني الدمشقي

(٣) من جعل ارضهُ مقبرةً يزول ملكه عنها عند ابي يوسف وعند محمد اذا دفن الناس في المقبرة زال الملك ومن بنى مسجداً وفرزهُ عن ملكهِ بطريقهِ واذن للناس بالصلاة فيهِ فاذا صلى فيهِ جماعة على الاشهر زال ملكه . عن « شرح القدوري »

(١٢) ان الحيوانات البرية لمن اخذها وذلك بمقتضى شرع الامم . ولا ينظر الى المكان الذي اصطيدت فيهِ فسواءٌ اصطادها من ارضهِ او من ارض غيرهِ . كل ما اصطدتهُ لا يصير ملكك الا قدر ما بقي في يدك

(١٣) اذا جرحت حيواناً ضارياً وانت تريد صيدَهُ فلا يعدُّ ملكاً لك الاَّ عند وقوعهِ في قبضتك

(١٤) اذا وقع النحل على شجرتك فلا يصير ملكاً لك الاَّ بعد ان تجعلهُ في الخلية فالنحل حينئذٍ يصير اكثر اختصاصاً بك من الطير التي تعشش في شجرتك . والخشرمُ المسروق من خليتك يُعدّ ملكك ما دام غير غائب عن نظرك وما دام تتبعهُ وادراكهُ سهلاً عليك

(١٥) أما الحيوانات المتعوّدة الذهاب والرجوع فالقاعدة انها ليست لك الاَّ بقدر ما تحافظ على ارادة العود اليك

(١٦) الدجاج والأوَزّ ليست من الطيور الوحشية طبعاً ولهذا اذا خافت فطارت فلا تزال ملكاً لك حتى ولو غابت عن نظرك

(١٧) ما نغنمهُ من العدوّ يصير للحال ملكاً لنا بحسب شرع الامم [١]

(١٨) الحجارة الثمينة واللآلئ وسائر ما يوجد على شاطئ البحر بحسب الشرع الفطري لمن يجدها

(١٩) ما يولد من حيوانك فهو لك بحسب الشرع الفطري

(٢٠) اذا جرَّ النهر الى حقلك ترباً فهو لك بحكم شرع الامم [٢]

(٢١) اذا طغى النهر فجرَّ قطعة من ملك رجل وضمّها الى ملك جارٍ فلا تبرح تلك القطعة ملكاً لصاحبها الاول

(٢٢) الجزيرة في البحر ملك لأوَّل من احتلها . واما الجزيرة في وسط النهر فهي مشتركة بين الملاَّك المقيمين على ضفتي النهر . وهذا على نسبة طول وعمق كل منهما واذا كان احد الشاطئين اقرب اليها من الآخر فهي لاصحاب الاملاك المكونة الشاطئ الاقرب

(٢٣) اذا تحول نهر عن مجراهُ الطبيعي بالكلية الى جهة اخرى دخل المجرى القديم في ملك اقرب الجيران الى الشاطئ وصار المجرى الجديد مشاعاً

---

(١) في الفقه الاسلامي « لا يقسم الامام الغنيمة في دار الحرب حتى يخرجها الى دار الاسلام لان الملك لا يثبت للغانمين الاَّ بالاحراز في دار الاسلام »

(٢) النهر اذا جاء بطين الى ارض احد فهو ملكهُ لا يسوغ لآخر ان يتعرّض لهُ (المادة ١٢٤٠ من المجلة)

(٢٤) اذا غمر الماء ارضاً ثم انحسر عنها فظاهرٌ انها تبقى على ملك من كانت لهُ

(٢٥) من احدث شيئاً في عين لآخر فان كان من الممكن ردُّها الى حالها الأُولى كان الملك لصاحبها. والأَّ فهي لمن أحدث فيها شيئاً (١)

(٢٦) من ادخل في نسج ثوبهِ أُرجواناً لآخر فالارجوان يتبع الثوب

(٢٧) اذا اختلطت الموادُّ برضا المالكين فالمختلط كلهُ مشترك بينهما . فان كانت الموادُّ مختلفةً ونشأ عن اختلاطها شيءٌ خاصٌ فذلك الشيء مشترك بين المالكين . واذا اختلطت الموادُّ اتفاقاً فسواء كانت متماثلة او متباينةً يحكم بأن المختلط مشترك بينهما تبعاً لقاعدة المختلط رضاء

(٢٨) اذا اختلطت حنطة زيد بحنطة عمرو عن رضاً منهما فالخليط مشترك بينهما وليس الامر كذلك ان حصل الاختلاط اتفاقاً او بغير رضاً من احدهما

(٢٩) من بني في ارضهِ بموادّ لآخر فالبناء لصاحب الارض . واما صاحب المواد فلا يزال مالكاً لها ليس لهُ ان يستردّها ولا أن يتصرف فيها حتى ترد اليهِ . ذلك كي لا يضطر الى هدم البناء

(٣٠) من بنى بموادّهِ في ارض الغير صار البناء ملك صاحب الارض . واما صاحب المود فيزول ملكهُ عنها في هذه الحال افتراض انهُ عالمٌ بأنهُ يبني في ملك الغير

(٣١) اذا غرس زيدٌ في ارضهِ شجرةً لآخر صارت الشجرة للغارس والامر بالعكس اذا غرس شجرتهُ في ارض الغير ولكن بشرط ان تسري عروق الشجرة في الأرض

(٣٢) البزر المزروع تبع الارض (وكذا ما اشبههُ من القطاني كالفول والعدس)

(٣٣) الحروف المذهبة تتبع الورق او الرق

(٣٤) النسيج يتبع الصورة التي ترسم عليهِ

(٣٥) من اشترى بنيَّةً سليمة او أخذ بسبب آخر عادل أرضاً من شخص لا يملكها فمن

---

(١) قال صاحب الدرّ المختار «من بنى او غرسَ في ارض غيرهِ بغير اذنهِ أُمِرَ بالقلع والردّ لو قيمة الساحة اكثر . وللمالك ان يضمن له قيمة بناء او شجرٍ أُمِرَ بقلعهِ فتقوّم بدونهما ومع احدهما مستحقّ القلع فيضمن الفضلَ »

وفي الحاشية لابن عابدين ما نصهُ « فان كانت قيمة الارض مائةً وقيمة الشجر المقلوع عشرة واجرة القلع درهم بقيت تسعة دراهم فالارض مع هذا الشجر تقوّم بمائة وتسعة دراهم فيضمن المالك التسعة . ومن غصب ثوباً فصبغهُ او سويقاً فلتهُ بسمن فالمالك مخيران شاء ضمنهُ قيمة ثوبٍ ابيض ومثل السويق . وان شاء اخذ المصبوغ او الملتوت وغرم ما زاد الصبغ والسمن واذا تغيرت العين المغصوبة بفعل الغاصب حتى زال اسمها واعظم منافعها زال ملك المغصوب عنها وملكها الغاصب وضمن بدلها لمالكها »

المقرر ان الغلة لهُ بمقابلة الحرث والعناية . وأما من اشترى ارضاً وهو يعلم انها ليست للبائع فالغلة ليست لهُ

(٣٦) من لهُ استغلال ارض يصير مالكاً حاصلات الارض اذا استطاع ان يقبضها هو بنفسهِ وعلى هذا الحكم عينهِ يجري المساقي

(٣٧) حمل الحيوانات مندرج في الثمار الحاصلة لكن ولد الأمة ليس بمندرج في ذلك

(٣٨) المستغل الذي لهُ قطيع جارٍ في استغلالهِ فكل رأسٍ يموت منهُ يجب ان يعوّض عنهُ برأسٍ مما يولد من ذلك القطيع . واما الشجر والكرم فيجب عليهِ ان يعوّض عمّا يبس منها

(٣٩) ما يجد المرء في ارضهِ من كنزٍ فهو لهُ بحكم العاهل أدريان . وكذا الحكم اذا وُجد الكنز اتفاقاً في مكانٍ وقفيٍ او دينيٍ . اما الكنوز الموجودة اتفاقاً في ارض الغير فنصفها لمالك الارض والنصف الآخر للواجد

(٤٠) تملك الاشياء ايضاً تبعاً للشرع الطبيعي بالتسلُّم

(٤١) الاشياء المبيعة والمسلمة يملكها المشتري متى اراد البائع

(٤٢) اما تسليم المبيع فلا فرق بين ان يكون من المالك نفسهِ وبين ان يكون برضاهُ على يد ثالث

(٤٣) قد تكفي ارادة المالك لانتقال الشيء عن ملكهِ بلا تسليم

(٤٤) من باع بضائع مودعة في مخزن تصير ملك الشاري حين يسلم مفاتيح المخزن

(٤٥) كلما اراد المالك فلهُ ان يحوّل ملكهُ الى اي كان ولو غير معينٍ [١]

(٤٦) ينتج من ثمّ أنّ من قيد شيئاً قد تركهُ صاحبهُ صار للحال مالكهُ

(٤٧) انّ ما تطرحهُ عند هبوب العاصفة خارج السفينة تخفيفاً يبقى على ملك اصحابهِ وهذا كما يظهر لا يختلف كثيراً عن الاشياء التي تسقط من العجلة ماشية من دون علم أصحابها

الفصل الثاني في الاعيان والحقوق

الاعيان ما يمكن لمسها كالعقار والعروض . واما الحقوق فليست كذلك وانما هي أمورٌ معنوية كحقّ المرور وحقّ حبس الرهن [٢]

(١) في الفقه الاسلاميّ من التى مالهُ على الطريق وقال جعلتهُ لمن وصلت اليهِ يدهُ ملكهُ من وصلت اليهِ يدهُ (٢) حقّ الشيء تبعٌ لهُ كالطريق والشرب (حاشية ابن عابدين)

الفصل الثالث في عبودية التركة (اي ما على التركة من الحقوق)

حقوق التركة العقارية هي الممرّ وهو حقّ المرور بالرجل ذهابًا واياباً من دون حيوان ولاعجلةٍ . والطريق وهو حق المرور بدابة او عجلة والسبيل وهو حق السير والجولان والقناة (الترعة والساقية) وهو حق اجراء الماء في ارض الغير

(١) الحقوق على التركة العقارية في المدن المتعلقة بالابنية . وهذه كالتزام الجار أن يحمل بناء جاره على بنائهِ . وكحق ادخال جائز (عرق) في جدار الجار أو وضعهِ عليهِ . وكالتزام الجار ان ينصبّ ماء سطحهِ او ميزابهِ في دارهِ او في ميزابهِ . وكحق أن يمنع كل احد عن ان يرفع بناءه ويضرّ بضوء جارهِ [1]

(٢) في جملة الحقوق على التركات العقارية اغتراف الماء وسقي القطعان من الموارد والرعي وعمل الجص واستخراج الرمل

(٣) لايتأتى لأحد ان يكون لهُ حقٌ على تركة عقارية في المدينة او في الحقل ان لم يكن لهُ عقارٌ موروثٌ

(٤) من يرد ان يقرّر حقاً لمنفعة جارهِ فعليهِ ان يقرّر ذلك الحق بوثائق وبشروط . ويصح ان يقرّرهُ بكتاب الوصية

الفصل الرابع في الاستغلال

الاستغلال [2] حق استعمال مال الغير والانتفاع بهِ مع المحافظة على عينهِ

(١) متى أُريد منفعة شخص من باب الاستغلال بدون وصية وجب ان يكتب في ذلك وثائق وشروط

(٢) ليس الاستغلال منحصرًا في الارض والبيوت بل يجري في العبيد والدواب وسائر الاشياء الاّ ما يهلك بالاستعمال على ان مجلس الشيوخ قد حكم لاجل المنفعة ان تكون تلك الاشياء معدّة للاستغلال لكن بشرط ان يكون للوارث كفالة متينة . وانهُ عند موت المستغل او تغير حالتهِ يجوز لهذا الوارث ان يستوفي مبلغًا من المال يساوي اغلى قيمة لهذه الاشياء

(٣) ينتهي الاستغلال بموت المستغل وبتغير الحالة الكبير او المتوسط و باستعمال الشيء

---

[1] وفي الفقه الاسلامي لا يمنع احد من التصرف في ملكهِ ابدًا الاّ اذا كان ضررهُ فاحشًا والضرر الفاحش كلّ ما يمنع الحوائج الاصلية فهذا يدفع بأيّ وجهٍ كان (راجع حقّ المعاملات الجوارية في المجلة وغيرها)

[2] اعلم ان الاستغلال يشبه الاجارة من حيث التمتع بالمنفعة مع بقاء العين على ملك صاحبها ومن حيث الانقضاء عند انتهاء مدة محدودة ويخالفها من وجوهٍ كما ترى ذلك بمقابلة البابين

في غير ما قصد بهِ . ويمضي اجل معين . ومتى تركهُ المستغل للمالك . ومتى هلك البناه بالحريق او سقط بالزلزلة او بوهن فيهِ

(٤) يزول الاستغلال بالمرّة عند ما يرجع الى الملاك

الفصل الخامس في الاستعمال والسكنى

ان الاسباب التي يتمّ بها الاستغلال يتمّ بها الاستعمال ايضاً . وهو يزول بالاسباب التي بها يزول الاستغلال

(١) ان حق الاستعمال أضعف من حق لاستغلال

(٢) من لهُ حق استعمال ارضٍ فيعتبر ان ليس لهُ منها الاَّ أخذ البقول والثمار والازهار والعلف والتبن والحطب سدًّا لحاجاتهِ اليومية . ولا يؤذن لهُ ان يقيم بهذه الارض الاَّ مدةً من الزمن لا يضايق فيها المالك ولا من يقومون بأعمال الحقول . وليس لهُ ان يؤجر ولا ان يبيع ولا أن يسمح بما لهُ مجانًا لاحد كائنًا من كان . وأما من لهُ حق الاستغلال فيجوز لهُ كل ذلك

(٣) من لهُ استعمال بيتٍ فليس لهُ الاَّ ان يسكنهُ هو نفسهُ . وغاية ما يسمح لهُ بهِ ان يقبل عندهُ ضيفاً [1]

(٤) من لهُ استعمال عبدٍ فلهُ وحدهُ ان ينتفع بعمل ذلك العبد وخدمتهِ وكذا الحكم فيما يتعلق باستعمال حيوانٍ

(٥) اذا أُوصي لشخص باستعمال قطيع من الغنم او بعض خراف فللمستعمل ان يدمل حقلهُ ويسمدهُ من بعر القطيع

(٦) متى أُوصي بالسكنى لشخص او عينت لانتفاعهِ يظهر انها تجعل حقًّا معينًا خصوصياً فنأذن نحن والحالة هذه في اجارة البيت لثالث حتى ولو كان الحق حق سكنى

(٧) قد ذكرنا على وجه الاختصار اسباب التملك بحسب شرع الأمم فحان لنا ان نذكر اسباب التملك بحسب الشرع المدني

الفصل السادس في التملك والاستحلال بمرور الزمان

انهُ بحسب قواعد الشرع المدني من يشتري بالنية السليمة شيئًا من غير مالكهِ معتقدًا انهُ ملكهُ او ممن كان قد تملكهُ بسبب آخر عادلٍ فيصير ذلك الشيء ملكاً لهُ ان كان منقولاً

(١) في الدرّ المختار « ليس للموصى لهُ بالخدمة او السكنى ان يؤجر العبد او الدار » عن باب الوصية بالخدمة والسكنى والثمر

بعد سنة في كل وجهٍ من البلاد وان غير منقول فبعد سنتين . لكن يشترط ان يكون الشيء المذكور في ارض ايطاليا وذلك حتى لا يبقى التملك لغير معين [1]

واما نحن فقد وضعنا حكماً أوثق ولناعلى هذه المادة المذاعة رسمياً قانون اساسي بمقتضاهُ لا يجوز تملك الاشياء المنقولة الاَّ بعد ثلاث سنين . والاشياء الثابتة الاَّ بمرور الزمان . فتملك الاشياء بهذا الوجه يكون مبنياً على تملك بسبب صحيح [2]

(١) اذا امتلك حرٌّ او وقف او شيءٌ دينيٌّ او عبد ابقٌ فتملك هذه الاشياء لا يكون مقرَّراً مهما مرَّ عليها من الزمان

(٢) الاشياء المسروقة والمغصوبة لا يصحُّ ان تملك بوضع اليد حتى ولو مضى عليها الزمان وحتى لو كان التصرُّف فيها بنية سليمة [3]

(٣) اما تلك الاشياء فلا يملكها اللص ولا الغاصب ولا يصحُّ تملكها لشخص آخر بخلاف ذلك [4]

(٥و٦و٧) اذا وضع شخص يدهُ على موضع خالٍ بدون غصب امتلكهُ هو نفسهُ بنيةٍ سليمة . مع ذلك اذا تحول هذا الملك الى آخر وقبلهُ بنيةٍ سليمة فلهذا الآخر ان يمتلكهُ بمرور الزمان

(٨) الشيء المسروق والمغصوب قابل لان يتملك اذا ردَّ الى صاحبهِ

(٩) املاك الدولة غير قابلة لتملك بوضع اليد

(١٠) من المعلوم انهُ يجب ان يكون الشيء خالياً من العيب حتى يكون قابلاً لأَن يتملكهُ المشتري بنيةٍ او المتصرف فيهِ بايما وجه آخر عادل

(١١) الخطأ المبنيُّ على سبب باطلٍ لايحصل عنهُ التملك بوضع اليد

(١٢) وضع اليد زماناً اذا كان قد ابتدي بفائدة للمتوفى يستمر لوارثهِ وللمتصرف في الأَملاك حتى ولو علم أَن تركة المتوفى ملك غيرهِ لامالكهُ

(١٣) في قانون زينون تحوُّط لمن تملكهم الدولة شيئاً فكانوا يملكونهُ للحال بالاطمئنان

---

(١) نقل عن بعض الحنفية ان الحرام لا يتعدَّى ذمتين غير ان هذا محمول على ما اذا لم يعلم بذلك اما لو رأَى المكاس يأخذ من احد شيئاً من المكس ثم يعطيهِ آخر ثم يأخذهُ من ذلك الآخر آخر فهو حرام (الدرّ المختار) (٢) المراد انهُ لا تسمع الدعوى عليهِ من رجل آخر (٣) هذا تفريق بين ما يقع بالمبادلة المالية وبين مالا يقع بها كما هنا (٤) وذلك كما لو كان المال بيد السارق ولم يعلم مالكهُ فباعهُ الحاكم ملكهُ المشتري كما في الفقه الاسلاميّ

ضمير ويخرجون في كل المحاكمات غالبين سواء كانوا مدَّعين او مدعى عليهم · ومع ذلك يؤذن للمدعين ان يقيموا

الفصل السابع في الهبة

الهبة نوعان هبةٌ بسبب الموت · وهبةٌ بدونهِ

(١) الهبة بسبب الموت اي التي تصدر عن الوارث متصورًا الموت · هي اعطاء شيء لآخر بنيَّة ان يترك لهُ اذا توفي المعطي . وبنية ان يستردهُ اذا نجا من خطر الموت او اراد الرجوع عن هبتهِ او توفي الموهوب لهُ . اعلم ان مايقع من الهبات بسبب الموت مشابه للوصيَّة كل المشابهة

(٢) الهبات غير المتسببة عن تصوُّر الموت هي الهبات بين الاحياء وهي تتم متى صرح الوارث بارادتهِ · وفي بعض قوانيننا الاساسيَّة انها تتم بالقبض . [١] ان شروط القوانين القديمة تقتضي ان يدخل في الصكوك العمومية للهبات بين الاحياء مايزيد على مائتي صوليد [٢] وأما قانوننا فقد اصعد هذه الكميَّة الى خمسمائة صوليد

من المعلوم انهُ اذا وجد أُناس ينكرون جميل الواهب فقد سوَّغنا لهُ لأسباب صحيحة ان يرجع في الهبة [٣]

(٣) ان للهبة بين الاحياء نوعًا آخر يقال لهُ " السابق الزواج " ومن شروطهِ أنهُ لايتم الا بعقد الزواج · أما نحن فقد حكمنا أنهُ كما ان المَهْر يصح ان يزاد وان يعين وقت انعقاد الزواج حكمنا ايضاً ان هذه الانواع من الهبات يصح ان تقع اوان يضاف اليها زيادة قبل الزواج اوعند الزواج

الفصل الثامن فيمن لهُ حق البيع وفيمن ليس لهُ

من ذوي الاملاك من لايحقُّ لهم ان يبيعوها · · ومنهم من يحق لهم ذلك بحسب شريعة جوليا

ليس للزوج ان يبيع بلا رضا امرأتهِ الأرض التي أُخذت مَهْرًا ولو كان الزوج مالكاً

(١) وفي القواعد الكلية « لا يتمُّ التبرُّع الاَّ بالقبض » فاذا وهب احدٌ شيئًا لآخر لا تتمُّ الهبة قبل القبض

(٢) الصوليد نقدٌ من النقود الرومانية يساوي ١٢ دينارًا رومانيًا (٣) في الفقه الاسلاميّ للواهب الرجوع في الهبة ولكنهُ مكروهٌ قال النبيّ العائد في هبتهِ كالعائد في قيئهِ · ويمنع من الرجوع فيها خمسة امور خروج الهبة عن ملك الموهوب لهُ · وموت احد المتعاقدين · وزيادة متصلة واخذ الواهب عوضاً عنها · وكون الموهوب لهُ ذا رحم محرم منهُ نسباً كما في كتب الفقه كافةً

تلك الارض المعطاة مهرًا . واما نحن فقد عززنا هذهِ القاعدة وحكمنا بأن بيع الأرض المأخوذة مهرًا باطل ولو برضاء الزوجات وكذلك رهنها

(١) اما الغريم الدائن فبالعكس فمتى وجد عهد جاز لهُ بيع الرهن ولو لم يكن في ملكهِ [1]

(٢) ليعلم ان القاصر والقاصرة لا يجوز لهما أن يبيعا شيئًا من دون اذن الوصي

الفصل التاسع في الاشخاص الذين يكسب بهم المرء لنفسهِ

أن تكسب لنفسك بذاتك . وبمن هو تحت ولايتك . وبالعبيد الذين لك أخذ كسبهم وبالأحرار وبعبيد الغير الذين ملكتهم بنية سليمة

(١) ان ما يكسبهُ الأولاد بشيء الاب فهو لهُ برمتهِ . واما ما يكسبهُ ابن البيت لأجلهِ بسائر الوجوه الأُخر فللأب الانتفاع بغلتهِ وللابن ملك عينهِ

(٢) قد قرَّرنا انهُ في مقابلة التحرير يحبس الاب من الاملاك على الابن نصف حق الاستغلال عوضًا من ثلث الملك

(٣) انت تكسب كل ما يقبضهُ عبدك بالتسلم او بايّ سبب كان . واذا أُقيم عبدك وارثًا فليس لهُ ان يستلم الميراث ما لم تأذن لهُ انت في ذلك

(٤) أما العبيد الذين لك عليهم حق الاستغلال فيرضينا ان نحكم ان كل ما يكسبونهُ بشيئك او باشغالهم فهو مكسوب لك وان بسائر الوجوه لصاحب الملك وهذا ايضًا حكم كل ما تتصرف فيهِ بنية سليمة

(٥) ينتج مما قلناهُ ان المرء لا يكسب شيئًا بشخص اجنبي مع ذلك قد تقرَّر ان لك ان تكسب علمت او لم تعلم بواسطة الاحرار تصرُّفًا وبهذا التصرُّف تملكًا او تسلطًا

الفصل العاشر في صور كتاب الوصية

انما قيل لهُ كتاب الوصية لأنهُ شهادة الارادة

(١ و ٢ و ٣) قد أُمر أنَّ كتاب الوصية يكتب في جلسة واحدة بحضرة سبعة شهود وان يكتب هؤلاء الشهود فيهِ توقيعهم ويختموه بخواتمهم

(٤) قد ضُمَّ الى هذا القانون وجوب كتابة اسم الوارث

(٥) للشهود كلهم ان يختموا كتاب الوصية بخاتم واحدٍ

---

(١) في الفقه الاسلامي لا يباع الرهن الا بتراضي الراهن والمرتهن . ولكن اذا وكل الراهن المرتهن او غيرهُ ببيع الرهن عند حلول الدين فالوكالة جائزة لأن الرجل وكل ببيع مالهِ . فان شرطت في هذا الرهن فليس للراهن عزلهُ فان عزلهُ لم ينعزل وكذا ان مات الراهن لم ينعزل

(٦) يصحُّ ان يستشهد في كتاب الوصية لكن لا يصحّ استشهاد المرأة ولا القاصر ولا العبد ولا المجنون ولا الاخرس ولا الاطرش ولا المحجور ولا من نصّت الشريعة على عدم أهليتهم للايصاء

(٧ و ٨) اذا كان ابٌ أو أخوان تحت سلطةٍ واحدةٍ يصحُّ اقامتهم شهودًا في وصيةٍ واحدةٍ

لا يجوز ان يُنظم في عداد الشهود من هو تحت ولاية الموصي

(١٠) ولا الوارث المسجَّل اسمهُ ولا من هو تحت ولايتهِ ولا أبو من هو تحت ولايتهِ ولا الاخوة الذين هم تحت ولاية هذا الاب . فهؤلاء كلهم لا يصحُّ استشهادهم

(١١) اما الموصي لهم والمستودعون فبما انهم ليسو ورّاث الحق وكذلك المتصلون بهم بالقرابة فنأذن في استشهادهم في كتاب الوصية

(١٢) لا فرق ان تكتب الوصية على صفائح او على الورق او على الرقّ او على مادة أُخرى مما يمكن ان يكتب عليهِ

(١٣) يصحُّ ان يكتب للوصية الواحدة عدة نسخ

(١٤) من اراد ان يوصي بلا كتابة كتاب بحسب قواعد الشرع المدني فعليهِ ان يجمع سبعة شهود [١] ويصرح في حضرتهم بارادتهِ فيكون بهذه الوسيلة قد اطمأنَّ انهُ اوصى وصيةً شرعيةً

الفصل الحادي عشر في وصايا الجنود

ان رسوم الايصاء التي يجب مراعاتها يعفى منها الجنود وهم في الغزو حيث تعتبر وصيتهم شرعية بايما صورةٍ صرَّحوا بارادتهم الاخيرة

(١) مع ذلك لا يعدُّ كتاب وصية الجندي شرعيًّا ما لم يثبت قبل ان الوصية قد وقعت

(٢) يحقُّ للجندي الاخرس والاصم أن يوصيا

(٣) لايجوز للجندي ذلك الاَّ اذا كان في الخدمة او في المعسكر

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

(١) نصاب الشهادة على الوصية في الفقه الاسلاميّ كنصابها في سائر الحقوق فتقبل فيها شهادة رجلين او رجل وامرأتين

جبل المصايب

(المقتطف) من غريب الاتفاق انهُ وصل الينا في العام الماضي مقالتان في موضوع واحد الواحدة من سوهاج وتاريخ ارسالها الينا غرة ابريل والثانية من لبنان وتاريخ ارسالها الينا ١١ نوفمبر. والمقالتان متفقتان في موضوعهما مختلفتان في اسلوب البحث فيهِ الاولى مترجمة ترجمة والثانية مبنيَّة على الاساس الذي بنيت عليهِ المقالة الاولى وها نحن نوردهما معاً لما فيهما من الفائدة والفكاهة

(١) جبل المصايب

قرأْت منذ ايام مقالة لاديصن الكاتب الشهير تحت عنوان جبل المصايب فآثرت تعريبها وارسالها الى مجلتكم النجباء لتدرج فيها وهي :

قول لسقراط مشهور وهو " اذا جمعت مصايب الناس الى مكان واحد لكي تقسم عليهم بالتساوي فالذين يعدون انفسهم اشد الناس شقاء واكثرهم نكداً يفضلون نصيبهم الاول على ما ينالهم بهذه القسمة " وذهب هوراس الى ما هو ابعد من ذلك فقال " ان الآلام والمصايب التي ننوء تحتها اخف علينا مما لو ابدلناها بمتاعب غيرنا اذا امكن الابدال "

بينما كنت ملقى على كرسي اتأمل ما حوت هاتان العبارتان من بديع المعنى وجميل المبنى ران جفني الكرى فرأيت جوبتر ينادي الناس قائلا تعالوا يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال واطرحوا اثقالكم في هذا المنبسط الفسيح الذي اعد لذلك . فوفد الناس زرافات ووحداناً بعضهم وراء بعض وطرحوا اثقالهم حتى تكوَّنت اكمة من المصايب كادت تناطح السحاب ثم ظهر شبح امرأة عليها سيمة الاهتمام بهذا الاحتفال في احدى يديها مرآة معظمة وهي مرتدية ثوباً واسعاً رسمت عليهِ اشكال المردة والشياطين . وكلما هزت الريح هدب ثوبها تناثرت منهُ ازياء مختلفة كانهُ خيال الظل يمثل جيشاً من الناس يترامون من كل لج عميق . وكانت هذه المرأة واسمها الاهة الوهم ترسل نظرات حادَّة متقلبة كأَن بها مسًّا او خبالاً . ثم جعلت تقود الناس الى الموضع المعين لطرح الاحمال والرزايا وهي تساعدهم على حملها بجد ونشاط .

وما طرح الناس مصايبهم عن كواهلهم حتى ذابت احشائي لما رأيت مقدارها الهائل

رأيت رجلاً يحمل صرةً وهو يخبئها تحت ثوب عتيق حتى اذا وصل الى الساحة رمى بها فاذا هي الفقر . ورأيت آخر يمشي وهو يحمل شيئاً ثقيلاً رمى بهِ وسار فنظرت اليهِ واذا هو امرأَتهُ

ورأيت قتلى الحب وأسرى الغرام يسيرون الهوينا ونار الهوى تتأجج في افئدتهم ودموع الشكوى تنحدر على وجناتهم فتزيد نيرانهم اشتعالاً ولما وصلوا الى جبل المصايب تنهدوا وفاضت دموعهم وصغرت نفوسهم لكن لم تسمح خواطرهم بطرح اسباب محنتهم بل هزوا رؤوسهم وعادوا ادراجهم يحملون احمالهم كما جاءوا بها مفضلين الالم المقيم على ترك الحبيب

ورأيت جمعاً من العجائز رمين غضون الوجه وسمرة الجلد . ورأيت كومة كبيرة من الانوف الحمراء والشفاه الضخمة والاسنان السوداء ودهشت لان اكثر ما كنت اراهُ من عيوب الخلقة. ثم رأيت رجلاً يسير الهوينا وعلى ظهره حمل اثقلهُ فرماهُ عنهُ وعاد جزلاً مسروراً فنظرت واذا ما رماهُ حدبة كانت في ظهرهِ

ورأيت اشكالاً متنوعة من سوء الخلق ورداءة الطباع تفوق الحصر والعد . ومما يستوقف النظر بينها ويزيد الاسي ان داء الحقد والضغينة كان اعم من كل شيءٍ سواهُ

هنا يقف القارئ مدهوشاً اذا قلت لهُ اني لم اجد رذيلة واحدة طرحها صاحبها عنهُ ولا جهالة من الجهالات الكثيرة . وقد زادت دهشتي وعظم استغرابي لان الوقت كان وقت التخلص من الرذائل والمفاسد ومع ذلك لم يلتفت احد الى طرحها عنهُ

ومما يدل على ان الاحمق عبد لشهواتهِ اني رأيت فتىً حاملاً ديونهُ فلم يطرحها عنهُ بل طرح خسائرهُ وآخر طرح ادبهُ بدل جهالتهِ

ولما اتمَّ الناس طرح اثقالهم التفتت المرأة اليَّ ورأتني متكاسلاً عن الدنو من الساحة فاقتربت مني ووضعت مرآتها المعظمة امام عيني وأرتني وجهي فيها وقد تحوَّل الى وجه قزم ازعجني مرآهُ وثقل عليَّ قبحهُ . ولاختلال التناسب في تقاطيعهِ ساء خلقي وقبحت ملامحي لحسرتهُ عني كمن حسر نقاباً واتفق ان انساناً كان واقفاً الى جانبي لهُ وجه طويل تكاد ذقنهُ تفوق وجهي كلهُ فلما رآني طرحت وجهي عني التقطهُ ولبسهُ بدلاً من وجههِ فلبست وجههُ بدلاً منهُ

ورأيت الناس وقفوا حول جبل المصايب وقد خلا كل منهم من مصايبهِ وجعلوا ينظرون الى ما فيهِ ويتمنى كل واحد منهم ان ينال شيئاً منها

ومرَّ جوبتر عليهم وهم محدقون الى تلك المصايب واباح لهم ان ينتقي كلٌّ منهم ما يحلو في عينيهِ منها وجعلت الاهة الوهم تهتم بمساعدتهم على انتخاب ما يريدونهُ وتحمّل كلاً منهم حملهُ الجديد فرأيت شيخاً وقوراً كلل الشيب ناصيتهُ طرح عنهُ صفرة وجههِ وجعل يطلب بدلاً منها ووريثاً يرث املاكهُ المترامية الاطراف ورأى اباً غاضباً رمى ابنهُ ليتخلص منهُ فبادر اليهِ والتقطهُ حاسباً انهُ اصاب مغنماً . وما سار الابن العقوق مع هذا الشيخ البار قيد باع حتى

امسك بلحيتهِ وجعل يلاطمهُ نصرخ الرجل مستغيثاً بابي الفتى لكي يعيد اليهِ صفرتهُ ويأخذ ابنهُ
رأيت زنجيًّا طرح عنهُ قيود العبودية واستبدلها بداء النقرس فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار . واموراً اخرى كثيرة من هذا القبيل فمن رجل استبدل مرضاً بفقر او سوء الهضم بالجوع او الالم بالهم ونحو ذلك مما يطول شرحهُ

وكان النساء يتقايضن اشياءهنَّ فواحدة تطرح عنها شعراً بزغ فيهِ فجر المشيب وتستبدلهُ ببزة حقيرة واخرى تستبدل كتفاً مستديرة بخصر قصير وثالثة تبدل صيتاً قبيحاً بوجه مشوه ولكن لم أرَ واحدة ابدلت عيباً بعيب اقل منهُ قبحاً

ولقد اخذتني الشفقة على الرجل الاحدب الذي اختار وجهاً صبوحاً بدل حدبتهِ فان الوجه الصبوح كان مصحوباً بحصاة في المثانة . وعطفت على الرجل الذي ساومهُ هذه المقايضة وخرج يتسكع وكفاهُ فوق رأسهِ والنساء ينظرن اليهِ ويضحكن عليهِ

اما انا فان صاحبي ذا الوجه الطويل الذي اخذ وجهي القصير ظهر فيهِ بشكل مضحك فكنت اضحك حتى الحص الارض برجليَّ كلما نظرت اليهِ ولما رآني كذلك تولاهُ الخجل . ومددت يدي لا لمس وجهي فلمست شفتي العليا ولطمت يدي انفي اكثر من مرتين وانا اجيلها على وجهي فعلمت انني زدت قبحاً على قبح

والخلاصة انهُ ما تفرّق جبل المصايب على اولئك الناس حتى سمعت التذمر والبكاء والعويل من كل الناس ورايتهم يفضلون العود الى حالتهم الاولى فحنن عليهم جوبتر وسمح لهم ان يطرحوا ما اخذوهُ ويستردوا ماطرحوهُ فابرقت اسرتهم واختفت الاهة الوهم وظهرت الاهة اخرى تلوح على وجهها سماء السكينة والهدو وهي الاهة الصبر ولما ظهرت القت نظرها على تلك المصايب المشتعلة فبدأ لهبها يخمد وثورتها تسكن فطيبت القلوب المنكسرة واعادت الى الناس مصايبهم الاولى وعلمتهم احتمالها فرضخ كل انسان لحكمها وحمل حملهُ شاكراً . انتهى باختصار قليل

جبره تاوضوروس

(٢) جبل التعاسات

ان من ظنون سقراط المأثورة والمشهورة " ان لو جمعت كل تعاسات بني آدم الى مستودع عمومي ريثما يصير توزيعها على الناس على اختلاف طبقاتهم لظهر حينئذٍ ان من ظنوا انفسهم اشقى ابناء جنسهم يختارون البقاء على ما قسم لهم من البؤس عند ما يرون ما يصيبهم منهُ لدى التوزيع "

وقد توسع هوراس في ذلك وقال " ان ما نكابدهُ من المصايب نراهُ اخف حملاً مما يكابدهُ الغير لو عرضت علينا المقايضة فيها "

بينما كنت اتأمل فيما قالهُ هذان الفيلسوفان وانا جالس على كرسي ومتكئ على احد مسانده وانت على جفوني سنة الكرى فحلمتُ اني واقف في حضرة جبار السموات تطوف بهِ الاملاك ملائكةً وملكات ثم رأيت ماردًا طول احد المذنبات ينفخ في بوق يهز صوتهُ الارضين وعلى يمينهِ غانية لايتصور العقل اجمل منها طلعة لكن على جبينها من الاسرَّة والغضون مادلَّ على انها كافحت في عمرها نوب الايام تعبس في وجههِ حينًا وتبسم لي احيانًا . فتقدمت خطوة اليها اريد الاستفهام عن مغزى ما ارى فقالت قبل ان افوه بكلمة لا تسأل ان المقام رهيب عليك بالصمت لكن لك عليَّ ان ادلك على ما تريد الوقوف عليهِ وانا اسمي الصبر ثم اشارت الى المارد وقالت لهُ اذا كان لابد فانفخ بصورك وادعُ البشر قاطبةً رجالاً ونساء من ابن خمسة عشر حولاً الى ما ينتهي اليهِ عمر الانسان الى بطحاء امتدت امامي كلمح البصر خلتها تسع الارض وما عليها ادعُهم لكي يأتي كل منهم حاملاً مصيبتهُ وما يشكو منهُ ويأتي بما حمل في وسط تلك البطحاء فلما صدع بامرها لم ارَ الاَّ وقد ثار الغبار وانتشر العفار في مسالك الارض وطرقاتها وبين شعاب الجبال وفجاجها من وطء اقدام المدعوين ولفظ البحر ما على ظهرهِ من فلك ملأى بالملاحين حتى خلت إطباق الحشر ورحتُ اصوب الطرف واصعدهُ لارى اين ينصب الميزان فاذا بكل قادم الى وسط تلك البطحاء التي يحمل مصابهِ او عاهتهِ او نكبتهِ بعضها بشكل حزمة والبعض بهيئة كتلة منها كبير يتمعج او طويل يتلوى ومنها ما كاد حاملهُ يرزح من ثقلهِ او هو صغير لا يتجاوز حجمهُ قبضة اليد . ورأيت بينها فقاقيع كأنها لا تحوي غير هواء سارحٍ الى غير ذلك من ضروب الاحمال حتى اصبح المستودع جبلاً شاهقًا حلقت قمتهُ عنان السماء . فلبثت انتظر ما سيكون واذا الحجاب انشق في طرفٍ من السماء وبرزت منهُ عجوز حيزبون تتوكأ على افعوان ارقش ويتدلى على صدرها قلادة من العقارب وعليها مرط او غلالة مطرزة بصور عاهات الناس وبلاياهم لكن في وسط كل صورة من هذه الصور نقطة برَّاقة تنبئ عن وجود رسيس الامل بالنجاة او بالشفاء . فاجفلت لرؤياها وقلت لربة الصبر الواقفة على كثبٍ مني ومن تكون هذي فاشارت رمزًا وايماء الى انها ربة الرزايا وطاغية الناس الكبرى حتى اذا ما وصلت الى سفح جبل التعاسات المتكون منذ لحظة من مصائب الناس وقفت وحولها اعوان وجلاوزة بينهم مندوب رفيع الشأن ينوب عن الجبار الاعلى . ثم نفخ المبوق فجاء الناس اليها شيوخًا وكهولاً وشبانًا وصبيةً ذكورًا واناثًا زوجًا زوجًا لحاقًا تباعًا بعضهم وراء

بعض دون ازدحام او تشويش لا كما فعلوا عند القائهم مصايبهم في المستودع العمومي اذ جعلوهُ لشدة لهفتهم وعجلتهم طودًا شاهقًا مشوش انهدام وغير مستوي الاطراف. فاطاع الناس الامر ومشوا كما امرت ربة الرزايا الى ان بلغ الزوج الاول موقفها فاخذت تسأل الواحد ثم تسأل الآخر عما احتوتهُ وديعتاهما اللتان القياهما في المستودع المسمى بجبل التعاسات فيقول الواحد مصيبتي داء عقام صاحبني العمر وما عرفت لهُ دواء ويقول الآخر بليت وانا يافع بالفقر المدقع مفترشي الارض ابيت كل ليلة طاوي الحشى. فتقول ربة الرزايا وهل لكما في مقايضة هذي الاحن فيقولان ذلك ما نبغي فتشهد اذ ذاك عليهما مندوب الجبار الاعلى ومن احاط بها من الجلاوذة وتصرفهما وكل منهما لابس رزية الاخر ثم يؤتى اليها بالزوج التابع فتسألهُ كما سألت من تقدم فيتشكى الواحد العقم في الذرية والآخر كثرة الاولاد فتصرفهما وقد تبادلا ما يشكوان منهُ. ثم يصل الزوج التالي فيشكو الواحد من حدبة على ظهرهِ والآخر من اتب على صدرهِ فيذهبان بالحدبة موضع الاتب وبالاتب موضع الحدبة ثم يؤتى بالزوج اللاحق فيقول الواحد شكايتي من زوجة غيور ويقول الثاني من زوجة سكرى فيذهبان كما ذهب السابقون كل يحمل زوجة الآخر ثم يجيء بالتابع فيقول الواحد مصيبتي ولد عقوق ويشكو الآخر حرمانهُ من الاولاد فينصرفان وقد حل الواحد محل الآخر وهلمَّ جرًّا زوجًا زوجًا من اصحاب المصائب والشكايات الذين لم استطع تعدادهم وقد رأيت بينهم كثيرين من اصحاب المناصب العالية يتقايضون الشكايات من اخس الصعاليك

حتى اذا اتمت ربة الرزايا توزيع ما اودع على جبل التعاسات بطريقة المقايضة بين المبتلين الشاكين وتمهد الجبل كأنهُ لم يكن وهمت مع رهطها بالانصراف ارتفع من جانب ساكني الارض جلبة نوح وعويل كادت توقظني من حلمي او تقيم الاموات من قبورها فامسكت ربة الرزايا مع رهطها عن المسير وسألت من المارد المبوق عن سبب الانين والصيحات المزعجات فقال ان المتقايضين ندموا على ما فعلوا ويريدون الرجوع عن المبادلة ويطلبون العودة الى العاهات والرزايا والمصايب والبلاوى التي كانوا عليها فقالت نادهم ببوقك ان يجيئوا الينا كما ذهبوا ازواجًا كي نستقصي منهم عن اسباب النكول فنفخ المارد وما عتمت حتى رأت اقبال الناس لكن على خلاف ما كانوا عليهِ من الرضى والاستبشار يوم جاءوا باحمالهم الى جبل التعاسات وظنوا ان التوزيع والمقايضة بالمصائب خير لهم من البقاء عليها. فلما وصل الزوج الاول وحظي بالمثول لدى ربة الرزايا سألت احدهما وكان قد آثر الفقر المدقع على الداء العقام وقالت ما سبب ندمك على ما اخترتهُ امامي برضاك فقال مولاتي لم اعلم اني

خلقتُ أُلوفاً لو رجعتُ الى الصبا   لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

فلا خفى عن علومك ان المصاحبة الطويلة الامد ولو مصاحبة داء السرسام لقد توسع في صدر الانسان محلاً للالفة عليهِ فشفائي منهُ وانغماسي بالفاقة والاملاق صفقة واحدة ودن تمهيد او تعويد حملاني على انكار البدل والبديل هذا وقد كان لي من دائي شاغلاً الهو بهِ عن غيرهِ من كوارث الحياة لاني

الفت السقم حتى صار جسمي   اذا فقد الضنى امسى عليلا

وكان لي كما تعلمين رسيس امل بالشفاء منهُ فلهذا اطلب اليك لطفاً وكرماً اعادة دائي اليَّ بلا تريثٍ او امهال . فادارت وجهها ثم سألت الآخر وهو الذي رضي بالداء العقام بدلاً من فقرهِ المدقع وقلت لهُ ما الذي حماك على النكول فقال وان كنت فيَّ مرَّ من عمري معدماً من كل ملاذ الراحة في الحياة مطروداً من الناس معذباً برؤْية ما لا استطيع الوصول الى اقل شيء منهُ انام طاوي الحشى ينهشني الجوع ويلفحني الحر او يهرأني البرد ولا فراش لي غير السماء الاَّ انهُ كان لي عزاءٌ واحدٌ لم اجدهُ في الداء العقام الذي اعطيتهُ وذلك اني كنت استبيح ما يستبيحهُ المترف اترفه وكنت اعلل النفس بالعثور يوماً على كنز مخبوء ينهض بي الى رتبة المنعمين فلهذا ارجو منك ارجاعي الى فقري مهما كان شديداً . فادارت الحاظها قائلة لقد سجلت مقايضتكما ولا يمكن الغاؤُها فاذهبا عني فذهبا يعولان بالبكاء

ثم جيء اليها بزوج آخر فسألت احدهما وكان قد اختار كثرة الاولاد على ما كان لهُ من العقم فقال كان همي ونكد عيشي من العقم لعلمي باني لا اخلف من يبقي لي ذكراً بين الناس وكنت وانا فيهِ لا ابالي ولا احفل بمال اكسبهُ لعلمي انهُ لا يكون موروثاً بعدي لولد من لحمي ودمي فلما استبدلتهُ وولدت ما شاء القدر من الاولاد وكنت كما لا يخفاك غير معتاد تربيتهم اقضاني معظم العمر محروماً منهم الفيتُ السهر عليهم وتمريضهم والتوجع لاوجاعهم اشد ما ينكب بهِ الانسان في هذه الحياة ثم عرفت ان ما كنت اؤمل ادخارهُ ليكون ميراثاً لولدٍ من دمي اصبح من المستحيل الحصول عليهِ او الاحتفاظ بهِ لان ما اتكلفهُ من النفقة عليهم يستغرق كل ما ملكت او املك حتى صرت على وشك الهبوط واياهم في هاوية العوز فنصير عالةً على المجتمع الانساني فما كان اجدر بي يا ربة الرزايا لو بقيت باقي العمر عقيماً آكل مريئاً واشرب هنيئاً واورث وانا في قيد الحياة من احب من الناس او اقوم بعمل خيري يخلد لي ذكراً جميلاً . ثم سألت الآخر وقالت الست انت الذي اخترت العقم على كثرة الاولاد فما الداعي لرجوعك عنهُ الآن فقال لاني وجدتني بعد العناء بولادتهم وتربيتهم موحشاً منهم وطريداً بعدهم في سبسب الحياة

وان ما انكرتهُ زمنًا من هموم العناية بهم وما تحملتهُ من صلفهم ونزغات نفوسهم وما تجشمتهُ من التعب في اعالتهم صرت اراهُ الآن نعمة ذهبت بالنسبة لما اورثنيهِ الخلو منهم من الكآبة والحزن لاني صرت ارى نفسي كأني في قفرٍ لاانتفع فيهِ الا سراب املٍ يعللني بان اجد عند موتي من يغمض لي عينًا او يذرف على قبري دمعة . نعم ربما تقولين يا ربة الزرايا وما انتفاعك بعد الموت من ذلك اقول ان الوهم ما برح منذ الازل سائدًا على عقول الناس ولعلك انتِ نفسك تستمدين معظم سلطانكِ منهُ . فقالت لهما كما قالت لمن تقدم ان الرجوع عما قبلتما بهِ غير ممكن فذهبا يبكيان . ثم جيء اليها بالزوج التالي وكان احدهما قد اختار الاتب على الحدبة فقال ظننت الاتب اخف حملاً فاذا بهِ اثقل على صدري يمنعني بروزهُ من رؤية ما تحتهُ من جسمي ومن رؤية ما امامي على الارض فان بعدت نعليهِ واذا عانقت فجبل حائل بيني وبين المعانق واذا اضطجعت فعلى صدري هضبة لا نبت فيها . حالةٌ لا استطيع معها الحياة . فالتفتت الى الاخر الذي اختار الحدب على الاتب فقال من الجنون ان يضع الانسان على ظهره جبلاً يرزح تحتهُ ابد العمر لا يتمكن معهُ من رؤية ما فوقهُ ويبقى محرومًا من رؤية السماء وبهجتها ومن رؤية من يقابلهُ او يخاطبهُ ان مشى مشي سلحفاة وان جلس فجلوس ارنب فارحمي حالي يا ربة الزرايا واقيلي عثرتي وردي اليَّ اتبي فقالت كما قالت لمن سبق لا مردَّ لما مضى

ثم أُتي الى حضرتها باثنين كان احدهما قد اختار الزوجة المدمنة الخمر على الزوجة الغيور فابتدرتهُ ربة الزرايا بقولها اني أُراك شاحب اللون وفي وجهك اثر الخدوش قال نعم لاني فضلت مدمنة الخمر على الغيرى . قالت صف لنا حالك قال برحنا جبل التعاسات ومعي زوجتي الجديدة فسارت معي كانها خارجة من حانة لهو وطرب فقلت لها اقلّي الغناء والعربدة في الطريق فقالت ومن اقامك عليَّ رقيبًا . وما دخلت داري حتى شرعت تفتش عن القناني والاكواب وتقول بئس الدار ان لم تحوِ ما يقصي الترح ويجلب الفرح ثم رفست اناءً بديع الصنعة غالي الثمن لانها لم ترَ فيهِ خمرًا فسحقتهُ وخرجت ثم عادت وفي يدها قارورة ملئها سلافة من عهد نوح اشترتها بنصف ثمن الدار . فقلت لها ارحمي فقري فاني لا املك غيرها فقالت وهل يغني السكن عن هناء الساكن ألا تعلم يا انذل الرجال ان السكر خير من الصحو في هذه الحياة . ولما انتهرتها على العربدة تناولتني بكفها وها اثر اظافرها في وجهي وعنقي فصبرتُ لعل الموت يريحني منها او يريحها مني . ثم قتلت ابنها الوحيد وهي سكرى فعيل صبري وخرجتُ اهيم على وجهي حتى اذا سمعت المصوت يدعو الناس هرولت اليكِ لكي تردي عليَّ زوجتي الاولى اذا كان لابد من زوجة

وجيء بالرجل الآخر فلما مثل في حضرة ربة الرزايا اخذ يلتفت يمنةً ويسرة خائفاً مذعوراً لئلا تكون زوجتهُ الجديدة آتية في اثرهِ . ولما هدأ روعهُ قال اليكِ يا مفرقة الرزايا اشكو من زوجة غيور ظننتها اخفَّ وطأة عليَّ من زوجة سكيرة مسرفة فاذا هي اشد نكاية لان الاولى لم يكن سكرها متصلاً فكنت استريح في الفترات اما هذه فلا تغفل عينها عني لحظة لا نهاراً ولا ليلاً حتى اذا اردت المنام قالت لي حذار ان ترحّب بالخيال الزائر. ولا اذكر اني افقت مرةً من الرقاد الاَّ قابلتني بوجه عبوس واحداق مزورة وهي تقول هل انت بطيف ياخائن ولا تزال تسبني وتشتمني الى ان اتم لبس ثيابي ولا ادري كيف البسها القميص على الرأس والحزام على الساق حتى اذا خرجت من الحجرة ارسلت ورائي من يتجسس امري او اقتفت خطواتي بنفسها وكثيراً ما تتنكر وتتبعني بازياء مختلفة واذا رأتني منفرداً قالت لي بمن تفكر الآن يا شيطان واذا رأتني مع قوم اشركتهم معي في السباب حتى اضطررت ان اغاضب صحبي واهل عشيرتي . وقلت لها مرةً قولي لي بربك اعن حبٍ بي ما اراهُ من غيرتك . قالت كيف لا . قلت المحب يرضى لحبيبهِ ما يرضيهِ واراكِ على خلاف ذلك في غيرتك لانها تسؤني وتحرمني لذيذ العيش قالت ان ذلك لا يهمني ما دام فيهِ رضائي . قلت اذاً غيرتك ناشئة عن حب لذاتكِ لا عن حب لزوجكِ كما تدَّعين . فقالت ظن ما شئت واعلم اني واكثر النساء لا نطيق ان يمازج حب ازواجنا لنا شيءٌ يلهيهم عن عبادتنا وليس لهم ان يطالبونا بحب لا يكون مداره ومرجعهُ حب انفسنا وعلمت حينئذٍ ان قيد الاسر مشدود على عنقي فجئتُ استجير بكِ ياربة الرزايا من ظالمة لا يعرف ظلمها الاَّ زوجها . فقالت لهُ كما قالت لمن قبلهُ ان عقدكما لا فكاك لهُ

ثم أُتي الى حضرتها باثنين كان احدها ابًا عقهُ ابنهُ الوحيد فوهبهُ لغني لا ولد لهُ . فقال الاول ان غيظي من عقوق ابني اطار عقلي حتى استافني الى ان القي بهِ كمصيبة في مستودع التعاسات وقد تبناهُ اذ ذاك رجل آخر بلا ولد. فقالت لهُ وما الذي اوجب نكولك عن ذلك الآن قال انقطاع صوتهِ وصخبهِ عن سمعي . فقالت وهل كان في هذا الصخب ما يطربك قال لا لكن لما غاب شخصهُ عن عيني تذكرتُ ان العيش كلهُ صخب والدهر نفسهُ شيخ متمرد فقلت ما احقني باحتمال عقوق ابني ولحمة القرابة اشد معهُ منها مع الدهر الآبق ثم املت ان يأتي يوم اكون فيهِ على ائتلاف معهُ . قالت سمعناك وأُتوني بالغني المتبني فلما وقف امامها قالت وما حالك قال مولاتي انتِ تعلمين ما كابدتهُ في معترك الحياة حتى جمعت ما جمعتهُ من حطام الدنيا وتعلمين اني لم ارزق ولداً يرث ما اصبتهُ من نعم المولى كما انك تعلمين منزلة المال المجموع بعد

الجيد والجد من قلب صاحبهِ فكنت لهذا لا انفك عن الاستغاثة بالقوابل والاستصراخ بالاطباء فلما اعيتني الحيل وخفت المنايا ان تذهب بشيخ مثلي من غير وارث جئت يوم نودي بالحضور الى البطحاء لايداع المصائب حاملاً كربتي المذكورة في صرة املاً ان اصيب عند التوزيع ما يدرأها عني فاذا بهذا الرجل الواقف امامك الآن وضع ولده العقوق فاستبشرت خيرًا واملت ان اعطاه ولو كان شيطانًا مريدًا فما عتمت حتى امرتني ان اتبناه واجعله وريثي فاخذته فرحًا مسرورًا الى قصري والبسته افخر الملابس وسودته على خدمي وحشمي ووليته على ما ملكت فنام هنيئًا وفي الغداة باكرني وقال عزمت على الاتجار والسفر انتجاعًا لرزق ارفع بهِ منزلتي عندك فقلت حبًا وكرامةً خذ هذه سفتجة بمبلغ كبير فخذها وتهيأ للسفر فودعته ولم يمض اسبوع حتى جاءني منهُ كتاب ينبئ انهُ قد قامر فخسر السفتجة واصبح مديونًا بمثلها قيمة وبنت يطلب ان امدهُ بالمال فاجبتهُ اني اتعهد باداء ما عليهِ ان عاد الحي سريعًا فعاد ومعهُ زمرة من الرعاع وقال قبل التحية والسلام انقد هؤلاء الرجال الكرام المبلغ الفلاني فاجبتهُ انهُ يجوز مقدرتي قال لابد من ادائهِ حالاً ثم هم بمسك طوقي ولما حاولت التملص منهُ قبض على خناقي والقاني وشرع يرفسني بنعليهِ حتى اوشك ان يميتني لو لم يتداركني عبد من عبيدي دعوته بالبكاء واذا بصوت البوق يدعو الى الحضور فهرولت اليك وبي من اوجاع الضرب والرفس ما يقعد بي عن كل حركة لولا تاقي للحصول على اجازتك بحل عقد التبني. فاجابت ان الحل لا يستطاع فاذهب من حيث اتيت

ثم مر امامها جمهور لا يحصى من المتقايضين في البلايا والعاهات منهم من يستغيث بها من عين مقرحة اخذها بدلاً من انف مشوه ومنهم من يطلب استبدال الخرس بالصمم والخبل بالارق والخرف بالجنون والامراض الجلدية بالعصبية والبطنة بقلة اشتهاء الطعام. فلما مرت هذه الخلائق وقفت ربة الصبر في وسط تلك الساحة الفسيحة وقالت بعالي صوتها

"معاشر الناس بيضًا وسودًا لقد شاطرتكم منذ عهد ابيكم آدم الحزن على ما تبتلون بهِ من الاحن والكوارث والعاهات ولم افتأ نذيرًا انذركم ان نوازل المكروه لا يمكن رفعها بحيلة من الحيل بل يمكن تخفيف ثقلها بالاستعانة بي والالتياذ بعروتي واني لآسفة على ما ارتكبتموهُ من الخطاء في المقايضة التي عرفتم الآن كيف عقباها واعلموا ان المبدع العظيم لما اذن بخلقكم اوصاني بان الازمكم وان لا افارقكم لئلاً لا تجلدوا على المصائب العارضة ولا على الحياة التي ابتليتم بها"

نسيم خلاط

العقد الفريد

من امهات كتب المحاضرة الممتعة " العقد الفريد " لاحمد بن محمد بن عبد ربهِ الاندلسي مولى هشام بن عبد الرحمن الاموي المتوفَّى سنة ٣٢٨ هـ في مدينة قرطبة دار مملكة الاندلس. كتاب حوى من كل شيءٍ طريفهُ ومن كل معنى ظريفهُ بعيد غور مؤلفهِ مستكثر من المحفوظات ضليع من معرفة ايام الناس حسن تأنيهِ في التأليف سليم ذوقهُ من الاختيار. يتصفح العالم كتابهُ فيستفيد مادة ويقرأهُ الاديب فتسري الفاظهُ ومعانيهِ في منظومهِ ومنثورهِ ويتناولهُ المؤرخ فيقرأُ في تضاعيفهِ الصدق في الرواية والاصابة في الاراء ويقلبهُ الطبيب فلا يعتم ان يرى فيهِ نتفاً من طبهِ ووصفاً لعقاقيرهِ ووصفات في تدبير الصحة. ويأخذهُ العامي فيسقط فيهِ على مالا يتيسر لهُ في غيرهِ من النكات المستملحة والاضاحيك الملهية والاحماض الذي تلذُّ لجمهور المطالعين فهو كافٍ جامع " لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة وتدور على السنة الملوك والسوقة "

احسن ما يعجب بهِ المطالع على هذا الكتاب صدق لهجة صاحبهِ فقد اَلَّفهُ لعبد الرحمن ابن محمد الملقب بالناصر المتوفى سنة ٣٥٠ اول من تسمى بالخلافة وبأمير المؤمنين بالاندلس لما وهت الدولة العباسية. الفهُ لهُ وهو اموي في المغرب ولم يطرح التصريح بسيرة آبائهِ وجدودهِ في المشرق فذكر المحسن باحسانهِ والمسيءَ باساءتهِ من خلفاء بني أُمية كافة. حتى ان الناظر في العقد لاول وهلة يحسب ان مؤلفهُ شيعيٌّ علويٌّ يكره الأُمويين على اختلاف بلادهم وانهُ وقف كتابهُ لغمط حسناتهم وقد وهم الذهبيُّ في اتهامهِ ابن عبد ربهِ بالتشيع وانهُ من اللاحقين بالامويين والحقيقة انهُ من النواصب منحرف عن علي بن ابي طالب كما انهُ لا يزال بعضهم يتهمون ابن الاثير صاحب تاريخ الكامل بمثل هذه التهمة في المذهب ولو انصفوا لوسموهُ بانهُ مؤرخ صادق

تكلم المؤلف على ملوك بني أُمية بالاندلس وامتدح من كان على عهدهِ وأَلف كتابهُ برسمهِ الذي تولى الملك سنة ثلثمائة كما قال "وهي جمرة تحتدم ونار تضطرم فاخمد نيرانها وسكن زلازلها وافتتحها عوداً كما افتتحها بدأً "

اما ايثارهُ نقل شعرهِ على شعر غيرهِ من اهل الاندلس فذلك كما يظهر لاشتهار اشعارهم. ولقولهِ في المقدمة " وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على

قاصيتهِ و بلدنا على انقطاعهِ حظًا من المنظوم والمنثور". وهنا يجمل ايراد قصيدة للمؤلف قدمها لممدوحهِ الخليفة في اول غزاة غزاها وهي الغزاة المعروفة بغزاة المنتلون التي افتتح بها سبعين حصنًا كل حصن منها "قد نكبت عنهُ الطوائف واعيي على الخلائف" "ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والاسلام" واليكها انموذجًا من الشعر الاندلسي :

قد اوضح الله للاسلام منهاجا والناس قد دخلوا في الدين افواجا
وقد تزينت الدنيا لساكنها كأنما أُلبست وشيًا وديباجا
يا ابن الخلائف[1] ان المزن لو علمت نداك ما كان منها الماء ثجاجا[2]
والحرب لو علمت بأسًا تصول بهِ ما هيجت من جبال الدين اهياجا
مات النفاق واعطى الكفر ذمتهُ وذلّت الخيل إلجامًا واسراجا
واصبح النصر معقودًا بالوية تطوي المراحل تهجيرًا وإدلاجا[3]
ادخلت في قبة الاسلام مارقةً اخرجتها من ديار الشرك إخراجا
بجحفل تشرق الارض الفضاء بهِ كالبحر يقذف بالامواج امواجا
يقودهُ البدر يسري في كواكبهِ عرمرمًا كسواد الليل رجراجا
تروق فيهِ بروق الموت لامعة ويسمعون بها للرعد اهزاجا
غادرت في عقرتي[4] جيّان ملحمة ابكيت منها بارض الشرك اعلاجا
في نصف شهر تركت الارض ساكنة من بعد ما كان فيها الطير قد ماجا
وُجدتَ في الخبر المأثور منصلتًا من الخلائف خرّاجًا وولّاجا
تُملابك الارض عدلاً مثل ماملئت جورًا وتوضح للمعروف منهاجا
يا بدر ظلمتها يا شمس صبحتها ياليت حومتها ان هائج هاجا
ان الخلافة لن ترضى ولا رضيت حتى عقدت لها في رأسك التاجا

وليس كل ما حوى العقد من الاشعار من نظم صاحبهِ فان هناك من اشعار العرب والمخضرمين والمولدين عراقيين وشاميين وحجازيين ويمانيين ما يسيل رقة ويقطر ظرفًا ومتانة فكأن العقد خُصّ باخبار الشرق وآداب اهلهِ خاصة ولم يورد مؤلفهُ بعض شعرهِ الأ مقابل ما عاناهُ في الجمع والتأليف

(١) الخليفة السلطان الاعظم ويؤنث كالخليف والجمع خلائف وخلفاء
(٢) ثج الماء سال كثج وتثجج (٣) يقال هجرنا تهجيرًا واهجرنا وتهجرنا سرنا في الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر او من عند زوالها الى العصر والادلاج السير من اول الليل (٤) العقر وسط الدار واصلها . وجيان بلد بالاندلس

اما في المنثور فقد حوى . فصولاً وخطباً ورسائل حرية بان ينسج كتابنا وخطباؤنا على منوالها فمن ذلك خطبة ابي حمزة من زعماء الخوارج التي قال عنها مالك بن انس خطبنا ابو حمزة خطبة شك فيها المستبصر وردّت المرتاب وهي : اوصيكم بتقوى الله وطاعتهِ والعمل بكتابهِ وسنة نبيهِ صلى الله عليهِ وسلم وصلة الرحم وتعظيم ما صغّرت الجبابرة من حق الله وتصغير ما عظّمت من الباطل وامانة ما احيوا من الجور واحياء ما اماتوا من الحقوق وان يطاع الله ويعصى العباد في طاعتهِ ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ندعو الى كتاب الله وسنة نبيهِ والقسم بالسوية والعدل في الرعية ووضع الاخماس في مواضعها التي امر الله بها . إنّا والله ما خرجنا أشرًا ولا بطرًا ولا لهوًا ولا لعبًا ولا لدولة ملك نريد ان نخوض فيها ولا لثار قد نيل منا ولكن لما رأينا الارض قد اظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادعاء في الدين وعمل بالهوى وعُطّلت الاحكام وقُتل القائم بالقسط وعُنف القائل بالحق سمعنا مناديًا ينادي الى الحق والى طريق مستقيم فاجبنا داعي الله فاقبلنا من قبائل شتى قليلين مستضعفين في الارض فآوانا الله وايدنا بنصرهِ فاصبحنا بنعمتهِ اخوانًا وعلى الدين اعوانًا . يا اهل المدينة اولكم خير اول وآخركم شر آخر انكم اطعتم قرّاءكم وفقهاءكم فاختانوكم [1] عن كتاب غير ذي عوج بتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين فاصبحتم عن الحق ناكبين امواتًا غير احياء وما تشعرون . يا اهل المدينة يا ابناء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ما اصحّ اصلكم واسقم فرعكم كان آباؤكم اهل اليقين واهل المعرفة بالدين والبصائر النافذة والقلوب الواعية وانتم اهل الضلال والجهالة استعبدتكم الدنيا فاذلتكم والاماني فاضلتكم فتح الله لكم باب الدين فافسدتموهُ واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموهُ . سراعٌ الى الفتنة بطاء عن السنَّة عميٌ عن البرهان صمٌّ عن العرفان عبيد الطمع حلفاء الجزع نعمَ ما ورثكم آباؤكم لو حفظتموهُ وبئس ما تورثون ابناءكم ان تمسكوا بهِ . نصر الله اباءكم على الحق وخذلكم على الباطل . كان عدد آبائكم قليلاً طيباً وعددكم كثير خبيث . اتبعتم الهوى فارداكم واللهو فاسهاكم ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون وتعبركم ولا تعتبرون سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم والله ما فيهم الذي يعلم اخذوا المال من غير حلهِ فوضعوهُ في غير حقهِ وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله واستأثروا بفيئنا فجعلوهُ دولة بين الاغنياء منهم وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء وقلنا لكم تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله فقلتم لا نقوى على ذلك ووددنا أنّا اصبنا من يكفينا فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راعٍ علينا وعليكم ان ظفرنا لنعطينّ كل ذي حق حقهُ فجئنا

(1) مبالغة في الخيانة ومعناهُ صرفوكم بالخيانة

فالقينا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فابعدكم الله . فوالله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمهُ لكان اعذر مع انهُ لا عذر للجاهل . ولكن ابى الله الاَّ ان ينطق باسمهِ على السنتكم ويأخذكم بهِ في الآخرة . ثم قال الناس منا ونحن منهم الاَّ ثلاثة حاكماً جاء بغير ما انزل الله او متبعاً لهُ او راضياً بعملهِ

قال ابن عبد ربهِ اسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طعنهِ على الخلفاء فانهُ طعن فيها على عثمان وعلي بن ابي طالب رضوان الله عليهما وعمر بن عبد العزيز ولم يترك من جميع الخلفاء الاَّ ابا بكر وعمر وكفّر من بعدهما فلعنة الله عليهِ . الاَّ انهُ ذكر من الخلفاء رجلاً اصغى الى الملاهي والمعازف واضاع امر الرعية فقال كان فلان بن فلان من عدد الخلفاء عندكم وهو مضيع للدين والدنيا واشترى لهُ بردان بالف دينار اتزر باحدهما والتحف بالآخر واقعد حبابة عن يمينهِ وسلامة عن يسارهِ فقال ياحبابة غنيني و يا سلامة اسقيني فاذا امتلأ سكرًا وازدهى طربًا شق ثوبيهِ وقال الا اطير فطير الى النار وبئس المصير فهذه صفة خلفاء الله تعالى

وهنا لا بأس بايراد كلمة في اللعن الذي يرى في بعض الكتب فانهُ لا يجوز في الاسلام الاَّ على الكفار لا على التعيين وما يشاهد في بعض الكتب من لعن بعض اهل القبلة وغيرهم فانما هو من زيادات النساخ اما المتقدمون من المؤلفين فلم يكونوا على ما روى لي عالم حكيم ليضيعوا كلمة واحدة في المدح او الذم وكانوا ينقلون الحسنات والسيئات مجردة عن كل طعن ولعن او ثناء ورضاء وقد ورد في الكتاب العزيز عدة آيات في لعن الظالمين والمنافقين اكبارًا لفعلتهم في خراب العمران . وان ابن عبد ربهِ على ادبهِ وحرية ضميرهِ وكونهِ لم ينقل اخبارهُ الاَّ مسندة الى قائليها لم يتمالك عند ذكر ماصدر من مسلم بن عقبة الذي الخش في قتال اهل المدينة لاخذ البيعة ليزيد بن معاوية ان قال عند موت مسلم لارحمهُ الله وكذلك عند موت يزيد وبعد قصة قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير « لارحم الله الحجاج» ولعلَّ ذلك من تزايدات الناسخين على ان ابن عبد ربهِ يعذر بعض العذر في لعنهِ الخوارج فقد وصفهم احد الخلفاء لعاملهِ على العراق بقولهِ : ضع سيفك في كلاب النار وتقرّب الى الله بقتل الكفّار . ولكن هي الاغراض السياسية تعمي وتصم

قال ارسطاطاليس عقول الرجال تحت سنّ اقلامهم . كلام يصح اطلاقهُ على ماخلّفهُ العرب من الآثار ونقل بعضها ابن عبد ربهِ فان هذا المنقول يسوغ ان يتخذ حجة على مبلغهم من الحضارة ودرجتهم من العقل والحكمة والاخلاق وهاك غيض من فيض افكارهم وذروٌ من وافر آدابهم تدل على انهم ليسوا في فصاحتهم دون فصحاء الغرب لهذا العهد . كتب

احدهم الى صديق له : نحن في مأدبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حسناً قد باتت تُعلها فهي مشرقة بمائها حالية بنوّارها فرأيك فينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض . فكتب اليه . هذه صفة لو كانت في اقاصي الاطراف لوجب انتجاعها وحثّ المطي في ابتغائها . فكيف في موضع انت تسكنهُ وتجمع الى اليق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك وانا الجواب . ولبعضهم : الى الله اشكو شدة الوحشة لغيبتك وفرط الحزن من فراقك وظلم الايام بعدك واقول كما قال بعض المحدثين

غضارة دنيا اظلم العيش بعدها   وعند غروب الشمس يعرف فقدها

والآخر: الشوق اليك والى عهد ايامنا التي حسنت كأنها اعيان وقصرت كأنها ساعات يفوت الصفاء ومما يجدده ويكثر دواعيه تضاقب الديار وقرب الجوار تمم الله لنا النعمة المجددة فيك بالنظر الى العزّة المباركة التي لا وحشة معها ولا انس بعدها . وكتب العتابي فكاد ان يخل بالمعنى من شدة الاختصار : حامل كتابي اليك انا فكن له انا والسلام . وللحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك اياه عن تحريكي اياك في امره فان الصنيعة حرمة للمدلوّ اليه ووسيلة الى مصطنعه فبسط الله يدك بالخيرات وجعلك من اهلها ووصل بك اسبابها

انا منتظر واحدة من اثنتين عُتبي تكون منك او عتبي تغني عنك . الهمك الله من الرشد بحسب مامنحك من الفضل لو ان كل من نازع الى الصرم قلدناه عنان الهجر لكنا اولى بالذنب منهُ ولكن نرد عليك من نفسك ونأخذ لا منك

اذا جعلت الظن شاهداً تعدل شهادتهُ بعد ان جعلتهُ حكماً يحيف في حكومته فاين الموئل من جورك ولست اسلك طريقاً من العتب عليك الاّ شدة ما انطوي عليه من مودتك ولا سبيل الى شكايتك الاّ اليك ولا استعانة الاّ بك وما احق من جعلك على امر عوناً ان تكون له الى النجاح سبباً قال الشاعر

عجبت لقلبك كيف انقلب   ومن طول ودك انّى ذهب
واعجب من ذا وذا انني   اراك بعين الرضا في الغضب

من شكرك على درجة رفعتهُ اليها او ثروة اقدرتهُ اياها فان شكري لك على مهجة احييتها وحشاشة ابقيتها ورمق امسكت به وقمت بين التلف وبينهُ فلكل نعمة من نعم الدنيا حدّ تنتهي اليه وحد يوقف عنده وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التي قد فاتت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدره وانت من وراء كل غاية رددت عنها كيد العدو وارغمت انف الحسود فنحن نلجأ اليه منها الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف يشكر الشاكر واين يبلغ جهد المجتهد .

اما بعد فانك لو عرفت الحسن لتجنبت شين القبيح ورأيتك آثر القول عندك ما يضرك فكنت فيما كان منك ومنّا كما قال زهير ابن ابي سلمى

وذي خطل في القول يحسب انهُ مصيب فلم يُلم بهِ فهو قائلهْ
عبأت لهُ حلماً واكرمت غيرهُ واعرضت عنهُ وهو بادٍ مقاتلهْ

ان مودة الاشرار متصلة بالذلة والصَّغار تميل معهما وتصرف في آثارهما وقد كنت احل مودتك بالمحل النفيس وانزلها بالمنزل الرفيع حتى رأيت ذلتك عند الضعة وضرعتك عند الحاجة وتغيرك عند الاستغناء واطراحك لاخوان الصفاء فكان ذلك اقوى اسباب عذري في قطيعتك عند من يتصفح امري وامرك بعين عدل لاتميل الى هوى ولا ترى القبيح حسناً

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد اصبح امير المؤمنين محمود السيرة عفيف الطعمة كريم الشيمة مبارك الضريبة محمود النقيبة [1] موفياً بما اخذ الله مضطلعاً بما حملهُ منهُ مؤدياً الى الله حقهُ مقرًّا لله بنعمتهِ شاكرًا لآلائهِ لايأتمر الاّ عدلاً ولا ينطق الاّ فصلاً محيياً لدينهِ وامانتهِ كافًّا ليدهِ ولسانهِ

كتب محمد بن عبد الملك الزيات : ان من حق الاولياء على السلطان تنفيذ امورهم وتقويم اودهم ورياضة اخلاقهم وان يميز بينهم فيقدم محسنهم و يؤخر مسيئهم ليزداد هؤلاء في احسانهم و يزدجر هؤلاء عن اساءتهم

هذه نُتفٌ اخذتها عرَضاً وما هي الاّ مثال من الانشاء في القرن الثاني والثالث ولو امعنت في تقليب العقد لبلغ ما ينتقى من فضالة امراء الكلام مئات من الصفحات . وحسب المطالع ان يقرأ هذه النموذجات لتكون لهُ ادلة على الرجوع الى الاصل . هناك يرى لمعة مما خطتهُ انامل العتابي وابن يوسف وابن سهل وابن الزيات وابن مكرم وابن وهب وابن الجهم وسهل بن هرون وعمر ابن بحر الجاحظ . ولا ينبغي ان يفوت هذا البحث شيءٌ من كلام سهل بن هرون والجاحظ فان الاول غير مشتهر اليوم عند الخاصة ولقد رأيت كثيرين في مصر والشام مجمعين على ان الثاني بحسن ديباجتهِ ومتانة تراكيبهِ وانتقاء الفاظهِ ومعانيهِ يصلح ان يكون شيخ الكتّاب على الاطلاق فان انشاءهُ هو الحلقة الموصلة بين القديم الغامض والحديث السهل واليك انموذجات من كلامهِ وان اشتهرت كتاباتهُ شهرة الشمس والقمر :

اما بعد فان المكافأة بالاحسان فريضة والتفضل على ذوي الاحسان نافلة . اما بعد فان العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة فبأيهما

---

(١) الطعمة بالضم وجه المكسب والضَّريبة الطبيعة والنقيبة النفس والعقل

ظفرت كانت في حزبهِ . اما بعد فان الاشخاص كالاشجار والحركات كالاغصان والالفاظ كالثمار . اما بعد فان القلوب اوعية والعقول معادن فما في الوعاء ينفد اذا لم يمدهُ المعدن . اما بعد فكفى بالتجارب تأديبًا وبتقلب الايام عظة وباخلاق من عاشرتهُ معرفة وبذكرك الموت زاجرًا . اما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب اهون من اطفائهِ بالشتم والقذع . اما بعد فان اهل النظر في العواقب اولو الاستعداد للنوائب وما عظمت نعمة امرءٍ الا استغرقت الدنيا همتهُ ومن فرغ لطلب الآخرة شغلهُ جعل الايام مطايا عملهِ والآخرة مقيل مرتحلهِ . اما بعد فان الاهتمام بالدنيا غير زائد في الرزق والاجل والاستغناء غير ناقص للتقادير . اما بعد فان احببت ان تتم لك المقة في قلوب اخوانك فاستقلَّ كثيرًا مما توليهم . اما بعد فان انظر الناس في العاقبة من لطف حين كف حرب عدوهِ بالصفح والتجاوز واستل حقده بالرفق والتحبب

ومن كلامهِ : اما بعد فان احق من اسعفتهُ في حاجتهِ واجبتهُ الى طلبتهِ من توسل اليك بالامل ونزع نحوك بالرجاء . اما بعد فما اقبح الاحدوثة من مستمنح حرمة وطالب حاجة رددتهُ ومثابر حجبتهُ ومنبسط اليك قبضتهُ ومقبل اليك بعنانهِ لويت عنهُ . اما بعد فان فلانًا اسبابهُ متصلة بنا يلزمنا ذمامهُ وبلوغ موافقتهِ من اياديك عندنا وانت لنا موضع الثقة من مكافأتهِ فاولنا فيهِ يعرف موقعنا من حسن رأيك وتكون مكافأة لحقهِ علينا . اما بعد فقد اتانا كتابك في فلان ولهُ لدينا من الزمام ما يلزمنا مكافأتهُ ورعاية حقهِ ونحن من المعتبة بامر على ما كان في حرمة ويؤدي شكرهُ

ولا يظن ظان ان ما ورد في العقد من الاخبار والآثار انما هو مما ولدتهُ العقول في القرون الاولى للاسلام فان فيهِ جانبًا من آثار العرب العرباء واخبارهم في الجاهلية واليك انموذجًا من المنثور العربي القديم انقلهُ وانا استميح على هذا التجوُّز والامور بمقاصدها قال : كان عمر بن حجر ملك كندة وهو جد امريءِ القيس اراد ان يتزوج ابنة عوف ابن محلم الشيباني الذي يقال فيهِ لا حرّ بوادي عوف لافراط عزّهِ وهي ام إياس وكانت ذات جمال وكمال فوجَّه اليها امرأة يقال لها عصام لتنظر اليها وتمخن ما بلغهُ عنها فدخلت على امها أمامة ابنة الحرث فاعلمتها ما قدمت لهُ فارسلت الى ابنتها : اي بنية هذه خالتكِ اتت اليكِ لتنظر الى بعض شأنكِ فلا تستري عنها شيئًا ارادت اليهِ من وجه وخَلق وناطقيها فيما استنطقتك فيهِ . فدخلت عصام عليها فنظرت الى ما لم ترَ عينها مثلهُ قط بهجة وحسنًا وجمالاً فاذا هي اكمل الناس عقلاً وافصحهم لسانًا فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخداع مَن كشف القناع . فذهبت مثلاً ثم اقبلت الى الحرث فقال لها : ما وراءك يا عصام . فارسلها مثلاً . قالت :

صرّح المحض عن الزبدة . فذهبت مثلاً . قال اخبريني قالت اخبرك صدقاً وحقاً : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزينها شعر حالك كاذناب الخيل المقصورة ان ارسلته خلته السلاسل وان مشطته قلت عناقيد كرم جلاه الوابل ومع ذلك حاجبان كأنهما خطا بقلم او سوّدا بحمم قد تقوسا على مثل عين العبهرة[1] التي لم يرعها قانص ولم يذعرها قسورة[2] بينهما انف كحدّ السيف المصقول لم يخنس[3] بهِ قصر ولم يمضِ بهِ طول حفت بهِ وجنتان كالارجوان في بياض محض كالجمان شق فيهِ فم كالخاتم لذيذ المتبسم فيهِ ثنايا غرر ذوات اشر[4] واسنان تعد كالدر وريق كالخمر لهُ نشر الروض بالسحر . يتقلب فيهِ لسان ذو فصاحة وبيان يزيد بهِ عقل وافر وجواب حاضر الخ

وبعد فهذا ما رأيت التنبيه عليهِ من منظوم العقد ومنثوره بقي ثمت من الفوائد مالا يتيسر الوقوف عليهِ الا في المظان البعيدة المنال ثمن فوائدهِ التاريخية توسعهُ في الكلام على الفتن التي قامت بين المسلمين بسطهُ بسطاً قلما يجرأ عليهِ مؤرخ . ومن الفوائد التي ذكرها في تضمين الاسرار في الكتب قولهُ ان شئت كتبت بماء الزاج الابيض فاذا وصل الى المكتوب اليهِ أمرّ عليهِ شيئاً من غبار الزاج الابيض وان احببت ان لا يقرأ الكتاب بالنهار فاكتبهُ بمرارة السلحفاة

هذا وقد وقع لاصحاب العقد اشياء لا ينبغي اغفالها ولا ان يكون اعتبار ما ألف صاحبهُ مبررًا في السكوت عنها فان لهُ جملاً وفصولاً متقطعة جاءت في عرض كلامهِ ينبذها الادب ولا يقرها الشرع كاخبار الخالعين والماجنين والمفاكهات وغيرها من العبارات التي لا يصح ان تقع في يد الفتى ولا الفتاة وكنت اود ان يعرى سلك العقد على حسنهِ منها

بقي لي ان اقول ان ابن عبد ربهِ على عنايتهِ بجمع جانب مهم من اخبار العرب قد يطيل في بعض الفصول عمدًا او على غير رضى الى ان يبعث على السآمة في النفوس مثل إطالتهِ في وصف الخيل والرثاء ووالانساب والفصائل وغيرها ولا يعترض عليهِ نظم ارجوزة في اعاريض الشعر وعلل القوافي فانهُ قصد بذلك التسهيل على بعض الناس فقد يستفيد المطالع من الشعر والعلم معاً

ومن فضل العرب ان ادخلوا العلوم في سلك النظم حتى سهلت على كثيرين ممن يميلون اليهِ فيقتبسون ضروباً مختلفة من العلوم وهو نوع من الاحتيال على النفوس في ترغيبها في ما لا تميل اليهِ ابتداء . وليت المؤلف نظم اراجيز اخرى في كل فن من فنون الادب الاثني عشر

وللعقد حسنات كثيرة تميزها عن سائر كتب الادب وحبذا لو طبع اجزاء صغيرة طبعاً

---

(١) الرقيقة البشرة الناصعة البياض والجامعة للحسن في الجسم والخلق (٢) القسورة العزيز والاسد
(٣) يقال خنس بفلان غاب بهِ كخنس بهِ (٤) الحزّ الذي يكون في الاسنان خلقة ومستعملاً

متقناً مشكولة بعض الفاظهِ المشكلة ليتيسر وضعهُ في الجيوب ويقرأهُ المولعون في خلواتهم وجلواتهم فانهُ من اشمل كتب القراءة القديمة . ولكل عصر ذوقهُ واصول تأليفهِ وقديماً قالوا ان الصاحب بن عباد كان يصطحب معهُ احمالاً من الكتب فلما حظي بكتاب الاغاني اقتصر عليهِ كما ان كثيراً من اهل العلم والمتأدبين في القديم والحديث اقتصروا على العقد الفريد لانهُ فريد في بابهِ

محمد كرد علي

مستقبل افريقية

من الناس من لا ينظر الى ابعد من يومهِ . فيقوم ويقعد ويأكل ويشرب كأن نوائب الدهر عنهُ غافلة وكأن ما يكفيهِ من حطام الدنيا يكفي ابنهُ وابن ابنهِ والرزق مقدور لا يزيدهُ السعي ولا ينقصهُ التوكل . واذا جرت امة كلها هذا المجرى ولم تهتم بالمستقبل ولا ادّخرت لليوم العبوس فقلما تقوى على البقاء او يكون لها في معترك الامم شأن يذكر

ومنهم من تراهُ مهتماً دئباً لا يقنع بقليل ولا بكثير يعمر الارض كأنهُ خالد فيها او كأنهُ يعدُّ نفسهُ جزءًا من امة كبيرة تقدَّر حياتها بالالوف من السنين فيسعى اليوم لما ستصير اليهِ بعد الف عام . ويقال ان الشعب الانكليزي من هذا القبيل فيهتم الآن بامتلاك بلاد تصلح لسكناهُ حتى يهاجر اليها بنوهُ في مستقبل الازمان كما هاجروا الى اميركا واستراليا وزيلندا الجديدة لان بلادهم ضاقت بهم فلا بدَّ من مهاجرة الذين يزيدون من المواليد على الوفيات . وهم يبحثون الآن عمَّا يصلح لسكناهم من قارَّة افريقية

وقد كتب السر هري جنستن الرحَّالة المشهورة فصلاً في هذا الموضوع نشرهُ في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال فيهِ ما محصلهُ

ان الاوربيين الذين يقصدون الهجرة الى افريقية وامتلاكها وتعميرها كما امتلكوا اميركا وعمروها يجدون امامهم ثلاثة عوائق كبيرة تحول دون مبتغاهم الاول كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة والثاني مقاومة السكان لهم . والثالث الشعور الادبي الذي ابتدأ يتسلط على النفوس في اوربا وهو انهُ لا يحلُّ للاوربيين ان يغتصبوا بلاداً ليست لهم

اما العائق الاول اي كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة فازالتهُ صارت من الامور الممكنة لان الامراض التي تتفشى حيث يكثر الماء اكثرها من

نوع الملاريا وقد ثبت الآن انهُ اذا استؤصل منها البعوض الذي ينقل جراثيم الملاريا زالت الحميات الملاريه منها . وزد على ذلك انهُ اكتشف فيها عقار يستخرج من جذر السنا يشفي من الملاريا كما تشفي الكينا من البرداء . وفي طبقات الارض تحت الصحاري ماء غزير يمكن استنباطهُ بالآبار الارتوازية فتروى بهِ حتى يسهل زرعها وسكناها . فالمرض وقلة الماء لا يمنعان الاوربيين من احتلال افريقية وانما يمنعهم من ذلك مقاومة الشعوب الافريقية لهم وشعورهم بانهم مغتصبون اذا فعلوا ما يأباهُ عليهم الانصاف لكن الامر الثاني من هذين الامرين تابع لاحوال الزمان فقد قيل ان الجوع كافر فاذا كثر الزحام في اوربا ولم يجد الاوربيون لهم منتجعاً في اميركا ولا في اسيا ولا في استراليا فلا بدَّ لهم من الهجرة الى افريقية اذا استطاعوا الى ذلك سبيلاً . وناموس الجهاد لاجل البقاء يتغلَّب على كل ناموس سواهُ

يبقى العائق الثاني وهو مقاومة السكان فان اهالي افريقية اشد بأساً من هنود اميركا ومن اهالي استراليا فلا يسهل التغلب عليهم وهم اذا أُحسن اليهم سهلو الانقياد ولكنك اذا اسأتهم يوماً هبُّوا في وجهك واستقتلوا في الدفاع عن ذمارهم . فيجدر بمن يهتم بمستقبل البيض ان يبحث عن اسلوب لتعمير افريقية يكون اقل الاساليب مضرَّة بسكانها وابعدها عن اثارة الفتن فيها

والظاهر ان الزنوج سكنوا افريقية من قديم الزمان وكانت القارة كلها وطناً لهم حتى حدودها الشمالية في ما يلي بحر الروم وكانوا فريقين فريقاً من النوع الموجود الآن في استراليا وهم سكان الانحاء الشمالية وكانوا يسكنون اوربا ايضاً وفريقاً من البشمن القصار القامة . ثم تولَّد الزنوج الطوال القامة في اعالي وادي النيل وانتشروا في القارة كلها . ودخل البيض افريقية بعد ذلك من جنوبي اوربا وغربي آسيا واستوطنوا القطر المصري الى عهد البطالسة ومن ثم جعل بعض الاوربيين من الجنس الاري يرحلون اليها . اما جنوبي افريقية فلم يصل اليهِ الاوربيون الا منذ ٢٥٠ سنة وكان اكثرهم من سكان جنوبي اوربا ولم تستوطنهُ الشعوب الاوربية الشمالية الا منذ مئة سنة

ومنذ نحو سبعين سنة استولى الفرنسويون على بلاد الجزائر اي انهم اعادوا الكرة التي بدأ بها اليونان والرومان ومن المرجح انهُ لا يتم قرن على هذا الاستيلاء حتى تصير لهم سلطة واسعة في الشمال الغربي من افريقية ممتدة من حدود مصر الى بحيرة شاد ومن النيجر والسنجال الى البحر المتوسط تضم تحت لوائها اقواماً كثيرين من الفرنسويين والاسبانيين والايطاليين واهالي مالطة لان هؤلاء الاقوام كلهم اخذوا يرحلون الى تلك البلاد حالما انتشر فوقها العلم

الفرنسوي . وسكان البلاد من الليبين والبربر والعرب كلهم من الجنس الابيض فاستيطان الاوربيين بلادهم ليس من قبيل نزول شعب على شعب آخر وطرده من مواطنهِ كما فعل الاوربيون في اميركا بل من قبيل اضافة شعب الى شعب آخر كما فعل العرب في مصر بعد الفتح . وسيكثر ورود البيض الى القطر المصري ايضاً من غربي آسيا وجنوبي اوربا كما حدث في القرون الغابرة ولكن سكان البلاد الشمالية كالانكليز والالمان لا يستطيعون الاقامة طويلاً في هذا القطر ولا في غيرهِ من البلدان الحارة ولابدَّ لهم من بلاد جبلية باردة وهي موجودة في افريقية بين نهر زمبيسي ورأس الرجاء الصالح وحول بحيرة نياسا والى الشمال الشرقي من بحيرة فيكتوريا نينزا وفي بلاد الحبشة وكل ذلك في شرقي افريقية اما في غربيها فالبلاد الجبلية الوحيدة جزيرة فرنندو بو وجزيرة سنت توماس في خليج غينيا والجبال التي تقابلها وهي المعروفة بجود كرون فان جانباً منها ارتفاعهُ عشرة آلاف قدم عن سطح البحر . وفي جزيرة سنت توماس مستعمرة برتغالية تبلغ نحو الفي نفس

نرجع الآن الى شرقي افريقية ونبدأ ببلاد الحبشة وهي بلاد جبلية ولكن سكانها من الجنس القوقاسي اصلاً ولو اسودَّت بشرتهم وهم اهل حرب وجلاد لا يصطلي لهم بنار فلا مطمع بأخذ بلادهم منهم ولا يستحل الاوربيون ذلك . وشرقيهم الى الجهة الجنوبية بلاد الصومال او الشمال وهي اشد البلدان حرًّا والى الجهة الشمالية املاك ايطاليا وفي داخليتها بلاد عالية يسهل على الايطاليين السكن فيها وقد سكنها كثيرون منهم الآن

وفي الجهات المتوسطة من شمالي الكنجو الى البحيرات الكبيرة والى نهر زمبيسي نجود كثيرة طيبة الهواء خصبة التربة لكن سكانها اشداء البأس لا يتيسر طردهم منها او اخذها منهم والى الشمال الشرقي من فكتوريا نينزا بلاد عالية تبلغ مساحتها سبعين الف ميل مربع تصلح لسكن الاوروبين بل لسكن الانكليز منها خمسون الف ميل يسكنها اقوام اشداء من الزنوج ويبقى ما مساحتهُ عشرون الف ميل او اربعة عشر مليون فدان يستطيع الاوربيون ان يسكنوها من غير منازع . ويقال ان في النية اعطاء ربعها لليهود لينزحوا اليها من شرقي اوربا وقد اعترض الكاتب على ذلك لان اليهود ليسوا من رعايا الانكليز ولا هم اهل فلاحة وزراعة ليعمروا البلاد

ويوجد عدا ذلك ستة آلاف ميل مربع في البلاد المتوسطة وخمسة آلاف ميل اخرى في جنوبيها وعشرون الف ميل في الولايات الجنوبية ويضاف اليها ثلثا بلاد الترنسفال وثلث روديسيا وثلثا ولاية نهر اورانج واربعة اخماس مستعمرة الرأس وثلث بلاد ناتال وكلها صالح لسكن البيض

في قارة افريقية بلاد واسعة غير البلدان التي يسكنها البيض الآن قد لا تقل مساحتها عن ١٥٠ الف ميل مربع او نحو مئة مليون فدان وهي صالحة لسكنى الاوربيين ولا ينازعهم الزنوج فيها اما لانهم لا يسكنونها الآن او لانهم قلال فيها جدًّا فمجال الاستعمار فيها واسع

ومن رأي الكاتب انهُ يجب تقسيم افريقية من الآن تقسيمًا يؤهلها للاستعمار فتترك البلاد الكثيرة السكان لاهلها وتعطى البلاد القليلة السكان التي هواؤُها غير صحيح للهنود وغيرهم من اهالي آسيا لانهُ لا يتعذَّر عليهم السكن فيها واما البلاد القليلة السكان الطيبة الهواء فتعطى للاوربيين وتبقى السيادة للبيض حتى في البلدان التي اكثر سكانها من السود الى ان يتعلم السود ويتولَّوا العمران في بلادهم ولكن تكون خيراتهم لهم لا للبيض والاَّ اشتدَّ النفور بين الفريقين وكثر سفك الدماء وتأخر عمران البلاد قرونًا كثيرة

وفي ما ارتآهُ من التقسيم وسكن كل فريق من الناس في البلاد التي تصلح لهُ خير ضامن لفلاح الامم التي تسكن افريقية وخير ضامن لفلاح كل امة لان الامة التي تسيطر عليها وتحميها لا تعتمد على نفسها فتبقى كالطفل الذي تحملهُ بين ذراعيك ولا تدعهُ يقع ويقوم حتى تشتد كعباهُ ويستطيع المشي اوكالشاب الذي يساعدهُ والداهُ في كل اعماله فلا يدعان لهُ سبيلاً لاعتماد على نفسهِ . وكل من يذهب الى غير ذلك فهو يجهل تاريخ العمران وعلم طبائع الانسان

الخطر الاصفر

ان ما أبدتهُ اليابان من البسالة والاقدام في هذه الحرب حمل كثيرين من الكتَّاب على الظن انها قد تتحد مع الصين وتجند من الصينيين الملايين الكثيرة وتدوّخ بهم اوربا وسموا ذلك باتحاد الشعوب الصفراء وقالوا انهُ الخطر الاصفر الذي يتهدَّد اوربا اذا عقد النصر لليابان في حربها مع الروس . والظاهر ان مروجي هذا الوهم كانوا يقصدون اثارة خواطر الاوربيين الى الاخذ بناصر الروس فتصدَّى لهم اناس ضلعهم مع اليابان وكثر الحجاج واللجاج بين الفريقين . واطلعنا اخيرًا على مقالة لاحد كبار الكتاب جمع فيها من الشواهد والادلة ما يقنع القارىء ان لاخوف من انضواء شعوب الصين تحت لواء حربي مهما كان . وفي المقالة فوائد جمة لا بأس باطلاع قراء المقتطف عليها قال الكاتب

اذا انضمت الشعوب الصفراء (اهالي الصين واليابان) وانضوت تحت لواء واحد فقد لا تسلم اوربا من شرها ولاسيما الدول التي لها ولايات واسعة في الشرق كانكلترا وفرنسا لان اهالي تلك الولايات من الشعوب الصفراء

ولقد كان عمران الصين واليابان واحداً منذ اربعين سنة وكانت علومهما واحدة وصنائعهما واحدة وكانوا يكرهون الاجانب على حدٍ سوى فلا غرابة اذا نهضت الصين كما نهضت اليابان وجارتها في مضمار العمران ونظّمت جنديتها وبحريتها كما نظمتها اليابان وتكون الصين اقوى من اليابان حينئذٍ بمقدار ما هي اوسع منها نطاقاً واكثر سكاناً ويكون الخطر الاصفر حقيقياً لا وهمياً

لكن الكاتب نفى امكان ذلك وقال ان الصينيين واليابانيين يختلفون اختلافاً جوهرياً في تواريخهم وتقاليدهم واخلاقهم واغراضهم وسائر امورهم حتى يستحيل التوفيق بينهم. وجوهر الاختلاف ان اليابانيين اهل سعة ونظر في المستقبل يحبون الارتقاء ويكرهون الجمود واما الصينيون فجمدوا على حالة واحدة منذ الوف من السنين كانهم عائشون في الماضي ولا يزالون على هذا الجمود حتى الآن . وكل ما في الصين من علم وسياسة مبني على قوانين سُنَّت قبل عصر موسى الكليم ونظام حكومتهم لم يتغير من عهد فيلسوفهم كنعفشيوس الى الآن بل يتناقله الخلف عن السلف كما هو. وعندهم مجلس مؤلف من اكابر الدولة لمراقبة الاوامر الملكية حتى تكون مطابقة لقواعد كنفوشيوس في كل الامور الجوهرية ولا تزال قواعد كتاب الفرائض الذي أُلف منذ ثلاثة آلاف سنة معمولاً بها في كل دوائر الحكومة وفي كل البيوت

وقد نشأ كنفوشيوس قبل المسيح بنحو خمس مئة سنة وقبل الاسكندر بثلثمئة سنة ولا يزال اهل الصين من الملك الى اصغر الصعاليك يكرمونهُ اكراماً دينياً ويأتمرون بأوامره . واوامرهُ مبنيَّة على اقوال قالها ملوك الصين الاقدمون الذين نشأوا قبلهُ بنحو ١٨٠٠ سنة اي من سنة ٢٣٥٦ الى سنة ٢٢٠٥ قبل المسيح حاسباً ان ذلك الزمن افضل ازمنة الصين وهو مثل ما يلقبهُ الاوروبيون بالعصر الذهبي

واذا أراد احد من الصينيين ان يرتئي رأياً او يشير بعمل فيهِ مصلحة لبلادهِ اضطر ان يسندهُ باقوال من كتب القدماء كأن باب الاجتهاد اقفل عندهم منذ الفي سنة او اكثر وهم مثل علماء المسلمين من هذا القبيل فقد وصل الى يدنا كراس ونحن نكتب هذه السطور موضوعهُ ارشاد الامة الاسلامية الى اقوال الائمة في الفتوى الترنسفالية ويقال انها "لاكابر مدرسي الازهر بمصر وائمة المذاهب الاربعة الذين يعوَّل عليهم ويوثق بعلمهم في العلوم الشرعية" فقلبنا صفحاتها فوجدناها مثل ما كُتب قبلها في هذا الموضوع مستندها اقوال المتقدمين وتفاسيرهم للكتاب والسنة كأنَّ كاتبيها لا يستطيعون ان يبدوا رأياً يدلهم عليهِ عقلهم وعلمهم فكلهم مقلد كرجال الصين. فلو سئل اوربي هل يجوز اكل هذا الذبيح لقال نعم يجوز اذا

لم يكن فيهِ مرض ينتقل الى آكلهِ او فساد يؤذيهِ واما اذا كان فيهِ مرض ينتقل الى آكلهِ فلا يجوز اكلهُ سمي عليهِ او لم يسمَّ . وكذا البرنيطة فانهُ يجب ان ينظر اليها من حيث كونها لباساً للرأس ومن حيث اتفاق الناس على لبس يمتازون بهِ عن غيرهم . ولا يخفى ان السائل سأل عن جواز اكل الذبيحة ولبس البرنيطة ديناً فكان الجواب على قدر السؤَال ولكن الامم الراقية الآن مراقي الفلاح تبني مطالبها على التحقيقات العلمية لا على سواها ونحن نجاريها في امور كثيرة فاذا مرض ابن اكبر علمائنا استدعى لهُ طبيباً ماهرًا في صناعة الطب ولم يسأل ما هو قول الشافعي ولا ما قول ابن سينا واذا وقع وباء في ماشيتهِ سأل ارباب الفن عن كيفية علاجهِ ولم يبحث عن اقوال الائمة فيهِ فاحرِ بنا ان نبني عليها في ما نأكلهُ وما نلبسهُ

نعود الى الصين — واذا اراد ملك الصين ان يأمر بامر او يجدد شيئاً اضطرَّ ان يعزز اقوالهُ باقوال الائمة الاقدمين ويبني على احكامهم مثال ذلك ما ورد في امر اصدرهُ حديثاً قصد بهِ اصلاح بلادهِ فقال

" ان القوانين التي يسترشد بها الناس قديمة غير متغيرة ولكن اسلوب الحكم بها يمكن تغييرهُ وقد صرَّح بذلك كتاب التغييرات نعم ان القيود الثلاثة والفضائل الخمس الواضحة وضوح الشمس والكواكب لا يمكن تغييرها ولكن يمكن التغيير في امور الملك كما يغير العازف اصابعهُ وهو ينقر على الوتر "

والتقليد شأن الصينيين في كل امورهم وهم يقلدون ائمتهم الذين نشأوا منذ ثلاثة آلاف سنة او اكثر ولا يحيدون عن احكامهم شعرة فكيف يرجى ان يجاروا العمران الحاضر وهو كل يوم في شأن . ولا يقلدون من جاء بعد اولئك الائمة لان عمرانهم وقف عند ذلك الحد ولم يتجاوزهُ كما وقفت علومنا عند الحد الذي بلغتهُ في دولة بني العباس

وينكر الصينيون على الاوربيين كل علم وتقدُّم ويقولون كما قال لنا احد علماء الازهر منذ بضع عشرة سنة ان كل العلوم الطبيعية التي يفخر بها الاوربيون هزء ومن علمائنا من يفوت هذا الحد قال لنا واحد منهم كل العلوم مجموعة تحت نقطة الباء في البسملة

وينظر الصينيون الى ما في العمران الاوربي من المفاسد فيحكمون بفسادهِ كلهِ . قال امير من انبغ امرائهم " اننا اذا قابلنا تاريخ الصين من الآن الى الفي سنة مضت بتاريخ اوربا من الآن الى خمسين سنة مضت لم نرَ في تاريخ اوربا شيئاً من كرم الاخلاق الذي نراهُ في تاريخ الصين " . ولما ثار البوكسر على الاوربيين قال الصينيون عامتهم وخاصتهم ان اله السماء سخط على هؤلاء البرابرة (اي الاوربيين) فاذن للجن والابالسة ان تقوم عليهم وتهلكهم . ولما اراد

القيصر الحالي ان يزور بلاد الصين منذ ثلاث عشرة سنة ابت الصين عليهِ ذلك لئلا يحسب اكرامها لهُ اعترافاً منها بعلو قدرهِ وبان بلادهُ مساوية لبلادها مقاماً . واترفُّع الصينيين واعتدادهم بانفسهم يأنفون من اقتباس ملابس الاوربيين ولو في اوربا

وقد قال كنفوشيوس « لامزاولة بلا مواظبة ولا راحة بلا مزاولة ولاسكينة بلا راحة ولاتفكير بلا سكينة ولا نجاح بلا تفكير » . وهذا يفسر حال الصينيين العقلية فعندهم الراحة اصل لكل نجاح وهي انما تحصل بالمواظبة والمزاولة فيواظبون على ما في يدهم و يزاولونهُ دواماً حاسبين انهُ ينيلهم الراحة والنجاح

وكتابة الصينيين وعلومهم يستغرق تعليمها سنين كثيرة فيقضون زهرة العمر في تعلم لغتهم وحفظ قواعد وقوانين قليلة النفع فلا يبقى لهم وقت لتعلم لغة اجنبية . ولاستظهارهم تعاليم ائمتهم ترسخ قواعدها في نفوسهم حتى يتعذر نزعها منها

ثم انهم يعبدون اسلافهم او يحترمونهم احتراماً دينياً فيضطرون ان يسيروا بسيرتهم و يطبقوا اعمالهم على ما يعلمونهُ عنهم ولذلك تجدهم يحاولون دائماً ان يعيشوا كما عاش اسلافهم منذ ثلاثة آلاف سنة

وجملة القول ان الصينيين اهل سلام وسكون لا يطلبون الحرب ولا يتوخون التغيير . وعلى الضد من ذلك اليابانيون فانهم اهل حرب وجلاد يتوخون الارتقاء دائماً . غزوا كوريا منذ سبعة عشر قرناً ورأوا عمرانها اسمى من عمرانهم فاقتبسوهُ منها . ولرغبتهم في الاستفادة من كل من هو ارقى منهم جعلوا يقتبسون المعارف والصنائع من الصينيين لانهم كانوا ارقى الامم الذين اتصلوا بهم وما كادوا يتصلون بالاوربيين والاميركيين حتى جعلوا يستفيدون منهم ويقتبسون اساليبهم فانهُ لم تمضِ اربع سنوات من حين دخل بلادهم الكومودور بري الاميركي وضربها بمدافعهِ سنة ١٨٦٤ حتى هبوا من سباتهم ووسدوا السلطة للميكادو على البلاد كلها وجعلوا يقتبسون اساليب القتال الاوربية لانهم وجدوها افعل من اساليبهم وكذلك اساليب العمران وفتحوا اول سكة حديدية في بلادهم سنة ١٨٧٢

حادثة واحدة جعلت اليابانيين يستيقظون ويتحدون بعد ان كانوا حزبين متضادين اما الصين فحلَّت بها النوائب والعبر ولم تستيقظ من سباتها ولا انتبهت من غفلتها فان روسيا اخذت منها ولاية امور وولاية اسوري و بلاد منشوريا كلها وفيها مدينة مكدن حيث مدفن العائلة المالكة . وفرنسا اخذت التنكين وانام وكوشين صين . وانكلترا اخذت برما وهنج كنج وواي هاي واي . والمانيا اخذت شانتنج وفيها قبر كنفوشيوس . واليابان اخذت

فرموسا . وسيام استقلت عنها بعد ان كانت خاضعة لها. ومع ذلك بقيت الصين على حالها صابرة ساكنة لاتبدي حراكاً كما كانت منذ الفي سنة الى الآن معتمدة على سياستها السابقة سياسة السكون والمسالمة سياسة الاكل والهضم والامتصاص لان كل الذين غزوها من غابر الزمن اكلتهم وهضمتهم وامتصتهم فصاروا منها فهل يعقل انها تلبي دعوة اليابان وتنهض نهضتها وتسلم قيادها لها وهي تحتقرها اكثر مما تحتقر الاوربيين

ثم ان الصين ليست مملكة واحدة ولا يشعر شعبها انهم ابناء وطن واحد وان لهم كلمة واحدة تجمعهم وانما هم ولايات مستقلة يجمعها كلها العمل بتعاليم كنفوشيوس فالرابطة الوحيدة بينها التعاليم الدينية والادبية وآداب اللغة

وليس لدولة الصين جنود تحمي بيضتها بل الجنود للولايات خاصة كل ولاية تقيم جنودها لتدافع عنها واذا دنت جنود ولاية من ولاية اخرى اضطربت هذه كأن جيوش دولة اجنبية دنت منها ولو كان المراد جمع جنود الولايتين لمحاربة عدو معادٍ لهما كلتيهما . لما ثار الصينيون على الاجانب سنة ١٨٩١ سمحت حكومة الصين بصعود السفن الحربية الاجنبية في نهر ينتسي لكبح جماح الثائرين ولم تخمد ثورتهم بيدها اكي لا تغيظهم . ولما نشبت الحرب بين الاسطول الياباني والاسطول الصيني كان الاسطول الشمالي من اسطولي الصين يحارب اسطول اليابان واما الاسطول الجنوبي فبقي مكانهُ في البحار الجنوبية كأنهُ لدولة اخرى مع انهُ لو بادر الى نجدة اسطول الشمال لتغلب الاسطولان على اسطول اليابان لانهما اقوى منهُ كثيراً . ثم لما انتهت الحرب طلبت الصين من اليابان ان ترد لها سفينة من السفن التي غنمتها لانها اسرتها خطأ وهي من اسطول الجنوب الذي لم يشترك في الحرب

ولاستقلال الولايات بعضها عن بعض يخاطب ملك الصين ولاتها في اوامره الرسمية بصيغة الرأي والمشورة لا بصيغة الامر الواجب الطاعة فاذا راقت في عيونهم عملوا بها والاَّ فلا مراعين في ذلك مصالحهم الخاصة او مصالح ولاياتهم المختلفة واحوالها المالية

فبلاد الصين ليست مملكة واحدة ولا الصينيون امة واحدة بل بين سكان الولايات المختلفة من الاختلاف كما بين سكان اوربا حتى اذا دخل جيش ولاية اخرى عاث فيها فساداً ونهب وسلب كأنهُ في بلاد العدو

وقد بذل كثيرون من الضباط الاوربيين عنايتهم في تعليم جنود الصين فنون القتال او التعاليم العسكرية الحديثة واتوهم باحدث الاسلحة ولكن لم ينتظم حتى الآن جيش صيني يستحق ان يقابل بالجيوش المنتظمة . ولا تزال الجنود الصينية تمرَّن على الرماية بالقوس

والنشاب ولا تحسب الفوز في اصابة الغرض بل في وقفة الرامي وقت نزعهِ بالقوس

وقواد الجيش في الصين "مقاولون" يضمنون الجيش بمبلغ معلوم من المال وغاية ما يسعون اليهِ الكسب من هذه المقاولة بتقليل ما ينفقونهُ على الجيش حتى يزيد ربحهم . وتعاليم كنفوشيوس التي لها المقام الاول في نفوسهم تحقر الجنود والجندية فهي مثل تعاليم تولستوي الفيلسوف الروسي الذي قال "ان اول فرض من الفروض الواجبة على الامة استئصال الحرب مطلقاً"

وبينا ترى الجمع الغرض الذي يرمي اليهِ ساسة اوربا ترى التفريق الغرض الذي يرمي اليهِ ائمة الصين ففي اوربا مثلاً مصلحة المملكة مفضَّلة على مصلحة الولاية ومصلحة الولاية على مصلحة العائلة واما في الصين فمصلحة الولاية مقدمة على مصلحة المملكة ومصلحة العائلة على مصلحة الولاية فلا وطن ولا اتحاد الاَّ في العيال والجمعيات السرية

ولا يعرف الجنود الوطنية وحب الوطن ولا ينتظمون في الجندية الاَّ مكرهين اومستأجرين وما منهم ومن اكبر قوادهم الاَّ وهو يبيع وطنهُ لكل خاطب . والصيني موصوف بالصدق والامانة حتى ان التجار الذين عاملوا الصينيين يسلمون التاجر الصيني اي مبلغ كان من المال ولا يأخذون عليهِ صكاً لانهم يعلمون ان كلمتهُ صك عليهِ وهم مع ذلك لا يُصدّقون ولا يؤتمنون في امور المملكة . فالصيني امين لعائلتهِ واسمها حتى انهُ يفتديها بنفسهِ وغير امين لمملكتهِ وبالضد منهُ الياباني فانهُ امين لمملكتهِ يضحي نفسهُ وعائلتهُ لها

فالفرق بين الصينيين واليابانيين اعظم من الفرق بين الصينيين والاوربيين والذي يظن ان الاتفاق بين الصينيين واليابانيين ممكن يجهل طباع الامتين

وقد ادرك بسمارك احوال الصين وعلم انهُ لا خطر منها على اوربا فقال قبيل موتهِ لقد قيل ان الصين قد تنهض ويكون منها خطر على اوربا اما انا فلا ارى ذلك ممكناً نظراً لما ظهر من اهاليها من الجمود مدة القرون الماضية

هذه الامور وامثالها تجعل البون شاسعاً بين الصين واليابان وتمنع الصين من ان تكون امة حربية او ان تسلم قيادها لليابان . وقد استنتج الكاتب من ذلك كلهِ ان اتحاد الصين واليابان اتحاداً حربياً ضرب من المحال فلا خوف على اوربا منهما

حال العالم في الشرق

وهي قصيدة من نظم العالم العامل الاستاذ ابرهيم الحوراني وتخميسها للشاعر المجيد اسعد افندي داغر

يا قلمي ارقمْ ما تُلاقي فمي عليكَ يمليهِ ونفسي[1] دمي
وقل لمن بالامر لم يعلم ذو العلم بين الطرس والمرقم[2]
كالثبتِ[3] بين العضب[4] واللهذم[5]

هذاك يقضي العمر دأبًا على إدراكهِ علم فيهِ نيل العلى
وذا بسولٌ ليس يخشى البلى كلاهما يبغي علاءً ولا
يناله الا بسفك الدم

لديهما لا فرق بينهما وِرْد الدما عذب كرشف اللمى
يستسهلان الصعب او يغنما والاوّلُ الاولى بغنمٍ لما
في سعيهِ من شامل المغنم

حقًّا بهذا الامر للاوّل ميزٌ على ذي العضب والمنصل[6]
وإن ترم تفصيلَ ذا المجمل فكم جرى ذو العلم في مجهلٍ
حتى جرى ذو الجهل في معلمِ

كم راضَ ربُّ العلم مستصعبا فردُهُ يحكي نسيم الصبا
وكم علا في زغرف[7] مركبا وكم رعى في مهمهٍ[8] كوكبا
حتى اهتدى السارون بالانجمِ

إن لزَّهُ ظمأ حسا نغبةً[9] وذاق من بعد الطوى[10] وجبةً[11]
وبعد ما يقضي بهِ اربةً يجتاب ارجاء العلى رغبةً
في كشف ما في الاطلس[12] المظلم

في عرضهِ يرخي عنان النهى فيبدأ التجوالَ حيثُ انتهى
وهكذا يجري بهِ الشمّهى[13] طورًا تراهُ في جوار السُّهى[14]
وتارةً في جبهةِ المرزمِ[15]

(١) حبري (٢) القلم (٣) الشجاع (٤) السيف (٥) السنان (٦) السيف
(٧) بحر (٨) مفازة (٩) جرعة (١٠) الجوع (١١) الحاجة (١٢) فلك النجوم
(١٣) الى غير امر يعرفهُ (١٤) كوكب خفيٌّ من بنات نعش (١٥) نجم آخر

يتخذ الجوزا نطاقاً ولا يخاف ملقى رامحٍ اعزلا
وبعد ما يدرك ما امَّلا يرسم من كيوان[1] خطاً الى
يوحى[2] بلا نقس ولا مرسم

متمدًا في رسمهِ ذوقهُ وباذلاً في رصدهِ طوقهُ[3]
يقضي اذا امن عمرهِ رَوْقهُ[4] مستعلماً أبعاد ما فوقهُ
وتحتهُ الاقراب لم تعلم

يظل هـذا شانهُ مقدما على هواه دون ان يسأما
فكم تولَّى نقض ما أبرما وكم هوى في نفنف[5] بعدما
أحيا الدجى في ذروة الأيهم[6]

كم امتطى نحو العلى يعملا[7] ينهب قلب الجوّ مستعجلا
وكم صعاب البحر قد ذلَّلا وكم جرى في صحصحان الفلا
يشكو الوجى[8] في الغاسق الاهيم[9]

فرًّا وكرًّا مدبرٌ مقبلُ امرًا ونهياً جازم مبطلُ
ليثاً ورألاً[10] مقدمٌ مجفلٌ يعدو بدغلٍ ما بهِ منزل
الاّ وجار النمر والضيغم[11]

يغدو ولا يصغي الى منشدِ ولا يرى للانس من مشهدِ
وهكذا يمسي كما يغتدي يلقيهِ مغضي الطرف في مرقدِ
ما بين ظفر الليث والمرغم[12]

وبعد إلمامٍ بما في السما وكشفهِ ما كان مستبهما
يهبط جوف الارض مستعلما يبحث عن آثار عادٍ وما
وارى تراب الارض من جرهم

فكم ثناهُ عنهُ من حائلٍ لهُ الى قطع الرجا آئلِ
وشدَّ ما عُلِّلَ بالباطلِ وطالما ارتد بلا طائلِ
كطالب شهدًا من العلقمِ

(1) المشتري (2) الشمس (3) طاقتهُ (4) اولهُ ورونقهُ (5) مفازة (6) الجبل الصعب (7) جملاً (8) الوجع من الحفى (9) اي في الليل الغاسق الذي لا نجوم فيهِ (10) ولد النعام (11) الاسد (12) الانف

يعوزني وقت لان اذكرا تفصيل ما مرَّ بهِ واعترى
مع كل هذا الخوف ما قدَّرا وما انثنى عن عزمهِ بل جرى
فيهِ يباري الريح في المأزمِ [1]

من يخطب العليا عليهِ يهُنْ بذلٌ ولولا عزُّها لم يصُنْ
سعي الفتى في مثل هذا حسُن والسعي لا يجدي اذا لم يكن
حائف الثباتِ الحق والمعزم

أسعد بالمسعى بني جنسهِ ولم يزل يعلى الظى نحسهِ
هم في نعيم وهو بؤسهِ تخاله والانس عن انسهِ
تروي كوحش الجن في جيهم [2]

ريح البلى عاثت بديوانهِ فصوَّحت [3] اغصان عمرانهِ
وبات من شدةِ احزانهِ يجلس في اعراس اخوانهِ
كشاكل يجلس في مأتمِ

تنظره يبكي صباح مسا من دائهِ المعي جميع الإسى [4]
ومن جرى دهرٍ اليهِ أسا يحكم ان العرس باب الأسا [5]
مما رأى في عزمهِ الأشأمِ

هذا على طول المدى شانهُ وذا بأهل الدهر ايمانهُ
فثق بما قد صحَّ تبيانهُ إنَّ اختبار المرء برهانهُ
فالحق مجلى حكمهِ المبرمِ

داء عياءٌ لستَ تلقى دوا لهُ وكل الناس فيهِ سوا
جميعهم ضلوا وكلٌ غوى والجاهل المغرور عبد الهوى
في حسن ذات البعل والايمِ [6]

هيهات ان ينشط من ربقة [7] للوجد غلَّتهُ على دقَّةِ
فانساق من وادٍ الى برقة يغازل الحسناء في رقَّةِ
يسرقها من كشحها الاهضمِ [8]

بظلفهِ يسعى الى حتفهِ وشوقهُ يعجز عن وصفهِ

---

(١) المضيق (٢) موضع كثير الجنّ (٣) ايبست (٤) مقصور الاساء جمع الاسي وهو (٥) الطبيب الحزن (٦) من لازوج لها (٨) عروة (٨) الاخمص والضامر

ودائمًا بالرغم عن انفهِ يسحُّ وبل الوجد من طرفهِ
ما لعلع البرق من المبسم
من يأسهِ أصبح في وهدةٍ لعلمهِ ان ليس ذو نجدة
يفيدهُ في دفع ذي الشدةِ ياويحَ من يعلمُ في بلدةٍ
فيها كثير المالِ لم يعلم
كم خيبت سكانها ظنهُ وغادرتهُ حارقًا سنهُ
كفاهُ فخرًا في الورى انهُ يسقي الورى الظمأى ولكنهُ
اظمأُ من رملٍ ومن غيلم[1]
يهدي الالى ضلوا سوى نهجهِ وينزل اللاجي سما برجهِ
وفوق ما ينفقُ في خرجهِ يكسو عراة الحي من نسجهِ
لكنهُ أعري من المبرَمِ[2]
في بيتهِ يسبح احداثهُ في غمر بؤسٍ همُ أرماثهُ[3]
وان ترم للغزل أنكاثهُ[4] تستلزم الدينار أبحاثهُ
وليس في الهميان من درهم
قضى بهذا عمرهُ كلَّهُ ولم ينَل من دهرهِ سؤلَهُ
فليس بدعًا انهُ ملَّهُ قد صارت الحدةُ خلقًا لهُ
من نازلاتِ الجذَع[5] الازلمِ[6]
متنٌ توخَّى الاخذ في شرحهِ نخاف أن ينكأ من قرحهِ
وساقهُ هذا الى طرحهِ فبالغ الاحمقُ في جرحهِ
وما لجرج الحمق من بلسم
كم عابهُ فدمٌ[7] وكم شانهُ غمرٌ[8] تعدَّى واضعًا شانهُ
واذ عليهِ صبرُهُ خانهُ غطَّى بنبل اللوم جسمانهُ
حتى بدا للطرف كالشيهم[9]
لم يلقَ ما بين الورى زاجرا لمن عليهِ قد بغى جائرا

(١) ذكر السلحفاة (٢) المغزل (٣) جمع رمث وهو خشب يضمُّ بعضهُ الى بعضٍ و يركب في البحر (٤) جمع نِكث وهو ما نقضَ من الاكسية ليغزَل ثانيةً (٥) الدهر
(٦) الدهر الكثير البلايا (٧) احمق (٨) جاهل (٩) ذكر القنافذ الكثير الشوك

ولا رأى من اهلهِ ناصرا ولم يجد من صحبهِ عاذرا

فكلهم اضحى من اللوّمِ

كل الورى قاموا على حربهِ في مشرق المعمور مع غربهِ

من اجل ذا قبل انقضا نحبهِ احكم نظم الشعر يشكو بهِ

ما قد رأى في ذا الزمان العمي

مهّد في تحصيلهِ سبلهُ حتى سما من قالهُ قبلهُ

فصار هذا دائمًا شغلهُ واختارهُ سلوى فامسى لهُ

بلوى كبلوى الصعوِ[1] بالقشعم[2]

فكان نظم الشعر ضغثًا على ابالةٍ كاهلهُ اثقلا

واذ قلاهُ نظمهُ مغفلا كلفهُ العافي مديح الالى

ضنّوا على المسكين بالمطعم

لو انهم كانوا يجيزونهُ لكان في ذا العصر قارونهُ

قلل معهم كلهم دينهُ وكلفتهُ هند ما دونهُ

لذع اللظى او لدغة الارقم[3]

كم عللتهُ في مواعيدها بديمةٍ تنهلُّ من جودها

قامت اخيرًا عند تجديدها تسألهُ تاريخ مولودها

يوم مسجى[4] بخالهِ المكرم

تقول صف خمري بلا مهلةٍ وقلبهُ صادرٍ الى نهلةٍ

يهبط جوف الدلّ وهي التي تعلو سرير العاج في حلةٍ

من انفس الديباج في الديلم

تراهُ يشكو السقم من علةٍ عرى الشفا عن صدرهِ حلّت

وولدهُ يطوون من خلةٍ[5] وعرسهُ الثكلى على جلةٍ[6]

القى بها التمّارُ[7] للمُعدمِ[8]

عدا عليها الدهر وهو الخنا مخيبًا آمالها والمني

فردّها بعد اجتناء المنا ترقّ من مقلتها للضنى

---

(١) العصفور الصغير (٢) النسر (٣) اخبث الحيات (٤) مسجى الميت مدّ عليه ثوبًا وغطاهُ به (٥) فقر (٦) قفة كبيرة للتمر (٧) بائع التمر (٨) الفقير

فوق البهار(١) اسطر البهرم(٢)

لخار في ذا الامر ليس الى قطع بهِ يلقى السبيل انجلى
حتى يراهُ عاجلاً اشكلا فإن اتى بالسؤل كان بلا
اجرٍ والأ ديس بالمنسم(٣)

بكل انواع الرزايا مُني وشرها استبعادهُ من دني
ومثل هذي فقرهُ للغني ذي حالة العالم في موطنٍ
يكوى بهِ ذو الفضل بالميسم(٤)

يبيت حدث الظلم في لحمهِ يفري وداء الغم في عظمهِ
يسري وللايغال في ظلمهِ يركبهُ الجاهل من حمهِ
والمعتطي صنوهُ(٥) لدى المحزم

هذا لعمر الحق ربح الذي يعلم في هذا الزمان وذي
عقبي امرئٍ درّ الذكاء غُذِي لو انصف الدهرُ امتطى كل ذي
علمٍ اخا جهلٍ فلم يظلمِ

الاحتفال بمترجم الالياذة

شهدت القاهرة في منتصف الشهر الماضي مشهداً لم ترَ مثلهُ من قبلُ وهو احتفال نحو مئة نفس من نخبة علمائها وادبائها بمترجم الالياذة بوليمة فاخرة اولموها لهُ في فندق شبرد. فزيّن مدخل الفندق بالمصابيح الكهربائية المختلفة الالوان وزينت حديقتهُ واشجارها بالشموس والقناديل الكهربائية ومدَّت الموائد في ساحتها وجلس حولها المحتفلون من داعين ومدعوين فتناولوا شهي الطعام ووضع امام كلٍّ منهم بطاقة رسم على وجهها الهرمان وابو الهول شعار مصر وجبل لبنان وارزهُ شعار الشام وشمس المعارف فوقهما يفيض شعاعها عليهما وتحتهما هذه الابيات

حييتَ ياوطناً تصبو القلوب الى ارجائهِ وبهِ الارواح تغتبطُ
شمس المعارف في علياهُ جامعةٌ اطرافهُ وهي فيما بينها وسطُ
ففي ذرى الارز حبلٌ من اشعتها يلقى وحبل على الاهرام ينبسطُ

وداخل البطاقة اسماء الاطعمة بالعربية والفرنسوية. وطلبت لجنة الاحتفال من احد منشئي هذه

(١) نبت صفر الورق (٢) الحناء (٣) خف البعير (٤) المكواة (٥) اخ

المجلة ان ينوب عنها في الترحيب بالمدعوين ووصف العمل الباعث على اقامة الحفلة فوقف بعد انتهاء الطعام وافتتح كلامهُ ملتمساً العذر من الحضور عن التقصير في ايفاء الموضوع حقهُ مستشهداً بعبارة قالها لهُ سماحة السيد توفيق البكري نقيب الاشراف الذي كان جالساً الى جانبهِ وهي قول العرب عن الكلام الفث " هذا كلام بعد طعام او قبل منام " ثم قال

لعلَّ احتفالنا هذا اول احتفال من نوعهِ في ديار المشرق وعسى ان يكون فاتحة حفلات كثيرة تقام اكراماً للعلم واجلالاً لقدر ذويهِ

لا اعلم يقيناً على بال مَن خطر هذا الخاطر اول مرة ولكنني واثق ان جميع الحضور رحَّبوا بهِ واشتركوا فيهِ عن طيب نفس لا من حيث علاقتهُ بشخص معيَّن وان كان لهذا الشخص مقام رفيع في نفوسنا ولا من حيث ارتباطهُ بموضوع مخصوص وان كان لهذا الموضوع شأن كبير عند ارباب الاقلام وفحول البلاغة الذين يحلُّون هوميروس اعلى محل بين مصوري الخيال كما يحلون دائرة المعارف المحل الاول بين الموسوعات العربية . بل من حيث دلالتهُ على روح جديدة انبثت في ابناء المشرق وكنا نجهلها او نغض الطرف عنها وهي قدر الفوائد العلمية والادبية قدرها فان صديقنا الفاضل سليمان افندي البستاني المحتفل بهِ ليس حديثاً في هذا المضمار بل قد راضهُ منذ اعوام كثيرة فقد اشتغل بالعلم منذ اكثر من ثلاثين سنة وظهرت نفثات يراعهِ في دائرة المعارف قبل ظهورها في الياذة هوميروس . وهو من بيت علم وفضل شيخهُ البستاني الاكبر صاحب محيط المحيط وقطر المحيط والجنان والجنة ودائرة المعارف ومفتاح المصباح وكشف الحجاب وغير ذلك من الكتب المتداولة منشئ المدرسة الوطنية والجمعية السورية صاحب الهمة العالية والعزيمة الماضية الخطيب المصقع والكاتب المتفنن والسياسي المحنَّك . والبستاني الثاني ابنهُ سليم افندي محرر الفصول الضافية في الجنان والدائرة خدن الادب والظرف والفصاحة الذي بخل الدهر علينا بهِ فقصف غصنهُ الرطيب وهو في ريعان الشباب . والبستاني الثالث الاستاذ عبدالله العالم اللغوي والشاعر البدوي . ولكن مَن مِن ابناء المشرق اعترف بفضل هؤلاء باحتفال عمومي مثل هذا . فليس اللوم عليهم ولا على اعلام القرن الماضي كالاسير والاحدب واليازجي والنقاش وغيرهم من علماء الشام ولا على علماء مصر الذين يعدُّون بالمئات ولهم القدح المعلَّى في كل منظوم ومنثور ومعقول ومنقول أن اهملنا الاحتفال بهم بل اللوم علينا لان عرفان الفضل على هذا السبيل لم يكن معروفاً عندنا . فاهنئك ايها الصديق الفاضل لانك رأيت من اخوانك من يقدر عملك قدرهُ سواء كان في دائرة المعارف او في الياذة هوميروس كما اهنئ الذين خطر لهم هذا الخاطر اولاً لا زال لهم السبق الى كل مفخرة

اما الدائرة فشرع فيها البستاني الاكبر منذ نحو ثلاثين سنة واعدّ لها المعدات الكثيرة فاصدر منها ستة اجزاء وقُبض الى رحمة ربهِ فتولَّى اصدارها ابنهُ الاكبر سليم افندي ولم يمهلهُ الردى ان اتمَّ جزئين منها فألقي هذا العبء الثقيل على اخويهِ الصغيرين وعلى ابن عمهما موضوع احتفالنا وكان مشاركاً في العمل من اولهِ فقام بهِ معهما احسن قيام كما تشهد فصول الدائرة

والالياذة شعر يوناني تاريخي من اقدم ما نظمهُ الشعراء واوسع ما افرغوا فيهِ معارفهم موضوعهُ وصف وقائع قليلة من حروب طروادة لكن الشاعر توسع في الوصف وقصّ الاخبار حتى تُعدّ قصيدتهُ دائرة لمعارف عصرهِ فقد ذكر فيها طباع الناس وعاداتهم وعباداتهم ومبلغ ما وصلوا اليهِ من العمران . ويظهر منها ان اليونان كانوا في ذلك العصر وما قبلهُ اهل فلاحة وصناعة وتجارة وعلم وفلسفة وقد بلغوا في ذلك كلهِ وفي انشاء الحصون وتعبية الجيوش وبناء البوارج وسن الاحكام مبلغاً لم يفقهم فيهِ الذين تلوهم من اهالي اوربا الأَّ في القرن الماضي ومن المرجح انهُ لم يفقهم احد حتى الآن في النقش وعمل التماثيل وصوغ المعادن

فهي كتاب كبير دقيق البحث كثير التعقيد اطَّلع عليهِ ادباء العرب لما ترجموا كتب اليونان فتهيبوهُ ولم يترجموهُ لا لانهم كرهوا ترجمة القصص او لانهم لم يألفوا شيئاً مثلهُ فانهم وضعوا قصة عنترة ووقائعها تشبه وقائع الالياذة واسلوبهما واحد — اساس تاريخي وجيز تناولتهُ قريحة هوميروس في الالياذة وقريحة الاصمعي في قصة عنترة وبنت عليهِ بناء فخماً . بل يظهر انهم احجموا عن ترجمتهِ لكثرة ما فيهِ من الاعلام الغريبة والمعاني المغلقة او لكثرة ما ذكر فيهِ عن آلهة اليونان وشعائرهم الدينية او لغير ذلك من الاسباب

وظلَّ هوميروس مغلقاً عن ابناء العربيَّة يتمنى ادباؤُهم لو اُتيح لاحد منهم ان يزيح الستار عنهُ وينقلهُ الى لغتهم كما نُقل الى اللغات الاوربية او كما نُقل قبلها الى السريانية (لان سليمان افندي حقق نقلهُ اليها) ولكن لم يكن في الامكان ان يتصدَّى لهذا العمل الخطير الأَّ رجل درس اللغة اليونانية لكي يقرأ هوميروس في اصلهِ عارف ببعض اللغات الاوربية الشهيرة ليقرأ شروحهُ فيها سيال القريحة حتى يسهل عليهِ نظم الالوف من الابيات بليغ العبارة طبعاً حتى يأتي كلامهُ من طبقة ما ترجمهُ كثير الحفظ واسع الرواية حتى يسهل عليهِ معارضة ابيات هوميروس بما يضارعها من اقوال شعراء العرب شديد الجلد لا يمل من نظم البيت بعد البيت والقصيدة بعد القصيدة سنة بعد سنة وهو في سعة من الوقت حتى يزاول الشعر اذا اطاعهُ ويتركهُ اذا عصاهُ . وغني عن البيان ان هذه الاوصاف اجتمعت كلها في

البستاني فقبض على هوميروس بيديهِ ولم يتركهُ حتى البسهُ حلة عربية

ولو وقف عملهُ عند هذا الحد لكان عظيماً ومن اعظم الاعمال ولكنهُ لم يقف عندهُ بل تخطاهُ الى ما هو اعظم منهُ فان كثيرًا من معاني هوميروس مغلق وهو يشير الى امور كثيرة لا يفقه معناها الاَّ من لهُ المام واسع بالتاريخ والجغرافيا والميثولوجيا فلا بدَّ لفهم هذا الديوان من شرح مسهب يلم باطرافهِ كلها وهذا فعلهُ البستاني ولم يكتفِ بهِ بل عارض معاني هوميروس بمعاني شعراء العرب ولا سيما عنترة العبسي او ابي سعيد الاصمعي واضع قصة عنترة وبيَّن ان اكثر المعاني التي جاء بها هوميروس وكانت مألوفة عند اليونان كانت مألوفة ايضاً عند العرب في بداوتهم

وقد جاء تعريب الالياذة في نحو الف صفحة ونحو نصفها او ثلثها شرح بحرف دقيق فكانهُ ألف كتاباً كبيرًا في شرح جمع فيهِ مئات من الشواهد العربية والتحقيقات العلمية

والبستاني حليف الطمع وما اشرف الطمع الجائز وما احمدهُ وما انفعهُ فان اكثر الاعمال العظيمة نشأت منهُ . فلم يشأ ان يرسل الالياذة بشرحها بتراء من غير مقدمة واي مقدمة . عرَّف احد علماء الانكليز المقدمة بانها الجزء الذي لا يقرأُ من الكتاب ولكن صديقنا البستاني وضع للالياذة مقدمة تملأُ مئتي صفحة ولا يملُّ القارئ من مطالعتها لما يجدهُ فيها من الفوائد وحسن التنسيق . وهي لا تقلُّ عن مقدمة ابن خلدون في تعدد مواضيعها وبلاغة عبارتها وكثرة فوائدها . ونسبتها الى مقدمة ابن خلدون من حيث دقة البحث نسبة العلم في هذا العصر اليهِ في عصر ابن خلدون . وهي مثلها ايضاً في متانة العبارة حتى يصح ان تكون انموذجاً للانشاء البليغ . وقد شغلت مئتي صفحة وخالف الكاتب فيها اساليب المقدمات فقسمها الى فصول عديدة حتى يرغب المطالع في مطالعتها ولا يملها كما يملُّ قراءة المقدمات التي لا فصل فيها

هذه المقدمة ديوان ادب وعلم افرغ فيها المؤلف نتيجة درسهِ وبحثهِ السنين الطوال وفي احتفالنا بنشر هذا الكتاب نحتفل بنشر ثلاثة كتب كبيرة الديوان المنتظم والشرح المنسجم والمقدمة الشاملة ثلاثة كتب في كتاب واحد يملأُ نحو ١١٥٠ صفحة يضاف اليها اكثر من مئة صفحة فهارس ومعاجم استغرقت تعباً كثيرًا لكن المؤلف فضَّل ان يتعب مرةً ولا يتعب كل قارئ من قرَّاء كتابهِ مرارًا فلهُ الشكر الجزيل على كل حال

وخلاصة القول اننا باحتفالنا هذا قد اعربنا نحن وحضرات الفضلاء الذين تكرموا وقبلوا دعوتنا عن رغبة في اكرام الادب وقدر اربابهِ قدرهم وانني واثق ان صديقنا البستاني مسرور مثلنا لا من حيث تخصيصنا هذا الاكرام بهِ لانهُ ابعد الناس عن حب الظهور بل من حيث

اكرام عمله لانهُ يستحق الاكرام. فاهنئك ايها الصديق الفاضل بما حزتهُ عن استحقاق تام من اكرام اخوانك لك. اهنئك بالنيابة عن الذين اقاموا لك هذا الاحتفال كما اهنئك بالاصالة عن نفسي. واكرر تقديم الشكر الجزيل لكم ايها السادة الافاضل الذين تكرموا بقبول دعوتنا لا زلتم في مقدمة هداة الامة ونصراء الفضيلة. واسمحوا لي في الختام ان اشكركم وسائر السادة الحضور لانكم اكرمتموني باصغائكم الى هذه الكليمات وان كنت قد قصَّرت في الوصف والاعراب عن ضميري فاللوم على الذين اطعموني قبلما انتدبوني للكلام فجاء كلامي "بعد الطعام وقبل المنام"

ولما فرغ من الكلام وقف حضرة عبد الخالق بك ثروت وتلا كتاباً بعث بهِ فضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ورئيس جمعية احياء العلوم العربية وهذه صورتهُ

دعاني اصدقاؤك واصدقائي الى الانس بك ساعة تهنئتك بالنجاح في ذلك العمل الادبي الذي كلفت بابداعهِ عدة من السنين . دعوني الى الاشتراك معهم في شكرك لما دأبت في السعي واخذت نفسك بالصبر على مشقة البحث والعناء في اختيار مسالك النظم لتهدي الى ابناء لغتك العربية من احاسن الصناعة الادبية ما يعد زينة الناظرين

وكنت اكون اسرع الناس الى اجابة الدعوة لولا مانعٌ ذنبهُ اليَّ ذنب العاذل الى عاشق الحسان منعني الانس بك ولكن لم يمنعني ان اشاركهم في شكرك

تمت لك ترجمة الالياذة لنابغة شعراء اليونان هميروس المشهور نسجت قريحتك ديباجة ذلك الكتاب كتاب الترجمة فاذا هو ميدان غزت فيهِ لغتنا العربية ضريعتها اليونانية فسبت خرائدها وغنمت فرائدها وعادت الينا في حلل من آدابها تحمل الى الالباب قوتاً من لبابها وما اجمل ذلك الغلب في زمن ضعف فيهِ العرب حتى عن الرغب في نيل الادب ما ينال منهُ عن كثب فضلاً عما يكسب بالتعب. فحق لك الشكر على كل من يعرف قيمة ما وفقت لاكمالهِ من العمل فقد سددت ثلمة كانت في بنية العلم العربي من عشرة قرون اغار قومنا على دفائن الفنون اليونانية في القرن الثالث من الهجرة وما بعده فنثروا منها ما كان مخزوناً ونشروا بين الناس ما كان مدفوناً ولم يدعوا غامضاً الاَّ جلوه ولا بعيداً الاَّ قربوه ونالت اللغة العربية بصنيعهم ذلك ما لم يكن في حسبانها فقد صارت لسان العلم والصنعة كما كانت لسان الدين والحكمة

لكن كأن اولئك الاساطين الاولين كانوا يرون ان ذلك ما يفرضهُ الحق عليهم في جانب العلم الذي لا يختلف فيهِ مشرق عن مغرب ولا يتخالف على حقائقهِ الاعجم والمعرب وظنوا ان ما وراء العلم من آداب القوم ليس مما يتناسب مع آدابهم لبعد ما بين انساب اولئك وانسابهم فلم يمدوا انظارهم الى ما كان في اليونانية من دواوين الشعراء وما صاغتهُ قرائح البلغاء فلم تنل

اليونانية من عنايتهم مانالت الفارسية والهندية وكان مؤمل اللغة منهم ان لايحرموها نفائس ما اخترع اليونانيون كم زينوها بزينة ما ابدع الهنديون والفارسيون وبقي ذلك المؤمل في غيب الدهر حتى اتيت ترفع عنهُ الستر وجئت تقول للناس انني اتم في دولة عباس مانقص في ملك بني العباس فما اقر عين العربية بنيل طلبتها وظهور ما كان منتظرًا لشيعتها ارجو ان ينال كتابك من الاقبال عليهِ والانتفاع بهِ ما يكافئ تعبك ويبعث همم العالمين على ان تتبعك والسلام

ووقف بعدهُ حضرة فريد بك بازوغلي فقرأ تلغرافًا من حضرة الدكتور ابوستوليدس مترجم الالياذة من اليونانية القديمة الى اليونانية الحديثة يثني فيهِ على حضرة مترجمها الى العربية ويعتذر الى اللجنة عن عدم حضورهِ من الاسكندرية · وتلاهُ حضرة داود بك عمون فقرأ كتابًا من حضرة الدكتور شبلي شميل يعتذر فيهِ عن الحضور بانحراف صحتهِ ويهنئ المحتفلين باجتماعهم لاسمى غاية اجتماعية وهي الاعتراف بالفضل الصحيح وهنأ موضوع الاحتفال بخروجهِ من ترجمة الالياذة غانمًا · وقرأ بعده حضرة محمد افندي مسعود من محرري المؤيد كتابًا من سعادة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد يثني فيهِ على موضوع الاحتفال بسبب خدمتهِ " للغة العربية بل العلوم والآداب " وعلى المحتفلين " لوضعهم الشيء في محلهِ " ويعتذر عن عدم حضوره بغيابهِ في الاسكندرية

ثم وقف حضرة السيد رشيد رضا منشئ مجلة المنار وخطب خطبة بليغة شرح فيها الاسباب التي منعت العرب من ترجمة الالياذة في زمانهم وابان موافقة ترجمتها الى العربية في هذا الزمان · وتلاه حضرة اخنوخ افندي فانوس المحامي بخطبة انيقة ابان فيها فضل القوى الادبية حتى تخلص الى مدح مترجم الالياذة على قضائهِ زهرة العمر في اتحاف ابناء اللغة العربية بابلغ شعر عند الامة اليونانية غير طامع من وراء ذلك بمال ولا نوال · وقام بعده حضرة ابرهيم بك رمزي صاحب التمدن فبين فضل اليونان وعلومهم · وانتصب مترجم الالياذة فخطب الخطبة التالية

ايها السادة الكرام

قد ساقني فضلكم الى الوقوف في هذا الموقف وكل كلمة بل كل اشارة بل كل نظرة في هذه الهيئة المؤلفة من حضرة رجال الفضل والنبل تخولني من المنة ما يوقفني عاجزًا عن اداء واجب الشكر فاراني مضطرًا تجاه ما تكرم بهِ من الاطراء بلغاء الخطباء الحاضرين وما تفضل بهِ كتابة الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية وسائر العلماء الاعلام الغائبين ان الوذ بالصمت مفتخرًا ومعترفًا انني انما كنت كمرآة انعكست لهم فيها صفاتهم الغراء فمثلوها تمثيلاً

ولو ساغ لي ان افاخر بعمل من الاعمال لكان محط فخاري عملاً لم تمدَّ اليهِ يدي ولم يكن

قط ليجول في خاطري ولكنهُ من جميل صنعكم ألا وهو عقد هذا الاجتماع . ولست ادري من اخص بالثناء فما ارى فيكم الا الصديق الحميم الذي يعمل لصديقهِ اضعاف ما يعمل لنفسهِ والعالم الكريم الذي يعظم ذرة الاجتهاد من كل مجتهدٍ سواهُ وهو لا يبالي بما انفق من اعوام الحياة خدمة للعالم. والاديب الشاعر والناثر الحكيم اللذين يطربان لكل نغمة جديدة من اغاني الأدب وان لم تكن شيئاً مذكوراً ازاء ما تجود بهِ قريحة كلٍّ منهما

فجميع اخواني السوريين بالفضل سواء فما هي الا غيرة متقدة في افئدتهم فقيض الله ان تتجه الى هذا العاجز واما كرام المصريين فقد زادوا على تلك الغيرة وذلك الاحسان النظري فيهم كرم الموازرة وما هي بالمرة الاولى التي صافحت بها مصر شقيقتها سوريا ومدَّت اليها ذراع الحب والولاء فتعاونتا على اعلاء شأن الادب والادباء

سادتي قد عرف الذين قرأوا تعريب الالياذة منكم اني اجهدت النفس بالمقارنات والمقابلات بين آداب العرب واليونان وما يتبع ذلك من معارف الامتين وتاريخهما واخلاقهما فأْذنوا لي ان احذو هذا الحذو بكلمة في المقابلة بين الالياذة وهذا المجلس الحافل .

ان بروز الالياذة بحلة عربية انما هو نتاج اوقات فراغ تيسرت لطالب علم شغف بمحاسنها فلازمها ملازمة العاشق للمعشوق ومهما يكن من كدّهِ ونصبهِ فقد نال اجرهُ بما سرَّح النظر في عالم الحقيقة وروض النفس في رياض الخيال وما جلا من صدإِ الهموم المتزاحمة على افئدة المشتغلين بالادب في مثل هذا الزمن . . ويربو على كل ذلك اقبالكم هذا فاي جزاء اثمن من هذا الجزاء

واما اجتماعنا هذا فمؤداهُ اسمى ومفادهُ اعظم وقبل النظر في حقيقة معناهُ استأذنكم ايراد شاهدٍ من الالياذة على سبيل التفكيه

قال بعض المحبين ليست الولائم مما يكافأُ بهِ عامل على عملهِ . ولكن هوميروس سبق فاثبت فساد هذا القول فكأن الخلان الداعين الى هذا المجلس استوحوا روحهُ اقتداء بهِ في الاستحياء . وحسبي ان اوجه نظركم الى كلمة وليمة في معجم الالياذة فترون انها كانت المفخرة التي يسعى اليها الملوك والعظماء من قبل عهد هوميروس عند اليونان ثم عند العرب وانهُ كان لها عند الفريقين معنى سام يتسابق القوم اليهِ ويغبطون عليهِ

قلت ان مفاد هذا الاجتماع بالنظر الى الأدب اسمى من بروز الالياذة . وذلك لانهُ نتاج روح حياة جديدة تسربت في عروق ابناء اللغة العربية فهبُّوا هبَّة يحيونها تحية اللقاء بعد المهجر وهم جميعاً راغبون في الحياة الحقة وعالمون ان حياة اللغة انما هي حياة الامة . فلا

بقاء للغة الا بامتها ولا بقاء لامة الاَّ بلغتها

ولا شك ان نشوء الالياذة العربية كان في طالع ميمون والا فما تسنى لها ان تفتخر باقبالكم عليها هذا الاقبال . فكم من فاضل منكم وممن تقدمنا في هذا القرن وقف عمرهُ على خدمة الادب فكان اولى من صاحب الالياذة هذا بهذا الانعطاف من لدنكم . او لا ترون بين الحضور رهطاً ونعم الرهط ممن اكتهل وشاب بين الاقلام والمحابر فاستمد معرب الالياذة وامثاله مما سطروا وحبروا ما لا يقوم بثمن فكانوا اولى منهُ بمثل هذه الحفلة الزاهرة فان تكن اذا للالياذة مزية على ما تقدمها من النفائس فما تلك المزية الا قبس من نوركم اذ حثها الحظ فنشأت وجرثومة الادب مختمرة في الصدور بعد ان كمنت دهرًا فرحبتم بها وقدرتموها فوق قدرها تنشيطاً لامثال معربها واعلانًا للملإِ ان هذه اللغة لا تزال في نضارة صباها وان تقادم عليها العهد وان شأنها سيظل على سموه او يزيد فمثلها مثل زهرة هوميروس لا يزيدها كرور الايام الا بهاء وجمالاً

تلك ايها السادة احدى حسنات هذا الاجتماع . ولكن هناك حسنة أُخرى وليست بالحسنة الصغرى ألا وهي شعور المصري والسوري انهما شريكان متضامنان في اللغة التي نشأا فيها وأن لا سبيل الى فسخ هذه الشركة ما نبض فيهما عرق فاذا افلح احدهما في تجارتهِ فالربح للشريكين واذا قضي عليهما لا سمح الله بالافلاس فلا يفلسان الاَّ معاً . عمد محمد علي الكبير الى انشاء المدارس فوضع لخلفائهِ اساسًا متينًا وتخرج الطلبة فساروا في اللغة شوطاً مذكورًا أفكانت فائدة تلك المساعي محصورة في ابناء مصر او لم يجنِ اخوانهم السوريون من ثمارها ما لا يزالون يذكرون حلو طعمهِ

هب السوريون في منتصف القرن الماضي فورد فريق منهم مناهل العلم والادب فهل كان لهم ان يستأثروا بها او لم تكن كل خطوة تخطوها احدى الشقيقتين تعقبها بها الاخرى او تسيران معًا متعاضدتين متكاتفتين كأنهما توأمان متلاصقان لا ينفصلان وبهما حياة

يقول الحكماء لا وطن للعلم فحيثما حل فهو الضيف الكريم ثم لا يلبث ان يبيت الوطني المقيم فاذا غرس الغربي غرسًا فللشرقي ان يجني ثمارهُ و يكفيهِ ان ينهض فيمد يدهُ الى ذلك الغرس او يتخذ منهُ فسيلة يلقيها في ارضهِ وينيلها بعض العناء فتثمر رطبًا جنيًا وكل بلاد الله صالحة لاستثمارهِ

واما الادب فلا يصح فيهِ هذا القول على اطلاقهِ وكلما تباعدت الالسنة اختلت فيهِ شرائط الارتباط فمصر وسوريا متصلتان مع سائر اقطار العالم بشركة العلم اذا شاءتا . ولكن

بينهما صلة خاصة لا قبل لها بفصم عراها وان ارادتا . واذا لم يكن هنا موضع النظر في الجو وصفائهِ والجوار وحقوقهِ والمشارب والاخلاق وطرق المعيشة فهل لنا ان نغفل النظر الى اللغة وهي العروة الوثقى . كل ذلك يقضي عليهما ان تتناسبا بالادب وهو خير النسب اذ كل رابطة اقرب الى الانحلال من رابطة اللغة وكل نسب اقرب الى الاختلال من نسب الفضل والادب على حد قول الشريف الرضي في رثاء الصابي

الفضل ناسب بيننا اذ لم يكن شرفي مناسبهُ ولا ميلادي

ان لم تكن من اسرتي وعشيرتي فلانت اعلقهم يدا بودادي

سادتي لو احصينا المتكلمين بالعربية لالفيناهم لا يقلون عن المتكلمين بكثير من لغات الغرب المتمدن ولو قسنا ساحة بلادهم لوسعت بلاد دول شتى من دول عالم العمران . فاللغة اذاً حية بخلاف ما يزعم بعض الغلاة . وان جميع هذه البلاد متكافلة تكافلاً طبيعياً بنهضة الادب ولكنهُ لا بد من موردٍ عامّ تمتد منهُ الجداول العذبة الى سائر الاطراف . وليس في زمننا هذا اجدر بانشاء هذا المورد من هذه الديار المصرية فاننا في زمن يقظة وتقدم فهي الفرصة المثلى والحكيم من انتهز الفرص ولا اخالكم الآ جيشاً عاملاً متطلعاً الى هذه الغاية وعالماً ان هذا هو زمن اندفاع الافكار بتيار الاجتهاد وان هذا التيار اذا اندفع بقوم اندفاعاً حقيقياً فضَّ السدود وتجاوز الحواجز فان ابناء العربية قد علموا ان لا معين لهم غير انفسهم على بلوغ امنيتهم منها فاذا اخلصوا النية وهم مخلصوها باذن الله فلا حائل يصدهم عن النهوض بها . ولا شك انهم اعادوا الكرَّة في هذه الآونة المتأخرة فوثبوا بها وثبة جديدة فعسى ان يستمر هذا الوثوب وسيستمر ان شاء الله بفضلكم حتى يسوغ لنا ان نقول

نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

ووقف بعدهُ سعادة شكور باشا فخطب بالفرنسوية واثنى على مترجم الالياذة بلسان حال "مصر امّ التمدن ومصدر الوحي الذي هبط على شعراء اليونان منذ قديم الزمان . مصر التي لا يعتور صباها ضعف ولا هرم مهما طال عليها القدم . مصر اخت المودة والضيافة والجود والكرم"

وتلاهُ المسيو بوفوداس رئيس المدرسة العبيدية بخطبة فرنسوية . والاستاذ افرونيانس بخطبة يونانية . وانصرف الداعون والمدعوون وهم مجمعون على مدح تلك الحفلة الادبية ويودون لو كانت فاتحة لامثالها شداً لازر رجال العلم والفضل وتشويقاً الى الاشتغال بالعلم والآداب ويشكرون صاحب هذه الفكرة ورئيس اللجنة التي نظمت هذه الحفلة عبد الله بك صفير وسائر الذين شاركوهُ فيها من اعضاء اللجنة .

اخلاق عرب السودان وعاداتهم وخرافاتهم

من كتاب تاريخ السودان

﴿ اوصافهم الخلقية ﴾ لعرب السودان الاوصاف الخلقية المشهورة للعرب في كل زمان ومكان الاَّ انهم اشد سمرة واقسى شعرًا من عرب الشام ومصر لشدة حرارة بلادهم وكثرة تسريهم من النوبة والسود . واما نساؤهم فيغلب فيهن اللون القمحي او اللون الضارب الى الصفرة كلون تمثال الملكة «آمن ريتس» الايثيوبية في متحف الاثار المصرية بالجيزة

﴿ التشليخ ﴾ ثم ان الشايقية والجعليين والعابدلاب من حضر العرب يشلخون وجوههم بقصد الزينة ولكل قبيلة منهم شلوخ معلومة فللشايقية ثلاثة شلوخ افقية على كل خد وللجعليين ثلاثة شلوخ عمودية على كل خد وللعابدلاًب على كل خد ثلاثة شلوخ عمودية تحتها شلخ افقي يسمى بالعارض ومن كان وجههُ عريضاً جعلوا لهُ على كل خد اربعة شلوخ بدل الثلاثة والمراة التي لا يعيش لها اولاد تشلخ وجناتهم ايضاً شلوخاً دقيقة كرجل الطير . ومن القبائل التي تتبع هذه العادة فتقلد بها القبائل الثلاث المذكورة : النوبة البرابرة واهل بربر من الحضر والشكرية والضبانية والكبابيش من البادية . اما زمن التشليخ فهو زمن الطفولية للذكور والاناث غير ان الذكور قد لا تُشلخ وجوههم واما الاناث فلا بدَّ من تشليخ وجوههنَّ اذ الشلوخ في الوجه والوشم في الفم معدودة عندهم من الجمال

« فالشاب الجميل » في عرفهم هو من كان مربوع القامة قمحي اللون واسع الصدر مجدول الخصر والذراعين طويل العنق منخفض الكتفين مشلخ الخدين صقيل الأنف افلج الثنايا ادعج العينين مفتوح الحاجبين باسم الثغر نير الوجه شريف الخصال

« والمرأة الجميلة » هي من كانت مربوعة القامة مع الميل الى الطول صفراء اللون طويلة الشعر غزيرتهُ واسعة الجبين زجاء الحاجبين دعجاء العينين سادلة الاهداب قنياء الانف مع الميل الى التحدب لا كبيرة الفم ولا صغيرتهُ عريضة الشفة السفلى موشومتها وموشومة اللثة مفلجة الاسنان بيضاءها مشلخة الخدين محفوصة الذقن طويلة العنق منخفضة الكتفين واسعة الصدر ناهدة الثديين رقيقة الخصر قصيرة الظهر مجدولة الساعد والساق رقيقة الاصابع بارزة الردفين مجموعتهما صغيرة القدم رشيقة الحركة لينة الاعطاف اذا رقصت انثنت الى الوراء حتى يصل رأسها الى قدميها واذا مشت تمايلت كالغصن اذا حركهُ النسيم خفيفة الروح باسمة الثغر طلقة المحيا مصونة الحجاب جميلة الحركة اقبلت أو ادبرت

واجمل نساء السودان نساء الجزيرة روي لي بعض الادباء ان فقيهاً من اهل كردوفان يسمى عبد العزيز سمع بكرم الزبير في بحر الغزال فقصده يريد منهُ نوالاً فأمر لهُ الزبير بجارية فلم تعجبهُ وقال " اني قصدتك لجارية عنقها طويل وردفها ثقيل وشعرها غزير وبطنها ضمير وسنّها كالجير وعينها كتب الغدير اذا مشت كأنها امير واذا وقفت تعجب هذا الفقير " واشار الى نفسهِ · فقال لهُ الزبير " عليَّ الطلاق ان هذه الصفات لا توجد حتى في بنات الجزيرة " ثم نادى احد غلمانهِ وقال ائتوهُ بزيتونة فأتوهُ بها وكانت جارية جميلة فأعجبتهُ فقال " قبلت زيتونة الصادقة المامونة اللهمَّ اجعلها كزليخة المفتونة " فقال الزبير خذها وخذ الاولى جارية لها فازداد عبد العزيز طمعاً بكرم الزبير وكان بيدهِ ركوة (ابريق ماء من جلد) فقال وهذه الركوة من يحملها لي فدعا الزبير احد عبيدهِ وقال احمل هذه الركوة لسيدك فحملها وذهب الفقيه بالثلاثة شاكرًا مسرورًا

﴿ اخلاقهم ﴾ اما اخلاق عرب السودان فهي ايضاً الاخلاق المشهورة للعرب في كل زمان ومكان وهي حب الضيافة والكرم والمروءة والشهامة وحب الغزو والنجدة والأخذ بالثار ومراعاة الجار واحترام العرض والافتخار بالنسب ولكنهم اكتسبوا من جيرانهم السود اعتياد احتقار الموت والصبر على مضض الايام مع شيء من بلادة الطبع

ومن غريب اخلاقهم انهُ اذا اتى الجدب واشتد الجوع اغلق الواحد منهم بابهُ على نفسهِ واولادهِ وانتظر الموت جوعاً ولم يسأل احدًا خوفاً من التعيير بذل السؤال · والمريض مهما اشتدَّ المهُ لا ينطق بكلمة تدلُّ على تألمهِ . وكذلك المضروب لا يبدي اقل توجع مهما اشتد عليهِ الضرب · والمسوق الى القتل لا يبدي اقل جزع او خوف · واذا أظهر المريض اقل تألم او المضروب اقل توجع اوالمسوق الى القتل اقل جزع او خوف عيّروهُ وعيروا اولادهُ من بعدهِ الى منتهى الذرية . ومن هذا القبيل انهُ اذا كان احدهم سائرًا في الطريق وحدثت خلفهُ ضوضاء فلا يلتفت برأسهِ الى الوراء كمن ذُعر ليرى ما الخبر بل يتحول بجميع جسمهِ دفعة واحدة واذا تعرض لهُ كلب فنهشهُ من الوراء فلا يردهُ عن نفسهِ بل يصبر على نهشهِ حتى تراهُ المارَّة فتردهُ عنهُ

ومن اكبر العيوب عندهم الفرار من القتل فاذا ارتكب احدهم جناية تستوجب القتل وقف في مكانهِ ينتظرهُ بالتسليم وكامل الصبر · من ذلك ما روي ان رجلاً من الضباينة يدعى عبد الرسول كان متزوجاً بامرأة يحبها جدًّا وهي تكره احد اخوالهِ فأوغرت صدرهُ عليهِ فاخذ خنجرهُ وقصد خالهُ فوجدهُ يحلب بقرتهُ فشرع في طعنهِ بالخنجر حتى قتلهُ فامسك برجلهِ إذ

ذاك ومكث ينتظر القتال فحضر اخوة القتيل وبكوه ولم يتعرضوا لابن اختهم اذ من العار عندهم ان يثأر الرجل من ابن اخته او يمسهُ بسوء فلما حضرت اختهم والدة عبد الرسول صاحت وولولت وحثت التراب على رأسها حزناً على اخيها ونادت بابنها قائلةً ان كنت ابني وابن ابيك فلا تعش بعد قتل خالك فقال عبد الرسول لاخواله اقتلوني بثار اخيكم ولما أبوا اخذ خنجره وطعن به نفسه فوقع ميتاً الى جانب خاله فهزّت امهُ يدها فوقهُ ارتياحاً وقالت حقًّا انك ابني وابن ابيك ثم حملوا القتيلين ودفنوهما في حفرة واحدة . قلت وهذا الخلق اي عدم الفرار من القتل مروي عن الاثيوبيين القدماء كما سيجيء في التاريخ

هذا ومن المعايب عندهم الفرار من ساحة القتال جبناً او خوفاً فاذا دخل فارسهم ساحة القتال فقتل فرسهُ وانكسر قومهُ فهو لا يقاتل مستقتلاً كمن وقع في فشل او ذعر من الخوف بل يفترش فروتهُ ويجلس عليها الى ان يأتي العدو فيقتله او يأسره وهذا الخلق انما نراهُ في عرب النيل وشرق السودان وامثلتهُ في التاريخ كثيرة اما عرب غربي السودان ففارسهم يقاتل حتى يقتل او يفر

ومما هو مشهور من اخلاقهم فيدل على النجدة واحترام العرض انهُ اذا قصدت امرأة سيداً منهم فكشفت عن رأسها وتشفعت له بأمر وجب عليهِ قضاء ذلك الامر او بذل اقصى الجهد في قضائهِ مهما كلفهُ ذلك من المشقة والعناء

ومما يدلُّ على حبهم للضيافة ان لهم في كل بلدة منزلاً خاصاً بالضيوف يسمونهُ « الخلوة » فاذا نزل فيها ضيوف طبخت كل ربة بيت طعاماً وارسلتهُ اليهم وذهب الرجال للترحيب بهم وتناول الطعام معهم. ذلك في الجزيرة وشرق السودان واما في غرب السودان فكل منزل معدٌّ لقبول الضيوف واقرائهم من طعامهِ الخاص كثروا اوقلوا

وهم يتبارون في افراحهم على الخيل أو الهجن وبرفع السيف بالاصابع الثلاث الاولى وذلك بوضع قبضتهِ بين السبابة والوسطى والضغط على رأسها بالابهام ورفع السيف افقياً . وترى لهم في ساحة كل بلد حجراً يعرف بحجر الصبيان يتناظر الشبان في رفعهِ بكلتا اليدين الى الصدر او الكتف او فوق الرأس ونحو ذلك من المناظرات الرائجة في مصر والشام

﴿ البطان ﴾ ومن اشهر عاداتهم التي اصبحت خلقاً لهم عادة "البطان" وهي من نوع الدوال عند الافرنج فاذا تنافر شابان لسبب من الاسباب طلب احدهما الآخر للبطان فان ابى عدَّ جباناً ورفضت البنات زواجه واذا رضي اخذ كل منهما سوطاً وعمدا الى عنقريب (سرير) جعلوه بينهما ووقف الواحد تجاه الآخر ثم خلع كل منهما ثوبهُ وتجرّد الى وسطهِ واجتمع الناس للشهادة فيبدأُ احدهما بجلد الآخر سوطاً على ظهرهِ ثم يصبر فيجلده رفيقهُ سوطاً

وهكذا يتناوبان ضرب السياط وهما لا يتحركان من مكانيهما بل لا يحركان كتفاً او جفناً الى ان يقع احدهما من شدة الضرب فيحمله اقاربهُ الى بيتهِ فيزورهُ مصارعهُ ويصالحهُ . وهي عوائد العامة فلا تشترك فيها الخاصة ثم هي محصورة في اولاد ابي مرخة دون غيرهم من عرب السودان ولكن تناول رقيقهم هذه العادة ففاقهم فيها . واهمّ اسبابها النساء فاذا احب شاب فتاة فزاحمهُ آخر عليها طلبهُ للبطان واخذها الغالب

وقد يكون البطان لمجرد المباهاة بالقوة والجلد على الضرب فيدخل فيهِ اذ ذاك اكثر من اثنين ويكون على ضرب الدلوكة فكل من اراد البطان يأتي الى النساء اللواتي يضربنَ الدلوكة فيهز سوطهُ فوق رؤوسهن ويقول " ابشرنَ بالخير انا اخو البنات عشرة " ويقف الكل صفّاً واحداً ثم يبرز احدهم فيضرب كل من في الصف سوطاً ويرمي السوط ويعود الى الصف فيبرز آخر فيتناول السوط ويفعل فعل الاول وهكذا حتى يأخذ كل منهم نصيبهُ ضارباً ومضروباً

واذا اعجبت فتاة بشاب من الحضور ووقع حبهُ في قلبها نزعت من معصمها سواراً والبستهُ اياهُ فيأخذ الشاب اذ ذاك سوطهُ ويهزهُ فوق رأسها ويقول " ابشري بالخير أنا اخو البنات عشرة" فاذا كان لهُ بين الحضور مناظر في حب الفتاة ورأى سوارها في يدهِ انبرى لهُ وطلب مبارزتهُ فيقف لهُ حامل السوار واضعاً يدهُ اليمنى فوق رأسهِ فيجلدهُ بسوطهِ الى ان يكلّ فيرمي السوط فيجلدهُ حامل السوار في نوبتهِ بما اعطي من القوّة ويقف المضروب في حالة الضرب جامداً لا يتحرّك ولا يطرف لهُ جفن كأنهُ صخر اصمّ ومن بدت عليهِ ظواهر التألم بل من بدت منهُ اقل حركة كهز الكتف او طرف الجفن لبس العار ولم يعد لهُ من البنات نصيب

واذا أحب شاب فتاة ولحظ من احد الحضور ميلاً اليها تأخذهُ الغيرة فيستل سكينهُ من ذراعهِ ويأتي الى حبيبتهِ ويهز السكين فوق رأسها وينادي « ابشري بالخير انا اخو البنات عشرة » ثم يشرع في تشريط ذراعهِ وصدرهِ الى ان يلطخ رأسها وثيابها بالدم فيأتي احد الحضور ويمنعهُ من ذلك وتأخذ النساء من دمهِ فيلطخن بهِ جبين حبيبتهِ وهي تتمايل تيهاً ودلالاً معجبة باستهلاك حبيبها في حبها فتصدقهُ الحب ولا تعود تلتفت الى أحد سواهُ .
وقد رأيت كثيراً من الشبان مجرحي السواعد والصدور بسبب هذا الحب البربري * قيل وعشاق البادية لا يأكلون لحم الغزلان لانهم يشبهون حبيباتهم بها فلا يطيقون ذبحها او تعذيبها واذا راوا غزالة في يد صياد افتدوها بالمال واطلقوا سراحها . وفارسهم يتكنّى باسم حبيبتهِ ويتباهى بحبها وعند اللقاء في الحرب يقتحم غمرات الموت بجوادهِ وسيفهُ مسلول في يدهِ وهو ينادي " لعيني فلانة "على ما هو مشهور عند اهل بادية الشام

﴿ طبهم ﴾ وطبهم عرفي يتوارثهُ الخلف عن السلف فاذا مرض احدهم زارهُ اهلهُ وجيرانهُ ووصف لهُ كل منهم علاجاً فيتخذ المريض العلاج الذي يظنهُ انفع لهُ وقد تقدم لنا ذكر اشهر الامراض الخاصة بالسودان وطرق معالجتها عندهم ونذكر تحت هذا الباب علاجهم للجروح وذلك انهم يصبون عليها السمن مغلّى ثم يغمسون قطنة في السمن البارد ويضعونها عليهِ ويربطونها ويكررون ذلك كل يوم مع مراعاة النظافة التامة الى ان تبرأ . هذا في الجروح البليغة . واما الجروح الخفيفة فيعالجونها برشها بالملح او البارود او البن ثم بالقطنة والسمن البارد . وتشفى الجروح بسرعة لا تكاد تصدق . واذا شكا عليلهم ثقلاً في رأسهِ وعينيهِ طلب الحجام فحجمهُ في نقرتهِ او في قمة رأسهِ . واهم شرباتهم شربة السمن وهي مقدار رطل مصري من السمن يسخن ويشرب على الريق ومنهم من يكرر ذلك خمسة ايام متوالية ولا يشربون ماءً بارداً معها لئلا تولد زحيراً . وشربة السنامكي يشرب منقوعها مع منقوع التمر الهندي والسكر . وفي جزيرة مغرات تراب معدني يعرف بالجردقة يعالجون بمنقوعهِ المغص ووجع المعدة والامعاء ويمزجون التربية بالبوزة والمقويات ويعالجون بها داء الزهري . واشهر مقوياتهم مزيج مركب من العسل والسمن والثوم والبلح على هذه الصورة : تغلى ثلاثة ارطال عسلاً الى ان ترغو فيضاف اليها ثلاثة ارطال سمناً بقرياً ويغلى المزيج ثم يجعل فيهِ نصف رطل ثوماً بعد تقشيرهِ ويغلى الى ان يحمر الثوم فيخرج منهُ ويعوض عنهُ بنحو ١٥٠ بلحة من البلح الابريمي بعد نزع نواهُ ويؤكل منهُ على الريق وقبل النوم ولا يؤكل معهُ المخللات ولا اللحم البقري فيكون معهُ عافية وقوة . وهم يعالجون السل والبواسير بهذا المركب : رطل فلفل اسود وابيض ونصف رطل زنجبيلا وربع رطل خولنجان وسدس رطل قرفة ورطلان سكراً تدق جميعاً وتنخل وتؤخذ مع الشاي سفوفاً على الريق . ويعالجون السل بالشطة وحدها يأخذها مع كل طعام بدل الفلفل . ويعالجون الخنازيري (التهاب الغدد الليمفاوية) بشقها وذرّ الزرنيخ على الجرح

وعندهم كثير من الدجالين يعالجونهم بالتعزيم وكتابة الاحجبة فهي علاج لكل داء عياء وقلما تجد احداً من اهل السودان ولاسيما النساء الاَّ حاملاً حجاباً او اكثر . ومن علاجاتهم ان يكتبوا سوراً من القرآن على لوح ثم يغسلون الكتابة بماء ويشربون الماء للاستشفاء بهِ

ويهتم بالمريض امهُ وزوجتهُ واختهُ وعمتهُ وخالتهُ . وفي سؤالهم عنهُ يقولون عسى طيب النهار دا . المولى يعفو عنهُ ان شاء الله وعند تفشي امراض وبائية يذبحون الذبائح ويوزعونها على الفقراء والمساكين رجاء رفع الاوبئة عنهم والذين لا قدرة لهم على ذبح الذبائح يسلقون الذرة ويوزعونها ويعتقدون ان الوباء يذهب مع البخار الذي يتصاعد منها ولا يسلقونها الاَّ

عند طلوع الشمس وغروبها . وبعد أكل الذرة يطوف الاولاد في الشوارع منادين : " يا لطيف لم تزل الطف بنا فيما نزل " او ينادون " يا خالقنا نحن ضقنا "

ومن عاداتهم عند رؤية الهلال ان يقولوا " اللهم اعطنا خيره واكفنا شره " ثم يوقدون النار امام منازلهم ويهنئون بعضهم بعضاً فيقول الواحد « الشهر مبارك عليكم » فيجيبهُ الآخر " علينا وعليكم " ثم يقول الاول " اعفوا عنا " فيجيبهُ الثاني " عافين عنكم " وهذه عادتهم في ايام المواسم والاعياد وهي من اجلّ عاداتهم

وقد اقتبسوا عادة الاحتفال " بشم النسيم " من المصريين ونقلدوهم في سحق رؤوس البصل وصبغ البيض والاستحمام في النيل والخروج للتنزه في البساتين

ومن عاداتهم في الحروب انهم يأخذون كبار قتلى اعدائهم فيقطعون رؤوسهم و يعلقونها في الشوارع العمومية اشهاراً للنصر . واما السود فيقطعون ايدي قتلى الاعداء و يضربون بها النقارة الى ان تنتن فيرمونها . ومن قتل وحشاً مفترساً جرّدوهُ من ثيابهِ والبسوهُ ثياب النساء وحلاهنَّ من عقود الخرز وغيرها وضفروا شعرهُ ضفائر دقيقة كضفائر النساء وحبسوهُ في بيت مظلم سبعة ايام ثم اخرجوهُ الى النيل للاستحمام بهِ ووسموهُ في جبهتهِ او كتفهِ علامة لقتلهِ الوحش المفترس وتغييراً لسحنتهِ ثم اولموا وليمة فاخرة فرحاً بسلامتهِ

" وقيودهم " الشعبة والمكية اخذوها عن السود والزنجير المعروف والقيد وهو على صورة المكية الاَّ انهُ اخف منها ولا يقفل بمفتاح

" والعابهم " الخاصة بهم : السيجة وهي تشبه الداما والطاب وغيرها وعندهم من العابنا الداما والمنقلة والنرد (الطاولة) والدومنو والورق

﴿ خرافاتهم ﴾ واما خرافاتهم فعلى نحو خرافات العرب في مصر والشام الاَّ انهم اشد تمسكاً بالخرافات من العرب في كل زمان ومكان . فعندهم السحرة والدجالون والمشعوذون من الرجال والنساء . ومن معتقداتهم السحر والزار والمندل والرمل وضرب الودع والعقدة وكشف الدفائن وتفسير الاحلام والخيرة وكتابة الاحجبة والاصابة بالعين والتشاؤم والتفاؤل ووجود الجن والعفاريت ونحو ذلك من الترهات التي لا طائل تحتها .

اما الزار فقد دخل السودان من مصر وكثر استعمالهُ في بلاد سواكن وبربر والخرطوم . واكثر اعتمادهم في تفسير الاحلام على كتاب بن سيرين . وفي الخيرة على كتاب محيي الدين ابن العربي . واما الرمل والمندل وضرب الودع وكشف الدفائن وعلم التنجيم فاكثر المشتغلين فيهِ هم السحرة والمشعوذون من التكارنة وغيرهم

واما العقدة فيشتغل بها فرع من بشاري الانبرة يعرف بالقرَب فاذا ارادوا عقد انسان في مكان عزّموا عليهِ فبقي في مكانهِ لا يبرحهُ حتى يحلوهُ واذا وضع امامهُ طعام وعقدوهُ لم يستطع ان يمدّ الى الطعام يدًا . قيل واذا سخر لهم جمل عقدوهُ فيبرك ولا يقوم

السلّ

سببهُ وعلاجهُ

كتب بعض اطباء نيويورك رسالة الى جريدة " السينتفك اميركان " في السل وسببهِ وعلاجهِ فقال فيها ان علم الطب يقول ان وجود باشلس التدرن في الرئتين هو السبب الجوهري في مرض السلّ . واجمع الاطباء طرًّا بعد طول البحث والامتحان على ان العقاقير الطبية لا تفيد في علاج هذا الداء . والظاهر انهم قصروا البحث على اكتشاف واسطة لاهلاك جراثيم السلّ في الرئتين بدلاً من ازالة بعض الاسباب الجوهرية التي تمكن الجراثيم من المعيشة فيهما. واخفاق المساعي التي بذلت لمعالجة هذا الداء يدلُّ على ان الاطباء لم ينبهتوا لبعض العلل الاصلية التي يتسبب السلُّ عنها. فقد قال بعض الاطباء ان سوء التغذية سبب السلّ ولكنَّ كثيرين اصيبوا بسوء التغذية وبرَّحهم الداء ولم يصابوا بالسل . والحقيقة انهُ لا يصاب احد بالسلّ ما لم تكن رئتاهُ ضعيفتين صالحتين لسكن ميكروب السلّ ونموّهِ

والشروط الصالحة لنمو هذا الميكروب نسيج ضعيف وكمية معلومة من الرطوبة . وسبب اصابة الرئتين بهذا الداء هو ان قمتيهما قلما تمتلئان هواء فيضعف نسيجهما هناك . واذا استقرَّ المكروب فيهِ فلا يمنع نموَّهُ دواء من الادوية المعروفة الى الآن . اما القوي الرئتين فانهُ يستنشق مكروبات السلّ ولا تضرُّ بهِ

اذًا ليس الميكروب كلَّ السبب في السلّ بل ان بعض السبب ضعف نسيج الرئتين لاسباب عديدة ونموّ الميكروب على اثر ذلك . فلا يوجد السل بلا وجود الميكروب ولا يوجد الميكروب وينمو بلا وجود نسيج ملائم لنموهِ . ولو فرض ان الميكروب وجد تربة ملائمة لنموهِ فان المرض لا يتقدم مالم تنحطّ قوة المريض بسبب اجهاد قواهُ العقلية او العصبية فالميكروب اذًا سبب من الاسباب واما السبب الجوهري فهو حالة العقل وما يتبعها من انحطاط قوى العليل وهذا هو الامر الذي لم ينتبه الاطباء لهُ حتى الآن

ولست اريد بهذا القول ان حالة العقل هي السبب المباشر للسل ولكنها الشرط الاهم الذي

يجب الانتباه لهُ في علاج هذا الداء . فان سبب السلّ ضعف اعصاب الحركة في الرئة وغيرها من اعصابها . وضعف اعصاب القلب والمعدة وغيرهما من الاعضاء الداخلية التي لها علاقة بهضم الطعام وتمثيلهِ . ولما كان العقل متسلطاً على اعصاب الحركة وغيرها تمام التسلط فان فيهِ سبب الخلل الاصلي . فاذا اجهد العقل بشدة الهم او الخوف او غيرهما من المهيجات الطبيعية او العقلية دبّ الخلل اليهِ وتطرق منهُ الى الجهاز العصبي كلهِ . واذا طال الاجهاد بات العقل ضعيفاً وفقد سلطتهُ على الجسم فتختل الاعصاب وتعود غير كفوءٍ للقيام بوظيفتها الاصلية

فاذا اضطرب العقل او تهيج تغيَّر عمل القلب والمعدة وغيرها من اعضاء الجهاز الهضمي فيتعطل الهضم والتمثيل ويعقب ذلك سوء التغذية فالهزال الذي يصاحب هذا المرض عادة وتضعف اعصاب الحركة التي في الرئتين فيتعذر عليهما قذف المادّة التدرنية التي تجمعت فيهما والتي لا تزال تتجمع بسرعة عظيمة للسبب عينهِ . واذا ضعف القلب فضعفت الدورة الدموية وضعفت المعدة وسائر اعضاء الهضم فصارت عاجزة من هضم الطعام وتمثيلهِ كما يلزم وضعفت الرئتان فصارت عاجزتين عن قذف المادة التدرنية فلا عجب اذا تجمع الصديد فيهما وتكاثرت المكروبات وأسرع نبض العليل وارتفعت حرارتهُ

وقد ظهر من التجارب الحديثة انهُ اذا أُصلحت الاسباب الحقيقية وزاد عمل القلب عاد النبض والحرارة سريعاً الى مجراها الطبيعي وبقيا كذلك ولو كان في الرئتين كمية كبيرة من المادة التدرنية . وندر ان يسرع النبض وترتفع الحرارة بعد ذلك ما لم يستولِ على العليل اضطراب عقليّ . اما المادة التدرنية التي تبقى في الرئتين فتقذفها الرئتان حالما يقوى نسيجهما واعصاب الحركة التي فيهما

واهمُّ ما في السلّ امر علاجهِ . ولما كانت احوال المرض تختلف كثيراً باختلاف المرضى بهِ فلا يمكن تعيين علاج واحد للجميع على ان الارشادات التالية تفيد في اغلب حالات المرض وتلائم المسلولين الذين تقدَّم سير المرض فيهم بنوع خاصّ

قالوا ان هذا المرض لا يشفي اذ ليس للمريض قوة حيوية كافية ولا قوة عصبية لمقاومة المرض . ولما كان الامر كذلك فاول ما يجب الانتباه لهُ المحافظة على ما بقي للمريض من القوة العصبية وابعادهُ عن كل ما يسلب تلك القوة منهُ . ولبلوغ ذلك يجب ان يعلَّم كيف يفتكر و يتنفس ويتحرك على اسلوب منتظم . فقد عرف أن بعض الاطباء نجح نجاحاً واضحاً في معالجة المسلولين بتعليمهم التنفس العميق المنتظم . وسبب النجاح هو اولاً تفتح خلايا الرئتين وادخال الهواء النقي اليها وثانياً انهُ اذا اخذ العليل يتنفس تنفساً منتظماً صار تفكرهُ وتحركهُ

منتظمين ايضاً فاستراح العقل وجميع اعصاب الجسم

ثم انهُ اذا كان المرض متقدماً فليقم المريض في غرفة واسعة تدخلها الشمس ولتبقَ شبابيكها مفتوحة ليلاً ونهاراً وليخبر بالسبب الحقيقي الذي افضى الى مرضهِ وان شفاءهُ يتوقف على ما يبذل من السعي للتسلط على افكارهِ وعقلهِ فيتجنب كلَّ ما من شأنهِ ان يثير عوامل الخوف والهمّ وغيرهما من الامور التي تهيج عقلهُ او تتلف قوتهُ العصبية . وليعلَّم التنفس البطيء العميق المنتظم فيعدّ عدداً معلوماً عند كلّ تنفس ثم يزاد العدد باتساع رئتيهِ وازدياد قوتهِ

وليحذر اهل بيتهِ ان يسأَلوهُ عن صحتهِ وان يعترضوا عليهِ كلما سعل لان سعالهُ امر اضطراري وليس في وسعهِ ان يتجنبهُ ولا يسمح للعوَّاد الذين يهيجونهُ باقوالهم ان يعودوهُ . ولا يلحوا عليهِ في الخروج للتنزه في الايام المشمسة بل ليتركوهُ يتنفس الهواء النقي ويتمتع بنور الشمس وحرارتها بلا حركة ولا تعب . اما التنزه خارجاً فيلجأُ اليهِ متى استعاد قوتهُ البدنية والعصبية فبات وهو يستطيع التنزه من غير ان يلمّ بهِ ضعف بعد ذلك . والدلك يقوم مقام الرياضة وكثيراً ما يقلق المرضى بالبحث في حالة نبضهم وحرارتهم وخير ما يفعل ان يتناسى هذا الامر وخصوصاً في حضرتهم

واقول اخيراً ان الدلك يفيد فائدة عظيمة لانهُ يساعد القلب على عملهِ فتحسن الدورة الدموية . فليكن الدلك خفيفاً جداً ومنتظماً وسرعتهُ مثل سرعة النبض الاعتيادية . والاَّ فاذا زاد الضغط على جدران الاوردة والشرايين افضى ذلك الى زيادة احتقان الدم وتهيجهِ في المواضع الملتهبة

ومن اهم الامور في علاج السل ان يراح العقل من جميع المشاغل والهموم النواصب . فان الم الضرس كافٍ احياناً لاهاجة العقل ومنع سكونهِ وانتظامهِ . وليتذكر دائماً ان اعظم ما يحتاج العليل اليهِ سكون عقلهِ سكوناً تاماً حتى يسترجع قوتهُ الاصلية ويستطيع ان يتمم وظيفتهُ الطبيعية . انتهى

ولا ندري كيف يعلل الكاتب حدوث السل في العجماوات ولاسيما القرود فان اكثر ما يوضع منها في بساتين الحيوانات يموت بالسل وهي لا تهتم اقل اهتمام عقلي وغاية ما في الامر ان ميكروب السل يصيب رئاتها بكثرة فلا تقوى عليهِ ولو اطلقت في الخلاء حيث تستنشق الهواء الخالي منهُ لتغلبت رئاتها عليهِ وشفيت منهُ . فان كان للعقل تأثير فيكون تأثيرهُ في التغذية العامة وهي اذا ضعفت اتسع المجال لميكروب السل فيفعل فعلهُ الذريع

باب الزراعة

غسول مكدوجال

قرأنا عن فائدة هذا الغسول في شفاء البقر والغنم والجمال من الامراض الجلدية التي تصيبها وعن فائدتهِ ايضاً في وقايتها من القراد والذباب وما اشبه ثم التقينا باحد الذين جربوهُ فاكدَّ لنا فائدتهُ ويقول اصحابهُ " ان اكثر المزارعين الانكليز يغطسون اغنامهم فيهِ مرتين او اكثر في السنة ونتيجة ذلك ان داء الجرب يكاد يستأصل استئصالاً تامًّا فضلاً عن ان هذا الغسول يستأصل شأفة الاوبئة التي تسببها الحشرات فلهُ فائدة كبيرة في انهُ يحسن نوع الصوف ويزيد في نموهِ . والصوف الذي غمس في غسول مكدوجال يبقى ناعماً . ومن خواص هذا الغسول انهُ يزيد في نمو الصوف نحو عشرين في المئة في بعض الاحيان وعلى كل حال فانهُ يزيد في نموهِ ما يفوق ثمن الغسول ويحسن لونهُ ولمعانهُ تحسيناً عظيماً بحيث يجد المزارع باباً للربح في استعمالهِ . ولم تخف هذه الحقائق على المزارعين واصحاب المواشي في بريطانيا العظمى ولاسيما في اسكتلندا وتبيّن لهم الربح الحاصل من الانتفاع بها فهم يغطسون كل اغنامهم في هذا الغسول مرتين او ثلاثة كل سنة ". وقد نشر وكلاء مكدوجال في القطر المصري رسالة وصفوا فيها الحشرات التي تسطو على المواشي من قراد وقمل وجرب ونعر فاقتطفنا منها ما يلي لما فيهِ من الفائدة

١ — القراد

القراد حشرات طفيلية شديدة البأس تمتص الدم مصًّا . ويتولد القراد واحدةً فواحدةً ومع ذلك فانهُ يتكاثر بسرعة غريبة وهو يلتذ كثيراً بامتصاص الدم ولكنهُ يستطيع النمو والتكاثر بدونهِ ويعيش مدة غير محدودة على الارض الى ان تسنح لهُ اول فرصة يتمكن بها من التعلّق بصوف الغنم والجمال وغيرها فيحمل عليها حينئذٍ حملةً شعواء فيفقدها راحتها ويكلفها عناء عظيماً

وجسم القرادة او بطنها يتألف من غشاء يمكن تمددهُ كأنهُ كيس مطّاط وهي تملأهُ بمقدار كبير من الدم الذي تمصهُ فتخزن ما يزيد عنها منهُ الى وقت الحاجة في المستقبل . ولما ست

ارجل متساوية في الطول وفي كلٍّ منها سبعة مفاصل تنتهي بكلابات تمكنها من التمسك بصوف الحيوان وشعره

وتكون هذه الحشرة في الدور الاول من ادوار حياتها دودة تتكون في البيضة وهي في بطن امها . وتكون في بادئ الامر لينة صفراء اللون ولكنها تقسو حالاً ويصير لونها اسمر وهي بيضوية الشكل بطرف مسطح وتلتصق بالصوف بواسطة ما يفرزهُ جلد الغنم والجمال . واذا تمَّ نموُّها خرجت من البيضة قرادةً كاملةً تفترس وتتكاثر

٢ — القمل

القمل لا يلازم الغنم دائمًا كالقراد ويندر وجودهُ حيث تعالج الماشية بالعلاج المناسب ويظن بعض الرعاة انهُ زال من اغنامهم ولكنهم كثيرًا ما يخطئون لانهُ يوجد في قطعان عديدة ويكون كثيرًا جدًّا . ويسمى غالبًا بالقمل الاحمر واحيانًا بالقمل الابيض لان رأسهُ وعنقهُ حديديًّا اللون وجسمهُ اصفر باهت اللون فيهِ خطوط سوداء

والقمل يفضل الوجه الداخلي من ساق الحيوان وجوانب العنق والصدر . ووجودهُ حول العنق وعلى الكتفين والظهر هو الذي يجعل الحيوان يُدخل عنقهُ بين قضبان الابواب الحديدية وغيرها ليحكها بها

فاذا رأيت الصوف قد سقط وزال في بعض الاماكن وكذلك اذا رأيت الخروف يعض كفلهُ او يخدش مرفقيهِ برجليهِ فافحص تجد هناك القمل يثقب الجلد ليمتص الدم

٣ — الجَرَب

ان حيوان الجرب هو الذي يسبب الجرب في الغنم وفي الجمال والخيل وغيرها من الحيوانات . وهو صغير جدًّا لا يزيد حجمهُ على حجم الثقب الذي يثقب بطرف الدبوس ومع ذلك فهو يتكاثر تكاثرًا سريعًا جدًّا واذا لم تتخذ الوسائل الفعالة لدفع شرهِ الحق بالقطيع ضررًا بليغًا جدًّا . فهو يحفر في الجلد ويهيج اللحم تحتهُ . واذا ولد حيوان الجرب انثى على صوف الحيوان اسرعت الى جلدهِ فاخترقتهُ ودخلت فيهِ ولم تترك خارجًا سوى نقطة حمراء . وبعد مضي نحو عشرة ايام ترى انتفاخًا قليلاً في المكان الذي دخلت فيهِ ويتغيّر اللون فيصير مخضرًّا . ثم تتكوّن بثرة صغيرة ولا يمضي ستة عشر يومًا حتى تصير هذه الانثى امًّا فتخرج من مكمنها باولادها . وفي الحال تبدأ كلٌّ من الصغار بعيشة مستقلة عن اخواتها فتحفر في الجلد لنفسها وتكمن هناك وهي تقتات من لحم الحيوان كما فعلت امها قبلها . ويستمرُّ هذا الامر كذلك حتى يبلغ عددها

الالوف والربوات فتعذب الغنم والجمال عذاباً اليماً ولاسيما في الشرق حتى اذا لم تعالج المعالجة الصحيحة فقد تودي بحياتها

وافضل الوسائط لوقاية الماشية ان تحفظ دائماً في حال النظافة التامة هذا ما عدا تغميسها في غسول مكدوجال . ولا تفي العلاجات بالمقصود الاَّ اذا اعتني بالغنم كل الاعتناء

وحشرة جرب الغنم التي تسبب هذا الداء صغيرة جداً لا يراها بالعين المجردة الاَّ من كان متمرناً على رؤيتها ولكنها تُرى بكل سهولة بواسطة نظارة مكبرة وهي تغور في اللحم وتقتات عليهِ وتكثر بسرعة عظيمة فتسبب التهاباً شديداً . واذا دخلت جسماً افرزت مصلاً يجف على الجسم بهيئة قشرة . وتعيش حشرات الجرب تحت هذه القشور فتضع بيوضها وتنمو وتتكاثر بسرعة عظيمة حتى اذا اصيب مكان بها فقد تنتقل الى مكان آخر من الحيوان نفسهِ . واذا اخذت احدى هذه القشور على طرف سكين وفحصتها بنظارة مكبرة رأيت حشرات الجرب تحتها ورأيت ايضاً بيوضها

وتبيض انثى حشرة الجرب من عشرين الى ثلاثين بيضة وتموت وتولد صغارها من البيض بعد نحو سبعة ايام لا يمضي عليها ثمانية ايام اخرى حتى تبدأ تبيض . فهنا حقيقة يجب على كل من يهمهُ هذا الامر ان يبقيها في ذهنهِ لانهُ اذا عولج الحيوان بالعلاجات الواقية ماتت كل الحشرات والبيوض التي يصل اليها الغسول اما البيوض التي تكون مطمورة تحت الجلد فلا يصلها الغسول وتبقى حية . فمن الواجب اذاً اعادة المعالجة بعد مرور عشرة ايام او اربعة عشر يوماً فتكون البيوض المخبأة في هذه المدة قد بلغت وخرجت صغارها من مكامنها ولكن لم يمضِ عليها وقت كافٍ لتبدأ في وضع بيضها

ومن خصوصيات بيوض الجرب انها تستطيع ان تبقى حيَّة وقتاً طويلاً بعيدة عن جسم الحيوان . ولكنها اذا اتصلت بجسم حيوان سليم باية واسطة كانت فلا يمضي عليها وقت طويل حتى تتحول الى حشرات . ولذلك فكثيراً ما يصاب الحيوان بالجرب ولا يعلم صاحبهُ كيف اتصلت العدوى بهِ

يتبين من هذا الامر ومن كون المرض سريع العدوى جداً ان استئصالهُ والقاءهُ من اصعب الامور الاَّ اذا اتخذت التدابير اللازمة وعمل بموجب الارشادات المذكورة

والحيوانات الجرباء كثيراً ما تحتك بكل ما تصل اليهِ كاعمدة التلغراف والاشجار وغيرها وبعملها هذا ينتقل منها شيء من حشرات الجرب او بيوضها او من النوعين فتبقى هنالك وتنتقل الى الحيوانات السليمة وتعديها . وقد يتصل المرض بالعدوى من عربات النقل في السكك

الحديدية ومن الشوارع ومن الطرق ايضاً واذا اختلطت نعجة جرباء بقطيع سليم فقد تعدي القطيع كله في اقصر وقت

اعراض الداء — اذا كان الجرب قد بلغ درجات متقدمة فلا يصعب الوقوف على اعراضهِ واما اذا كان لم يزل في اوائلهِ فالحكم في وجودهِ وعدمهِ من صعاب الامور . والحيوانات المصابة تصير قلقة منزعجة وتكثر من حك جسمها لتسكين الالتهاب . ثم يبدو الصوف في البقع المصابة رثاً باليا ثم يسقط ويبقى مكانهُ عارياً . واذا تقدم الداء في الدرجات ظهرت قشور الجرب فثبت الحكم بوجودهِ

الشفاء — ان شفاء الجرب ليس صعباً بشرط ان يعالج المعالجة المناسبة بالعلاج المناسب بدون تأخر . فاذا اصاب الجرب قطيعاً كاملاً اوحيواناً واحداً فيجب الاسراع في معالجتهِ بدون ابطاء

وفي معالجة الجرب في الخيل والجمال والمواشي يجب مراعاة الامور الآتية :—

١ استعمل انجع الادوية فقط واحذر السموم الضارة

٢ تحقق مقدار كل من الغسول والماء المستعمل لتعلم قوة المزيج بالتدقيق

٣ انتبه حتى يكون استعمال العلاج على اتمهِ

٤ كرر المعالجة بعد عشرة ايام او اربعة عشرة يوماً

٥ طهر الاسطبل او الزريبة او غيرها حيث كانت الحيوانات الجرباء وكذلك كل الاعمدة التي قد حكت جسمها بها والأ فانها تعود وتصاب ثانية بعد ان تكون قد شفيت

٦ لا تنسَ ان غسول مكدوجال قد أعدَّ خصوصاً لشفاء هذا الداء العياء وهو افضل وانجع دواء من نوعه وصل العلم الى اكتشافهِ

٤ — النعر وذباب الخيل

يدخل تحت هذا الاسم ما لا يقل عن اربعة اجناس من الذباب الذي يسطو على لحم الغنم واشهر هذه الاجناس ما يسمى بالذباب الازرق وهذا لهُ صدر ازرق قاتم وجسم ازرق لامع . والجنس الثاني ذباب رمادي الصدر لهُ ثلاثة خطوط سوداء على ظهرهِ وجسم رمادي مخطط خطوطاً طولية وقد يكون احياناً ناصع البياض . والجنس الثالث لهُ صدر ازرق لامع وجسم اخضر . والجنس الرابع جسمهُ اخضر لامع ويعرف باسم ذباب اللحم الاخضر

وهذه الحشرات خفيفة الحركة فلا تنقطع عن التفتيش على طعامها وعلى مكان مناسب تضع فيهِ بيضها . وقد تحقق ان الانثى الواحدة من هذا الذباب تبيض عشرين الف بيضة وهذه كلها تتحوّل الى دود تلهم كلّ منها من اللحم اكثر من الحشرة البالغة . وقد وجدوا ان الدودة من هذا الدود اذا ساعدتها الاحوال يزيد ثقلها مئتي ضعف في مدة لا تتجاوز ٢٤ ساعة .وهي تقتات بكل انواع اللحم الفاسد واللحم الحي ايضاً اذا تمكنت من الوصول اليهِ . واذا ساعدتها الاحوال يتكامل بلوغها في خمسة او ستة ايام فتنقطع عن الاكل وتحفر في الارض الى عمق بوصتين او ثلاث وتقضي هناك الدور الثالث من ادوار حياتها . ثم لا يمضي عليها اسبوعان حتى تتمزّق القشرة المحيطة بها فتخرج منها ذبابة لحم كاملة وتسعى وراء طعامها ومكان ملائم تبيض فيهِ

ويضع هذا الذباب بيوضهُ على الغنم في انكلترا من شهر مايو الى شهر سبتمبر وخصوصاً في شهر اوغسطس واوائل سبتمبر . وتقوى شجاعتهُ في الطقس الحار الممطر ويفضل وضع بيوضهِ حول الذيل وعلى الظهر . ومتى تحوّلت هذه البيوض الى ديدان وبدأت تلتهم اللحم صار الصوف في ذلك المكان قذراً وانبعثت منهُ رائحة كريهة تجذب الذباب اليهِ ليضع بيوضهُ هناك وهكذا يستمر هذا العمل حتى اذا مضى على الخروف اربع وعشرون ساعة وهو على هذه الحال فقد لا يبقى رجاء من شفائهِ واذا مضى عليهِ ٤٨ ساعة فقد يموت متألماً . فاذ قد تبين ما لهذه الحشرات من الضرر البليغ على القطعان فيجب اتخاذ كل الوسائط الفعَّالة لوقايتها منها . والاغنام الضعيفة او ذات الصوف القذر معرضة للاصابة اكثر من سواها فيجب ازالة كل آثار الاسهال . وتنظيف كل الجراح وتضميدها وربطها

موسم القطن

صلح الهواء بعد ما كتبناهُ في الشهر الماضي فجادت زراعة القطن في هذا القطر وفي اميركا جودة قليلة النظير فهبطت الاسعار جدًّا ولا تزال آخذة في الهبوط لانهُ اذا بلغ الموسم المصري سبعة ملايين بالة كما ينتظر زاد على المقطوعية الاَّ اذا تحوّلت بعض المعامل من غزل القطن الاميركاني الى غزل القطن المصري وذلك محتمل ومنوي . ثم اذا جاد الموسم الاميركي فبلغ اكثر من احد عشر مليون بالة فلا بدَّ من ان تزيد الاسعار هبوطاً وتكون الخسارة عامة

محصول القطن في اميركا

القطن السي ايلند اغلى اصناف القطن الاميركي لانهُ اجودها ويعتني الاميركيون بزراعتهِ اكثر مما يعتنون بزراعة غيرهِ ومع ذلك لا يزيد حاصل الفدان منهُ على اربعة قناطير وكثيرًا ما لا يبلغ الحاصل قنطارًا ونصف قنطار والمتوسط قنطاران او قنطاران ونصف . اما نفقات الزراعة فتبلغ ستة جنيهات ونصفًا وقد نشرت الحكومة الاميركية تعديل الحاصل والنفقات بعد ان بحثت في ذلك بحثًا دقيقًا فوجدت ان متوسط حاصل الفدان في بعض الاماكن ٢١٠ ارطال من القطن الشعر و ٧١٤ رطلاً من البزرة (او ١١٧ بشلاً) وبلغ ثمن القطن والبزرة ١٢٢٣ غرشًا وبلغت نفقات الزراعة ٦٤٨ غرشًا فيكون ايراد الفدان من السي ايلند ٥٧٥ غرشًا لا غير . والمتوسط في بلاد واسعة يقل عن ذلك كثيرًا وقد بلغ ٢٠٤ ارطال من القطن الشعر وبلغ صافي ايراد الفدان منها ٤٤٩ غرشًا . ولذلك لا يزيد ايجار الفدان هناك على ستين غرشًا ويبلغ ثمن السماد ١٤٠ غرشًا

وهاك جدول النفقات كما ذكرتها الحكومة الاميركية سنة ١٨٩٦

ايجار الفدان	٥٧	غرشًا
حرث	٥٠	"
تقاوي	١١	"
زرع	٠٩	"
ثمن سماد	١٣٩	"
وضع السماد	٦	"
عزق	٨٦	"
جمع	١٥٦	"
حلج وكبس	٩٩	"
خيش وحزم	١٢	"
شحن	٣٦	"
تصليح الادوات	٢١	"
مصروفات أُخرى	٣٤	"
	٧٠٦	

وثمن القطن والبزرة ١١٥٧ فيكون صافي الربح للفلاح ٤٥١ غرشاً

فاذا جاد هذا القطن في القطر المصري كما يجود في اميركا فلا نفع منهُ لان صافي ايراد الفدان من القطن العفيفي او الينوفتش اكثر من ذلك كثيراً ولا يندر ان يؤَجر فدان القطن بعشرة جنيهات

حشرتان

كتب المستر كارتريط في مجلة الجمعية الزراعية الخديوية ما ترجمتهُ :

زرت كفر الزيات فأروني نوعاً من الحشرات يفتك بثمر البرتقال ويوقع بهِ شرَّ التلف . وذلك انهُ بعد ما يصيب البرتقالة تسقط الى الارض قبل نضجها واذا ضغطت باليد ظهر انها لينة وتحت القشرة عدد من الدود يأكل الاجزاء اللينة من البرتقالة

وطول الدودة ٨/٣ البوصة ولونها ابيض مصفرٌّ ورأسها اسود . فربيت بعضها فوجدت انها دود الحشرة المسماة "تربيتا كابيتاتا" وهي ذبابة صغيرة جميلة ذات جناحين تضرب الخوخ (الدراقن) كما تضرب البرتقال

وعند ما تترك الدودة البرتقالة تنزل الى الارض لتصير ذبابة . ولا يبعد ان هذه الحشرة تلد اكثر من مرة في السنة فلذلك تصعب معالجتها لا سيما وانهُ لا يعرف ما هو الطعام الذي تقتات بهِ حين لا يوجد برتقال

وهناك طريقتان لتخفيف ضررها الاولى ان تجمع الثمار الساقطة حالاً بعد سقوطها اي قبل خروج الدود منها الى الارض وتتلف اما باحراقها او باطعامها للخنازير

والثانية ان ترشَّ الارض تحت الشجر بمزيج يتألف من جزءٍ من كبريتات الحديد و ٢٤ جزءا من الرمل ثم ترشَّ بالماء فيهلك بذلك الدود الذي يخرج من الثمار الساقطة

ولا حاجة الى القول ان من الواجب اتفاق اصحاب البساتين على ذلك اذ لا فائدة من ان يهلك الواحد الحشرات التي في بستانهِ على حين ان الآخر يهمل ذلك فان الحشرات تنتقل من المكان المصاب الى المكان السليم بسرعة

ومن الحشرات التي شاهدتها ذبابة القمح المسماة "هيليا كواركتاتا" . فقد شوهد ان بعض نبات الشعير المزروع في حقول المدرسة الزراعية اخذ يصفرُّ ويموت فكانت الورقة الوسطى تموت اولا ثم تتبعها بقية النبات . وعند الفحص ظهر ان البرعم الاخير أُكل وان آكلهُ دودة صغيرة طولها من ٤/١ بوصة الى ٨/٣ . فانها ثقبت ثقباً في الغلاف وسارت حتى بلغت طرف

القصلة فأكلتهُ ثم تركت هذه النبتة من الثقب نفسهِ او غيرهِ وانتقلت الى نبتة اخرى

وهي بيضاء اللون بلا ارجل ولها راس مروَّس وفم مؤلف من مشفرين معكوفين اسودين وعند ذنبها نقطتان سوداوان وفوقهما ثقوب التنفس تمتدُّ القصبة منهما الى داخل البدن وذنبهما مقسوم الى شعبتين لحميتين مسننتين وشعبتين اخريين ابسط تركيباً منهما



منزلة الشعر من التاريخ

الى منشئي المقتطف الاغر وناظمي عقود فرائدهِ الغرر

ان لمجلتكما الغراء يداً على اهل الادب بيضاء فقد محصت الحق من الاقوال كما كشفت عنهُ حقائق الرجال وقد زرت قبيل تاريخ هذا الكتاب احد المشتركين في مجلتكم من الاصحاب فاحضر لي العدد الثالث والرابع من مجلد هذه السنة فبقيت انزهُ النظر في رياض مباحثهما والتقط فرائد فوائدها ورأيت في العدد الثالث منهما تحت عنوان رد على رد وانتقاد للفاضل الاديب امين خير الله افندي رد فيهِ على ما كنا كتبناهُ في التنبيه على ما كان من سهو قلمهِ ولابدع فان الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو فرأيناهُ احسن الله اليهِ قد تلقى ذلك على غير ما كنا نأملهُ من امثالهِ الافاضل الاماثل وقطب وجههُ وحملهُ على غير محملهِ ولم يكن القصد الاَّ تمحيص الحق وصيانة مجلتكم الغراء من وصمات الخطاء ولعلهُ ايدهُ الله لم يظهر لهُ الصواب بعد وضوحهِ ولم ينبلج لهُ صبح الحق بعد ظهورهِ فلذلك تكلم بما تكلم ونحن نشكر فضلهُ على ذلك فان العلم كنز مفتاحهُ السؤال

قد اشتمل كلامهُ على مسائل الاولى انهُ فسر قول حسان

تظل جيادنا متمطرات تلطمهنَّ بالخمر النساء

بقولهِ "ان الجياد كانت مسرعة اشد الاسراع بينما كانت النساء تنفض الغبار عنها". ثم طلب الدليل على انطباق هذا الكلام على صورة واقعية ليكون التخريج مقبولاً. فنقول لهُ من فسر البيت بما فسرت ومن الذي ذكر ما ذكرت وانما الذي ذكرناهُ تفسير لفظ متمطرات وقلنا يقال مطرت الطير وتمطرت اسرعت في هويها وتمطرت الخيل ذهبت مسرعة وجاءت

متمطرة اي جاءت مسرعة يسبق بعضها بعضاً وهذا نص عبارة لسان العرب واستشهد على ذلك بعدة شواهد من كلام العرب ومنها بيت حسان هذا ثم قلنا ان الخُمُر بضم الميم جمع خمار لا كما وهم ولم نبين حاصل معنى البيت هناك اذ لم يكن غرضنا ذلك . ومعناهُ ما ذكرهُ السكري شارح ديوانهِ بعد ان فسر المتمطرات بالخوارج من جمهور الخيل لم تزل جيادنا مسرعات سوابق غيرها لدى الغارات مقرونة بالظفر على الاعداء . يستقبلهنَّ نساؤُهم بنفض الغبار عن نواصيها وما اثرتهُ من النقع في الغارات . فقد حكم على الجياد بحكمين الاول سرعة الجري والثاني الظفر ونيل المقصد وهذا مما تعدد فيهِ الخبر في اللفظ والمعنى فهو مثل قولهِ

ينام باحدى مقلتيهِ ويتقي باخرى الاعادي فهو يقظان هاجع

فاي محذور في ذلك

المسئلة الثانية انهُ استشكل التوفيق بين كون حسان رضي الله عنهُ شاعر الاسلام وان الخمر يومئذ محرمة عليهِ وبين قولهِ "كأَن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء" الى آخر الابيات التي ذكرها . والجواب عنها من وجهين الاول انهُ ظن ما يذكرهُ الشعراء من الغزل والنسب يحمل على حقيقتهِ وظاهرهِ ولم يعلم ان عادتهم كانت تصدير شعرهم بما يستفز السامع ويستلفتهُ الى الاصغاء مما يستلذ بهِ . ولابن رشيق القيرواني في باب المبتدا والخروج والنهاية من عمدتهِ كلام مسهب في هذا المعنى فليراجع فيهِ وهو يدلُّ على ان ما يذكر في النسيب والتغزل لا يحمل على حقيقتهِ

الوجه الثاني ماذكرهُ العلاَّمة الشيخ عبد القادر البغدادي عند شرحهِ لهذه القصيدة من خزانتهِ في الشاهد ٧٣٢ وهذا نص العبارة "يروى ان حسان مر بفتية يشربون الخمر في الاسلام فنهاهم فقالوا والله لقد هممنا بتركها فزينها لنا قولك

ونشربها فتتركنا ملوكاً واسداً ما ينهنهنا اللقاء

فقال والله لقد قلتها في الجاهلية وما شربتها منذ اسلمت ولذلك قيل ان بعض هذه القصيدة قالهُ في الجاهلية وقال آخرها في الاسلام انتهى المراد بآخر القصيدة كما قال السكري في شرح ديوانهِ وغير الابيات التي اولها في هجاء ابي سفيان قبيل الفتح "

واما قولهُ ان الاديب يعمل بمبلغ عملهِ الخ فكلام حق وكلٌّ يعمل على شاكلتهِ ولكن ليس من المروءة ان لاينبه المخطئ على خطائهِ والكامل مرآة اخيهِ وينبغي للاديب ان يصغي للحق ويذعن للصواب وكل احد يؤْخذ منهُ ويرد عليهِ الأمن عصمهُ الله . والاعتراف بالحق من شأن الكمَّل وعلى المستفيد ان يدعو لمفيدهِ وما احسن ما انشدوهُ

اذا افادك انسان بفائدة من العلوم فاكثر شكره ابدا
وقل فلان جزاه الله صالحة افادنيها والغ الكبر والحسدا
فالحر يظهر شكرًا للمعين له خيرًا ويحمده ان قام او قعدا

واما قوله "ولا اعلم من اين جاز له الحكم بخلو مقالتي من ابحاث وهي لم تزل تنشر فقرًا متلاحقة" فنقول فيهِ من امعن النظر فيما كتبناه علم ان المقصود التنبيه على وجوب تقديم الأهم فالاهم من مزايا الامة العربية وشؤونها واحوالها ولا سيما ماذكر في كتاب الاعياد لابي الحسن على ابن المهدي الاصبهاني وكتاب الاعياد لابن عباد اسمعيل الوزير وكتاب الخالع في اديان العرب وغير ذلك من الكتب التي ارشدنا اليها وعلمنا ما فيها من المسائل المهمة في هذا الباب والاعراض عما هو من البداهة بمكان وانهُ من قبيل ان العرب كانت لهم عيون يبصرون بها وآذان يسمعون بها او انهم كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق الى غير ذلك من الضروريات حتى للعجماوات وان سلف الامة وائمة اللغة قد اعطوا هذا المقام حقهُ واستشهدوا على كل قانون لهم وعادة اعتادوها بشواهد من ديوان العرب صادقة عليها ومطابقة لها فاذا نقل الناقل ذلك من مظانهِ امن من مثل ان يجعل جمع الخمار خمرًا

الفقير اليهِ محمد رشيد
مأمور معاينة الكتب في بغداد



تاريخ السودان

الالياذة كتاب الشهر الماضي وتاريخ السودان كتاب هذا الشهر لم تبتدعهُ قريحة هوميروس ولا دبجتهُ يراعة البستاني ولكن دأبت على جمعهِ وتبويبهِ وتنقيحهِ وتهذيبهِ همة تسهل الصعاب فجاء في نحو الف ومئة وخمسين صفحة بقطع يقارب قطع المقتطف وحرف يقارب حرفهُ وهو ينطوي على وصف بلاد السودان الجغرافي والطبيعي والاداري ووصف شعوبها وتاريخهم من اول ما يصل اليهِ التاريخ الى زمن الفتح المصري وذلك في الجزئين الاولين من اجزائهِ وهما يشغلان نحو اربع مئة صفحة ثم تاريخ السودان الحديث من زمن الفتح المصري

الى الآن . والكلام فيهِ مسهب ولا سيما على قيام المهدي وما جرى في عهدهِ وعهد الخليفة الى ان دالت دولة الدراويش ومحقت محقاً واستتب الامن في بلاد السودان كلها

والذي نعلمهُ من امر المؤلف انهُ جمع كل الدلائل والاسانيد التي يمكن الوصول اليها حتى اجتمع لديهِ منها ما لو نشرهُ كلهُ لملأ مجلدات كثيرة ثم عكف عن تلخيصها وتمحيصها حتى وصل الى زبدتها فضمنها هذا الكتاب ولم يدخر وسعاً في تنقيحهِ وتهذيبهِ واضافة الصور والرسوم والخرائط اليهِ فاجتمعت فيهِ كل الفوائد التي يمكن جمعها في كتاب مثلهِ . واننا على كثرة مشاغلنا وقلة الوقت الذي نستطيع ان نشغلهُ بالمطالعة نطالع فيهِ الساعة بعد الساعة عن طيب نفس وقد نشرنا منهُ فصلاً في هذا الجزء للدلالة على بحثهِ الاجتماعي وسننشر فصلاً آخر منهُ للدلالة على بحثهِ التاريخي . ويقيننا انهُ سيلقى من القراء تمام الرضى فيحفظونهُ بين الكتب النفيسة التي تنافس بها اشهر المؤلفات الاوربية . فنشكر لحضرة مؤلفهِ الفاضل نعوم بك شقير ونتمنى ان يقتدي بهِ شباننا الذين يستطيعون الافادة بقلمهم فيقضوا اوقات العطلة في ما تبقى فائدتهُ وتحسن عائدتهُ

تاريخ اللغة العربية

لقد رأى رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان كما رأى غيرهُ من العلماء الذين لهم المام بعلم اللغات ان العربية نشأت وارتقت بالنمو من الداخل والاضافة من الخارج كما هو شأن غيرها فبحث في ذلك بحثاً دقيقاً ووضع خلاصة بحثهِ في كتاب سماهُ تاريخ اللغة العربية قال في مقدمتهِ " اننا نعدُّ ما كتبناهُ في هذا الموضوع الجديد خواطر سانحة فتحنا بها باب البحث لائمة الانشاء وعلماء اللغة فنتقدَّم اليهم ان يوفوا الموضوع حقهُ او يزيدونا منهُ لانهُ يحتاج الى بحث كثير ودرس طويل وقد اصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم والادب والشعر غاية في الافتقار اليهِ — ليعلم حملَة الاقلام ان اللغة كائن حيٌّ نام خاضع لناموس الارتقاء تتجدَّد الفاظها وتراكيبها على الدوام فلا يتهيبون من استخدام لفظ جديد لمعنى جديد لم يستخدمهُ العرب له "

وعندنا انهُ ليس لهذا المضمار الاَّ مؤلف هذا الكتاب فقد عني بدرس لغات كثيرة فوق ما امتاز بهِ من الميل الفطري الى البحث والاستقصاء فعسى ان يزيدنا بياناً في هذا الموضوع الجليل

وقد قسم تاريخ العربية الى ثمانية فصول وهي العصر الجاهلي والعصر الاسلامي والالفاظ الادارية في الدولة العربية والالفاظ العلمية في الدولة العربية والالفاظ الاجتماعية ونحوها والالفاظ النصرانية والالفاظ الاعجمية في دول الاعاجم والنهضة الحديثة . الآن الالفاظ

التي قال انها دخلت العربية في العصر الجاهلي لم يقم دليلاً على انها دخلت العربية في ذلك العصر ولا نظن ان اقامة الدليل عليها كلها او على اكثرها مما يستطيعهُ الكاتب في هذا العصر لانهُ لم يوضع كتاب في اللغة في العصر الجاهلي ولا دوّن كتاب عربي الاَّ بعد الهجرة بسنين كثيرة فكيف استدلَّ مثلاً على ان العرب عرفوا في الجاهلية الجلنار والدارصيني والخلنجين والقرسطون والاصطرلاب ونحو ذلك من الالفاظ الكثيرة

وقد حقَّق اصل كلمات كثيرة اشكل على علماء العربية معرفة اصلها ككلمة تاريخ . وبحث عن تاريخ كثير من الكلمات العربية وتنوعها في اللغات السامية فقال ان كلمة انبو مثلاً تدل على الثمر مطلقاً. ثم قلبت الى عنبو وعنب و خصصت بثمر الكرم في العربية والعبرانية والسريانية . وكلمة امرء اصل دلالتها على القوة ولا يزال معناها الرب في السريانية وهي من اصل قديم مشترك في امهات اللغات فانهُ في اللاتينية فير ونحوهُ في الهندية . وفصول الكتاب كلها على هذا النسق ويفتقر كثير منها الى زيادة في التحقيق مثل اكثر ما يذكر في علم اللغات لكنها بداءة جليلة لبحث مفيد فنشكر لحضرة واضعها ونتمنى ان يزيدهُ اسهاباً

الشاي والقهوة والدخان

اتحفنا حضرة العالم الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي برسالة في الشاي والقهوة والدخان ذكر فيها اصل الشاي والقهوة وصناعتهما وكيفية اجتنائهما واعدادهما للشرب وخواصهما واقوال شعراء العرب في مدحهما . ثم استطرد الى الدخان فجعل الكلام عليهِ في سبعة فصول في منشإهِ وتاريخ ظهورهِ بين العرب وادوات استعمالهِ ومضرات التدخين من حيث تأثيرهُ في الفم والمعدة والدم والمجموعين العصبي والعضلي ولطائف ما نظم فيهِ

وقد بعث الينا حضرة المؤلف بكتاب قال فيهِ عن رسالتهِ " وكنت من نحو اربع عشرة سنة اتلقف ما جمعتهُ فيهامن اسفار عديدة وقد اقتبست من مجلتكم العلمية مواضع لها واكتفيت بشهرتها عن تسميتها " فنشكر لهُ اتحافهُ ابناء العربية بهذه الرسالة المفيدة

ديوان الجوهر الفرد

اهدى الينا حضرة خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة في بيروت ديوان الجوهر الفرد او الشعر العصري من نظم صاحب السعادة سليم بك عنحوري الشاعر الدمشقي المشهور وهو قصائد ومقاطيع ادبية في التربية والعوائد والاخلاق والحقوق والواجبات والفضائل والنقائص من ذلك قولهُ في الثبات

اثبت بمهنتك التي تختارها . بعد التروي اذ تفوز وتنجحُ
واربأ بنفسك ان تزاول غيرها كلُّ امرءٍ متقلبٍ لا يفلحُ

والفرق بين البيتين كبير من حيث بلاغة التركيب حتى لا يكاد قارئهما يحسب ان ناظمهما واحد او انهُ نظمهما في وقت واحد . وقال في الصدق

ان خفت شيئًا لا تقل او قلت شيئًا لا تخف
ان الذي يحكي وينكر م عدَّ من اهل الخرف

وقال في الكذب

ايها الكاذب الملفق قل لي اي خير تنال من شر زورك
ليس فيهِ سوى الفضيحة والعا ر فدعهُ تجد علاجَ غرورك

وكثير من المعاني عصريٌّ كقولهِ في الفضول

يا من نراهُ باحوال الممالك مهـ تمًّا يحدث دومًا عن سياستها
دع السياسة للحكام تصلحها وانظر امورك وافكر في استقامتها

وقولهِ في المساواة المدنية

اصنع جميلاً ما استطعت ولا تكن ممن يميز مؤمنًا عن جاحدِ
واحبب جميع الناس شخصًا واحدًا ثم انعطف حبًّا لذاك الواحدِ

وقوله في التبكير

نم قبل نصف الليل وانهض باكرًا للدرس والانشاء في الصبح المنير
من كان يحيي ليلهُ بدروسهِ وينام صبحًا مات اعشى او ضرير

وقولهِ في اساس الثروة

تبذيرك المال الذي تعطاهُ من عدم السداد
ليس الغنى بزيادة ال ارباح بل بالاقتصاد

وفي هذا الديوان قصائد حكمية جامعة بين الغثّ والسمين والمبتكر والمبتذل مثل غيرهِ من دواوين الشعر في كلّ قطر وعصر

نسمات الصبا

نسمات الصبا في منظومات الصبا من نظم حضرة الشاعر الاديب جرجي افندي شاهين عطيه محرر جريدة لبنان وقد اهداهُ الى حضرة والدهِ الفاضل المعلم شاهين عطيه وقال في اهدائهِ

اليك ارفع من نظمي ومن ادبي ما انت علمتني في سالف الحقب
لم ابغ في نشره فخرًا ولا شرفًا فقد كفاني فخرًا أن غدوت أبي

ومن قصائده قصيدة يتغزل فيها بمحاسن لبنان الطبيعية واخرى في وصف المخترعات العصرية مطلعها

أما لابي البرية أن يُعادا فينظر كيف هذا الكونُ عادا

وقد اجاد في وصف تلك المخترعات من مثل البخار والتلغراف والكهربائية والبلون وغيرها. وكثير من القصائد في المدح والرثاء والتهنئة ومنها قصيدة في الحب قال فيها

ألا ان المحبة خير بردٍ ينزهُ لابسيهِ عن العيوبِ
وليس الحبُّ وجدك والتصابي على غزلان رامة والكثيبِ
وليس اخو المحبة من تردّى بثوب من تبرُّجهِ قشيبِ
فأوغلَ في المحارم والمناهي ومال الى التغزل والنسيبِ
ولكنَّ المحبة ان تواسي اخا النُّوب الملمّة والخطوبِ
وانجاد الفقير على الرزايا ونصرةَ كلِّ ذي طرْف سكوبِ

ومنها قصيدة رقيقة في "الام والطفل" وقد اشار بها الى امٍ قُتلت هي وطفلها في حادثة انهدام منزل ببيروت. وقصيدة عصرية في فتيان العصر وفتياته وكلا القصيدتين جزل اللفظ حسن المعنى والتركيب

وفي الديوان مقاطيع لطيفة وحكم كثيرة وتواريخ محكمة فنثني على حضرة ناظمه عاطر الثناء

روايتان

امامنا روايتان للتقريظ احداها رواية "قلب الرجل" من قلم حضرة الكاتبة الفاضلة السيدة لبيبة هاشم وهي رواية ادبية غرامية اهدتها الى جمعية السيدات المارونيات لفم ما يتيسر من ريعها الى دخل الجمعية. وهي اريحيّة للمؤلفة الفاضلة تذكر لتشكر أكثر الله امثالها بين ربات الاقلام

والاخرى رواية "الهناء بعد العناء" او مدام دي شمبلاوي من روايات اسكندر دوماس وقد عربها حضرة الاديب نجيب افندي مرقس اللاذقاني وطبعها حضرة الخواجه ابرهيم فارس صاحب المكتبة الشرقية على نفقته

كتب وكراريس مختلفة

من الكتب التي بين ايدينا للتقريظ "المفرد العلم في رسم القلم" لمؤلفهِ الاديب الشيخ احمد افندي الهاشمي مدرس البيان والانشاء في القسم التجهيزي ومراقب مدارس فكتوريا الانكليزية وهو يبحث في كيفية رسم الحروف كالالف والهمزة سواء كانت في اول الكلمة او وسطها او آخرها . وفي ما يجب فصلهُ وما يجب وصلهُ وزيادة الهمزة والالف وهاء السكت والواو وحذف الياء والتاء وما اشبه ذلك من المباحث

ثم "كتاب الدليل النفيس الى اعمال الضبط والبوليس" بقلم حضرة الاديب محمود افندي لطفي احد موظفي قلم ادارة مديرية اصوان . ومن مواضيعهِ اوراق التشبيه والكشوف الطبية والصلح في مواد المخالفات والآلات البخارية والمحلات العمومية والحشيش والخمّارة واللقطاء والكلاب الضالة والحرائق والاسلحة وغير ذلك من اعمال الضبط في جهات الادارة وما يتعلق بها من لوائح ومنشورات وما طرأ عليها من التعديلات

ثم كتاب "ميامر ثاودورس ابي قرة اسقف حران" وهو "اقدم تأليف عربي نصراني" عني بطبعهِ حضرة المحترم الخوري قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص وهو كتاب دينيٌّ يبحث في حرية الانسان الادبية والتثليث وموت المسيح وصحة الانجيل وما جرى مجراها من المباحث الدينية

ومن الكراريس كراس في الدولة العلية وماليتها تأليف الكاتب العثماني الغيور (م . ق) وقد تكلم فيهِ على شورى الدولة ووزراء المعارف والجمارك والبلديات ووزارات الحرب والبحر والنافعة وسياسة الدولة الخارجية .

وآخر في البورصة بقلم حضرة الاديب نسيم افندي العازار وقد بحث فيهِ عن حالات البورصة واعمالها وختمهُ برمل ظريف في البورصة واساليب المشتغلين بها قال في مطلعهِ

هذه البورصة إسم اعجمي . جلبت للشرق من غرب أبرّ
لفظها الناعم اشهى نغمة من غنا الشحرور في ظل الشجر
جعلوها سوق ارزاق لكي يسهل المتجر فيها للبشر
وهي لا قطن ولا بزر ولا حنطة فيها ولا رسم الدرر
لا ولا بنٌّ ولا فول وما لصنوف الرزق فيها من اثر
انما ارزاقها اسماؤُها وعلى القرطاس بالحبر تجر



اوجه القمر في شهر يوليو

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٦	٠	٥٤
الهلال	١٣	٧	٢٧
الربع الاول	١٩	١٠	٤٩
البدر	٢٧	١١	٤٢

السيارات

يختفي عطارد بنور الشمس في اوائل الشهر ثم يصير نجم المساء

ولا ترى الزهرة لقربها من الشمس

و يشرق المريخ قبل الشمس بساعة

ويشرق المشتري نحو نصف الليل . وزحل نحو الساعة ٨ ونصف مساء

معادن كوريا

كوريا غنية بالمعادن واخصها الذهب والفضة والحديد والفحم الحجري والبترول . فقد استخرج من الذهب من مناجمها ما بلغت قيمتهُ ١٢٠٠٠٤٠ ريالاً سنة ١٨٩٨ و١٦٦٦٧٠ ريالاً سنة ١٨٩٩ و١٨١٦١٠٠ ريال سنة ١٩٠٠ و٢٥٥٨٧٠٠ ريال سنة ١٩٠١ و٢٥٨٥٢٠٠ ريال سنة ١٩٠٢ ومعظم ذهبها يرسل الى اليابان .

العلوم الطبيعية وغيرها

ادبت الجمعية الملكية الانكليزية مأدبة لاعضاء جمعية الأكادميات المختلطة التي اجتمعت في لندن حديثاً فخطب اللورد غوشن ناظر البحرية السابق وقال انهُ منذ مئة سنة كان اهتمام الناس بالعلوم التي وراء الطبيعة يفوق اهتمامهم بالعلوم الطبيعية ولكن الحال انقلبت الآن عما كانت عليهِ في ذلك الاوان وظهر كأن العلوم الطبيعية ستسود العالم في مستقبل الزمان واخذت الامم تعدُّها محور نجاحها فالامة التي تعنى بتلك العلوم اكثر من سواها هي الفائزة في معترك الحياة . ولكن يسرُّني ان اكثر الاكادميات تعلّم العلوم الادبية والسياسية مثلما تعلم العلوم الطبيعية وان لم تكن نتائج الاولى مثل نتائج الثانية وضوحاً وجلاء . وعندي انهُ يحسن بالجمعيات التي وقفت نفسها على ترويج العلوم الأدبية والسياسية ان تثبت في مزاحمة العلوم الطبيعية ايتمّ لها الفوز على الجمعيات التي تهتم بالعلوم الطبيعية وحدها دون غيرها

ثم تلاهُ الكونت دي فرانكفيل فقال ان العلم لا وطن لهُ وهو وطنية البشر كلهم وان كل اكتشاف علمي واعتقاد وخطوة في

سبيل التقدم والارتقاء تنبث في كل بلاد مثل اشعة الشمس التي تنير ارجاء العالم مهما اختلفت نحل العلماء ومواطنهم. ولا مرَّ طبيعيٌّ ان يشترك الجميع في ما يعود بالخير عليهم كلهم

ترياق سمّ الافعى

ادبت جمعية الاطباء الاميركيين مأدبة حديثاً فأعلن فيها الدكتور متشل ان طبيباً يابانياً مشهوراً من اطباء مدرسة المصل في كوبنهاغن اكتشف ترياقاً لسمّ الافعى المعروفة بذات الاجراس واسم الطبيب نوجوتشي وانما اعلن الدكتور متشل خبر هذا الاكتشاف دون غيرهِ لانهُ سعى منذ اربعين سنة في اكتشاف دواء يشفي من لدغ هذه الافعى فلم يظفر بطائل. وقد ارسل الدكتور نوجوتشي كتاباً اليهِ يقول فيهِ انهُ استخرج المصل من دم المعزى والمرجح انهُ يمكن استخراجهُ من دم الخيل ايضاً كسائر المصل الذي يستعمل الآن . ووجد المكتشف انهُ اذا حقنت الخنازير بسم الافعى اثنتي عشرة مرة بحيث يبلغ مقدار السم الذي حقنت بهِ المقدار اللازم لموت الملدوغ ثم لقحت بالمصل المذكور لم تظهر فيها اعراض السم

خسارة اليابان البحرية

خسر اليابانيون بلا حرب اكثر مما خسروهُ بالحرب وكانت خسارتهم هذه كلها بحرية فانهُ بينما كانت النسافات اليابانية تطهر مدخل خليج كر من الالغام المنصوبة فيهِ مست احداها لغماً فأطارها . والمصائب لا تأتي فرادى فلم يمضِ على ذلك بضع ساعات حتى مست مدفعية من مدفعياتهم لغماً فنسفها . وبعد ذلك بايام قليلة صدم الطراد المدرع كاسوجا الذي اشترتهُ اليابان من جمهورية شيلي الطراد المحمي يوشينو فاغرقهُ هو ومعظم بحارتهِ ومست البارجة هتسوسي اليابانية لغماً فاغرقها وغرق معها اكثر من نصف بحارتها وهذه البارجة اعظم بوارج اليابان واجملها بعد البارجة ميكاسا بل هي من اعظم بوارج الدنيا. ولم يمضِ على ذلك زمن طويل حتى غرقت لهم متلفة للتوربيد اسمها اكاتسوكي

وحمول هذه السفن ٢١٤٧٠ طناً وحمول سفن الاسطول كلها ٢٣٨٠٠٠ طنٍ ويقال ان الاسطول الياباني فقد ١٥ في المئة من قوتهِ الاصلية وهي خسارة تذكر

اما الطراد يوشينو فقد صنع سنة ١٨٩٢ وتفريغهُ ٤١٥٠ طناً وسرعتهُ اكثر من ٢٣ ميلاً بحرياً في الساعة . واما البارجة هتسوسي فحمولها ١٥ الف طنٍ وعدد ضباطها وبحارتها ٧٤١ وقوة آلتها البخارية ١٦١١٧ حصاناً وسرعتها ١٩ ميلاً بحرياً في الساعة .

قتلى سكة الحديد والحرب

يؤخذ من بعض الاحصاءات ان عدد

الذي قتلتهم سكة الحديد في الولايات المتحدة الاميركية في اكتوبر ونوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٠٣ بلغ ١١٦٦ نفساً وعدد الذين اصيبوا ولم يقتلوا ١٣٣١٩ نفساً فالمجموع ١٤٤٨٥ نفساً قالت الجريدة التي نقلت هذا الخبر ولا نعلم عدد الذين قتلوا وجرحوا في حرب روسيا واليابان الى الآن (٢٨ مايو) ولكننا لا نخطئ اذا قلنا انهم اقل من المجموع المتقدم ذكره . على ان احصاء قتلى سكة الحديد وجرحاها انما هو عن ثلاثة اشهر فقط واما حرب روسيا واليابان فقد مضى عليها ثلاثة اشهر وثلاثة اسابيع الى الآن

كرات النجاة

تحمل السفن الكبيرة قوارب صغيرة تسمى قوارب النجاة والغاية منها انقاذ الركاب فيما لو انكسرت السفينة او اصابتها مصيبة تعوقها عن المسير. ولكن تلك القوارب كثيراً ما لا تفي بالغرض الذي وضعت له اما لوقوع النكبة فجأة فلا يكون ثمة فرصة كافية لانزال القوارب الى البحر وانزال المسافرين اليها واما لاشتداد النوء فيسلم الركاب من الخطر العاجل ليقعوا في الخطر الآجل يسلمون من الغرق مع السفينة لتتقاذفهم الامواج وتتلاعب الانواء بهم وبقاربهم ثم تلقيهم في قرار اليمّ بعد ما تذيقهم العذاب الاليم

وقد اخترع ضابط نروجي اسمهُ الكبتن دونيج آلة على شكل الكرة تقوم مقام قارب النجاة وتفضله من جميع الوجوه وجرَّبها منذ سنة ثم عاد فجرَّبها اخيراً فجاءت وافية بالغرض المقصود منها والكرة مصنوعة من الحديد سمكها بين ٥ بوصات و ١٦ بوصة من اسفلها و ٣ بوصات من جوانبها و ١/٨ بوصة من اعلاها وطول قطرها الافقي ثماني اقدام وعلوها ٦ ١/٢ قدم ولها قعر مزدوج وثلاثة ابواب تقفل فلا ينفذها الماء . وفيها آنية كبيرة للماء العذب تسع ١٥٠ جالوناً وطعام محفوظ في صناديق وعلب . وفي وسط الغرفة الداخلية انبوبة كبيرة لتجديد هواء الكرة

وفي اعلى الكرة ثلاث نوافذ صغيرة لدخول النور وارسال الاسهم النارية في الفضاء استنجاداً بالسفن المارة . وفيها دفة ومجاذيف وعلى دائرها من الخارج منطقة من الفلين يقف عليها المجذفون . وفيها مرساة واشرعة وغير ذلك من الادوات التي تكون في السفن الشراعية عادة . وثقل الكرة كلها طنان اي قدر ثقل قارب النجاة الكبير وثمنها مئة جنيه وهي تسع ٢٠ نفساً وتشغل على ظهر السفينة حيزاً أضيق مما يشغلهُ قارب النجاة

وقد جرّبت هذه الكرات والنوء شديد والبحر عجاج فنجحت التجربة كل النجاح. وشهد الخبيرون انها جاءت طبق المرام في احوال لا تصلح قوارب النجاة العادية فيها ولا تجدي

نفعاً. ولا حاجة الى انزال هذه الكرات الى البحر عند وقوع الخطر بل انها تطفو من نفسها وقت غرق السفينة

الكهربائية في المدن الكبيرة

خطب الاستاذ سمث الاميركي خطبة في مستقبل المدن الكبيرة والكهربائية فقال ان ثمن قوة حصان واحد من المجرى الكهربائي لاحداث الحركة والنور في الساعة كان ثلاثة غروش في مدينة سان فرنسسكو منذ سنوات قليلة . اما اليوم فقد نقص الى سبع ما كان عليهِ وانهُ يمكن ادارة المعامل التي على ساحل الاوقيانوس الباسيفيكي بقوة تأتيها من حيث يذوب الثلج على الجبال الصخرية بنفقة اقل من نفقة البخار ولو كان الوقود يقدم اليها بلا ثمن. وقد قدروا ان مقدار الحامض الكربونيك الذي يقذفهُ اهالي مدينة نيويورك من رئاتهم يبلغ ٤٥٠ الف طن في السنة وان هذا المقدار أقل من ٣ في المئة من الحامض الكربونيك الذي يتصاعد عما يوقدهُ الاهالي من النار في السنة . فاذا أمكن ابدال النار والبخار بالكهربائية في الاعمال تحسن هواء المدن الكبيرة لقلة ما يقذف من الحامض الكربونيك

الدكتور كوخ والسل

قالت اللجنة الملكية الانكليزية التي انتدبت لدرس داء السل في تقريرها ان هذا الداء واحد في الانسان وسائر الحيوان فناقضت بذلك رأي الدكتور كوخ وهو ان السل الذي يصيب الانسان غير السل الذي يصيب البقر . وقد قابل بعضهم الدكتور كوخ واستطلعهُ رأيهُ في ذلك فقال اني لا ارى ثمة سبباً يحملني على تغيير رأيي الاول الذي توصلت اليهِ بعد طول البحث والامتحان وهو انهُ ليس عندنا دليل يثبت ان الناس يصابون بالتدرن الذي يصيب البقر الا اصابة خفيفة جداً . ولقد درست اللجنة نصف المسألة غير المهم فقط ونبذت النصف المهم . فان كان قولها صحيحاً فمن العجيب ان لا يعرف الاطباء حادثة واحدة انتقلت فيها عدوى التدرن الى الملايين الكثيرة من الرجال والنساء والاولاد الذين يأكلون لحم البقر المصابة بالتدرن ويشربون لبنها . والخلاصة ان هذه الجلبة التي اقاموها على اللبن في مقاومة التدرن قليلة الجدوى وكان الاولى بهم ان يهتموا بالاسباب الجوهرية التي ينشأ الداء عنها مثل بصاق المسلولين وسكن المنازل غير الصحية

الكهربائية في كوريا

قد يظن لاول وهلة ان بلاد كوريا في اقصى المشرق خالية من كل آثار الحضارة لكن من يطالع المقالة المدرجة في اوائل هذا الجزء في " فضل الشرق على الغرب " يجد

ان الكوريين سبقوا غيرهم من امم الارض الى استنباط الطباعة بالحروف المنفصلة . وقد وقف عمرانهم فلم يتقدم كما تقدم العمران الاوربي ولكن الاهالي ميالون الى اقتباس اساليب العمران وعاصمتهم سيول سبقت عاصمتنا القسطنطينية الى استخدام المستنبطات الحديثة فان في سيول شركة كهربائية مهندسها المستشار رجل ياباني درس في اميركا وهذه الشركة تنير المدينة شوارعها ومنازلها بالنور الكهربائي وتسير فيها سكة كهربائية من نوع الترامواي . وفي شملبو احد ثغور كوريا معمل كهربائي لانارة المدينة وادارة الآلات المختلفة . وفي فوزان شرقي كوريا معملان كهربائيان وكان في النية مد سكة حديد كهربائية منها الى مترمبو وتنجي . والتلفون شائع في سيول ايضاً وهو يزيد انتشاراً فيما بعد احتلال اليابانيين لها . فبلاد ارضها غنية بالمعادن والخيرات وشعبها لا يأنف من اقتباس المعارف والمخترعات لا يبعد ان تفوقنا بعد سنين قليلة كما فاقتنا بلاد اليابان اذا بقينا على ما نحن فيهِ من الجمود

احتراق باخرة

من حوادث الشهر الماضي المشومة حادثة لا يشبهها في شدة هولها الا حادثة احتراق مرسح التمثيل في شيكاغو منذ نحو اربعة اشهر. والمصيبتان من نوع واحد — فان سببهما النار ومعظم الذين احترقوا فيهما من النساء والاولاد وقد كانت غاية الفريقين النزهة وتسلية الخاطر . فانقلبت تلك النزهة ناراً حامية تصهر النفوس قبل الاجسام

وتفصيل الحادثة ان باخرة اسمها "الجنرال سلوكم" خرجت صبيحة يوم ١٥ الماضي من مكان قرب مدينة نيويورك اسمهُ "ايست رفر" وهي تقل ١٨٠٠ امرأة وولد من اعضاء مدرسة الاحد التابعة لكنيسة ماري مرقس الانجيلية اللوثرية الالمانية خرجوا يطلبون النزهة وكانوا لابسين ابهى ملابسهم وحاملين الرايات والاعلام بايديهم

وبعد سفر الباخرة بساعة شبت النار فيها وهي مارة في مكان ضيق تحفُّ بهِ الصخور عن الجانبين يسمى "باب جهنم" فاراد ربان الباخرة ان يعود بها فلم يستطع بسبب ضيق المكان فضاعف سرعة الباخرة فزادت النار تاججاً فبات الركاب بين موتين فاما الموت بالنار حرقاً او بالبحر غرقاً فالذين سلموا من النار لم يسلموا من اللجج . وبلغ عدد الذين قتلوا نحو الف نفس . وكثيرون من الذين نجوا جنُّوا من هول ما رأوا

وقد قال ربان الباخرة ان الرجال الذين يتولون ادارة الباخرة في غرفة الآلات لم يلبوا اشارتهُ ولو فعلوا لادار الباخرة وسار بها الى اقرب مكان في البرّ

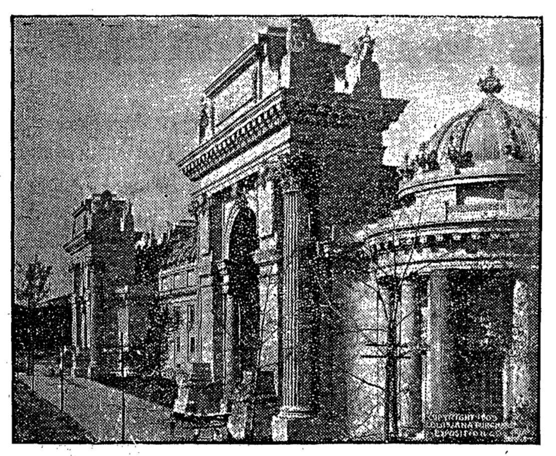
فهرس الجزء السابع من المجلد التاسع والعشرين

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد التاسع والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٨ جماد الاول سنة ١٣٢٢

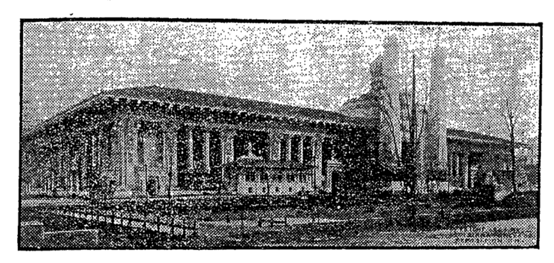
المعرض الاميركي ومبانيه



زاوية قصر الفنون

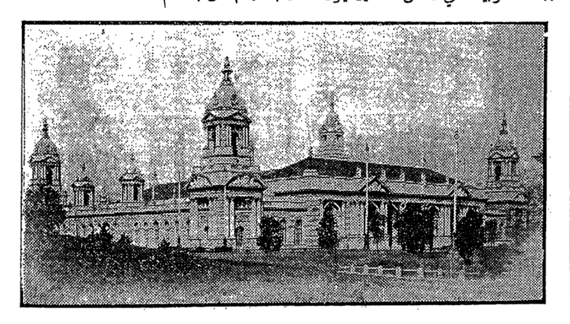
لابدع اذا افاضت المجلات العلمية والجرائد السياسية بعد الآن في وصف هذا المعرض وذكر غرائبهِ فانهُ اعظم معرض انشئ حتى الآن ولا بدَّ من ان تكون فوائدهُ كثيرة وغرائبهُ مدهشة . ولقد انشئ تذكارًا لامر لهُ شأن كبير في تاريخ الولايات المتحدة الاميركية ألا وهو ابتياع بلاد مساحتها اكثر من مليون من الاميال المربعة

ولا شبهة في ان الذين ابتاعوا تلك البلاد واضافوها الى الولايات المتحدة نظروا بعين الروية الى لزومها لها في المستقبل ولو لم يخطر ببالهم ان بلادهم سترتقي هذا الارتقاء المدهش فقد كان عدد اهاليها سنة ١٨٠٣ اي حين اضيفت اليها تلك البلاد خمسة ملايين ونصف مليون



قصر المعادن والتعدين

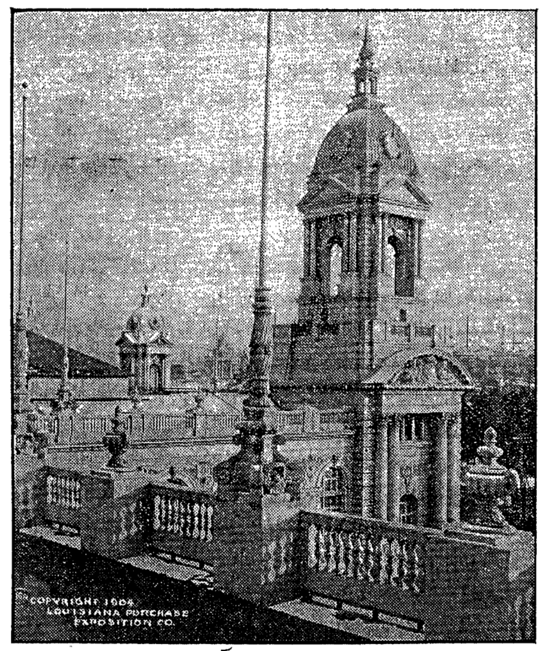
من النفوس فزاد عددهم حتى بلغ سنة ١٨٨٠ اكثر من خمسين مليونًا وهو الآن نحو ثمانين مليونًا وكان لانضمامها الى الولايات المتحدة شأن كبير في ازدياد السكان بالمهاجرة لان اكثر المهاجرين كانوا يذهبون اليها وكان مركزهم ينتقل غربًا بزيادة عددهم كأن اكثر الزيادة في الجهات الغربية التي يحتفل الاميركيون الآن بانضمامها الى بلادهم



قصر الآلات

ويقول الذين شاهدوا هذا المعرض ووصفوهُ انهُ جدير بان يكون تذكارًا لامر لهُ هذا

الشأن في تاريخ الولايات المتحدة وارتقائها فان اتساعهُ وفخامة مبانيهِ وحسن انتساقها وزخرفها والقناطير المقنطرة التي انفقت عليها بسخاء الحكومة الاميركية وسخاء ولاياتها وانواع المعروضات ومقاديرها وحسن تبوبيها واشتراك ممالك الارض فيها كل ذلك يجعلهُ غاية ما وصلت اليهِ ارقى الامم واقدرها وما انتجهُ عقل الانسان حتى العام الرابع من القرن العشرين



برج من ابراج قصر الآلات

وقد ذكرنا في عدد سابق ما انفقتهُ الولايات المتحدة على هذا المعرض وهو نحو خمسين مليونًا من الريالات ويضاف الى ذلك ما انفقتهُ ممالك الارض المختلفة فان فرنسا مثلاً انفقت

مليون ريال ومثلها المانيا وانفقت برازيل ستمئة الف ريال وكلٌّ من بريطانيا والمكسيك والصين واليابان اكثر من خمس مئة الف ريال. ومباني المعرض غاية في الانساع والفخامة فقصر الفنون طولهُ ٧٥٠ قدماً وعرضهُ ٥٢٥ قدماً ومثلهُ قصر المعادن والتعدين وقصر الحكومة بقبتهِ العالية طولهُ ٨٠٠ قدم وعرضهُ ٢٦٠ قدماً . وقصر الآلات طولهُ ١٢٠٠ قدم وعرضهُ ٥٢٥ قدماً وكذلك قصر الصنائع المختلفة ·وقصر الصادرات طولهُ ١٣٠٠ قدم وعرضهُ ٥٥٩ قدماً وقصر الزراعة والآلات الزراعية طولهُ ١٦٠٠ قدم وعرضهُ ٥٠٠ قدم

والمعرض في ارض فسيحة مساحتها ١٢٠٠ فدان مملوءة بالغابات وفيها الآن نحو الف بناء الكبرى منها اثنا عشر بناء وهي تشغل ارضاً مساحتها ١٢٨ فداناً وقد نشرنا صور بعضها في هذه المقالة اظهاراً لما في ظاهرها من حسن الانتساق واحكام الصنعة وجمالها وسننشر غيرها في الاجزاء التالية وقد أُرسلها الينا حضرة مكاتب المقطم الخصوصي في المعرض

مصير الانسان

يظن الجمهور ان معرفة مصير الانسان غير مقدورة لبني آدم الاَّ اذا كان هذا المصير مرتبطاً بامور ماضية او حاضرة ارتباط المعلول بالعلة وكانت هذه الامور معلومةً · لكن اذا تعذَّر علينا ان نعرف ما يصير اليهِ كل انسان على حدتهِ فقد لا يتعذَّر علينا ان نعرف ما يصير اليهِ النوع كلهُ بالاجمال · مثال ذلك اذا اتيتَ بعربة مملوءة رملاً لتفرغها في دارك فانك لا تستطيع ان تضع يدك على حبة من حبوب ذلك الرمل وتُعين مصيرها وتقول الى اين تصل بعد وقوع الرمل من العربة · ولكن لا يصعب عليك ان تعلم كيف يكون شكل الرمل كلهِ بنوع عام بعد وقوعهِ فانهُ لا يقع منبسطاً في سطح مستوٍ ولا مائلاً في شكل هرم ولا قائماً في شكل موشور او اسطوانة بل يكون اكمة هذلولية . تعلم ذلك ولا يتعذَّر عليك اثباتهُ بالدليل الهندسي . وهكذا مصير نوع الانسان فان معرفتهُ بوجه عام لا تتعذَّر على الناقد البصير

طالعنا بالامس مقالة في هذا الموضوع للستروتس احد مشاهير الكتَّاب قال فيها ان الناس من حيث النظر الى مصيرهم فريقان الفريق الاول وهو الاكبر لا يهتمُّ بهذا المصير مطلقاً لانهُ يقول ان المستقبل محجوب بحجب الغيب فلا سبيل للوصول اليهِ وكأنهُ ينطق بلسان الشاعر العربي القائل

واعلمُ علم اليوم والامسِ قبلهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

والفريق الثاني اقل عدداً من الاول وهو في الغالب من الشبان اهل العصر الجديد يهتمُّ بمستقبل الانسان اكثر مما يهتم بماضيهِ ويبحث عن مصيرهِ كما يبحث عما كان فيهِ . فالفريق الاول ينظر الى الحاضر من حيث علاقتهُ بالماضي والفريق الثاني ينظر اليهِ من حيث علاقتهُ بالمستقبل . الاول من اهل الذكر الذين لا تنجلي لهم الامور الاَّ اذا قارنوها بما تقدَّمها وعرفوا ارتباطها بما يتذكرونهُ . والفريق الثاني من اهل النظر الذين يحسبون الحاضر اساساً للمستقبل فلا يكتفون بهِ بل يبحثون دواماً عما سيبنى عليهِ . الاول ينظر الى الحياة الحاضرة من حيث هي ثمرة الحياة الماضية والثاني ينظر اليها من حيث هي شجرة تثمر اثماراً مقبلة . وكأن عقل الفريق الاول عقل قاضٍ يطبّق احكامهُ على الشرائع التي تعلَّمها والقوانين التي اطَّلع عليها ولا يقبل حكماً ما لم يكن منطبقاً على قانون مقرر . واما عقل الفريق الثاني فكعقل المشترع الذي يسنُّ القوانين وينقحها بالتغيير والزيادة والنقصان حاسباً ان سلطتهُ فوق سلطة القانون لان تغييرهُ في يدهِ

ومن رأي المستر ولس ان العقل الاول عقل اهالي المشرق بنوع عام والعقل الثاني عقل اهالي المغرب ونخاف ان يكون رأيهُ صحيحاً فانك اذا محَّصت اكثر ما يكتبهُ ابناء الاقطار الشرقية تجدهُ مفاخرةً بالآباء والاجداد بمجد العرب والمصريين والفينيقيين . كأنهم نسوا قول مَن قال

وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسهِ

والفرق واضح بين العقل القضائي والعقل التشريعي يقول الاول انا على ما نحن عليهِ لامور اقتضت ذلك رأينا آباءنا فيهِ وبهديهم نحن مهتدون . ويقول الثاني اننا على ما نحن عليهِ استعداداً لامور ستحدث وتمهيداً لما سيصل ابناؤنا اليهِ

الاَّ ان جمهور الناس لا ينقطع للتفكير بالماضي وحدهُ او بالمستقبل وحدهُ بل يفكر كثيراً بالماضي وقليلاً بالمستقبل او كثيراً بالمستقبل وقليلاً بالماضي حسب استعدادهِ . واضطراب الناس في احكامهم حادث في الغالب عن مزجهم امور الماضي بامور المستقبل او عدم تمييزهم بين الاولى والثانية فترى الذين ينظرون الى الماضي يبحثون عن الاسباب والذين ينظرون الى المستقبل يبحثون عن النتائج والذين ينظرون الى الماضي والمستقبل معاً تتشوش عليهم الامور فيخلطون بين الاسباب والنتائج

كان الناس يقيسون الامور الادبية ببعض الاحكام والقواعد المقرَّرة فيقولون مثلاً ان السرقة حرام لانهُ قيل في الوصايا العشر "لا تسرق" غير ناظرين الى عواقب السرقة في امور

الناس" ولا يزال كثيرون يحسبون انهُ لابدَّ من الجري على هذه الاحكام كيفما كانت الحال لانها احكام ادبية مقرَّرة · لكن قام البعض وانكروا انها احكام ادبية واجبة الاتباع دائماً وحكموا بانهُ لابدَّ من النظر الى النتائج ولان النتيجة تبرر الواسطة او تخطئها والجمهور مضطرب بين القولين يتبع هذا مرة وذاك أُخرى ولكن اعتبار النتائج آخذ في الشيوع فقد قام فريق من الناس يمدُّ قيمة الاعمال الادبية على حسب النتائج التي تنتج عنها ويقول ان القوانين الادبية وسائط لغايات فلا شأن لها لذاتها وانما شأنها في ما تؤَدي اليهِ من الغايات فاذا حسنت نتيجتها فهي واجبة الاتباع والاَّ فلا · والجمهور بين بين يتمسك بالقوانين الادبية نظراً مدعياً انها احكام مقرَّرة لا تتغير و يجري على ضدها عملاً اذا اقتضت مصلحتهُ او مصلحة بلاده ذلك · مثالهُ ان تَعِدَ امة من الامم انها تفعل فعلاً ما وتؤَكد وعدها بالقسم او بغيرهِ من وسائط التأكيد ثم تجد ان الوفاء بهذا الوعد يضرُّ بها او بغيرها من الامم او الجمهور من الناس وان الحنث ينفعها او ينفع غيرها ولا يضرُّ احداً او ان نفعهُ اكثر من ضررهِ فتخلف وعدها وتحنث بيمينها حاسبة ان النتيجة هي الغرض المقصود من الوعد والعهد ومصلحة النوع تقتضي جلب النفع الاكبر بالضرر الاقل · هذا اذا كان وجه النفع من إخلاف الوعد ظاهراً ولكنهُ اذا لم يكن ظاهراً اختلف الناس في السبيل الذي يتبعونهُ فصاحب العقل القضائي يقضي باتباع السنَّة القديمة و يقول بعدم اخلاف الوعد مهما كانت النتيجة واما صاحب العقل التشريعي فلا يصعب عليهِ كسر السنَّة القديمة وسن سنَّة أُخرى بدلاً منها فيقول ان الامور بمقاصدها والغاية تبرر الواسطة · والمتقلب الذي لا رأي لهُ يتبع الخطة الاولى تارة والثانية اخرى حسب العوامل التي تؤَثر فيهِ

وقد بلغ الاضطراب في الاحكام غاية في الغرابة مثال ذلك ما حدث في هذه الحرب الاخيرة وفي اكثر الحروب الحديثة فانهُ اذا خالف احد الخصمين عادة متبعة اسخط الناس اجمع فاتهموهُ بالغدر والخيانة وانتهاك المحارم ولو كان ما فعلهُ قاصراً على قتل سفير او تمزيق راية ولكن اذا نشبت نار الحرب واثخن احد الخصمين في الآخر فقتل منهُ في واقعة واحدة عشرة آلاف نفس اعظموا فعلهُ ومجَّدوهُ وضفروا لهُ اكاليل الظفر غير ملتفتين الى ماينتج من قتل عشرة آلاف نفس من المضار لعشرة آلاف بيت . ولكن يقال بنوع عام ان الناس صاروا يقيسون الحروب والخصومات بما تأول اليهِ في مصالح الامم لا بعلاقتها بمصالح الافراد ولا بارتباطها بالقوانين والمعاهدات الماضية كأن مستقبل الامم بنوع عام هو الغرض المقصود بالذات

ونظر المستر ولس في السبب الذي يحمل اكثر الناس على الالتفات الى الماضي وعدم

الالتفات الى المستقبل فقال انهُ حب السهولة والراحة فان الالتفات الى الماضي سهل لا يدعو الى نظر كثير وتفكير طويل واما النظر الى المستقبل فعسير لا يسهل تناولهُ على كل واحد والقوى العقلية تجري في الطريق الذي تجد فيهِ المقاومة القليلة كالقوى الطبيعية . والماضي معروف محقق واما المستقبل فمجهول يصعب تحققهُ فاذا وقف الانسان بين سبيلين احدهما سهل نتيجتهُ معلومة والآخر صعب نتيجتهُ غير معلومة اختار الاول على الثاني لكن ذلك لا يصرفهُ عن الرغبة في معرفة المستقبل ولو بواسطة المنجمين والمتكهنين وقارئي أسرَّة الجبهة واسرار الكف

اذا دققت النظر وجدت ان الناس يعلمون من امور الماضي اقل مما يدعون ومن امور المستقبل اكثر مما يظنون . فالمحفوظ في الذاكرة من امور الماضي لا يعتمد عليهِ دائماً لان الذاكرة لا تعي كل شيء ولا تحسن حفظ ما تعيهِ بل تشوشهُ وتضيف اليهِ اموراً ليست منهُ . ومهما اشتدت ثقة المرء بذاكرتهِ فانهُ اذا قاسها بما يحفظهُ في القرطاس وجد البون شاسعاً بين ما يحفظ فيها وما يحفظ فيهِ . ولقد امتحنا فعل الذاكرة مراراً فكنا نتلو خبراً على جماعة ثم نطلب منهم ان يكتبوا ما وعوهُ منهُ في ذاكرتهم فلا نجد اثنين يتفقان

ثم ان جانباً صغيراً من معارف الانسان مبني على مدركاتهِ الذاتية والجانب الاكبر على ما قرأهُ او سمعهُ اي على مدركات غيرهِ ولكن ما آفة الاخبار إلاَّ رواتها فقد يتلاعب الرواة في الاخبار لغرض واذا قصدوا الصدق في الرواية فان الذاكرة تخونهم كما تقدم ولا تحفظ الاَّ ما تشاء وكما تشاء ولذلك يقع التضارب في الاخبار الى حد تضيع معهُ الحقائق حتى اذا بعُد السند وكثر التواتر كثر الاختلاف وانقلبت الاخبار عن صورتها الاصلية الى صور اخرى مضادة لها وصار الانباء بامور المستقبل اصح من الانباء بامور الماضي ما دام الماضي معتمداً على الاحاديث والاسانيد . ولكن اذا كان للماضي شواهد عيانية ثابتة ومُحصت شواهدهُ تمحيصاً علمياً فدلالتها يقينية مثل الاستدلال على سكان الارض في العصور الجيولوجية ومثل الاستدلال على احوال البابليين والاشوريين والمصريين من آثارهم المنقوشة في الصخور . واننا لنعلم الآن من تاريخ الارض قبل ظهور الانسان عليها اكثر مما نعلم من تاريخها منذ ظهورهِ الى الآن ونعلم من احوال الامم الغابرة قبل زمن التاريخ اكثر مما نعلم من احوال الامم الذين قاموا في زمن التاريخ بل اكثر مما نعلم من تاريخ آبائنا واجدادنا الى الف عام . وهذا العلم لم يحدث بالالهام والمكاشفة بل بالبحث العلمي الدقيق . بالبحث في الصخور والتلال والركام والانقاض . بالبحث والتنقيب والقياس والتقدير والانتقاد والتمحيص من غير معارف سابقة ولا قواعد مقررة بل في وجه عقائد مناقضة واحكام تقيّد العقل وتمنع البحث

فان كان البحث عن الماضي البعيد الذي حجبتهُ عنا ظلمة العصور الغابرة تكلل بالنجاح فكيف لا ينجح البحث عن الامور الآتية اذا جرى على الاساليب العلمية . وقد فعل الانسان شيئاً من ذلك فانبأ هكسلي مثلاً بان توجد آثار الفرس ويكون في قوائمهِ اصابع كما في قوائم غيرهِ من الحيوانات الفقرية فصدقت نبوءتهُ ووجدت في طبقات الارض آثار خيل في قوائمها اصبعان او ثلاث او اربع او خمس. وانبأ مكسول بأن النور والحرارة والكهربائية شيء واحد يتحول كلٌّ منها الى الآخر فصح ما انبأ بهِ. وانبأ بعض الكيماويين بوجود عناصر غير معروفة وعينوا ثقلها النوعي والجوهري وبعض خواصها الكيماوية فكشفت تلك العناصر ووجدت كما انبأوا عنها . هذا والعلماء غير مهتمين بالبحث عن المستقبل ولا حاسبين انهُ يمكن الوصول الى معرفتهِ فكيف لو اهتم كبارهم بذلك وانضوا اليهِ عزيمتهم

نعود الآن الى النظر في مصير الانسان على هذه البسيطة فمن الامور المقررة علماً ان حرارة الشمس ستنفد يوماً ما فتبرد الارض ولا تعود صالحةً لمعيشة الانسان فينقرض نوعهُ منها ولكن ذلك لا يحدث قبل الوف بل ملايين كثيرة من السنين والانسان ابن الامس لا يطمع بالانباء عمَّا يصير اليهِ بعد هذا العدد العديد من السنين لاسيما وان سيرهُ غير جارٍ على نسق واحد بل هو يتقدَّم الآن في سنة اكثر مما كان يتقدَّم قبلاً في مئة سنة

ومن الامور المقررة ايضاً ان عوالم كثيرة مثل عالمنا واروضاً مثل ارضنا تصطدم وتحترق من وقت الى آخر فيحتمل ان يصيب ارضنا ما اصابها وهذا الاحتمال بعيد ولكن لا شيءَ ينفي حدوثهُ وليس في طاقة الانسان الانباء بزمنهِ فلا يتعب بالبحث عنهُ

ومنها ان انواعاً مختلفة من الحيوان عاشت على وجه الارض في العصور الغابرة وملأتها ثم انقرضت منها اما بتغير الفصول او باسباب اخرى غير معروفة فلا شيءَ يمنع ان يحلَّ بنوع الانسان ما حلَّ بهِ او ينتابهُ مرض وبائي يقرضهُ قرضاً ولكن النظر في احوال المخلوقات من اول حيوان ظهر منها وخرج من حمأتها يتمعج ويتلوَّى ويجاهد في طلب المعيشة والنمو والارتقاء الى الانسان ابن القرن العشرين الذي فاق كل من تقدمهُ بمراحل كثيرة يحدو بنا الى الظن بل الى الترجيح او التأكيد ان سلسلة هذا الارتقاء لا تنقطع وانهُ سائر سيراً مستمرًّا على سلسلة متزايدة والاَّ فلا معنى لهذا الوجود. واذا كان الامر كذلك فمصير الانسان الى حالة ارقى من حالتهِ الحاضرة ودلائل الحال تؤيد ذلك . وسيهتدي الناس الى ما يزيد راحتهم ورفاهتهم ويمنع الشرور والمفاسد والآلام . هذه هي الحالة العامَّة التي يصير اليها نوع الانسان

حملة هكس باشا

من كتاب تاريخ السودان

هكس باشا من ضباط الانكليز النابغين وقد انتظم في الجيش الهندي سنة ١٨٤٩ وشهد عدة وقائع حربية في الهند والحبشة وتقاعد برتبة كولونل . وفي سنة ١٨٨٢ قدم الى مصر فسمي رئيس اركان حرب الجيش المصري ولما الغي جيش عرابي وصدر الامر بارساله مددًا الى السودان سمي رئيس اركان حرب الجيش في السودان فبرح مصر في ٧ فبراير وسار بطريق سواكن فوصل الخرطوم في ٧ مارس سنة ١٨٨٣

وتبعهُ جيش عرابي في هذه الطريق عينها وكان مؤلفًا من اربعة آلايات في كل آلاي ثلاث اورط ومجموعهُ نحو عشرة آلاف رجل عليهم اربعة ضباط مصريين عظام وهم : الميرالاي سليم بك عوني قومندان ١ جي الاي والميرالاي حسين بك مظهر قومندان ٢ جي الاي والميرالاي ابرهيم بك حيدر قومندان ٣ جي الاي والميرالاي رجب بك صديق قومندان ٤ جي الاي فاقام هذا الجيش في ام درمان وبنى فيها رجب بك صديق طابية اشتهرت في حصار الخرطوم

(واقعة المرابيع في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣) وكان اول ما اقرّ عليهِ هكس باشا بعد وصولهِ الخرطوم ان يجرّد حملة على ود برجوب الذي كان لم يزل شاهرًا العصيان في الجبلين وقد اجتمع اليهِ الزعماء الذين خذلهم عبد القادر باشا كود الصليحابي واحمد المكاشف واخيهِ عامر وغيرهم . فلما كان يوم ٣ ابريل خرج من الخرطوم مع سليمان باشا نيازي القومندان العام وجمع في الكوة نحو ٥٦٠٠ مقاتل فيهم الميرالاي حسن بك مظهر والميرالاي ابرهيم بك حيدر ومع كل منهما ثلاث اورط واليوزباشي حسن عزمي قومندان الطوبجية ومعهُ سبعة مدافع و٦٠ رجلاً وسنجقان من سناجق الاتراك مع كل منهما ٤٠٠ رجل وسار بهذه القوة قاصدًا الجبلين . وخرج ود برجوب لقتالهِ بنحو ٥٠٠٠ مقاتل فالتقى الجيشان في المرابيع جنوبي أبا في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣ وكان هكس قد نظم جيشهُ مربعًا بجعل حملة الجمال والمهمات في الوسط ولم يجعل المدافع في الزوايا كجاري العادة بل جعلها بارزة عنها ووصل اضلاع المربع وصلاً تامًّا حتى لا يبقى الى العرب سبيل الى دخولهِ ثم نثر حول المربع قطعًا صغيرة من الحديد ذات اربعة رؤوس محددة تقف على ثلاثة منها . ولم يتم تنظيم المربع على هذه الصورة حتى اقبل الدراويش وفرسانهم في ساقتهم مهاجمين بهيئة قوس فلما صاروا على مرمى الرصاص صدرت الاوامر للعساكر فامطروهم سحابة من الرصاص برّحت بهم تبريحًا وخاف فرسانهم

وكبراؤهم ان يثنيهم ثقل الرصاص عن متابعة الهجوم فصاحوا بهم وحملوا في مقدمتهم بقلوب لا تهاب الموت فكنت ترى الفارس مجرداً سيفهُ ومطلقاً عنان جوادهِ قاصداً اختراق المربع فيصيبهُ الرصاص فيقع فيضمد جرحهُ بيدهِ ويعيد الكرة راجلاً حتى يصرعهُ الرصاص الى ان ملئت الارض من قتلاهم فولوا الادبار وقد قتل من كبارهم ١٢ رجلاً فيهم احمد المكاشف وجرح عامر المكاشف جرحاً بالغاً وجرح ود برجوب جرحاً اقعدهُ حتى صار يحمل على سرير. اما جيش هكس فقد قتل منهُ رجلان وجرح عشرون وتقدم هكس بجيشهِ الى الجبلين فوجد ديم الدراويش خالياً فعاد الى الدويم فترك جيشهُ فيها وتقدم الى الخرطوم ليعد نفسهُ للحملة على المهدي في كردوفان . وقد اختار الدويم النقطة الاساسية لهذه الحملة لانها ميناء حسن على النيل الابيض وبها شونة قديمة ومنها تتفرع الطرق الى كردوفان

(حملة هكس باشا على كردوفان) وكان عبد القادر باشا اذ ذاك قد عاد الى مصر قبل فالح على الحكومة ببقاء الجيش محافظاً على النيل الابيض من الخرطوم الى فاشودة لمنع امتداد الثورة الى جزيرة سنار وترك المهدي وشأنهُ في كردوفان الى ان يظهر للناس نفاقهُ او تضيق بهِ البلاد فيضمحل من نفسهِ وكان هذا رأي الكثير من ساسة الانكليز ولكن الحكومة لم تزل مصممة على سحق المهدي في كردوفان خوفاً على دارفور وبحر الغزال فامرت هكس باشا بالزحف على المهدي في الحال فكتب تلغرافاً في ٣ مايو الى حكومة مصر يقول انهُ لا يتحمل مسئولية الحملة الاَّ اذا كانت لهُ القيادة العامة عليها ولما لم تلتفت الى طلبهِ قدم استعفاءهُ في ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ فاهتمت اذ ذاك بالامر ونقلت سليمان باشا نيازي محافظاً على عموم شرقي السودان وجعلت هكس قومنداناً عاماً على الحملة وامرت علاء الدين باشا بمرافقتهِ كقومندان ثانٍ للحملة وجعلت حسين باشا سرّي وكيلاً عنهُ في الخرطوم

فشرع هكس باشا في تجهيز الحملة . وكان اول ما لزمهُ الاهتمام بهِ وسائط النقل فارسل علاء الدين باشا الى شرقي النيل الازرق فاشترى ٤٠٠٠ جمل وكان عندهُ ١٥٠٠ جمل فاجتمع للحملة ٥٥٠٠ جمل . ثم ارسل علاء الدين باشا الى الدويم وشرع في ارسال الجند تباعاً من الخرطوم وام درمان . وفي ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣ سار ببقية الجيش الى الدويم فوصلها في ٢٠ من الشهر المذكور فاجتمع عندهُ فيها اربع اورط مصرية وخمس سودانية فيها ٧٠٠٠ من المشاة المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان الباشبوزق و ١٠ مدافع جبلية و ٤ كروب و ٦ من نوع النوردنفلت . ما عدا ٢٠٠٠ من الاتباع و ٥٥٠٠ جمل و ٣٠٠٠ بغل و ١٠٠٠٠ حمار و ٥٠٠ فرس

واما ضباط الجيش العظام فهم الميرالاي سليم بك عوني قومندان الآلاي الاول والسيد بك عبد الخالق قومندان الآلاي الثاني وحسين بك فهمي قومندان الآلاي الثالث ورجب بك صديق قومندان الآلاي الرابع ما عدا السناجق الباشبوزق . واما حسين بك مظهر قومندان الآلاي الثاني السابق فقد رقي الى رتبة لواء ورافق الجيش قومندانًا على الآلايات الاربعة واما ابرهيم بك حيدر قومندان الآلاي الثالث السابق فقد رُقي ايضًا الى رتبة لواء

وصحب هكس من الضباط الافرنج الكولونل فركوهار رئيس اركان حرب و ٨ ضباط اركان حرب وسكرتيره الخاص ميخائيل افندي ناصيف اللبناني شقيق سليمان بك ناصيف من كبار موظفي الحربية بمصر وجورجي بك الحكيم الرومي ومكاتبو التيمس والدالي نيوز والغرافيك وكلهم من الانكليز . وصحبهُ من الخبراء صالح غانم وابرهيم محجوب وأوّا * ومن الملكية الوطنيين الذين استصحبهم من الخرطوم ليأمن شرّهم ويوليهم امر كردوفان في حالة النصر قناوي بك ابوعموري التجاري الشهير وبساطي بك المحسي باشكاتب الخرطوم وحمد بك التلب الجعلي رئيس مجلس الاستئناف ومحمود بك احمد الي الكنزي مدير الخرطوم وعبد الرحمن بك بان النقا الجعلي من عمد التجار . وابقى الكولونل ده كوتلوجن من اركان حربهِ في النيل بين الخرطوم وفاشودة لمنع مهاجرة الناس من الجزيرة الى المهدي

وفي حال وصولهِ الى الدويم اجتمع بعلاء الدين باشا ونظرا في طريق الحملة فللابيّض من الدويم طريقان شهيرتان : طريق بارة طولها ١٧٦ ميلاً وماؤُها قليل وتصل الابيض من الشمال . وطريق شات طولها ٢٦١ ميلاً وماؤُها كثير وتصل الابيض من الجنوب . فقال هكس بطريق بارة لانها اقصر وقال علاء الدين بطريق شات لان ماءها اغزر يكفي الحملة فقرّ الرأي على قول علاء الدين . وسارت الحملة من الدويم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فمرّت بشات وتركت فيها حامية صغيرة لحفظ خط الاتصال مع النيل ثم تقدمت الى ابار زريقة وقبل الوصول اليها وقع اختلاف شديد بين هكس وعلاء الدين في شان خط الاتصال فاراد هكس ان يجعل في كل منهل حامية عسكرية مؤلفة من ٢٠٠ رجل لحفظ خط الاتصال مع النيل وقد ترك حامية في شات لهذه الغاية فاعترضهُ علاء الدين وقال ان هذه الحاميات لا تستطيع حفظ نفسها فضلاً عن خط الاتصال اذ البلاد كلها قد سلمت للمهدي فلا نترك حامية في منهل حتى تحيط بها العربان وتأخذها عنوة فنكون بذلك قد اهلكنا جانبًا من رجالنا ولم نستفد شيئًا فعقد هكس باشا مجلسًا من الضباط الافرنج والمصريين للحكم في الامر فاجمعوا على قول علاء الدين وسار الجيش من ذلك الحين كانهُ جسم واحد متأهب للقاء العدو في كل لحظة . وكان

سيره بهيئة مربع عظيم في مقدمتهِ الدليلان فالطلائع فالضباط العظام فاركان الحرب ثم المربع وهو مؤلف من المشاة في وسطهِ الطوبجية وفي سافتهِ الفرسان ثم الجمال والاحمال ثم الفرسان الباشيبوزق وهم وراء الكل

وكان المهدي لا يغفل طرفة عين عن مراقبة حركات الجيش فلما اتاهُ خبر قيام هكس من الدويم امر اصحابهُ فخرجوا من الابيض الى ساحة في شرقي المدينة ثم خرج بنفسهِ ونزل تحت شجرة شهيرة من شجر التبلدي وانتدب اربعة من كبار قوادهِ وهم : محمد عثمان الشهير بأبي قرجة والشيخ فضلو احمد وعبد الحليم مساعد وعمرود الياس باشا ومعهم نحو ٣٠٠٠ رجل وامرهم بالتوجه الى حيث تكون الحملة وتعقب حركاتها وعدم محاربتها في واقعة بل ان يناوشوها القتال ويمنعوا اهل البلاد من الانضمام اليها ويوافوهُ بالاخبار تباعاً . فصدعوا بالامر ووافوا الحملة بالقرب من العقيلة في ١١ اكتوبر فلازموها من ذلك الوقت وصاروا اذا سارت ساروا وراءها وطمروا الآبار بعدها واذا وقفت وقفوا بعيداً عنها وناوشوها القتال وما تطرف احد منها الأ قتلوهُ حتى ان الجمال لم تستطع المرعى لانحصارها في المربع فجاعت واكلت قش رحالها وخارت قواها فمات كثير منها وبدأ اللغط في الجند من ذلك الوقت فايقنوا بالخذلان وتوقعوا العواقب الوخيمة وصاروا كلما توغلوا في البلاد زاد خوفهم ولغطهم حتى رأوا انهم سائرون حتماً الى حتفهم وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى منهل الرهد في ٢٠ اوكتوبر سنة ١٨٨٣ فنزلوا في جنوبيهِ ونزل امراء الدراويش قبالتهم في شماليهِ وذهب احدهم عبد الحليم الى الابيض فاخبر المهدي بما كان من امرهم

وفرَّ من الحملة قبل وصولها الى الرهد بقليل خادم مكاتب الدالي نيوز وهو صف ضابط ألماني اسمهُ كلوتس فذهب الى المهدي في الابيض واخبرهُ ان الحملة في يأس وخوف شديد فايقن المهدي انهُ غالب لا محالة وامر كلوتس باعتناق الاسلام ففعل فسماهُ مصطفى وبقي في الاسر الى ان حاول النجاة من القلابات فمات في الطريق

واقام هكس في الرهد ستة ايام ينظر في طريق الحملة الى الابيض ولم يكن للابيض من الرهد الا طريقان : طريق الملبس وطريق البركة فقر الرأي على اختيار طريق البركة لانها اغزر ماء فسار بالجيش قاصداً المنهل المذكور وارسل في الطريق احد الخبراء ومعهُ عبد الى الابيض للاستعلام عن قوة المهدي ووجهتهِ ووصل بالجيش الى منهل علوبه الاثنين في ٢٩ اوكتوبر فوجد فيهِ ماء غزيراً فأقرَّ على البقاء فيهِ الى ان يعود الخبير بخبر المهدي * فلما كان يوم الخميس ١ نوفمبر عاد العبد وحدهُ ومعهُ ١٥٠٠ نسخة من كتاب كتبهُ المهدي الى هكس وجنودهِ وهذه صورتهُ

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
" وبعد فمن عبد ربهِ الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من اهل الجردة ممن لهُ عقل فانهُ لايخفى على ذي عقل الامر بيد الله لايشاركهُ في ذلك بنادق ولامدافع ولا صواريخ ولا عصمة لاحد الاَّ من عصمهُ الله تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا بأسلحتكم ولا بجنودكم التي تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فان لاقوَّة لشيء دون الله وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا الكذب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف المخلوق و يستعجز قوَّة الله فاذا فهمتم ذلك فلا تغرَّنكم اقوال علمائكم فان الترك الذين قتلتهم شكوا للحق عزَّ وجلَّ وقالوا يا الهنا ومولانا ان المهدي قتلنا فأقول انذرتهم يارب فلم يسمعوا وحضر علي ذلك شاهداً سيد الوجود (صلعم) وقال لهم الامام المهدي انذرتكم فلم تسمعوا لهُ وسمعتم قول علمائكم فذنبكم عليكم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم نورٌ تؤمنون بالله و رسولهِ والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا الينا مسلمين ومن سلم يسلم وان ابيتم الاَّ الجحود والاغترار بالمدافع والبارود فأنتم مقتولون كما اخبر سيد الوجود واسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام "

فلما اطلع هكس على الكتاب مزَّقهُ واحرق نسخهُ كلها . وسأل العبد عن الخبير فقال ان المهدي امر بقتلهِ وهو يستعد لمقابلة الجيش بطريق البركة

(واقعة شيكان في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣) ولما كان يوم الخميس ١ نوفمبر وهو يوم وصول العبد الى علوبه استعمل المهدي على الابيض احد اقاربهِ عبد الله ود الصمد وخرج بجيش ينيف عن ٥٠ الفاً قاصداً البركة فسار حتى نزل بمنهل فرتنقول وهو منهل قليل المياه جداً حتى ان المسافرين كانوا اذا نزلوا بهِ لايكاد يكفي العشرين منهم فضلاً عن دوابهم. قالوا فلما نزل المهدي بهِ ورأى قلة الماء صفر فخرج منهُ ماءٌ غزير اروى تلك الجيوش وفاض حتى سقوا رواحلهم وملأوا قربهم !!!

ثم بلغ المهدي وهو بالمنهل المذكور ان الجيش قاصد منهل البركة وجادٌّ السير ليسبقهُ اليهِ فأمر في الحال محمود بن عبد القادر من اقاربهِ وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب ومن معهما من اهل رايتهما فجدوا السير حتى وصلوا المنهل المذكور الجمعة في ٢ نوفمبر ثم ارتحل المهدي بباقي اصحابهِ صبيحة يوم السبت ٣ نوفمبر من منهل فرتنقول وفي ظهر ذلك اليوم نزل بمنهل البركة

وكان هكس لما علم من العبد ان المهدي قصد البركة ارسل اليها رسلاً من علوبه

لتحقيق الخبر فعادوا واخبروا ان الدراويش قد احتلوها فجمع هكس اذ ذاك الضباط والخبراء فعدلوا عن طريق البركة واقروا على الطريق الملبس التي تمر بشيكان فخرجوا من علوبة فجر السبت في ٣ نوفمبر وساروا عشرة اميال ثم وقفوا وزربوا زريبة متينة وباتوا فيها الى صباح الاحد وبات الدراويش المطاردون لهم بالقرب منهم

اما المهدي فانهُ عند وصولهِ الى البركة ظهر يوم السبت كما مرَّ اتاهُ ابرهيم الحاج الشهير بالترجاوي ومعهُ جماعة وقالوا لهُ ياسيدي يقول الناس ان الترك عدلوا عن طريق البركة وقصدوا مدينة الابيض ليستاصلوا من فيها ويحوزوا النساء والذرية حتى شاع الخبر في الجيش وارجف الناس بذلك فلنتوجه الى الابيض قبل الترك . فالتفت المهدي وقال ايها الناس أنصتوا ثم بصق في كفهِ اليسرى وقال اي شيء هذا قالوا بصاق ياسيدي ثم طرحهُ على الارض فشربتهُ في الحال فقال للناس هل ترون لهذا البصاق أثرًا فقالوا لهُ لا فقال نحن كالارض والترك كالبصاق . ثم قال اذا طار طائر فاين ينزل فقالوا لهُ على الارض فقال لهم ان الترك كالطائر ونحن كالارض ايها الناس اثبتوا واطمئنوا ونزلوا رواحلكم واستريحوا فان الترك لا قدرة لهم مع قدرة الله ثم قال غدًا يوم الاحد نتوجه اليهم وفي صبيحة الاثنين بعد ان نأمركم بمحاربتهم اذا تأخر احدكم لاصلاح نعلهِ لم يدركهم احياء . ثم جمع المهدي جميع الفرسان واهل الاسلحة النارية فضمهم الى ابرهيم الترجاوي المذكور وارسلهم نجدة للسرية المطاردة الجيش في عشية ذلك اليوم (السبت) فوصلوها صباح الاحد في ٤ نوفمبر فوجدوا اخوانهم محيطين بالجيش من كل جانب احاطة السوار بالمعصم فزادوا في حصرهِ . وفي هذا اليوم قبيل الصبح ارتحل المهدي بكل جيوشهِ قاصدًا الجيش ونزل في منهل شيكان عند الضحى ويسمى هذا المنهل ايضًا بمنهل ام مصارين فلما نزل المهدي بهِ قال لهُ بعض اصحابهِ ياسيدي هذا المحل يدعى بمنهل ام مصارين فقال ان مصارين الترك تصب فيهِ .

وكان هكس لما اصبح صباح الاحد المذكور قد خرج من الزريبة التي كان بائتًا فيها واستطرد السير نحو منهل شيكان وهو لا يدري ان المهدي قد احتلهُ بجيوشهِ فما سار ساعة حتى خرج من جيش المهدي حمدان ابو عنجه وعبد الله ود النور وفوزي احد كتّاب المهدي بن معهم من الانصار المسلحين بالاسلحة النارية وبينهم عدد وافر من الفرسان وحملوا حملة صادقة على ساقة الجيش حيث المهمات والذخائر فاختلطوا بالعساكر فدارت عساكر المقدمة عليهم وهزمتهم ولكنهم تمكنوا من اخذ بعض الخيول والجمال والازواد وقد قتل منهم في تلك الهجمة اربعة بينهم فوزي كاتب المهدي وجرح عبدالله ود النور وقتل من الجيش رجب

بك قومندان الآلاي الرابع ونفر من العساكر . وزرب الجيش في محل الواقعة زريبة من شوك واقام فيها . قيل ولما رأى اصحاب المهدي ما حل بالجيش من التزلزل والاضطراب رغبوا الى المهدي ان يأذن لهم في الحملة عليهم مرة واحدة في ذلك اليوم فقال لهم اخبرني سيد الوجود ان الترك لا يموتون كلهم اليوم وانما هلاكهم يكون غداً الاثنين . وبقي اصحاب الاسلحة النارية منهم محيطين بالجيش يرمونهُ بالرصاص بقية ذلك اليوم وليلة الاثنين الى الصباح فحملوهُ خسارة تذكر وكان في جملة من قتلوهُ جورجي بك الحكيم . فرأى هكس ان الاقامة في تلك الزريبة لاتجدي نفعاً ولم يكن يدري اي سبيل يتبع فجمع مجلساً من الضباط العظام والملكية الذين صحبوهُ فلم يقروا على رأي وكثر اللغط بين الجند وتسلط الرعب على قلوبهم واشتد بهم العطش لبعدهم عن الماء فايقنوا بالهلاك . فعوَّل هكس اذ ذاك على المسير تحت رحمة الله نحو منهل شيكان . وقيل ان الخبراء الذين كانوا معهُ كان بينهم وبين المهدي مواطأة سرية فقادوا الجيش في الطريق التي دلهم عليها المهدي

فلما كان ضحى الاثنين ٥ نوفمبر ١٨٨٣ خرج هكس بجيشهِ من الزريبة بثلاثة مربعات على شكل مثلث متساوي الاضلاع في كل زاوية مربع وبين المربع الواحد والآخر ٣٠٠ ياردة وفي وسط كل مربع مهماتهُ وذخائرهُ . وسار هكس وأركان حربهِ في مقدمة الجيش يتبعهُ بعض الطوبجية باربعة مدافع ومن وراء المدافع المربع الاول ثم المربعان الآخران واحد الى اليمين وواحد الى اليسار وكان السواري يحمون المؤخرة والجوانب المكشوفة من المربعات وما سار الجيش على هذا الترتيب نصف ساعة حتى دخل وادياً مفتوحاً شائكاً وعلى كل من جانبيهِ غابة كثيفة فجعل المهدي معظم جيشهِ في تينك الغابتين عن يمين الجيش وشمالهِ وجعل الباقي في وسط الوادي في طريق الجيش وعليهم عبد الرحمن النجومي وكان محمد قرجه ومن معهُ من الانصار لم يزالوا متتبعين الجيش من الوراء فاصبح الجيش مكتنفاً بجيوش الدراويش من الجهات الاربع . وكان المهدي لما رأى الجيش من بعيد جمع امراءهُ لآخر مرة وصلى امامهم ثم رفع سيفهُ ونادى الله اكبر عليهم ثلاثاً ثم قال احملوا عليهم ولا تخشوا نيرانهم فان ارواحهم مزملة ونيرانهم لا فعل لها وانكم لظافرون عليهم باذن الله فما دخل الجيش ذلك الوادي حتى حملوا عليهِ حملة واحدة من كل جهة فاخترقوا صفوفهُ واوقعوا الفشل في العساكر واخذوا يقتلونهم طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف واستفرسوا في القتال فلم يمضِ ساعة حتى قتل الجيش برمتهِ وفيهم هكس واركان حربهِ وعلاء الدين باشا وجميع الضباط المصريين والافرنج وقد تراكمت جثث القتلى في محل الواقعة كالتلال ولم ينجُ من الجيش كلهِ الا ملازمان

(وهما محمد افندي صلّي من المنصورة وقد فرَّ بعد ذلك من الخرطوم الى مصر واحمد افندي عزمي وقد مات في كردوفان) ونحو ثلاثمائة جندي اختبأوا بين الاشجار ودواب الجملة والقتلى فوقعوا كلهم في الاسر. وعند نهاية الواقعة قطعوا رأس هكس وحملوهُ الى المهدي وقد قاتل هكس واركان حربهِ وجميع رجال الجيش ما استطاعوا الى القتال سبيلاً وماتوا موت الابطال بعد ان قتلوا من الدراويش نحو مئتي رجل منهم ابو امية والطاهر وغيرهما من اقارب المهدي وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب وهو من اصحاب المهدي السابقين ومحمد وعبد الرحمن ابنا النصري وعثمان ابن عم الخليفة محمد شريف وعبد الرحيم احد المادحين للمهدي وغيرهم فنقلوا الى محل المهدي فامر بدفنهم بما عليهم من الثياب . ثم امر المهدي بجمعت الغنائم ونقلت الى البركة فكان منها شيء كثير من الاسلحة والجبخانة والمدافع والميرة . واقام المهدي بشيكان الى يوم الاربعاء ثالث يوم الواقعة ثم خرج منها عائداً الى منهل البركة فأقام فيهِ بضعة عشر يوماً وهناك فرّق الغنايم بين اصحابهِ بعد اخراج الخمس منها لنفسهِ

ثم عاد الى الابيض بالمدافع والذخائر والاموال فدخلها باحتفال شائق وكتب الى عمالهِ في الجهات مبشرًا اياهم بالنصر الذي اتاهُ الله عن يدهِ في قتلة هكس وهذه صورة ما كتبهُ الى عثمان دقنه في ١٠ ربيع اول سنة ١٣٠١ و٩ يناير سنة ١٨٨٤

" ومن خصوص الجردة المصرية التي بلغكم انها حضرت الينا من طريق الخرطوم وصلتنا وحصل الظفر عليها بأمر الله تعالى وقتلناها عن آخرها شرقتلة بما فيها من الرؤوس الكبار احدهم علاء الدين باشا والثاني هكس النصراني والثالث حسن وغيرهم من الضباط والآن جميع مدافعهم واسلحتهم بيدنا وهي شيء كثير جدًّا وكان هلاك المذكورين في يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٠١ ﻫ بجهة علوبة (شيكان) وعددهم كما قيل ستة وثلاثون الفًا (؟) فانقرضوا في اقل من ساعة واشتعلت النار في اجسامهم بأمر الله السماوي هذا وافيدونا باحوالكم والسلام " اه

(اخلاء السودان) وكان هذا الانخذال العظيم الذي اصاب الحكومة في شيكان قد قضى على نفوذها في السودان القضاء المبرم فان عقلاء اهل الجزيرة وغالب اهل الخرطوم والسودان كانوا قبل هذه الواقعة يترددون في اتباع محمد احمد وينتظرون حربهُ مع هكس فلما علموا بما اصاب هكس وجيشهُ ورأوا عجز الحكومة عن اذلالهِ انقطع كل رجاء لهم في الحكومة ووفدوا على المهدي بالابيض افواجًا يبايعونهُ وفي جملتهم الملك آدم أم دباله ملك جبال تقلي. وانتشر خبر المهدي في العالم الاسلامي كلهِ فجاءتهُ الوفود من الحجاز والهند وتونس ومراكش لزيارتهِ وتحقيق دعوتهِ

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبله)

(٤) من اوصى وصية غير قانونية قبل ان يتجند ثم تجند ودخل في القتال فله ان يفتح كتاب الوصية ويزيد عليهِ او يحذف منهُ بعض شروط وله ان يصرح بارادتهِ الاخيرة بانهُ اقام هذا الصك مقام كتاب الوصية و ينبغي ان يعد كوصية جديدة صادرة من جندي

(٥) وصية الجندي لا تبطل بتغير الحالة

(٦) اعلم انهُ لما منحت القوانين الاساسية بعض اشخاص مالاً كالذي يوفره الجندي اجاز قانوننا لكل احدٍ ان يوصي بما عنده من المال الشبيه بما يوفره الجندي لكن هذا يحسب القانون العام

الفصل الثاني عشر فيمن لا يؤذن لهم ان يوصوا

ليس لمن هم تحت ولاية الغير ان يوصوا ما خلا الذين سبق لنا ذكرهم

(١) لا يجوز للقاصر ولا للمجنون ان يوصيا الاَّ ان المجنون اذا افاق جاز له ان يوصي

(٢) لا يجوز للمسرف ان يوصي

(٣) يجوز للاصم والابكم ان يوصيا في بعض الاحوال و بشروط معينة

(٤) يجوز للاعمى ان يوصي بشرط ان يجري على الصور التي وردت في شريعة يوليانوس

(٥) وصية من هو اسيرٌ عند العدوّ باطلةٌ . وكذا ما فعل هنا لك

الفصل الثالث عشر في حرمان الاولاد من الميراث

من كان له ابن تحت ولايتهِ فيجب إِما ان يقيمهُ وارثاً واما ان يحرمهُ الميراث صريحاً والاَّ فالوصية لاغية لا فائدة لها . واما البنات وسائر الاولاد النازلين من الذكور سواء كانوا ذكوراً او اناثاً فهذا الحكم لم يكن جارياً في حقهم قديماً

(١) المولود بعد وفاة ابيهِ لا يخلو إِما ان يكون قد أُقيم وارثاً واما ان يكون قد حرم من الميراث . واما البنت المولودة بعد وفاة ابيها فكانت تحرم الارث اما بقولهِ لا أُورث الولد الذي يولد لي بعد موتي . وقد قرر ان الذكر المولود بعد موت ابيهِ لا يحرم من الميراث قانونياً الاَّ اذا قال الوالد ان الذكر الذي يولد بعد موتي لا يرث شيئاً من تركتي

(٢) في حكم المولودين بعد وفاة آبائهم من يقومون مقام ذوي الميراث فهؤلاء يصيرون بكونهم اشباه ذوي القرابة المدنية ورثةً للاصول الصاعدين

(٣) اما الاولاد المأذونون فليس من الضروري بحسب الشرع المَدَني ان يقاموا وَرثةً ولا ان يحرَموا من الميراث لانهم ليسوا ورّاثاً

(٤) الاولاد المتبنّون هم ما بقوا تحت الولاية إما مقامون ورثةً واما محرومون من الارث أما المأذونون فلا يدخلون في عداد الاولاد بالشرع المَدَني ولا بالحق المترتب على حكم القاضي

(٥) انّ قانوننا لا يفرق في حق من هذا القبيل بين الذكور والاناث ولذلك حكم ان كلاً منهم اما ان يقام وارثاً . واما ان يحرَم من الميراث صريحاً سواء كان قد وُلد او كان جنيناً لم يُولد بعد

(٦) ان الجندي اذا أوصى وهو في الغزاة ولم يذكر اولادهُ وهو عالم بانّ لهُ اولاداً يعدّ اغفال ذكرهم كحرمان لهم صريح من ارثهِ

(٧) الام والجدّ يجوز لهما ان يغفلا ذكر الاولاد

الفصل الرابع عشر في اقامة الوَرَثة

يجوز للانسان ان يورّث من شاء من الاحرار والعبيد سواء كانوا عبيدهُ او عبيد غيرهِ ولهُ في ايامنا ان يورّث عبيدهُ ولو لم يعتقهم واما عبد الموصي فهو من ملك الموصي رقبتهُ دون منفعتهِ واما عبد الغير فهو من كان للموصي حقّ الانتفاع بخدمتهِ فقط

(١) العبد اذا اقامهُ سيدهُ وارثاً تحرَّر وصار وارثاً ضروريًّا لهُ . واما العبد الذي اعتقهُ الموصي في حياتهِ فلهُ ان يستلم الميراث وان لا يستلمهُ . واذا كان هذا العبد قد بيع فيجب امتثالاً لأمر مولاهُ الجديد ان يتسلّم الميراث واما عبد الغير المقام وارثاً فان كان باقياً على حالهِ وجب ان يأخذ الميراث بأمر مولاهُ . وان كان قد بيع في حياة الموصي أو بعد موتهِ وقبل استلام الميراث وجب ان يستلمهُ بأمر مولاهُ الجديد . وان كان قد حرّر قبل الاستلام كان بالخيار بين ان يستلم ميراثهُ وأن لا يستلمهُ

(٢) عبد الغير هو المقام وارثاً شرعاً بعد وفاة مولاهُ

(٣و٤) للانسان ان يقيم من الوَرَثة ما شاء

(٥) تقسم التركة الى اثني عشر قيراطاً وهي تعادل اصل التركة المسمَّى (عندهم أسًّا) وليس الأس بمحصر في هذا العدد بل هو يحتمل ان يجزَّأ على قدر ما يريد الموصي ان يجزّئهُ

(٦) متى تعدَّد المُوَرَّثون وجب تقسيم التركة ان لم يُرد الموصي ان تكون حصصهم متساويةً . واذا كانت السهام معيَّنةً لعدد من الوَرَثة ثم أُقيم وارث آخر ولم يُعيَّن لهُ سهم

فان كان قد بقي من اصل التركة كسر فيصير هذا المورَّث وارثَ ذلك الكسر وان تعدَّد المورَّثون قسّم ذلك الكسر بينهم واذا استغرقت السهام التركة فذوو السهام المعيَّنة يأخذون نصف التركة. واما الذي او الذين ليس لهم سهامٌ معيَّنة فيأخذون النصف الآخر كلهُ

(٧) واذا لم تستغرق السهام التركة يُقمْ وارث من دون سهم فالسهم الزائد يوزَّع على الوَرثة بقدر حصَّة كلٍّ منهم من التركة (١)

واذا تعدَّد المورَّثون المسمَّى لهم سهام فيقع النقص في سهم كلٍّ منهم (٢)

(٨) اذا وُزّع اكثر من اثني عشر قيراطاً فمن وُرِّث ولم يُعيَّن لهُ سهم يكن لهُ بقية الاصل الثاني

(٩) قد يقام الوارث مطلقاً وقد يقام بشرط لكن لا اعتبارًا من زمن معيَّن ولا الى زمنٍ معيَّن

(١٠) الشرط المستحيل يُعدُّ غير مكتوب

(١١) اذا اشترط عدَّة شروط معاً وجبت رعايتها جميعها واذا اشترط شرط منها على حدةٍ فيُراعى منها ما يُراد

(١٢) يحقّ للموصي ان يقيم وارثاً من لم يَرهُ

الفصل الخامس عشر في الايصاء العام

لكل من الناس ان يقيم بكتاب وصيَّتهِ ورثة مختلفي الدرجات

(١) ولهُ ان يقيم عدَّة اشخاصٍ مقامٍ واحدٍ او واحدًا مقام عدَّة اشخاصٍ او واحدًا مقام واحدٍ او ان يجعل بعض من اقام من الورثة مقام بعض

(٢) اذا ورَّث جماعةً وجعل لهم سهاماً غير متساوية ثمَّ عدل عن توريثهم وورَّث غيرهم مكانهم ولم يذكر لهم سهاماً فيأخذ هؤلاء المورثون السهام التي كان قد عيَّنها لمن رجع عن توريثهم

(٣ و ٤) يراد بهذه العبادة " اذا لم يصرِ وارثاً " نظرًا الى من اقامهُ الموصي وارثاً وهو يعلم انهُ تحت ولاية الغير يُراد بها انهُ اذا لم يصر وارثاً بنفسهِ او بغيرهِ . واماً نظرًا الى

---

(١) هذا يسمى في علم الفرائض السرد وهو ان تزيد التركة على السهام فيردّ الفاضل عليهم بقدر سهامهم

(٢) هذا ما يسميهِ علماء الفرائض بالعول وهو زيادة السهام على مخرج الفريضة ليدخل النقص على كلٍّ منهم بقدر فرضهِ كنقص ارباب الديون بالمحاصة واول من حكم بالعول عمر فانهُ وقع في صورةٍ ضاق مخرجها عن فروضها فشاور الصحابة فاشار العباس الى العول فقال أعيلوا الفرائض ومن صور العول ان تموت امرأة عن جوز وشقيقتين فللزوج النصف وللشقيقتين الثلثان واصل المسئلة من ستة فالنصف ثلاثة والثلثان اربعة ومجموع ذلك سبعة فالفرائض زادت على المخرج وعالت الى سبعة (الدر المختار)

المقام وارثًا المعتبر كربٌ بيت فيراد بها انهُ اذا لم يحرز التركة بنفسهِ ولا بن رُبَّما يكون تحت ولايتهِ فيما بعد .

الفصل السادس عشر في اقامة وارث للوارث القاصر

قلنا انهُ يجوز لكل من الناس أن يقيم أوصياء لولدهِ غير البالغين الذين هم تحت ولايتهِ ويجوز لهُ ايضًا ان يفعل ذلك بحيث ان هؤلاء الأولاد بعد ان يحرزوا التركة وهم غير بالغين عند موتهِ يكون لهم شخص يرثهم

(١) قد وضعنا قانونًا يجوز بمقتضاهُ لمن لهم اولادٌ او حَفَدَةٌ اوسلالةٌ محرومة بسبب صوابيٍّ ان يقيموا لهم اشخاصًا معيَّنين سواءٌ كانوا من الذكور او الاناث ومن ايَّة درجة كانوا من هؤلاء النازلين وان كانوا لذلك الحين غير بالغين

(٢) وكذا يكون في اقامة وارثٍ للوارث القاصر كتاب وصيَّة واحد لتركتين

(٣) اذا خشي احدٌ ان ابنهُ القاصر يكون عرضةً بعد موتهِ لمكايد خَطِرة متأتية من تعيينهِ وارثًا لابنهِ اذا مات فيجب عليهِ في القسم الاول من كتاب وصيتهِ ان يعمل الايصاء العام . واما النص الذي بهِ يقيم وارثًا لابنهِ فيما لو توفي بعد أخذ الميراث وقبل ان يبلغ فيجب عليهِ ان يكتبهُ في الجزء الاسفل من كتاب الوصيَّة على حِدَةٍ وان يطبق هذا الجزء الاخير ويربطهُ برباط من جنسهِ ويختمهُ بشمع خاصٍ ويمنع في الجزء الاوَّل من كتاب الوصيَّة فتح الجزء الثاني في حياة ابنهِ اذا كان بعد قاصرًا

(٤) يحق للآباء ان يقيموا ورثة لأولادهم القاصرين المورَّثين بل للمحرومين منهم والمولودين بعد وفاة آبائهم

(٥) مامن احد يعمل كتاب وصيَّة لأولادهِ من دون ان يعملهُ ايضًا لنفسهِ

(٦) يجوز للانسان ان يقيم وارثًا لكلٍّ من اولادهِ او للاخير منهم فقط الذي يموت قاصرًا

(٧ و ٨) حدُّ البلوغ السنة الرابعة عشرة للذكر والثانية عشرة للانثى

(٩) ليس لاحدٍ ان يقيم وارثًا على الوجه المذكور لاجنبيٍّ او لابن بالغ أُقيم وارثًا وغاية مايجوز للمورِّث ان يفعل انما هو الزامهم على سبيل الاستيداع بتسليم كل تركتهِ او بعضها الى ثالث

الفصل السابع عشر في ايِّ الوجوه تبطل الوصايا

ان الوصية الجارية على الوجه الشرعيِّ شرعية حتى تُنقض او تبطل

(١) تفسخ الوصية اذا وُجد حقٌّ الوصية نفسهُ معيبًا ولو لم يطرأ على الموصي تغيُّر الحالة

(٢) الوصية الشرعية المتأخرة تبطل وصيةً متقدِّمةً

(٣و٤) الوصايا الشرعية تبطل متى تغيَّرت حالة الموصي

(٥) في هذه الحال يقال ان الوصايا قد أُبطلت

(٦) ان الوصايا لا تكون مع ذلك غير مفيدةٍ تماماً لانهُ اذا أُبدت بختم سبعة شهود فللمورّث بحسب الواح الوصية ان يضع يدهُ علي الاملاك بشرط ان يكون الموصي ابن الوطن الروماني وتحت السلطة الرومانية عند وفاتهِ

(٧) لا يصحّ ابطال الوصية بهذا وحدهُ وهو ان الموصي لم يُرد فيها بعد ان الوصية تكون شرعية

الفصل الثامن عشر في الوصية غير الرسمية

يقبل من الاولاد الذين لهم ان يتشكوا لحرمانهم الارث ظلماً او للاحزاب عن ذكرهم جورًا الاعتراض على الوصية غير الرسمية بان الموصي لم يكن في صحة عقلهِ عند ما أوصي

(١) يجوز للاصول ان يعترضوا على وصية الاولاد بانهما غير رسمية والاخ والاخت يفضلان بحسب القوانين العاهلية على الاوشاب المقامين وَرَثةً

(٢) للاولاد الطبيعين والمتبنين ان يعترضوا علي الوصية بانها غير رسمية ان لم يكن لهم وسيلة ما شرعية للرجوع على تركة الميت

(٣) ولا سيا ان لم يترك لهم شيء بكتاب الوصية لكن الامر على ضد ذلك اذا ترك لهم جزء من التركة او شيء معين فاعتراضهم على الوصية انها غير رسمية يبطل باتمام ما ينقصهم ويوصلهم الى ربع حصتهم الشرعية

(٤ و ٥ و ٦) كذلك من حصل على ربع ما كان يجب لهُ لا يحق لهُ ان يعترض على الوصية من حيث هي غير رسمية سواء كان واحدًا او جماعة

الفصل التاسع عشر في صفة الورثة واختلافهم

الورثة اما ضروريون او حقيقيون وضروريون معاً او اجانب

(١) الوارث الضروري هو العبد المقام وارثاً وانما قيل لهُ ضروري لانهُ عند وفاة الموصي يصبح حرًّا ووارثاً بلا اعتراض

(٢) الورثة الحقيقيون والضروريون معاً هم الاولاد الذين كانوا تحت ولاية الميت عند وفاتهِ وانما قيل لهم حقيقيون لاعتبارهم بوجهٍ ما كأصحاب الملك حتى في حياة الاب . وانما قيل لهم ضروريون لانهم يصيرون ورثةً عند موت الموصي طوعاً او كرهاً ذكروا في الوصية او لم يذكروا ومع ذلك فمتى ارادوا التخلي عن التركة فالقاضي يأذن لهم في ذلك

(٣) كل من عدا هؤلاء من الورثة فهم ورثة اجانب

(٤) اما الورثة الاجانب فيتعين ان تعمل الوصية بعلمهم ولا بدّ من رعاية هذا الشرط في وقتين الاول وقت الايصاء وذلك لتكون اقامة الوارث مشروعةً والثاني عند وفاة الموصي وذلك لاجل التنفيذ واضف الى هذا وجوب الايصاء بمعرفة الوارث الاجنبي حين يستلم الميراث ومن يصر اهلاً بقوة وصية الغير لان يرث لنفسهِ او لغيرهِ فلهُ حق الايصاء

(٥) للورثة الاجنبيين الخيار ان يقبلوا الميراث او يردّوهُ فهؤلاء ان قبلوا الميراث او ردّوهُ فليس لهم بعد ذلك حقّ الرجوع عن القبول او الردّ ما لم يكونوا قاصرين

(٦) مع ذلك قد دعانا الرفق الى وضع قانون مآلهُ انهُ يجوز قبول الميراث مع التعهُّد بما لا يزيد على قيمة التركة

(٧) الوارث الاجنبيُّ المقام او المسهم لهُ في تركة شرعية يصير وارثاً سواء كان ذلك بقبول الارث او بمجرَّد التصريح بعدم قبول الميراث وكما يصير الاجنبيُّ وارثاً بمجرَّد التصريح بقبولهِ كذلك يخسر حقوقهُ في التركة بمجرَّد الردّ

الفصل العشرون في الموصى بهِ

لنأخذ الآن في ذكر الموصى بهِ

(١) الموصى بهِ هبة يتركها الميت ليسلمها وارثهُ الى الموصى لهُ

(٢) قد وضع القدماء الفاظاً لكل نوع من انواع الموصى بهِ وبهذه الالفاظ كانوا يفرقون بين الانواع المختلفة وقد قرَّر قانوننا ان ما يوهب بالوصية يُعدّ كلهُ جنساً واحداً وانهُ يؤذَن للموصى لهُ ان يأخذ الموصى بهِ بالمطالبات الشخصية والعقارية والرهنية بدون التفريق بين ما كان يستعمل من الالفاظ للايصاء

(٣) وزد على ذلك انا نحكم ضرورةً بان يضاف الى الموصى بهِ كل ما بهِ المصلحة من احكام لوديعة كما نحكم ان يضاف الى حكم الوديعة كل ما يحتمل ان يكون اكثر مطابقة للموصى بهِ

(٤) شيء الوصيّ او شيء الوارث او شيء الغير يصحّ ان يوصى بها بحيث ان الوارث يكون مكرهاً على ان يشتريها واذا لم يتسنَّ لهُ اشتراؤُها فيؤدّي ثمنها وذلك مشروط بأن يكون المتوفى عالماً ان الشيء كان ملك الغير . والبيِّنة على المدعي

(٥) متى اوصي بشيء مرهون عند الدائن يتعيَّن على الغريم أن يفكهُ اذا علم انهُ كان مرهوناً

(٦) اذا كان قد اوصي بشيء الغير ثمَّ ملكهُ الموصى في حياة الموصي كان لهُ ان يأخذ ثمنهُ بحكم الوصية

(٧) ان الشيء غير الموجود يصح الايصاء بهِ شرعاً اذا كان من الممكن أن يوجد يوماً ما قد أوصى لهُ بعين ذلك الشيء واما اذا كان قد أوصى لهُ بالانتفاع بهِ فقط ولم يوصِ لهُ بملكيَّة عينهِ لم يكن لهُ أخذ ثمنهِ

(٨) متى أُوصي بشيء واحدٍ لاثنين اما على انفراد او معاً وجب ان يُقسم بينهما اذا استلم الاثنان الموصى بهِ فيأخذ شريكهُ كل الوصيَّة اي الموصى بهِ

(٩) اذا اوصى بارض الغير لمن اشترى عينها ولمن صار يستغلها فالموصى لهُ يتصرف فيما بعد بقوة الوصيَّة وقد حكم جوليان ان تصرفهُ قانوني وان لهُ ان يأخذ الأرض

(١٠) اذا اوصى لشخص بشيء كان لهُ فالوصيَّة غير مفيدة

(١١) اذا أوصى شخص بشيء معتقداً انهُ لغيرهِ فالوصيَّة شرعيَّة . وكذا ان اعتقد انهُ أُوصي بشيء الموصى لهُ

(١٢) اذا الموصي أوصى بشيء لهُ خاص ثم باعهُ فعند سِلس ان كان البيع باتاً فالشيء الموصى بهِ مستحق للموصى لهُ وان لم يبع بعض الموصى بهِ فالباقي مستحق بلا اشكال وكذلك البعض المبيع ان لم يبع بيع وفاء

(١٣) من أوصى لمديونهِ بمال عليهِ فوصيتهُ شرعيَّة

(١٤) اذا المديون اوصى لدائنهِ بما لهُ عليهِ فالوصية غير مفيدة ان لم يكن الموصى بهِ اكثر من الدين

(١٥) اذا الزوج اوصى لزوجتهِ بمهرها فالوصية شرعية

(١٦) اذا هلك الموصى بهِ بدون تعدٍ من الوارث هلك على الموصى لهُ

(١٧) اذا اوصى شخص بإماء مع اولادهنَّ وبالاولاد حين تكون الامهات ميتات يدخلن في الموصى بهِ . واذا اوصى بعبدٍ مع مالهِ والعبد ميت او محرَّر او مبيع فالوصية بالمال تلغو واذا اوصى ببيت مع اثاثهِ وامتعتهِ ومواعينهِ وكان البيت قد بيع صارت الوصية بالامتعة والمواعين لاغية

(١٨) اذا اوصى بقطيع ثم نقص القطيع حتى لم يبقَ الاَّ نعجة واحدة فالباقي يصح ان يسترد

(١٩) ما أُضيف بعد اتمام الوصية الى الابنية الموصى بها فهو بحسب حكمنا داخل في الموصى بهِ

(٢٠) اذا أُوصي بمال وفرهُ العبد فما زاد عليهِ او نقص منهُ في حياة الموصي فالزيادة للموصى لهُ والنقص عليهِ . ومال العبد ما لم يكن قد أُوصي لهُ بهِ فلا يجب للمحرر ولو كان

يكفيهِ ان لا يجرد منهُ وهو حيّ

(٢١) كما يجوز الايصاء بالعروض والعقاد والحقوق والمرافق يجوز للميت ان يوصي لأيٍّ كان بما يجب لهُ عليهِ

(٢٢) متى أُوصِي بشيءٍ على وجه الاجمال فالخيار للموصى لهُ ما لم يكن الموصي قد أُوصى بخلاف ذلك

(٢٣) اذا تعدَّد الموصى لهم المفوَّض اليهم الاختيار ولم يتفقوا على الشيءِ الذي فُوِّض اليهم اختيارهُ او تعدَّد ورَّاث الموصى لهُ الواحد ولم يتفقوا على الاختيار فيقترع حينئذٍ فمن اصابتهُ القرعة كان الاختيار لهُ

(٢٤) لا يصحُّ ان يوصى الاَّ للذين يجوز ان يوصى لهم

(٢٥) ما كان يجوز قديمًا ان يترك الموصى بهِ ولا الوديعة في ايدي مجهولين. واذا عرف شخص بعض التعريف كانت الوصية لهُ شرعية . ثم ان الموصى بهِ والوديعة المتروكين الاشخاص غير معينين والمسلمين لهم خطأً لا يمكن ان يستردا

(٢٦) الوصية الموصى بها للغريب المولود بعد وفاة والدهِ باطلة

(٢٧ و ٢٨ و ٢٩) متى غلط الموصي في اسم العائلة واللقب واسم الشخص وتكملة اسم الموصي لهُ فلا تزال الوصية شرعية ان لم يقع شك في هوّية الشخص

(٣٠) ان التعريف المغلوط غير مبطل للوصية تبعًا لقاعدة شرعية

(٣١) وبالاولى حجة ان السبب الكاذب المضاف الى الوصية لا يبطلها

(٣٢) الوصية التي تبطل لو مات الموصي في الحال فلا تصحُّ ولو عاش الموصي زمانًا أطول

(٣٣) العبد حين يقام وارثًا يوصي شرعًا لمولاهُ تحت شرطٍ

(٣٤) ان شريعتنا تجيز ان يوصى قبل اقامة الوارث وبين التوريثات المختلفة

(٣٥) الوصية المعمولة لتسلم بعد موت الوارث او موت الموصى لهُ كلتاهما لا فائدة لها فنحن قد صححنا هذا الشرط. وجعلنا الوصيات التي من هذا القبيل في حكم الوديعة

(٣٦) انهُ كان من الباطل قديمًا الوصية المعمولة او المبطلة او المحوَّلة بحجة القصاص وكذلك لم يكن جائزًا الاعتاق بحجة القصاص واضف الى ذلك انهُ لم يكن سائغًا ان يزاد على عدد الورثة بحجة القصاص واما نحن فقد حكمنا ان الاشياء التي يوصى بها معطاة كانت او مزالة او محوَّلة الى آخر بعلة القصاص حكمها حكم سائر الوصيات الاَّ انهُ يستثنى ما يكون مستحيلا الممنوع بالشريعة والمضاد الآداب

(سعيد الخوري الشرتوني)

القوة في الشيخوخة

من مقالة للدكتور مديصن تيلر الاميركي

يظهر لاول وهلة ان درس حالات الجسم البشري وما يطرأ عليهِ من التغير بعد سن الكهولة امرٌ جدير بالعناية والاهتمام وهو كذلك فان المبدأ الاساسي في الاقتصاد ليس مقدار ما نكسبهُ من تجارتنا او صناعتنا بل مقدار ما ندخرهُ من ذلك المكسب او نوفرهُ فان فائدة يجنيها الولد من العناية بتربيتهِ او اليافع من ترقية قواهُ العقلية والبدنية لا تحسب بالامر الكبير ان كانا لا يتمتعان بها الاَّ مدة قصيرة من العمر . وكذلك فائدة الوسائط التي تمكننا مع التمتع بملذات هذه الحياة على حسب ما تعلمناهُ بطول الاختبار وحسن الاختيار لا تعدُّ امرًا كبيرًا اذا كانت لا تدوم طويلاً

الشيخوخة لفظ نسبيٌّ فان من الناس من ترى آثار الهرم بادية عليهم وهم لا يزالون صغار السنّ ومنهم من تزينهم نضارة الشباب وان تجاوزوا سن الكهولة او بلغوا من الكبر عتيًّا . ولا بد من فائدة كبيرة من توجيه العناية الى مقاومة التغيير الذي يطرأ على الجسم كلما تقدم في السن . وقد تمَّ شيءٌ من ذلك كما يظهر من زيادة متوسط العمر عمومًا

واساس اطالة العمر الاهتمام بتربية الاطفال والاعتناء بطعامهم وصحتهم في الاشهر الاولى من ولادتهم . فاذا كان الاساس مكينًا سهل جعل البناء مكينًا ايضًا . ولا فائدة من تسهيل سبل النمو والارتقاء في وجه الامة اذا أُهمل امر اطفالها وهم في اشهرهم الاولى من عمرهم لان العقاقير والادوية لا تصلح الخلل الذي يطرأُ على الاجسام بسبب اهمالها في اوائل الحياة

وهناك قضايا مقررة في اطالة العمر وهي ان تغذية الطفل الطبيعية تفضل التغذية الاصطناعية وان الشيوخ الذين بلغوا سن الهرم قضوا اوائل عمرهم في الاماكن غير المزدحمة بالسكان وان الذين يقطنون الاماكن المزدحمة لا يكونون اقوياء البنية الاَّ اذا كانوا قد قطنوها حديثًا واما اولادهم واولاد اولادهم فيكونون اضعف منهم . وقد ظهر من احصاء السكان في مدينة لندن ان اولاد الاحفاد ينقرضون من الاحياء المزدحمة . والنتيجة ان السكن خارج المدن شرط لازم من شروط طول العمر . فان الولد الذي يولد وينشأ في المدينة عرضة لآفات كثيرة تتلف بنيتهُ بتحميل اعضاء الحسّ ماهو فوق طوقها مثل الاصوات الكثيرة وزيادة الانتباه الى ما حولهُ . وزد على ذلك الهواء الفاسد مما يشوبهُ من الغازات المضرة والغبار الحامل لجراثيم الامراض وما شاكل . فهذه الامور وغيرها ترجح على ما في المدن من المزايا التي لا تنكر

من مثل شوارعها المبلطة وقلة تعرضها للرياح واتقان منازلها وما اشبه من المزايا التي تمتاز بها المدن على القرى . اما الذين ينفقون عن سعة ويستطيعون الانتقال من المدن الى الارياف للتمتع بعيشة الخلاء والسكون فليس ما يقال في امرهم . والذين بلغوا سن الكهولة وباتوا يضنون بقواهم ان تضيع سدى لا يصعب عليهم ان يحافظوا على تلك القوى بالتنزه عن هموم الحياة ومشاغلها والابتعاد عن الاشغال والاعمال حين الاقتضاء وتقليل الطعام والامتناع عن المنبهات والمخدرات وقضاء مدد طويلة من غير عمل وتقليل الملاهي والاشتراك فيها اذا جاءت من نفسها من غير سعي اليها

هذا وقد عرفت عددًا من الرجال والنساء انهمكوا في الالعاب المعروفة اغتنامًا للسرور فانهكوا قواهم وقطعوا حبل حياتهم بايديهم . وما من احد بيننا الاّ ويعرف اناسًا جدُّوا حتى احرزوا المال والجاه وهم متمتعون بالصحة والشباب ثم انهمكوا في الملاهي فحملوا اجسامهم فوق ما تحتمل فناء بهم الحمل

وربما كان اهمُّ الشروط اللازمة لاطالة العمر ان يكون الانسان رزينًا رابط الجأش عند حلول المصايب وبعبارة اخرى ان دماثة الخلق خير الوسائط للتعمير . ولقد اصاب من عرَّف السماء بانها حالة يعرف المرء فيها ما يحتاج اليهِ ويستطيع ان يتمتع بهِ عند نيلهِ . فجهنم اذًا حالة لا يعرف المرء فيها ما يحتاج اليهِ ولا يستطيع التمتع بهِ ولو نالهُ

ومن اهم شروط اطالة العمر في الكهولة ان يعرف الانسان كيف يتولى قياد نفسهِ . وكلُّ عناية تبذل في هذه السبيل تنال جزاء عاجلاً مهما صغر قدرها . خذ مسألة الطعام مثلاً فان الحكمة تقضي ان يمتنع الانسان في كهولتهِ وشيخوختهِ عن تناول مواد الطعام المهيجة التي يعتادها في زمن الشباب . ومن الامور التي تكاد تكون اولية في اطالة العمر انهُ كلما قللنا الطعام وقللنا الوانهُ كان ذلك أدعى الى طول العمر . فان الشرط الرئيسي لحفظ الشباب والذي بفقدهِ تبتدئ الشيخوخة انما هو مرونة انسجة الجسم . ولحفظ تلك المرونة اشار بعض الاطباء بالامتناع عن الاطعمة التي تزيد رسوب املاح الجير (الكلس) في الانسجة وتقلل الابراز والافراز . وربما كانت آراء الشيوخ المعمَّرين مفيدة في الاهتداء الى انواع الطعام التي تفضي الى هذا الامر . ولكنَّ هناك اختلافًا في الامزجة بين الناس لا يصحُّ السكوت عنهُ . كما ان لطوائف البشر عادات مختلفة في المأكل والمشرب فما يلائم طائفة قد لا يلائم الاخرى فلا يصحُّ ان تقاس هذه بتلك من جميع الوجوه ولكن المبادئ واحدة على الغالب

وهذه المبادئ هي تفضيل الخضر والاطعمة الشبيهة بالحيوانية على اللحوم . اما من جهة

الخبز فقد سمعت بعضهم يقول عنهُ انهُ اعظم ما يقلل المرونة من انسجة الجسم ولست اعلم مقدار ما في هذا القول من الصحة ولكني اعتقد انهُ قول جدير بالاهتمام والالتفات . وهناك مسألة المسكرات وما اذا كان شربها يجوز او لا يجوز من حيث اطالة العمر وعندي انها ضارَّة وان كنت اعتقد انها محمودة في بعض الحالات المرضية

وقد اختلفت اقوال المعمرين في ما يجوز اكلهُ وما لا يجوز لاطالة العمر ولكن اقوالهم ظنون لا يركن اليها ولا يعوَّل عليها فقد اخبرتني سيدة كبرت وشاخت وهي في صحة العقل والجسد ان سيدة اخرى سألتها ذات يوم عن السبب في طول عمرها وتمتعها بالصحة فأجابتها مازحة ان اكل الملح هو السبب في ذلك فذهبت الامرأة من عندها وقد عقدت النية على ان تأكل من الملح ما استطاعت ولم تنتبه لما في كلام صاحبتها من الهزل

ولا يبرح عن البال ان كبر السن لفظ نسبيٌّ . فقد ابانت الاحصاءات ان الاعمار في القرون المتوسطة كانت اقصر مما هي عليهِ الآن . وقد بذلت المساعي الكثيرة في عهدنا وخصوصاً في الربع الاخير من القرن الماضي لاطالة الاعمار فجاءت بنتائج اعظم مما امَّل المؤملون

ومما يضعف الجسم ويتلف الصحة في الشيخوخة اهمال عضو من الاعضاء طرأ عليهِ ضعف في الشباب او الكهولة كالاذن والانف والحلق والعين والجهاز الهضمي . فقد أبان بعضهم ان كثيرين من كبار العلماء والمشاهير ذاقوا غصص الآلام وابتلوا بالامراض في شيخوختهم من اهمال امرعيونهم في شبيبتهم

وعيشة الخلاء شرط من الشروط اللازمة لاطالة العمر وخير ضامن للصحة . وخير للشيوخ ان يعجلوا في المنام ويبكروا في القيام . واغتنام ساعات الصبح الباكر يلائم جميع الناس على اختلاف اعمارهم ولكنهُ ضروري للشيوخ لانهم لا يحتاجون الى النوم الكثير الاَّ اذا وجدوا من نفوسهم ميلاً الى الاستزادة منهُ كما هو شعور معظم الشيوخ اذا آذنت شمس حياتهم بالمغيب. والقيلولة (نوم النهار) مفيدة منعشة لهم

هذا من جهة النوم واما من جهة اللباس فان الشيوخ يميلون الى تثقيل ملابسهم التحتانية لكي لا تتعرض بشرتهم للهواء وخصوصاً المجاري الهوائية . والسبب في ذلك بطء الدورة الدموية في سطح الجلد وضعف خلايا الجلد عن المقاومة وضعف القوة المكوّنة للدم كما ان للعادة علاقة بذلك لا تنكر فان سرعة تعرُّض الشيوخ للبرد عائدة في الاكثر الى العادة لا الى السن

***

مما يهمُّ ذكرهُ في هذا الصدد كيفية انحلال الجسم مقدمة للموت الذي لا مناص منهُ

بانحلال الاعضاء الرئيسة كالقلب والشرابين والرئتين والكليتين والجهاز الهضمي والدماغ

القلب

يطرأ الكلال على قلب الانسان المتقدم في السن بسبب ضعف اعصابهِ وان كان صحيح الجسم فيصير النبض اسرع مما كان عليهِ في زمن الكهولة واقل انتظاماً . ومن اكثر اعراض الشيخوخة ظهوراً قصر النفس عند اجهاد الجسم ومعظم السبب في ذلك ضعف الدورة الدموية والاعصاب التي تحرك الاوعية الدموية لا ضعف الرئتين فيصير القلب رخواً ليناً وانقباضهُ خفيفاً وليس في ذلك ما يوجب الخوف والقلق الا اذا تفاقمت الحال فان ذلك يدل على تغير مهم فيجب ان يستشار الطبيب حينئذٍ . ومن العوارض التي تصيب الشيوخ وتولد فيهم الروع الشديد ألم في الصدر يخيل لصاحبهِ ان منيتهُ حانت. وهذا الالم قد يصيب الشيخ فجأة بلا انذار سابق ولكنهُ يزول غالباً و يعود فيتجدد مراراً وقد يكون دليلاً على مرض مزمن في المصراع الفؤادي

الرئتان

اما التغيرات التي تطرأ على رئتي الشيخ المسن فطبيعية لا علاقة لها بما يكون قد طرأ عليهما من الخلل سابقاً . والرئتان كالقلب عرضة لطوارئ تصيبهما فتضيق صدر صاحبهما . واهم تلك الطوارئ الربو (الازما) وذات الرئة المزمنة والتهاب الشعب . اما ذات الرئة فداء ذو خطر في الشيوخ و يقال ان ذات الرئة الشعبية سبب معظم الامراض التي يموت بها الشيوخ او مصاحبة لها

اعضاء الهضم

تختل اعضاء الهضم احياناً ويبطل عملها على حين ان بقية اعضاء الجسم تبقى سليمة . واذا لم ينتبه لتقليل الطعام كانت النتيجة وبالاً على الدوام وقد قال الدكتور السروليم طمسن ان سقوط الاسنان في الشيخ علامة على العودة الى طفولة ثانية فمن ثم يجب ان يكون نوع الطعام مما لا يحتاج فيهِ الى الاسنان في مضغهِ . ونصح للشيوخ ان لا يستعملوا الاسنان الاصطناعية خشية ان يتناولوا من الطعام ما لا طاقة لهم عليهِ . ولما كانت اعضاء الجهاز الهضمي في اوائل اعضاء الجسم التي يدب الانحلال اليها وجب ان يكون طعام الشيوخ بسيطاً في نوعهِ فلا تحمَّل تلك الاعضاء فوق طوقها . فان العصارة المعدية والصفراء وعصارة البنكرياس والامعاء يقل افرازها . واذا قل افراز الصفراء تسلط القبض على الامعاء وتكونت حصى المرارة وتعطَّل عمل الامتصاص والتمثيل . ثم ان الكليتين وهما العضوان اللذان يفرزان سموم الجسم وفضوله الفاسدة تضعفان ايضاً فلا يجوز انهاكهما بكثرة العمل الذي يطلب منهما ولا بصفنهِ

الدماغ

اما الدماغ فربما كانت آثار الشيخوخة والهرم اظهر فيهِ منها في غيرهِ فيكثر نزف الدم فيهِ وتلين مادَّتهُ وتتغير الحالة العقلية ويكون ذلك كلهُ مقدمة لتغيرات اعظم شأنًا واشدّ تأثيرًا

واوّل الوظائف التي يؤثر كبر السنّ فيها ويضعفها الوظائف التي لها العلاقة الكبرى بتجديد خلايا الجسم وترميمها وهي اربع الاولى مباشرة الخلايا للمواد الغذائية والثانية اخذ الخلايا لتلك المواد ويسمى التمثيل والثالثة التغيرات التي تطرأ على المواد الممثلة . والرابعة افراز المواد التي لم تمثَّل . ففي الشيخوخة يظهر التغير الاول في التمثيل فتقلُّ قوة الخلايا على تجديد نفسها وتقلُّ كمية المواد المهيأة لذلك التجديد وتضعف قوة الخلايا عن المقاومة فيفضي ذلك الى تصلب انسجة الجسم وخلاياهُ تصلبًا طبيعيًا . ثم انهُ يصعب قذف الفضول المتجمعة بسبب التأكسد غير التام فيضر ذلك بتركيب انسجة الجسم. وزد على ما تقدّم ان التغيرات الكيماوية تصير ابطأ مما كانت عليهِ فيتكون في الجسم سموم اكثر مما يستطيع افرازهُ وتنشأ عن ذلك امراض مختلفة كالنقرس وداء المفاصل واشباههما

هذا وان صحة المرء تجري مجراها الطبيعي ما دامت عناصر الجسم الاولية تفوق العناصر الثانوية في عملها ونشاطها . والعناصر الاولية هي الخلايا التي تفوق غيرها في اتمام وظائف الاعضاء والثانوية دونها في ذلك . ولما كان يتعذر تجديد تلك العناصر على النسبة اللازمة فان الخلل يتطرق الى الوظائف المذكورة وحينئذٍ يبدأ طور الانحلال او الشيخوخة

على ان الانحلال لا يسير سيرًا منتظمًا سواءٌ كان ذلك في الجسم نفسهِ او في احد اعضائهِ لان العناصر التي يتألف منها لا تعيش عمرًا واحدًا وهي في تجدُّد مستمر فالكبيرة تموت وتندثر لتقوم الصغيرة مقامها . ومن المؤكد ان هذا التغير الذي يحدث لا يدوم على الحال المتقدمة بل يفضي الى تغير محسوس في حركة دقائق الجسم . وهذا التغير هو ما يسمى بالمرض

ومن الامور المشاهدة ان علامات الشيخوخة تبدو على بعض الناس قبلما تبدو على غيرهم ولا يرافق تلك العلامات انحطاط كثير بسبب قوة بنيتهم . وكما ان النمو التدريجي يوصل الى البلوغ والارتقاء فكذلك الشيخوخة توصل الى الموت بنقص القوى الحيوية شيئًا فشيئًا. فالموت اذًا وظيفة طبيعية وهو خالٍ من الالم عادة

هذا وان من العوارض التي تعتري الكهول والشيوخ كما تعتري غيرهم كثر السمن ولكن سمنَ الاحداث يختلف عن سمن المتقدمين في السن . فان سبب السمن في الاولين غالبًا حسن الهضم وقلة الافراز والابراز وعلاجهُ تقليل الطعام وتكثير الرياضة . واما السمن الذي

يعتري بعض المتقدمين في السمن وبعض الاحداث فلا علاج لهُ وكثيرًا ما يفاجئ السمن النساء خصوصاً ويبلغ فيهنَّ مبلغاً عظيماً حتى يضايقهنَّ وينهك قواهنَّ . فان كان يصحبهُ عارض من العوارض غير الطبيعية فيستصوب معالجتهُ والالتفات الى امر الطعام والرياضة . اما الذين ليسوا اقوياء كالمصابين بفقر الدم مثلاً فيجب ان ينظر فيما اذا كانوا مصابين بمرض وان يعالج مرضهم

واول ما يجب الانتباه لهُ في علاج هذا النوع من السمن ان يتولى الطبيب بنفسهِ علاج المصابين بهِ فانهُ اسلم عاقبة . فاذا كان القلب والدورة الدموية ضعيفين كما يحدث غالبًا وجب اتخاذ التحوط اللازم لما عسى ان يطرأ . ومن الامور المسببة للخطران ان يتولى المصاب علاج نفسهِ بتعاطي العقاقير والادوية لما قد يعقب ذلك من الضرر الذي يتعذر تلافيهِ فيما بعد . ولكن لا اعتراض على تخفيف الطعام وزيادة الرياضة البدنية وجعلها منتظمة لتزيد المرونة في انسجة الجسم . ومن رأي احد كبار الاطباء انهُ وان كان القلب ضعيفاً والدورة الدموية مضطربة الاَّ انهُ يمكن علاج ذلك بزيادة الرياضة البدنية زيادة مطردة . وخير رياضة يلجأ اليها التصعيد في الجبال وفائدة ذلك انهُ يساعد الجلد على افراز الرطوبة ويحرك التنفس على العمل اكثر من سائر الرياضات

غير ان علاج السمان المصابين بالانيميا (فقر الدم) يستلزم عناية اشدَّ لان قلوبهم تكون شحمة والالياف العضلية فيها غير مرنة فيجب ان تمرَّن حتى تعود مرونتها اليها ويسهل الانقباض عليها . وصعود الدرج ونزولهُ يكفيان في بادئ الامر على شرط ان يكونا منتظمين وبسرعة معتدلة

ومن القواعد الجوهرية في هذا الصدد ان مدة العلاج لا تقاس بالاسابيع ولا بالشهور بل بالسنين . ولايضاح ذلك اقول انني كنت اعالج رجلاً مصابًا بالسمن عمرهُ ٦١ سنة وكان قد تعلم ركوب الدرَّاجة ولكنهُ رأى انهُ لا يستطيع مزاولتهُ كثيرًا لما كان يصحبهُ من عسر التنفس فنصحت لهُ ان يركب الدراجة على اطراد مدة قصيرة في الطرق المستوية . ففعل وبعد مضي عدة اشهر لم يبقَ يشعر بعسر التنفس . وبعد سنة صار يستطيع ركوب الدراجة طويلاً ولكنهُ كان يضطر ان ينزل عنها كلما استقبل منحدرًا سواءٌ كان كبيرًا او صغيرًا وبعد سنة اخرى صار يستطيع ركوبها في المنحدرات الصغيرة . وفي نهاية السنة الثامنة صار يركبها وهو لا يشعر باقل انزعاج . وفي نهاية الثالثة كان يركبها ايان شاء مدة ساعات متوالية على شرط ان تكون الطرق سهلة . ولم يكد يظهر في السنتين الاوليين ان ثقلهُ قلَّ ولكنهُ قلَّ بعد ذلك قلة ظاهرة وقد بلغ السنة السادسة والسبعين من عمرهِ وهو يشعر انهُ اصغر مما هو عليهِ بعشرين سنة

سنأتي البقية

حكاية حال

(المقتطف . انسنا بلقاء شاعر دمشق العصري صاحب السعادة سليم بك عنجوري قدم العاصمة زائرًا واتحف المقتطف بهذه القصيدة عن حادثة جرت في احدى مدن سورية)

سرق اللصُّ لاضطرارٍ وفقرٍ   بعض مالٍ من جيْبِ ربِ الثراء
باحتيالٍ ودربة واحتراز   كان منها اليفَ الفٍ عناء
لبس الخوف وارتدى الرُعْبَ القى   بيديهِ حياتهُ للبلاء
كل هــذا التماس قوت عيالٍ   ضاقَ منها بالتعس رحب الفضاء
يالحي الله خلَّة مذ الـمَّت   دفعتهُ للخطة الشنعاء (١)
لا لعمري ما كان ذيَّاك لصًّا   لو تربى من معشرٍ فضلاءِ
هذبوهُ واكسبوهُ نشاطًا   واجتناب الاضرار والاسواء
علموهُ على النفوس اعتمادًا   ينتج الجدَّ للغنى والنماء
ان جرثومة الرذائل فينا   ولدت من تهامل الآباء

***

صبية بعضهم يسبق البعض هزالاً بفعل سوء الغذاء
وبنات مثل الملائك حُسْنًا   عاريات يندبنَ حال الشقاء
حول أمٍ تقرَّحت مقلتاها   من دواهي الزمان والارزاء
تشتكي البرد لا كساء يقيها   لذعة القرّ لا وقود اصطلاء
كم نهارٍ كم ليلةٍ قد قضتها   بين نوحٍ وحسرةٍ وبكاء
ظلماتٌ صواعق وبروقٌ   ورياحٌ تهبُّ فصلَ الشتاء
لا بساط ولا فراش وثيرٌ   لا سراج ينيل بعض الضياء
شرفاتٌ بلا سدولٍ وسقفٌ   دام بالوكف ممطرًا سيل ماء
عجز الزوج عن تعلُّم صنع   فيهِ كسبٌ كسائر البلداء
صار لصًّا يرجو بذاك نجاةً   من بلاء الاعسار واللأواء
راقب الصيرفيَّ بعد انصرافٍ   وهو يمشي في السوق قرب العشاء .
فدنا منهُ والفؤاد هلوعٌ   في طريقٍ خلت من الرقباء
مدَّ كفًّا بخفةٍ نحو كيسٍ   فيهِ الف من فضةٍ بيضاء

(١) الخلة الفقر ومنهُ المثل (الخلة تدعو الى السلة) اي الفقر والحاجة يدعوان الى السرقة

سلب المال ثم غادر يعدو بين يأسٍ وخشيةٍ ورجاء
بلغ البيت بعد جهدٍ مُذيبٍ آمناً من سعاية الاعداء
بفؤاد يبغي الكفاف ليحيي وضميرٍ يخاف سخط السماء
وَلج الدار طافح الوجه بشراً حاسباً نفسهُ من الاغنياء
افرغ الكيس ضاحكاً بين ايدي فتيةٍ يجهلون طعم الحساء [1]
فرح الكلُّ بالغنى بعد فقرٍ ثم ناموا بغبطة وهناء

***

اشرف الجار بغتةً فوق سطح مذ وعى الشر عاد كالحرباء
كم لئيم من مثل ذا يتزيى زيَّ اهل الوفاء وهو مرائي
يزرع الشر موضع الخير بغياً انما البغي ديْدن اللؤماء
راح يسعى بجارهِ دون نفع لذوي الحكم تحت ستر الخفاء
قرع الباب شرطة بعد نصف الليل هبَّ النيامُ كالبلهاء
عاينوا الطرق غاصة بالوفٍ يزعجون الآفاق بالضوضاء
خرجوا من بيوتهم دون ستر غير ستر السماء في الظلماء
بعضهم بالزحام يسحق بعضاً سائلين الشرطيَّ بالايماء
اي ويلٍ واي خطب دهانا تلك حال الفضول في الجهلاء

***

امسكوا اللصَّ بعد ضرب وشتم كبلوهُ ساقوهُ للايذاء
بين ندبٍ يفتت القلب حزناً وعويلِ الاولاد بعد النساء
ليس يدري ايقظة ام منامٌ ما رأى من مصيبةٍ وبلاء
طرحوهُ في السجن بين مئاتٍ من رجال زعانفٍ سفهاء
حرَّضوهُ على ارتكاب الدنايا والمعاصي حتى بسفك الدماء
كان قبلاً يخاف سرقة مالٍ اصبح اليوم اعظم الاشقياء
تلك حال السجون من الف عام في بلاد الجهال والاغبياء

***

انما السجن زاجرٌ لذويهِ عن فعال الطغام والاردياء [2]

---

(١) المائع من الاطعمة كالمرق ونحوهِ من الغذاء (٢) الطغام او باش الناس ورعاعهم

فيهِ علمٌ صنائعٌ واشتغالٌ يكسب المرءَ شيمة الادباء
محكم الوضع متقن الصنع زاهٍ صالح العيش جالب للهناء
فيهِ كتب تهذب الخلق قسرًا فيهِ طب يزيل اعضل داء
فيهِ قومٌ ليرشدوا كل غاوٍ بحديثٍ ذي حكمةٍ وجلاء
هكذا السجن في بلاد حباها مالكوها ذرائع الارتقاء [1]
لا كسجن حوى جحيم شرور فيهِ تنمو نقائصُ الادنياء

***

زوجة اللص بادرت بعد شهرٍ نحو مغنى رئيس رهط القضاء [2]
حالَ دون اللقاء حجّابُ بابٍ نفحتهمْ (بليرةٍ) صفراء [3]
ادخلوها مقصورة ذات عرش فوقهُ ماكرٌ كثير الدهاء
قبلت هدب ذيلهِ ثم خرّت فرماها بنظرة الكبرياء
سألتهُ فكاك زوج أثيم رحمة بالبنات والابناء
وحبتهُ بعض المئات نقودًا فاحتواها بغلظة وجفاء
قال هلاَّ اقنعتِ بعض رفاقي فقوام الرؤُوس بالاعضاء
خرجت تذرف الدموع غزارًا نحو عضوٍ يعزُ بالفحشاء
رام منها لكي تنال رضاهُ ما اليهِ نشير بالايماء
هالها الامر اعولت ثم ولت دون جدوى من فاسد الحوباء

***

لزم السجن زوجها ورجال البغي فازوا بسؤدد وعلاء
واللصوص الكبار صاروا قضاةً واللصوص الصغار اهل الشقاء
سلبوا المال رشوةً واستباحوا العرض جهرًا وهم من العظماء
واذا قيل من لنيل المعالي قبل هذا وذاك دون امتراء
واذا عدَّ معشر الفضل يومًا حسبوهم من افضل الاذكياء
أبهذا ومثل هذا صلاحٌ لا ورب الانباء والانبياء

سليم عنجوري

(١) راجع المقالة المثبتة في المقتطف (مجلد ١٣ : ص ٢٤٩) تحت عنوان سجن جديد في كاليفورنيا
(٢) المغنى المنزل والرهط الجماعة من الثلاثة الى العشرة (٣) الليرة في الاصطلاح الدينار

سل البقر وسل البشر

وتقرير اللجنة الانكليزية

لما خطب الدكتور كوخ خطبتهُ المشهورة في مؤتمر السل الذي عقد في مدينة لندن منذ ثلاث سنوات فرق فيها بين سل البقر وسل البشر قائلاً ان سل البشر يختلف عن سل البقر ولا يمكن نقلهُ اليها . وان انتقال السل من البقر الى البشر لا يمكن اثباتهُ بالامتحان واذا كان ممكناً فهو قليل جدًّا ليس اكثر من انتقال السل بالوراثة . الى ان قال "ولا احسب ان العدوى من اكل لحم البقر المصابة بالسل وشرب لبنها واكل الزبدة المصنوعة منهُ اكثر من العدوى بالوراثة ولذلك لا ارى موجباً للاهتمام بمقاومتها"

ولا يخفى ان اكثر علماء الطب خالفوا الدكتور كوخ حينئذٍ في انتقال عدوى السل من البقر الى البشر وعين الانكليز لجنة ملكية للبحث المدقق في هذا الموضوع وقام كثيرون من العلماء يبحثون وينقبون وفي جملتهم الاستاذ بهرنج الشهير تلميذ كوخ فخالف استاذهُ وقال ان اكثر اصابات السل ناتج عن عدوى الاطفال بلبن البقر المصابة بالسل

وكان غرض اللجنة المشار اليها البحث في الامور الثلاثة التالية وهي

الاول هل السل الذي يصيب الناس والذي يصيب البهائم نوع واحد

الثاني هل يعدى بهِ الناس والبهائم كلٌّ من الآخر اي تنتقل العدوى من الانسان الى الحيوان ومن الحيوان الى الانسان

الثالث اذا كان هذا الداء ينتقل من الحيوان الى الانسان ففي اي احوال ينتقل وما هي الامور التي تسهل انتقالهُ او تمنعهُ

فالامر الاول حققتهُ اللجنة على هذه الصورة : اخذت عشرين مستحضرًا من السل البشري من عشرين مسلولاً وطعمت بها اجسام البقر بادخالها الى قناتها الهضمية او بالتلقيح تحت جلدها واوصلت ميكروب السل البقري الى اجسام ابقار اخرى فسبعة طعوم من السل البشري احدثت السل الحاد في البقر التي طعمت بها حالاً وانتشر ميكروب السل في ابدانها والطعوم الباقية وهي ١٣ طعماً كانت نتيجتها اقل شدةً فانحصر التدرن حيث أُدخل الطعم او انتشر قليلاً حولهُ على مسير الغدد اللمفاوية وظهر قليل من ميكروب السل في الرئتين والطحال

والبقر التي طعمت بطعوم مأخوذة من بقر مسلولة ظهر السل في خمس منها وكان قويًّا جدًّا وظهر في البقية وكان ضعيفاً

والنتيجة ان البقر تعدى بداء السل على نسق واحدة من الشدة والضعف سواء كان لقاح السل من البشر او من البقر . وقد عجزت اللجنة عن اكتشاف ما يفرق بين سل البقر وسل البشر من هذا القبيل

هذه خلاصة تقرير اللجنة وفيهِ نقض صريح لما قالهُ كوخ من ان سل البشر لا ينتقل الى البقر مع انهُ قال انهُ جرَّب تجارب كثيرة ولابدَّ من ان يعيد البحث والتنقيب فيؤيد قولهُ او يذعن لقول غيرهِ

اما الامران الآخران وهما انتقال عدوى السل من البقر الى البشر والاحوال التي تنتقل فيها والامور التي تسهل هذا الانتقال او تمنعهُ فلم تحققهما اللجنة حتى الآن على ما يظهر

انسان الارض والسماء

من مقالة لتشارلس مور يس نشرت في مجلة العلم العام الاميركية

في السماء عدد عديد من السيارات التي ترى والتي يتصور العقل وجودها حتى لا يكاد يصدَّق انها خالية من خلائق عاقلة شبيهة بالناس وان الارض وحدها خصت بسكن المخلوقات العاقلة دون غيرها من الاجرام السموية على حقارة الارض وصغر جرمها بالنسبة الى ذلك الفلك المدار الذي تحار فيهِ البصائر والابصار . ويحتمل ان تكون سيارتان او ثلاث من السيارات التي تدور حول الشمس صالحة لسكن الانسان كما يحتمل ان تكون الارض وحدها صالحة لسكنهِ دون غيرها . وكذلك ان تكون سيارات الشموس الاخرى مثل سيارات شمسنا اي ان يكون بعضها صالحًا لسكن المخلوقات العاقلة . ولما كانت السيارات التي يمكننا تصوُّرها كثيرة العدد فالمرجَّح ان السيارات التي تحوي مخلوقات عاقلة كثيرة أيضاً . ومما يرجح وجود المخلوقات العاقلة في غير الارض من كواكب السماء ان الكوكب الوحيد الذي نعلم احوالهُ وهو الارض مسكون بها ولا يعترض على ذلك الاَّ بان وجود الانسان على وجه الارض محصور في زمن قصير لانهُ لا يعيش فيها الاَّ حينما تكون حرارتها على الدرجة التي هي فيها الآن وهي لا تكون كذلك الاَّ في زمن قصير من عمرها

ومما لهُ علاقة بالموجودات العاقلة شكلها الطبيعي أهي شبيهة بالانسان اينما وجدت ام كلُّ سيارة من السيارات تحوي اشكالاً وانواعًا خاصة بها تجمعها جامعة الفكر والادراك . فمؤلفو الروايات افترضوا الامر الاخير في رواياتهم التي كتبوها عن الزهرة والمريخ وغيرهما من

السيارات والسكان الذين زعموا وجودهم فيها • ولكن النظر في الانواع الحية التي ظهرت على وجه هذه الارض يؤيد الرأي الاول وهو ان الخلائق العاقلة يجب ان تشبه الانسان جسماً وعقلاً حيث وجدت وأيان نشأت وعليهِ يستنتج انهُ اذا أتيح للانسان ان يجول في عرض هذا الفضاء الواسع رأى مخلوقات تشبههُ في اطراف الكون النائية ؛

وشروط الحياة على الارض قد لا توجد في غيرها من السيارات . فان درجة الحرارة التي تصلح للحياة هنا هي بين درجة الجليد ودرجة الغليان وهناك شروط لازمة ايضاً للحياة مثل نوع التربة والهواء والعمل الكيماوي وغيرها • وليس ثمت ما يثبت ان الشروط اللازمة للحياة على الارض لازمة في كل مكان آخر • اذ لا يبعد ان يوجد في السيارات الاخرى مخلوقات حية ولو اختلفت احوال الحرارة والجاذبية والعمل الكيماوي فيها عما هي عليهِ في الارض . نعم انهُ اذا كانت العناصر الكيماوية واحدة في جميع الاجرام السموية كما يظهر بالتحليل الطيفي لم تختلف شروط الحياة اختلافاً عظيماً فيها ولكن اذا كانت العناصر التي هي اكثر وجوداً واعظم فعلاً في جرم من الاجرام تختلف عما هي عليهِ في الارض لم يبعد ان تختلف شروط الحياة فيهِ باختلاف تلك العناصر وتوجد المخلوقات الحية حيث يوجد عمل كيماوي وحرارة غير معروفين عندنا . والامر الضروري في كل حال من احوال الحياة وسط يلائم بناء الجسم الحي

على ان هذه الامور كلها لا علاقة ضرورية لها بمسألة صور الحيوانات واشكالها . فاذا استطاع الانسان ان يعيش في سيارة من السيارات درجة حرارتها الف بميزان فارنهيت بدلاً من مئة وكان جسمهُ مركباً من بروتوبلازم يختلف في تركيبهِ الكيماوي عن البروتوبلازم الذي يتركب منهُ انسان هذه الارض لم يبعد ان يشابهنا جدًّا في صورتهِ وطرق عملهِ لان اشكال الحيوانات الخارجية تتبع الاحوال الطبيعية لا الكيماوية وهي في الاكثر نتيجة تنازع الحيوانات على البقاء وما تبذلهُ من الجهد للحصول على صورة اكثر ملاءمة لهذا الجهاد المستمرّ • هذه هي الحال حيثما تظهر الحياة وترتقي وايثما توجد الحرارة او العناصر الكيماوية الفعالة . وكذلك يقال عن التغير الداخلي ففي كلّ طور من اطوار الحياة المتقدمة نرى ان الحركة الحيوانية نتيجة التغير الكيماوي الناشئ عن عمل يشبه تأكسد الانسجة . ولا بدّ من وجود وسائط فعالة لتقديم الغذاء الجديد الى الانسجة المندثرة مثل اعصاب الحس وعضلات الحركة واعضاء الافراز والتجديد وسائر الاعضاء الآلية التي تشبه ما يوجد في اجسامنا

هذا ولما كانت ارضنا لا تكاد تذكر في جنب السيارات الاخرى سواء كان ذلك من جهة جرمها او من جهة قدمها فقد يسوقنا هذا الامر الى الحط من قدرها وتنزيل ارتقاء الحياة

فيها دون منزلتهِ الحقيقية · فان ارتقاء الحياة فيها عمل كبير في حدّ نفسهِ وان ظهر صغيرًا وانتهاؤُهُ بالانسان لا يصحّ ان يعدّ عملاً من اعمال الصدفة بل هو نتيجة لازمة عن تغيرات متنوعة · وقد بدأت مظاهر الحياة وصورها على الارض منذ ملايين كثيرة من السنين فكانت الاحياء الاولى بقعًا مكرسكوبية هلامية ثم ارتقت تدريجًا حتى انتهت بالانسان · ومثل هذا جرى في كل سيارة ظهر عليها مخلوقات عاقلة — بدأت الاحياء فيها بصور بسيطة دنيئة ثم ارتقت شيئًا فشيئًا وقد تكون نهاية ذلك الارتقاء هناك مختلفة عما هي عندنا وان يكن لدينا اسباب تحمل على الاعتقاد انها تشبه ما هو عندنا كلّ الشبه

ونتيجة الارتقاء الآلي تتوقف كثيرًا على العلائق الخارجية او الوسط وعلى علاقة المواد الآلية بالاحوال الكيماوية التي في ذلك الوسط · فان الماء والهواء وتأكسد المواد الآلية شروط لازمة لوجود النبات والحيوان وقد كانت كذلك منذ ظهرت الحياة على سطح الارض · واما فيما سوى ذلك فقد تغيّر الوسط كثيرًا · فقد كان في بادئ الامر طبيعيًا فصار فيما بعد حيويًا وكانت المخلوقات الآلية تقاوم العناصر غير الآلية في جهادها لاجل الحياة فظلّت فيما بعد تقاومها واخذت تقاوم بعضها بعضًا ايضًا · وكلما كانت صور الحياة تزداد تنوعًا ووظائفها تعددًا كان الوسط يجاريها على ذلك · فصارت نتائج الحرارة والبرد وثوران العناصر الطبيعية وسكونها والمآكل السامة والمغذية وغيرها من العوامل غير الآلية اسبابًا ثانوية للارتقاء بالنسبة الى تنازع الاجسام الحية على الغذاء تنازعًا شديدًا . واعظم عوامل الانتخاب في الارتقاء الآلي زيادة طلب الحيوانات للحوم وما ترتب على ذلك من ظهور وسائط النجاة او الدفاع في الحيوانات الضعيفة . وهذا العامل هو السبب الاعظم في تعدد الانواع المرتقية التي نراها الآن .ولم يقتصر هذا النزاع على مهاجمة الحيوانات القوية للضعيفة بل ان الاحياء الدنيا تهاجم الاحياء العليا وتعتدي عليها فان اشد اعداء الانسان الآلية باسًا واصعبها مراسًا واعظمها خطرًا انما هي المكروبات المسببة للامراض وهي ادنى اشكال الاحياء

***

لو حاولنا مراجعة سير النشوء الآلي على الارض لوجدنا امامنا اشكالاً حيوية متعددة ومختلفة في طرق عملها ودرجة حيويتها حتى نرى مجال البحث يضيق عن استيفائها فنكتفي بالالماع اليها

مرّ على النشوء الآلي زمن طويل كانت الاحياء في بداءتهِ تتألف من خلية واحدة وتلا ذلك احياء تتألف كل منها من عدة خلايا · وتفرع عن ذلك مملكتان آليتان عظيمتان وهما

المملكة النباتية والمملكة الحيوانية والاولى ذات اشكال ساكنة تعيش على المواد غير الآلية · والثانية ذات اشكال متحركة تعيش على المواد الآلية وهي مقدمة على الاولى · ولم يكن للعوامل غير الآلية سوى شأن قليل في ارتقاء المملكة النباتية فان اشكال النبات العائشة تحت الماء قلما ارتقت لانها قليلة التعرض لغارات الحيوان واما العائشة على وجه الارض حيث هجمات الحيوان شديدة متنوعة فقد كان ارتقاء اشكالها عظيماً ولكنهُ لم ينتقل في حال من الاحوال من طور طبيعي محض الى طور حسي

ومن هنا ابتدأ عمل الانتخاب الطبيعي فان الانواع اخذت تتعدد وتتشكل حتى فاقت العد والحصر وكلٌّ منها يكيف نفسهُ على حسب الوسط الذي يحيط بهِ · وانقسمت الى قسمين قسم منها ساكن لا يتحرك من موضعهِ بل كلُّ ما يتحرك منهُ اطراف او قرون يتخذها سلاحاً للهجوم والدفاع · وقسم آخر متحرك واصلح للارتقاء الطبيعي والعقلي لان حركتهُ تسهل عليهِ الانتقال من وسط الى آخر · وكلما كان الحيوان نشيطاً تنوعت قوى انتقالهِ وقويت اعضاء حسهِ وصار ارقى درجة في سلم الحياة واكثر قبولاً للتقدم والارتقاء ولا بدَّ من ان تكون هذه القاعدة شائعة في الكون كلهِ كما هي في الارض

وما قيل في الحيوانات الساكنة من حيث قلة قبولها للارتقاء بالنسبة الى الحيوانات المتحركة يقال في الحيوانات البطيئة الحركة · فكلُّ ما يمنع سرعة الحركة وتعددها يقف في سبيل الارتقاء · وعليهِ فان سرعة الحركة لازمة لقوى الحيوان في الهجوم وعلى هذه القوى تتوقف درجات الارتقاء العليا ولكن اشكالاً كثيرة من الحيوان اتخذت الدفاع بدل الهجوم واخصها ذوات الاصداف ويضاف اليها الحيوانات التي تختبئ من غيرها اما بالحفر في الارض او بوسائط اخرى · وهذه الحيوانات بطيئة الحركة ضرورة اما لثقل اصدافها او لاعتيادها الاختباء فراراً من الحيوانات التي تسطو عليها · وهي تعيش على ما تجدهُ امامها من الطعام · والوسط المحيط بها محدود واتصالها بالطبيعة قليل وقوى الحس والشعور فيها قاصرة

على انهُ ان كانت سرعة حركة الحيوان وليونة بدنهِ مفيدة لهُ فالحيوانات السبوحة اسهل حركة والين بدناً من الزحافات وكذلك الحيوانات العارية من الاصداف تفضل ذوات الاصداف من هذا القبيل · ومثلها الحيوانات التي تقلُّ اعضاؤُها عدداً وتكثر قوة وهذا يوصلنا الى ذوات الفقرات وهي اسمى انواع الحيوانات التي ظهرت في مياه الارض وتراها بيضية الشكل واعضاء حركتها اقوى من اعضاء الحركة في سائر انواع الحيوان واعضاؤُها الحيوية مفردة بسيطة على قدر الامكان وهيكلها داخلي لا خارجي ووظيفتهُ ان يدعم بدن الحيوان لا

ان يقوم مقام الدرع له كما في ذوات الاصداف

والحيوانات المائية اصل الحيوانات البرية ولم يمكن ظهور الاحياء على اليابسة رأساً لانها غير صالحة لها في اطوارها الاولى بل لم يكن هناك بدّ من ظهورها في الماء اولاً فمنها ما بقي في الماء ومنها ما تفرعت منهُ فروع عاشت في اليابسة كذوات الاصداف والدود والحشرات وذوات الفقرات . فالصنفان الاخيران طاب لهما المقام على اليابسة فعاشا فيها واينعا ولكن الاول منهما كان دون الثاني تركيباً فلم يقوَ على مزاحمتهِ. وارقى انواعهِ النحلة والنملة . ومع ماهناك من التغير العظيم الذي طرأ على ذوات الفقرات فاختلفت بهِ عن الاسماك الا أن اوجه الاختلاف بين الفريقين ليست كثيرة واهمها تحول الزعانف الى اعضاء والخياشم الى رئات . ولكن لا يزال هناك انواع من السمك تتنفس الهواء احيانًا ولها اربعة اطراف تجذف بها.

وحيوانات البر اكثر تعرضاً للطوارىء الطبيعية من حيوانات البحر . ومع ان اشكالاً كثيرة مختلفة ظهرت الا ان اساسها واحد ومرجعها الى شكل واحد اصلي وهو شكل السمك ولكن اعضاءها الداخلية اكثر حركة واشد فعلاً والدم الحار فيها يحل محل الدم البارد في السمك وهي ولود والسمك بيوض وغير ذلك من التغيرات الداخلية . ثم ان التغيرات الخارجية كثيرة فمنها حيوانات تعدو وأُخرى تطير وأُخرى تسبح وغيرها تزحف . ومنها ما يغطي بدنهُ فلوس او شعر او ريش اودروع . هذا بدنيًا واما عقليًا فان ذوات الفقرات العليا التي تعيش على اليابسة ارقى كثيرًا من حيوانات البحر العليا ولكن قوة الفكر فيها خامدة وليس ثمة ما يدلُّ على ان ذوات الاربع ترتقي في الفكر عن حدٍّ محدود

فاذا كانت هذه هي الحال في الارض فالمرجح انها كذلك في سائر الكواكب ولكن تغير الاحوال الكيماوية والطبيعية في الكواكب قد يغير النتيجة وان كان لا يغير مبادئ العمل العمومية لان ارتقاء اعضاء الحيوانات يسير في منهاج واحد وكذلك الشكل الخارجي فان تنازع البقاء يسير في خطة واحدة ويفضي الى نتيجة واحدة على ما يرجح

فلنأخذ رأس حيوان من ذوات الاربع مثلاً ولننظر الى سهولة حركتهِ وآلات مضغهِ وحواسهِ ومركز اعصابهِ ولنسأل هل يستطيع احد ان يشير بادخال اصلاح في وضع تلك الاعضاء وهو الوضع الذي تُوُصّل اليهِ بعد ملايين من التجارب فان المنخرين موضوعان فوق الفم في احسن مكان ليستدل صاحبهما بهما على الطعام من رائحتهِ . والعينين موضوعتان في اعلى الرأس الى الامام وهو احسن مكان تقضيان منهُ وظيفتهما . والاذنين موضوعتان بحيث تدخلهما امواج الصوت من الخلف والامام وخصوصاً من الامام . والدماغ مجاور لهذه

الاعضاء ليساعدها على الاسراع في اتمام عملها · وكلُّ اعضاء الرأس مرتبة بحيث تتم وظائفها الخصوصية واذا قابلناها باعضاء الحيوانات الدنيا رأينا بين الفريقين اختلافاً عظيماً في حسن الترتيب والتركيب مما ادت اليهِ التجارب الطبيعية الكثيرة · ومثل هذا القول يصحُّ في اقسام الجسم الاخرى داخلية كانت او خارجية

على ان ذلك كلهُ لم يوصلنا الى الحيوان العاقل اي الحيوان الذي يعتمد في الغالب على قواهُ العقلية دون الطبيعية · نعم ان كلَّ صنف من اصناف الحيوانات المتقدمة ارتقى بعض الارتقاء في القوى العقلية وخصوصاً ذوات الثدي ولكن ارتقاءها انتهى عند درجة واطئة وهذا واضح من مقابلة حيوان من ذوات الاربع بالانسان فان الاول يعتمد على قوتهِ البدنية في الغالب والثاني على قوتهِ العقلية · اما الكواكب فلا بدَّ من ارتقاء ما فيها من الحيوان الى ما فوق ذوات الاربع لبلوغ النتيجة المتقدمة — اي حتى يكون فيها حيوان عاقل · ففي الارض انتهى الارتقاء بالانسان افلا يكون ذلك الارتقاء مختلفاً في السيارات الاخرى التي انتهى فيها بمخلوقات عاقلة تختلف عن انساننا في شكلها وعلاقة اعضائها بعضها ببعض

والجواب عن هذا السؤَال يتوقف على الصفات الخصوصية التي تميز الانسان عن سائر الحيوان اينما وجد · اما الفرق الطبيعي بينهُ وبين الحيوانات التي هي ادنى منهُ فليس عظيماً واهمهُ انتصاب قامتهِ وكونهُ يمشي على قائمتين بدل اربع وقدرتهُ على مسك الاشياء بيديهِ · على ان في هذا الفرق الطبيعي الذي بينهُ وبين سائر الحيوان سرَّ ما بينهما من الاختلاف العقلي · فان الحيوانات التي تحت الانسان تعتمد على اعضائها دون غيرها لانها لا تستطيع ان تستخدم الاشياء الطبيعية لمساعدتها · ولا يخرج عن هذا الاَّ الفيل والقرد فان الاول يدير خرطومهُ كيف شاء والثاني يطبق كفهُ بعض الاطباق مثل الانسان . اما الانسان فانهُ استطاع بتحرر ذراعيهِ من حمل جسمهِ والانتقال عليهما من مكان الى مكان وتطبيق كفيهِ ان يستخدم بهما قوى الطبيعة ويصنع سلاحاً وآلات من الجماد فصار بذلك حلقة جديدة من حلقات الارتقاء لم يبلغها غيرهُ من انواع الحيوان

ثم ان استخدام الآلات والاسلحة غير التي جهزت الطبيعة جسمهُ بها يستلزم تمرين القوى العقلية فشرع يروض عقلهُ . واستمرَّ ذلك كذلك حتى انتهت الحال بالانسان كما هو الآن — اي صار كائناً يتسلط عقلهُ على اعمال جسمهِ وعلى سائر المخلوقات الارضية

فلو فرضنا ان حيوانات تشبه ذوات الاربع التي عندنا في تركيبها العمومي ظهرت في سيارات اخرى وان كائناً عاقلاً يشبه الانسان ظهر في احداها فمن الصعب ان يتصور العقل

انهُ ارتقى بطريقة مختلفة كثيرًا عن الطريقة التي ارتقى انساننا بها اي ان ارتقاء الحيوانات العاقلة في اي كان من السيارات لا بد ان يكون قد توقف على استخدام قوى الطبيعة واول خطوة الى ذلك ظهور حيوان منتصب ولهُ ذراعان وكفان مثل الانسان

وعليهِ فالدلائل كثيرة على ان الحيوانات العاقلة التي في السيارات تشبه الانسان في شكلها الطبيعي وقد تختلف عنهُ في بعض الامور الجزئية وتكون سليمة من الضعف الآلي المختص بالانسان ولكن يظهر انهُ لو استطاع انسان الخروج من هذه الارض والتجوال في اقصاء الكون الشاسعة لرأى مخلوقات تشبههُ وترحب بقدومهِ في الوف من كواكب السماء

تمثال الدكتور بلس

(المقتطف تعريب الخطبة التي خطبها نسيم افندي برباري مندوب اللجنة في الاحتفال برفع الستار عن تمثال الدكتور بلس)

ان انتدابي للنيابة عن متخرجي الكلية المقيمين في مصر والسودان في هذا الاحتفال لاعظم شرف نلتهُ الى الآن. فقد جمعتنا في هذا المكان جامعة الاخلاص والاحترام لتقديم واجب الاكرام والشكر الى رجل وقف عمرهُ على انبل المقاصد — ألا وهو تقدُّم نوع الانسان . وعملنا هذا واجب مقدَّس ينبه قضاؤُهُ فينا شوقًا الى اسمى الغايات لانهُ يضع نصب اعيننا صفحة عريضة تتضمن اعمالاً عظيمة وفوزًا مبينًا في جانب المروءة والمدنية . وهذه الصفحة هي واحدة من الصفحات القليلة التي تفتخر بها الامم في كل زمان ومكان

وليس قصدي الآن ان اتكلَّم في تأسيس الدكتور بلس لهذا المعهد العلمي فان تاريخ اتعابهِ في الخمسين سنة الماضية وغيرتهُ على انجاز مشروعاتهِ وحسن معاملتهِ للذين حولهُ وثباتهُ وبعد نظرهِ في اعمالهِ — كلها اشهر من ان تذكر . ولكن اذ اقف اليوم بين مناظر الفتها في صباي وفي ظلِّ البرج الذي تدق الساعة منهُ الآن كما كانت تدق في الماضي أعود بعين الخيال الى الايام التي كنت فيها تلميذًا فيتمثل الدكتور بلس لي مشيرًا صالحًا وصديقًا صدوقًا وابًا حنونًا لا رئيسًا رهيبًا في يدهِ مقاليد الكلية وزمام امورها . هذه هي الصورة التي احب ان اتذكر الدكتور بلس بها لا كما يراهُ الخارجون عن المدرسة بل كما تراهُ عائلتهُ الكبيرة التي نحن اعضاؤُها . وما اكثر التذكارات البهجة التي تتبع ذلك . قال الاسكندر "اني مديون لأبي بوجودي ولاستاذي بنجاحي" وهذا صدى ما يقولهُ كلٌّ من ساقهُ حسن الحظ فقضى

ربيع عمرو في هذا المكان . فان كثيرين منا لم يدركوا اسرار العلوم الرياضية وغيرهم نسوا مبادئ العلوم الطبيعية وسط مشاغل الحياة ولكن وان كنا قد نسينا الطبيعيات والرياضيات افننسى تعاليم الكتاب المقدس التي أوضحت لنا بها الحقائق العظيمة الاساسية المختصة بوجودنا وغايتنا من هذا الوجود على طريقة لا ينكرها اهل الشك والجحود . أو ننسى الخطب التي أُلقيت علينا في "سنة المحبة والمحبة سنة" وبسطت فيها واجباتنا نحو انفسنا وقريبنا وخالقنا . بل أننسى المواعظ والخطب المملوءة بالنصائح لارشادنا في سلوكنا وتشجيعنا في ساعة التجربة . أم ننسى نصائح الوداع التي كانت تُتلى علينا قبل تفرقنا في آخر السنة وخروجنا من الميناء لنخوض بحر هذا العالم الكبير

نعم ايها الاصدقاء ان هفوات تلك الايام ومساوئها لها تذكارات حلوة عندنا لانها كانت السبب في تلك الارشادات التي كان الحب والحنو الوالدي يمليانها علينا غيرة على خيرنا ورفاهنا وفي نظرات الاسف والشفقة التي كانت تحملنا على الاعتراف بذنوبنا وتصبغ وجوهنا بحمرة الخجل وفي كلمات التوبيخ التي ساعدتنا على تهذيب اخلاقنا وتأهيلنا لما وراء الحياة . فلا عجب وعواصف الشك تثور علينا وامواج التجربة تتقاذفنا في يمّ هذه الحياة العجاج اذا فكرنا في تلك الكلمات كلمات الرجاء والسرور وتطلعنا بعين الحب الى الوراء حيث الميناء الامين الذي اقلعنا منهُ بعد ان قضينا فيهِ ايام الشباب السعيدة بعيدين عن هموم هذا العالم ومشاغلهِ

هذا وان عمل الدكتور بلس الاعظم لم يكن انشاء ابنية فاخرة ولا تهذيب الالوف الذين خرجوا منها تهذيباً علميًا . وليس السبب الوحيد في نجاحهِ تعليمهُ ووعظهُ . بل ان عملهُ الاعظم اشراب عقول التلامذة المبادئ الصحيحة وارشاد ارجلهم الى حيث يأمنون العثار والزلل في زمن الشباب وتهذيب نفوسهم وتربية روح الرجولية والاستقلال فيها . وسبب نجاحهِ الاعظم المثال الشريف الذي وضعهُ امامهم . فان لطفهُ وحسن استجلابهِ للناس قرّبادُ من القلوب . وقوة ارادتهِ ونشاطهُ اظهراهُ بمظهر رجل حرّ قوي ساع في طلب الحق والتدرع بهِ وادعيتهُ الحارة الى الله بحفظ الذين نالوا شهادة المدرسة والذين يتعلمون فيها كانت تمسُّ قلوب سامعيهِ وتأخذ بمجامعها . و بالاختصار فقد كان لنا "رسائل حية معروفة ومقروءة من جميع الناس"

نعم ايها السادة والسيدات كلنا صائر الى الزوال . وهذه الابنية تتغير على كرور الايام ولكن عمل الدكتور بلس الخالد يبقى مطبوعاً على نفوس اهل هذه البلاد واخلاقهم الى الابد بعد ان نسير نحن في اثر الذين سبقونا ويحلُّ محل هذه المباني مبانٍ اخرى

على ان ذكر حياة الدكتور بلس لا يتمُّ الاَّ اذا ذكرت معهُ تلك السيدة الفاضلة التي كانت

شريكة عمرهِ ومدبرة امور بيتهِ ومشيرهُ ومعينهُ . ولا يفوق دَيننا لها الاَّ ديننا لقرينها. أليس حسن مشورتها وعظم مساعدتها وشدة غيرتها هي الامور التي مكنتهُ من انجاز ما انجزهُ من الاعمال. أوَ ليست امّ ابنهِ وخلفهِ. أوليس حسن تربيتها لابنها وتعليمهِ في اوائل عمرهِ هو الذي أهّلهُ للارتقاء الى المنصب السامي الذي خلا بتنازل ابيهِ عنهُ . فقد كانت مسز بلس للتلامذة صديقًا وملاكاً حارساً وامَّا فعلت نصائحها وتعاليمها وصداقتها مالم يفعلهُ شيءٌ آخر لتنبيه العواطف الشريفة في الصدور. وصفوف مدرسة الاحد التي كانت تعلّمها واستقبالاتها والدقائق الثمينة التي قضيناها في حضرتها كانت اشعة منيرة تنير العيشة المدرسية وتبث الحرارة فيها وذكرها الآن يهيج فينا تذكارات بهجة عن الايام الماضية التي قضيناها هنا

فيحق للدكتور بلس وقرينتهِ ان يفتخرا بنتيجة اتعابهما ونموّ هذا الولد الذي وقفا عليهِ حياتهما ومواهبهما واختبارهما . وليفِض لهما الله الافتخار بالرجال الذين ربياهم واهدياهم الى العالم . فان كان بناة الآثار القديمة قد حاولوا تخليد اسمائهم ببناء الاهرام والهياكل فأحرِ بالدكتور بلس وقرينتهِ ان يخلدا اسميهما باقامة آثار هي اشرف بنيانًا واخلد زمانًا ألا وهي اهرام يذخر العلم والمعرفة فيها وهياكل يعبد الله منها . قال الشاعر

" ان الهياكل المبنية من الخشب والحجر تخرب وتضمحلّ ولكنّ هناك بناء غير منظور لا يخرب ولا تراهُ الاَّ الاعين الخالدة كاملاً في جميع اجزائهِ ألا وهو البناء المبني من حجارة حية — هيكل القلوب "

هذا وان قلوب نائلي شهادة المدرسة الذين انوب عنهم تفيض الآن شكرًا لله ودعاء حارًّا بدوام الهناء للدكتور بلس وقرينتهِ والخير للمدرسة. فليعش الدكتور بلس وقرينتهُ طويلاً حتى يريا نمو عملهما نموًّا مستمرًّا سنة فسنة ولتثبت المدرسة الى الابد اثرًا يدلُّ على حياتهما المفيدة . ولتبقَ ركنًا للتهذيب والتثقيف ومنارة تنير ظلمات العالم ويأتمّ بها الهداة الذين اضناهم التعب وانهكتهم مشقات الاسفار . وهيكلاً تحفظ فيهِ اسرار الحكمة والفهم المقدسة ومزارًا يحجهُ طالبو الحق . وليقدر الله لها ان لا يكسف ماضيها السني الاَّ مستقبل اسنى مجدًا واعظم بهاء

فياحضرات الرئيس وعمدة المدرسة . اني اقدم اليكم هذا التمثال الذي نصبناهُ للدكتور بلس لتحفظوهُ دليلاً على اعترافنا بالدَّين العظيم الذي لا نستطيع ايفاءهُ وتذكارًا لحياة الذي كرّس نفسهُ لتهذيب نفوس الآخرين ولما بذلهُ من الاتعاب في ذلك السبيل. واننا نريد ان يقام في هذه المدرسة حيث يراهُ الجميع — يراهُ المعلمون فيستفيدون بقدوتهِ و يتبعون خطواتهِ

ويقتفون اثرهُ . ويراهُ التلامذة عند دخولهم الى هذا المكان فيشاهدون فيهِ شبهاً لمؤسسهِ العظيم . ويخرجون منهُ وفي نفوسهم اثر من العمل العظيم الذي عملهُ . ويراهُ الجمهور فيتمثلون صورة العامل العظيم الذي لهُ اليد الطولى في احياء العلم في الشرق . واخيرًا ليقدرنا الله نحن تلامذة هذه المدرسة الذين خرجوا منها في الماضي والذين يتعلمون فيها الآن وسيتعلمون في مستقبل الزمان — ان نكون اثرًا حيًّا لعمل الدكتور بلس في هذه البلاد اثرًا اعظم شأنًا واسمى منزلة واخلد مدة . انتهى

(ويوم نصب التمثال احيت المدرسة الكلية ليلة ادبيَّة في منتداها الكبير تكلم فيها بعض الطلبة بالنيابة عن اقسام المدرسة الخمسة وفي جملتهم حضرة فؤاد افندي خليل سالم فتلا القصيدة التالية نائبًا عن قسم الصيدلة)

بلادَ الشآم مقرَّ الكرامْ سلام عليك والف سلامْ
فقد كنتِ مطلع شمس العلوم وقد كنتِ مطلع شمس العظام
وقد كنتِ مهبط اهل اليراعِ وقد كنتِ مهبط اهل الحسام
وقد كنت زينة تلك القصور وقد كنتِ مصباحَ ذاك الظلام
وقد كنت للناس خير مقامٍ وسوف تكونين خير مقام
بلاديَ ماذا اقول وإني ليرتج فيك عليَّ الكلام
اراقبُ خلف العصور سماكِ سماءً تلبَّد فيها القتام
فانظرُ بدرًا يُنيرُ السبيل ونجماً يسير بحكم النظام
وانظر شمسًا تطلُّ صباحًا يقابلها الوردُ بالابتسام
فيمضي زمان ويأتي زمانٌ وفيهِ تحجَّبُ تحت الغمام
فيا ارز لبنان يا بعلبك ويا دار كلِّ عليِّ المقام
ويا ارض تدمرَ يا ارض صور ويا ارض بغداد دار السلام
ويا ارض عيسى ويا ارض موسى ويا ارض نوحَ ويا ارض حام
ويا ارض كانت مقر القصور فصارت لتُضربَ فيها الخيام
احييك بالقلب قبل اللسانِ واجثو لديك بكلِّ احترام
وأُكرمُ كلَّ كريمٍ يغار عليكِ كذلك تجزى الكرام
وألعنُ كل لئيم يريد اذاكِ كذلك تجزى اللئام
أكليَّة ما خطت خطوةً بهذي البلادِ لغيرِ الأمام

عليك وقفنا القلوب قلوبًا احبتكِ كالأمّ منذ الفطام
تغارُ عليك وتسعى لديكِ وتنشر فضلكِ بين الأنام
وتذكرك الدهر بالاحترام وتدفع عنكِ شرور الطغام
فلولاكِ لم ندرِ معنى الاخاء ولولاك لم ندرِ معنى الوئام
ولولاك ما حركت ساكنًا رجال اتت بالأمور الجسام
رأيناك تجرين مجرى الدماء لقلبِ الأنام وقلبِ الشآم
فيمسي اصفرار الوجوه احمرارًا وينعش جسمٌ عراهُ السقام

***

فيا رجلاً شاد هذا المقام وشيَّدَ فيهِ الصروح الفخام
وعلّمَ انّ الحياةَ جهادٌ وقال ألا استيقظوا يا نيام
بماذا نجازيك يا دانيالُ وفضلك يزداد عامًا فعام
تنزَّهت عن كلِّ عيبٍ وفيك صفاتٌ تفوح كريح الخزام
فانتَ الغيور وانتَ الصبورُ وانت الجسور وانت الهمام
وانت الكريمُ وانت الحليمُ وانت الحكيم وانت الإمام
فيا قاطني مصر ابناءهُ ويا قاطني ما وراء الأكام
أقمتمُ ياقوم أجمل ذكرٍ بتمثالكم فهو ما دامَ دام
فعش ناعمَ البال يامن سعيتَ وقمت بسعيك حقّ القيام
فتمثالك الحيُّ ينطق عما فعلتَ وإن كان صنع الرخام

التنبيه والحس في النبات

من قلم الدكتور رينلدس جرين عضو الجمعية الملكية الانكليزية

اذا نظرنا في صور النباتات وتراكيبها المتعددة وطلبنا معرفة الاسباب التي افضت الى هذا التعدد والاختلاف اتضح لنا ان المسألة مسألة نزاع واضطرار نتيجتهما التوفيق بين النبات والوسط الذي هو فيهِ فيستفيد النبات من كل ما يقدمهُ الوسط اليهِ ويتغلب على العوامل

الضارة بهِ التي لا بدَّ من تأْثيرها فيهِ · وعليهِ فاختلاف الوسط يفضي الى اختلاف التركيب · ولما كان الوسط دائم التغير كان النبات دائم الجهاد مطاوعة لذلك التغير ومتى فقد القوة التي يحفظ بها علاقتهُ بالوسط يبيت ضعيفاً مريضاً ثم يموت. فصحة النبات اذاً تقوم بحفظ التوازن بينهُ وبين الوسط المحيط بهِ

هذا ولما كان من المرجح بل من المؤكد ان جميع النباتات المعروفة الآن متسلسلة من صورة اصلية فاننا نجد في تاريخ الانواع المختلفة عظم التأْثير الذي يؤثرهُ جهادها الطويل مطاوعة لتغير الوسط. ولا ينكر ان تأْثير التغير في النبات الواحد يكون قليلاً ولكن طول تعرض النوع اجيالاً كثيرة لذلك التأْثير يأْول الى تغير كثير على انهُ وان كنا لا نرى سوى تغير طفيف في النبات الواحد الاَّ انهُ لا يطرأُ على النوع تغير عظيم ما لم تتغير الافراد التي تتألف منهُ على التوالي. وعليهِ فلا بدَّ من ان ندقق النظر في الفرد لنرى ما هي الخصائص التي تؤدي الى تغيير الصور والتراكيب التي نراها بعد مر السنين. وللوصول الى ذلك يلزمنا ان ندرس طريقة تكييف النبات نفسهُ مطاوعة للوسط المحيط بهِ · ولذلك طريقان فاما ان النباتات التي لا يلائم تغير الاحوال تراكيبها تموت وتندثر ولا يبقى الاَّ النباتات الاصلح منها للبقاء وحفظ النوع وهذا يفترض ان النباتات الخاصة بجيل من الاجيال تتغير تغيراً طفيفاً في خصائصها الفسيولوجية وإمَّا ان يكون للفرد من النبات قوة يستطيع بها الشعور بالتغير الذي يطرأُ على الوسط المحيط بهِ وتكييف نفسهِ مطاوعة لذلك

ولا يبعد ان يكون هذان المذهبان صحيحين الى حدٍ محدود وانهما يتعاونان معاً للوصول الى النتائج التي نراها امامنا . على ان اسباباً قوية تؤيد ان للمذهب الثاني اليد الطولى في التغير الماضي · ثم اننا نرى تغيرات عديدة تجري امام اعيننا ويمكن تعليلها بالمذهب الثاني ولا يمكن تعليلها بغيرهِ · فان كلَّ نبات معرَّض لتأْثير عامل محدود من العوامل الخارجية يكيف نفسهُ على طريقة محدودة موافقة لذلك العامل · ومن الصعب ان ننكر على النبات قوة الاحساس بالمؤثرات التي تطرأُ عليهِ وتأْثير تلك المؤثرات يسمى في الاصطلاح تنبيهاً والشعور بهِ يسمى حسّاً فامامنا اذاً امران يجب البحث فيهما الواحد خارج عن النبات والآخر داخل فيهِ

وهنا مسألة عويصة تصعب الاجابة عنها وهي هل الاحساس بذلك التنبيه يتضمن شيئاً من الشعور. ولا يمكننا ان نجيب عن هذا السؤال بالايجاب لان الشعور ينطوي على الفكر فمن الصعب ان يقال ان تأثر النبات يتضمن شيئاً من الارادة لان الفكر والارادة من وظائف مراكز الاعصاب في اعظم الحيوانات ارتقاء ولكن بعض الدلائل تدلُّ على وجود قدر محدود

من الشعور في النبات بمعنى انهُ يشعر بطبيعة الوسط المحيط بهِ

وليس غرضنا من هذه المقالة الاطالة في هذا الموضوع وانما نقتصر على مسألة التنبيه والحس كما نراهما في حياة النبات العادية صارفين النظر الآن عن تعليل العلاقة التي بينهما . واول ما يهمنا في التنبيه معرفة طبيعتهِ . ولنفرض جدلاً ان لكل نبات حالة يكون التوازن عندها على اتمهِ بين النبات والوسط الذي يكتنفهُ اي انهُ يجد حولهُ ما يحتاج اليهِ من الحرارة والنور والرطوبة وسائر ما يؤثر فيهِ فتكون حياتهُ حينئذٍ على احسن ما يرام . ولكن حالة مثل هذه وقتية لا تدوم لان الوسط في تغيرٍ دائم من جهة هذه الامور ومادة النبات الحية في تحرك دائم . ولحفظ الصحة ولحفظ الحياة في النبات يقتضي ان يكون النبات قادراً على تكييف نفسهِ مطاوعة للطوارىء التي تطرأ على الوسط المحيط بهِ . وعجزهُ عن حفظ الموازنة الدائمة بينهُ وبين الوسط هو سبب انقطاع الحياة او الموت

فتغير الوسط تغيراً مثل هذا هو ما يسمونهُ بالتنبيه وهو يؤثر في النبات من اوجه عديدة ويسبب تأثيرات متنوعة مختلفة في درجة شدتها

وهناك امور أُخرى تؤثر في حياة النبات ولا تسهل مشاهدتها فانهُ قد يطرأ على مادتهِ الحية تغير سببهُ وقوع الخلل في داخلهِ . ويطرأ على العمل الكيماوي المصاحب لعمل تغذية الجسم تغير سببهُ اما انحراف مجرى الغذاء في داخل النبات او اختلاف توزيع الغذاء فيهِ . ثم ان الحاق الضرر بالنبات نفسهِ قد يحدث اختلافاً في توزيع القوة او المادة داخلهُ فيؤثر ذلك تأثيراً عظيماً في مجرى الوظائف الحيوية . وكذلك كمية الغذاء التي يجدها النبات فانها قد تكون قليلة جداً فيبيت جائعاً طاوياً او تكون كثيرة فتورثهُ التخمة وكلا الامرين قد يفضي الى تغير عظيم في حياتهِ الظاهرة وفي المواد التي يفرزها في اثناء تغذيتهِ وفي القوة التي تتولد منهُ . فاذا قل الاكسجين مثلاً عن القدر اللازم لهُ فان ذلك قد يحدث تغيراً كيماوياً جديداً في توليد تلك القوة . فهذه العوامل المختلفة وغيرها تعدُّ منبهات او مؤثرات . نعم ان منها ما هو داخليٌّ ولكنها كلها حقيقية يشعر النبات بها كما يشعر بالمؤثرات الخارجية الظاهرة

ولندرك جلية فعل التنبيه في حياة النبات نبحث في بعض المنبهات او المؤثرات التي هي اكثر ظهوراً من غيرها مثل وقوع اشعة النور الجانبية على بزرة نبات في اوائل نموها او على نبتة صغيرة فاذا وضعت النبتة بحيث تقع اشعة النور على جانب من ساقها دون الآخر تحدب الجزء الذي هو اكثر نمواً وقد يزداد التحدب الى حدٍ ان يصير محور النبات موازياً لجهة اشعة النور وليس ذلك مقصوراً على النبتات الصغيرة بل قد يظهر في اجزاء من النباتات الكبيرة .

ومن الامور المشاهدة عموماً ان بعض النباتات التي نزرعها في اصصنا تنحني نحو الجانب الذي تصيبهُ اشعة النور . وجذور بعض النبات تتأثر من اشعة النور اذا تعرضت لها وتنحرف بحيث تصير موازية لها ولكن رؤوسها تنمو في الجهة المخالفة لجهة اشعة النور وكذلك الاوراق وغيرها من الاعضاء . اما الاوراق فتنحرف بحيث تقع اشعة النور عمودية عليها

ومما يشاهد في الجذور وهي تنمو في التربة انها اذا صادفت شيئاً لا تستطيع ان تخرقهُ دارت حولهُ واستمرت في نموها . وكلُّ ما يمسُّ رؤوس الجذور الصغيرة وهي تنمو يحرفها عن الخط المستقيم الذي تنمو فيهِ

ولا بدَّ من درس طبيعة التأثر الذي يتأثرهُ النبات قبل الحكم في علاقتهِ بالمؤثر ومن تبيين تلك العلاقة اذا اردنا ان ننسب الحس اليهِ . واول ما يستوقف النظر في هذا الصدد ما في تأثر النبات من القصد الظاهر . فان انحراف اوراق النبات بحيث تقع اشعة الشمس الجانبية عمودية على سطوحها انما يقصد منهُ ايصال تلك الاشعة الى سطوح الاوراق كلها على السواء . فترى الاوراق على زوايا متساوية بالنسبة الى السوق والجذوع . وعليهِ فاذا كانت ساق النبات موازية لاشعة نور الشمس اصاب معظم النور سطوح النبات الخضراء حيث يتكوَّن السكر بفعل النور . اما توجه رؤوس الجذور الى الجهة المقابلة لجهة اشعة النور فالقصد منهُ حفظ الجذور في التربة حيث يسهل عليها امتصاص الغذاء . والتواء عساليج النباتات يعينها على التعلق بما حولها لكي لا تداس سوقها الضعيفة ولكي يصل النور والهواء الى اوراقها

ومن الاعتبارات في هذا الشأن ان اجزاء النبات التي يصيبها التنبيه او التأثير محصورة في بعض الاماكن فقط فهي في الجذور خلف رؤوسها . وفي الفرخ الصغير تحت رأسهِ اي انها في مكان يختلف عن المكان الذي يدير حركة النبات

ومنها ان اقل المنبهات او المؤثرات قد يسبب تأثيرًا عظيمًا وانهُ لا نسبة بين التنبيه ومقدار التأثر الناتج عنهُ . والخلاصة ان بين التنبيه والحس علاقة سببيَّة وان تأثر النبات دليل عليهما كليهما

اصلاح النسل

تعريفهُ ومجالهُ وغايتهُ

ملخص من خطبة العلامة الدكتور فرنسيس غلتون على الجمعية الاجتماعية في لندن

عند الغربيين علم يسمى بعلم اصلاح النسل وهو يبحث في جميع العوامل التي من شأنها ان تحسن غرائز النسل وترقي مزاياهُ الفطرية بصرف النظر عن المزايا الادبية . ومقتضيات هذا العلم سهلة التعريف والتعيين فان الكل متفقون على ان الصحيح يفضل المريض والقوي يفضل الضعيف والملائم للبقاء يفضل غير الملائم لهُ . وبعبارة اخرى ان كلَّ حيٍّ يفضل ان يكون زبدة نوعهِ على ان يكون ثفلهُ مهما يكن ذلك النوع . فغرض هذا العلم ان يستخلص من كل نوع زبدتهُ وينتقي احسنهُ ليصح اتخاذ ذلك الاحسن مثالاً لهُ وليحمَّل فوق ما فرض عليهِ في رفع شأن النسل الذي يعقبهُ ولذلك خمس طرق

(١) ان يهتم اولو الشان بنشر النواميس الثابتة المختصة بالوراثة والتعمق في درسها فان قليلين يعلمون ما بلغهُ علم الوراثة من التقدم في السنين الاخيرة حتى صارت الاحصاءات المتعلقة بهِ لا تقل عن احصاءات المواليد والوفيات دقة وضبطاً

(٢) ان يبحثوا بحثاً تاريخيًّا في قيمة الخدمة التي خدمت بها طبقات الهيئة الاجتماعية اوطانها قديمًا وحديثاً . فان هناك ما يحمل على الاعتقاد ان قيام الامم وانحطاطها لها علاقة شديدة بهذا الامر

(٣) ان يبحثوا بحثاً مطردًا في الاحوال التي نشأت العائلات الكبيرة فيها وأثرت . وليس من الصعب على الذين يهمهم هذا العلم ان يجمعوا من حقائقهِ ما يفيد رجال الاحصاء والامر الذي يجب تحقيقهُ هو حالة الوالدين عند زواجهم ويجب ان تبين الاسباب في اثراء الاولاد

(٤) ان يبحثوا في العوامل المؤثرة في الزواج . قال اللورد باكون في كلامهِ على الموت وتحقير قدرهِ في النفوس ما يأتي "ليس في صدور الناس عاطفة مهما صغر شأنها وضعف فعلها الاَّ وتستخف بالموت وتكسر شوكتهُ وتزيل رهبتهُ من النفوس . فالانتقام ينتصر عليهِ والمحبة تحتقرهُ والشرف يتمناهُ والحزن يجري اليهِ والخوف يسابق عليهِ". وما قالهُ اللورد باكون في الموت يصح ان يقال في الزواج . فان عاطفة الحب تتغلب على غيرها من العواطف حتى يظنّ ان من الحمق تحويلها عن مجراها ولكن الحقائق المعروفة لا تؤيد هذا الظن لان للعوامل

الاجتماعية تأثيراً عظيماً وهي متعددة الانواع فلو حرّمت عقود الزواج غير الملائم من الهيئة الاجتماعية او نظر اليها بعين الاشمئزاز التي ينظر بها بعضهم الى الزواج بين الاقارب لقلَّ عددها كثيراً

(٥) ان توضح اهمية اصلاح النسل في مصير الامم

ولا بد من النظر في ثلاثة امور قبلما يشيع اتباع مبادىء هذا العلم . وهي اولاً يجب ان يعدّ من المسائل المألوفة حتى تدرك حقيقة اهميتهِ . ثانياً يجب ان يعد موضوعاً يسهل الجري عليهِ فعلاً . ثالثاً يجب ان ينقش على ذهن الامة كأنهُ دين جديد وهو يستحق ان يصير فرضاً دينيًّا واجب الاداء في المستقبل لانهُ يعاون الطبيعة على وجوب اختيار الاصلح من طوائف الانسان ليمثّل النوع كلهُ . على ان الطبيعة تتمّ مهمتها من هذا القبيل وهي عمياء بطيئة عديم الشفقة واما الانسان فرائدهُ في ذلك بعد النظر والسرعة والرفق

ويقال بوجه الاختصار ان تحسين النوع من اسمى الغايات التي يرمي الانسان اليها . فاننا نجهل مصير النوع الانساني ولكننا نشعر ان السعي في رفع شأنهِ عمل شريف سامٍ كما ان تخفيض منزلتهِ عمل دنيء حقير . ولست ارى ما يمنع صيرورة هذا العلم واجباً دينيًّا متحتماً قضاؤُهُ . واول ما يجب عملهُ في هذا الصدد ان تبين اهمية هذا العلم للناس ثم تترك مبادئهُ تنغرس في قلوب الامم وتنطبع على صفحات اذهانهم فيفضي ذلك شيئاً فشيئاً الى ظهور النتائج الفعلية من تلك المبادىء الخيالية بطرق لا نستطيع الاحاطة بها الآن

هذه خلاصة ما قالهُ العلامة الدكتور فرنسيس غلتون الذي يعدُّ واضعاً لهذا العلم لانهُ اول من بحث فيهِ بحثاً مستفيضاً مبنيًّا على الاستقراء . ولما اتمّ خطبتهُ تعقبهُ بعض العلماء الباحثين في هذا الموضوع وامثالهِ فقال الدكتور ريد " ان للوراثة الشأن الاول في حالة النسل فهي الاساس لكل فضيلة ورذيلة ولكل صفة ادبية واجتماعية وسيبقى الناس يخبطون خبط عشواء الى ان تعلم نواميس الوراثة حقّ العلم "

وقال بنيامين كد Kidd المشهور ببحثهِ في اسرار الاجتماع ان ما يعدّ انحطاطاً في بعض الشعوب الدنيا انما هو نقص في القواعد الاجتماعية وليس هو انحطاطاً في قوام العقلية . وودّ ان يُعلم علم الاجتماع الانساني تماماً قبل ان توضع القواعد لاصلاح النسل كأنهُ لا يُسلّم بان المزايا التي يمتاز بها المتمدنون الآن كلها من الحسنات التي يجب حفظها لاصلاح النسل

وقال المستر جورج برنردشو ان الناس يعتنون باختيار عملائهم وطبّاخيهم اكثر مما يعتنون باختيار ازواجهم وزوجاتهم فإمّا ان نتركهم وشأنهم او نلقى منهم من النفور والعناد اكثر مما ننتظر

وقال المسترولس ان كثيرين من المشهورين بارتكاب الجرائم فيهم من الفطنة والذكاء وحسن النظر اكثر مما في القضاة الذين يحكمون عليهم

صوم الحيوان

لايخفى ان القواقع (البزاق) تصوم فصل الصيف كلهُ وجانبًا من فصل الربيع والخريف فتسدل حجابًا صفيقًا على فم قوقعتها وتنزوي في جوفها من غير حراك وتبقى كذلك الى ان يقع المطر ويبلل التراب ويسهل عليها سبيل الاغتذاء فتنزع الحجاب عن بابها وتسعى في طلب الرزق . ويعلم الذين يأكلون البزاق انهم يجدون فيهِ في آخر فصل الشتاء جسمًا دهنيًا غرويًا يكاد يكون شفافًا يبلغ طولهُ سنتمترين او اكثر وثخنهُ نحو سنتيمتر . واما في اول فصل الشتاء حينما يخرج البزاق من مخبإِهِ فيكون هذا الجسم قد ضمر ولم يبقَ منهُ الاَّ شيءٌ دقيق كأنهُ مؤونة عاش الحيوان عليها وهو صائم فكفتهُ للتنفس البطيء الذي كان يتنفسهُ فنفد اكثره

واكثر الحيوانات التي تشتو تصوم في فصل الشتاء لكنها تذخر في اجسامها من الغذاء ما يكفي لقيام حياتها فكانها النمل يجمع في قراه الطعام الذي يكفيهِ فصل الشتاء . ولاغرابة في ذلك لان هذه الحيوانات تقلُّ حركتها في الشتاء او تنقطع عن الحركة تمامًا فلا يبقى منها الاَّ التنفس البطيءُ وهذا يكفيهِ قليل من الغذاء او من المواد الدهنيَّة التي تحترق رويدًا رويدًا لئلا ينطفئ سراج الحياة فيسهل عليها الصوم لقلة حركتها

لكن من الحيوانات ما يصوم في الزمن الذي يحتاج فيهِ الى الحركة الكثيرة والجهاد العنيف وهو الحيوانات المعروفة باسود البحر وادبابهُ والسمك المعرف بالسامون

اما اسود البحر وادبابهُ وهما نوعان من الفقمة فان اناثها تصعد على الجزائر التي تلد فيها وتبقى هناك عشرة ايام الى اثني عشر يومًا منقطعة عن الطعام لانها لا تجد هناك طعامًا تأكلهُ . والذكور الكبار تصعد الى الجزائر في اوائل شهر مايو وتبقى هناك الى اواخر شهر يوليو ثلاثة اشهر تقضيها صائمة من غير طعام وتكون في اول الامر سمينة كثيرة الدهن فتنحف وتدقُّ رويدًا رويدًا الى ان ينقضي فصل المزاوجة ولكن قوتها لا تفارقها فتبقى تتحارب وتتصارع على الاناث الى ان ينتهي فصل المزاوجة وتنزل الى الشاطيء وحينئذٍ يظهر عليها الضعف والسكينة ويصير صيدها سهلاً كأنها تكون قد قضت غرضها من الحياة ولم يعد لها مأرب فيها

واما سمك السامون الكثير في انهار اوربا و بحارها و بحيراتها وهو الذي يوضع لحمهُ في علب من الصفيح ويؤتى بهِ الى هذه البلاد ولونهُ برتقالي فقد علم منذ اكثر من عشرين سنة ان ما يعيش في البحر منهُ لا يأكل شيئًا وهو في الانهار وتبيَّن انهُ يصوم من حين يخرج من البحر الى ان ينقضي فصل المزاوجة والتوليد فأنهُ يصعد من البحر الى الانهار المتصلة بهِ ويتزاوج فيها ويبيض ويفرخ ويكون جيوشًا جرارة لا تجد ما يكفيها من الطعام لو شاءت الاكل ولان الزمن قصير لا يسعها لتأكل وتشرب وتتزاوج وتتوالد فتفضل الاهم على المهم وتنقطع عن الطعام لكي لا تنقطع عن قضاء الواجب الاهم لحفظ النوع وهو إخلاف النسل . ويكون في اجسامها من الغذاء ما يكفيها ولو بالتقتير حتى اذا تزاوجت وقضت الغرض من وجودها تكون قد نحفت تمامًا واحاط بها الصيادون من كل ناحية فلا يصل منها شيءٌ الى البحر. وليس كذلك السامون الذي يعيش في الانهار والبحيرات العذبة الماء فانهُ يأكل في فصل المزاوجة كما يأكل في غيرهِ ويعلل ذلك بان السامون الذي يعيش في البحر لا يجد الطعام في الانهار كافيًا ولا مناسبًا لذوقهِ فيصوم ولكن لا يضيع الوقت في التفتيش عن طعام قلما يجدهُ . ولا يبالي بالحياة بعد ذلك لانهُ يكون قد قضي الغرض من وجودهِ وهو اخلاف النسل فتعود صغارهُ الى البحر وتنمو فيهِ الى ان تبلغ اشدها فتصعد في النهر وتتزاوج كما فعل اسلافها من قبلها وتخلف نسلاً وتموت وهلمَّ جرًّا الى ما شاء الله

الشفاء بالهواء

من الامور المقرَّرة المتعارفة ان الذين تعمل لهم عمليات جراحية في قفار افريقية وصحاري بلاد العرب تلتئم جراحهم ويشفون حالاً . واذا أُلقيت جثة انسان او حيوان في العراء لم يحلَّ بها الفساد بل جفت جفافًا كاللحم المقدَّد . واللحم يعلَّق في الهواء في تلك الاماكن فيبقى اياماً كثيرة من غير ان يفسد . وسبب ذلك كلهِ نقاوة الهواء هناك وقلة وجود الميكروبات فيهِ

ومن المقرَّر ايضًا ان الحيوانات التي تصاب بداء السل وهي في بساتين الحيوانات كالقرود لا تصاب بهذا الداء ابدًا وهي في قفارها واذا اصيبت بهِ وهربت الى القفار شفيت منهُ ولو كان قد اتلف نصف رئاتها وهذه الامور وامثالها رسخت في الاذهان ان الهواء النقي يمنع الفساد ويشفي من بعض الامراض

وقد شاعت الآن معالجة المسلولين بالهواء النقي بوضعهم في مصاحٍّ نقية الهواء وترويض

ابدانهم رياضة معتدلة واطعامهم المآكل المغذية وتنويمهم في غرف مفتوحة الكوى مطلقة الهواء . ومدار الفائدة في ذلك كلهِ على الهواء النقي وعلى كثرتهِ

ولدت طفلة بالامس واصيبت بعسر في التنفس لسبب غير معروف فبطل تطهر دمها وازرق بدنها وكادت تموت اختناقاً . ودعي لها الاطباء فحاولوا إنعاشها بالتنفس الصناعي فافاد بعض الفائدة ولكن بقيت نوب عسر التنفس تتردَّد عليها حتى قُطع الامل من نجاتها . فعولجت بمزج الهواء الذي تتنفسهُ بالاكسجين الصرف فتطهر دمها ولم يطل عليها المطالـــ حتى اصطلح تنفسها وشفيت مما اصابها . ويتضح من ذلك ان الهواء النقي لا يكفي وحده في بعض الاحوال المرضية مهما كثر مقدارهُ بل لابد من معالجتهِ على اسلوب يزيد بهِ فعلهُ كما ان الماء لا يكفي وحدهُ مهما كان نقيًّا بل تضاف اليهِ مواد دوائية اذا اريد استعمالهُ علاجاً ويقال ان الهواء في بعض الاماكن يشفي من بعض الامراض فيقصدها الاغنياء للاستشفاء بهوائها . فاذا كان نافعاً شافياً كما يقال فلا بدَّ من انهُ يحوي شيئاً يجعلهُ كذلك فاذا بحث العلماء فيهِ بحثاً مدققاً فلا يبعد ان يكتشفوا ذلك الشيء ويصيروا يضيفونهُ اليهِ ويعالجون المرضى بهِ . ولم يبق ذلك في حيز الظن بل قد صار العمل بهِ فانشيء مستشفى يعالج فيهِ المرضى ولا سيما المسلولون بالهواء المعالج بالاكسجين والاوزون فظهرت فائدتهُ في خفض الحرارة وتقليل العرق ولكن لا يبعد ان يبقى للاماكن المشهورة بطيب هوائها مزية كبيرة لان فيهِ اشياء أُخرى لم تعلم حقيقتها حتى الآن . فقد ظهر ان الماء المعدني الذي يستعمل علاجاً في بعض الامراض لايفيد اذا صنع صنعاً او اذا نقل من بلاد الى أُخرى ولم يعلم سبب ذلك قبلاً بل ظن الكثيرون انهُ من قبيل الوهم ولكن ظهر الآن ان في الماء المعدني شيئاً يفيض منهُ كما تفيض الاشعة الكهاوية من عنصر الراديوم وهذا الشيء ينفد منهُ بعد مدة غير طويلة . وكذلك ظهر من البحث في هواء الجبال في سويسرا ان فيهِ من قوة الاشعاع هذه اضعاف باقي هواء الاودية . فاذا ثبت ذلك بعد تكرار البحث فلا يبعد ان يكشف السبب الذي يجعل الهواء في بعض الاماكن صحيحاً منعشاً للابدان شافياً من الامراض فتسهل معالجة الهواء بهِ في كل مكان وتصير المواد الشفائية تمزج بالهواء وتستنشق معهُ كما تمزج المواد الدوائية بالماء وتشرب معهُ لكن هذا الامر يقتضي درساً كثيرًا وبحثاً طويلاً وهو منوط بالعلماء الطبيعيين ولا بدَّ من ان يحققوهُ ويضعوهُ على اساس متين فيصير الاستشفاء بالهواء امرًا مألوفاً كالاستشفاء بالدواء . والبحث يولد الغرائب

نظارة المعارف والكتاتيب

اصدرت نظارة المعارف تقريرًا عن حالة الكتاتيب في سنة ١٩٠٣ وصدرتهُ بمقدمة بينت فيها انواع الكتاتيب وما يعلم فيها فاتضح منها ان عدد الكتاتيب التي كانت موجودة في القطر المصري في سنة ١٨٩٧ بلغ ٩٤٠٤ منها ٨٨٩٧ اسلامية و ٥٠٧ قبطية وان عدد تلامذتها ١٧٧٣٢١ منها ١٧٣٦٤٠ ذكرًا و٣٦٨١ انثى

وقد بدأت الحكومة بتوجيه عنايتها الى الكتاتيب منذ سنة ١٨٦٩ حيث صدر امر عالٍ بجعل كل كتاتيب القطر خاضعة لتفتيش نظارة المعارف العمومية ثم صدر قرار مجلس النظار في سنة ١٨٨٩ بان تحال على نظارة المعارف جميع الكتاتيب التي آل امرها الى ديوان الاوقاف

وصدر امر عالٍ آخر سنة ١٨٩٠ بجعل جميع الكتاتيب الاهلية التي في العاصمة والاسكندرية وعواصم المديريات وجميع الكتاتيب التي تفتح بعد صدور الامر العالي المذكور باي جهة من جهات القطر خاضعة لنظارة المعارف ولا يمكن فتح اي محل للتعليم الاَّ اذا اذنت النظارة في فتحهِ ولكن هذا الامر العالي اهمل ولم يعمل بهِ اصلاً ثم سنت الحكومة سنة ١٨٩٧ طريقة اخرى لتفتيش كتاتيب القطر واصلاحها وذلك بتعيين مقدار من النقود يعطى اعانة للكتاتيب التي تخضع لتفتيش نظارة المعارف وتتبع ارشاد المفتشين

فقسمت الكتاتيب التي تفتشها نظارة المعارف من حيث الادارة الى قسمين وهما اولاً كتاتيب الحكومة التي تديرها نظارة المعارف ولها عليها السلطة التامة . وثانيًا الكتاتيب الحرة التي خضعت باختيارها لتفتيش نظارة المعارف طمعًا بالاعانة و يبلغ عدد الكتاتيب التي تديرها نظارة المعارف الآن ٩٣ كتابًا منها ٧٥ في العاصمة و ٨ في الوجه البحري و ١٠ في الوجه القبلي ثم ان ٨٨ مكانًا من اماكن الكتاتيب المذكورة تابعة للاوقاف وخمسة لنظارة المعارف وواحدًا للدائرة السنية واربعة مستأجرة . وكان اكثرها متخربًا فرمم بمساعدة ديوان الاوقاف ولكنها مع ذلك لا تزال غير صالحة للغرض المطلوب منها وحالها غير صحية ولا يمكن حل مسألة هذه المباني حلاً مرضيًا الاَّ بانشاء مبانٍ جديدة في مواضع مناسبة تكون موافقة لحاجات التعليم الحديثة وتوزيعها توزيعًا جغرافيًا منتظمًا مع مراعاة العادات والشعائر القومية لان العلاقة بين الكتاتيب والمساجد والاسبلة قديمة جدًا في التاريخ الاسلامي ولذلك يجب عمل ما في الوسع لابقاء هذه العلاقة على قدر الامكان وقد بدأ ديوان الاوقاف هذا المشروع ببناء كتاب

جديد في العباسية بجوار قبة الفداوية وهذا الكتاب لا يمكن بناء غيره على مثاله لانهُ ارقى مما يلزم للكتاتيب وسيكتفى في المستقبل ببناء كتاتيب اخرى تكون ابسط شكلاً واقل نفقة

ويظهر مما نشره سعادة علوي باشا عن انتشار مرض العيون في الكتاتيب ان التلامذة المصابين بالرمد الحبيبي كانوا ٧٥ في المئة في سنة ١٩٠٢ مقابل ٨٠ في المئة في السنتين السابقتين و ٨٥ في المئة في سنة ١٨٩٩ و ٩٦ في المئة في سنة ١٨٩٨

وقد تحسنت حالة معلمي الكتاتيب بعد ان وضعت نظارة المعارف النظام الجديد المتعلق بامتحانهم واستبدال المدرسين غير الاكفاء بغيرهم من الاكفاء فنتج عن ذلك تحسين سريع في نظافة التلامذة والاماكن ولربما يكون عدد المعلمين غير الاكفاء عظيماً ولكن الكثير منهم متقدمون في السن وعلى كثير من التقى والصلاح وحسن الخلق فليس من الحكمة استبدالهم بغيرهم لما يلحقهم من الضرر

ثم ان النظارة تدفع ١٤٠ غرشاً في الشهر لكل فقيه ينجح في الامتحان و ٧٠ غرشاً لكل عريف او عريفة اما المعلمون غير الاكفاء فتصرف لهم المرتبات التي خصصها لهم ديوان الاوقاف وهي في الغالب اقل بكثير من مرتبات النظارة وزد على ذلك ان الفقهاء والعرفاء يقتسمون بينهم ما يحصل من مصروفات التلامذة

وبلغ عدد تلامذة الكتاتيب التي تديرها النظارة ٥١٦٦ تلميذاً منهم ٣٩٤٠ ذكراً و ١٢٢٦ انثى وفي كل من كتابي شيخون وبولاق قسم للعميان ولكن عدد التلامذة يتناقص في هذين القسمين عاماً فعاماً والتعليم فيهما لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً وقد كانت قلة المال الى الآن مانعاً من الالتفات اليهما فحالتهما الآن تستوجب البحث في ما يلزم لهما من الاصلاح ويجب ان يقتصر التعليم فيهما على العلوم الموصلة الى الاغراض النافعة

وقد جعلت الدراسة في الكتاتيب على ثلاث فرق يتمها التلميذ عادة في ثلاث سنين ويتفرغ بعد ذلك للاشتغال بالحرف او الصنائع او غير ذلك وسنت طريقة في سنة ١٩٠٢ يتعلم التلميذ بمقتضاها نصف النهار بالكتاب ثم يتعلم احدى الصناعات في النصف الآخر منهُ وانتخب بعض التلامذة لذلك

وخلاصة القول ان الكتاتيب تقدمت تقدماً بيناً فتحسنت ابنيتها وحالتها الصحية بعض التحسن وزاد عدد المعلمين بها وارتفعت حالتهم وانشئت مدرسة لتعليم معلمات للكتاتيب واتخذ بعض الطرق لايجاد وصلة بين التعليم في الكتاتيب وتعليم الصناعات . وقسم التلامذة الى فرق وترقت حالة التفتيش والتلامذة وزادت درجة النظافة والترتيب في المباني والامتعة

والادوات حتى صار من الظاهر ان الكتاب يكون عما قليل ركناً قوياً من اركان التعليم في مصر

ووجهت نظارة المعارف عنايتها الى اصلاح كتاتيب الاعانة بطريقة اختيارية وهي طريقة التفتيش والاعانة وذلك ان تعطي كل كتاب اعانة قليلة على شرط ان يعلم فيهِ المطالعة والاملاء والخط والحساب بحسب جدول تقررهُ النظارة وان يصل الكتاب الى درجة مقبولة والاعانة على درجتين درجة اولى قدرها ١٥ غرشاً و ٣٠ غرشاً عن كل تلميذ ودرجة ثانية قدرها ١٠ غروش و ٢٠ غرشاً عن كل تلميذ وتقسم النظارة الاعانة بين الفقهاء والعرفاء فيكون نصيب الفقيه ضعف نصيب العريف وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن اتباعها في ترقية شؤون الكتاتيب. وقد بلغ عدد الكتاتيب التي استحقت الاعانة ١٥١٢ كتاباً في سنة ١٩٠٣ ومجموع الاعانة التي صرفت في هذا العام ٦٧٥٢ جنيهاً

وتقدم مشروع تنظيم الاعانة تقدماً عظيماً. ففي سنة ١٩٠٢ عدلت اللائحة واعيد طبعها واسقط من الكتاتيب ما قل عدد تلامذتهِ عن ١٥ وتقرر اتباع طريقة سهلة في توزيع الاعانات بين المعلمين وتحويل الكتاتيب الى مدارس قروية ووضع بروجرام لما يجب تعليمهُ فيها وانشيء فيها تفتيش مخصوص وزيد عدد المفتشين. ولا بد من السعي لاقناع الاهالي باعانة الكتاتيب على قدر الاستطاعة فقد اظهر سكان الارياف استعداداً لمساعدة الكتاتيب واصلاحها وهذا الاستعداد يفتح باباً واسعاً للامل باتمام هذا الاصلاح رغماً عما يعترضهُ من المصاعب لكثرة هذه الكتاتيب ولان ٩٠ في المئة من اماكنها غير صالح بالمرة للتعليم وزد على ذلك انها كلها خالية مما هو ضروري من الاثاث المدرسي وقلة مرتبات التلامذة لا تسمح للمعلمين ان يقصروا اوقاتهم على التعليم في كتاتيبهم. والمظنون انهُ لا يمكن الحصول على معلمين اكفاء لها في المستقبل اذ لو فرضنا ان الحكومة دفعت خمسين غرشاً لكل معلم من معلمي الكتاتيب التي يبلغ عددها نحو خمسة عشر الفاً لزاد مقدار الاعانة في كل عام عن تسعين الف جنيه وهذا ما لا يمكن ان تقوم الحكومة بهِ الآن فضلاً عن انهُ لا يحسن مطلقاً تعليم الاهالي الاتكال على الحكومة اتكالاً كلياً للقيام بالاصلاح الذي يستطيعونهُ فالواجب ان يقرن مشروع الاعانة بمساعدات محلية كما حدث في مركز اسنا فان ماقام بهِ اهلهُ من اصلاح الكتاتيب انما هو خير قدوة لاهالي الجهات الاخرى فينبغي الحث على تاليف جمعيات محلية والاخذ بناصرها مع تعيين الاعمال المناسبة لها

وقد بلغ عدد الكتاتيب التي فتشت في سنة ١٩٠٣ — ٢٦٢٣ اسقط منها بعد التفتيش ٥٩١ لانها لم تكن مستوفية للشروط اللازمة للاعانة وفتشت الكتاتيب الباقية فاستحق ٢٠٠ منها

اعانة من الدرجة الاولى و ١٣١٢ اعانة من الدرجة الثانية وكان متوسط ما استحقهُ الكتاب من كتاتيب الدرجة الاولى ١٠٠١ غرش ومتوسط ما استحقهُ الكتاب من كتاتيب الدرجة الثانية ٣٦٢ غرشاً . واكثر ما صرف من الاعانات وخصوصاً لكتاتيب الدرجة الثانية كان على سبيل التشجيع لا عن استحقاق

وبلغ عدد فقهاء الكتاتيب التي فتشت ٢٠٤٧ وعدد الفقيهات ٨ وعدد العرفاء ١٢١٣ وعدد العريفات ١٥ فمن ذلك ٢٩٨ فقيهاً وفقيهة لهم بعض الكفاءة لتعليم جميع العلوم التي تعلم في الكتاتيب و ١٢١١ لهم بعض الكفاءة ايضاً لتعليم بعض العلوم فقط و٣٨٦ غير اكفاء على الاطلاق و١١٧ عريفاً وعريفة لهم بعض الكفاءة لتعليم جميع العلوم التي تعلم في الكتاتيب و٧٩٥ لهم بعض الكفاءة لتعليم بعض العلوم و٢٧٣ غير اكفاء على الاطلاق او بعبارة اخرى ان ٢١ في المئة منهم لا يصلحون للتعليم ولا يمكن ان يكون التقدم في الكتاتيب كبيرًا الاَّ اذا وجدت طريقة لتربية المعلمين او لتربية من يساعدهم على التعليم

وقد اجتهدت النظارة سنة ١٩٠٣ في ترقية حالة المعلمين فانشأت فرقاً لتعلمهم مجاناً اللغة العربية والخط والحساب وفن التربية بعد ظهر يوم الخميس وفي صبيحة يوم الجمعة من كل اسبوع في ثلاث مدارس من مدارس العاصمة الابتدائية وفي ١٩ مدرسة من المدارس الابتدائية في الاقاليم وخمسة كتاتيب من كتاتيب الحكومة فبلغ عدد الذين قيدت اسماؤهم بهذه الفرق ١٤٠٧ سنة ١٩٠٣ مقابل ٧٢٠ في السنة التي قبلها . وانشاء هذه الفرق انما هو مقدمة موقتة لعمل اخر يكون كافلاً لتخريج العدد الكافي من المعلمين للتعليم في الكتاتيب بالمستقبل

واقرب الطرق الموصلة لذلك هو ان يربى عدد من المعلمين الصغار السن القادرين على تأدية وظائف العرفاء بالكتاتيب ثم يشجعوا في مدة تأدية عملهم في الكتاتيب على اتمام حفظ القرآن الكريم وتجويده حتى يتمكنوا في المستقبل من فتح كتاتيب خاصة بهم او يعينوا فقهاء في الكتاتيب التي يفتحها الاهالي

وتحتاج نظارة المعارف الى تأسيس عدد مناسب من المدارس الاهلية المرتقية التعليم في انحاء البلاد بحيث تكون ارقى بكثير من الكتاتيب الحالية ولا تحتاج الى ما تحتاج اليهِ مدارس الحكومة الابتدائية من النفقات ويكون تلامذتها من البلاد المجاورة فيجعل بكل مركز مدرسة من هذا النوع تكون مدة التعليم فيها خمس سنوات باللغة العربية فيدخلها التلميذ بين السادسة والسابعة من عمرهِ ويخرج منها بين الحادية عشرة والثانية عشرة ثم يجب ان يكون

التعليم فيها تامًا لذاتهِ ومرتبًا ترتيبًا يفيد طبقات الامة التي تعلم اولادها فيها وقد سبقت صاحبة الدولة والدة الجناب العالي الى انشاء مدرسة من هذا القبيل في العاصمة ومن جملة ما ترمي اليهِ تلك المدرسة اعداد المعلمين الاكفاء للكتاتيب فالواجب على الحكومة ان تبدأ بهذا المشروع فتفتتح في كل بلد فيهِ مدرسة ابتدائية مدرسة من هذا النوع تكون مرتبطة بالمدرسة الابتدائية وبعد ان يتم التلامذة دروسهم في هذه المدارس توضع لهم دروس مخصوصة لاعدادهم في المستقبل لوظائف العرفاء في الكتاتيب المجاورة لهم

اما المدارس التي يجب انشاؤها من هذا النوع فتسعون مدرسة وهي ستة في العاصمة وثلاث بالاسكندرية وواحدة في كل مركز ويمكن تحويل بعض مدارس الحكومة الحالية التي قسمت بها الدراسة على اربع فرق الى مدارس من هذا القبيل . وبتنفيذ هذا المشروع يكون في كل قرية كتاب وفي كل مركز مدرسة اهلية منتظمة وفي مراكز المديريات والمحافظات مدارس الحكومة على الطرز الاوربي وفي المدن الرئيسة مدارس الصنائع والمدارس الثانوية وفي العاصمة المدارس العالية والمدارس الخصوصية وعلى ذلك تكون الكتاتيب في كل مركز مساعدة للمدرسة الاهلية فيهِ

والذين يخرجون من مدارس المراكز يدخلون مدارس المعلمين ويقضون فيها سنة ليكونوا معلمين للكتاتيب وخمس سنوات ليكونوا معلمين بالمدارس الابتدائية ثم يخرج من مدارس المراكز ايضًا الذين يدخلون في مدارس الصنائع ومدرسة الزراعة فتكون مدارس المراكز ممهدة للتعليم النافع للذين لا يقدرون على اتباع التعليم على الطريقة الاوربية وعليهِ فان الحلقة المفقودة من سلسلة التربية بمصر هي مدارس المراكز وقد شرعت النظارة في فتح مدرسة في العاصمة لمعلمي الكتاتيب الى ان يتيسر لها انشاء المدارس المذكورة

ويحتوي هذا التقرير على كثير من الكشوف ببيان الكتاتيب التي استحقت الاعانة وعدد تلامذتها ومقدار الاعانة التي دفعت لها وغير ذلك من الفوائد الاخرى

اما الاعانة التي دفعت الى كتاتيب القاهرة فبلغت ٢١٩٫٩٠ جنيهًا مصريًا سنة ١٨٩٨ يقابلها ١٩٥٫٢٥ ج . م سنة ١٨٩٩ و١٩٥٫٢٠ ج . م سنة ١٩٠٠ و٢٦٢٫٣٥ ج . م سنة ١٩٠١ و٤٥٠٫٧٠ سنة ١٩٠٢ و٥٩٤٫٥٠ سنة ١٩٠٧

وبلغ ما دفع من الاعانة الى كتاتيب الوجه البحري ومن ضمنها كتاتيب الاسكندرية ١٣٤٫٣٥ ج . م سنة ١٨٩٨ يقابلها ٢١٤٫٨٥ ج . م سنة ١٨٩٩ و٣١٨٫٨٥ سنة ١٩٠٠ و٩٩٤٫٩٠ سنة ١٩٠١ و١٢٨٦٫٩٥ سنة ١٩٠٢ و٣٤٠٥٫٣٥ سنة ١٩٠٣

وبلغ ما دفع من الاعانة الى كتاتيب الوجه القبلي حتى اصوان ١٤١,٠٠ ج٠م سنة ١٨٩٨ و٣٠٩,٨٠ سنة ١٨٩٩ و٤٨٥,٩٥ سنة ١٩٠٠ و٨٨١,٣٥ سنة ١٩٠١ و١٤٠٨,٢١ سنة ١٩٠٢ و٢٧٥٢,٠٠ سنة ١٩٠٣ . فيكون مجموع الاعانة التي دفعت الى كتاتيب القاهرة والوجهين البحري والقبلي معاً ٦٧٥١,٨٥ ج ٠ م في السنة الماضية

نبأ من اليابان

لقد كان المقتطف اول مجلّة عربية نوهت بذكر اليابان وكتبت عنها المقالات الضافية معجبة بتقدُّمها السريع . ولم نخطئها الاَّ في اشتباكها مع الروس في حرب تعود عليها بالوبال سواء خرجت منها مغلوبة او غالبة لانها ستضطرُّ ان تستدين الاموال الطائلة من اوربا فتحمل جميلها وترضخ لسيطرتها . فان ابتعادها عن ذلك حتى الآن هو الذي سهّل عليها السير السريع في مراقي العمران كما قال لها الفيلسوف سبنسر في نصيحتهِ لها وارتطامها في حمأة الدين من الماليين الاوربيين سيغلُّ يديها ويعرقل مساعيها الاَّ اذا كان في شعبها من القوى الادبية الراسخة في نفوسهم ما يجعلهم امنع من عقاب الجو . ويظهر من المقالة التالية ان ذلك يكاد يكون شأنهم اذا كان كاتبها منزهاً عن الغرض ولم يكن قد اقتصر فيها على ذكر الكمالات مغضياً عن النقائص تمهيداً لقرض جديد يريد ان يقنع الماليين بالاقدام عليهِ . ومهما يكن من امرهِ فالمقالة حرية بالنشر لانها تدلُّ على فضائل حقيقية في الامة اليابانية وتكشف الستار عما كنا نودُّ معرفتهُ من امرها وهي للكاتب التزباشر وقد نشرت في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية . قال كاتبها ما خلاصتهُ

قال احد كتَّاب اليابانيين منذ عهد غير قريب "من جهل شيئاً عاداه" وهذا شأن اليابانيين فانهم كانوا يجهلون الاوربيين والاميركيين ولذلك كانوا يحسبونهم برابرة ويسيئون الظن فيهم وكذلك يحسب الاوربيون ان عمران اليابان سطحي حديث النشأة وسيزول سريعاً كما نشأ ويخلع اليابانيون الرداء الاوربي الذي تردَّوا بهِ ويعودون الى عنصرهم الاول

والحقيقة التي لا ريب فيها ان الاساس الذي بنى اليابانيون عمرانهم عليهِ قديم جدًّا اسَّسوهُ لما كان الاوربيون في مهدهم وظلوا يبنون فيهِ حجرًا بعد حجر الى ان اتموهُ بما اقتبسوهُ حديثًا من الاوربيين . فالاوربي والاميركي اللذان ينظران الى الامور نظرًا سطحيًّا من غير امعان يحسبان هذا العمران سطحيًّا قريب الغور نشأ بالامس من غير مسوّغ واما اليابانيون

فيعلمون ان ما بلغتهُ بلادهم الآن امر طبيعي لابدَّ منهُ وهو مبنيٌّ على اخلاق الشعب وتقاليدهم"

واذا اردنا ان نعرف كيف تمكَّن اليابانيون من اصلاح امورهم بهذه السرعة الغريبة وما هو الغرض الذي يرمون اليهِ وجب ان ننظر في شؤونهم من وجهتهم ونطَّلع على احوالهم مما كتبوهُ هم عنها. ولقد نلقى هناك ما تستفيد منهُ اوربا واميركا مقدار ما استفادت اليابان منهما قال الكاتب الياباني المشار اليهِ آنفًا ما ترجمتهُ

" لقد تعلَّمنا الملاحة (سلك الابحر) منذ عشرين سنة ولكن تدرُّب قوانا العقلية الذي مكننا من تعلُّمها لم يتم في عشرين سنة ولا في مئتي سنة بل تمَّ هو وغيرهُ في مئات والوف من السنين والفضل فيهِ لاسلافنا الذين واظبوا على ما يرقي قوى العقل

" ولقد كنا دائمًا امَّة متمدنة وكان عمراننا مرتقيًا وانما كان ينقصنا ان نطبّقهُ على مطالب هذا العصر لذلك يجب علينا ان لا نكتفي بتعلم الملاحة بل يجب ان نتعلَّم ايضًا كل فرع من فروع المعارف الاوربية مهما كان طفيفًا ونتمسك بالنافع منها ونترك ما لا نفع منهُ فنزيد قوةً ومنعةً

" لندخلْ ميدان هذا العالَم ونحاضرْ فيهِ بالصبر ونبارِ الامم الاخرى في العلوم والفنون ونبيّنْ لهم مقدرتنا فتقوى بلادنا وتستقل وهذا غاية منانا "

هذا ما قالهُ هذا الكاتب منذ عشرين سنة حينما كان الاوربيون يحسبون اليابان مثل سيام وليبريا وغيرهما من ممالك المشرق المنحطة . ولقد تكلل سعيهُ وسعي غيرهِ من المصلحين بالنجاح فرقوا بلادهم وجعلوها من مصاف الدول الكبرى . والآن نلتفت الى ماضي اليابان والى كيفية انتقالها السريع متوخين الاختصار التام

ان تاريخ اليابان القديم غامض لا تعلم حقيقتهُ لكن من المقرَّر ان ملكها الحالي من امرة قديمة جدًّا حكمت البلاد منذ ٢٥٠٠ سنة من غير انقطاع . ويستدلُّ من ذلك وغيرهِ على انها كانت مملكة منتظمة قبل الاسكندر المكدوني بثلاثمئة سنة . وكانت سفنها تسير الى كوريا قبل المسيح بسبع مئة سنة فكان اليابانيون امة بحرية حليفة اسفار من ذلك العهد . واحصي الملك سوجن عدد السكان سنة ٨٦ قبل المسيح ثم امر الملك كوتوكو سنة ٦٤٥ ان يعاد هذا الاحصاء مرة كل ست سنوات

ووضعت اليابان نظام البريد سنة ٢٠٢ للميلاد وانتظمت شؤونها في القرن السابع والثامن وسنت حينئذٍ القوانين التي رسخت في اذهان اليابانيين الغيرة الوطنية واكرام النفس من غير اثرة واللطف والدعة والطاعة ومنها قوانين الامير شوتوكو التي ينظر اليها اليابانيون حتى الآن كما ننظر نحن الى وصايا موسى العشر وهي

" الاتفاق والوئام يفوقان كل ثمن والطاعة للقوانين المقرَّرة اول واجبات الانسان . لكن لكل فريق من الناس آراء تخالف آراء غيره فنشأ من ذلك عصيان الملوك وعقوق الآباء والخصام بين الجيران والاقارب. ولا يستقيم حال الامة ولا تثبت على اساس مكين مالم يتفق الكبراء بعضهم مع بعض ويتصافوا مع الذين دونهم ويفصلوا كل خلاف وخصومة بالتحكيم

" يجب ان تطاع اوامر الملك وان يكون لشعبهِ مرشدًا امينًا والاَّ ساءت حال الامة وتولاَّها الخراب والاضمحلال

" يجب ان يحترم الوزراء وسائر رجال الدولة ويعطى كل ذي منصب حقهُ من الاكرام

" خير شرائع البشر ان تجازى المحسن ويعاقب المسيء . من احسن عملاً فلهُ جزاؤُهُ ومن اساء فلهُ العقاب . التدليس والخداع يقوضان الدولة ويزهقان روح الامة

" لا عون بلا ثقة والثقة لازمة لكل عمل ولا يمكن حلُّ مشكل من المشاكل من غير ثقة . اذا وثق رجال الدولة بعضهم ببعض سهل عليهم تدبير المهام واذا زادت الثقة من بين الحاكم والمحكوم فسدت الامور كلها

" الجم الغيظ واطرح الغضب واقِلْ عثرة اخيك

" اذا آخذتَ المرءَ بهفواتهِ لم يمنعهُ ذلك من ارتكابها ثانية والمؤاخذ لا يسلم من الخطإ . وسبيل النجاح هو السبيل الذي يسلكهُ الجميع متحدين

" لا يحمل الحقد من تعلو بهِ الرتبُ ولا ينال العلى من طبعهُ الحسدُ

" البغضة تولد البغضة والغيرة عمياء

" على كل امرءٍ ان يضحي مصلحتهُ الخاصة لاجل مصلحة بلادهِ فان الاثرة تمنع الاتحاد ولا يعمل عمل عظيم من غير اتحاد "

هذه الاقوال كتبت منذ الف وثلثمئة سنة وهي ادلُّ شيء على اخلاق اليابانيين فانهم اوجبوا على انفسهم تعلمها والجري عليها منذ ثلاثة عشر قرنًا الى الآن فرسخت في نفوسهم واليها ينسب ارتقاؤُهم ولذلك لا يستغرب قولهم ان تمدنهم قديم ولا ما يُرَى فيهم من التفاني في حب وطنهم واعلاء شأنهِ واندفاعهم كلهم نحو ذلك من الامير الى الصعلوك وانتفاء كل حسد وضغينة من بينهم وتمهُّد المناصب كلها للمستحق منهم من غير تمييز مهما كان اصلهُ وضيعًا . وهذه الحكم التي تضارع حكم ليكرغس وصولون تبيّن ما يرى في اليابانيين من الشجاعة والتعاون وحب الوطن والاعتماد على النفس وتفانيهم في ذلك كلهِ الى حد ادهش العالم

ولما كان الانتقال من بلاد الى أُخرى كثير المشقة كانت البلدان المرتقية تحسب نفسها

ارقى من غيرها وتحسب اهالي سائر البلدان برابرة فتقوى في نفسها الاثرة والتمسك بما عندها والتعصُّب لهُ فيدعو ذلك الى تأخرها . ولقد كان ذلك في مصر وبابل وفارس وفلسطين واليونان والصين وغيرها من البلدان القديمة فلا عجب اذا حسب اهالي اليابان الاولون ان بلادهم مركز المسكونة اوجدتها الإلهة لهم وان ملكهم ابن السماء وانهُ من نسل الشمس التي يعبدونها . لكن هذه الدعوى وهذا الاعتداد بالذات لم يظلما عقول اليابانيين بل بقوا مستعدين للتعلُّم من غيرهم ولاقتباس انوار المعارف من سواهم فغلبوا كوريا واقتبسوا منها المذهب البوذي واقتبسوا من الصين كثيرًا من المعارف والصنائع وادخلوا دود الحرير الى بلادهم سنة ١٩٥ للميلاد واتوا منها بحاكة الحرير فانتشروا في البلاد يعلمون الاهالي وادخلوا منها زراعة الشاي سنة ٨٠٥ . ويظهر من ذلك ان اليابان كانت مستعدة دائمًا لتقتبس من الغير ولكنها كانت تتصرَّف في ما تقتبسهُ حتى يناسبها ولا تتقيَّد بهِ تقيدًا اعمى

وتسلطت الديانة البوذية على اليابانيين حتى حسبوا الصينيين ارقى منهم علمًا فلما قامت قيامة البوذيين على دعاة الديانة المسيحية من البرتغاليين في القرن السادس عشر رأت اليابان ان تقفل ابوابها دون الاوربيين وظلت ابوابها مقفلة من سنة ١٦٣٨ الى سنة ١٨٥٣ وهي سكرى بخمرة الاستقلال لكن مدافع الكومودور بري ايقظتها من سكرتها فانهُ إتاها باسطولهِ سنة ١٨٥٣ طالبًا منها ان تفتح ابوابها للتجارة والاَّ فتحها عنوةً . وكانت تحسب نفسها منيعة الجانب بعيدة عن الاجانب فعدَّت تطاولهُ عليها ذنبًا لا يغتفر ونفرت من هذا الطلب نفورًا هزَّ اركانها . والشعور الوطني في بلاد اليابان اشدُّ تأثرًا منهُ في سائر البلدان . وقد وصف ذلك احد اليابانيين المعاصرين قال ما ترجمتهُ

" جاءنا رجل اميركي اسمهُ بري مدعيًا انهُ موفد من قبل الولايات المتحدة الاميركية ودخل الى اوراغا في ولاية سجامي باربع بوارج حربية وقال ان معهُ كتابًا من بلادهِ مرسلاً الى اليابان ويريد ان يسلمهُ الى ملكنا بيدهِ ولما بلغ والي الولاية ذلك اضطرب وذهب بنفسهِ ليسمع ما يقولهُ هذا الرجل فرأى انهُ يطلب ان يسلم الكتاب الى احد الوزراء ويبين لهُ غرضهُ من زيارتهِ فارسل الوالي رسولاً الى القصر في يدو يخبر بما توقع ثم تلتهُ رسل اخرى فاضطرب الشوغن [1] ايبوشي واستدعى مشيريهِ اليهِ ليستشيرهم في الامر

وقد جاءهم هذا الخبر فجأةً فادهشهم وحصروا عن الكلام في اول الامر ثم ارسلت الاوامر الى رؤساء القبائل ليحفظوا الثغور مخافة ان تهاجمها سفن البرابرة . وأرسل احد

(١) الشوغن قائد الجيش العام في بلاد اليابان وقد عظم شأنهُ حتى كاد يكون مستقلاً بالامر والنهي

العلماء الصينيين الى اوراغا فقابل الرسول الاميركي وعاد ومعهُ الكتاب الذي اتى بهِ وفيهِ تُعرب الولايات المتحدة عن رغبتها في ربط رُبط الصداقة والتجارة مع اليابان سلمًا او حربًا .

" فاضطرب الشوغن من جراء ذلك وعقد مجلسهُ واستشار امراءهُ في ذلك فاقاموا يتذاكرون النهار كلهُ وليلتهُ . واُخبر اعيان المدينة انهُ يباح لهم ان يبدوا ما يرونهُ من الاراء في هذا الشان فاختلفت آراؤُهم جدًّا حتى لم يقروا على قرار

" وكان الجنود قد اهملوا صناعة الحرب وعكفوا على الملاهي والملاذ ومضت سنون كثيرة من غير أن يتقلد احد سلاحهُ ولذلك قلقوا اشد القلق لما بلغهم ان الحرب قد تشبت حالاً وجعلوا يفتشون عن اسلحتهم واضطربت مدينة يدو كلها والقرى المجاورة لها حتى اضطرَّ الحكام ان ينشروا المنشورات لتسكين الاهالي . هذا كلهُ والرسول يلجُّ في طلب الجواب "

واتفق ان الكومودور بري وصل الى بلاد يابان وهي في اشد ازمة من تاريخها فانّ الجنود او الفريق الحربي من الاهالي كان قد قبض على ازمة الحكومة منذ سنة ١١٩٢ للميلاد ولم يكن الشوغن سوى قائد للجيش يعينهُ الميكادو فصارت ادارة البلاد في يدهِ وصار صاحب الامر والنهي واصبح الميكادو ملكاً بالاسم لا بالفعل (كما صار الخلفاء العباسيون في آخر عهدهم) وبقي لهُ المقام الرفيع ولكنهُ كان في الحقيقة اسيرًا في قصرهِ في كيوتو . وكانت البلاد مقسومة الى امارات يتولاها امراؤُها وكل امارة مستقلة عن غيرها وعن البلاد كلها في جنديتها وماليتها وقوانينها وكان هولاء الامراءُ مستبدين يظلمون الرعية ويمتهنونها ويدسون الدسائس بعضهم لبعض الأَ ان كثيرين منهم كانوا يكرمون ارباب العلوم والفنون ويجلُّون قدرهم فصارت قصورهم محط رحال العلماء ومنها نشأَت الثورة التي ثارتها البلاد على الشوغن

وسنة ١٧١٥ اتمَّ الامير ميتو كتابهُ تاريخ اليابان فانتشرت نسخهُ في البلاد وفيهِ وصف مسهب لما حلَّ بسلطة الميكادو من الضعف واغتصاب الشوغن لمقاليد الاحكام فلما اطّلع عليهِ الناس زاد نفورهم من الشوغن وكان ذلك اكبر باعث لهم على نزع السلطة من يدهِ وارجاعها الى الميكادو

وتلا هذا التاريخ تاريخ آخر الّفهُ المؤرخ راي سانيو من كبار الكتاب والشعراء حمل فيهِ على الشوغن وابان ظلمهُ في اغتصابهِ مقاليد الاحكام من اربابها وعزَّز اقوالهُ بالادلَّة التاريخية والمنطقية وتتبع تاريخ اليابان الى مبدإِهِ وتاريخ الاسرة الملكية ونسب كلَّ ما حلَّ بالبلاد من الاِحن الى نزع السلطة من يد الميكادو وانتشر هذا الكتاب حالاً واقبل الناس على قراءتهِ فاقنعتهم ادلتهُ وقوي بهِ حزب الميكادو . وكان كهنة شنتو يحسبونهُ معبودًا لهم ومصدرًا لكل

الفضائل وكانت ديانتهم قد تولاَّها الخمول منذ عهد طويل فانتعشت حينئذٍ وهبَّ اصحابها لنصرة الميكادو وهم الفريق الاكبر من الاهلين لانها ديانة البلاد وطلبوا رد السلطة اليهِ

ووقعت البلاد حينئذٍ بين نارين نار الوعيد والتهديد من الاسطول الاميركي ونار الثورة الداخلية . لكن شعور الامة رجح على الثورة واقنعها بانهُ لا بدَّ لها من الاتحاد لكي تقوى على مقاومة العدو الخارجي الذي تصدَّى لها . وزاد غيظها وزادت انفتها لما علمت ان الشوغن وافق الاجانب وامضى المعاهدة التي طلبوا منهُ امضاءها رغماً عن تحذير الميكادو لهُ ان لا يفعل . وقد امضاها خوفاً من الاجانب ففتح البلاد لهم وصار همُّ الاهلين حينئذٍ هل يسمحون للاجانب بالاقامة في بلادهم او يستأصلون شأفتهم منها . ورأى جمهورهم ان لا بدَّ من طرد كل اجنبي فوقف الشوغن عندهم موقفاً حرجاً لانهُ امضى تلك المعاهدة رغماً عن الميكادو . ونشر الميكادو حينئذٍ امراً ملكيًّا قال فيهِ " ان مصادقة الاجانب ومعاملتهم جلبتا العار على البلاد فيحسن بمدينة كيوتو ومدينة يدو ان تتحدا وتحاربا حروب المملكة " وشاع هذا المنشور في البلاد كلها ودوت لهُ من اقصاها الى اقصاها وصرخ السكان قائلين ابطلوا الشوغنية وردوا الميكادو الى عرشهِ

وزاد حقد اليابانيين على الاجانب فقتلوهم من غير سبب واطلقوا المدافع من الثغور على السفن الاجنبية فدعا ذلك الى اطلاق القنابل على كوجوشيما في ١١ اغسطس سنة ١٨٦٣ وشيمونوسكي في ٥ سبتمبر سنة ١٨٦٤ . وحاول اليابانيون الدفاع فرأوا ان مدافعهم دون مدافع خصومهم فقالوا لا بدَّ لنا اذاً من مدافع مثلها لكي نستطيع محاربتهم . وكتب الميكادو الى الشوغن يقول

" عقدت مجلساً بالامس مع مشيريَّ فوجدت ان سني السلم التي مرَّت علينا جعلتنا غير قادرين على اذلال اعدائنا بالسلاح واذا قابلنا بين بوارجنا ومدافعنا وبوارج البرابرة ومدافعهم وجدنا ان ما عندنا لا يكفي لارهاب اعدائنا البرابرة ولا لتمجيد اسم اليابان في البلدان الاجنبية وانما نجعل انفسنا هزؤًا في عيونهم اذا قاو..."

ولم تكن الخسارة كبيرة من اطلاق المدافع على تينك المدينتين ولكن اليابانيين استعظموها ولم يستخفوا بها لانهم رأوا فيها اذلالاً لهم ودوساً لاستقلالهم فرأوا ان زمن الانقسام والعزلة قد مضى وانهُ لا بدَّ لهم من الاتحاد داخلاً والاختلاط بغيرهم من الامم خارجاً . وقد كتب الاستاذ تو يوكيشي ايناغا في هذا الصدد ما ترجمتهُ

" ان اطلاق المدافع على مدننا ارانا ان لا بدَّ من اتحادنا لكي نقابل الاجانب بالقوة

سواء رحبنا بهم او اقصيناهم عنّا وهذا يستدعي تغييرًا عظيماً في نظام البلاد الداخلي فيجب ان ترد الاموال الاميرية كلها الى خزينة واحدة وتحسب للامة وان نقوّض اركان الحكومة الاقطاعية من البلاد ولا يعترف الاَّ بحاكم واحد لها اليهِ المرجع في كل الامور . وقد دعا ذلك الى تنظيم الحكومة الذي تمَّ سنة ١٨٦٨ فكان لاطلاق المدافع على كاجوشي وشيمونوسكي يد في هذا التنظيم لان التهديد والوعيد اوجبا الاستعانة بالامة كلها والاستعانة بها دعت الى مشورتها والوقوف على رأيها بعد لم شعثها فعقدت مجالس الشورى واجتمع فيها الامراء والرؤساء والوجهاء للنظر في دفع العدو عن البلاد "

ولما رأى الشوغن ان الاتحاد وردَّ السلطة الى الميكادو لازمان لحفظ استقلال البلاد عمل عملاً لا مثيل لهُ في تاريخ الامم فتغاضى عن مصلحة نفسهِ ومجد اسلافهِ الذين حكموا البلاد منذ مئات من السنين وقال ان المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة فاستعفى من منصبهِ في التاسع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٧ ونشر منشورًا يُعدُّ مثالاً للغيرة الوطنية قال فيهِ

" لقد رأينا لدى امعان النظر في الشؤون المختلفة التي تقلبت عليها السلطنة انهُ لما انحطت سلطة الملوك انتقلت القوة الى ايدي الوزراء ثم انتقلت منها سنة ١١٥٦ الى ايدي الجنود . ولقد نال سلفي الاول من الثقة ما لم ينلهُ قائد قبلهُ وجرى خلفاؤهُ بعدهُ في خطتهِ اكثر من مئتي سنة وقد سرت انا في خطتهم ولكن مصالح البلاد لم تقُم ولم تُوفَ الاحكام حقها ولذلك فاني اعترف بالاتضاع التام ان قصوري سبَّب المشاكل الحاضرة . ثم ان معاملاتنا مع الاجانب اتسعت رغماً عنا ولا يسعنا ان يكون لنا سلطة عليها ما لم نستعن بقوة البلاد كلها . فاذا تغير النظام القديم ورُدَّت السلطة الى المجلس السلطاني وجُمع رجال الشورى من البلاد كلهم واعتمدت الحكومة على مشورتهم واذا اتحدنا كلنا قلباً وقالباً لحماية بلادنا امكننا ان نجاري ام الارض . وهذا يشمل كل ما يجب علينا نحو بلادنا "

وهذا الاعلان الصريح يوافق ما قالهُ الشوغن للسر هنري باركس ولسفير فرنسا وهو

" لقد ثبت لي منذ الخريف الماضي ان البلاد لا تفلح ما دامت السلطة مقسومة بيني وبين الامبراطور (امبراطور اليابان او الميكادو) لذلك اعلمتهُ اني تنازلت عما لي من السلطة رغبةً في خير البلاد على شرط ان يجتمع مجلس الوجهاء ويحكم كيف تدار شؤون البلاد في المستقبل ومن يديرها . وبفعلي هذا اغضيت عن مصلحتي الخصوصية وتركتُ السلطة التي تسلمتها من اسلافي في سبيل المصلحة العمومية فخرجت من ميدان النزاع بدلاً من ان اقاوم

القوة بالقوة . اما من هو ملك اليابان الحقيقي فهذه مسألة لا يختلف فيها اثنان من اليابانيين لان الامبراطور هو الملك الحقيقي

ولقد كان غرضي من اول الامر ان اجري حسب مشيئة الشعب فاذا شاء ان اتنازل عن حقوقي فانا اتنازل عنها رغبة في خير بلادي وليس لي غرض غير هذا وهو ان اتنازل عن حقوقي الموروثة من اسلافي بشرط ان يجتمع وجوه البلاد وعظماؤُها ويبحثوا في الامر بحثاً خالياً من الغرض ويعمل برأي الاكثرية في اصلاح الحكومة والدستور "

فقضي الامر وفُصل الخلاف بين الميكادو والشوغن لا بحرب اهلية تمزق البلاد وتزيل ما فيها من الزمق بل بحب الوطن الذي يدعو الى تضحية المصلحة الخصوصية في سبيل المصلحة الوطنية

فقبل الميكادو استعفاء الشوغن واقام الوزراء وقلدهم شؤون الدولة فكان اول شيء فعلوهُ ان رفعوا اليهِ عريضة يقولون فيها

" اننا نخشى ان نكون سائرين في خطة الصينيين الذين توهموا انهم الشعب الوحيد الذي يستحق الاكرام وان الاجانب كلهم لا يستحقون الاَّ الاحتقار فتغلب الاجانب عليهم واذلوهم

" ويظهر لنا بعد امعان النظر انهُ يجب علينا كلنا رفيعنا ووضيعنا ان نتحد في فهم مطالب هذا العصر وفي وجوب العمل بما يصلح البلاد

" لقد كانت بلادنا حتى الآن منعزلة عن سائر البلدان وجاهلة ما في العالم من القوى ولم يكن لنا غرض الاَّ تجنب المشاق التي تنشأُ عن امتزاجنا بغيرنا فكنا نزيد تأخرًا يوماً بعد يوم حتى صرنا في خطر من ان تتسلط علينا دولة اجنبية

" ولكن اذا مضينا الى البلدان الاجنبية ونظرنا الى ما فيها من الفوائد وقابلنا تقدمها المستمر . ونظام حكوماتها الجاري بحسب مقتضيات العقل . وكفاءة جنودها وسائر قواها الحربية . وكثرة الاقوات لشعوبها اذا قابلنا ذلك بما في بلادنا اتضحت لنا جليًّا اسباب التقدم والتأخر

" ولا بد لنا من طرح التعصب الذي كان متسلطاً علينا حتى الآن اذا اردنا ان نردَّ مملكتنا الى مجدها السابق ونرفع مقامها في عيون الاجانب

" ونرجو ان يفتح رجال بلاطكم عيونهم ويتحدوا مع الذين دونهم ويتفقوا معهم على ما بهِ مصلحة المملكة ويستعينوا بالاجانب في ما هم ادرى منا بهِ فتتوطد اركان مملكتنا ابد الدهر .

ولنطرحنَّ جهلنا السابق الذي كان يحملنا على تلقيب الاجانب بالكلاب والجداء والبرابرة ونصلحنَّ رسوم البلاط التي اقتبسناها من الصينيين فنسمح لسفراء الدول بدخوله حسب الرسوم المتبعة في بلادهم . وليُعلَنَّ ذلك في المملكة كلها حتى يعلم العامة كيف ينظرون الى هذه الامور . هذا ما نتوسل بهِ نعرضهُ بالاحترام والاتضاع "

ولقد كان من حظ اليابان ان الميكادو نفسهُ رأى الحاجة ماسة الى الاصلاح . ولو كان متوسط المدارك او لم يحط بهِ رجال واسعو الخبرة بعيدو النظر في العواقب لكان اكتفى باسترجاع السلطة التي فقدها اسلافهُ منذ قرون كثيرة وظلَّ الى الآن مستقلاً مستبدًّا او لاكتفى بتحصين بلادهِ حتى تعود الى العزلة التي الفها شعبها وتطرد الاجانب منها . ولكن كان من حظ اليابان ان ملكها متسو هيتو وافق المصلحين قلباً وقالباً واقسم امام رجالهِ في السابع عشر من شهر ابريل سنة ١٨٦٩ انهُ يفعل الامور الخمسة التالية وهي

اولاً ان تنشأ في البلاد جمعية عمومية ويكون الحكم في الامور حسب الرأي العام

ثانياً ان تدرَّس مبادئ العلوم الاجتماعية والادارية يدرسها الشعب كلهُ خاصتهُ وعامتهُ

ثالثاً ان يُسهل لكل احد ان يعمل كل ما هو صالح وجائز

رابعاً ان تلغى كل الرسوم والشعائر القديمة التي لا تنطبق على قوانين العقل ويجرى في ادارة البلاد على حسب النواميس الطبيعيَّة والاجتماعيَّة

خامساً ان يفتَّش عن العلم والحكمة في كل اقطار المسكونة لكي يُقتبسا ويجعلا اساساً لبناء السلطنة

فوقف موقف المصلح واقسم ان يسير بامتهِ في اوسع طرق الاصلاح وبرَّ في قسمهِ ومن ثمَّ جعلت الامة كلها تتسابق الى الاصلاح المطلوب وتتنافس فيهِ وغرضها كلها واحد — توحيد السلطة وترقية المملكة

والناظر في احوال اليابان حينئذٍ يرى فيها شوغناً تخلَّى عن منصبهِ الرفيع وتنازل عن حقوقهِ الموروثة وسلَّم مقاليد البلاد للميكادو . ويرى الميكادو ترك تقاليد آبائهِ واجدادهِ وتنازل عن عرش التألُّه الذي كانت رعيتهُ تحلهُ فيهِ وعن الحكم المطلق الذي كان لاسلافهِ . والامران على عظمها لا يستحيلان لانهما متوقفان على ارادة رجلين ولكن النظام الاقطاعي كان راسخاً في البلاد كلها فكانت اقساماً كثيرة وعلى كل قسم منها امير او رئيس مستقل باعوانهِ وجنودهِ فهل كان في الامكان نزع السلطنة من ايدي هؤلاء الامراء والرؤساء وتوحيدها في شخص الميكادو ومجلس الامة . لكن ما تقدَّم من حب اليابانيين لوطنهم سهَّل عليهم كل عسير فقام

دامبو اكدزوكي رئيس الكوجيشو (اي مجلس رؤَساء القبائل) ورفع خطاباً الى الميكادو قال فيهِ

"لقد استخدم الامراء بلادهم ورجالهم لاغراضهم واختلفت الشرائع والقوانين التي يسوسون اقطاعاتهم بها حسب اختلافهم

"ولقد سُمُّوا سياج الدولة وهم سبب انقسامها وانحطاطها فكيف تجاري بلادنا الصغيرة سائر البلدان التي وراء البحر وكيف تفلح وتنجح

"من كان منا اميناً لبلادهِ محبًّا لوطنهِ ساعياً في رفع شأنهِ وتعزيز اركانهِ فليفعلْ ما يأتي

(١) يرد الى الامبراطور الاقطاعة التي اخذها ويعود عضوًا في بلاد دستورية غير منقسمة

(٢) يترك القابهُ كلها ويكتفي بلقب كوازوكو (وجيه) وبعقار يقوم بمعيشتهِ

(٣) يترك ضباط جنود القبائل القابهم ويسمون انفسهم ضباط الامبراطور فتعطى لهم رواتب توازي املاكهم

ليُعملْ بهذه الامور الثلاثة فتقوم دعائم السلطنة على اسس راسخة"

فجعل الامراء والرؤَساء يتبارون في نزع القابهم وتسليم املاكهم واموالهم للميكادو

وكان عدد هؤُلاء الامراء والرؤَساء ٢٥٨ فتنازلوا كلهم عن املاكهم وكانت واسعة كثيرة الريع حتى ان املاك ١١٨ منهم بلغ ريعها السنوي من الارز ما يساوي ٢٤ مليوناً من الجنيهات فمتوسطُ دخل كل واحد منهم مئتا الف جنيه في السنة . وفي التاسع والعشرين من اغسطس سنة ١٨٧١ صدر امر ملكي يقال فيهِ "أُلغي النظام الاقطاعي وأُقيم بدلاً منهُ ولاة لحفظ الامن"

وكان الجنود ورؤَساؤُهم يتقاضون ما يساوي مليوني جنيه كل سنة فتنازلوا عنها واكتفوا بمعاش طفيف يسد الرمق واضطرت الحكومة الجديدة ان تستدين من شعبها اربعين مليوناً من الجنيهات لكي يعطى منها المعاشات والرواتب للامراء والرؤَساء والجنود الذين تنازلوا عن كل ممتلكاتهم . وتُوِّج هذا الانقلاب العظيم بالدستور الذي منحهُ الميكادو لبلادهِ سنة ١٨٨١ واوجب العمل بهِ من سنة ١٨٩٠ . وسنعود الى تفصيل ذلك في فرصة أُخرى

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة في كوريا

ان ما يعلم عن نساء كوريا اقل مما يعلم عن المرأة في كل بلاد أُخرى ولا غرابة في ذلك لانهُ لم يضيق الحجاب عليها في بلد من البلدان كما ضُيّق في تلك البلاد فلا يراها احد من الذكور غير زوجها . وكل ما يُعلم من امرها الآن منقول عن امرأة يابانية دخلت حرم النساء في كوريا ووصفت احوال معيشتهنَّ فيهِ

ويستنتج مما كتبتهُ انهُ اذا حانت ولادة المرأة اعتني بها زوجها اعتناء خاصًا وربط حبلاً على باب بيتهِ فاذا ولد لهُ ذكر ربط بالحبل ورقة وفحمة واذا وُلد لهُ انثى لم يربط بهِ شيئًا

ولا تُعَد البنات بين الاولاد فاذا سئل رجل عن عدد اولادهِ عدَّ الذكور منهم ولم يعد الاناث ولعلَّ تخصيص الولد في القطر المصري بالذكر دون الانثى ناتج عن عادة مثل هذه لان العربية لا تقتضي ذلك ولا هو كذلك في بلاد الشام حيث يُطلق الولد على الذكر والانثى كما في اللغة

ويكون للبنت اسم خاص بها في كوريا الى ان تبلغ السابعة من عمرها فيلغى وتصير تسمى باسم ابيها او اخيها او زوجها فيقال ابنة فلان او اخت فلان او زوجة فلان

ويعلَّم البنات والصبيان في مدرسة واحدة الى ان يبلغوا الثامنة من العمر فيُفصَل بينهم ويتوسَّع في تعليم الصبيان فيعلَّمون العلوم اللازمة لما سيتعاطونهُ من الاعمال واما البنات فيقتصر على تعليمهنَّ بعض القواعد الادبية والرسوم الدينية اللازمة في عبادة الاسلاف واذا كنَّ من الفقراء اقتصر على تعليمهنَّ الخياطة والحبك وسائر اشغال الابرة . ونساء الفقراء بارعات في في ذلك كما يظهر مما في ثياب اليابانيين من التطريز

والابيض علامة الحداد عند اليابانيين فاذا مات لهم قريب لبسوا البياض عليهِ ثلاث سنوات متوالية وكذلك اذا مات ملكهم واتفق ان مات ثلاثة من ملوكهم في عشر سنوات فاضطروا ان يلبسوا البياض مدة السنوات العشر فصاروا يقتصرون عليهِ اقتصادًا في النفقة

والنساء يخطنَ الثياب ويفتقنها كلما اردنَ غسلها ثم يخطنها ثانيةً وهي من الحرير فيخبطنها بالخابيط حين غسلها لكي يظهر لمعانها

والذكر يبلغ قبل الانثى في كوريا وهذا من الغرائب . ولذلك تكون المرأة اكبر من زوجها سنًّا

ويجرون في الزيجة على هذه الطريقة . اذا اختار الشاب فتاة ليتزوج بها ارسل يخطبها الى ابيها كتابةً بيد رجل من اصدقائهِ فاذا قُبل طلبهُ جاءهُ الجواب كتابة واتفق الفريقان على تعيين يوم العرس بحساب الطوالع فيحسبون طالع الزوج وطالع الزوجة من ساعتي ميلاديهما ويستخرجون اليوم الذي يصلح ان يقترنا فيهِ

وفي اليوم المعين يحتَفل في بيت ابي العروس ويأتي العريس اليهِ راكبًا مع والدهِ وينزل عند مدخل البيت ويمشي ووجههُ متجه الى الشمال حيث يراد اقامة الاحتفال بالعرس ويجثو هناك على ركبتيهِ ويقدم الهدية الى العروس وهي بطة برية رمزًا الى امانة الزوجة لزوجها . وحكاية ذلك عندهم ان صيَّادًا اصطاد مرة بطة ذكرًا فظلت الانثى تتردد على المكان الذي اصطيد فيهِ ذكرها الى ان قضت نحبها . ويتعاهد الفريقان بقولهما ان شعرنا اسود الآن كريش البط البري ولكننا سنبقى محتفظين بعهد الامانة كلٌّ منا للآخر ولو ابيضَّ وصار كجذور البصل

وتلبس العروس يومئذٍ لبس النساء الكوريات وتبيض وجهها وتزجج حاجبيها وتعصفر شفتيها وتضع في رأسها ثلاثة دبابيس عليها صور طائر الجنة من الذهب وتلبس حلة وتضع على كتفيها وشاحًا احمر وتمنطق بمنطقة بيضاء وتلبس كفين ابيضين وجوربين ابيضين وحذاء من الحرير الاحمر او الازرق او الاخضر . وتنزل عن سلم بيت ابيها ومعها ثلاث نساء ممسكات بها وتمشي الى مكان الاحتفال ووجهها محجوب بروحة وتلتفت الى الشرق وتنحني امام العريس فيقابلها بالانحناء . وتملأ لهما كاسان خمرًا وتقدمان لهما فيمتص كلٌّ منهما مصَّة من كاسهِ فيتم عقد الزيجة . ثم يدعى العريس وابوهُ الى وليمة يولمها لهما ابو العروس وذووهُ ويعود العريس الى بيتهِ ولا ترسل اليهِ العروس الاَّ في يوم آخر من الشهر يوافق طالعهُ يوم الاقتران وتحجَّب من ذلك اليوم فلا يعود يراها رجل الاَّ زوجها

وكانت العادة ان تقفل الابواب في العشاء ولا سيما في سيول ويدخل الرجال بيوتهم ولا يعودون يخرجون منها الاَّ في الصباح لان نساء الاغنياء كن يخرجن ليلاً ويزرن بعضهن بعضًا لكن لما ضعفت الاحكام صار اللصوص يترصدون النساء ويسلبوهنَّ حلاهنَّ فلم يعدنَ يخرجن ليلاً . والآن يخرج بعض النساء ليلاً مع رجالهنَّ وهنَّ متحجبات تمام التحجب .

ونساء الفقراء يخرجن في النهار ايضاً بعض الاحيان ولكنهنَّ يكنَّ متحجبات ايضاً . انتهى مقتطفاً من مقالة في مجلة القرن التاسع عشر وما بعده

هذا وبلاد كوريا من اشد البلدان خصباً واوفرها غنى بالمعادن وا كثرها مرافئ امينة للسفن وسكانها اصحاء الابدان .وقد قال الذين وقفوا على احوالها ان لتأخرها سببين لا اكثر حالة المرأة فيها وحالة الصناعة ولا تفلح بلاد والمرأة والصناعة محتقرتان فيها مهما كان غناها الطبيعي وافرًا

المرأة في استراليا

رأينا بعد كتابة ما تقدم عن حال المرأة في بلاد كوريا مقالة للسيدة ڤيدا جلدستين احدى زعيمات النساء في استراليا (البلاد التي عمرَّها الانكليز بالامس ففاقت بلدان الارض عمرانًا على قلة سكانها) وصفت فيها قيام النساء في تلك البلاد وطلبهنَّ الحق في انتخاب النواب وانتخابهنَّ نوابًا عن الشعب مع الرجال وقالت ان الغرض من وجود النواب في مجلس الامة المدافعة عن الحقوق والمصالح كل نائب يدافع عن حقوق منتخبيهِ ومصالحهم لئلا تضيع مع مصالح غيرهم ويشترط ان يكون النائب عارفاً بهذه المصالح حتى يدافع عنها والاولاد نصف الشعب والنساء نصف النصف الآخر ولا يعلم مصالحهم ومصالحهنَّ غير النساء ولذلك يجب ان يكون من النساء نواب في مجلس النواب لكي يدافعن عن مصالح النساء والاولاد . وقد زادت على ذلك فقالت ان الرجل الذي يعجز عن تنظيم بيتهِ لا ينتظر منهُ ان ينظم بيت الامة التنظيم الواجب فلو دخلت النساء مجالس النواب لانتظمت امورها وامور البلاد كلها . انظر ما يفعلهُ الرجل في بيتهِ ومكتبهِ فانهُ يخرج من الحمَّام والماء فيهِ الى الكاحل ويرمي ثيابهُ في غرفتهِ كيفما اتفق ويترك المواسي والواح الصابون والشعر المحلوق والمناشف في غير اماكنها وتجد الاوراق والاقلام والمحابر على مكتبهِ مختلطة اختلاط الحابل بالنابل لا نظام ولا ترتيب فهو كذلك في بيتهِ ومكتبهِ وهو كذلك في ادارة الحكومة يهتم بالكبائر ويترك الصغائر ولا تستقيم امورهُ ما لم تتبعهُ زوجتهُ وترتب لهُ ما شوشهُ . وهي تستطيع ان تفعل ذلك في شؤون الحكومة اذ أُبيح لها الدخول مع الرجل فيها وتفعل ما هو اعظم منهُ لانها تربي اولادها على تنظيم امور الحكومة وسياسة البلاد

ويظهر لنا مما كتبتهُ هذه السيدة ومما نطالعهُ يوماً بعد يوم في مجلات النساء الاميركيات انهُ رسخ في عقول النساء ان المرأة التي تستطيع ان تدير مهام البيت لا يصعب عليها ان تدير

مهام المملكة وان الرجل الذي يعجز عن ادارة مهام بيتهِ لا يُنتظر منهُ ان يدير مهام مملكة . وهنَّ يجاهرن بذلك الآن ولا يمنع نجاحهنَّ الاَّ كونهنَّ غير مجمعات عليهِ فان المرأة شديدة الغيرة فيصعب عليها ان تسلم قيادها لاختها او لجارتها ويستحيل ان يكون النساء كلهنَّ منتخبات ونائبات ويصعب عليهن ان يتنازلن بعضهنَّ للبعض الآخر عن هذا الحق . لكن الكاتبة المشار اليها آنفاً تظن ان ذلك لا يطول ولا يمضي وقت طويل حتى تصير المرأة تتساهل لاختها وتفضل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وكذلك يرى بعض النساء ان في خدمة البلاد مشقة كبيرة فيحجمن عنها تخلصاً منها وتفضيلاً للراحة على التعب ولكن اذا قامت بينهنَّ امرأة وبينت بالحجج والادلة ان مصلحة البلاد تقتضي خدمتهنَّ لها سلمن بذلك

وأُريد انتخاب الكاتبة لمجلس النواب الاسترالي وكان المرشحون للانتخاب ثمانية عشر والاصوات اللازمة للانتخاب ٨٥٣٨٧ صوتاً فنالت ٥١٤٩٧ صوتاً وزادت اصواتها على اصوات رجل كان وزيراً وعلى اصوات رجل آخر كان قاضياً مدة ٢٦ سنة فان الاول نال ٢٤٣٢٧ صوتاً والثاني ٣٢٤٣٦ صوتاً

والبلدان الثلاث التي تعطي حق الانتخاب للنساء وهي اميركا (الولايات المتحدة) واستراليا وزيلندا الجديدة قد فاقت سائر البلدان ولا عجب اذا رأى ابناء هذا القرن نصف النوَّاب في مجالس النواب من النساء . هذا في البلدان التي اراد الله السبق لها اما البلدان التي لم يرد لها الاَّ الخراب فتبقى نساؤها داخل الحجاب

لعب الاولاد

اللعب لازم للاولاد لتسليتهم وتقوية ابدانهم . وقد تقوّي الالعاب عقولهم كما تقوي ابدانهم فيباح لهم الوثب والركض والصراخ وكل ما يقوي اعضاء الجسم الظاهرة والباطنة كما يباح لهم ان يلعبوا الالعاب التي تمرّن قواهم العقلية وتروضها وتدربهم على تحكيم الحركات كالرماية واللعب بالكعاب والاكر والدوّامات . ولكن قد لا يقتصر والدوهم واقاربهم على اعطائهم هذه اللعب بل يعطونهم لعباً اخرى تقلق السكان بصوتها كالطبول والزمور وما اشبه ويسرُّ الولد بها لانهُ يسر بكل ما صوتهُ جهوري ولكنهُ لا يستفيد منها غير اعتياد الاصوات المزعجة واحتقار راحة الناس فحذار من اعطاء الولد لعبةً تندم بعد قليل على اعطائهِ اياها . ومن هذا القبيل ما قد يأول الى جرْح يديهِ وحرْق ثيابهِ كالسكاكين والالعاب النارية . اما الالعاب التي تقتضي حركةً كثيرة فكلها مسلٍّ وكلها نافع

تعليم البنات في اميركا

في الولايات المتحدة الاميركية ٣٣٥ مدرسة كلية حيث يتعلم الفتيان والفتيات معًا وفيها ١٥٠ مدرسة كلية للبنات خاصة و٢٢ الف بنت يتعلمنَ في المدارس الصناعية و١٥ الف بنت في المدارس الكلية . الأ ان البنات الاميركيات تطرفن جدًا في تشبههنَّ بالصبيان ويقول الباحثون في امرهنَّ ان هذا التشبه لا يعود بالنفع على البلاد بنوع عام . وكذلك انتظام البنات في سلك العمال في المعامل لم يأتِ بالفائدة المطلوبة بل اتى بالضرر لانهُ رخص اجور العمَّال وازال الانتظام من المعامل فان الفتاة اذا تزوجت تركت العمل حالاً كما هو جارٍ في مدارس البنات في هذا القطر فقد اتفق ان بعض المعلمات اللواتي أُتي بهنَّ من بلاد الانكليز للتعليم في مدارس الحكومة خُطبنَ على الطريق فتركن صناعة التعليم .. وكل تعليم يقصد بهِ صرف المرأة عن ادارة البيت وولادة الاولاد لا يفيد البلاد بل يضرها ويأول الى انقراض النسل .

اختراع القصص

يأتيك الولد احيانًا بقصة غريبة يقصها عن اترابهِ من اولاد المدرسة اذا بحثت عنها وجدتها مختلقة من اولها الى آخرها او وجدتَ الصدق فيها حبةً والكذب قبةً فاذا أُهمل امر ذلك الولد شبَّ على الكذب واختراع الاكاذيب وحب التلفيق ولاسيما اذا كان ابنةً فعلى الوالدة ان تنتبه لكل خبر يخبرها بهِ اولادها وكل قصة يقصونها عليها حتى اذا كان في كلامهم اقل كذب او اختلاق او مبالغة نهتهم عنهُ وبيَّنت لهم ضررهُ . ولا تفلح في ذلك اذا نهتهم عن خُلُق وفيها ضدهُ فيجب عليها ان تحترس من ان يكون في كلامها شيءٌ مما تنهاهم عنهُ والاَّ اهملوا وصاياها وشبُّوا على الاختلاق ولا يكفي ان تنهاهم عن اختلاق الاخبار والمبالغة فيها بل يجب ان تنهاهم ايضًا عن ذكر عيوب الناس والاشارة اليها فانك اذا لم تستطع ان تصلح عيب غيرك فلا تضرَّهُ بتشهيرهِ وحسبك ان ترى ذلك العيب وتبتعد عن مثلهِ

قدوة الوالدين

كثيرًا ما تجد والدًا يبذل الجهد في الكسب والتقتير على نفسهِ لكي يجمع لاولادهِ ثروةً طائلة . يحرم نفسهُ كل لذة ويعيش في الفقر لكي يغني اولادهُ وفي التعب لكي يريحهم ومع ذلك تراهم لا يكرمونهُ ولا يحبونهُ بل يتوقعون يوم وفاتهِ حتى يرثوا الاموال التي جمعها لهم . وقد

بلغ العقوق من بعضهم ان قتلوا والدهم حتى يرثوا امواله باسرع ما يمكن · فهل ذلك لفساد في طباع الاولاد ولؤم في اخلاقهم او هو ناتج عن خطإ ارتكبهُ والدهم · الغالب ان يكون الثاني هو السبب لا الاول لان الرجل الذي يسهل عليهِ ان يحرم نفسهُ كل ملذة لاجل اولادهِ لا ينتظر ان يورث اولادهُ خلق الاثرة · اما الخطأ فعلاقتهُ بالنتيجة التي نتجت اقرب لان الوالد قد يضحي نفسهُ لاجل اولادهِ ولا يعيش لهم اي انهُ يعيش امامهم عيشة الطمع والاعتداء على حقوق الغير ومحاولة الكسب بطرق غير محللة ولا يعيش عيشة الفضيلة والانصاف والترفع عن الدنايا فلا عجب اذا اقتبسوا الاخلاق الدنيئة منهُ وحسبوا وجودهُ حائلاً بينهم وبين المال الذي جمعهُ لهم· والد مثل هذا لا يلومنَّ الاَّ نفسهُ اذا رأى العقوق من اولادهِ

وما يطلق على الوالد يُطلق على الوالدة ايضاً فانها اذا رأت من اولادها غير ما تريدهُ فيهم فلتفتش عن ذلك في اخلاقها وفي اسلوب تربيتها لهم تجد ان العلَّة الكبرى منها لا منهم فاذا اصلحت نفسها وكانت خير قدوة لهم اقتدوا بها وصاروا كما تريد



زرعة القطن المصري في اميركا

ذكرنا غير مرة ان الحكومة الاميركية اهتمت باخذ تقاوي القطن من هذا القطر وزرعها في بلادها فنبت القطن فيها ولكنهُ جاء دون ما هو عليهِ في القطر المصري من حيث مقدار المحصول وجودة القطن · لكن الاميركيين لم يقنطوا بل اعادوا التجارب مرارًا وقد وقفنا الآن على خلاصة هذه التجارب وجاء فيها ما تعريبهُ " ان القطن المصري يشبه قطن السي ايلند من اكثر الوجوه ويفرق عنهُ في ان شعرتهُ اخشن من شعرة السي ايلند واكثر منها تجعُّدًا · واجود التقاوي التي أُتي بها من القطر المصري وزرعت في اميركا نتج منها في السنة الاولى اشجار عالية جدًّا قليلة اللوز وقد جرب ذلك في تقاوي الاشموني والعباسي والميت عفيف وغوردون باشا واليانوفتش والستام فكانت النتيجة غير مرضية مطلقاً ورسخ في اذهان المزارعين ان القطن المصري لا يجود في اميركا

وقد زرع الكاتب بعض الاشجار من القطن الاشموني سنة ١٨٩٩ فكبرت كثيرًا وتفرّعت ولكنها لم تحمل الاّ قليلاً من اللوز وصارت شعرتها منبسطة قليلة التجعّد وزادت بياضاً فاختار الاشجار الكثيرة اللوز ونظنها اشبه بقطن الاشموني واخذ التقاوي منها وزرعها سنة ١٩٠٠ وفعل مثل ذلك سنة ١٩٠١ و ١٩٠٢ فبلغت غلة الفدان في السنة الاخيرة ٤٧٩ رطلاً من القطن الشعر وكانت شعرة هذا القطن مثل شعرة القطن الاشموني تماماً واطول منها قليلاً

وزرع القطن الميت عفيف كذلك وكرّر زرعهُ وانتقاء التقاوي كما كرّر زرع الاشموني وانتقاء تقاويهِ فبلغت غلة الفدان اخيرًا من القطن الميت عفيف ٣٤٦ رطلاً فقط من القطن الشعر" انتهى

والظاهر ان هذا غاية ما وصلت اليهِ زراعة القطن المصري في اميركا . فان كان الامر كذلك فلا يجود القطن المصري هناك كما يجود في هذا القطر لان محصول الفدان يبلغ هنا ثمانية قناطير او اكثر

انواع القطن

يعرف للقطن اربعون نوعاً مختلفاً بعضها انجم صغيرة لا يزيد ارتفاعها على قدم وبعضها اشجار كبيرة يبلغ ارتفاعها عشرين قدماً وتختلف ايضاً في شكل ورقها وحجمهِ وفي شكل زهرها ولونهِ وفي طول قطنها ودقتهِ ومتانتهِ ولونهِ ولمعانهِ وتجعدهِ وخلوهِ من العقد . ومزايا القطن واضحة جدًّا حتى ان الخبير بها يعلمها من مجرد لمسهِ القطن ولو في الظلام

والقطن سلولوس صرف يشبه النشا في تركيبهِ الكيماوي وكل شعرة من شعرهِ قدّة رقيقة منحنية كاللولب ولذلك يشتبك بعضهُ ببعض وقت غزلهِ فتكون خيوطهُ متينة

القطن السي ايلند

في الرطل من القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند اكثر من ثلاثة عشر مليون شعرة . ولدقة هذا الشعر اذا وضعت ثماني مئة شعرة منهُ الواحدة الى جانب الاخرى لم يزد عرضها على سنتمتر واحد . وقد غزل من الرطل الواحد خيط طولهُ ١٠٢٦ ميلاً

ثمن القطن السي ايلند

بلغ ثمن القنطار من القطن السي ايلند في العام الماضي من ٥٢٧ غرشاً الى ٨٥٣ غرشاً

العلف من الكسب

لقد ثبت بالامتحان انهُ اذا مزج علَف المواشي بكسب بزر القطن سمنت وزاد لبنها وسمنها وكان مربو المواشي يطعمونها البزر قبل عصر الزيت منهُ اما نيئاً او محمصاً او مهبلاً او مسلوقاً ولكن لما صار الزيت يعصر من البزر صاروا يكتفون باطعام المواشي قشر البزر ولبهُ بعد عصر الزيت منهُ وهو المعروف بالكسب

لكن الكسب كثير الغذاء فلا يُطعم وحدهُ بل يمزج بغيره من العلف كالدريس والتبن فاذا اريد ان تبقى الماشية على حالها فيكفي ان يضاف رطل من الكسب الى كل سبعة ارطال من قشر البزر او من الدريس واذا اريد تسمينها للذبح يضاف رطل من الكسب الى كل رطلين من الدريس او نحوهِ . والكسب يزيد لبن البقر كما يزيد دهنها

دود القطن

شاع في اواسط هذا الشهر (يوليو) ان دود القطن ظهر في بعض الزراعات في هذا القطر . والدود معروف ولكن الاطوار التي يتقلب عليها قد يجهلها بعض المزارعين فلا بأس باعادة وصفها فنقول

ان دود القطن الذي يأكل ورقهُ يتقلب على اربعة اطوار فيكون في اول امرهِ فراشاً يتزاوج ويبيض بيضهُ على اسفل الورقة من ورق القطن والبيض صغير جدًّا كحبوب الرمل والغالب ان يكون مجموعاً كلهُ معاً وقد يكون بعضهُ متفرقاً ويكون معهُ مادة شعرية رمادية ويخرج من هذا البيض دود صغير اسود طول الدودة منهُ حين خروجها من البيضة نحو ملترين او اقل وحينما يخرج هذا الدود من البيض يشرع يأكل المادة الخضراء من الورقة ويكبر سريعاً ومتى كبر يصير ينزل عن الشجرة وقت حر الظهيرة ويغور في التراب هرباً من الحر ومتى بلغ اشدَّهُ يستحيل الى زيز وهو مطمور في التراب ويصير الزيز فراشةً تطير وتتزاوج وتبيض على الورق وهلمَّ جرًّا

وقد ظهر بالتجارب ان اسهل الوسائل وافعلها لاتلاف هذا الدود تنقية الورق الذي عليهِ البيض وحرقهُ واذا قصرت هذه الواسطة عن المطلوب وظهر الدود على شجر القطن فخير الوسائل لاماتتهِ رش الاشجار بمسحوق اخضر باريس وهو سام جدًّا فالقليل منهُ يميت الدود . واهالي اميركا يضعون هذا المسحوق في كيس من الخيش ويربطونهُ بعصا طويلة ويمرون بين اشجار القطن

ويهزونهُ فوقها فيتنخل منهُ على الاشجار ما يكفي لامانة الدود الذي عليها . وقد يمزجون اخضر باريس بالجير الناعم رطلاً من الاول بستة ارطال من الثاني . واذا لم يوجد اخضر باريس فينوب عنهُ زرنيخات الرصاص يذاب الرطل منهُ بسبعين رطلاً من الماء وترش بهِ اشجار القطن بمضخة تلقيهِ على الاوراق نقطاً صغيرة جدًّا ويقال انهُ افعل من اخضر باريس

وقد يذاب اخضر باريس بالماء فيذاب الرطل منهُ بمئة وخمسين رطلاً من الماء ويضاف اليها رطلان من الجير او يمزج الرطل منهُ بمئة رطل من الماء وترش بهِ اشجار القطن رشًّا بمضخة كما تقدَّم

حشرات دود القطن

لا يخفى ان الحشرات تسطو احيانًا على المزروعات وتكثر عليها حتى يظن انها ستتلفها كلها ولا تبقي ولا تذر ثم تزول من نفسها من غير سبب ظاهر كانها زالت بالسحر والحقيقة ان لكل شيء آفةً من جنسهِ فكما تسطو الحشرات على النباتات تسطو عليها حشرات اخرى فتأكلها او تمرضها وتميتها . وقد اهتم علماء الحشرات منذ عهد غير بعيد باكتشاف الحشرات التي تسطو على دود القطن في اميركا فوجدوا بعضها وهم يربون هذه الحشرات الآن ويطلقونها في الاماكن التي ينتشر فيها دود القطن فتفتك بهِ ويقال انها تفتك بسبعين في المئة منهُ وكل العلاجات الكيماوية تميت ثلاثين في المئة فقط . فعسى ان تهتم الحكومة المصرية او الجمعية الزراعية بالبحث عن الحشرات التي تميت دود القطن وتربيها في هذا القطر

النباتات الشتوية

ما دام القطن يجود في اطيان القطر المصري وما دام ثمنهُ غاليًا فلا باب للتفكير في زراعة اخرى غيرهُ مع ما يتعاقب الآن على الارض من المزروعات كالقمح والذرة والفول والبرسيم ولكن اذا كثر استعمال المحاريث البخارية فقل استخدام المواشي وقلَّ زرع البرسيم واذا رخص ثمن القطن كثيرًا فلا بد من توجيه النظر الى مزروعات اخرى تزرع بها بعض الاطيان احيانًا ومن ذلك المزروعات الشتوية على انواعها لانها تستعمل طعامًا ويستخرج منها النشا وسوقهُ رائجة دائمًا . ومن هذه المزروعات

١ — اليام

وهو نبات في جذورهِ ثآليل كالبطاطس وهذه الثآليل كثيرة المادة النشوية وتؤكل مسلوقة او يستخرج النشا منها كما يستخرج من الاروروط . ونشاها اجود من نشا الاروروط

ويمكن تقطيع الثآليل وتجفيفها وطحنها فيكون فيها دقيق جيد . ويبلغ النشا ١٥ في المئة من الثآليل . وزراعة اليام مهلة جدًّا ويبلغ محصول الفدان نحو مئة قنطار كل سنة وهو مغذٍ اكثر من البطاطس

٢ — البطاطا الحلوة

وهي نبات معروف في هذا القطر يزرع في مصر حول حديقة الجيزة وتبلغ غلَّة الفدان منهُ مئة قنطار او اكثر الى مئة وخمسين قنطارًا ويختلف مقدار النشا فيهِ من ٢٢ في المئة الى ٢٨ في المئة فاذا اخذنا المتوسط. وهو ٢٥ في المئة وحسبنا محصول الفدان مئة قنطار فقط فيخرج من الفدان الواحد ٢٥ قنطارًا من النشا

٣ — الكسافا

الكسافا وهي نوعان الحلوة والمرَّة . والمرَّة اكثر نشاء من الحلوة فانهُ يبلغ فيها ٢٠ الى ٣٠ في المئة وقد وصفنا هذا النبات في المجلد السابع والعشرين من المقتطف صفحة ٦٠٤

٤ — القلقاس

القلقاس نبات معروف يزرع كثيرًا في هذا القطر طعامًا وتبلغ غلة الفدان منهُ ثلاثين او اربعين جنيهًا ولا يكثر ارباب الزراعة من زراعتهِ لصعوبة خدمتهِ ولان مقطوعيتهُ محدودة لانهُ لا يستعمل الاَّ طعامًا فاذا استعمل لاستخراج النشا امكن التوسع في زراعتهِ جدًّا

٥ — الارورط

جُرّبت زراعتهُ في اراضي المدرسة الزراعية بالجيزة . واستخراج النشا منهُ سهل لكنهُ يقتضي غسلاً كثيرًا وقد وصفنا كيفية زراعتهِ غير مرة

٦ — الموز

الموز نبات معروف وهو كثير النشا قبل ان ينضج ويتحول نشاهُ الى سكَّر ومنهُ نوع كبير الثمر لا يحلو كثيرًا لكنهُ كثير النشا جدًّا وكثير الغذاء ايضًا فيبلغ مقدار النشاء فيهِ ٢٢ في المئة اذا كان طريًّا و٥٣ في المئة اذا كان جافًّا لكن استخراج النشا من الموز صعب لسرعة اختمارهِ



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ.

(١) المشروبات الروحية

السنطة. فؤاد افندي سليم

يقال ان الجعة (البيرا) ممزوجة بكمية قليلة من الافيون فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ ولا داعي لمزجها بالافيون ولا يحتمل انهم يفعلون ذلك من باب تجاري ولكن ظهر بالامتحان ان في بعض انواع البيرة قليلاً من الزرنيخ يأْتيها عرضاً من الحامض الكبريتيك الذي يستعمل احياناً لتحويل سكرها

ومنهُ. هل الاكثار من شرب الجعة مضر او مفيد

ج مضرٌّ مثل الاكثار من كل شيء حتى من النافع

ومنهُ. ما هي المشروبات التي يزيد ضررها على ضرر غيرها

ج ان العنصر الضار في المشروبات الروحية هو الالكحول فكلما زاد فيها زاد ضررها وهو كثير في الكنياك او البرندي والعرقي وقليل في البيرا ومتوسط في الخمر ولا فائدة منها كلها الاَّ اذا وصفها الطبيب في بعض الاحوال المرضية وضررها اكيد ولاسيما الكثيرة الالكحول منها

ومنهُ. هل الاكثار من شرب النبيذ العتيق يزيد نمو الدم كما يقولون

ج في النبيذ وفي كل الاشربة الروحية شيء من الغذاء للجسم ولكن الغذاء في كاس الخمر ليس اكثر من الغذاء في لقمة الخبز وثمن الكاس اضعاف ثمن اللقمة

(٢) كثرة النوم

ومنهُ. لي صديق اذا نام استغرق في سبات عميق وتتجاوز مدة نومهِ احياناً اثنتي عشرة ساعة اذا سهر الى ما بعد نصف الليل فهل ذلك مضر بصحتهِ. وهل هو مصاب باحد الامراض

ج النوم الكثير لا يضرُّ بالصحة ولكنهُ يضيع الوقت على غير فائدة فضررهُ ادبي لا صحي ولا تدلُّ كثرة النوم هذه على وجود مرض غير مرض الكسل والخمول اذا صحَّ ان نسميهما مرضاً

---

(٣) الشعر والفلسفة

نيو يورك . متري افندي نجار . هل تجتمع موهبتا الشعر والفلسفة معاً اي هل يمكن ان ينبغ شخص واحد في الشعر والفلسفة في وقت واحد

ج انا لا نرى مانعاً يمنع اجتماعهما فقد كان ابو العلاء المعري شاعراً وفيلسوفاً كما يظهر من اشعاره واقواله المحفوظة

(٤) عدد الناطقين بالعربية

ومنهُ . اختلف الجغرافيون والمؤرخون في تقدير عدد الناطقين بالعربية فما هو اقرب تقدير الى الحقيقة

ج ان البلدان التي يتكلم اهاليها العربية كمراكش و بلاد العرب و بلاد السودان لا يعرف عدد سكانها فاهالي مراكش مثلاً يختلف تقديرهم بين ٤ ملايين و١٢ مليوناً واهالي بلاد العرب بين خمسة ملايين وعشرة ملايين واهالي السودان وما يليهِ بين عشرة ملايين وعشرين مليوناً ولا يعلم بالتحقيق الاَّ عدد اهالي القطر المصري واهالي تونس والجزائر ولعل المتكلمين بالعربية كلهم لا يقلون عن اربعين مليوناً ولا يزيدون على ستين

(٥) اجود الصابون

ومنهُ . ما هو افضل نوع من الصابون لغسل الرأس وتليين الشعر

ج . ان اجود الصابون ما قلت فيهِ المادة القلوية ولكن من الشعر ما تكون المادة الدهنية كثيرة فيهِ ومنهُ ما تكون هذه المادة قليلة فان كانت كثيرة فلا بأس بغسلهِ بصابون كثير المادة القلوية او سائل فيهِ نشادر واذا كانت المادة الزيتية قليلة فيهِ فلا يحسن غسلهُ بصابون كثير المادة القلوية . والصابون الذي تضعهُ في فمك فتشعر بطعم حرّيف هو كثير المادة القلوية

(٦) الهبرية

ومنهُ . ما افضل واسطة لازالة القشرة من الرأس

ج ان اسباب القشرة (الهبرية) مختلفة اكبرها اهمال غسل الرأس وقد تحدث من استعمال الادهان المهيجة للرأس او من المشط بمشط دقيق الاسنان يؤلم الرأس وقد يكون سببها التهاب في جلدة الرأس او مرض حلمي . فيجب ان لا يمشط الشعر بمشط دقيق الاسنان جدًّا واذا لم يكن السبب مرضيًّا فالغسل بالماء السخن والصابون يوماً بعد يوم يكفي لازالة الهبرية واذا كان مرضيًّا يدهن الرأس بين الشعر بزيت الزيتون او زيت السمك و يترك الزيت عليهِ ١٢ ساعة حتى تلين القشرة جيدًا و يسهل نزعها ثم يغسل الرأس بالماء السخن والصابون و يغسل بعد ذلك بماء فيهِ مادة قابضة مثل الحامض التنيك . واذا عادت القشرة بعد ذلك فيبدل الصابون بمادة قلوية يفرك بها الرأس ثم يغسل وينظف جيدًا و يكرر ذلك اذا لزم الامر

(٧) عدد النساء في انكلترا .

مصر . إمين افندي علي . بلغنا ان عدد النساء في البلاد الانكليزية اكثر كثيرًا من عدد الرجال فهل ذلك صحيح

ج نعم ويزيد عدد الاناث على عدد الذكور في انكلترا وويلس فقط نحو مليون لكنّ عدد الاناث اقل من عدد الذكور في المستعمرات الانكليزية ففي كندا يزيد عدد الرجال على عدد النساء تسعين الفًا وفي استراليا يزيد عددهم على عددهنّ مئة وثمانين الفًا

(٨) رش الماء و برودة الهواء

ومنهُ . نرى ان رش الشوارع في ايام الحر يبرد الهواء فهل يبرد الهواء ولو لم يكن الماء الذي ترش بهِ الشوارع باردًا لاننا نرى مركبات الرش تأخذ الماء من الحنفيات رأسًا وهو ليس باردًا كما لا يخفى وقد يكون سخنًا

ج اذا كان الماء سخنًا او فاترًا فلا ينتظر انهُ يبرّد الهواء ولكنهُ لا يكون كذلك واذا صبّ الماء من حنفية فالقليل الذي يصبّ منهُ اولاً يكون سخنًا او فاترًا واما ما بقي فيكون باردًا ثم ان الماء لا يبرّد الهواء ببرودتهِ بل بسرعة تحولهِ الى بخار فان تحوُّلهُ الى بخار يقتضي استخدام جانب كبير من حرارة الارض والهواء فيخسرها الهواء وتخسرها الارض ولذلك تهبط الحرارة بعض الدرجات على اثر رش الماء

(٩) ليالي مصر والاسكندرية

ومنهُ . لماذا تكون الليالي في مصر ابرد منها في الاسكندرية مع ان الحرارة تكون في النهار اشد في مصر منها في الاسكندرية

ج لان هواء الاسكندرية ارطب من هواء مصر والبخار الذي فيهِ يحمل جانبًا كبيرًا من الحرارة فلا تعود الحرارة تشع من الارض بسهولة واما هواء مصر (القاهرة) فجاف نوعًا فلا يعوق حرارة الارض عن الاشعاع والتبدُّد بسرعة ولو كان هواؤها اجف مما هو الآن لكانت لياليها ابرد مما هي الآن والايام الجافة الهواء لياليها ابرد من الايام الرطبة الهواء

---

(١٠) الدود في الثلج

مصر . عطا افندي فهمي . هل يتولَّد دود في الثلج كما يتولد في الجبن والماء وهل هذا الدود مضرٌّ وما شكلهُ ولونهُ وكيف يتغذَّى و يعيش وهل يمكن نقلهُ الى محل غير المحل الذي هو فيهِ وهل يبرّد الماء اذا وضع فيهِ

ج نعم قد يتولَّد دود في الثلج اي ان بعض الحشرات تبيض في الثلج كما يبيض غيرها في الجبال ويخرج دود من بيضها ولون هذا الدود ابيض وقد يكون احمر فيظهر كأنّ سطح الثلج احمرّ بهِ . وقد يكون في الماء ميكروبات مرضية فتبقى في الثلج الذي يصنع منهُ وتبقى ضارّة ايضًا ويقع على الثلج كثير من دقائق الهباء المتطاير في الهواء وهي تكفي طعامًا للدود الصغير واذا وجدت دودة في قطعة ثلج فيمكن نقلها منها الى غيرها وطبعًا

تكون باردة في اول الامر مثل الثلج الذي كانت فيهِ فاذا وضعت في نقطة ماء انخفضت حرارتها

(١١) تاثير الشمس والقمر في المد والجزر

مصر . ناشد افندي فريد . ما سبب تأثير الشمس والقمر في المد والجزر دون باقي الاجرام السموية

ج السبب قرب القمر وكبر الشمس بالنسبة الى بعدها عن الارض فان التأثير المشار اليهِ ناتج عن جذب الشمس والقمر للارض وقوة الجذب تزيد وتنقص حسب مربع البعد والقرب وحسب مادة الجسم الجاذب فاذا وُضع جسمان متساويان على بعدين مختلفين من جسم ثالث وكان بُعد احدهما عنهُ ميلاً واحدًا وبعد الثاني خمسة اميال فجذب الاول لهُ اكثر من جذب الثاني خمسًا وعشرين مرةً اما اختلاف الجذب باختلاف المادة فلا اشكال فيهِ

(١٢) سكك الحديد تحت البحر

سان بولو برازيل . الخواجه جبران قودم . هل يمكن عمل سكة حديدية تحت البحر تقطع من جهة الى اخرى كان تكون تحت بحر المانش تصل بين فرنسا وانكلترا مع ان ماء البحر نبع لاحد لهُ ولا قرار

ج ان بحر المانش قريب القاع جدًّا وتحتهُ صخر وقد ارتأى كثيرون خرق سرب فيهِ بين فرنسا وانكلترا ومد سكة حديدية فيهِ او نصب انبوب كبير من الحديد في قاعهِ ومد السكة الحديدية فيهِ . ولولا اعتراض الحكومة الانكليزية لتمَّ العمل وعمل الاسراب تحت البحر سهل لان الصخور التي تحتهُ كالصخور التي تحت البر واذا رشح الماء في بعض الاماكن سُدَّ مكان الرشح بالبناء او بصفائح الحديد . والاسراب محفورة تحت كثير من الانهار ولا يرشح الماء اليها

(١٣) لون الجو

ومنهُ . اذا نظرنا الى الجو في يوم رائق سماؤُهُ رأيناهُ ازرق شديد الزرقة فما سبب هذا اللون

ج اذا وقفتم حينئذٍ في مكان عالٍ جدًّا كما على رأس جبل عالٍ او في بالون يعلو عن الارض خمسة آلاف متر او اكثر رأيتم السماء سوداء ليس فيها شيء من اللون الازرق الذي تشيرون اليهِ لان اكثرهُ حادث من البخار المائي الذي في الهواء المجاور للارض . ولون الماء ازرق كما ترون في لون البحر ويظهر لكم ذلك ايضًا اذا صببتم ماء في اناء طويل من الزجاج الصافي واوقفتموهُ فوق ورقة بيضاء فانكم اذا نظرتم اليهِ عموديًّا ترون الورقة تحتهُ زرقاء او ضاربًا لونها الى الزرقة وهذا اللون هو لون الماء ولا يظهر كذلك الاَّ اذا كان مقدارهُ كثيرًا . والهواء الكثير لونهُ ازرق ايضًا

(١٤) اوقات الزلازل

ومنهُ . هل يمكن تعيين الاوقات التي

تحدث فيها الزلازل كما يمكن تعيين الاوقات التي يحدث فيها الخسوف والكسوف

ج لا يمكن ذلك حتى الآن ولكن لا يبعد ان تكشف النواميس المتسلطة على الزلازل فيصير تعيين زمانها ممكناً . والآن يمكن الانباء بحدوث الزلزلة قبل حدوثها بدقائق قليلة او حين ابتداء الهزات الاولى التي تسبق الهزة الكبيرة

(١٥) شعر السود

ومنهُ . لماذا لا ينمو شعر السود كما ينمو شعر البيض

ج ان نمو الشعر في البدن او في اقسام مخصوصة منهُ تابع الآن لناموس الوراثة . وقد اختلف الناس بعضهم عن بعض في نمو الشعر لانهم سكنوا اقاليم مختلفة وجروا على اساليب مختلفة في تربية الشعر وفي الانتخاب الجنسي . فاولاً ان الاقاليم الباردة يطول بها الشعر اكثر مما يطول في الاقاليم الحارَّة لانهُ الزم في الباردة لتدفئة الجسم ولذلك يطول صوف بعض الحيوانات شتاء وثانياً ان بعض الناس اهتمَّ بتربية الشعر وبعضهم اهتم بنتفهِ واضيف الى ذلك الانتخاب الجنسي اي صار طوال الشعر حيث يستحب الشعر الطويل يُفضلون على غيرهم في التزوج كما يفعل قصار الشعر حيث يستحب الشعر القصير فزاد الاختلاف بين طوائف الناس ورسخ فيهم

(١٦) قوة الطربيد واللغم

مصر . احمد افندي علي . فهمنا مما كتبتموهُ عن الطربيد واللغم انهما صغيرا الحجم جدًّا بالنسبة الى البوارج التي ينسفانها فمن اين تأتيهما القوة لنسف تلك البوارج

ج ان المواد المتفرقعة كقطن البارود يكون حجمها صغيرًا واذا اشتعلت تحوَّلت الى غاز كبير الحجم جدًّا فيدفع كل ما امامهُ فجأة ولا فرصة لانتقال فعلهِ من دقيقة الى اخرى وتوزعهِ فينحصر في ما امامهُ من الماء او من السفينة فيقلبها ويثغرها كما ان البارود يشتعل فيدفع الرصاصة من البندقية او القنبلة من المدفع او يشقُّ البندقية والمدفع اذا لم يستطع دفع الرصاصة والقنبلة

(١٧) شبكات الطربيد

ومنهُ . اصحيح انهُ توجد شبكات تلقى على جوانب السفن فتمنع وصول الطربيد اليها ولماذا لا يستعمل الروس هذه الشبكات لوقاية بوارجهم

ج نعم توجد شباك حلقها من الحديد تلقى حول السفن فتمنع وصول الطربيد اليها ولكنها قد تكون قصيرة لا تصل الى اسفل السفينة فيدخل الطربيد من تحتها ولا نعلم لماذا لا يستعمل الروس هذه الشبكات فان الانكليز يستعملونها وقد شاهدناها مع مدرعاتهم

باب الاخبار العلمية

الاسطول الانكليزي في بحر الروم

اتى الاسطول الانكليزي المقيم في بحر الروم الى الاسكندرية في الثاني والعشرين من الشهر فوصلها بين الساعة العاشرة والحادية عشرة صباحاً وكان منظرهُ رهيباً يجري بعضهُ وراء بعض كالجبال الطافية في الماء او قطع الغمام في كبد السماء وفيهِ اثنتا عشرة بارجة تفريغ كل منها اربعة عشر الف طن اوخمسة عشر الف طن فرست كلها خارج المرفإ الداخلي وفيهِ سبع سفن اخرى اصغر منها وهذا وصف مجمل لكلٍّ منها

(١) البارجة بلُوُرك وهي سفينة الاميرال تفريغها ١٥٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٥٠٠٠ حصان وفيها ٤٨ مدفعاً و٥٧٠ ضابطاً وبحاراً

(٢) البارجة فنرابل وهي سفينة نائب الاميرال وتفريغها وسائر اوصافها مثل البارجة الاولى

(٣) البارجة منتاجي تفريغها ١٤٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وفيها ٤٢ مدفعاً و٧٥٠ من الضباط والبحارة

(٤) فورميدابل و(٥) امبلاكابل و(٦) كوين و(٧) برنس اوف ويلس و(٨) ارزستبل و(٩) لندن · وكلها مثل البارجة بلورك اي تفريغ كل منها ١٥٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٥٠٠٠ حصان وعدد ضباطها وبحارتها ٧٥٠

(١٠) دنكن و(١١) البرمل و(١٢) كورنولس وكلها مثل البارجة منتاجي اسيف تفريغ كل منها ١٤٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وفيها ٧٥٠ من الضباط والبحارة

ثم مخزن الطربيد فلكان وتفريغهُ ٦٦٢٠ طناً وقوة آلاتهِ البخارية ٧٢٠٠ حصان وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحرياً في الساعة[١] وفيهِ ٢٠ مدفعاً.

والطراد بيونير تفريغهُ ٢٢٠٠ طنٍ وقوة آلاتهِ البخارية ٥٠٠٠ حصان وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحرياً وفيهِ ١٩ مدفعاً

ومثلفة الطربيد اكس وتفريغها ٥٦٠ طناً وقوة آلاتها البخارية ٧٠٠٠ حصان. وسرعتها ٢٥ ١/٢ ميل بحري في الساعة وفيها ٦ مدافع

والمتلفة هلرد تفريغها ٢٧٥ طناً فقط وقوة آلاتها البخارية ٥٧٠٠ حصان وسرعتها ٣٠ ميلاً بحرياً في الساعة وفيها ٦ مدافع

(١) الميل البحري اطول من الميل الجغرافي بنحو ١٥ في المئة او ٧٩٠ قدماً

والبريد سربريز وتفريغهُ ١٦٥٠ طنًا وقوة آلتهِ البخارية ٢٠٠٠ حصان . وكان معها سفينتان اخريان وهما فيوريوس وفينس سبقتاها الى بورت سعيد

ثم جاءت سفن أُخرى صغيرة بعدالظهر وفي اليوم التالي

اثار كريت

ذكرنا غير مرة ان الدكتور افانس بن السرجون افانس اكتشف قصر ملك كريت ووجد فيهِ كثيرًا من الآثار الدالة على حضارة واسعة وعمران راسخ . وقد عاود النقب والبحث فوجد من الآثار القديمة ما يفوق في دقة صنعهِ آثار مصر و بابل على قدم عهدهِ فانهُ من القرن الثالث عشر قبل التاريخ المسيحي . من ذلك انهُ وجد غرفة الملكة مقسومة الى قسمين القسم المقدَّم منها يوصل اليهِ من ايوان قائم على اعمدة وجدرانهُ مغطاة بصور الاسماك والحيتان والقسم المؤخر فيهِ اعمدة تعلَّق بها الستائر ويتصل بهِ حمام ارضهُ مرصوفة بالبلاط . وفي الرواق الخارجي صورة فتاة قائمة ترقص وقد لبست درَّاعة (سلطة) مثل الدراعات التي تلبسها الفتيات الروميات الآن وعلى حواشيها تطريز ازرق واحمر وشعرها اسود وغدائرها طائرة في الهواء من سرعة حركتها و يتصل بهذه الغرفة سرداب يوصل الى غرف اخرى يظهر انها لجواري الملكة و بينها غرفة صغيرة فيها مرتفق سياقهُ مصنوع كما تصنع السياقات في هذه الايام . وكل مرافق القصر متقنة على هذه الصورة كأنها مصنوعة على احدث الطرق الصحية

ومما كشف في هذا القصر غرفة متينة البناء جدًّا يظن انها كانت خزانة لخزائن الملك وجواهره وجواهر الملكة وحلاها وقد وجد فيها كثير من حلى الذهب والعاج والبلور بديعة الصنعة ووجدت فيها ادوات من العاج ملبسة بالذهب وقطع اخرى من العاج منقوشة عليها اشكال العذاري وهن في ميدان صراع الثيران . والنقش غاية في الاتقان

وترتيب الغرف وحسن التدابير الصحية فيها ودقة نقشها ونقش ما فيها من التحف كل ذلك يدل على درجة عالية جدًّا من الحضارة

فهم الحيوانات

في باريس معهد عليٌّ لدرس طبائع الحيوانات غير العاقلة وقياس مداركها ومديرهُ المسيو هاشه سوبله . وقد قسم الحيوانات الى ثلاثة اقسام بهذا النظر قسم قابل للتهيج والتأثر وقسم لهُ غرائز لا تحول عن مجراها الا بقوة الاكراه وقسم لهُ ادراك يقبل التعليم والتدريب . فمن القسم الاول الحشرات الدنيئة . ومن الثاني الحشرات التي هي ارقى منها مثل النحل والنمل وكثير من الطيور وذوات الاربع . ومن الثالث ذوات

الاربع التي هي اكثر ارتقاء من غيرها والهر والكلب والسعدان في مقدمتها . فقد علم هرٌّ ان يفتح بابًا مقفلاً بادارة زرّ متصل بهِ ومُرّن كلب على لعب الكرة حتى صار يحسن الاصابة بها . وركب بعضهم دراجة بثلاثة عجلات امام سعدان مرة واحدة فتعلم السعدان ركوبها وجعل يركبها كلما شاء

ومن التجارب التي عملها المسيو سوبله للدلالة على قوة الغريزة في بعض الطيور تجربة في حمام الزاجل . فقد قال بعضهم ان هذا الحمام يهتدي الى طريقهِ والمكان الذي أفلت منهُ بواسطة المجاري المغنطيسية والهوائية ولكن المسيو سوبله أفسد هذا القول بالامتحان الآتي وهو انهُ استحضر صندوقًا خشبيًا ووضع فيهِ حمامة وآلة كهربائية تكهرب الهواء الذي في الصندوق ثم اقفل الصندوق فباتت الحمامة فيهِ بعيدة عما يطرأ على الهواء الخارجي من التغير في المجاري الكهربائية . ثم اخذ الصندوق الى مكان خارج باريس لم ترهُ الحمامة قبلاً واطلق سراحها فعادت من حيث جيء بها بعد عشرين دقيقة من افلاتها . وجرّب مثل ذلك في احد عشر نوعًا من الطيور فاهتدت كلها الى اماكنها في مدة قصيرة

اشعة بلندلو

لا يزال العلماء الباحثون عن هذه الاشعة فريقين فريقًا يثبت وجودها لانهُ يرى افعالها عيانًا . وفريقًا ينكر وجودها لانهُ لا يرى افعالها مطلقًا فيقول ان ما يراهُ الفريق الاول وَهْم يُخيَّل لهُ تخيُّلاً . وقد قال بعضهم حديثًا انهُ ان كان ما يراهُ الفريق الثاني من قبيل الوهم فهو حريٌّ بالبحث كما لو كان حقيقة لأن امرًا يوهم فريقًا من العلماء برؤْية ما لا حقيقة لهُ غريب لذاتهِ ويستحق ان تعلَم حقيقتهُ كما لو كان حادثًا طبيعيًا او ناموسًا من نواميس الكون .

الذهب وسائر المعادن

يعجب الناس من غلاء الاسعار ويختلفون في اسبابهِ . ومهما كانت هذه الاسباب فالغلاء نسبي سببهُ الاكبر رخص الذهب او كثرتهُ . فان الذهب مقياس الاثمان فاذا قلّ أُعطي القليل منهُ بدل ما يثمن بهِ من عقار وبضاعة وما اشبه فيظهر كأَنَّ هذه الاشياء رخيصة الثمن واذا كثر أُعطي الكثير منهُ بدلاً منها فظهر كأَنها غالية . ومن المقرَّر ان الذهب الذي استُخرج من مناجم الارض كلها سنة ١٨٨٩ بلغ ١٨٢ طنًّا فقط ثم زاد رويدًا رويدًا حتى بلغ ما استُخرج منهُ ١٩٠٢ لا اقل من ٤٤٧ طنًّا او نحو ستين مليونًا من الجنيهات اي زاد نحو ضعفين ونصف ضعف فالذين يظنون ان اثمان الاشياء ستهبط وتعود الى ما كانت عليهِ منذ خمس سنوات وست يخطئون في ظنهم ولا يرخص الا ما يكثر وجودهُ او

يسهل استخراجهُ كالحديد او ما تستنبط طرق جديدة لعمله قليلة النفقة كالصلب (الفولاذ) اما الارض وحاصلاتها واجور العمال فتزيد غلاء كلما زاد المستخرج من الذهب

وزاد المستخرج من سائر المعادن على ما ترى في هذا الجدول وقد ذكرت فيهِ اوزان المعادن بالطن

	سنة ١٨٨٩	سنة ١٩٠٢
الحديد	٢٦٠٠٠٠٠٠	٤٢٦٦٩٠٠٠
الفضة	٠٠٠٠٣٩٠٠	٤٧٥٣
النحاس	٢٦٦٠٠٠	٥٧٢٠٠٠
الرصاص	٥٤٩٠٠٠	٨٠٣٠٠٠
الزنك	٣٣٥٠٠٠	٥٠٣٠٠٠
القصدير	٥٥٠٠٠	٠٩٣٠٠٠

ومما يذكر مع المعادن الفحم الحجري فقد بلغ المستخرج منهُ من المسكونة كلها اكثر من ٨٠٠ مليون طن . وزيت البترول وبلغ المستخرج منهُ ٢٣ مليون طن . والملح وبلغ المستخرج منهُ ١٣ مليون طن . والماس وبلغت قيمة المستخرج منهُ من مستعمرة الراس فقط نحو خمسة ملايين من الجنيهات . والكبريت وبلغت قيمة المستخرج منهُ من ايطاليا مليونًا و ٧٠٠ الف جنيه . ونيترات الصودا وبلغت قيمة المستخرج منهُ من بلاد شيلي تسعة ملايين ونصفًا من الجنيهات وهو يستعمل سمادًا للارض . واملاح البوتاسيوم وبلغت قيمة المستخرج منها من املاك المانيا مليوني جنيه . والفصفات وبلغت قيمة المستخرج منها من الولايات المتحدة مليون جنيه

ويبلغ عدد المشتغلين باستخراج المعادن في كل المسكونة اربعة ملايين ونصف من النفوس

سرعة الريح وارتفاع الامواج

ثبت من الارصاد الفرنسوية مدة سنين كثيرة انهُ اذا كانت سرعة الريح عشرة اميال في الساعة بلغ ارتفاع موج البحر خمس اقدام واذا كانت سرعة الريح عشرين ميلاً في الساعة بلغ ارتفاع الموج عشر اقدام واذا كانت سرعة الريح خمسين ميلاً في الساعة بلغ ارتفاع الموج ٢٥ قدمًا . اي ان ارتفاع امواج البحر اقدامًا يساوي نصف سرعة الريح اميالاً وذلك بوجه التقريب كما يظهر من هذا الجدول

سرعة الريح اميالاً	ارتفاع الموج اقدامًا
٥,٥	٣,٢٨
١٠,٠	٤,٩٢
١٢,٤	٦,١٧
١٨,٠	٩,١٢
٢٥,٠	١٣,١٢
٣٤,٠	١٥,٤٢
٤٤,٠	٢٠,٦٧
٥٢,٢	٢٥,٤٣
٥٨,٢	٢٨,٥٤

الشموز

الشموز او البارود الياباني اشد فعلاً من الديناميت ومن قطن البارود . ومن مزاياهُ انهُ لا يشتعل بالنار ولا بالتطريق بل بنوع خاص من الكبسول واذا اشتعل نسف ما حولهُ نسفاً من كل ناحية

منع دوار البحر

استنبط مهندس الماني اسمهُ شلك اسلوباً ميكانيكيًّا يمنع نودان السفن السريع في البحر فيمنع الدوار الذي يصيب ركابها وهو دولاب كبير يوضع على ظهر السفينة ويتحرك معها فيكيّف حركتها تكييفاً يمنع الدوار

حياة الميكروبات

ظهر من بعض التجارب الحديثة ان ميكروب البشرة الخبيثة (الانثركس) يعيش ثلاث سنوات ونصف سنة وميكروب التيفويد يعيش اكثر من ٥٠٠ يوم وتبقى فيهما خواصهما المرضيَّة

ما يفقدهُ اللحم بالطبخ

ثبت للاستاذ كلندلي الاميركي انهُ اذا سلق لحم البقر سلقاً خسر من المواد النيتروجينيَّة التي فيهِ من ثلاثة وربع في المئة الى ١٢ وثلثين في المئة ومن المواد الدهنية من نصف في المئة الى ٣٧ ونصف في المئة ومن المواد المِلحيَّة ونحوها من ٢٠ في المئة الى ٦٧ في المئة . والمواد التي يخسرها تنتقل الى الماء الذي يسلق فيهِ . واذا قلي قليًا (اي طبخ روستو) خسر اقل من ذلك كثيرًا فيخسر من المواد النيتروجينيَّة من ربع في المئة الى اربعة ونصف. ومن المواد الدهنية من اربعة ونصف في المئة الى ٥٧ ونصف في المئة ومن المواد المِلحيَّة من ٢ ونصف في المئة الى ٢٧ وخمس في المئة. وهذه المواد تنتقل الى المرق الذي يتحلَّب منهُ. والغالب ان القطعة الكبيرة من اللحم تخسر بالطبخ اقل مما تخسرهُ القطعة الصغيرة . واللحم الذي يستخرج عصارهُ ويطعم للمرضى يفقد قليلاً من موادهِ المغذية ولو فقد كل طعمهِ

دوران عطارد

السيَّار عطارد يدور على نفسهِ كالارض وقد حسب علماء الفلك الذين رصدوهُ في غرة القرن الماضي انهُ يدور على نفسهِ دورة تامة كل ٢٤ ساعة واربع دقائق او خمس دقائق وظلوا على هذا الحساب الى ان قام شبارلي الفلكي الايطالي وحسب مدة دورانهِ على نفسهِ ٨٨ يوماً اي انهُ قال انهُ يدور مرة واحدة على نفسهِ كلما اتمَّ دورتهُ حول الشمس لكن ظهر الآن للفلكي مكهرج من رصدهِ لهُ في شهر ابريل الماضي انهُ يتم دورتهُ على نفسهِ في ٢٤ ساعة و ٨ دقائق

غنى كندا

يقال ان في بلاد كندا من الارض الصالحة لزرع الحنطة ما لو زرع كلهُ لبلغت غلتهُ السنوية ٨٠٠ مليون بشل على الاقل فيكفي سكان كندا ولو بلغ عددهم ثلاثين مليوناً من النفوس ويكفي اهالي انكلترا ايضاً ولو تضاعف عددهم

العصفور الدوري

اختلفت آراء الباحثين في العصفور الدوري وهل هو مفيد للزراعة او مضر بها اي هل اكثر طعامهِ من الحشرات او من الحبوب فثبت بعد البحث في الوف من العصافير ان اكثر طعامها من الحبوب وان اكثرها لا يأكل شيئاً من الحشرات والقليل منها الذي يأكل الحشرات لا يأكل الاَّ قليلاً منها . فاوجبت دور الامتحان الزراعي في انكلترا واميركا صيد العصفور الدوري واستئصالهُ . وعدا ذلك اثبت بعض العلماء ان هذا العصفور ينقل عدوى الامراض من مكان الى مكان حتى ان مرض الدجاج الذي تفشى في هذا القطر في العام الماضي كانت العصافير السبب الاكبر لانتقاله وانتشارهِ في البلاد لانها تقع على طعام الفراخ السليمة فتنقل العدوى من الاولى الى الثانية فجدير بالحكومة المصرية ان تساعد الذين يصطادون العصافير الدورية بكل واسطة ممكنة

بعض الرواتب الكبيرة

ان راتب المستر دُد محامي شركة زيت البترول المعروفة بشركة الستندرد خمسون الف جنيه في السنة وراتب المستر رجرس مدير شركة النحاس عشرون الف جنيه وكذلك راتب المستر همير مدير شركة تكرير السكر الاميركية . وراتب المستر مكول رئيس شركة تأمين نيويورك ثلاثون الف جنيه

اما النساء اللواتي يتعاطين الاعمال فاكبر راتب تتقاضاهُ الواحدة منهنَّ الف جنيه في السنة الاَّ مسز مكرثي وهي مديرة معمل كبير لعمل الثياب فان راتبها الفا جنيه وتأخذ فوقهُ قسماً من الارباح

نقيضان حسب الظاهر

قال بعضهم ان الترتيب والنظام لازمان للنجاح في كل امر وقال غيرهُ ان الترتيب والنظام اذا لم يتحكم فيهما المرء صارا لهُ كالسلاح الثقيل الذي يمنعهُ من الحركة

الاستدلال بالاسنان

كتب احد اطباء الاسنان مقالة في مجلة العلم العام الانكليزية بيَّن فيها انهُ يسهل الاستدلال على الانسان من اسنانهِ ولو بعد الموت وعندهُ انهُ يمكن ان يوضع علم في دلالات الاسنان واختلافاتها كما وضع علم علامات الاصابع الذي استخدم الآن لتحقيق شخصية الجانين

اقدم الجرائد الانكليزيَّة

في بلاد الانكليز خمسة آلاف جريدة ٢٣٢ منها يومية واقدم جرائدها لندن غازت أُنشئت في اكسفرد سنة ١٦٦٥ ونقلت الى لندن سنة ١٦٦٦

طبع الكتب

يطبع من الكتب في فرنسا اكثر مما يطبع في غيرها بالنسبة الى عدد السكان فانهُ يطبع فيها كتاب لكل ١٦٠٠ نفس من سكانها وتتلوها في ذلك انكلترا ثم هولندا فالدنمارك فنروج فاسوج فايطاليا فالمانيا وبلغ عدد الكتب في المانيا بالنسبة الى عدد السكان واحداً لكل ١٨٠٠ نفس ولو كانت النسبة في القطر المصري كما هي في المانيا لوجب ان يطبع فيها ٣٦٠٠ كتاب مختلف كل سنة

فائدة رماد التبغ

بينت جريدة اللانست الطبية ان رماد التبغ مفيد جداً للزراعة واسفت لانهُ لا يعتني بجمعهِ واستعمالهِ وقالت ان الرياح تبددهُ وتعيدهُ الى الارض فان كان فيهِ فائدة فالفائدة لا تضيع

فاكهة جديدة

اهتمَّ بعضهم بتوليد فاكهة جديدة فجعل يلقح ازهار بعض الاشجار بلقاح من ازهار اشجار اخرى فيتولد منها اثمار جديدة فيعتني بزرع بزورها وتلقيحها حتى تولد عندهُ انواع جديدة من الفاكهة لم تكن معروفة من قبل

صور للفانوس السحري

يؤْتى بلوح خشن من الزجاج ويرسم عليهِ بقلم صلب من الرصاص ويدهن ببلسم كندا ويلصق عليهِ لوح آخر من الزجاج فيصير شفافاً و يظهر عليهِ الرسم واضحاً جداً

بيضة الاوك

بيعت بالامس بيضة من بيض الاوك المنقرض بمئتي جنيه وقد بيعت هذه البيضة نفسها سنة ١٨٣٨ بجنيهين فقط ثم بيعت سنة ١٨٦٩ باربعة وستين جنيهاً

فوائد التبغ

كتب بعضهم فصلاً طويلاً في فوائد التبغ في مجلة مكملن قال فيها ان دخانهُ يقي من الامراض الوبائية لانهُ يقتل الميكروبات حتى ان الجنرال روبرتس وقى جنودهُ من الاوبئة وقت حملتهِ على كوماسي بالتبغ الذي وزَّعهُ عليهم وامرهم بتدخينهِ . ويقال ان دخان التبغ يميت ميكروبات الكوليرا وميكروبات ذات الرئة مهما كان نوع التبغ و يميت ايضاً الميكروبات التي تلتصق بالاسنان عادة وتتلفها . واذا صفر الاسنان فرمادهُ يجلوها اذا فركت بهِ

مدافن بني حسن

بلغ عدد القبور المصرية القديمة التي كشفت حتى الآن في بني حسن ٨٨٧ قبرًا وبعضها كبير جدًّا وفي بعضها من الادوات والتحف ما يدل على احوال المصريين وطرق معيشتهم في العصر الذي صنعت فيهِ تلك المدافن

خزان اكبر من خزان اصوان

في نية حكومة الهند ان تبني سدًّا لاخد انهرها طولهُ ميل وارتفاعهُ نحو خمسين مترًا تتكوَّن فوقهُ بحيرة طولها اربعون ميلاً ويخزن بهِ من الماء ما مقدارهُ نحو ستة آلاف مليون متر مكعب اي نحو خمسة اضعاف ما يخزن بخزان اصوان . وقد قدّرت نفقات انشاء هذا السد بثلاث كرات ونصف من الربيات اي نحو مليونين وثلث من الجنيهات

السود وحرية الانتخاب

كتب المستر بويل من اساتذة كلية وسكنسن في اميركا مقالة في احدى المجلات العلمية قال فيها ان من اعظم الغلطات ان يخوَّل السود الذين يحرَّرون من العبودية حرّية الانتخاب وانهُ لا يجوز السماح لهم بذلك حتى يخطوا خطوة اخرى في ميدان التمدُّن لان التجارب دلت على ان السود لا يستطيعون الاشتراك في ادارة شؤُون الجمهوريات ولو بعد تحررهم بزمان طويل

سباق البلونات في معرض سنت لويس

سيقام سباق في معرض سنت لويس باميركا تتسابق فيهِ البلونات بدل الجياد وتجري ثلاثة اشواط ويعطي صاحب البلون المجلّي في حلبة السباق ٢٠ الف جنيه . والميدان على شكل زاوية قائمة فيبدأُ السباق من الزاوية ويقام بلونات عندها وعند طرفي الميدان لتعيين الوقت والتحكيم . فتعطى الجائزة لاسرع البلونات بشرط ان لا يقلّ متوسط سرعتهِ في كل شوط عن ٢٠ ميلاً في الساعة

جائزة نوبل

أُعطيت جائزة نوبل حديثًا لعالم اسمهُ الاستاذ فنسن بسبب اكتشافاتهِ الطبية واهمها شفاء بعض الامراض بالنور الاحمر وخصوصًا الجدري او تخفيف وطأتها . وشفاء بعض الامراض الجلدية الشديدة بواسطة الاشعة الكيماوية من غير ان يضرّ ذلك بالجلد بعد ان اثبت ان النور يقتل البكتيريا التي في الجلد اما بنفسهِ او بالالتهاب الذي يحدثهُ فيهِ

ولما أُعطيت الجائزة لهُ ابى ان يأْخذها واراد ان يقفها على المستشفى المعروف باسمهِ على شدة فقرهِ وفاقتهِ واخيرًا اقنعوهُ بابقاء نصفها لهُ ولعائلتهِ بعد الجهد الكثير . وقد زارهُ ملك انكلترا وملكتها وامبراطور المانيا وام قيصر روسيا . ولما زارهُ امبراطور المانيا قال لمن حولهُ " يجب ان يقام لهذا الرجل تمثال في

حياته" وهو مريض سقيم مصاب بالاستسقاء وعمره ٤٢ سنة وقد مرَّ عليهِ ٢٠ سنة يقاسي آلام الامراض ويقضي معظم الوقت مضطجعاً على فراشهِ لا يرى احداً حتى افراد عائلتهِ وحرارة بدنهِ اقل من الدرجة الاعتيادية . ولم يزر المستشفى المعروف باسمهِ منذ اكثر من سنة مع انهُ لا يبعد سوى خطوات قليلة من منزلهِ

الانارة بالكحول

أشار احد العلماء باستخدام الكحول للنور قائلاً ان لهُ مزيتين على المواد المستعملة للانارة الاولى ان الحرارة التي تتولد منهُ اقل من الحرارة التي تتولد منها والثانية ان غاز الحامض الكربونيك الذي يتولد من اشعالهِ اقل ايضاً من الغاز المتولد من اشعال زيت البترول مثلاً فانهُ يتولد من حرق ١٠٠ جرام من الكحول ١٦٣ جراماً من غاز الحامض الكربونيك ومن حرق ١٠٠ جرام من زيت البترول ٣١٢ جراماً من الغاز اي ان مصباح البترول اسرع في سمّ الهواء وافسادهِ من مصباح الكحول

فائدة الملح

قال المسيو لنوسيه من اعضاء جمعية فرنسا البيولوجية ان تناول كميات معتدلة من الملح مفيد للمعدة بل لازم كل اللزوم لها . وعليهِ يجب ان لا يقتصر على اضافة الملح الى الطعام بل ان يؤخذ على حدة كما يؤخذ الدواء . وقد استند في قولهِ هذا الى تأثير ملح البحر في الهضم الاصطناعي

سلطة العقل على المادة

كتب المستر جون نيومان مقالة في التنويم المغنطيسي ذكر فيها اموراً مدهشة عن سلطة امام تبت الملقب باللاما على الاشياء الطبيعية فقال

يروي السياح انهم وجدوا اناساً في كوشين شين يديرون الموائد في اماكنها ويجرون القوارب الكبيرة حذاء الشاطئ بمجرد قوة ارادتهم وقد اكد لنا المرسلون الجزويت الذين اوغلوا في بلاد تبت ان ائمتها يستطيعون ادارة الموائد ورفعها عن الارض رويداً حتى تغيب عن الابصار صعداً . وقال احد سياح الروس وهو ممن شاهد هذا العمل ان امام تبت يلجأ اليهِ غالباً عند ارتكاب سرقة او قتل قصد الاهتداء الى الجاني . ففي اليوم الموعود يجلس الامام على الارض تجاه مائدة صغيرة مربعة ويضع احدى يديهِ عليها ويقرأ في كتاب معهُ بصوت خافت . وبعد نصف ساعة ينتصب واقفاً على قدميهِ ويرفع يدهُ عن المائدة ويمدّ ذراعهُ ويبقيها كذلك هنيهة من الزمان فتأخذ المائدة ترتفع تبعاً لحركة يدهِ حتى تصير على مساواة عينيهِ ثم يتحرك من موضعهِ فتتبع المائدة حركتهُ وتزيد سرعتها حتى يعسر عليهِ ادراكها

وهو يعدو ثم يخطر ذهاباً واياباً وتسقط الى الارض . ويقول اهل البلاد ان المائدة تستقرُّ غالباً وهي مائلة الى الجهة التي يجب التفتيش فيها عن الجاني . قال السائح الروسي الذي روى ما تقدَّم وقد شاهدت هذا العمل اربع مرات فاخفق الامام في المرات الثلاث الاولى وقال انهُ لم يهتد الى الجاني . واما في المرة الرابعة فان المائدة دارت في حركة لولبية وسقطت في بقعة معلومة ففتشوا فيها عن الشيء المسروق فلم يعثروا عليهِ . وفي اليوم التالي انتحر رجل في تلك الناحية فاشتبهوا في امرهِ ونقبوا منزله فوجدوا المسروق فيهِ . وقد دققت النظر في المائدة واكثرت من التفتيش فلم اعثر على شيء يوصل بينها و بين اللاما

قال المستر نيومن وعندي انهُ يحسن بجمعية البحث في الآثار العقلية ان تنتدب من قبلها من يرافق الحملة الانكليزية في تبت لتحقيق هذه الامور واشباهها . وعبيد الاوهام يصدق بعضهم بعضاً

الحرارة والارتفاع عن الارض

ظهر من بعض التجارب التي عملتها جمعية بلتيمور الجغرافية بالطيارات ان الحرارة قلّت درجة واحدة بمقياس فارنهيت لكل مئة قدم عند ارتفاعها حتى بلغت ٥٠٠ قدم في العلوّ. ثم اخذت تنقص درجة واحدة لكل ١٤٣ قدماً حتى علوّ الف قدم. ودرجة لكلّ ١٦٧ قدماً حتى علو ١٥٠٠ قدم . ودرجة لكلّ ١٩١ قدماً بين علو ١٥٠٠ و ٤٠٠٠ قدم. اما درجة الرطوبة فزادت زيادة مستمرة فكانت على سطح الارض ٧٣ في المئة فصارت ٩٦ في المئة على علو ٤٠٠٠ قدم

أصائح لمقاومة السل

نشر مجلس الصحة في نيويورك النصائح التالية للمسلولين

لا تنم في غرفة حارّة او مزدحمة ولا تقم فيها

ابقِ شباكاً على الاقل مفتوحاً في الغرفة التي تنام فيها

نم في الغرفة وحدك واذا لم يكن ذلك ممكناً فنم في السرير وحدك

تجنب مجاري الهواء والرطوبة والغبار والدخان . واعلم ان الغبار والدخان اشدُّ ضرراً من المطر والثلج

اذا كنت في البيت فاقم في الغرفة المعرضة للشمس اكثر من غيرها والتي هواؤها مطلق ولتكن خالية من البسط والسجاجيد

لتبقَ قدماك ناشفتين ودافئتين

نم باكراً ولتكن مدة نومك ثماني ساعات على الاقل

اذا كان لابد لك من الشغل فاسترح على قدر الامكان

تجنب الاكل وانت متعب جسداً او

عقلاً وكذلك تجنبهُ واعصابك متهيجة

كلْ كثيرًا من الطعام الجيد المغذّي

واشرب رطلين من اللبن كل يوم فوق طعامك

وكلْ ايضاً ثلاث بيضات الى ست بيضات من البيض الجديد وكثيرًا من الزبدة والسكر

اشرب كثيرًا من الماء النقي بين طعام وطعام

لاتقبل احدًا في فيهِ

ان الاعتماد في معالجة السل على الهواء النقي والطعام الجيد وحسن المعيشة اهم من الاعتماد على الدواء

لاتخف من البرد

نمو مدينة لندن

كان سكان مدينة لندن سنة ١٨٤٥ اي منذ اقل من ستين سنة ١٫٩٤٩٢٧٧ اي اقل من مليوني نفس وبلغ عددهم بعد خمس وثلاثين سنة ٣٫٨٣٠٫٢٩٧ اي نحو اربعة ملايين نفس فتضاعفوا في خمس وثلاثين سنة وبلغ عددهم منذ ثلاث سنوات ٤٥٣٦٥٤١ اي اكثر من اربعة ملايين ونصف مليون. وجانب كبير من هذه الزيادة ناتج عن مهاجرة الناس من داخلية البلاد. وكان فيها سنة ١٨٤٥ ثماني محطات من محطات سكك الحديد فصار فيها الآن ٢٧٥ محطة وكان فيها نحو ٣٠ ميلاً من سكك الحديد فصار فيها الآن نحو ٣٠٠ ميل

نفقات المسكرات

ينفق الشعب الانكليزي على المسكرات اكثر من مئة وستين مليون جنيه كل سنة ثلثاها من العمال الفقراء والربح الناتج من بيع المسكرات يذهب اكثرهُ الى عدد قليل من الاغنياء اصحاب المعامل والحانات فيربح هؤلاء الملايين الكثيرة كل سنة ثم يتصدقون بجانب صغير من ربحهم على المساكين الذين افقروهم بتسهيل شرب المسكرات لهم يسلبونهم دينارًا ويجودون عليهم بدرهم فيعدُّون من كبار المحسنين . وقد اهتم الانكليز الآن باقفال بعض الحانات وابدال المسكرات باشربة تنعش ولا تسكر لكن الذين يربحون من عمل المسكرات وبيعها لا يسلمون بترك ربحهم عفوًا

الوصول الى تبت

ابان احد الكتاب في مجلة القرن التاسع عشر ان الوصول الى بلاد تبت والى لاسا عاصمتها سهل جدًّا من بلاد الروس خلافًا لما يظهر من رحلات سفن هدن فانهُ لما استولى التتار على لاسا في اوائل القرن الثامن عشر وجدوا فيها اميرة كرجيَّة وابنها وكانت هذه الاميرة قد اتت من بلادها استراخان الى بلاد تبت بسماح من الحكومة الروسية. وكان في لاسا قبل استيلاء التتار عليها الناس من النصارى جاؤُوها لجمع المعلومات اللازمة لعمل

خريطة بلاد تبت

جريدة تلغراف مركوني

انشئت جريدة في السفينة كمبانيا التي تمخر بين اوربا واميركا تأتيها الاخبار من اوربا واميركا وهي في عرض البحر بتلغراف مركوني وهي ثماني صفحات وفيها كثير من الصور تنشأ وتطبع في تلك السفينة وتوزع على الركاب وثمن النسخة منها بنسان ونصف (نحو غرش).



الشيخ كروجر

نعى البرق في اواسط الشهر الماضي الشيخ كروجر رئيس جمهورية الترنسفال السابق توفي في كلارنس بسويسره ولهُ من العمر ٧٩ سنة غير كاملة فانهُ ولد في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٢٥ . ولا حاجة بنا الآن الى ذكر تاريخ حياتهِ مطولاً وتعريفهِ للقراء فانهُ بات اشهر من ان يعرَّف بعد حرب الانكليز والبوير الاخيرة . وغاية ما نقولهُ هنا انهُ عين رئيساً لجمهورية الترنسفال لاول مرة بعد موقعة ماجوبا هل التي اقتتل الانكليز والبوير فيها فانتصر البوير ونالوا استقلالهم وكان ذلك في فبراير سنة ١٨٨١ وجدد انتخابهُ رئيساً المرة بعد المرة

وقد ابنتهُ الجرائد الانكليزية وفي مقدمتها التيمس فأطالت في بيان محاسنهِ ومساوئهِ وقالت انهُ لم يكن بطلاً ولا قديساً رانكرت عليهِ ما وصفتهُ الجرائد الاوربية بهِ في اثناء الحرب من الذكاء وكبر العقل وقالت انهُ كان فلاحاً بسيطاً ساذجاً لم يتعلم شيئاً جديداً ولا نسي شيئاً قديماً . ولكنهُ كان رجلاً بجميع معاني هذه الكلمة وانكلترا تحب الرجال . وقد كانت شجاعتهُ وصلابة رأيهِ محلَّ اعجابنا كلنا ولو كان اكثر استقامة وصدقاً في معاملتهِ لنا واكثر حرية في كلامهِ عنا ومعنا لا حللناهُ المحل الاسمي من قلوبنا . انتهى

ومهما يكن من اقوال الجرائد فيهِ فلا ريب انهُ كان مثال الوطنية الصادقة والغيرة على نجاح بلاده وامتهِ وحفظ استقلالها وقد مات غريب الدار مكسور الخاطر بعد ما انتصر الانكليز على قومهِ وسلبوا الترنسفال استقلالهُ وضموها الى مستعمراتهم وجفاهُ الملوك والكبار الذين كان يؤمل الخير عن يدهم

فهرس الجزء الثامن من المجلد التاسع والعشرين



امبراطور اليابان



امبراطورة اليابان

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد التاسع والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢

نساء اليابان

من الاقوال المأثورة عند الاوربيين قولهم باللغة الفرنسوية Cherchez la femme وترجمتهُ فتّش عن المرأة يريدون بهِ انها علة كل الشرور او انها علة كل الحوادث من غير تخصيص . ومعلوم انهُ لايحدث حادث مَّا للناس يد فيهِ الاَّ ويكون سببهُ الرجال او النساء فلا عجب اذا كان لهنَّ يد في نصف الحوادث الاّ ان اثرة الرجال تجعلهم يحسبون ان لهم اليد الطولى في كل الاعمال فاذا رأوا للنساء يدًا فيها استغربوا الامر واكبروهُ واشاروا اليهِ

ومعلوم انهُ اذا حدثت الحوادث الغريبة جعل الناس يفتشون عن اسبابها واغرب حوادث هذا العام بل اغرب الحوادث التي مرَّت منذ اعوام كثيرة الى الآن ظهور دولة اليابان في مظهر دولة حربية من الطبقة الاولى برًّا وبحرًا وظهورها هذا ادهش اوربا كلها حتى انكلترا وهي اعلم بها من سائر الدول . والناس يبحثون الآن عن سبب هذا النجاح الفائق والفوز الباهر الذي فازت بهِ اليابان على دولة الروس . فنشرنا في الجزء الماضي من المقتطف مقالة مسهبة ظهر منها بأجلى بيان ان في طبع اليابانيين خلقين راسخين وهما حب الوطن والاستبسال في سبيلهِ وقد عثرنا الآن على سبب آخر يُعدُّ من دعائم الشجاعة والجرأة اللتين ابداهما اليابانيون في هذه الحرب وفي تأهبهم لها . وهو ان نساء فريق كبير منهم وهو الفريق الحربي يتقلدن الاسلحة ويحاربن كالرجال وهذا شأنهنَّ من قديم الزمان فلا عجب اذا وُلد اولادهنَّ والشجاعة والبسالة من اخلاقهم لانهم يرثون الشجاعة من ابائهم ومن امهاتهم " والعرق دساس من الطرفين " والاَّ فلو كان آباؤهم اهل شجاعة ونجدة وامهاتهم قعيدات ضعيفات لاهمَّ لهنَّ الاَّ ولادة الاولاد وادارة البيت والتحلي والتجمل لضعفت اخلاق الآباء بما تمتزج بهِ من اخلاق الامهات وجاء اولادهم بين بين او لم يفق الابناء ما كان عليهِ الآباء . اما والنساء كالرجال في البسالة والإباءة

الضيم ورباطة الجاش فلا بد من ان ترسخ هذه الاخلاق في النسل وتقوى فيهِ رويدًا رويدًا

والمرأة في اليابان كالمرأة في كل البلاد الشرقية مطيعة لزوجها وحميها وحماتها تعمل اعمال البيت كلها من غير تذمر تطبخ وتغسل وتبتاع الاطعمة وتخدم اباها وامها ثم تخدم زوجها واباهُ وامهُ من غير تذمر. ولا يعفى من هذه الاعمال الاَّ بنات الكبراء الاغنياء الذين عندهم كثير من الخدم والحشم

وابو الابنة هو الذي يختار لها الزوج حالما تبلغ سن الزواج وهي تعلم ذلك وتحسب انهُ امر محتوم فلا تنتظر سواهُ وحينما تتزوج تسكن هي وزوجها في بيت ابيهِ ولا يصير لها بيت خاص بها الاَّ بعد موت حميها وحماتها وتكون قد اكتهلت حينئذٍ وقام بناتها وكنائنها على خدمتها كما كانت هي قائمة على خدمة امها وحماتها . ومقام الزوج اعلى من مقام الزوجة ولكن ادارة البيت في يدها لا في يدهِ فتنهض قبلهُ في الصباح وتطفئ المصباح الذي يكون موقدًا الليل كلهُ وتغسل وجهها وترتب شعرها وتلبس ثيابها وتُلبس اولادها وتوقظ خدمها وتساعدهم في اعداد الفطور ثم توقظ زوجها وتلازمهُ الى ان يخرج من البيت فتخرج معهُ الى الباب وتسلمهُ عصاهُ او مظلتهُ او كتابهُ

والغالب ان تبدو عليها آثار الشيخوخة وهي كهلة لكنها ترحب بها ولا تحاول اخفاءها فتقص شعرها وتلبس ثيابها على اسلوب يظهر بهِ عمرها حسب مصطلحات اليابانيين وتكون قد زوَّجت ابناءها وصارت حماة وقامت كنائنها على خدمتها فتمتعت بالراحة والاكرام

وليس في ذلك كلهِ ما تمتاز بهِ المرأة اليابانية على اكثر نساء المشرق ولو لم يتصل بنا من امر نساء اليابان غيرهُ لما وجدنا سبيلاً للتنويهِ بذكرهنَّ ولكننا نجد في تضاعيف ما ينشرهُ الثقات عن اليابانيات في هذا العصر ثلاثة امور حرية بالذكر لان لها شأنًا كبيرًا في ارتقاء اليابان

الامر الاول عدم تقيُّد اليابانيات بالعادات. خذ مثالاً لذلك مسألة اللباس فان لباس النساء في اليابان مثل لباسهنَّ في اكثر بلدان الشرق فلما اقتبس رجال اليابان الازياء الاوربية تبعهم نساؤهم ولا سيما نساء الكبراء حتى اذا اجتمعن معهم في المنتديات والحفلات لا يكون فرق ظاهر بين الاوربيات واليابانيات. ولا ينظر الاوربيات شزرًا الى اخواتهنَّ اليابانيات كما ينظر الانسان عادة الى من يراهُ مرتديًا ثيابًا دون ثيابهِ ولا يشعر اليابانيات انهنَّ دون الاوربيات في مجاراة ازياء العصر. وقدوتهنَّ في ذلك امبراطورة اليابان كما ترى من صورتها في مقالة اخرى من هذا الجزء فانها تظهر فيها كملكات اوربا في حللهنَّ وهي تحضر الحفلات الرسمية وتقابل النساء والرجال كما يقابلنهم ملكات اوربا. وبلاد لا يرى رجالها ونساؤها عارًا في التمثل بالمفلحين من البشر بل يرون في ذلك عين الصواب لحرية بان تمثل بالمفلحين في كل

شيء. وازن بين ذلك وبين ما يفعلهُ اهالي كوريا فان المرأة لا تزال عندهم اسيرة محجبة لا تخرج من بيتها مطلقاً بل تدفن فيهِ دفناً مدى العمر ورجالهم لم يغيروا ازياءهم حتى ملكهم لا يزال في زيهِ القديم كما ترى في مقالة اخرى من هذا الجزء. وتدل هيئتهُ على تمام السكينة والوقار كأنهُ زاهد من الزهاد بخلاف امبراطور اليابان فانهُ قلما يرى الاَّ باللباس العسكري كما ترى في صورتهِ في المقالة التالية وهي منقولة اصلاً عن صورة فوتوغرافية. ولا يخفى ان قواد اليابان وجنودها لابسون كلهم اللباس الاوربي كما ان بوارجهم ومدافعهم وبنادقهم وحركاتهم العسكرية وكل لوازم الحرب برًّا وبحرًا جارية على الاساليب الاوربية وعلى احدثها بل ان بنادقهم وبارودهم وبعض اساليبهم فاقوا بها ما عند الاوربيين والاميركيين

والامر الثاني استبسال اليابانيات فبينا ترى المصريات مثلاً يبكين ويولولنَ اذا أُخذ اولادهن او ازواجهنَّ للخدمة العسكرية ترى اليابانيات يحسبن الخدمة العسكرية اشرف عمل لاولادهنَّ وازواجهن ويتباهين بمن يقتل في الذود عن وطنهِ ويفضلن من مات قتلاً على من مات حتف انفهِ كأنهن يرددن قول السموأل الذي كان يفتخر بقولهِ

وما مات منا سيدٌ حتف انفهِ ولا طُلَّ يوماً حيث مات قتيلُ

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليس على غير الظبات تسيلُ

قيل انهُ لما نشبت الحرب البحرية بين الصين واليابان كان في احدى السفن اليابانية ربَّان اسمهُ سكاموتو فقتل فيها مع من قُتل وأُرسل نعيهُ الى بيتهِ ولما وصل الناعي رأى ام القتيل واخبرها بما جرى فنظرت اليهِ والعظمة وعزَّة النفس ملء عطفيها وقالت لهُ "اذًا قد خدم ابني وطنهُ بدمهِ فاحسن عملاً"

وامرأة اخرى مضى زوجها الى تلك الحرب وهي شابة في العشرين من عمرها وجاءها نعيهُ بعد قليل فصرفت خدمها من بيتها وكتبت الى اصدقائها تودعهم ولبست حلَّة عرسها وركعت امام صورة زوجها وطعنت صدرها بخنجر لكي تلحق بهِ في اقرب وقت. والانتحار شائع في بلاد اليابان لاينظر اليهِ بالازدراء ولا يؤتى خوفاً من المكاره بل محوًا للعار او رغبة في اختصار السبيل الى الآخرة

والثالث اعتياد نساء الجنود حمل السلاح واستعمالهُ. والجنود فريق كبير من اليابانيين وكان نساؤهم يقمن مقامهم اذا غابوا عن اوطانهم في حماية قصور اسيادهم زمن الحكم الاقطاعي ولاتزال الاخلاق العسكرية راسخة في كثيرات من نساء اليابان ولذلك شأن كبير في ما يرى من البسالة في اخلاق الامَّة اليابانية كما تقدم

امبراطور اليابان وامبراطورتها

بينما كنا نكتب السطور السابقة عن نساء اليابان وقع نظرنا اتفاقاً على فصول للمسنيور الكونت واي ده وايا الجري اثبتها في يوميتهِ ووصف فيها مقابلتهُ لامبراطور اليابان وامبراطورتها ولامبراطور كوريا فرأينا في هذا الوصف ما ينطبق على ما اشرنا اليهِ في تلك المقالة ولذلك اقتطفنا منهُ ما يلي . قال السيد المشار اليهِ :

" ارى الثلج من كوة غرفتي متساقطاً من السماءِ والرياح تعبث بهِ وقد غطَّى سطوح البيوت واغصان الاشجار . و الشوارع فارغة لا احد فيها كأن المدينة كلها نائمة نوم الشتاء ولا أكاد اصدّق اني في بلاد مطلع الشمس ولا اني في عاصمتها . ولقد ساءني ان أصبح هذا الصباح والبردُ شديد لانهُ اليوم المعدّ لمقابلتي جلالة الامبراطور وحبذا لو كان من ايام الربيع حين تكون اليابان في ابهى حللها وحلاها

وصلت الآن المركبة من دار السفارة لتنقلني الى القصر يجرها جوادان يابانيان كريمان ولقد تعبا في عبورها الشوارع من كثرة الثلج المتراكم . فسرت فيها ومررنا في شارع واسع تختفي البيوت على جانبيهِ لصغرها واتساعهِ ولكن بعضها حديث فخيم مبني على الاسلوب الاميركي من الحديد الصلب والآجر المشوي هذه هي المباني العمومية البنوك وبيوت التجار ومررنا بجانب ترعة جمد ماؤُها من شدة البرد

وقفنا امام باب كبير فانفتح حالاً ورأينا امامهُ فصيلة من الجنود فأدَّت التحية العسكرية ثم مررنا على جسر من الحجر بديع الزخرفة وسرنا بين صفين من الاشجار الكبيرة وقد شاخت من طول عهدها واكتست جذوعها حللاً من الطحالب واشتبكت اغصانها كالقباب فوق الرؤُوس وهذا الممر جزءٌ من الشارع الطويل الواصل بين كيوتو وطوكيو بين بلاط الشوغن وبلاط الميكادو حيث كان امراءُ اليابان ينتقلون من البلاط الواحد الى الآخر بمواكبهم الفاخرة . وسرنا على هذا النسق الى ان بلغنا ساحة كبيرة امام القصر . وهو طبقة واحدة ليس في ظاهرهِ شيءٌ من الفخامة والزخرفة ووقفت المركبة امام درَج تصل الى غرفة رحبة فيها مائدة كبيرة عليها الدفاتر التي يكتب الزائرون فيها اسماءَهم وهناك بعض الخدم لابسون اللباس الفرنسوي الرسمي . وسير بي في رواق طويل خشبهُ منقوش نقشاً بديعاً الى غرفة من غرف الاستقبال الكبيرة اثاثها مثل اثاث غرف الاستقبال في قصور اوربا واميركا لا تمتاز عنها الاَّ بخزانة يابانية قديمة لا تثمن . وحبذا لو كانت اثاث الغرفة كلها على النسق الياباني مثل هذه الخزانة . وقابلني هناك

البارون ... وهو يحسن الانكليزية وقد درس في انكلترا وتزوج سيدة انكليزية فجعلت بيتهُ نادياً لنخبة الاوربيين المقيمين في هذه العاصمة وبيتهُ جميل مثل القصور الانكليزية يطل على اجمل بقعة من خليج طوكيو وفيهِ كثير من الكتب الانكليزية والتحف اليابانية وهو من البيوت القليلة التي يسرُّ الانسان بتذكرها ويود العودة اليها

والبارون على جانب عظيم من الرقَّة ودماثة الاخلاق وهو السر تشريفاتي لجلالة الامبراطور وتراهُ يقوم بما يطلب منهُ كأَنهُ يجد في ذلك مسرتهُ العظمى ورأَيت هناك غيرهُ من رجال البلاط وكلهم بالملابس الرسمية

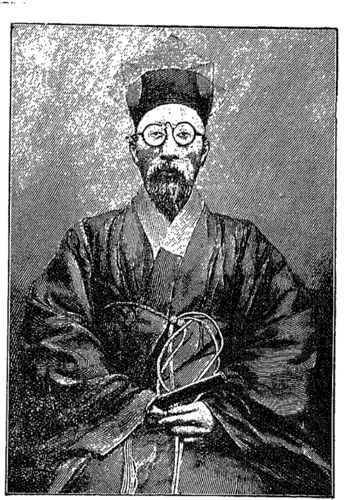
ثم سير بي في اروقة كثيرة باردة الهواء الى ان وصلنا الى الغرفة التي فيها الامبراطور. والغرف التي كنا فيها قبلاً تدفأُ كلها بالماء السخن واما هذه فلا تدفأُ بهِ بل بالكوانين اليابانية وقد استقبلني جلالة الامبراطور في غرفتهِ الخاصة وهي صغيرة يابانية في شكلها وكان واقفاً في وسطها وعليهِ حلة جنرال السترة زرقاء كحلية والبنطلون احمر قاتم وقد تقلد الوسام المجري المرصع اكراماً لي وحولهُ رجال حاشيتهِ وكلهم بالملابس الرسمية . فصافحني وافتتح الحديث حالاً فسأَلني قائلاً "منذكم يوم خرجت من بلادك وكيف جلالة امبراطوركم الكريم (امبراطور النمسا) وبأَي طريق اتيت وهل رأَيت السفر في خط سيبيريا سهلاً وكم اقتضى لك حتى قطعت منشوريا وكيف رأَيت كوريا . ان الآتي من اوربا يرى في هذه البلاد اموراً كثيرة يستغربها فعسى ان تكون سررت بما رأَيتهُ وعسى ان ترى كل ما يسرك في بلاد يابان وسيظهر لك اننا باذلون اقصى الجهد لاقتباس اساليبكم . ويسرني ما بلغني عنك من انك تهتم بأَمر التعليم العمومي واظن انك ستسرُّ بمدرستنا الجامعة ومكتبتنا ومطابعنا الجديدة . واشير عليك بأن ترى بعض مدن الارياف ايضاً ومقدار الهمة التي يبذلها سكانها في توسيع نطاق التجارة . ولا تغفل مشاهدة اوساكا وسأَذهب اليها في الشهر المقبل فعسى ان التقي بك هناك"

هذه المسائل سأَلني اياها فاجبتهُ عنها وظهر لي انهُ كان مسروراً جدًّا بالحديث وقبل ان خرجت من حضرتهِ ارسلت جلالة الامبراطورة تطلب مقابلتي فسرت الى الجانب الذي تقيم فيهِ من القصر فقابلتني في غرفة استقبالها واثاث هذه الغرفة من الطراز الفرنسوي وكواها تطلُّ على حديقة يابانية غناء وكانت لابسة حلة اوربيَّة وكان معها اثنتان من الوصائف وهما باللباس الاوربي ايضاً . وحالما وقع نظري عليها رأَيت في وجهها امارات البشاشة والدعة وهي نحيفة الجسم صفراء اللون تدلُّ الدلائل على انها كثيرة التفكر وكان مدار الحديث على اعمال البر كالمستشفيات وملاجيء الايتام والمنقطعين وقد جعلت جمعية الصليب الاحمر في اليابان تحت

رعايتها واصغت الى ما اخبرتها بهِ عن اعمال اخوات الرحمة وسألتني مئات من المسائل عن ملاجيء الفقراء وكانت تطلب مني التفصيل بالاسهاب واعربت لي مرارًا عن سرورها بما كنت اذكرهُ لها عن اعمال البر التي يفعلها خدمة الدين المسيحي في بلادها وخرجت من لدنها وانا واثق انها خير قدوة لنساء اليابان

امبراطور كوريا

قال المنسنيور الكونت واي ده وايا حملني ثمانية رجال في محفةٍ الى قصر الامبراطور الجديد في هذه المدينة البيضاء وهي احرى بهذا الوصف من كل مدينة لان بيوتها بيضاء



ولباس سكانها ابيض ولم ارَ حولي شيئًا لهُ لون الاَّ المحفة التي كنت فيها فانها كانت مغطاة بسجف من الحرير الاخضر وثياب الحمالين فانها من اللون القرمزي

وفي سيول اربعة قصور القصر الشرقي والقصر الشمالي والقصر الغربي والقصر الذي ذهبت اليهِ الآن . واني اعرف هذه القصور وقد قضيت اوقاتاً طويلة في حدائقها اتمتع بمشاهدها البديعة وارى آثار الصناعة الكورية القديمة التي قفي عليها واخشى ان لا تقوم لها قائمة بعد الآن بل تزول كما زال عمران كوريا القديم ولم يبقَ منهُ الاَّ بعض الآثار الفخيمة الدالة عليهِ

ووُضعت المحفة امام رواق كبير قائم على اعمدة من الحديد ومسقوف بالزجاج كأنهُ محطة من محطات سكك الحديد الكبيرة (ثم وصف القصر وانتقد بناءهُ وذوق الذين فرشوهُ لانهم اتبعوا فيهِ النسق الاوربي فجمعوا فيهِ اسخف ما في الاساليب الاوربية ولم يتموهُ حتى الآن بل ابقوهُ ناقصاً ليبقي ما كلة لكل افاق يطلب تتميمهُ الى ان قال)

واخيراً استيقظ الامبراطور من قيلولتهِ وارسل فدعاني اليهِ والخدم الذين دعوني لابسون ثياباً كورية الزي من المضام (البيزر) كانهم اموات مكفنون والمضام يكاد يكون لباس الكوريين الوحيد وهم يبطنونهُ شتاءً بالفراء او بالقطن المندوف وفي كوريا عشرة ملايين نفس يبتاعون المنسوجات القطنية وستشتدُّ المناظرة بين منشستر واليابان في هذا المضمار ولا يعلم لمن يكون الفوز اخيراً . ومررت الى ان بلغت غرفة الامبراطور وهي سادجة مبطنة بالورق الملون وفيها مائدة وستار وكان الامبراطور واقفاً بينهما ولما وقع نظري عليهِ لم اصدق اني واقف في حضرة رجل يؤلههُ اهل بلادهِ ويعبدونهُ عبادةً ويحسبون شخصهُ مقدساً وكلمتهُ شريعةً ولهُ البلاد كلها وما تحويهِ واذا لمستهُ يد انسان فقد اثم اثماً فظيعاً واستوجب القتل بل لايجوز لاحد لمسهُ بعد موتهِ فيرفع بآلة ويوضع في تابوتهِ واذا لمس هو انساناً صار ذلك الانسان مقدَّساً . ولا يتلفظ احد باسم الامبراطور الاَّ همساً ولا يجوز لاحد ان يصورهُ

وقد رأيت في وجههِ مهابة ودعةً ولا يظهر عليهِ انهُ قوي الارادة وكان لابساً ثوباً كوريًّا اصفر اللون ومنطقاً بمنطقة من الجاد (حجر صيني ثمين جدًّا يزعم ان التمنطق بهِ ينفع من امراض الكلى والخواصر)

وسألني مسائل كثيرة مثل قولهِ متى قمت من بلادك وكيف وجدت الطريق وفي كم يوم وصلت الى هنا وكيف وجدت البلاد التي مررت فيها . وظهر لي انهُ شديد الرغبة في معرفة احوال بلادي وسألني قائلاً هل بلادكم كثيرة الجبال وهل سكانها اهل فلاحة وهل عاصمتها جميلة . سمعت ان بلاط امبراطوركم فاخر جدًّا وان موكبهُ من اعظم المواكب ويقول سفرائي الذين عادوا من اوربا ان بلادكم عظيمة جزيلة الغنى وقد اتوني بكثير من التحف والهدايا والصور ويسوُّني ان شيخوختي تمنعني من السفر والاَّ لكنت اسافر بنفسي لارى بعيني ما سمعتهُ اذني

وكانت مسائلهُ ترد عليَّ تباعاً حتى لم اكد استطيع ان اجيب عليها كلها . وتقضي الرسوم في كوريا كما في كل البلدان الاوربية ان لا يتكلم احد امام الملك الاَّ جواباً عن سؤال يسألهُ اياهُ الملك . ثم قال لابد من انك سررت جدًّا حينما رجعت الى سيول ووجدت ان اجمل بناء فيها هو كنيستكم ببرجها الرفيع وقد قيل لي انها جميلة جدًّا فمن هو المهندس الذي هندسها لكم وكم انفقتم على بنائها . ثم سألني عن ملجإِ الايتام الذي بجانب الكنيسة وسرَّ لما اخبرتهُ ان فيهِ مئتي يتيم واراد ان يعرف ما هو رأيي في الكوريين واولادهم وسر جدًّا لما اخبرتهُ ان الاولاد اذكياء العقول جدًّا اقوياء الذاكرة

وكان ولي العهد جالساً الى جانب الامبراطور وهو رجل في الثلاثين من العمر لا يبدو عليهِ شيء من مخايل النجابة وهو متزوج ولكن لا اولاد لهُ . ولهُ اخ اصغر منهُ يدرس الآن في اميركا ويقال انهُ نجيب جدًّا وهو يدرس الآن علم الادارة ويرجى ان ينفع بلادهُ بعلمهِ . ووراء الامبراطور وابنهِ خصي اسود كبير الجثة وهو رئيس الخصيان ولهُ شان كبير جدًّا وكلمتهُ مسموعة في بلاط الامبراطور

واهالي سيول حزبان حزب مع اليابان يكره روسيا وحزب مع روسيا يكره اليابان ولكن ليس فيها حزب لكوريا نفسها

هذا ما كتبهُ هذا الحبر النبيل قبيل نشوب الحرب بين روسيا واليابان وقبل ان كثر تحدث الناس في اخلاق اليابانيين والكوريين كتبهُ في يوميتهِ الخصوصية غير قاصد ان يطلع احدًا عليهِ فلما دارت رحى الحرب طُلبَ منهُ نشرهُ فنشرهُ . ويظهر مما اقتطفناهُ منهُ ومما لم نقتطفهُ انهُ معجب باليابانين عارف بمقدرتهم حاسب العمران الذي جروا عليهِ ليس سطحيًّا قليل الغور سريع الزوال بل مؤسس على اسس وطيدة . وانهُ كان في بلاد كوريا عمران عالي الذرى لكن تقوَّضت اركانهُ وزال منها وبعيدٌ ان يعود اليها مادامت مطمحاً لغيرها من الدول . وقد قابل جلالة قيصر روسيا وكتب عن مقابلتهِ لهُ وسننشر بعض ما كتبهُ اتماماً للفائدة

بنك رويستون

كانت الغلبة للقوة البدنية وكان الناس يفاخرون بقتل خصومهم وسلب اموالهم فصارت للقوة المالية وصاروا يستحلون كل طرق الغش والخداع لكسب المال. وفي الفترة بين الحالين سنت الشرائع والقوانين فحرّمت القتل والسلب والغش والخداع ولكن سلطتها لا تتعدى الظواهر فما كشف امرهُ وقامت الادلة على ثبوتهِ طبقت القوانين عليهِ وما بقي مستورًا ولم تثبتهُ الشواهد والقرائن بقي صاحبهُ بريئًا ولو كان من شر الموبقات حتى ان القاضي لا يحكم على القاتل والسارق ولو رآهما يقتلان و يسرقان مرأى العين مالم يقم غيرهُ الادلة على ادانتهما . وانكى من ذلك ان يكرم اللص ويدخل بيتك فترحب بهِ كأنهُ من جلّة القوم ويدان خادمهُ ويُسجن اذا سرق حفنةً من الشعير من عليق فرسهِ . وتنهال الرتب والنياشين على الذين يزيفون النقود والاموال ويؤاخذ من يشتمهم بكلمة ويقضي عليهِ بالعقاب . حالة يراها الناس بعيونهم ويغضّون الطرف عنها كأنها من مألوف العادات

وقفنا على قصّة موضوعة تبين هذه الاحوال على اسلوب جلي في شكل رواية فكاهيّة لكاتب اسمهُ جوليان هوثورن فرأينا ان نترجمها ببعض الايجاز قال

كان رجل اسمهُ جمس النهام وهو كهل في الستين من عمرهِ شديد العصب سريع الخاطر ينظر في الامور بعين البصيرة فيدرك غوامضها ويقابلها بعين المزدري فلا تظهر على وجههِ امارات الاهتمام بها

تلقى العلوم في احدى المدارس الجامعة وقرأ كثيرًا من الكتب العلمية والادبية ووقف على آراء رجال العصر ولم يتابع غيرهُ بل بقي مستقلاً في رأيهِ وهو مع ذلك لين العريكة حسن المعاشرة يتقن ملابسهُ ولا يظهر عليهِ التأنق فيها . ورث مالاً طائلاً عن ابيهِ واشتغل بالصرافة وانشأ بنكاً منذ خمس وعشرين سنة فزادت ثروتهُ . وتوفيت زوجتهُ وهو شاب فتزوج باخرى وعمرهُ اربعون سنة وولدت زوجتهُ الثانية لهُ ابنة صار عمرها الآن ثماني عشرة سنة وزوجتهُ من اهل التقى والصلاح وهي دونهُ ذكاء

وكان اهل مدينتهِ يجلّون قدرهُ ويحسبونهُ الاول بينهم وعرضوا عليهِ بعض المناصب فرفضها وكان بنكهُ الاول بين بنوك المدينة وجلّة اهاليها يودعون اموالهم فيهِ

وابنتهُ واسمها اولمبيا على جمال فائق وبساطة شديدة ومحبة تقرب من العبادة وتعرّف بها طبيب شاب اسمهُ بنتنك فخطبها الى ابيها قُبيل الحوادث الآتي ذكرها وكان ذلك في شهر

يونيو واتفقا على ان يكون اقترانهما في اكتوبر

وكان النهام ذات يوم في غرفتهِ الخاصَّة بعد انصراف العمال لان الصراف واسمهُ كلفري طلب ان يكلمهُ على انفراد . وكلفري هذا كهل في الاربعين من عمرهِ دخل البنك في حداثتهِ كاتباً وبعد خمس عشرة سنة صار صرَّافاً وهو ذكي امين جدًّا يجري في اموره واعماله على غاية الانتظام والتدقيق لكنهُ كثير التأني يسير سير السلحفاة بينما النهام يثب وثب الايل وكان النهام يقدرهُ قدرهُ ولا يبخسهُ حقهُ ويمزح معهُ احياناً ويتهكم عليهِ لكن كلفري لا يتعدى منزلتهُ ولا يكلمهُ الاَّ بالوقار والاحترام

وكان النهام يعلم ان كلفري يحب ابنتهُ اولمبيا ولكنهُ ينظر اليها نظر العابد الى المعبود غير طامع بالاقتران بها وكانت هي تنظر اليهِ بعين الدعة واللطف ولم يخطر ببالها قط ان حبها كان متملكاً فؤادهُ فلما بلغهُ ان بنتنك خطبها لم يقل شيئاً بل زادت سكينتهُ وزاد انعكافهُ على عملهِ

وقد رأى حديثاً ان الاموال قلَّت في البنك رويدًا رويدًا ولم يبقَ فيهِ الاَّ مبلغ زهيد لا يفي بجزء مما يُطلب منهُ فاذا طلب الوادعون اموالهم اضطرَّ ان يشهر افلاسهُ حالاً فاخبر المدير بذلك وطلب اوامرهُ في هذا الشأن وهذا هو الغرض الذي طلب ان يقابلهُ فيهِ

فالتفت المدير اليهِ باسماً وقال لهُ اظنك قلقاً من جراء ذلك فان خفت من الغرق معنا فما عليك الاَّ ان تسبح الى الشاطئ وتنجو بنفسك ولا يصعب عليك ان تجد لك عملاً في بنك آخر

فقال كلفري نغرق كلنا او ننجو كلنا بل افضل ان اغرق وحدي او افعل اي امر آخر اذا امكنني ان انفعك او انفع مَن لك

فنظر المدير اليهِ وقال لهُ باسماً هَبْ انك تشرع من الآن تزوّر الدفاتر قبل ان يطَّلع عليها مأمورو الحكومة . فقال كلفري وهو يحسب ان المدير يتهكَّم عليهِ اني لا انتظر ان تثق بي اكثر مما استحق وعلى كل حال فالبنك بنكك وانت المسؤول عنهُ ولم اقصد في ما ابنتهُ لك الاَّ اطلاعك على حقيقة الحال لكي ترشدني الى امر افعلهُ مخافة ان نؤخذ على غرَّة

فقال المدير احسنت ولعلك خفت ايضاً على اولمبيا لعلَّ خطيبها يتركها وتضطر الى التسوُّل

فاحمرَّ وجه كلفري وتنهَّد ولم يقل شيئاً

فقال المدير الاَّ تزوّر الدفاتر اكراماً لاولمبيا فان الضرورات تبيح المحذورات ولكنني اظن ذمتك تمنعك من ذلك

فانغض كلفري رأسهُ وبقي صامتاً

فقال المدير يظهر لي انك لا تحب المزاح فهل لك شيء آخر تقوله لي

فقال كلفري كلاَّ ولكن اتضح لي انك لا توجس شرًّا فاطمأن بالي

فقال المدير لقد قلتَ لي انهُ لم يبقَ في خزائن البنك سوى مئة وخمسة ومئتين الفاً من الريالات وبقي يساوي ضعفي ذلك واثاثهُ يساوي مئة الف والاملاك والديون التي لنا تساوي مليون ريال وعلينا من الديون مليونان على الاقل فعلينا اكثر مما لنا . واذا اظهر ذلك مراجع الحسابات تداولتهُ السنة الجرائد وصرنا مضغة في افواه الناس يقولون فلان خرج صفر اليدين بعد ما اشتغل خمساً وعشرين سنة واضاع امواله واموال الناس . لي سؤال القيهِ عليك يا كلفري واطلب منك الجواب عنهُ قل لي اي سن يصل اليهِ المرء حتى يصير بأمن من ان يرتكب التزوير ويُعدَّ مع الجناة

وكان كلفري قد سار نحو الباب لانهُ رأى المدير غير مهتم بالامر ولا اجابهُ الاَّ بالمزاح والتهكم فلما سمعهُ يقول هذا القول بلهجة الجد وقف حائرًا في امرهِ ولم يعد يخرج

فقال لهُ المدير تعال قل لي هل كبرتُ عن السرقة والاختلاس بعد ان عشت هذا العمر كلهُ سالكاً سبل الامانة

فنظر اليهِ كلفري مدهوشاً وقال لهُ بصوت متقطّع "السرقة والاختلاس" صار لي معك عشرون سنة وانا ارى فيك مثال الصدق والامانة فلا استطيع ان اتصور انك تُقدِم على شيء مثل هذا لا تؤاخذني انك تمزح معي وتتهكَّم عليَّ

فرفع المدير رأسهُ وانحنى في كرسيهِ الى الوراء وضحك وقال احسنتَ اذهب الآن الى بيتك ونم مطمئن البال فان احوال البنك على ما يرام ولا خوف علينا . اذهب بسلام

فودعهُ كلفري وهو يطلب المعذرة منهُ ويقول في نفسهِ ما اوسع حيلة هذا الرجل وما اقدرهُ على ادارة الاعمال

***

بقي المدير في مكانهِ هنيهة يفكر في امرهِ ثم تنفَّس الصعداء وقام ومضى الى بيتهِ وهو طلق المحيَّا كأنهُ لا يهتمُّ بشيء

وجلست عائلتهُ للعشاء هو وزوجتهُ وابنتهُ وخطيبها . وكان هذا الخطيب بهي الطلعة بشوش الوجه نحيف الجسم شديد العضل وكان بارعاً في صناعتهِ متضلعاً من العلوم المتعلقة بها تظنهُ من اول وهلة بعيداً عن الناس لا يميل الى معاشرتهم لكنك اذا خبرتهُ ووثق بك رأيتهُ على جانب كبير من الدعة والانس ثم ترى تحت ما في وجههِ من البشاشة وفي اعطافهِ من

الابن اعصاباً كالفولاذ وعضلات كالحديد تريك انهُ جبار عند الشدَّة مصداقاً لقول من قال

ان الرجال صناديق مقفَّلةٌ وما مفاتيحها الاَّ التجاريبُ

وجرى الحديث في شؤُونهِ وهم على المائدة فقالت مسز النهام قرأت الآن عن حادثة أُخرى من هذه الحوادث المشومة — صراف سرق مالاً طائلاً من البنك وهرب بهِ ويقال انهُ كان معدوداً من اهل التديُّن الذين يكثرون التردُّد على الكنيسة . لا بدَّ من ان ينتقم الله منا لاجل هذه الشرور لان خوفهُ زال من قلوب الناس . فالتفت زوجها الى الدكتور بنتنك خطيب ابنتهِ وقال لهُ ما قولك في ذلك هل زاد الصلاح في الدنيا او زاد الشرُّ فيها

فقال بنتنك اني ارى الرياء شر المآثم فهذا الرجل كان مرائياً وقد تعب من حسبان الناس لهُ ديِّناً وهو لص ففضَّل ان يجاهر بامرهِ . والمجتمع الانساني تعتريهِ الآفات مثل جسم الانسان والآفة الظاهرة اقل ضرراً من الباطنة لان الاولى شفاؤُها مأمول واما الثانية فلا يرجى لها شفاءٌ

فضحك النهام وقال هذا ضربٌ من ضروب الحكمة مفادهُ ان من كان شرَّ الناس حسب الظاهر فهو افضل الناس . أحسنت أحسنت

فالتفتت اوليبيا الى خطيبها وقالت لهُ لا تصدق ما يقولهُ ابي لانهُ ليس اكره للخداع منهُ . فلم يجبها بل قال ان الغنى امر جديد في الدنيا لم يدرك الناس كنههُ حتى الآن فيظنونهُ كلَّ مطلب ويضحون كل شيءٍ في سبيلهِ وقد قسم الناس الى فريقين الى شرذمة من الجبابرة وهم الاغنياء بين جيوش كبيرة من الاقزام وهم المتوسطون والفقراء ولكل جديد بهجة فمتى الف الناس الغنى لا يعود احد يهتم بان يكون جباراً فتزول التجارب التي تجرّب الناس الآن لاكتساب الغنى والشرور التي يرتكبونها في سبيلهِ . والانسان ابن الاختبار فمتى اختبر الغنى وعلم متاعبهُ عافتهُ نفسهُ كما تعاف المآكل اذا شبعت منها

فقال النهام ان الانسان مطبوع على الشر وهو ظالم بالطبع ويطلب دائماً ان يكون فوق غيرهِ وما دام الناس يحسبون التفوُّق لاهل الغنى فلا بدَّ من سالب ومسلوب وظالم ومظلوم لان الناس لا يستطيعون ان يغتنوا كلهم ولا يغتني رجل الاَّ اذا افتقر رجال . وما دمنا نكرم الغني ونجل قدرهُ وكل امرءٍ يود ان يكرَّم ويجل فكل امرءٍ يحاول ان يغتني مهما كلفهُ ذلك وسواءٌ كانت الطرق الموصلة الى الغنى محللة او محرَّمة . اما من حيث الرياء فاكثر الذين يراؤُون يراؤُون لاجل نسائهم واولادهم فان الرجل يرى زوجتهُ واولادهُ يعتقدون فيهِ الفضل والكمال فلا يتجاسر على نزع هذا الاعتقاد منهم

فقالت لهُ اوليبا ألا يجب اذًا عقاب المجرمين

فقال نعم اذا امكن اثبات الجريمة عليهم وحينئذٍ يكون عقابهم لا لجريمتهم بل لانهم لم يكونوا ماهرين في اخفائهم فاذا اخفوها حتى لا تظهر او لا تثبت عليهم لم يعاقبوا · فالضعيف او الجاهل الذي لا يستطيع ان يخفي ذنوبهُ هو الذي يعاقب عليها ونحن كالذئاب كلما سقط منا واحد اكلناهُ

فنظرت زوجتهُ اليهِ نظر الغيظ وقالت لهُ لا يحسن بك ان تمزح هكذا امام ابنتك وصهرك فانهما لا يزالان صغيرين قليلي الاختبار فتشوش افكارهما

وقامت اوليبا وقبّلت وجههُ وطوقت عنقهُ بذراعها وقالت ان ابي لا يشوش افكاري وهو احسن الناس كلهم

فالتفت النهام الى صهرهِ وقال لهُ انظر كيف يضطر الانسان الى الرياء

ودخل الخادم حينئذٍ وقال انَّ رجلًا يقول انهُ حضر بطلب منك وقد عينتَ لهُ هذه الساعة لتقابلهُ فيها فهل ادخلهُ الى غرفة الاستقبال

وكانوا قد اكلوا وشبعوا وجلسوا يتنقلون فوقف النهام ومسح شفتيهِ بمنديلهِ وقال للخادم ادخلهُ الى مكتبتي وقل لهُ اني سأحضر حالاً

فقالت اوليبا على الذين لهم شغل معك ان يقابلوك في البنك لا في البيت اما في البيت فانت لنا لا للشغل ولذلك سندخل المكتبة ونمنعكم عن الكلام

فقال ابوها ان امر هذا الرجل خصوصي ولا يحسن ان يُرَى في البنك وهو من كبار الماليين فاذا خفنا من الافلاس فهو الرجل الذي يساعدنا ولكن اذا علم انني اجتمعت بهِ وتآمرنا على امر هجم الناس علينا غدًا يطلبون اموالهم المودعة عندنا فلا اعود قادرًا على تجهيزك

فقالت ان قلبي يوجس شرًّا من هذا الرجل فاطردهُ من هنا او دعني ادخل المكتبة واسمع مايقول

قالت ذلك وهي ممسكة بيدهِ فنظر اليها وكأنهُ تردَّد في امرهِ ثم نزع يدهُ من يدها وقال قضي الامر ولابدَّ لي من ان اوقع اسمي في دفترهِ اذهبي العبي مع خطيبك وسأعود اليكم سريعًا

قال ذلك وسار مسرعًا فقطع الدار ثم التفت الى ورائهِ فرأَى بنتنك خطيب ابنتهِ سائرًا مع زوجتهِ وابنتهُ سائرةً الى جانب خطيبها وهي تقبل يدها وتشير اليهِ بها كأنها تقبلهُ عن بعد وقالت لخطيبها لابدَّ من ان يكون هذا الرجل آتيًا يستعطي من ابي لان كثيرين يقصدونهُ لهذه الغاية وهو يتصدَّق اكثر من كل احد ولا مثيل لهُ غيرك ياحبيبي

وكان الرجل الذي اتى زائرًا واقفًا في غرفة المكتبة يرى ولا يُرى لانها كانت مظلمة لا نور فيها فرأى ذلك الشاب بين خطيبتهِ وامها فسرَّهُ ذلك المنظر وانطبعت صورتهُ في ذهنهِ ووصل اليهِ النهام حينئذٍ ودخل واغلق الباب وفتح النور الكهربائي فاضاءت المكتبة بنور ساطع

***

ان الذين يفلحون في هذه الحياة يظنون ان الفلاح جاءهم بغتةً والذين يفشلون يظنون ان الفشل جاءهم عفوًا والحال ان للنجاح والفشل درجات يتدرجان فيها لكن الانسان لا يتذكر الدرجة الاخيرة منها. والحالة التي وصل النهام اليها الآن لم تفاجئهُ مفاجأةً بل قد تدرَّج اليها تدرُّجًا لكن طرق الشر لا تكون جليَّةً في مبادئها فلا يوجس الانسان منها شرًّا ولا يرى اعوجاجها وابتعادها عن طرق الاستقامة الاَّ متى اوغل فيها وتعذَّر عليهِ الرجوع عنها . والآن لم يكد النور الكهربائي ينير تلك الغرفة حتى أُطفئَ النور الداخلي من قلب النهام فاظلم ظلمة دامسة

وقف النهام والرجل الذي جاء لزيارتهِ . وقفا متواجهين وكلٌّ منهما ينظر الى الآخر ويتفرَّس في وجههِ . وكانت غرفة المكتبة ادلَّ على اخلاق صاحبها من كل ما في بيتهِ لانهُ رتبها على ذوقهِ. كانت فسيحة مملوءة بخزائن الكتب على جدرانها الاربعة والخزائن بديعة الصنعة وفوقها صور كثيرة مختلفة الاشكال منها ما يمثل الجمال ومنها ما يمثل الحب ومنها ما يمثل العظمة وفي جانب من الغرفة مائدة عليها كثير من الجرائد والمجلات وفي جانب آخر موقد على رفهِ آنية مختلفة من الزجاج البندقي وبين الكتب تماثيل غريبة منها تمثال ياباني يمثل رجلاً ينتحر ببقر بطنهِ على ما كانت الجنود اليابانية تفعلهُ اذا خافت العار . والكتب حسنة التجليد والتذهيب ولكن بعضها لمؤلفين مشهورين بالمجون . وفي الغرفة زاوية فيها مائدة وادوات كيماوية كثيرة وسموم مختلفة وهلمَّ جرًّا مما يدل لاول وهلة على ان عقل ذلك الرجل كان ميَّالاً الى الاطلاع على كل ما في الدنيا من صالح وطالح وطيب وخبيث ولكن اذا امعن النظر فيهِ بان منهُ ان الرجل يتقصد الشر تقصدًا ويتوخاهُ حتى في الطيبات ومن كان كذلك ألف الشرَّ اخيرًا ولو تكلَّفهُ في اول الامر تكلفًا فصار ديدنًا لهُ . لم يكن الشر من طبعهِ لكنهُ طوَّح نفسهُ فيهِ تطويحًا فصار عبدًا لهُ ثم صار سيدًا عليهِ

والرجل الزائر ربعة مجدول العضل اسود الشعر اجعدهُ واضح تقاطيع الوجه يداهُ صغيرتان لكنهما قويتان يحمل عصًا من الابنوس مقبضها من الذهب تنظر الى وجههِ كما تنظر الى لغز لا تستطيع ان تفهم منهُ شيئًا كأَنهُ يخفي اغراضهُ قصدًا لا يفتح عينيهِ على ملئهما لكنهُ يعي بهما كل ما يراهُ ولو لمحةً لمحة واحدة

تفرَّس فيهِ النهام هنيهة ثم قال لهُ أأنت المستر دكستر غون الممتاز على اقرانهِ فقال نعم اني اسمّي نفسي بهذا الاسم ولي بعض المزايا على اقراني كما لك بعض المزايا على اقرانك · وكان كلامهُ صريحًا خاليًا من كل غنَّة · فوقف النهام هنيهة أُخرى يتفرَّس في وجههِ كانهُ يريد ان يطبع صورتهُ في ذهنهِ ثم قال لهُ اني اقفلت الباب فلا يسمع احد ما تقولهُ فتفضل واجلس واجتماعنا امرٌ محتوم لابدَّ منهُ ولقد فضَّلتُ ان يكون بدعوة مني لك · ماذا تريد ان نشرب اخمرًا ام شرابًا آخر

فقال لا اشرب شيئًا الاَّ بعد ان ننتهي من شغلنا ولكنني ادخن سيكارًا اذا اردت

ففتح النهام درجًا واخرج منهُ صندوق السيكار وفتحهُ امام ضيفهِ واخذ منهُ سيكارًا اشعلهُ ومص منهُ مصتين ثم وضعهُ في المنفضة وجلس على جانب المكتب لا على كرسي وبدت عليهِ دلائل الاضطراب لان افكارًا مختلفة تنازعتهُ في تلك الساعة وضيقت انفاسهُ نخفق فؤادهُ واضطربت رئتاهُ وشعر كأَن الضغط الادبي زال عنهُ فجاشت نفسهُ كما يجيش الماء في اناءٍ زال ضغط الهواء عنهُ ولو لم تكن حرارتهُ شديدة ثم جعل يمشي في الغرفة ذهابًا وايابًا وهو يجبر نفسهُ على جعل خطواتهِ متساوية لكي يشتغل ذهنهُ بشيءٍ عما كان قائمًا في نفسهِ من الاضطراب ثم صار يلتفت الى ما حولهُ في الغرفة لكي يتلهى بهِ فرأَى كأَنَّ كل ما فيها انقلب عن وضعهِ وحانت منهُ التفاتة الى مرآة في الحائط فرأَى صورتهُ فيها واستغرب لما رأَى نفسهُ بثياب فاخرة ولحية منتظمة كأَنهُ كان ينتظر ان يرى نفسهُ في ثياب الجناة وشكلهم الزري وحاول النطق فعصاهُ لسانهُ وارتجفت شفتاهُ وشعر انهُ سائر في سبيل كثير المزالق لا تؤمن عاقبة السير فيهِ فقال لا بدَّ من ان تبقى الدفة في يدي سواءٌ سرت او لم اسر . ثم عاد الى نفسهِ فرأَى انهُ لا يزال واقفًا امام دكسترغون ودكستر يدخن السيكار ولا يبدي حراكًا وشعر كان تلك اللحظة سنة مرَّت بهِ فجمع قواهُ كلها وقمع عواطف نفسهِ التي كادت ثورتها تتغلَّب عليهِ وقال

لا بدَّ من انك سُجنت وذقت الاشغال الشاقة ولقد كان ذلك شأْني ولم اخرج من سجني واذق طعم الحرية الاَّ الآن واذا نجحت حيلتنا كانت الاخيرة من نوعها

فقال لهُ غون اراك قلقًا دعنا نتكلم في شغلنا فيهدأُ روعك

فجلس النهام في كرسي كأَنهُ غصبًا عنهُ وسكَّن جاشهُ وقال لقد راجعت فكري وصمَّمتُ نيتي قبلما دعوتك ولم يبقَ وجه للاعتذار والتأويل · اظن انك فهمت مرادي من دعوتي لك

فاشار غون بحاجبيهِ ولكنهُ لم يتكلَّم

فقال النهام لا بأْس باطلاعك على كل شيءٍ ولا خوف من انك تكشف سري لاحد لانهُ

ليس معنا ثالث واذا شكوتني وانكرت فما من احد يصدق دكسترغون رئيس اللصوص ويكذّب جمس النهام مدير بنك رويستون المعروف بالنزاهة والاستقامة في كل هذه البلاد

فقال غون افصح المقال واخبرني بمرادك

فقال النهام اريد منك ان تسرق البنك. قال ذلك وكاد صوتهُ يبح حينما نطق بهذه الكلمة

فقال غون مهلاً يا صاح ولا تتعجَّل في الكلام فان للصوص آداباً كما لمديري البنوك وانا اعرف من امر البنوك كما تعرف انت ولو على اسلوب آخر و يظهر لي انك ضاربت فخسرت ورهنتَ بيتك وامتعك ولكن بقي البنك مديوناً باكثر ما فيهِ وتخاف ان ينفضح امرك فلماذا تلجأُ اليَّ ولا تفرُّ وتنجو بنفسك

فقال النهام لان لي زوجة وابنة وسأصير حميًّا عن قريب والهرب لا ينجيني من العار

فصمت غون هنيهة ثم قال اتعني تلك الفتاة التي رأيتها والشاب الذي كان معها

فقال النهام مالنا ولها الآن

فقال غون ولكن ان كان شأن ابنتك يهمك فليس الامر سهلاً كما تظن لانها اذا اوجست شرًّا ونظرت اليك نظرة واحدة فقد تثنيك عن عزمك. فصمت النهام قليلاً كمن ينظر في معنى خصمهِ ثم لاحت على وجههِ امارات الهزء فقال انت حرٌّ ان تفعل اولا تفعل فتخسر ربحاً طائلاً أَو تظنني سهل الانقياد الى هذا الحد

فقال كلاَّ ولكنني اعرف الناس الذين مثلك اذا انحرفوا مالوا كل الميل فهل هذه اول خطوة خطوتها في هذا السبيل

فاغتاظ النهام من هذا الكلام وانقبضت عضلات يديهِ لكنهُ عاد فملك طبعهُ وقال نعم هذه اول خطوة

ففكَّر غون قليلاً ثم قال اني لا استحسن هذا العمل ولكن قل لي كم لي منهُ

فأُفرج عن النهام وقال ان في خزنة البنك مئة وخمسة وستين الف ريال من الاوراق المالية وهي اجرتك اذا وصلت اليها ولكن لابدَّ لك من كسر الخزنة وانا ادَّعي انك نهبت منها ملايين ثم أَستدعي مجلس المديرين ونسوِّي المسأَلة فما رأيك في ذلك

فقال هل يعلم احد بذلك غيري وغيرك — هل يعلم بهِ صرَّافك كلفري

فقال النهام كلاَّ ولو امكنني ان اخبر احدًا ما كنت دعوتك الى هنا ولم تشتدَّ الازمة عليَّ الاَّ قريباً وقد بلغتني مهارتك وما فعلتهُ ببنك نيويورك منذ سنة او سنتين وها نحن كما ترى

فقال غون اني اعرف رجلاً من مديري البنوك وقع في ما وقعت فيهِ انت فجعل صرّاف البنك يهرب بقليل من المال وادَّعى عليهِ انهُ سرق اموال البنك كلها وفرَّ بها ولكن ان لم يكن كلفري من هذا القبيل فلا بدَّ من طريقة اخرى

فقال النهام ولا يحل لي ان اوقع رجلاً بريئاً في هذه الورطة اما انت فامرك معلوم

فنظر اليهِ غون نظر الازدراء وقال لهُ اعلم اننا اذا قابلنا مديري البنوك باللصوص الذين يسرقون البنوك لم نجد المديرين افضل من اللصوص بل نجدهم ادنى منهم واجبن فاننا نحن نسرق البنوك تحت انوف الحراس ونسقط او نقوم ولا نتظاهر بالخير ونحن نبطن الشر . واما انتم فتتنعمون في قصوركم وتهزأون بالدنيا وتختلسون اموال الناس اغنياء وفقراء على حدٍ سوى واذا درى بكم الحراس او القضاة تعرفون كيف ترشونهم وتنجون . وعندي شيء آخر اقولهُ لك فاجلس واستمع لانهُ قلما يتفق لي ان اكلم رجلاً مثلك . هوذا ابنتك فتاة جميلة المنظر طلقة المحيا ولا شبهة عندي في انها طاهرة السيرة والسريرة وستقترن عما قليل بشاب مهذب وهما يظنان انك عين الكمال وانا يقول الناس اني رجل شرير ولا اخالفهم في ذلك واذا قبضتَ عليَّ وانا متلبس بالجناية ولم اجد لي سبيلاً الى النجاة الاَّ بقتلك قتلتكَ ولم ابالِ . وقد رأيتك منذ ساعة آتياً اليَّ وابنتك وراءك تقبّل يدها وتشير اليك بها وحينما ننتهي من شغلك معي تعود اليها وتقبل وجنتيها وانت لص ومختلس مثلي ولا تستحق ان تحسن الظن بك اكثر مما تحسن الظن بي . لقد عشتَ عيشة الرخاء كل عمرك ودرست في احسن المدارس وتربيت على الصلاح وانا مجرم عشتُ مع المجرمين ولم اتعلم الاَّ ما يسهل عليَّ الكلام والتعبير عن افكاري ولكن اذا نظرت اليَّ فتاة مثل ابنتك كما تنظر ابنتك اليك قلقتُ لاني ارى من نفسي اني لا استحق ذلك ولا اجسر عليهِ . واني لأخبرك بما لا تعلمهُ وما قد لا تصدقهُ وهو اننا نحن معاشر اللصوص نضع لانفسنا حدّا لا نتخطاهُ فلا نتظاهر بالفضيلة ولا نخدع غيرنا حتى يعتقد فينا غير ما نحن اما انتم وجهاء القوم فلا حدَّ عندكم لشيء تتظاهرون بالصلاح والوجاهة وانتم فاسدو السيرة والسريرة وهذا الذي اعتقدهُ فيك يا مستر النهام ولا سيما بعد ان قلتَ لي انهُ لا يحل لك ان توقع رجلاً بريئاً في هذه الورطة ولكن يحل لك ان تستأجر لها لصًّا مشهورًا باللصوصية مثلي . فلقد صدق ظني فيك انك تقيم من نفسك الخبيثة صنماً تعبدهُ ابنتك ويعبدهُ خطيبها وتتظاهر امام الذين نهبت اموالهم انك الرجل الذي نهبتْ امواله وهذا هو الذي يجعلني ازدري توبيخك لي وسافعل ما طلبتهُ مني لانهُ قلما يقع لي مثل هذا المبلغ من المال بهذا المقدار من السهولة . ولكن اذا ساءت احوالك بعد ذلك

وانتظمتَ في سلك اللصوص فاعلم ان اللصوص الذين مثلي يترفعون عن مشاركتك وها قد افرغت لك ما في نفسي

***

لما كان غون يتكلم بهذا الكلام كانت القوة الغضبية في النهام تجيش وتثور وهو يحاول اخمادها لانهُ رأى نفسهُ في قبضة هذا اللص وسمعهُ ينتقد اخلاقهُ انتقادًا كشف لهُ القناع عن حقيقة امرهِ وحاول الضحك استهزاءً بكلام خصمهِ فابت نفسهُ عليهِ ذلك وحثتهُ على الانتقام منهُ ولكنهُ عجز عن الامرين فقد كان في كل ما مضى عليهِ من السنين وليّ امرهِ ووليّ امر غيرهِ لا يُناقَض ولا يعاند في شيء فلما ترك منزلتهُ التي كان فيها رأى نفسهُ امام هذا اللص كالمرؤوس امام الرئيس وزاد في خستهِ اهتمامهُ بحفظ مقامهِ بين الناس فاضاع منزلتهُ التي كان يحتمي بها كما بترس منيع ورأى سيف اخلاقهِ مثلَّمًا في يدهِ لا يقطع شيئًا فوقف امام اللص اعزل لا درع يقيهِ ولا سلاح يدافع بهِ ولم يعد يجسر ان يقطع الحديث وينقلب لان زمامهُ صار في يد خصمهِ. فقال في نفسهِ لقد استطيع ان انتقم منهُ في فرصة اخرى فارتاح الى هذا الخاطر وكظم غيظهُ واقرَّ بفشلهِ وقال لغون اراك قويّ الحجة جدًّا وانا واقع في ورطة كما ترى ولا بدَّ لي من ان اضحي كل شيء للنجاة منها الاَّ مقامي بين الناس ولا اهتم بهذا المقام الاَّ حبًّا بزوجتي وبنتي ولا شبهة ان منزلتك في هذه المسألة احسن من منزلتي ومهما يكن من الامر فانا لاجيء اليك طالب مساعدتك ولكَ من الجزاء ما يرضيك

فاشار غون برأسهِ علامة القبول وقال لهُ اشرح لي بعض التفاصيل

فقال اني اعطيك مفاتيح البنك وأُبعد عنهُ الحارس وعليك ان تدبر امر الغفير وهوارلندي من رجال البوليس ولا بدَّ لك من كسر الخزنة . واصلح الاوقات لذلك غدًا ليلاً

فوقف غون وقال ان المبلغ الذي فيها مئة وخمسة وستون الف ريال الم نقل كذلك

فقال النهام وقد يُسحَب منهُ شيء قليل او يضاف اليهِ شيء قليل غدًا في بحر النهار

فنظر غون نظر المستفحص المستريب وادرك النهام مرادهُ فاغتاظ منهُ ولكنهُ لم يظهر الغيظ بل اخفاهُ بالتبسم

فقال غون اني اعتمد على قولك ثم دار ليذهب

فقال لهُ النهام أَلا تشرب الآن كاسًا من الشراب ثم فتح خزانة واخرج زجاجة منها وصبَّ كاسين فتناول كلٌّ منهما كاسًا وشربها وقال غون هذا الشراب طيب واذا تم كلُّ شيء على ما احب تركتُ اللصوصية لانني مللتها وذهبتُ الى البلدان الجنوبية واقمت فيها آمنًا

ولكن لا تدع ابنتك تعلم شيئًا مما جرى بيننا

فقال النهام الله يوفق . وخرج غون من الغرفة فسمع اوليبيا تنادي ابيها وتقول لهُ قل لضيفك ان يتفضل و يشرب فنجان شاي معنا

فالتفت الى غون وقال لهُ ادخل اشرب فنجان شاي لماذا لا تدخل . فنظر اليهِ غون شزرًا وقال لهُ اتدّعي انك تهتم بامرها ثم تركهُ وسار وخرج من البيت وكأنهُ رماهُ بسهم صائب بتلك النظرة

ولما وصل الى الشارع الذي امام الباب مرَّ بهِ رجل منحني الرأس غائر العينين وهو كلفري صراف البنك كان من عادتهِ ان يمشي امام بيت المدير حيث تقيم الفتاة التي علق حبها قلبهُ . ولم يلتفت غون الى كلفري ولكن كلفري رآهُ جيدًا فرسخت صورتهُ في ذهنهِ (ستأتي البقية)

بورت آرثر والحرب الحاضرة

من يرمِ بنظرهِ دقيقة واحدة على خارطة اوربا يرَ ان روسيا على اتساع مساحتها لا ميناء بحريًا لها الاَّ على البلطيك حيث يبقى الجليد نحوًا من عدة اشهر يمنع من حركة البواخر والسفن ولما كان وجود الموانئ البحرية في الدول من اهم عوامل تقدُّمها واسباب عظمتها حاولت روسيا مرارًا ان تصل الى البحر المتوسط فما افلحت ووجدت من الصعوبات والمقاومات ما ايأسها وكاد يذهب بامانيها . فمن ثم وجهت نظرها الى الشرق الاقصى فكان احسن ميناء وجدتهُ هناك ميناء فلاديفوستك . الاَّ انهُ في اقصى المعمور من جهة المشرق على تنحيهِ عن طرق التجارة العامة وفوق ذلك فان الجليد يلازمهُ اكثر ايام السنة . ومع ذلك رضيت بهِ مدة وفقًا للقول المأثور اذا لم يكن ما تريد فارِدْ ما يكون وعللت نفسها ان كوريا قريبة من هذا المرمى فلا بُدَّ من ان يسعدها الحظ فتنتهز فرصة للمداخلة في امور هذه البلاد فتستولي عليها او على الاقل تكون تحت حمايتها وتتوصل من ثم الى ميناء فيها يغنيها عن فلاديفوستك ويفتح بابًا لتجارتها في الشرق الاقصى

الاَّ ان الدولة الروسية كانت تعلم الصعوبات التي تحول دونها ودون تمنّاها هذا . واقلُّ هذه الصعوبات معارضة الصين وربما اليابان لانها لم تكن اذ ذاك تحسب حسابًا لليابانيين لحداثة عهدهم بالظهور بين الدول التي يُؤْبَهُ لها . وكان معظم خوفها من معارضة الصين راجعًا الى ما بينها وبين كوريا من ترامي المسافات وصعوبة المسالك التي تحول دون ايصال قواتها

البرية الى تلك الاصقاع النائية . ومعلوم انها ان لم تُعِدَّ العدَّة للتغلب على هذه الصعوبة فلا يبعد ان يحلَّ بها الفشل ولا سيما اذا اتفقت الصين واليابان معاً على مناوأتها

وواضح أنَّ اهمَّ ما كانت روسيا تُعدّهُ انما هو تقريب المسافات وتذليل وعورة المسالك وبعبارة اخرى مدّ السكك الحديدية تسهيلاً وتعجيلاً لنقل قواتها الحربية التي يتوقف عليها فوزها في العراك الذي كانت تقدّر وقوعهُ قبل ان تضمّ كوريا الى املاكها او تستولي على ميناء من موانيها يفي بحاجتها التجارية وما الى ذلك من اغراضها السياسية

وعليهِ فكان في حوالي سنة ١٨٨٤ ان المرحوم القيصر اسكندر الثالث اصدر امرهُ بمدّ سكة حديد سيبيريا لتصل بين املاكها في اوربا وبين ميناء فلاديفوستك وان يتصل هذا الخط العظيم بخط موسكو مارًّا في شمالي الاملاك الصينية ومن جملتها منشوريا . ولما كان هذا الخط من اطول الخطوط الحديدية في الدنيا ويقتضي من النفقات ما تنوءُ تحتهُ اعظم الشركات المالية التجارية فضلاً عن ان فائدتهُ التجارية لذلك الحين ولحد هذه الساعة كانت بحيث لا يخطر ببال شركة من الشركات ان تباشر مدَّهُ على نفقتها — باشرت الدولة الروسية مدَّهُ على حسابها

وكثرت التقوُّلات حينئذٍ في شأن هذا الخط وارجف بهِ الكثيرون وبالغاية التي من ورائهِ وهوَّلوا بكثرة نفقاتهِ حتى صرَّح بعضهم ان الدولة الروسية تعجز عن مدّهِ وأن لابدَّ لها من الوقوف دون اتمامهِ كل ذلك ليثنوا عزمها عن مدّهِ او اقلهُ ليثبطوها سنيناً عديدة عن نجازهِ لكنَّ الروس ما زالوا على عزمهم فيهِ وما فتئت دولتهم تجعل لهُ في ميزانيتها سنة بعد سنة مخصَّصاً كما كانت تجعل لجيوشها البرية او لاساطيلها البحرية الى ان توفي المغفور لهُ اسكندر الثالث سنة ١٨٩٤ وكان قد نجز معظم هذا الخط الاَّ اجزاءَ منهُ بين فلاديفوستك وبحيرة بيكال وتجلّى لعيون الكثيرين أنَّ ما كان في عداد الاوهام او خيالات الاحلام اصبح من حقائق اليقظة

وفي سنة ١٨٩٤ تولّى اريكة العرش الروسي جلالة القيصر الحالي نقولا الثاني وكان الخط كما قلنا بلغ حدود منشوريا شمالي خربين فما انحرف فيهِ عن خطة والدهِ شعرةً واحدة الاَّ ما كان من تغيير خط مسيرهِ فانهم كانوا بادي بدءٍ ينوون بهِ ان يسير في الاملاك الروسية مجاريًا نهر عامور فبدا لهم ان يعدلوا عن هذا التخطيط ليمروا بهِ في منشوريا الصينية راساً الى فلاديفوستك مارًّا بخربين . وبعد مخابرة دولة الصين وبذل الوسع في اقناعها تم لعمال القيصر ما ارادوهُ ومرَّ الخط على خربين في شمالي منشوريا على ما تراهُ مرسوماً في الخرائط الحالية

ماذا كان يجري في اليابان

لنترك الآن عمال الروس يخابرون دولة الصين في ان تسمح لهم بمد هذا الخط في املاكها تارةً يهولون عليها وتارةً يحاسنونها ويتزلفون الى اصحاب الحل والعقد فيها على عادة الروس وغيرهم من الدول الاوربية في الشرق ولنرجع الى ما كان يجري في اليابان

كانت هذه الامة قد انتبهت من غفلتها الشرقية ورأت ما هي عليهِ هي والصين من الضعف بازاء الدول الاوربية الكبرى . ورأت ان ضعفها لم يكن من حيث تأخر اهلها في الصناعة والزراعة — فان الصين واليابان من هذه الحيثية كانتا ولا تزالان في مقدمة العالم اجمع — انما كان ضعفها من حيث تأخرها في الجندية البرية والبحرية . وهنا نقول ان تفوُّق الممالك الغربية على الممالك الشرقية واستتباعها لها والسيطرة على رؤَسائها سببهُ قوة جنديتها وانتظامها وبلوغها في ذلك اعظم المبالغ بما أُدخل اليها من قوة العلم الطبيعي والرياضي والميكانيكي . ولو ان اوربا اقتصرت في تمدنها على ترقية زراعتها وصناعتها فقط وضربت من حولها سورًا يمنع ما يجاورها من الامم من شنّ الغارة عليها كما فعلت الصين منذ مئاتٍ من السنين لكانت رجال التعايشي مثلاً اجتازت اليها البحر المتوسط ولم تبقِ في ديارها دارًا الاَّ دوَّختها واعملت فيها السيف والنار حتى تركتها قاعًا صفصفًا

فلما استفاقت اليابان من غفلتها بما نبهتها المدرعات الاميركانية اولاً ثم الانكليزية ثانيًا وكانت قد رأَت ما حلَّ بجارتها الصين على ضخامة ملكها وكثرة عدد سكانها وقوة رجالها فلم يغنِ ذلك عنها شيئًا بازاء الدوارع الانكليزية رأَت ان تتلافى ما نقصها من هذا التمدن الحربي بتقليد اهلهِ فيهِ والجري على خطتهم في جميع مقوّماتهِ فاستدعت اليها الضباط الحربيين من فرنسا والمانيا اولاً ثم اخذت في ارسال الوفد بعد الاخر من ابنائها الى انكلترا واميركا وفرنسا والمانيا حيث درسوا العلم الحربي وما هو من متعلقاتهِ على اهلهِ وتعلموا لغتهم وقرأُوا كتبهم وجرائدهم فعرفوا اغراضهم وما تنزع اليهِ نفوسهم من الاثرة والسلطة وعادوا الى بلادهم بما تعلموهُ فعلموهُ واذاعوهُ في بلادهم شرقًا وغربًا وقرنوا العلم بالعمل

وأوّل ما توجهت اليهِ همَّتهم انهم باشروا في تنظيم جيوشهم البرية والبحرية على الطريقة الاوربية وما زالوا يدأَبون على ذلك نهارًا وليلاً حتى تمَّ لهم هذا التنظيم على ما يريدون واوربا في غفلةٍ عنهم اولاً لبعدهم عنها وثانيًا بمجاملتهم دولها وتغافلهم عن مطامعها وفتح بلادهم لتجارتها من غير ان يفتحوا لها بابًا للمداخلة في شؤُونهم الخاصَّة فلم يشعر اهل اوربا الاَّ وعند اليابان جند منظَّم كاحسن ما يكون من الجند عندهم

فلما تمَّ لليابانيين كل ذلك احسوا بالقوَّة وسمت نفوسهم الى ما تسمو اليهِ امَّة مستقلة يبلغ عدد سكانها خمساً واربعين مليوناً لسانها واحد ودينها واحد وعوائدها وتقاليدها واحدة ولا اقول شيئاً عمَّا وُفّقوا اليهِ في بلادهم من الانقلاب السياسي العظيم وقيام الميكادو الحالي ومن حولهِ نخبة من رجال الامة اجتمعت كلمتهم على رأي واحد وانصرفت وجههم الى تعزيز شأن بلادهم فاخلصوا لمليكهم واخلص مليكهم لهم وعزز كل منهما شأن صاحبهِ اولئك نظموا وسنُّوا وذاك بما لهُ من نافذ السلطة امر ان يوضع ما نظَّموهُ وسنُّوهُ لخير البلاد موضع الاجراء والعمل بموجبهِ من غير تردُّدٍ اوحفيظةٍ . وكل ذلك تمَّ لليابان قبل ان أتمَّ الروس مدَّ خطهم الحديدي الى فلاديفوستك ولا شك انهم علموا ما كان يعلمهُ غيرهم من غاية روسيا بمدِّ هذا الخط فانهُ كان اظهر من الشمس انهم كانوا يريدون بهِ فتحاً في كوريا ومنشوريا ليتوصلوا الى ميناء بحري في تلك الاصقاع لا يتسلط عليهِ الجليد فيعزز نفوذهم في الشرق الاقصى ويربط تجارتهم بتجارتهِ

وكانت اليابان اصبحت تطمع فيما تطمع بهِ الدول الاوربية من السطو على الصين فوجهت مطامعها الى كوريا وهي اقرب اقسام هذه المملكة اليها ليس بينها وبين بعض جزرها ما يزيد على التسعين كيلو متراً وكوريا هذه بلاد خصيبة التربة غنية بالمعادن الثمينة والفحم الحجري وفيها من النفوس نحو من سبع ملايين او يزيد

وكان اول ما حاولتهُ اليابان ان تسلخ هذه البلاد عن الصين ليتهيأ لها ضمها اليها في المستقبل او على الاقل السيطرة عليها دون الصين والانتفاع بخيراتها . وللتوصل الى غايتها هذه ارسلت في سنة ١٨٧٦ معتمدين من قبلها الى عاصمة كوريا واظهرت الغفلة عما للصين من السيادة عليها بان عقدت معها معاهدة من اول بنودها ان كوريا بلاد مستقلة متمتعة بجميع الحقوق التي تتمتع بها اليابان فكانت هذه المعاهدة اول خطوة خطتها اليابان لتفتح لها باباً للمداخلة في احوال كوريا

امَّا الصين فلغفلتها وجمودها لم تعترض صراحةً على ما فعلتهُ اليابان واكتفت بان ارسلت من قبلها وكيلاً سياسيًّا الى سيول عاصمة كوريا وجرَّت على نفسها بغفلتها ويلاً طويلاً لان اليابان لم تلبث بعد هذه المعاهدة ان اقامت لها سفارة في كوريا واخذت في دس الدسائس منها بين الكوريين حتى صارت سفارتها هذه خليَّة لاهل الفتنة والثوَّار من الناقمين على الاسرة المالكة في كوريا . واشتدَّ الحال سنة ١٨٨٢ بالكوريين حتى ثار ثائرهم على اليابانيين فهجموا على سفارتهم واضطروا من فيها الى الهرب بحياتهم الى حيث جاءوا فتذرَّعت اليابان

بهذا الحادث وارسلت من قبلها جنوداً الى كوريا لتحمي سفارتها ورعاياها من تعدّي الكوريين عليهم كما زعمت وما زالت على خطتها هذه تحذو حذو الاوربيين في نصب الفتن توصلاً الى ما تقصد الى ان كانت سنة ١٨٨٢

وفي هذه السنة تفاقم الخلاف بينها وبين الصين على كوريا الاَّ انهُ انتهى بعقد المعاهدة الآتية

(اولاً) ان تعترف اليابان بتقدم الصين عليها في كوريا

(ثانياً) ان تستجب جنودها من كوريا

(ثالثاً) اذا حصل لليابان ما يدعو الى ارسال عساكرها الى كوريا فعليها قبل ارسالها ان تعالن الصين بذلك

(رابعاً) اذا حصل في كوريا ما يدعو الصين الى ارسال جنودها اليها فعليها ايضاً ان تعالن اليابان قبل ارسالها

والظاهر ان الصين رضيت بهذه المعاهدة غفلةً منها واعتماداً على ما تعلم من ميل الكوريين اليها ونفورهم من اليابانيين من جهة واستخفافاً بقوة اليابانيين وسياستهم من جهة اخرى . واما اليابان فكانت على بينة مما تسعى اليهِ عالمة الى اين ينتهي بها المسير . وهكذا انقضى الخلاف بين الدولتين الى حين

فلما كانت سنة ١٨٩٤ وكان الخط الرومي الحديدي وصل الى بيكال ومدّت بعض اقسام منهُ بين بيكال وفلاديفوستك وتوجّهت خواطر عمال الروس الى ان يمروا بهذا الخط في شمالي منشوريا من ارض الصين الى مينائهم شرقي كوريا قامت اليابان تحول دون الروس ودون ما ينوون وزعمت انها تميت عليهم ثمرات هذا الخط في المستقبل وتوهمت انها كفوءٌ لذلك وجرَّأها على ذلك ما رأت من التحاسد والتغاير في المصالح بين الروس وبين بريطانيا العظمى فاوجدت بعض المشاغب في كوريا حتى اضطرت هذه الى طلب مساعدة الصين فارسلت اليها الصين جنودها واعانت اليابان بذلك وفقاً للمعاهدة التي اشرنا اليها آنفاً . وبعد ان وصلت جنود الصين الى كوريا اخذت اليابان تختلق المعاذير والاسباب حتى شهرت الحرب على الصين واظهرت انها لا تنوي ضمّ شيءٍ من هذه المملكة الى بلادها انما تريد مجرَّد اصلاح الحال في كوريا

الاَّ ان اليابان لم تحسن تقليد الدول الكبيرة فيما فعلت ونظرت الى القريب دون البعيد فلم تفطن لمعنى المثل القائل " قدّر لجنبك قبل النوم مضطجعا " لانهُ فاتها بحسب الظاهر انَّ في عملها هذا مناواةً لروسيا وأن روسيا مثلها ان لم تكن اشدَّ منها دهاءً . ومن تلك الساعة

ابتدأت سلسلة اغلاطها المتوالية التي دفعتها اخيرًا الى حربها الحاضرة فسعت الى حتفها بظلفها وهي لا تعلم . وكان عليها ان تتروَّى في الامر فان بريطانيا العظمى كانت مثلها تعرف ان القصد من مدّ روسيا خطّها الحديدي انمَّا هو التوصل الى فرضةٍ في البحر الصيني تسهيلاً لتجارتها هناك ومحطًّا لاساطيلها وهذا امر يهمُّ بريطانيا العظمى كما يهمها هي ان لم يكن اكثر منها ومع ذلك لم تندفع بريطانيا العظمى الى ما اندفعت اليهِ اليابان وكان يمكنها مثلها ان يختلق اسبابًا وتحلّ في كوريا ومنشوريا وتحول دون الروس وما ينوون . ولكنها (اي بريطانيا العظمى) ادركت ان فعلها هذا يكون سببًا للحرب بينها وبين الروس في المستقبل فاحجمت عن مناوأتهم واندفعت اليابان الى ذلك اغترارًا وهي دون بريطانيا العظمى بمراحل منعةً وقوةً في المال والرجال وضخامة الاساطيل البحرية

ووجه غلطها انها لم تنظر الاَّ الى الحاضر ولم تتدبَّر ما يكون من روسيا بعد الحرب مع الصين واكتفت بما كان يظهر لها من انَّ روسيا لا تستطيع ان تفتح عليها حربًا الاَّ بسبب ظاهر تجيزهُ لها القوانين الدولية ولمَّا لم يكن يظهر لها سبب اكتفت بهذا القدر ولم تفطن او لم ترد ان تفطن الى ما يكون من دهاء الروسية عند نهاية الحرب ولا الى ماذا تستطيع ان تفعلهُ لتحول بينها وبين الحلول في كوريا ومنشوريا فبدأت الحرب الصينية والظفر حليف لها والآمال ملء صدرها ليس ثمَّت بحسب الظاهر ما يوجب سوء المغبة وظنَّت انها خدعت الروس وحالت بينهم وبين ما ينوون

فلما تمَّ لها الغلب وتربَّعت في كوريا ومنشوريا اذا بروسيا وقفت في وجهها وفرنسا والمانيا معها احداها عن يمينها والاخرى عن شمالها وملامح الغفلة عما اكنَّتهُ اليابان بادية على وجوه سفراء هذه الدول فاظهروا لها انهم اعتقدوا ويعتقدون ان السبب الظاهر الذي قدمتهُ عذرًا لها عن نزولها ساحات هذه الحرب هو السبب الحقيقي اي انها حاربت لخدمة المدنية والانسانية لا طمعًا في ارض الصين ولا رغبةً في التسلُّط على كوريا وشكروا لها باسم الانسانية عملها وغبطوها على ما فعلتهُ في سبيل هذه الخدمة الجليلة المبرورة وابلغوها بالنيابة عن القيصرين والجمهورية الفرنساوية مزيد الثناء على خدمتها هذه التي قامت بها بكل خلوص نحو التمدن والانسانية وسألوها ان ترجع الى بلادها لانهُ لا حاجة بعد الى خدمتها لانها تمت . فبُهتت اليابان وكأنها لم يكن يخطر لها في بال ان الروسية تحاربها بمثل هذا السلاح فوقفت لا تحير جوابًا فلا هي تستطيع انكار ما صرَّحت بهِ عند اشهار الحرب ولا هي في وسعها ان تكشف عما كانت تخفي من معارضة الروس والحيلولة بينهم وبين ما مدُّوا الخط الحديدي من اجلهِ .

وحينئذٍ تبين لها ان الروس كانوا امكر منها وادهى · ولو كانت اليابان اتقنت دهاء السياسة كالاوربيين لأعدّت لمثل هذا الاعتراض عُدّتهُ من المال والرجال وضخامة الاساطيل فكان ذلك جوابها كما يفعل الاوربيون في مثل هذه الحال او لكانت اقله اعتمدت على دهاء السياسة فلم تخض غمار هذه الحرب الأ بعد ان اتفقت مع انكلترا واميركا على ان تقفا معها في وجه الروس من جهة ودبرت من قبل على منع اجتماع الروس والالمان والفرنساويين عليها من جهة اخرى ولكنها لم تفعل شيئاً من كل هذا واكتفت ان خدعت نفسها بان خداعها ينطلي على غيرها وان الروس لايجدون اعتراضاً في نهاية الحرب على ما قدّمتهُ من الاسباب لمحاربة الصين واحتلال كوريا ومنشوريا فاضطرّت ان تضع خرج خداعها على كتفها وترجع من حيث جاءت

فان قيل وماذا كان يجب ان تفعل اليابان قلت لوكانت من دهاء السياسة على ما هي عليهِ الدول الكبرى لكانت دفعت انكلترا واميركا الى هذه الحرب بدلاً من ان تندفع هي اليها فان انكلترا اهمها امر هذه السكة اضعاف ما اهمّ اليابان وذلك ظاهر من المقالات التي كانت تحبّرها جرائد هذه الامة العظيمة لتثبط هذا المشروع ولما هو معلوم من تنازع هاتين الدولتين النفوذ في الشرق وما رسخت عليهِ تقاليدهما من ان كل دولة منهما تسعى في وضع حدٍّ لنفوذ الاخرى وتتربص بها الفرص · ولو صبرت اليابان كما تصبر روسيا او انكلترا او فرنسا مثلاً لكان المرجح ان تأخذ انكلترا وحدها او بالاتفاق مع غيرها على نفسها ما اخذتهُ هي من معارضة الروس في مشروعهم هذا وهي اقدر منها على ذلك من كل الوجوه واعرف وتجارتها الواسعة في الصين وخوفها من تغلُّب النفوذ الروسي هناك على نفوذها وخسارتها الكبيرة من جراء ذلك اضعاف ما تخسرهُ اليابان كل ذلك كان داعياً لانكلترا (لو صبرت اليابان) الى ان تأخذ على نفسها تحمُّل الحمل الذي اخذت اليابان نفسها بحملهِ وهي تعجز عن النهوض بهِ

ولو ان اليابان نظرت نظر متأمل الى ما كان بين هاتين الامتين اعني الروس والبريطان من المنازعات الشديدة على كل شبرٍ من الارض في اوربا واسيا والى ما تولد بينهما بسبب ذلك من الاحقاد الشديدة لعلمت عن يقين ان روسيا لا تقصد الأ مناوأة انكلترا والحط من نفوذها والتضييق على تجارتها الواسعة في مملكة الصين انتقاماً منها على ما كان من معارضتها اياها واخذها بالخناق في كل موضع طمحت اليهِ ببصرها ولا سيا في اوربا · واذا كانت بريطانيا العظمى هي المقصودة فكان الاولى باليابان ان تتركها تقلع شوكها بيدها وبريطانيا اخبر منها

بمعارضة الروس وتعرف كيف واين ومتى تعارضها وكان لابد لها من ان تبذل آخر ما في وسعها لمنع ما تتوقع حدوثهُ من غوائل هذا الخطر على نفوذها . ولكن حديث النعمة بالغنى او بالقوة كثيرًا ما يبطر ويسيء استعمال غناهُ وقوتهُ فيضيع ما حصلهُ ويشمت بهِ جيرانهُ بعد اذ تدور عليهِ الدوائر . وبالاجمال فاليابان تعرَّضت لما كان اولى بها ان تترك لمن هو اقوى منها التعرُّض لهُ والذود عنهُ

الحوادث التي تلت انتصار اليابانيين وحلولهم في منشوريا

فبينا كانت روسيا تخابر الصين لتسمح لها أن تمرَّ بخطها الحديدي في شماليّ بلادها الى فلاديفوستك لا تطمع باكثر من ذلك اذا باليابان اشهرت الحرب على الصين فابرقت للروس بوارق املٍ فاستبشروا ووقفوا يرقبون سير الحوادث لا يلعنون ولا يباركون واليابان تظنُّ انهم مخدوعون ولاسيما بعد أن ظفرت المرة والمرتين ولم ترَ من تلك الدولة اعتراضًا . واخيرًا تمَّ لها النصر ووقفت على ابواب بكين وقفة الظافر حتى اضطرت الصين الى طلب الصلح وعيّنت المفوَّضين لهُ من قبلها واخذوا بوضع شروطهِ وروسيا كل هذه المدة لا تبدي ولا تعيد . فلما لم يبقَ الاَّ التوقيع على عهدة الصلح نفضت عنها غبار سكونها ووقفت كأنما بغتةً في وجه اليابان هي والمانيا وفرنسا فهدموا كل ما كانت اليابان قد بنتهُ

وبيانهُ ان الصينيين كانوا وما زالوا ينظرون الى اليابانيين بعين الاستصغار يرونهم دونهم في العلم والصناعة والقوَّة ودهاء السياسة ويطلقون عليهم اسم الاقزام ازدراءً وتحقيرًا . والحق ان اليابانيين كانوا الى ما قبل نهضتهم الاخيرة ينظرون الى الصينيين نظرتنا نحن الى اوربا واميركا يرونهم ارقى تمدنًا وافخم ملكًا وادهى سياسةً ويقلدونهم كما نقلّد نحن الاوربيين ويرسلون شبانهم لاخذ العلم عنهم فلما نهضوا نهضتهم الاخيرة وطرحوا عنهم جانبًا تقليد الصين وامتدَّت اعناقهم الى مزاحمة هؤلاء النفوذ في كوريا والتطول عليهم في العلم والسياسة ابغضهم الصينيون بغضًا شديدًا فلما غلب اليابانيون واكرهوا حكومة بكين على عقد صلحٍ شائنٍ من جملة موادهِ ان يتخلوا لليابان عن منشوريا اكرم ولايةٍ على البلاط الصيني لانها منشأ الاسرة المالكة صعب الامر جدًّا على الصينيين حتى فضَّل سياسيهم الشهير لذلك العهد "لي هنغ شنغ" ان يستسلم للدول الثلاث الاوربية روسيا وفرنسا والمانيا يقتطعهم من بلادهِ ما كنَّ يطمعن باخذهِ ولا يحلمن ان تسنح لهنَّ الفرصة القريبة فيهِ من ان يرى اليابان في كوريا ومنشوريا في مقام السائد والمسيطر عليهِ وعلى مليكهِ . وعليهِ لم يتردَّد في اجابتهنَّ الى ما طلبنَ ووقَّع سرًّا على ما اقترحنهُ عليهِ من المطاليب على ثقلها بشرط ان تسرع هذه الدول الى ازاحة اليابان عن

منشوريا وكوريا فاسرعنَ الى اجابتهِ وارسلنَ الى اليابان بلاغهنَّ أن اتركي منشوريا وكوريا كما المعنا الى ذلك فلم يكن لها بدٌّ من الاجابة ولم يسع انكلترا واميركا ان تأخذ بناصرها على هذه الدول الثلاث وذهبت حينئذٍ احلامها في احتلال كوريا ومنشوريا ضياعاً ومساعيها في الحيلولة بين روسيا وبين حلولها في منشوريا ادراج الرياح . بل تبيَّن لليابانيين انهم كانوا اكبر مساعد في حربهم هذه على تمكين الروس من احتلال البلاد التي كانوا يحلمون باحتلالها ولا يصدقون امكان ذلك في الزمن القريب

وهنا نسال ولماذا لم تشرك هذه الدول معها انكلترا في الاتفاق مع الصين على اليابان قلنا ان هذه الدولة العظيمة القديرة ما كانت لتؤخذ بدهاء غيرها بل هي ادهى من ان تُدهى ولقد عرضنَ عليها ان تشترك معهنَّ فوجدنها واقفةً لهنَّ بالمرصاد تأخذهنَّ بظاهر مدعاهنَّ كما اخذن هنَّ اليابان بظاهر مدعاها وتُعلِنهنَّ حرباً وثبوراً اذا هنَّ اردن تجزئة الصين فلم يسعهنَّ الاَّ اخفاء ما اخفينهُ من معاهدة " لي هنغ شنغ " الى انْ يتمَّ لهنَّ استرضاؤها

وبماذا يتم استرضاء بريطانيا العظمى ايبذلنَ لها جانباً من الصين ووادي ينغتسي العظيم الداخل ضمن دائرة نفوذها ام يبذلن لها شنغاي وهنكوك وهذه الشطوط البحرية في يدها منذ زمن طويل . ليس في الصين الواسعة الارجاء ما يسترضي بريطانيا العظمى وهيهات ان يُفتات عليها وتغضي مع ذلك على القذى وهي ملكة البحار وفي يدها مفاتيحها من بوغاز جبل طارق الى خليج بتشيلي فلا تستطيع المانيا ولا كذلك روسيا ان تخطوا في البحر خطوةً واحدة لتستوليا على املاكهما الجديدة الاَّ بعد اذن بريطانيا وسماحها . نعم ان روسيا يمكنها ان تمد خطها الحديدي في منشوريا الى فلاديفوستك بدون اذن بريطانيا اما ان تتقدم خطوةً واحدةً الى ما تعدَّت بمد هذا الخط من اجلهِ اعني الى بورت ارثر ودلني فلا . واما المانيا فاعجز من فتيل الدخان مع بريطانيا . وقد كان من حسن حظ بريطانيا ان دخلت المانيا في محالفة الروس وفرنسا لانها بدخولها تحتم على فرنسا وروسيا ان تسترضيا بريطانيا بما لم تكونا لتسترضياها بهِ لولا المانيا كما انهُ كان من حسن حظها ايضاً ان دخلت فرنسا مع روسيا فان فرنسا بدخولها مع روسيا قضي عليها ان تسترضي بريطانيا بما لم تكن لتسترضيها بهِ لولا روسيا كما سيظهر لك ذلك بعد قليل

فان قلت فلماذا تعنت روسيا لادخال هذه الدول معها قلت خوفها من انكلترا ان تتصدى لمانعتها دون الوصول الى رغائبها وهذه الدول مع انكلترا عليها فان هاتين الدولتين لو فرضنا ان روسيا كانت حالفت الصين بدون مشورتهما على ان تخرج اليابان من منشوريا لتحتلها هي كانتا

على الراجح في جانب انكلترا عليها واذا اتفقت كلمة هذه الدول الثلاث لم يكن للروس في الشرق الاقصى الاَّ الانخذال والصبر على مضض الخيبة والفشل الى ما شاء الله من الزمان

والخلاصة ان روسيا سبقت انكلترا الى الاتفاق مع فرنسا والمانيا ولم تكن انكلترا تستطيع سبقها الى محالفتهما لانها لو تصدت لذلك ابتداء ما وافقتاها على الراجح من جهة ولظهر طمعها واعتداؤها على اليابان وعلى الروس معاً من جهة اخرى

الاَّ انهُ بعد اتفاق الدول الثلاث على اليابان واخراجها من منشوريا وكوريا على ان روسيا تحتل بورت ارثر ويكون لها النفوذ في منشوريا وكوريا وعلى ان تحتل المانيا خليج كيوتشو في ولاية شانونغ وفرنسا بعض جهات التونكين الخ بعد ان تمَّ كل ذلك واصبح الرجوع يُعدُّ فشلاً واثماً فشل على هذه الدول الثلاث معاً قامت انكلترا في وجه هذه المعاهدة تبرق وترعد وأعدَّت اساطيلها الضخمة فجعلتها على قدم الدفاع عن الشرق الاقصى واعادت الكرة على الصين والزمتها ان تسلّمها "واي هاي واي" وهي الى ستين ميلاً جنوبي بورت آرثر وربما هي امنع منها حصناً واوسع مرفأ للبوارج والسفن وستبقى هذه المدينة في يدها ويبقى نفوذها على البلاد المحاذية لها ما بقيت روسيا في بورت آرثر وبقي نفوذها في منشوريا

وسافرت مراكب الفرنسويين على التونكين وتلاها المراكب الالمانية على خليج كيوتشو وآخر الكل ذهبت العمارة الروسية الى بورت آرثر واحتلتها وذلك في سنة ١٨٩٨ وكانت العمارة الانكليزية مرابطة هناك فاظهر اميرالها المعارضة للروس لكن لم يلبث ان جاءهُ البرق من عاصمة بلادهِ ان اترك بورت آرثر وخلِّ الروس وشأنهم فيها . وكتاب الانكليز يتجاهلون ويلوّمون حكومتهم لانها امرت اسطولها بالخروج من بورت ارثر وتسليمها للروس

بورت ارثر في يد الروس

يستحيل ان تكون روسيا استأجرت بورت ارثر لوحدهِ بدون ان يكون بينهُ وبين سكنها في الشمال اتصال يربطهُ ببلادها بحيث يمكنها الانتفاع بهِ ولذلك لم تلبث ان ارسلت اليهِ عمارتها حتى باشرت بمد الخط الحديدي من خربين اليهِ والى دالني مارًّا بموكدن ولياوينغ وكيننغ واظهرت في ذلك مزيد الهمة والسرعة وكل ذلك لم يكن مجهولاً لدى الحكومة الانكليزية الاَّ ان الامة الانكليزية لما رأت الروس يجدون في تحصين بورت ارثر وقد وصلوا بينهُ وبين خربين بسكة حديدية حربية تخوفت على تجارتها ونفوذها في شمالي الصين فاخذت رسائل كتابها هناك ونقاريرهم تردُ على البلاد الانكليزية وكلها تصرخ بصوتٍ واحد ان روسيا ابتلعت منشوريا وشمالي الصين واصبح النفوذ الانكليزي والمصالح الانكليزية على وشك الانعدام

امام النفوذ الروسي والمصالح الروسية وسواء كانت تقريراتهم هذه صحيحة ام مبالغ فيها فذلك مما لا نتعرّض له انما نقول ان الغرفة التجارية العليا في بريطانيا ارسلت اللورد تشارلس برسفرد وهو من امراء البحرية ورؤساء الجند الى الصين وظاهر هذه الرسالة انها للتفحص عن احوال التجارة خلوًّا من كل صبغة سياسية الاَّ ان المطلع على تقرير هذا اللورد يرى انهُ زار ولاة اغلب الولايات الصينية المهمة وزار القلاع والحصون واستعرض الجيوش ووقف على عددهم وانواع اسلحتهم ونظامهم وما في الولايات من الذخائر والمون الحربية وعرف ما بين الولايات من العلاقات والارتباطات الى آخر ما يمكن لمثلهِ ان يعرفهُ . وغاية ما وصل اليهِ وهو من اهم الحقائق لامتهِ ان الجندية الصينية لا تستطيع ان تقف في وجه الروسية ولا يمكن لانكلترا ان تعوّل عليها لا في الحال ولا في المستقبل القريب في كبح جماح الروس والغض من تطولهم على النفوذ البريطاني هناك . ومن ثمَّ وجَّه هذا اللورد والقائد الشهير وجهتهُ صوب اليابان فتلقاهُ رجالها على الرحب والسعة واطلعوهُ على حال جيوشهم البرية والبحرية فعرف عددها واسلحتها ومبلغ تدريبها وما الى ذلك من وسائل النقل ومقدار الذخائر والمون فاعجبهُ كل ذلك ورجع الى بلادهِ في اوائل سنة ١٨٩٩ بعد ان مرَّ بالولايات المتحدة وهو على علم من احوال اليابان وما تستطيعهُ هذه الدولة من معارضة الروس برًّا وبحرًا والرضا مالىء قلبهُ ووجههُ وقد ادرك ان ضالة امتهِ التي تنشدها في معارضة النفوذ الروسي وكبح جماحهم انما هي في اليابان لا في الصين

والظاهر ان تقريرهُ حاز قبولاً عند امتهِ فانهُ مذ ذلك الحين اخذ الكتاب الانكليز يكتبون الفصول الطوال عن الامة اليابانية و يطرون ما وصلت اليهِ من العزَّة والمنعة واخذت جرائدهم على اختلاف نزعاتها من سياسية وعلمية تحبّر المقالات الانكليزية الرنانة عن اليابان وجنديتها البرية والبحرية وما بلغت اليهِ من حسن النظام ومزيد الضبط والتدقيق في جميع اداراتها حتى ان اللورد سالسبري لم يتمالك مجاراةً لاميال امتهِ ان كتب بعد حرب البوكسر كتابهُ المشهور الى حكومة اليابان قال في كتابهِ هذا ما معناهُ " ان حكومة جلالة الملكة لتعجب شديد الاعجاب بما بدا من الجنود اليابانية من الكفاءة والبسالة في الحرب الحديثة وكان لها من ثم اليد الطولى في نجاح هذه الحملة "

واشهر الكتاب الذين كتبوا في احوال اليابان ابن الكاتب المشهور ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية فان هذا الرجل ذهب الى اليابان فاستقبلهُ اهلها احسن استقبال حتى انهم خالفوا فيهِ قوانين بحريتهم ونقلوهُ بامرٍ سام على دارعة من دوارعهم وهي حفاوة لم يسبق

لغيره ان عومل بمثلها . فلما عاد الى بلاده اخذ يحبر المقالات البديعة عن اليابان واليابانيين فاقبل القوم على كتاباته وحملوها محمل الحقيقة والصحة فتوهموا في انفسهم ما توهمهُ عنهم من العزّة والمنعة كل من اطلع على هذه المقالات

ومن العجيب ان الانسكلوبيذيا البريطانية في ملحقها لسنة ١٩٠٢ جرت مجرى بقية كتاب الانكليز في الوجهة التي اتخذوها من الاعجاب باليابان والامتداح من سياستها وجميع تدابيرها التي دبرتها ولاسيما في حربها مع الصين وغطت شيئًا على ما كان من مقاصدها في هذه الحرب كتوهم انها عادلة اقامت بها هذه الدولة حبًّا بالمدينة والانسانية وان الروس بخستها حقها وعمدت بغيًا الى اذلالها وانتزاع ثمرة انتصارها منها

ولا بدَّ لي من الاشارة هنا الى ان رجال الانكليز في اليابان اخذوا منذ سنة ١٨٩٥ في ان يثيروا خواطر اليابانيين على الروس ويؤصلوا بينهم الضغائن اي بدأوا بذلك حال انعقاد المحالفة الثلاثية على اليابان واخراجها من منشوريا وبورت ارثر . والذي حاولوهُ في كتاباتهم ورموا اليهِ جميعهم عن قوس واحدة هو ان كوريا ومنشوريا ضروريتان لكيان اليابان لا تقوم لها قائمةٌ بدونهما وان الروس باخراجهم منهما تعمدوا الضرب على اصول كيانهم وحياتهم وان وضع منشوريا تحت سيطرة روسيا هو وهدم استقلال اليابان شيءٌ واحد ونجحوا في ذلك حتى لم يبق احد في اليابان لهُ قول الاَّ ويقول بهذا القول ولم يقف الكتاب الانكليز عند هذا الحد بل اخذوا ينشرون المقالات الضافية الذيول عن الروس وعنف سياستهم وما في اداراتهم من الخلل والفساد وما بين رجالهم وشعوبهم من الضغائن والاحقاد ولا سيما عما في ماليتهم من الوهن والعجز حتى يخيل لمن يقرأ بعض هذه المقالات ان الروس على شفًا من الافلاس . وآخر مقالة لاحد كتابهم المشهورين في مجلة القرن التاسع عشر عنوانها تاريخ بورت ارثر صرَّح فيها هذا الكاتب ان اليابانيين بواسطة جواسيسهم الكثيرين عرفوا كنه الروس وما فيهم من الضعف والوهن وانهُ لا يلبث ان يكشفوا لاهل العالم اجمع عن ظاهر الامة الروسية المموَّه وباطنها المشوَّه ما كشفوهُ عن ظاهر الصين وباطنها في حربها الاخيرة معها

وخلاصة ما يقال ان الكتاب الانكليز في مدى سنين قلائل اصَّلوا في نفوس اليابانيين اشد الكره للروس وجرَّأوهم عليهم بما هوَّنوا من امرهم وما كشفوهُ عن مواطن الخلل والضعف في ماليتهم وجنديتهم ولا سيما الاخيرة لما يعترض دونها من بعد المسافات وصعوبة النقل والتموين وجاؤُوا على ذلك من الادلة والبرهين الظاهرة ما يخيل لكل من وقف على كتاباتهم ان الامر كما ذكروا . والظاهر ان جمهور الامة اليابانية اعتقدوا كل ذلك ولم يبقَ شيءٌ

يحذرونهُ او يخشونهُ في محاربة الروس الآ اتحاد فرنسا معهم وانضمام اسطولها الى اسطولهم وهذا ما دفع الحكومة اليابانية الى الالتجاء الى الحكومة الانكليزية وعقد معاهدتها المشهورة معها فضمنت لهم هذه غوائل هذا المحذور ووعدتهم انها تكون معهم تحارب بازائهم فيما لو انضمت دولة اخرى (اي فرنسا) الى روسيا وحاربت معها

ماذا كان بعد ان احتلت روسيا بورت آرثر

لا نحتاج ان نعيد ما كان من مقاصد روسيا ولا ما كان من اليابان في معارضتها لها انما نقول انهُ لما اتفق الدول الثلاث مع الصين واخرجن اليابان من كوريا ومنشوريا أُكرهت انكلترا اكراهاً على التسليم بالمعاهدة الثلاثية الصينية التي من مقتضاها ان تستأجر روسيا بورت آرثر على مئة سنة وان توصل بينها وبين املاكها في اسيا بسكة حديد ولم يكن يخفى شيءٌ من كل هذا على انكلترا ولا ان روسيا تغفل عن تحصين بورت آرثر وجعلها من القوة والمنعة بمكان

الآ ان روسيا لم تقف عند هذا الحدّ فان حوادث البوكسر سنة ١٩٠٠ مهّدت لها السبيل الى خرق اكثر ما وعدت بهِ في شأن منشوريا وذلك ان الحكومة الصينية المنشورية اشهرت الحرب على روسيا فتذرعت روسيا بهذه الوسيلة الى ارسال عساكرها الى منشوريا واخضاع الثوّار فيها وانجلى الامر عن عقد اتفاقية بين معتمدها في منشوريا وبين الجنرال تسانغ التتري في موكدن مؤدّاها ان تكون منشوريا سياسيًّا وعسكريًّا تحت سلطة روسيا. ثم لم تقف عند هذا الحد بل كان منها في فبراير (شباط) سنة ١٩٠١ ان عقدت بينها وبين الصين بواسطة سفيرها في بطرسبرج معاهدة سرية لم ترد روسيا ان تشهر شيئًا من موادها والظاهر انها كانت تثبيتًا للاتفاقية التي انعقدت بين معتمدها في موكدن وبين الجنرال التتري هناك والمرجح ايضًا ان من موادها ان يكون لروسيا معاملة ممتازة عن غيرها من الدول في كل الاملاك الصينية المتاخمة للاملاك الروسية ومن جملتها منشوريا

كلمة نقولها هنا في شان روسيا وانكلترا

انهُ لا يخفى على احدٍ ما بين هاتين الحكومتين من التغاير في المصالح ومنازعة السلطة والسيادة في الشرق اجمالاً وفي الولايات الصينية الشمالية خصوصاً . واشتدت هذه المنازعة بعد استيلاء روسيا على بورت ارثر فانها ولا شك عزمت على ان تجعل هذا الميناء القوي محطاً لاساطيلها في البحر الصيني تهدد بهِ انكلترا وسلطتها البحرية في تلك الجهات وتنازعها السيادة والغلبة هناك وذلك مالا تصبر عليهِ انكلترا ثم لم تكتفِ روسيا بما سوغتهُ لها المحالفة الثلاثية بل اغتنمت انشغال الانكليز في حرب الترنسفال فاحتلت منشوريا احتلالاً سياسيًّا وعسكريًّا

واشهرت احكامها العرفية في تلك البلاد الواسعة وزادت ايضاً على ذلك معاهدتها السرية بينها و بين الصين ففرغ لذلك صبر انكلترا . لكن كان قد فات الفوت عليها بمعنى انهُ لم يعد في امكانها ان تمنع احتلال روسيا في منشوريا ولا ان تقف دون تحصين بورت ارثر ولا دون مد الخط الحديدي في منشوريا الذي يربط بورت ارثر ومنشوريا معاً بعاصمة الروس في اوربا . فماذا تفعل انكلترا ؟ انها كحكومة اخذت في الاحتجاج على الروس واخذت معها في جانبها حكومة الولايات المتحدة وما زالت الدولتان في لجاج مع دولة الروس حتى اضطرتاها الى ان تفتح دلني ونيوشوانغ للتجارة العامة وان تخفض شيئاً من غلواء معاهدتها الاخيرة مع الصين . هذا ما فعلتهُ انكلترا من حيث هي حكومة واما من حيث هي امة فانها فعلت اضعاف اضعاف ذلك وبيانهُ

ان هذه الامة النشيطة لما رأت ما يتهدد تجارتها ونفوذها في المستقبل فيما لو تُوركت روسيا وشأنها بدون ان يصيبها صدمة تكسر من حدة شوكتها اشهرت حرباً عواناً على الروس كانت فيهِ الامة الاميركية على جانبها ايضاً لكن كان المحارب بين في هذه الحرب كتّابها وتجارها ومرسلوها ووكلاؤها جملةً على اختلاف انواعهم وطبقاتهم فان جميع هؤلاء قاموا قومة رجل واحد على الروس فاثاروا احقاد اليابان عليهم بما الفوا من الكتب وخطبوا من على المنابر ونشروا على صفحات الجرائد يظهرون من معائب الروس ومطامعهم حتى خيّلوا لليابان كما المعنا الى ذلك سابقاً انهم ان لم يبادروا الى كبح جماح هذه الامة المعادية في القريب العاجل فلا أمل لهم بالنجاة من مخالبها في المستقبل وما زالوا يفتلون منها في الذروة والغارب حتى اداروها الى عقد محالفة مع دولتهم فذهب المركيز ايتو السياسي الياباني الى لندن وهناك امضيت المحالفة الانكليزية اليابانية المشهورة . والحق ان الشعب الانكليزي هو الذي عقدها مع الحكومة اليابانية وأبقى حكومتهُ على ولاء مع حكومة الروس فان قلت وكيف يكون ذلك قلت ان الحكومة الانكليزية لم تعاهد اليابان على حرب الروس وان كانت تعرف انهُ سيعقب هذه المحالفة الحرب بين هاتين الدولتين بل عاهدتها على ان تمنع حليفة الروس اعني فرنسا من انجادها باساطيلها وهذا مما تصرّح بهِ الحكومة البريطانية لاتتكتم بهِ ولا توارب فيهِ وتصرح معهُ ايضاً وهي صادقة انها على الحياد التام في الحرب الحاضرة . ولنمسك الآن عنان القلم فان الكلام قد طال وفيما ذكرنا ما ينبّهُ الى كثير مما لم نذكر وربما عدنا الى ذكر ملاحظاتنا عن هذه الحرب ونتائجها في عدد آخر والسلام

م . ع . ج

عدوى السل والوقاية منهُ (١)

سيدي الرئيس واساتذتي الكرام . افتتح الكلام بالثناء عليكم لما اوليتموني من الشرف العظيم بانتخابي لتقديم هذا الخطاب . غير اني أودُّ لو كنت من السامعين وكان مكاني من هو كفوءٌ لهذا المقام . وما اخرني عن الاعتذار سوى خوفي ان يُعدَّ ذلك عصياناً لامر من وجبت عليَّ طاعتهُ ويخلاً بخدمة مدرسةٍ غمرتني بالفضل والاحسان . ولذا فقد لبيتُ الطلب وانا اعلم الناس بقصر باعي وبعد المطلب

ان ما جرَّأني على الوقوف لديكم ايها السادة والسيدات على الاكيد بأن هذا المحفل يضمُّ نخبة اهل العلم والادب . فيترفقون برجل عزم ان يبذل الجهد المستطاع في سبيل رضائهم وان كان لا يطمع ان يفوز بالمَرام فالرِفق والحِلم من شؤُون الكرام . ولي كلمةُ اعتذارٍ أُخرى عن موضوع الخطاب وهي انهُ قديمٌ مبتذل وقد بحث فيهِ من قبلي من هو اجدر بالخوض فيهِ مني ومع هذا فقد اقدمتُ عليهِ لاسباب جمَّة أخصُّ بالذكر منها ثلاثة

الاول ان مرض السل كان ولم يزل يشغل افكار اعاظم الرجال وعليهِ مدار البحث في اكثر الجمعيات الطبية وهو يفتك بالناس فتكا ذريعاً فكم من عين ابكاها وكم من قلبٍ ادماهُ فقد قدروا ما يهلكهُ في انكلترا وويلس فقط باربعين الف نسمة في السنة الواحدة . وان في فرنسا اليوم اكثر من خمس مئة الف مصاب اي واحداً من ثمانين من عدد سكانها . وان نصف الذين يمرضون في المانيا من قطاعي الحجارة والبنائين وحفّاري المعادن يصابون بهذا الداء . قال الدكتور براموَل ان عدد الذين يموتون بالسل في اوربا بقدر عدد الذين يموتون بسائر الامراض المعدية . وقال الدكتور هاي وَرد لولا السل لكان متوسط حياة كل مولود يزيد سنتين ونصفاً عن متوسطهِ الحاضر واذا عملنا هذا العديل بعد سن الخامسة عشرة تكون الزيادة ثلاث سنوات وربعاً

الثاني ان هذا الداء الفتاك وان اشتدَّت وطأتهُ وجُهلت للآن طرق علاجهِ وادويتهُ فهو قابل الاستئصال وتجنُّبهُ هيّن وان كان الشفاء بعد تمكنهِ من الجسم ضرباً من المحال فقد قرر بعض المدققين ان وفيات السل في بلاد الانكليز نقصت نحو ٥٠ في المئة مدة الخمسين سنة الاخيرة بتحسين التدابير الصحية فقط . وبعد هذا اهتم الناس كثيراً بأمرهِ فألفوا الجمعيات

(١) الخطبة السنوية في احتفال المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت تليت في ١٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤

الكبيرة وصرفوا الاموال الباهظة لقطع دابره وشادوا المباني العظيمة لعزل المصابين ومعالجتهم بالهواء النقي والتعرض لنور الشمس وحرارتها فأتى ذلك ببعض الفائدة ولكن دون المنتظر . واخيرًا اجمع الكلّ على ان افضل الوسائط لنيل المرغوب تعليم العامة احسن طرق الوقاية

الثالث وهو اهمّ ما حداني الى انتقاء هذا الموضوع ما اراهُ في بعض مواطنيّ من الخوف العظيم من عدوى السل حتى انهم لايدخلون بيتاً فيهِ مسلول ويهربون من وجه ذلك المسكين اذا صادفوهُ في الطريق كما يهربون من الافعى فساءت حالة المصاب بينهم الى حدٍّ يرقّ لهُ قلب الجماد ويفرض على محبي الانسانية النهوض لنصرتهِ والتخفيف من بليتهِ . والبعض الآخر يخالفونهم كلّ المخالفة فهم لا يعتقدون بالعدوى اصلاً ولا يستعملون اقلّ وسائط التوقي فتفشى الداء بينهم وازدادت الاصابات و باتوا في خطر يستوجب النظر والاهتمام ولذا انتهزت هذه الفرصة لعلّ صوتي الضعيف يحرك في قلوب اهل المكانة والاريحية واصحاب الجرائد والاقلام غيرةً وحميّةً فيواصلوا السعي في التحذير والنصح حتى تتنوَّر عقول العامة ويدركوا اهمية الاعتناء بالصحة ونظافة البيوت ويعتدلوا في خوفهم

ولما كان الوقت المعين لهذا الخطاب وجيزًا فسأقصر البحث على عدوى السلّ الرئوي فقط واذكر لمحة في الوقاية منها بوجه الاختصار غير متعرض للكلام عن العدوى الثانوية التي تتصل بالرئة احياناً بعد التدرن المعوي وتدرُّن العظام والغدد اللمفاوية (وهو ما يسميهِ العامة بالخنازير) واضرب صفحاً عن انتقال ميكروب السل من الحيوان الى الانسان وعمّا حدث من الاختلاف في هذا الشأن اذ لو ثبتت دعوى الذين يؤيدون هذا الرأي لكان انتقال الميكروب الى جسم الانسان يتم باكل لحم او لبن الحيوان المصاب ويتسبب عنهُ التدرُّن المعوي اولاً وهو خارج عن موضوعنا الآن

اتّفق جمهور الاطباء على ان السلّ في الانسان يحدث من استنشاق باشلُس كوخ (اي ميكروب السل) مع الهواء وتوطنهِ في رئة من توفَّرت فيهِ بعض الاسباب الآتية

اولاً انتهاك القوى الحيوية بسبب مرض مزمنٍ اعترى الجهاز الهضمي حتى لم يعد يقوى على اعطاء الجسم ما يلزمهُ من الغذاء

ثانياً الاصابة بمرض في الدماغ . وهو الآلة التي تدير الجسد وتصونهُ من كل شرّ وضرر وكاني بهِ مثل حارس على باب حصنٍ منيع اذا غفل عن حراستهِ يسهل فتح الحصن لجيش العدو وهذه حقيقة تؤيدها كثرة الاصابات بالسل بين المجانين

ثالثاً اهمال الرياضة البدنية فتضعف عضلات الصدر ويصبح التنفس قصيرًا فلا يتبدَّل

الهواء في الرئتين تبدلاً كافياً وتقف حركة قمتيهما تقريباً فيسكن الميكروب فيهما آمناً مطمئناً

رابعاً الافراط في شرب الخمر واطالة السهر وادمان عادة سيئة لا يسعني سوى الاشارة اليها في مثل هذا المقام والازدحام في بيوت رطبة لا تدخلها الشمس ولا يتبدل فيها الهواء وعدم الحصول على الغذاء والملابس الضرورية والرزوح تحت اثقال الهموم والاحزان مع الافراط في الاشغال العقلية الى ما شاكل هذه من الامور التي تؤثر في الجهاز العصبي والهضمي معاً وتسبب فقر الدم والهزال

خامساً ان الامراض الصدرية كالنزلة الوافدة وذات الرئة وذات الجنب وغيرها اذا اهملت معالجتها وطال زمن النقاهة منها تترك في الرئة قروحاً وضعفاً تلائم نموَّ الميكروب

سادساً ان يكون في المصاب استعدادٌ موروث وهذا لم تفهم حقيقتهُ جليًّا الى الآن الاَّ انهم يعتقدون انهُ يقوم بضعف في البنية وفي جوهر الرئتين يجعلها قابلتين لنمو ميكروب السل بنوعٍ خصوصي وقد قرروا ايضاً ان من الممكن السهل التغلُّب على هذا المزاج او الاستعداد بملاحظة كل ما من شأنهِ تقوية الجسم والعضلات

سابعاً واخيرًا الخوف . ولولا خشية الانتقاد لوضعت هذا البند اولاً ومن منكم لايعلم تأْثير الخوف في زمن انتشار الامراض الوبائية وكم يسبب فيها من الوفيات وكثيرًا ما يكون مفتاح السل ومجلبةً على ان ضيق المقام يمنعني من تأْييد ما قلت بالبرهان

هذا واني أرى في وجوهِ البعض علامات الدهشة والريبة وكأَني بكم تقولون كم شاهدنا من اصحاب الاجسام القوية الذين ذهبوا ضحية هذا الداء المشؤُوم . نعم ان ذلك قد يحدث احياناً ولكن لابُدَّ ان يسبقَ اليهِ شيء من الشروط المار ذكرها . ولو تفحصتم الامر بالتدقيق لتأَكدتم صدق مقالي . واعلموا ان هذه حقائق وصل اليها كبار العلماء بعد البحث الطويل فان ميكروب السل وان كان كثيرًا منتشرًا في الهواء فهو ضعيف لا يقوى على الاقامة في الجسم الصحيح ولأَزيدكم اعتقادًا بصحة ما اقول واسكن جاش من يخاف بطش هذا الداء الهائل أُتحفكم باقوال اشهر الاطباء في هذا الصدد

قال العلامة الدكتور كوخ في خطابهِ المشهور في لندن سنة ١٩٠١ ان من الغلط الواضح ان تعدَّ عدوى السل مثل عدوى الجدري . وقال الدكتور باين ان العدوى في الامراض الوافدة تختلف باختلاف قصر مدة المرض وطولها فما كان منها قصير الاقامة تكون عدواهُ شديدة وسريعة كما هي الحال في الحصبة والكولرا والعكس بالعكس كما في السل والجذام وذلك على مبدإِ حفظ النوع فالميكروب الذي تكون اقامتهُ في جسم المصاب طويلة لهُ فرصة طويلة

للانتقال الى جسم آخر ولانتقاء من تتوفر لهُ في اجسادهم اسباب النمو والمعيشة وبعكسهِ ما كانت مدتهُ قصيرة فيكون اشد هجوماً ويقتحم كلَّ من يلقاهُ في طريقهِ خوفاً من فوات الوقت وانقراض نوعهِ

وقد نشرت الجمعية الطبية البريطانية منشورًا على اعضائها تسألهم فيهِ عن رأيهم في عدوى السل فورد عليها نيف والف جواب استنتجت منها ان العدوى في هذا المرض لا تتم الاَّ بعد المخالطة الطويلة التامة كما بين الزوج والزوجة فيما اذا كان المعدى مستعدًا لقبول المرض واهمل الاحتياطات اللازمة لوقاية نفسهِ · وفي مستشفى فريدرخستين في برلين المختص بمعالجة المسلولين ٤٥٩ مستخدماً بين ممرض وخادم وطبيب خدموا فيهِ مدات متفاوتة فلم يسرِ المرض الاَّ الى اربعة منهم واثنان كانا مصابين قبل دخولهما في خدمة المستشفى · في فنتنور يسكن المستخدمون البناء الذي يسكنهُ المرضى وقد عالجوا ١٥٥٠٠ مريض في مدة ٢٢ سنة وخدم ٦٧٨ شخصاً منهم ٦٢ طبيباً بقوا كلهم اصحاء و ٢٠٨ اشخاص بين ممرض وممرضة اصيب منهم ثلاثة فقط و ٤٠٧ من الخدمة لم يصب احدهم بضرر وهكذا في مستشفيات اخرى

ومما يزيدكم دهشة وذهولاً ان الدكتور اوسلر الطائر الصيت احصى عدد الميكروبات الموجودة في بصاق مريض واحد في مدة ٢٤ ساعة فوجدها تتراوح بين ١٥٠٠ مليون و ٤٣٠٠ مليون· تصوروا كم من ملايين الملايين تخرج من صدور خمس مئة مريض في منزل واحد وكيف ينجو المئات من الخدمة الذين يقيمون بينهم نهارًا وليلاً مدة ايام وسنين طوال

اما طريقة انتقال هذا الميكروب من انسان الى اخر فقد اختلف فيها الباثولوجيون فمنهم من قال ان جراثيم العدوى موجودة في بصاق المريض فقط وهذا متى جفَّ يتطاير منهُ الميكروب مع الغبار فيدخل الرئتين مع الهواء وهو رأْي كورنه واتباعهِ · اما فلوك واتباعهُ فقد اثبتوا ان الخطر الاكبر من النقط الصغيرة المتقذفة من فم المصاب وقت السعال اذ هي تنتشر حالاً في الهواء ووافقوا على الرأْي الاول ايضاً وهو القول الصحيح المعوَّل عليهِ اليوم

بقي عليَّ الآن ان اذكر لحضراتكم افضل وسائل التوقي فاقول · يجب على كل من كان فيهِ استعداد موروث او مكتسب ان يصرف جلَّ اهتمامهِ لتقوية بنيتهِ عموماً وعضلات صدرهِ خصوصاً وهذا يتم بواسطة التمرين بالجمناستيك والرياضة في العراء والاعتناء باللبس والطعام وبترك الاشغال المضرة التي تجبرهُ ان يتنشق كميةً وافرةً من الغبار او تقيدهُ بالاقامة في دكان او مكتب فاسد الهواء واذا اصابهُ مرض صدري وجب عليهِ ان يعالجهُ حالاً وان يسكن بيتاً ناشفاً نظيفاً معرضاً لحرارة الشمس ونورها وان ينبذ كلَّ إفراط في المعيشة ويتجنب مخالطة

المسلولين مخالطةً طويلة

واما ما ينبغي استعمالهُ في غرفة المصاب فقد جمعهُ الدكتور نيوز هولم في خطاب القاهُ على المتخرجين في مستشفى مونت فرنون فقال

ان السل مرض معدٍ لدرجةٍ محدودة ينتشر بالاخص باستنشاق باشلس كوخ فعلى المصاب ومن التزم تمريضهُ رعاية الامور الآتية حبًّا بمصلحة الفريقين لان المريض قد يصاب ثانية بتعرضهِ لعددٍ غفير من الميكروب

اولاً ينبغي ان يبصق المصاب في اناء مخصوص وضع فيهِ كمية من سائل يصفهُ الطبيب لهذه الغاية وعند امتلاء الاناء تتلف محتوياتهُ بان يضاف اليها قليل من محلول السليماني او غيرهُ ثم تدفن في الارض او تحرق ويطهر الاناء بالماء المغلي قبل ارجاعهِ لغرفة المريض وان يضع المريض امام وجههِ منديلاً لالتقاط النقط الصغيرة التي تخرج من فمهِ وقت السعال وهذا اذا كان من ورقٍ ياباني يحرق وان كان من قماش يوضع في الماء المغلي او في محلول سامّ بعد استعمالهِ ببضع ساعات واذا خرج المريض بقصد التجول في ازقة البلد او السفر في مركبة عمومية فعليهِ ان يحمل زجاجة خصوصية لوضع البصاق تكون ذات فمٍ واسعٍ وسدادةٍ محكمة

ثانياً انهُ لا يكتفى بازالة الغبار وكناسة غرفة المصاب على الطريقة المألوفة بل يجب ان تمسح جدرانها وارضها بخرقة مبللة بالماء

ثالثاً ان اشعة الشمس والهواء النقي ألد اعداء باشلس كوخ وعليهِ يجب ان تكون غرفة المريض معرضة للشمس وان تبقى نوافذها مفتوحةً في الليل والنهار بشرط ان لاينام المريض في مجرى الهواء

وانا اضيف اليها بنداً آخر فات الدكتور المومأ اليهِ وهو ان لا يبلع المصاب شيئاً من البصاق الذي يخرج من صدرهِ خشية انتقال المرض الى امعائهِ

واضيف ايضاً ملاحظتين مهمتين الاولى ان نفَس المصاب خالٍ من الميكروب الاّ وقت السعال والثانية ان ذوي الاجسام الصحيحة الذين يوجدون في ظروفٍ كهذه لا خوف عليهم من العدوى البتة

وقد طبعوا هذه البنود ومثلها على وريقات وزعوها بين الناس في اكثر البلدان المتمدنة فحبذا لو اقتدينا بهم في مثل هذا العمل البسيط المفيد كما نقتدي بهم في الازياء والعادات ولي الرجاء ان كلامي هذا ينبه جرائدنا الوطنية للاهتمام بهذا الموضوع الخطير

علي علم الدين

كلام في التربية[١]

ايها المحفل الكريم

اذا جريت على عادة خطبائنا المألوفة جعلت مقدمة خطابي الشكر والاعتذار — الشكر للحضور والاعتذار عن القصور

اما الشكر فواجب آخذُ بهِ واقدمهُ عن طيبة خاطر اولاً لمن ظنوا بي حسناً فدعوني للخطابة في هذه الحفلة الوفورة وثانياً لمن تكرموا بالحضور للاستماع

واما الاعتذار عن القصور وعدم الاهلية وما جرى مجراها فاني احسبهُ مظهراً من مظاهر المداهنة يأخذ بهِ الخطيب افتخاراً لا اعتذاراً واذ ذاك فاني اعدل عنهُ الى الالتماس من كل كريم مستمع ان ينبهني في النهاية الى كل ما غاير مفتكرهُ في كلامي فان في ذلك ازدياد التفاهم وتبادل الفوائد

ايها السادة والسيدات

حول مدينتكم الزاهرة صيداء بقعة غبياء لاتكاد العين تأخذ اطرافها . جنائن ناضرة وبساتين عامرة يتعهدها اصحابها فيسقونها ويحرثونها ويهذبونها ويسمدونها ويستأصلون منها ما يضر ويدخلون عليها ما ينفع وبذلك كلهِ يتسنى لهم ان يستغلوها ويجنوا اثمارها المشهورة كالبرتقال والمشمش والموز والرمان وغيرها

سقي وحرث وتسميد وتهذيب واستغلال — كل ذلك من مقتضيات التربية في عالم النبات والناظر الى الشجرة الكبيرة ينسى انها كانت بادئ بدء بزرة صغيرة لا قيمة لها حسب الظاهر مع ان في طيها جوهر الشجرة وهيئتها ونسب اجزائها بعضها الى بعض وهي لم تصل الى ماوصلت اليهِ من النمو والتكامل الاَّ بعد ان تمكنت من التربة وتعرضت لفعل الماء والشمس والهواء . والانسان ايها السادة مثل الشجرة يولد طفلاً لا عقل لهُ حسب الظاهر ولا ادراك انما في طيات دماغهِ الصغير قد اودع جوهر الرجل الكبير بقواهُ واميالهِ التي تُتجلى في مدى الحياة وهذه القوى والاميال قابلة الارتقاء وارتقاؤها يسير على نظام محدود بحسب ما نتعرض لهُ من احوال التربية الموافقة او غير الموافقة

والغريب ان الواحد منا يربي بستانهُ ويربي فرسهُ لكنهُ قد يغفل تربية اولادهِ وهم اثمن

(١) خطبة تليت في احتفال مدرستي الصبيان والبنات الاميركيتين في صيدا

شيء عنده واعز ملاك لديهِ . يختار ابرع بستاني فيسلم اليهِ ادارة بستانهِ ولكنهُ قد يسلّم ادارة بيتهِ الى امرأة لا تحسن ادارة ويلقي تربية اولادهِ الى مرضع او الى مربية لا تعرف عن التربية القويمة شيئًا. هذا ما حداني الى الكلام عن التربية في هذه الليلة — التربية التي يعتمدها اهل التهذيب في البيوت والمدارس

والموضوع يا سادتي اوسع من ان يلم باطرافهِ باحث واعمق من ان يسبر غوره مستقصٍ ولكن ما لا يدرك جلهُ لا يترك كلهُ وعلى هذا فاني قد طويت في خطابي بعض ما اجمع عليهِ مديرو التهذيب من اوجه التربية المفلحة التي تتناول طبائع الانسان الجسدية والعقلية والادبية

كان الناس يعتقدون ان الانسان هو المخلوق العظيم الذي من اجلهِ تشرق الشمس ويطلع القمر والنجوم وتهطل الامطار وتنبت الارض اما اليوم فقد زال هذا المعتقد وعرف الانسان انهُ من خلائق الله العاقلة خلقهُ الله في الطبيعة ليفهمها ويدرس يد الله فيها ويدرك نواميسها وقواها ويستخدمها لمنفعتهِ

عرف ان الطبيعة عادلة في احكامها واعمالها لا تحابي بالوجوه ولا تترك الزلات بل تجازي كل واحد حسب اعمالهِ سواء كان المالك او المملوك الكبير او الصغير

عرف ان نواميس الخالق تقرأ في كتاب الطبيعة كما تقرأ في كتاب الوحي وانها ثابتة في الكتابين لا تغيرها اراء الناس واحوالهم فالنار تحرق والجاذبية توقع وتغرق كما ان الخطيئة تؤذي والشر يضر

عرف ان التربية القويمة هي التي توفق بين الانسان والطبيعة وتجعل الانسان العاقل يختال في صحبة الطبيعة غير العاقلة فيجتنب اذاها وينتفع بقواها

وقف على الراي القديم ان الفرد هو لا شيء بالنسبة الى الجماعة وان كل مصالحهِ وقواهُ واملاكهِ ينبغي ان تضحى لاجل مصلحة الجموع وقيام الهيئة التي هو فيها وقابلهُ بالراي الحديث الذي رن في شوارع باريس سنة ١٧٩٤ وهو ان كل فرد هو المتصرف المطلق بنفسهِ وحظوظهِ يتمتع بالحرية التي يريدها ولا يحق لاحد ان يعترضهُ . ثم وفق بين الرايين واختار اوسط الطرفين وقال ان الحياة القويمة هي التي تعتبر فيها حياة الفرد جزءا من حياة الجمهور

رأى الناس في العصور الخوالي وتتبع سيرهم في العصور المظلمة وراقب نهضتهم في العصور الحديثة . راقب هبة العلم وتغلبهُ على الاوهام . راقب المرؤوس يطالب بحقوقهِ الرئيس . راقب قيام دولة وسقوط اخرى ورافق الدول الحديثة في سيرها يبحث عن دواعي تقدمها

نعم رأى كل ذلك وحكم ان عمران البلاد ليس الاَّ مظهرًا مجملاً للتربية التي تعتمدها تلك

البلاد وخير التربيات ما كان قائماً على اسس العلم مدعوماً بعمد العمل وهذا ما نسميهِ بالتربية المفلحة

كيف يربى الولد في البيت ؟ كيف يربى في المدرسة حتى اذا خرج الى العالم لينشئ بيتاً مستقلاً او يتعاطى عملاً ما عرف كيف يتصرف التصرف الحسن الذي يعود عليهِ بالفلاح ؟ هذا سؤال لا يجيب عليهِ المسؤول المدقق ما لم يسأل ما هي الغاية من التربية لان الوسائط تتوقف على الغاية

فاذا شئت ان تربي ابنك على الفروسة وحب الغزو والنهب والمعيشة الاستقلالية كما يتربى اهل البادية فلذلك طرق ووسائط

واذا شئت ان تنشئهُ على حب التنسك والزهد في الدنيا والانقطاع عن الناس للتقشف والتبتل فان لذلك وسائط ايضاً

واذا شئت ان تنشئهُ على التعصب في الدين فتبغضهُ الى غيرهِ ممن ليس على دينهِ وتضيق عقلهُ حتى لا يرى الفضل الاّ في دينهِ وتابعيهِ فان لك وسائط لذلك

واذا شئت ان تربيهُ على حب العظمة والجاه والفخفخة في اللباس ومظاهر الزينة والحلى والافتخار بالحسب والنسب والتكبر على الغير فان لك وسائط لذلك ايضاً

واذا شئت ان تربيهُ على فهم نفسهِ وادراك ماحولهُ وتغذيهُ بالمعارف والاختبارات التي تحتملها طبيعتهُ وتدربهُ على اكرام غيرهِ والمحافظة على حقوقهم وتنشئهُ على حب الفضيلة وكره الرذيلة والتمسك بالصدق في اقوالهِ واعمالهِ والطاعة للخالق وخدمة المخلوق فان لك وسائط لهذا ايضاً

والخلاصة ان الغاية من التربية هي ما يختلف فيهِ الناس وبذلك تختلف وسائطهم واختلاف الغايات نتيجة اختلاف الطبائع ومقتضيات الاحوال

سهل ايها السادة على الغربي الذي يأتي بلادنا ويجول بين اهلها ويرى تباغضهم الطائفي وتعصبهم المذهبي وتلاعبهم في معاملاتهم ان يحكم عليهم بفساد التربية . سهل عليهِ ان يلطخهم بالكذب والمداهنة وعدم الدقة في اعمالهم . سهل عليهِ ان يقول ما يشاءُ ويشاؤهُ تسرعهُ بالحكم لانهُ لم يدرس طبيعة البلاد ولم يقف على تاريخ اهلها فيما مضى ولو فعل ذلك لابرم حكمهُ على اسلوب بعض ما يقال عنهُ انهُ دقيق محكم . فسورية التعيسة ساحة القلاقل السياسية ومعترك الحروب الدولية ومقر الاختلافات الطائفية ومعرض الفتن الاهلية هي التي ولدت اولادها وربتهم على حب التعصب والتشيع فحكم عليهم الغربي بما حكم

اما سورية السعيدة فهي الارض الممتدة من حلب شمالاً الى عريش مصر جنوباً الى الصحراء شرقاً . جبال شامخة وسهول واسعة . انهر واودية . حراج وجنائن . جوٌ صافٍ وشمس مطهرة هي الارض التي تفيض لبناً وعسلاً

هذه سورية السعيدة بسمائها ومائها وهوائها لا بسكانها هبت عليها نفحة من التمدن الغربي والقت فيها مع ما القت بزوراً من اثمار التربية الحديثة فنبتت وكبرت واخذت تنمو من سنة الى سنة حتى ظننا ان العمران قد زحف الينا بخيلهِ ورجلهِ وانهُ لا يطول على سورية الزمان حتى نراها بفضل التربية الحديثة زاهية زاهرة . على ان هذا الظن ما لبث ان تحول الى شك عندما شاهدنا ان سوق هذه التربية لا تروج في سورية وان ابناءها مضطرون الى السعي وراء رزقهم حيثما تنسموهُ وهكذا باتت سورية وكثير من خيرة ابنائها بعيد عنها في مصر والسودان واميركا واستراليا . افننقم من التربية الحديثة لانها حملت البنين على هجر الوالدة ام نلقي اللوم على الوالدة لانها لم تحسن القيام على البنين ? هذا سؤال يتعذر الجواب عليهِ فاتركهُ لكم واسأل ما هي التربية التي تعوزنا اذاً ? ما هي التربية التي اذا اعتمدناها نحن نخطو في سبيل الفلاح سواء عشنا في سورية او غيرها ? وعلى هذا اجيب

للتربية ثلاث وجهات وجهة جسدية ووجهة عقلية ووجهة ادبية او اجتماعية ففي الوجهة الجسدية يتدرَّب الانسان منذ الصغر على الاعتناء بجسمهِ وصحتهِ . هذا الجسد الغريب الصنع والتركيب اثمن ما يملكهُ الانسان على هذه الارض وقد لا يملك شيئاً سواهُ ومع ذلك فانهُ كثيراً مايتصرف بهِ تصرفاً يضرهُ . من اين الاوجاع والآلام والامراض والعلل الجسدية على اختلافها ? اليست من جهل الانسان وتماديهِ بامور تضر بهِ ?

وعليهِ فان من اول واجبات الانسان ان يتربى على معرفة المحافظة على جسدهِ وصحتهِ ويتعود العوائد التي تكفل لهُ حسن الصحة والتمتع بمحاسن الطبيعة وجمالها

نسمع بالحرب وفظائعها وقتلاها فنستكبرها ونقدح فيمن سببوها ولكن ليكن معلوماً ان عدد الذين يقتلون نفوسهم اضعاف اضعاف الذين يقتلهم الناس ولا اعني بقتل النفس الانتحار بل عمل ما يسبب الموت جهلاً لنتيجة العمل

وهنا نرجع الى الطفولة مغرس العوائد والاكتسابات ونقول ان من واجبات الام ان تعرف كيف تربي الاطفال ليشبوا اقوياء البنية ميالين للحركة والرياضة الجسدية . والام التي تنهى ابنها عن كثرة اللعب خوفاً عليهِ من المرض او من ان يقع ويكسر يدهُ هي ام تجهل اسباب المرض وكسر اليد والاب الذي يكون في البيت ويرى اولادهُ يلعبون ويضحكون ويزعم

ان هذا مما يحط من هيبتهِ كاب فيصرخ بهم بلهجتهِ العنيفة ليسكتوا هو اب يجهل معنى الابوة

قال احد علماء التربية ان كلمة اهدأ يجب ان لا تقال للولد والمعنى انهُ اذا كان الولد يلعب او يلهو بشيء ما فهو يفعل ذلك مدفوعاً بطبيعتهِ التي من قوامها ان تطلب اللعب والحركة الكثيرة وهدوءُهُ ينبغي ان يتسبب من الداخل من اكتفاء تلك الطبيعة بمقدار الحركة لا من الخارج من شخص متسلط على الولد ينهاهُ عن اللعب لانهُ لا يشعر معهُ بلزومهِ

مشهد ايها السادة من مشاهد التربية الجسدية

في الصيف الماضي قصدت عبيه لزيارة رئيس المدرسة الكلية فقيل لي انهُ خرج مع عائلتهِ للنزهة على عدوة واد قريب فتبعتهُ على الاثر واذا هو وامرأتهُ واولادهُ مشمرون عن سواعدهم وبيد كل عصا طويلة يستعين بها على هبوط الوادي . فانضممت اليهم ومشينا معاً حتى بلغنا محلاً مشرفاً على ما حولهُ فجلسنا نستريح وكان هناك شجرة باسقة لا يزيد قطر بدنها عن عشرة قراريط فعمد اليها ابن الرئيس وهو في الخامسة من عمرهِ وطوقها بذراعيهِ واخذ يتسلقها وابواهُ ينشطانهِ الى ذلك غير مبالين بالهوة التي تحت الشجرة حتى تعب فنزل وقامت اختهُ وهي اكبر منهُ وحاولت ان تتسلق الشجرة مثلهُ فلم تستطع ثم قامت اختهُ الثانية فحاولت الطلوع وفازت فصفقوا لها استحساناً

رأيت هذا المنظر فقلت في نفسي من هو الوالد الشرقي او من هي الوالدة الشرقية اللذان يريان اولادهما يتسلقان الاشجار فينشطانهم الى ذلك لتقوى اعصابهم وتنفتل عضلاتهم . هذا سر من اسرار تقدم الامم السكسونية سر تربية الصغار وتنشئتهم على الاعمال التي تقوي ابدانهم وعقولهم وتجعلهم يميلون الى الاستقلال منذ الصغر

نحن لا ننتظر من الجيل القديم الاَّ ان يبقى على قدمهِ اما من هذا الجيل فاننا ننتظر الاصلاح من بني التربية الحديثة وبناتها منكم انتم ايها الفتيان والفتيات نتوقع اصلاح البلاد باصلاح التربية فيها

ومع تربية الجسد ينبغي ان يربى العقل فكما ان الجسد يستلزم الغذاء والحركة الذاتية لنموهِ وصحتهِ هكذا العقل يستلزمهما ايضاً . وغذاء العقل ما يلقى اليهِ من المعارف والاختبارات من القصص والحكايات من اجوبة الاسئلة التي يوجهها الولد الى مربيهِ وتمرينهُ يتم بان يسال عما تعلم وعما يجيب على هذا السؤال وتلك القضية وما شاكل ذلك من التمارين العقلية

ولا يمكنني ان اطيل الكلام في هذا . انما خلاصة ما اقولهُ ان غذاء العقل كغذاء الجسم ينبغي ان يكون معتدلاً قابلاً للهضم والتمثيل . وما مثل الذي يكلف الصغير حفظ مالا

تحمله طبيعتهُ الاَّ مثل من يقدم اللوزة للطفل الصغير وينتظر منهُ ان يأكل لبها فيضعها في فمهِ ويبلها بريقهِ ثم يبصقها الى الارض ولو قدمت تلك اللوزة الى ولد اكبر لعرف كيف يستخرج لبها وتلذذ بأكلهِ

هل تتصورون ايها السادة ان من الناس من يحشو معدتهُ بالمواد العسرة الهضم ويبقى سالماً ؟ هل رأيتم ولداً يطعم ما يكره على ابتلاعهِ دون ان يمرض

ولكن هل رأيتم معلماً يحشو ذاكرة تلاميذهِ بالفاظ وعبارات لا يفقهون لها معنًى دون ان تقل رغبتهم في الدرس ؟ هل رأيتم معلماً يرسم اعمال الحساب على اللوح الاسود ثم ينقلها الى دماغ التلميذ بضربهِ على يديهِ او قدميهِ . لماذا يجرُّ بعض الاولاد جرًّا الى المدرسة ؟ ممَّ يخافون وماذا يكرهون ؟ ايخافون الجلوس على المقعد وفتح الكراسة ذات الصور ؟ أيكرهون القراءة والكتابة ام يخافون المعلم وقضيب الرمان ويكرهون الكف وفرك الآذان ؟

من منا يسلم ادارة بستانهِ الى بستاني غير خبير ؟ ولكن كم هم الذين يسلمون اولادهم الى معلم لا يعرف من التربية الاَّ اطرافها يستقرئ الولد او يستكتبهُ فاذا جاء بالمطلوب فبهِ والاَّ ضربهُ فكأن التعليم ينال بالضرب وقسر الارادة لا بفهم طبيعة التلميذ واستخدام الطرق المناسبة لها

نسمع التلامذة عادة يشكون من صعوبة اللغة العربية ولا يميلون الى درسها والذنب في ذلك ليس على اللغة بل على المؤلف اولاً وعلى المعلم ثانياً لانَّ تآليفنا اللغوية عبارة عن مجموعة قواعد للاستظهار معظمها تافه ويزيد المعلم طينتها بلة بانهُ يجري عليها حرفاً حرفاً على منوال واحد فكأنهُ ينسى ان مطالب هذا العصر غير مطالب العصور السالفة ودخول اللغات الاجنبية زاحم لغتنا وتركها في مقام حرج في المدارس العالية

فمن لنا بمدرسين يتخذون صناعة التدريس لا لسهولتها بل لسموها وما يترتب على اتقانها من التأثير البليغ في عقول التلامذة واخلاقهم واذ ذاك فلا يكتفون بالنسج على المنوال القديم بل ينصبون على درس اصول التربية واساليبها القديمة والحديثة ويجعلون همهم الاول فهم طبيعة التلميذ ودرس اخلاقهِ واميالهِ وملاحظة نموهِ في القوى العقلية ثم يستخدمون الاساليب التي توافق تلك الطبيعة وتزيد التلميذ رغبة في الدرس والاستفادة

ليعلم المعلم انهُ هو طباخ التلاميذ يطبخ لهم الطعام العقلي ويقدّمهُ اما رديئاً يعسر هضمهُ ويؤلم واما جيداً يلذ طعمهُ ويغذي واذ ذاك فمن واجباتهِ ان ينوّع مطبوخاتهِ ويناولها كميات تناسب سن التلميذ وذوقهُ ومقدرتهُ على الهضم والتمثيل . وكما ان الجسم لا يكتفي بالغذاء بل يطلب معهُ الحركة والتمرين هكذا على المعلم ايضاً ان يحرّك دماغ التلميذ باسئلتهِ ويمرنهُ على

الافتكار والاستنتاج العقلي وتمييز الصحيح من الغلط · هذا ما ينبغي على المعلم ان يتوخاه وهذا هو مرمى التربية العقلية

اما التربية الاجتماعية فهي من اوجه شتى اهم من غيرها · كيف نعيش . قال سبنسر ليس السؤال المهم لنا كيف نعيش بالمعنى المادي بل باوسع معنى كيف نعامل الجسد ؟ كيف نعامل العقل ؟ كيف ندير اعمالنا ؟ كيف نربي العائلة ؟ كيف نسلك كمدنيين ؟ كيف نستخدم مصادر السعادة التي تجهزها لنا الطبيعة ؟ كيف نستعمل قوانا كلها لمنفعتنا ومنفعة الغير ؟ وبعبارة اخرى كيف نستكمل المعيشة ؟ اسئلة كثيرة يرد جوابها هربرت الفيلسوف الالماني بقولهِ « ان الغاية من التربية بنيان القوى الادبية في الانسان » هنا ملتقى التربية البيتية والمدرسية استكمال المعيشة باستكمال القوى الادبية

وعليهِ فسواءُ ربِّي الفرد ليكون صانعًا او تاجرًا او زارعًا او جنديًّا او حاكمًا او غير ذلك فليتربَّ على الرجولة الحقة ولتكن هذه مركزًا تدور عليهِ علومهُ وصنعتهُ ومعاملاتهُ مهما كانت والرجولة الحقة صورة كمالية اساسها معرفة النفس ونسبتها الى الخالق والمخلوق واتصافها بالصفات الحسنى التي تصدر عنها الحكمة في الاقوال والافعال · الرجولة الحقة حياة منظمة تنقضي ساعاتها في العمل المفيد · هي حلقة من سلسلة الوجود النافع تتصل بغيرها فتقرّب الانسانية المتجسدة من نقطة الكمال

فاليكم ايها المربون كبارًا وصغارًا اوجه كلماتي الاخيرة · انتم مدبرو الهيئة وقادة العقول · انتم مصلحو الجنس وخدمة الانسانية فلا تستصغروا مهنتكم الشريفة بل ثقوا بافضليتها وتناولوا الذين تربونهم بيد الحكمة والتعقل غير ناظرين الى الولد الصغير بل الى الرجل الكبير الذي سيكون منهُ

عوّدوا الذين تربونهم الاعتناء باجسامهم واكتساب العادات التي تكفل لهم حسن الصحة · وربوهم على الاعتدال في المآكل والمشارب على الرياضة في الهواء النقي على حب العمل وكره البطالة

ربوهم على احترام الامهات والاخوات واشربوهم منذ الصغر معنى المثل العربي المأثور ان "كل ذات صدار خالة"

ليترفع كلٌّ منَّا عن سماع القصص السافلة التي تغض من قدر المرأة وليشب على احترامها وحسن الظن بها

وانتم ايها الآباءُ والامهات ربوا اولادكم على عدم التعصب الديني · هذا هو الداءُ الذي نئن

منهُ سورية وهذا علة تأخرها . هذا هو بلية بيروت زهرة المدن السورية . فما اجهلك ايها المسلم الذي تقوم على اخيك المسيحي . وما ابعدك ايها المسيحي الذي تنشأ على بغض اخيك المسلم عن جادة الدين القويم دين المحبة والسلام . الست انت والمسلم واليهودي من طينة واحدة ؟ ألا تضمكم بلاد واحدة ولغة واحدة ودولة واحدة ؟ فما اجدركم ان تعيشوا بالوفاق والالفة وتعملوا معاً على النهوض تشبهاً بالامم الجارية في سبل المدنية والعمران

ربوا اولادكم على احترام العمل والعاملين " (١) لانهُ قد مضى الزمن الذي كان الشرقي يعد الصناعة فيهِ عارًا وصغارًا و يترفع عن مخالطة صناع بلادهِ ازدراء واحتقارًا واصبح عقلاء الشرقيين يقدرون الصناعة قدرها علماً منهم بفعلها في ترقية شؤُون الاوربيين وبفضلها في رفاهة عيش المتمدنين فلا يفرقون اليوم بين ابن الحائك وابن الملك "

ليمر الواحد منا بالفاعل الذي يتصبب العرق من وجههِ ويحييهِ بقولهِ الله يعطيك العافية ليخاطبهُ بنظرهِ قائلاً انت الذي تعلمني مثالة لا تعلمنيها الكتب ولا اراها في غرفة الدرس بمظهرها الطبيعي انت تعلمني شرف العمل والامانة فيهِ . انت تذكرني بقول الكتاب بعرق وجهك تأكل خبزك

نعم ليعلم الناس اجمع ان المدرسة مهما زرعت في رأْس التلميذ من المعارف والاختبارات فهي لا تخلط معها بزور كره العمل والاحتراف . المدرسة لا تربي التلميذ على التأنق الزائد في اللباس وحمل العصا الافرنجية وتجعل منهُ صورة مكتوباً على جبينها انا ابن مدرسة اعرفوني من هيئتي

نددوا ايها المربون بعادة التشبُّه بما لا طاقة لنا بهِ واغرسوا في عقول الذين تربونهم ان جمال النفس يستغني عن جمال الثياب وان افضل طريق للحياة الحسنة هو العمل الحسن

ربوهم على سعة النظر والمبادئ الحرة . على حسن استخدام الوقت والدقة في الاعمال

انزعوا عبارات " مايسايل وما عليش ومشّي الحال " من دفتر التربية لانها آفة كبيرة في الشرق

واعلموا ان الانسانية الحقة لا تولد مع الانسان بل تنمو فيهِ وتجسد عليها و يتدرب على القيام بمطالبها . هذا هو مرمى التربية وعمل المربين فالسلام على التربية والسلام على المربين

بولس الخولي

---

(١) مقتطف الجزء السادس صفحة ٤٧٥

الملح

من مقالة للاستاذ تشارلس سوبر نشرت في مجلّة العلم العام الاميركية

من الأمور الثابتة ان الانسان الحالي مهما اختلفت منزلتهُ في سلّم التقدم الاجتماعي يتناول الملح مع طعامهِ . وربما صحّ هذا القول ايضاً في الانسان الماضي. فقد وجدوا الملح بقرب جميع الاماكن التي قطنها الانسان قديماً او حيث كان يستطيع الوصول اليهِ بلا مشقة كثيرة والحيوان مثل الانسان في ذلك فان معظم الحيوانات الداجنة مولعة بهِ وكذلك بعض الطيور وآكلة العشب تحبُّ اكلهُ بنوعٍ خاصٍ سواء كانت اهلية او برية ٠ ومن الامور المشهورة ان هنود اميركا وبيضها كانوا يصيدون الغزال والجاموس وغيرها من آكلة الاعشاب قرب البحيرات المالحة في اميركا لان تلك الحيوانات كانت ترد البحيرات لتتعلّل بمياهها وقد وجدوا عدداً عظيماً من جثث الحيوانات مدفوناً فيها وعلّلوا ذلك بان بعض الحيوانات كان يوغل في البحيرات طلباً لماء الملح حتى يبلغ مكاناً عميقاً فتغور قوائمهُ في قعر البحيرة بمجرد ثقل بدنهِ ولا يستطيع انقاذ نفسهِ فيهلك جوعاً . وبعضها كان يزحمهُ غيرهُ من خلفهِ فيسقط في الماء ويموت اختناقاً

على ان هناك شواهد كثيرة تدلُّ على ان بعض اصناف الناس لم يكن يتناول الملح في طعامهِ . فقد قال المؤرخ سالست ان اهالي نوميديا كانوا يقتاتون باللبن ولحوم الحيوانات البرية ولم يأكلوا الملح ولا غيرهُ مما يسيغ الطعام ويهيج الشهية ويقال ان كلمة الملح في لغة اهالي فنلندا مشتقة من الاصل الهندي الاوربي فاذا صح ذلك كان دليلاً على ان اهالي فنلندا لم يكونوا يعرفون الملح قبل امتزاجهم بالسلاف وعنهم اقتبسوا الملح واسمهُ ٠ وقد ورد في قصائد هوميروس المعروفة بالاودسي ان العرّاف تيريسياس امر عولس بالسفر حتى يصيب قوماً لا يعرفون البحر ولا يأكلون لحماً مطيباً بالملح ٠ وروى المؤرخ الشهير تاسيتس ان قبيلتين سماها اقتتلتا في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي قتالاً شديداً على امتلاك نهر يتولد منهُ الملح اعتقاداً منهما ان السماء قريبة منهُ وانهُ خير مكان لرفع ادعيتهم وابتهالاتهم الى الآلهة ٠ وكانوا يستخرجون الملح من مائهِ بصب الماء على حزمة حطب مشتعلة فكان الملح يرسب في الاسفل ٠ والسبب في تقديسهم ماء النهر اعتقادهم ان الملح من مولدات البحر فاذا تولد عن غيرهِ كان ذلك بتوسط من الآلهة

وذكر ابلينيوس المؤرخ الروماني المشهور اموراً كثيرة عن الملح في كتاب " التاريخ الطبيعي " الذي ألفهُ فعدد الاماكن التي كانوا يستخرجونهُ منها في زمانهِ ووصف طرق استخراجهِ وقال ان المواشي تحب اكلهُ وانهُ اذا أُضيف الى طعامها زادت كمية الجبن الذي يفرز من لبنها وتحسنت صفتهُ . وكان الرومانيون يعدُّون الملح قوام الحياة فتحافظ كلُّ عائلة منهم على المملحة اعتقاداً انها مقدسة وعليهِ قال هوراس الشاعر الروماني في احدى قصائدهِ ان الرجل المتمتع بالحياة هو الرجل الذي تلمع مملحة ابيهِ على مائدتهِ . وقال في موضع آخر يخاطب رجلاً من اتباع ابيقورس صاحب القاعدة المشهورة " لنأْكل ولنشرب لاننا غداً نموت " ان الخبز والملح يسدَّان جوع معدتك الفارغة نخيرٌ لك ان تنبذ اللحوم الفاخرة

ومن القواعد العمومية في فرض الرسوم والضرائب انهُ اذا ارادت حكومة زيادة ايرادها وقع معظم الحمل على ضروريات المعيشة والملح في جملتها . والمرجح ان جميع الحكومات المنظمة القديمة كانت تفرض الرسوم على الملح . فقد كان الرومانيون يأْخذون عليهِ رسوماً ولا تزال الحكومة الايطالية محتكرة اياهُ الى الآن وربحها منهُ ١٣٠٠ في المئة فيصير بذلك غالي الثمن لا يصير الفقير على مشتراهُ . على ان منع الملح عن الفقراء مضر بصحتهم ولا ريب ان تخفيض ثمنهِ حتى يتمكنوا من مشتراهُ ويكثروا من تناولهِ يحسن الصحة العمومية بينهم .

وليس بين مواد الطعام مادة غالت الحكومات في احتكارها اجحافاً بمصالح رعاياها مثل الملح . فانهُ لما رأت الحكومات ان لاغنى عنهُ في طعام الانسان والماشية اغتنمت تلك الفرصة لزيادة مواردها المالية فقد كانت ضريبة الملح في فرنسا قبل عهد الثورة تختلف باختلاف مقاطعاتها وكانت الحكومة تحظر نقلهُ من مقاطعة الى أُخرى وتحتكر صنعهُ وتستخدم عمالاً يجمعون ما تولد منهُ على السواحل بالتبخير ويلقونهُ في البحر ثانية . فكان غالي الثمن جداً وكانت الحكومة تكره معظم الاهالي على مشترى قدر محدود منهُ على نسبة عدد افراد العائلة . ولكنها كانت تميز بعض رعايا وتهبهم من الملح ما يحتاجون اليهِ مجاناً وتمنحهم مالاً مقابل ذلك اذا شاؤوا وتعاقب كلَّ من يخالف قوانين الملح معاقبة شديدة اما بالغرامة او بالجلد او غيرهما من العقوبات . وكثيراً ما كانت تشنق الذين يكررون المخالفة . وكانت تحظر على الفلاحين استعمال الماء الملح الذي يوضع اللحم والسمك فيهِ لحفظهما فلم تكن تسمح لهم بادخالهِ على طعامهم ولا على علف مواشيهم . وتحظر على الاهالي استخراج الملح من ماء البحر وتسمُ الماء الملح الذي تسمح للدباغين بأَخذهِ من البحر لاستعمالهِ في صناعتهم لئلا يدخلوهُ على طعامهم

وكانت قوانين الملح في المانيا اكثر صرامة منها في فرنسا . وبقيت الحكومة محتكرة لهُ الى سنة ١٨٦٧ . اما النمسا فلا تزال حكومتها تحتكرهُ الى الآن مثل ايطاليا وغيرها وهو اغلى فيها منهُ في المانيا . واما الولايات المتحدة الاميركية فلم تضرب على الملح ضريبة ولا جمعت منهُ ايرادًا لخزينتها ولكن لما وضع مجلس الامة فيها قانون حكومة الولايات الغربية وبيع الاراضي فيها اشترط ان تبقى مناجم الملح للحكومة خشية ان يستبدَّ ارباب الاملاك بهِ ويحتكروهُ فيقع معظم الحيف والظلم على الفقير من الاهالي

وكان بعض الامم القدماء يضيفون الملح الى ذبائحهم التي يحرقونها للآلهة مثل الاسرائيليين كما نصَّ عليهِ سفر اللاويين اما المصريون القدماء فكانوا يتنجسون بهِ فقد قال فلوطرخس ان كهنتهم كانوا ينبذون الملح عن موائدهم ويأنفون مكالمة ربَّان السفينة لانهُ يعمل في البحر ولا يأكلون السمك لانهُ يخرج منهُ . وعاد فقال في موضع آخر ان الكهنة كانوا يمتنعون عن اكل الملح لانهُ يهيج الشهية الى الطعام والشراب ولكن شهادة اليونان عن مصر مجروحة لا قيمة لها لان مصر كانت في اعين اليونان بلاد العجائب والغرائب . فقد كانت بلاد شمال افريقية منذ القدم مستودعًا كبيرًا للملح . قال هيرودوتس وعلى سفر عشرة ايام من طيبة عرم كبيرة من كتل الملح على التلال ومن رؤُوس تلك التلال تتفجر عيون الماء الملح ويقطن تلك البقعة قوم يسمون بالامونيين وعندهم هيكل جوبتر امون المشهور . والواحة التي هناك كانت فيما عبر قعر بحيرة من الماء الملح ولا يزال فيها ينابيع الماء الملح الى الآن والمرجح ان العقار المعروف عند اهل الكيمياء باسم " ملح الامونيا او ملح النشادر " مأخوذ اسمهُ من اسم البقعة المذكورة آنفًا اما لانهُ اول ما صنع فيها او لانهُ وجد في حالتهِ الطبيعية هناك

ويكثر وجود الملح في اماكن عديدة من شمال افريقية وعلى مسافة بعيدة من الساحل والاهالي يستخدمون حجارة الملح لبناء منازلهم لا لقلة الحجارة بل لان حجارة الملح اسهل نحتًا ولا خوف عليها من الذوبان لقلة سقوط الامطار هناك وهي ليست من الملح النقي بل مشوبة بالتراب . وبعض اقسام الصحراء مغطى بطبقة من الملح على مسافات طويلة يظهر بها سطح الارض ابيض كانهُ مغطى بالثلج . ومهما يكن في بعض اقوال هيرودوتس وغيرهِ من الكتاب الاقدمين من المبالغة في هذا الصدد الاَّ ان ابحاث المكتشفين المحدثين تؤيد كثيرًا من اقوالهم فقد قال المسيو ديبوى في كتابهِ المسمى «غرائب تمبكتو» ان الملح ذو قيمة عظيمة في تلك الجهات مع كثرتهِ واكتشف مناجم ملح في قلب الصحراء وقال ان الاهالي يبنون بيوتهم من حجارتهِ ويسقفونها بجلود الجمال . وهو يوجد في الارض مغطيٍّ بطبقة رقيقة من الرمل

فيستخرج منها كتلاً كبيرة تنحت قطعاً طول الواحدة منها ثلاث اقدام ونصف وعرضها قدم وربع ومنظرها كمنظر الرخام الاحمر وفيهِ عروق رمادية اللون ثم تدمغ بدمغة التجار المختلفين ومتى اخذت الى تمبكتو رسموا عليها نقوشاً سوداء وكتبوا عليها اسماء بعض الاولياء بأحرف عربية ثم ربطوها حزماً وباعوها . والبيضاء منها تفضل الحمراء . والسوداني يبذل كل ماعندهُ قياضاً بكتلة من الملح وهو عندهُ اعزّ من الذهب واغلى

والمالحة دليل الوداد وحسن الضيافة عند القدماء والمتأخرين ولا تزال قبائل السلاف تكرم الضيوف بتقديم الملح والخبز اليهم . والعربي يستحلف خصمهُ بالخبز والملح اللذين بينهما اذا اختلفا على شأن من الشؤون . ومن النصائح القديمة قولهم " قبلما تصطنع صديقاً كلْ معهُ كيلاً من الملح " وقد ذكرها ارسطو وشيشرون في كتاباتهما . وقال احد الشرّاح الاقدمين في شرح هوميروس انهم كانوا يعدون الملح اصدق علائم الوداد اما لانهُ كان يقدم الى الضيوف قبل غيرهِ او لانهُ مضادٌّ للفساد . وورد في سفر العدد ذكر الملح بين التقدمات التي كانت تقدم الى الله عند ابرام العهود والمواثيق

وكان الرومانيون يعدّون الملح ضروريًّا لجيوشهم فكانوا يقدمون الى كلّ جندي جراية خصوصية منهُ او مالاً مقابلها يشتري الملح بهِ لنفسهِ . وفعلوا مثل ذلك مع موظفي الحكومة في اسفارهم المختصة باشغالها ثم لما صار الحصول على الملح مهلاً استبدلوهُ بالدراهم ونقدوهم اياها عوضاً عنهُ . ومن ذلك اشتقت لفظة "سلري" في اللغات الاوربية ومعناها راتب او اجرة شهرية

هذا ولايزال العلماء في خلاف على ما اذا كان الملح ضروريًّا للحياة الحيوانية او لا . فاذا صحّ ان الحيوانات البحرية اصل الحيوانات البرية فمن الصواب ان نفرض ان مبدأ الرجوع الى ذلك الاصل يهيج في الحيوانات ميلاً طبيعيًّا الى الملح ليس أكثر . ويقول بعض العارفين من الجهة الاخرى ان آكلة الاعشاب من الحيوانات تجد في طعامها كمية كافية من الملح لسدّ مطالب الجسم الطبيعية ومنها تنتقل الى آكلة اللحوم . والذين يقولون ان الحيوان يتناول كمية كافية من الملح بواسطة طعامهِ يقولون ايضاً ان شدة ولوع معظم الناس وبعض الحيوانات الاخرى بالملح ناشئة عن انحراف في الذوق ويستشهدون على صحة ذلك بشدة ميل الكلاب وغيرها من البهائم الى اكل الحلوى مما يدل على انحراف في الذوق يفضي الى الاضرار بها . ومن المؤكد انهُ ليس بين المواد المعدنية مادة يأكلها الناس بشراهة مثل الملح والمرجح ان مقدار ما يؤكل منهُ آخذ في الازدياد على التوالي . اما اذا كانت الحياة الحيوانية تقوم بلا ملح اولا فمسألة لايمكن الجزم بها ولا نفيها بما لدينا من وسائط العلم والمعرفة

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبلهُ)

الفصل الحادي والعشرون في ابطال الوصيَّات

إبطال الوصيَّات شرعي وهو يقع اما بالألفاظ التي هي نصٌّ في الابطال او بما يدلُّ عليهِ وقد يقع باستعمال سائر انواع اللفظ

(١) الوصيَّة يجوز ان تحوَّل عن شخص الى آخر اما بكتاب الوصاية نفسهِ او بملحقٍ بهِ وهو المعروف بالكُتيّب

الفصل الثاني والعشرون في شريعة فلسيديا

ان شريعة فلسيديا قد وُضعت لأَن تمنع الايصاء بما فوق ثلاثة أرباع التركة[١] وذلك ليبقى الربع للوارث او للورثة سواءٌ أُقيم وارثٌ واحد او ورثةٌ متعددون

(١) يجب انفاذ شريعة فلسيديا لكل من الورثة على حدةٍ

(٢) قيمة التركة تُثمَّن وقت الموت

(٣) انهُ بحسب ترتيب شريعة فلسيديا يبدأُ بوفاء الدين وتجهيز الميت واداء ثمن العبيد المحرَّرين وهلمَّ جرًّا بحيث يبقى الربع للوارث والثلاثة الارباع تُوزَّع بين الموصى لهم على مقدار النصيب الموصى بهِ لكلٍّ منهم[٢]

الفصل الثالث والعشرون في التركات الاستيداعية

(١) اعلم انهُ في ايام القدماء لم يكن على الودائع رسم ثم ان اغسطوس أمر القناصل ان يدخلوا في مسائل الودائع فاصبح ذلك سلطةً اعتيادية حتى أُقيم قاضٍ خاص ينظر في طلب الاستيداع ويجيب اليهِ

(٢) من المعلوم انهُ قبل كل شيءٍ ضروري ان يقام بواسطة كتاب الوصية الشرعي شخص كوارث صريح لكي يصحَّ ان يفوَّض الى ذمتهِ الميراث المكلَّف ان يسلمهُ الى ثالث ويجوز ان يكلف وارثهُ الجزئيّ . ولهُ ان يترك الوديعة اما مطلقاً او تحت شرط او الى اجل محدود

---

(١) وفي الفقه لا تجوز الوصية الاَّ بثلث التركة وليس لهُ ان يوصي لوارثٍ الاَّ باجازة الورثة

(٢) في الفقه الاسلامي " من اوصى وعليهِ دين يحيط بمالهِ لم تجز الوصية لان الدين مقدَّم عليها لانهُ فرض وهي تبرُّع " وهذا مما لا يقع الاختلاف فيهِ في شريعةٍ من الشرائع العادلة

الكتاب الثالث

الفصل الاول في التركات غير الموصى بها

الميت غير الموصي من لم يعمل وصيةً . او من اوصى ولم يتبع في وصيتهِ الاحكام المرعية او من فسخت وصيتهُ . او ابطلت . او لم يقم بها وارث

(١) تركات من ماتوا ولم يوصوا هي بحسب شرع الالواح الاثني عشر[١] للورثة الشرعيين

(٢) الورثة هم الذين كانوا تحت ولاية الميت عند وفاتهِ . ولا فرق بين ان يكونوا طبيعيين او متبنين او مسلمين للمجلس البلدي[٢] (هذا شبيهٌ بما يسميهِ المصريون المجلس الحسبي)

(٣) الورثة يصيرون حقيقيين ولو لم يعلموا

(٤ و ٥ و ٦) متى وُجد ابن او ابنةٌ مع ابن ابن . او ابنة ابن نازلين من أبٍ آخر فكلهم يشتركون في ميراث الجد . واقربهم لا يحجب ابعدهم ومن الموافق كما يظهر ان تقسم التركة من الجد الجامع[٣]

(٧ و ٨) متى أُريد معرفة ايّ يكون الوارث الحقيقي وجب البحث عن الوقت الذي توفي فيهِ المورث من دون وصيةٍ . هذا ما ينبغي عملهُ لعدم وجود الوصية . وذلك بشرط ان يكون جنيناً في حياة جدهِ . فالحفيد يضحي وارثاً متى توفي ابوهُ ثم مات جدهُ ولم يوصِ

---

(١) المراد بالالواح الاثني عشر مجموع الشرائع التي انتشرت في رومة بأمر الحكام العشرة ونقشت في الواح نحاس

(٢) في الفقه الاسلامي « المجمع على توريثهم من الذكور فرضاً او تعصيباً او بهما عشرة الابن . وابن الابن وان سفل بمحض الذكور . والاب . والجدّ ابو الاب وان علا بمحض الذكور . والأخ مطلقاً . وابن الأخ الشقيق او لأبٍ وان سفل بمحض الذكور . والعمّ الشقيق او لابنٍ . وابن العمّ وان سفل . والزوج . ومولى النعمة اي المعتق

والاناث المجمع على توريثهنّ سبع . البنت . و بنت الابن وان سفلت بمحض الذكور . والامّ . والجدّة لامّ او لأبٍ وان علت ما لم تدلِ بجدٍّ فاسدٍ . والأخت مطلقاً . والزوجة . ومولاة النعمة اي المعتقة » (شرح القدوري) ببعض حذفٍ

(٣) هذا مغاير بالمرّة لما ورد في علم الفرائض الاسلامية فان الاقرب يحجب الأبعد بلا خلافٍ . واعلم ان الحجب حجبان . حجب نقصانٍ وذلك مثل حجب الولد الزوجة ففرضها مع عدم الولد او ولد الابن الربع من تركة الزوج وفرضها معهُ الثمن . وحجب حرمان وذلك كسقوط الجدّ والاخوة والاخوات مطلقاً بالأب فاذا مات عن جدٍّ وابٍ واخوة واخوات فتركتهُ كلها للأب ولا شيءَ منها للبقية لان الاب حجبهم جميعاً حجب حرمان

(٩) المأذونون من الاولاد ليس لهم من حق في تركة والدهم بحسب الشرع المدني لكن القاضي المتصرف بمقتضى المساواة الطبيعية يجيز لهم وضع اليد كما لوكانوا تحت ولاية الاب حال موته

(١٠) الاولاد الذين يأذن لهم ابوهم . والاولاد الذين يسلمون انفسهم للتبني لا يقبلون كأولادٍ في تقسيم املاك الأب الطبيعي ان كانوا وقت وفاته في العائلة المتبنية . واما الاولاد المأذونون من الأب المتبني بعد موت الاب الطبيعي فيبقون ابدًا اجانب عن املاك الاب المتبني . واملاك الاب الطبيعي فلا يصيبهم منها زيادة على حقوق الاولاد

(١١) حقُّ المتبنين اذن اقلُّ من حق الطبيعيين

(١٢ و١٣ و١٤) قد جرى تعديل هذه الشروط بأسرها . فقد قرَّرنا انهُ متى كان الاب الطبيعي قد سلَّم ابنهُ للتبني تبقى حقوق هذا الابن محفوظةً كأَنهُ باقٍ ابدًا تحت ولاية أبيهِ الطبيعي كما لو لم يقع التبني لانهُ لا يمكن أَن يتوصل الى تركة الاب المتبني الاَّ في حالة واحدة وهي ان يموت غير موصٍ . لكن اذا الاب المتبني عمل وصيةً فلا يحق للمتبني بمقتضى الشرع المدَني ولا بمقتضى الشرع القضائي ان يحوز شيئًا من تركة المتبني ويستثنى من ذلك من تبنَّاهُ ابوهُ الطبيعي

(١٥) ان الشرع القديم ايضًا كان يورث الاحفاد والحفيدات النازلين من الذكور كأَنهم ورثة حقيقيون . والعاهلون قد جعلوا في هذا المقام وفي هذه الدرجة من الوراثة النازلين سواءٌ كانوا نازلين من الذكور او من الاناث لكن مع هذا الاختلاف وهو أَن يُعطوا ثلثي ما تستحق امهم او جدَّتهم او ابوهم او جدُّهم صحيحًا او فاسدًا . وذلك حين نقسم تركة المرأَة بعد وفاتها

(١٦) اما نحن فقد قرَّرنا انهُ متى وُجد مثل هؤُلاء الاحفاد او اولاد الاحفاد وهلمَّ جرًّا فلا حظٌّ للعصبة من ميراث المتوفى وذلك حتى لا يُفضَّل النازلون بخطٍّ مستقيم . وكما ان الشرع القديم كان قد حكم ان يُقسَّم الميراث بين الاولاد والاحفاد النازلين من ابن آخر لا على عدد الرؤُوس بل من الجد الجامع كذلك نحن قد أمرنا ايضًا ان يتَّبع هذا النوع من التقسيم بين الاولاد والاحفاد النازلين من بنتٍ اوبين جميع الاحفاد والحفيدات وبين اولاد الاحفاد وبنات الحفيدات وهلمَّ جرًّا بحيث ان كلَّ فرع يحرز نصيب الام او الاب ونصيب الجدَّة او الجدّ دون اقلّ نقصان

الفصل الثاني في وراثة العصبات الشرعية

متى لم يوجد وارث ولا شخص ممن القاضي او القوانين يحصونهم في عداد الوَرَثة لاحراز التركة تعين الارث لاقرب العصبات[1]

(١) ان الشريعة تُعطي التركة من هو من العصبات اقرب الى الميت متى ثبت ان المتوفى مات ولم يوصِ

(٢) حق القرابة العصبية يتقرر بالتبني فيما بين الاولاد الطبيعيين ومن تبنَّاهم ابوهم

(٣) ان الميراث بحق القرابة العصبية[2] بين الذكور ينتقل حتى الى الابعد. وأما النساء فكان قد تقرر انهنَّ لايحرزن الميراث بقوة حقهن من القرابة الابوية العصبية الأ بانفسهنَّ ومتى كنَّ اخواتٍ . لكن ليس ذلك وهنَّ في ابعد درجة من الميت فالذكور يحرزون تركة النساء (ولو كانوا في الدرجة القصوى) وأما نحن فقد قرَّرنا ان كل النازلين من الذكور يكونون بلا تفريق حائزين حقوق الوراثة الشرعية لمن توفي ولم يوصِ بحسب قرب درجتهم منهُ

(٤) ينبغي ايضاً ان نقرر ان الأقارب الذين تجمعهم درجة واحدة ينتقلون من طبقة ذوي الارحام الى الوراثة الشرعيَّة

(٥) متى تعدد العصبات وكانوا مختلفي الدرجات فالشريعة تورث الاقرب[3] وان تعدَّدوا واستوت درجة قرابتهم فكلهم يرثون

(٦) يُعدّ اقرب درجةً من كان كذلك عند وفاة الميت هذا فيما اذا توفي صاحب التركة ولم يوصِ ولكن اذا مات وقد أوصى فيعد الاقرب من كان اقرب الناس الى الميت يوم ثبت انهُ لم يوجد وارث ما بالوصيَّة

(٧) كان يراد منع انتقال الارث في مثل هذه التركات . واما نحن فقد قرَّرنا جواز انتقال الارث في العَصبات

---

(١) قد جاء في كتب الفرائض ان " اقرب العصابات الى الميت البنون ثم بنوهم وان سفلوا بمحض الذكور ثم اصلهُ وهو الاب ثم الجدّ وان علا بمحض الذكور ثم بنو الاب وهم الاخوة لأبوين او لأبٍ عند عدم وجود الاخوة لأبوين ثم بنوهم وان سفلوا بمحض الذكور ثم بنو الجدّ وهم الاعمام لأبوين او لأب عند عدم الاعمام لأبوين ثم بنوهم كذلك وان سفلوا بمحض الذكور . ثم بنوأب الجدّ وهم اعمام أب الميت لأبوين او لأب ثم بنوهم كذلك وان سفلوا "

(٢) الارث في الشريعة الاسلامية بالفرض واما بالتعصيب اما الاوّل فكارث الزوجة من تركة زوجها واما الثاني فكارث الابن تركة ابيه

(٣) هذا موافق لما في علم الفرائض حيث قالوا و يقدّم الاقرب فالاقرب

(٨) كذلك يجوز الوراثة الشرعيَّة الأَصلُ الذي يأذن ابنهُ او ابنتهُ وهلم جرًّا لكنما تلك الوراثة على سبيل الاستيداع ليس الاَّ

الفصل الثالث في مرسوم ترتوليانوس

ان شريعة الالواح الاثني عشر قد وضعت في الدرجة الاولى ذريَّة الذكور

(١) ان العاهل قلوديوس [١] تخفيفاً لرزء الام في اولادها نقل اليها حقَّ ميراثهم الشرعيّ . قد جاء في مرسوم ترتوليانوس بعد ذلك ان الحرَّ متى أَخذ حقَّهُ من عدد ثلاثة اولاد . واخذهُ المحرَّر من عدد اربعة اولاد يكون لهُ الحقّ في املاك بنيهِ او بناتهِ الذين ماتوا وهم تحت ولاية الاب ولم يوصوا

(٣) قد آثروا على الامّ أَولاد المتوفىّ او المعدودين كأَولادهِ سواء كانوا في الدرجة الاولى أَم في درجة أَبعد

(٤) اما نحن فقد منحنا الامهات حقًّا تاماً في الوراثة الشرعيَّة (سواء كنَّ حرائر ام محررات) وذلك ان لم يكنَّ قد ولدنَ ثلاثة أَولادٍ او اربعةً

(٥) قد ظهر لنا مناسباً ان نفضل الامَّ على سائر الاشخاص الشرعيين ونجعل لها الوراثة بدون اسقاط شيء ما اللهم ان لم يكن لمنفعة اخٍ او اخت سواء كان من جهة الاب او كان من ذوي الارحام فقط . وذلك اذا لم يكن الاَّ أَخوات لأَبوين او لاب او ذوات ارحام آتيات مع ام المتوفى او المتوفاة . ففي مثل هذه الصورة نصف التركة للامّ والنصف الآخر لكل الأَخوات . واذا مات عن امّ وأَخٍ اوعدَّة اخوة وحدهم او معهم أَخوات وكانت الامّ آتية بحقوق شرعيَّة زاحمت [٢] في ميراث المتوفى او المتوفاة اللذين لم يوصيا فتقسم التركة بينهم على عدد الرؤوس

الفصل الرابع في مرسوم أُورفيتيانوس

الأَولاد يرثون اموال الامهات المتوفيات غير موصيات بحسب مرسوم أُورفيتيانوس ويُفضَّلون [٣] على العصبات وعلى عصبات الام المتوفات

(١و٢و٣) ان هذا الحق ايضاً للاولاد المولودين من ابٍ غير معيَّن

(١) عاهل رومانيّ تولى من سنة ٢٦٨ الى سنة ٢٧٠ كان ذا رأْي وحكمة في قيادة الجيوش . مات في الطاعون وخلفهُ أُورليانوس

(٢) هذه المزاحمة بمثابة حجب النقصان كما ذكرنا في تعليقة سابقةٍ

(٣) هذا التفضيل هو في عرف الفرضيين حجب الحرمان

الفصل الخامس في وراثة ذوي الارحام

ان لم يكن ورّاث حقيقيون ولا وُرّاث شرعيون فالقاضي يورّث اقرب ذوي الارحام الى الميت

(١) انما يعتبرون في هذا الشان القرابة الطبيعية

(٢و٣) ان الاولاد الذين هم في عائلةٍ متبنّاة يرثون بحسب هذا القانون نفسهِ تركة ابيهم الطبيعي

(٤) من الواضح ان لا عصبة للاولاد المجهولي الاباء

(٥) يجب التنبيه انهُ نظرًا الى ذوي الارحام يُسهَم للقريب في التركة ولو في الدرجة العاشرة ٠ والقاضي يتعهد بوضع اليد على الاملاك بعلّة القرابة حتى الى الدرجة السادسة من قرابة المصاهرة

الفصل السادس في درجات ذوي الارحام

نقول ان القرابة النسبية تنقسم الى صاعدة ونازلة ومنحرفة فالصاعدة قرابة الاب والام ٠ والنازلة قرابة الاولاد والمنحرفة قرابة الاخوة والاخوات او قرابة من وُلدوا من هؤلاء او من أُولئك . فالصاعدة والنازلة تبتدئان من الدرجة الاولى ٠ والمنحرفة تُعتبر من الدرجة الثانية

(١و٢و٣و٤و٥و٦و٧) كل شخص مولود يضيف دائمًا درجةً جديدة

(٨) درجات القرابة العصبية تجري على هذا القياس نفسهِ

الفصل السابع في المصاهرة المنعقدة في العبودية

قد أُجزنا بقانوننا الامر الآتي ٠ وهو من كان لهُ وهو في حال العبودية ولدٌ او اولادٌ من حرّةٍ او أمةٍ او بالعكس اذا كان لأَمةٍ اولادٌ من حرٍ اوعبدٍ ففي هذه الحال اذا تحرَّر الاب والام فاذا كان الاولاد قد ولدوا من أَمةٍ يصيرون احرارًا . واذا كانوا قد ولدوا من أُمّ حرّة وأبٍ عبد فالاب يتحرر فيما بعد وكل هؤلاء الاولاد يخلفون الاب أو الام٠ وحيث يزول حق الولاء في هذه الحال نحن نجعل لهم الوراثة المتبادلة بان يكون بعضهم وارثًا لبعض

كلما تكلمنا اما في التفضيل لمن هو اقرب درجةً في قرابة المصاهرة٠ واما في مزاحمة ذوي الارحام نفترض انهُ لا يوجد وارث حقيقيٌ٠ ولا من يُعد كوارث . ولا من لا بدَّ من تفضيلهِ بحق المصاهرة الأَ الاخ والاخت المأْذونان اللذان ينزلان منزلة الاخوة والاخوات ويفضلان على العصبة من درجةٍ أَبعد

الفصل الثامن في وراثة المعتقين

قديمًا كان للمعتَق ان يغفل بلا حرجٍ اسم مولاهُ في كتاب وصيتهِ

(١) ان مرسوم القاضي قد ازال هذا الظلم اذ أمر بان المعتَق يترك نصف املاكهِ لمولاهُ . فان لم يترك لهُ شيئًا . او كان قد ترك لهُ اقلَّ من النصف فنصف التَركة يُسلَّم للمولى خلافًا لالواح الوصية[١]

قد قرر مؤَخرًا انهُ متى كانت تركة المعتَق مائة الف سسترس[٢] وورثتهُ اقل من ثلاثة اولاد وجب للمولى سهم رجلي ؟

(٣) مع ذلك قد قرَّر قانوننا بوجهٍ باتٍّ ما يأتي . وهو متى ترك المعتق او المعتقة اقلَّ من مائة ريال[٣] ذهب فليس للمولى حق في تركتهما ان اوصيا . واما اذا كان الامر على الضدِّ من ذلك بان ماتا ولم يوصيا ولم يخلفا ولدًا فحقُّ المولى والحال هذه يحفظ بتمامهِ . ومتى تركا اكثر من مائة ريال ذهب فان كان لهما اولاد كورثة او اصحاب املاك جعلنا تركتهما لهؤلاء الاولاد. وان كان الامر على الضدّ من ذلك اي اذا ماتا وليس لهما اولادٌ فان لم يوصيا جعلنا التَركة كلها بين الموالي والمولَيات . وان أوصيا ولم يذكر في كتاب الوصيَّة مواليهم ولا مولياتهم فللموالي ثلث املاك المعتق وان كانوا قد اخذوا ما دون الثلث فيجب ان يُعطوا تتمة الثلث ولايجوز ان يسقط من هذه الحصَّة شيءٌ بعلة الرسوم ولا ان يؤخذ منها شيءٌ ليدفع رسماً عن الموصى بهِ او الوديعة الراجعين الى اولاد المعتق او المعتقة اذ ان هذه الكلف تقع على شركاء الموالي في الميراث[٤]

الفصل التاسع في استحضار المعتق لدى القاضي

لابدَّ لنا ان ننبه انهُ يؤذن للاب ان يستحضر معتقهُ لدى القاضي لأحد بنيهِ ليجعل هذا الابن مولى ذلك المعتق

(١و٢و٣) لا فرق بين ان يكون هذا بكتاب وصيَّةٍ او بدونهِ

(ستأتي البقية)

---

(١) لاذكر لشيءٍ من هذا الحكم في الفرائض الاسلامية بتةً (٢) نقد رومانيّ يساوي ٢١ سنتيماً

(٣) نقد رومانيّ قيمتهُ خمسة فرنكات او ربع ليرة فرنسوية

(٤) قال صاحب الدرّ المختار " المعتق مقدَّم على الردّ وعلى ذوي الارحام موَّخر عن العصبة النسبية فان مات المولى ثم المعتق ولا وارث له نسبي" فميراثهُ لأقرب عصبة المولى المذكور "

القوة في الشيخوخة

تابع ما قبله

طور اليأس في المرأة

ما تقدم الكلام عليهِ يشمل الرجل والمرأة على السواء ولكن المرأة تنفرد بأمر واحد وهو انهُ يمرّ عليها طور من اطوار الحياة في اواسط عمرها يسمى بسن اليأس ويظن انهُ محفوف بالمكاره والاخطار وهو ظنٌّ مبالغ فيهِ كلّ المبالغة . فان الرجل يبلغ غاية النموّ العقلي والبدني في الحادية والاربعين من عمرهِ والمرأة في التاسعة والثلاثين على وجه التغليب ويتلو ذلك سبع سنوات او عشر يصحّ تسميتها بطور القوة فان انسجة الجسم تكون فيهِ ثابتة وتغذيتهُ على احسنها وهو احد اطوار النمو ويرافق بعوارض خصوصية . واطوار النمو في الرجل ثلاثة وهي طور التسنين وطور البلوغ وطور الانحلال . ويزاد في المرأة عليها طور انقطاع الحيض او ما يسمى عادة بطور اليأس وهو زمان تراقبهُ المرأة بعين الخشية لانها تنتظر فيهِ بلايا واضطرابات مختلفة فاذا كانت عزباء استيقظت بغتة كما من رقاد طويل وتولاها فكر ان زمن الشباب فات . واذا كانت متزوجة تمكن منها اليأس والخيبة بعد طول التعلل بالآمال وكثيرًا ما يؤثر ذلك في صحتها . وخلاصة القول انهُ اذا اهتمت المرأة عزباء كانت او متزوجة بالمحافظة على قواها البدنية والعقلية وجعلت تنظر الى امور هذه الدنيا بعين قريرة ووجه باسم وتناست كلّ ما يولد السوداء والكآبة فيها فلا تخش بأسًا وشمس الحياة تؤذن بالافول

***

تدلُّنا مراجعة العلامات التي تميز الكهول والشيوخ كما تقدم معنا على الطرق التي يمكن اتباعها لتأخير سير تلك العلامات على قدر المستطاع . ولا ينتظر ان يتعاون عدد كبير من الناس على اتباع تلك الطرق ولو تعاونوا لنشأ عن ذلك فوائد جمة لهم . وجهد ما يمكن في هذا الصدد الارشاد الى بعض النصائح عسى ان ينتصح بها الذين يهمهم خير انفسهم

يقول الذين درسوا هذا الموضوع حقّ الدرس ان الرياضة البدنية مفيدة لا مضرة كما يزعم البعض لانهُ اذا لم يتروض الجسم دبّ الانحلال سريعًا في انسجتهِ المختلفة . واما من جهة الاكل فالمتفق عليهِ ان الطعام الذي يتناولهُ من جاز سن الكهولة يجب ان يكون اقلّ مما كان يتناولهُ قبل ذلك السن وان يغير نوعهُ فيقلل من تناول المواد التي تتكون انسجة الجسم منها وان يقلل ما امكن من اكل المواد المهيجة التي تتناول عادة لتهييج القابلية

لا لانها ضرورية . ولكن القاعدة ان لا يأكل الانسان اكثر مما تتطلبهُ قابليتهُ وهي في حالها الطبيعية وان يقتصر على نفسهِ في تناول المواد التي انما تؤكل للذة في طعمها ومتى بلغ الانسان سن الشيخوخة اي سن السبعين او نحوهِ فليكن طعامهُ بسيطاً جدًّا وليأكلهُ بتأنٍ كثير . والقاعدة العمومية هي انهُ كلما كان طعام الشيخ بسيطاً بحيث لا يتعدى الخبز واللبن والاثمار طال عمرهُ متمتعاً بالصحة والعافية . ولا ينكر ان لهذه القاعدة شذوذاً فاذا طرأ على صحة الشيخ طارئ افقدهُ قوتهُ فلا بأس من زيادة الوان طعامهِ ومقدار ما يتناولهُ منها حتى تعود اليهِ قوتهُ الطبيعية

ومن الشيوخ من يلائمهُ اطالة الفترة بين طعام وطعام . ومنهم من يلائمهُ تناول كميات قليلة في فترات قصيرة . ولما كانت امعاؤهم ميَّالة الى القبض فلا يهيجوها بتجرع المسهلات بل بالوسائل الطبيعية مثل اكل الاطعمة الملينة التي لا تولِّد عفونة واختماراً في الامعاء . وهذه الاطعمة هي الاثمار والحبوب والخُضَر التي تستعمل للسلطة واحسن شراب لهم اللبن فانهُ نافع للامعاء والكلى . والذرة احسن الحبوب لعمل الخبز منها وطبخها باللبن. والخبز الكثير الاختمار مضرٌّ فانهُ يزعج الهضم ويزيد توتُّر العضلات . واما اللحم فيختلف امرهُ باختلاف الامزجة والعادات ولكن الحاجة اليهِ قليلة بل انهُ لا حاجة اليهِ البتة عادة . اما السوائل فلا بأس ان يكثر الشيخ من شربها ولكن اذا كان قلبهُ ضعيفاً فلا يستصوب شربها قبل ترويض الجسم لانها تضغط ناحية القلب وتعرضهُ للخطر

ومن اهم الامور للشيوخ الاعتناء بالجلد وفركهُ بفرشاة من قمة الرأس الى اخمص القدم فركاً جيداً مطرداً . ولما كانت بشرة الشيوخ جافة يابسة فيحسن ان تدهن بنوع من انواع الزيت بعد فركها كما تقدَّم . وربما كان زيت الزيتون او دهن جوز الهند خير دهان لذلك ولا يفوقهما الاَّ مستحضرات تحتوي على اللانولين لاسيما اذا أُريد زيادة ثقل الجسم وسمنهِ . وقد يستعمل زيت البترول لهذه الغاية ايضاً اذا أُريد تهييج سطح الجلد

والشيوخ شديدو الشعور بالبرد لان قوة الجلد على المقاومة خفَّت فيهم وكذلك قوة توليد الحرارة ولذلك تراهم ميالين الى الجلوس في منازلهم وتثقيل ملابسهم حتى لا تتعرض ابدانهم للبرد وهذا خطأ كبير وعادة يجب ان يقلعوا عنها رويداً ويقيموا في الخلاء على قدر ما يستطيعون . ويجب ان تكون ملابسهم التحتانية خفيفة ذات مسامّ ويفضل الكتان على غيرهِ وان يلبسوا فوقها قمصاناً من الصوف طبقاً لحرارة الهواء. والخروج من المنازل ضروري لاتمام التأكسد بواسطة الرئتين والجلد. والشعور بالبرد بعد الرياضة اكثر حدوثاً اذا كان الجسم مثقلاً باللباس

التحتاني مما لو لم يكن مثقلاً بهِ وعواقب الاول اوخم من عواقب الثاني بكثير . واذا تبللت الثياب التحتانية بعد الرياضة يجب تغييرها حالاً وكذلك يجب تغيير الجوارب مرارًا لتهوية الاقدام

واهمّ ما يجب الالتفات اليهِ لتأخير الانحلال المرافق لكبر السنّ ولاستعادة كثير من النشاط الطبيعي اشكال الرياضة وصفاتها . فقد أبنت فيما سبق انهُ كلما تقدم الانسان في السن اخذت انسجة الجسم تتصلب وتفقد مرونتها كالحبل الشوكي واربطة المفاصل والجلد واغلفة العضلات ونسيج الاوعية الدموية . واشدّ خطرًا من ذلك كلهِ تصلُّب الاعضاء الموكلة بتغذية الجسم والحواس الخاصة (الحواس الخمس) وهذا ما لم يُشر اليهِ احد قبلي على ما اعلم . ولبيان ذلك اقول انهُ كلما تقدم الانسان في السنّ اخذت وظائف الحواس الخاصة تفقد حيويتها فيظلم البصر وينبو السمع ويبلد الذهن ويفتر الطبع . وكثير من ذلك لا بدَّ منهُ وبعضهُ يمكن تأخيرهُ حتى الموت . فان الانسجة التي حول رقبة الشيخ مثلاً تفقد كثيرًا من مرونتها حتى تتصلَّب رقبتهُ وخصوصًا عند نقرتهِ وقد ظهر لي ان تحريك الرقبة وما حولها من العضلات بالتمرين افضى الى تحسن السمع والبصر وعمل الدماغ وسير الدورة الدموية فيهِ مدة النوم . وجربت ذلك في كثيرين من الذين اصيبوا بضعف في الحواس المذكورة فصلحت حالهم وتحسنت تحسنًا ظاهرًا

وما يصحُّ في هذه الحواس يصحُّ في الجهاز الهضمي ايضًا . فان كثيرًا من الامراض التي تعتري اعضاء الهضم حتى في اواخر الشباب ناشئ عن ارتخاء الانسجة التي تدعمها . فقد قدَّروا ان ٦٠ في المئة من البالغين مصابون بتمدد المعدة وارتخائها وكثيرًا ما لا يرافق ذلك اعراض تدلُّ عليهِ ولكن اذا كان هناك اعراض فان سببها فقد المعدة لبعض قوتها العضلية . واذا كانت جدران البطن ضعيفة مالت اعضاء الهضم الى الارتخاء والهبوط . فتتغير بذلك نسبة الاعضاء بعضها الى بعض وخصوصًا الاوعية الدموية والانسجة التي لها علاقة بوظيفتها فان الكليتين اللتين تسندها الاوعية الدموية الداخلة اليهما والخارجة منهما كثيرًا ما تنفتل الانسجة التي تتعلقان بها فينقطع بذلك مرور فضول الجسم ويتعطل عمل الاعصاب الى حد ان يحدث عن ذلك الم وتتعطل وظيفتهما . والمرأة التي حبلت وولدت الاولاد تتمدد جدران بطنها كثيرًا او قليلاً فيفضي ذلك الى ضررها ويحدث مثل ذلك في الرجل ايضًا اما المرأة فتلجأ الى لبس المشدّ على انواعهِ المختلفة تخلصًا من الضرر . ولما كان المشد شائع الاستعمال كثيرًا فاننا مكرهون على قبولهِ بحكم الضرورة وان كنت اعتقد ان الاستغناء عنهُ ممكن لو سلَّم النساء معي

بذلك ولكن الامر المهم اقناع النساء بلبس المشدات التي هي اقل ضررًا من غيرها فاذا ارتخت جدران البطن كثيرًا وجب دعمها بالمشد الى ان تعود تصلح للعمل الذي وجدت لهُ . ومن الاوليات في الطب ان غاية الدعائم الاصطناعية معاونة الاعضاء على اتمام وظيفتها حتى تعاد انسجتها الى حالها الطبيعية · واول مايجب عملهُ لتلافي هذا الخلل ان يعوَّد الشخص المصاب بارتخاء البطن الوقوف منتصبًا والجلوس منتصبًا على كل حال · فاذا كانت عظام العنق عمودية والاضلاع مرتفعة اتصل الضغط الى جدران البطن نخفظت المعدة والامعاء ضمن حدود الجذع .

والذين يقفون ويجلسون منتصبين اقوى بنية من غيرهم · نعم ان كثيرين من الذين يحنون ظهورهم عند الوقوف والجلوس صحيحو البنية سليمون من المرض ولكنهم ليسوا كما يجب ان يكونوا وهم معرضون لخطر ابتعاد اجهزتهم المضمية عن حماية الجهاز العصبي المركزي بخروجها عن حدودها · اما اعضاء الصدر فان اخطارها اقلُّ من اخطار اعضاء البطن لانَّ لها من الاضلاع حاجزًا حصينًا يقيها الضرر ولكنَّ الرجل الذي ينحني الى الامام بحيث تهبط كتفاهُ وتبرزان وتدخل اضلاعهُ في صدرهِ نحو العمود الفقري يقصر قطر صدرهِ المرسوم من الامام الى الوراء عقدتين الى خمس عقد ولا حاجة الى بيان ان الرئتين والقلب والاوعية الدموية الكبيرة وغيرها من الاعضاء الرئيسة التي في الصدر لاتعيش ولايصلح عملها في احوال مثل هذه ·وزد على ماتقدم ان تدارك هذه الاحوال في حينهِ يحسن الصحة العمومية ويحفظ نظام وظائف الجسم ويؤخر علائم الشيخوخة

ولابدَّ لي من كلمة اقولها في قلوب الشيوخ · فمن المشهور ان الشيوخ لايصلحون للعمل الشاق والسعي وانهُ يجب عليهم ان يعملوا قليلاً او ان لايعملوا شيئًا بل يبقوا كالاخشاب المسندة لانهم لايجدون من انفسهم ميلاً الى العمل · وعندي ان عدم ميلهم الى العمل ناشئٌ عن قلة التأكسد لا عن دافع غريزي يدفعهم الى الضنّ بالبقية الباقية من القوى المذخورة فيهم · ومن المشاهد ان الشيوخ النشيطين هم احسن صحة وادمث خلقًا من غيرهم · فقد عالجت كثيرين من الذين ظهرت عليهم اعراض تغيرات في الدماغ مثل الدوار وضعف الذاكرة واضطراب السمع والبصر وفقد الوجدان مدة قصيرة وقد بلغوا السبعين من العمر او اكثر · والعلاج الذي يوصف لهم عادة ان ينقطعوا عن كل حركة ويأووا الى منازل دافئة اما انا فعالجتهم بفرك الجلد ودهنهِ بالزيت ودلكهِ والرياضة البدنية على نحو ما اشرت اليهِ آنفًا واخيرًا اشرت عليهم بالسكن في الخلاء ومداومة الحركة · وبعضهم جاوز حدَّ الثمانين ولا يزال قوي

الجسم حسن الصحة

هذا وان ما يصيب الشيوخ من الاعياء بعد اجهاد القوى لايمكن ازالتهُ منهم تماماً وعليهِ فلا يجوز ان يطيلوا العمل الشاق بل يجب ان يستريحوا فترة بعد اخرى واذا كانت قلوبهم ضعيفة يجب ان يستلقوا عند طلب الراحة. ثم انهُ يجب عليهم ان يمتنعوا عن اجهاد العضلات برفع الاثقال او ما شاكل من طرق الرياضة لان عظامهم تصغر حجماً فتخف ثقلاً وترق جدرانها من الداخل وخصوصاً عند اطرافها فيسهل انكسارها ويجب ان تكون رياضتهم بطيئة خفيفة

اما استعمال العقاقير والادوية فقلما يخفف اوصاب الشيخوخة الاَّ ان شرب المياه المعدنية امرٌ لجأ الناس اليهِ منذ قديم الزمان فافاد فائدة لاتنكر. وقد ثبت من التجارب الحديثة فائدة معالجة تصلُّب الشرايين بحقن الجسم ببعض الاملاح مثل فوصفات الصودا وفوصفات المغنيسيا فتحلل فوصفات الكلس الذي يسبب تصلُّب الشارايين فادى ذلك الى نتائج حسنة واشار بعض الاطباء بشرب الاملاح المذكورة فلم تقل فائدة ذلك عن فائدة الحقن بها

ومما يجب على الشيوخ اعتيادهُ التنفس الطويل زفيراً وشهيقاً اذ تضغط عضلات البطن بذلك الاحشاء وخصوصاً الكبد والاعضاء الكبيرة فتساعد على الافراز والابراز. وهذه الواسطة تكفي وحدها احياناً كثيرة لتنظيم عمل الامعاء والكليتين

البوارج والطرابيد

لما استنبط الطربيد وثبت فعلهُ الذريع اوجس الناس منهُ شرًّا وقالوا انهُ سيكون القضاء المبرم على البوارج وسائر السفن الحربية. ولم تنشب حرب بحرية كبيرة بعد ذلك الاَّ الحرب الاميركية الاسبانية لكن لم يلجإ الاسبانيون ولا الاميركيون الى نسف البوارج بالطرابيد واللغوم ولاظهر للغم والطربيد فعل يذكر الاَّ في هذه الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان فقد اتضح منها جليًّا ان اللغم قد ينسف اكبر البوارج ويوردها حتفها في لحظة من الزمان وان الطربيد يثغرها فيعطلها او يغرقها في دقائق قليلة. وثمن البارجة مليون جنيه الى مليون ونصف وقد يغرقها اللغم او الطربيد هي ورجالها ولا يقلُّ عددهم عن سبع مئة الى تسع مئة نفس واما اللغم والطربيد فلا يزيد ثمن الواحد منهما على مئات من الجنيهات

لما اتضحت هذه الحقيقة وقفت الدول صاحبة البوارج الكبيرة حيرى في امرها تضرب

اخماساً لاسداس وهي مترددة في اتباع خطتها من بناء السفن الحربية او الانتظار الى ان يُكشَف سبيل لوقايتها من اللغوم والطرابيد . والظاهر ان الاميركيين عزموا ان يكفُّوا عن بناء البوارج الآن الى ان يروا ما يكون من امر هذه الحرب

قلنا ان ثمن البارجة من مليون الى مليون ونصف من الجنيهات يكون فيها من الضباط والبحارة من ٧٠٠ الى ٩٠٠ نفس لكن هذا المبلغ من المال وهذا العدد من الرجال ليس كل ما يفقد بها بل ان نفقتها كبيرة في الحرب وفي السلم ايضاً فان مدافعها كثيرة وقنابلها ثمينة ولا بد من تمرين بحَّارتها على اطلاقها في زمن السلم . واذا نشبت الحرب اضطرت ان تطلق مئات من القنابل قبلما تصيب العدو بواحدة منها . ولكبر جسمها وثقلهِ لا تجري ولا تسرع ما لم يوقد فيها الوف من قناطير الفحم الحجري ولذلك لا يستغرب انفاق الدول البحرية عشرة ملايين من الجنيهات او عشرين مليوناً او ثلاثين مليوناً على سفنها الحربية وبحَّارتها كل سنة لان بوارجها وطرَّاداتها كثيرة النفقة فاذا مرَّ على بارجة خمس سنوات فتكون قد بلغت نفقات بنائها وتسليحها وتعليم رجالها وتمرينهم نحو ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات فتمحق كلها في لحظة من الزمان يمحقها طربيد لا تبلغ نفقتهُ ٣٥٠ جنيهاً اي ان الجنيه الواحد يتلف عشرة آلاف جنيه في لحظة من الزمان



واشهر انواع الطرابيد طربيد هوبتهد المرسوم في هذا الشكل وهو يسير الآن بقوة الهواء المنضغط الذي فيهِ بسرعة نصف ميل في الدقيقة فانهُ يدير اللولب الذي في مؤخرهِ فيسير بهِ بهذه السرعة الفائقة ثم تقل السرعة رويداً رويداً بقلة الهواء المنضغط حتى اذا وصل الى جنب البارجة ولطم رأسهُ بها اشتعل ذخيرهُ فانفجر ما فيهِ من قطن البارود وفعل فعلهُ الذريع . ولقد بلغ هذا الطربيد حد الكمال المطلوب من حيث السرعة وشدَّة الفعل ولكنهُ اذا لم يسدَّد الى الغرض تسديداً محكماً جدًّا او اذا مال الغرض من وجههِ قبل وصولهِ اليهِ او اذا القت البارجة حولها شبكةً من الزرد كما تفعل البوارج الانكليزية او اذا كان في آلتهِ او سطح انبوبهِ اقل خلل او تجعد فلا فائدة منهُ بل يكون منهُ ضرر على السفينة التي تطلقهُ لانهُ قد يسير في دائرة فيعود اليها وينفجر تحتها فينسفها نسفاً ولذلك بلغ من اعتنائهم بالطرابيد ان صاروا يمتحنون سيرها مرة كل شهر ويزنون ما فيها من قطن البارود ويمتحنونهُ مرة كل سنة ويمتحنون مكان الهواء

المنضغط مرة كل ثلاث سنوات . ويلحقون كل طريد بجريطة يكتبون فيها تاريخهُ من حين نشأنهِ . ومع ذلك بقي معرَّضاً للخطاء وللاضرار بطلقيهِ كما تقدم فضلاً عن ان القوارب التي تطلقهُ تضطرُّ ان تدنو من البوارج جدًّا فتكون عرضة لقنابلها والقنبلة الصغيرة منها ترسل القارب ومن فيهِ الى اعماق البحر

ولما ثبت انهُ يسهل ارسال المجاري الكهربائية من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية جعل المخترعون يفكرون في استخدامها لتسديد الطرابيد وهي تحت الماء ويقال ان المستر ثربتن ارمسترنج تمكن من ذلك فوضع في الطريد آلة كهربائية تتأثر بمجاري مركوني ووضع على البر او في السفن آلة كهربائية ترسل منها الامواج الكهربائية الى الطريد فتتحكم بحركتهِ ويكون في هذا الطريد انبوب يندفع منهُ مجرى من الماء من وقت الى آخر فيستدلُّ مطلقهُ على موقعهِ ويوجه الامواج الكهربائية اليهِ واذا درى بهِ العدو وصبَّ عليهِ سيلاً من القنابل يغرقهُ قبل وصولهِ الى البارجة فالذي اطلقهُ يرى ذلك ويجعل الامواج الكهربائية تبعد بهِ عن موقف الخطر واذا رأى البارجة تحوَّطت لهُ والقت حولها شبكة الزرد حتى يشتبك بها ولا ينفجر جعلهُ يعود ثم يغور في الماء وينزل الى تحت اطراف الشبكة ويصل الى قاع البارجة الاسفل وينفجر هناك

ولقد دعا استنباط الطريد الى استنباط اشياء كثيرة تقي منهُ او تقوي فعلهُ كالشباك المذكورة آنفاً وقاطعات الشباك التي تمزقها وتسهل على الطريد الوصول الى البوارج وخاطفات الطريد التي تسرع اكثر من قوارب الطريد وتكسرها ومتلفات الطريد التي قامت مقام الخاطفات لانها اخف منها واسرع وارخص . والآن قامت كهربائية مركوني التي ترشد الطريد في سيرهِ حتى يصل الى الغرض المطلوب فاذا وفت بالمراد ولم يوجد سبيل يقاومها ويمنع فعلها فقد قضي على البوارج الكبيرة ولم تعد منها فائدة تذكر

الاَّ ان رجال البحرية لم يعترفوا حتى الآن بفائدة الكهربائية في تسديد الطريد على ما يظهر فقد زرنا بالامس الاسطول الانكليزي الذي جاء مدينة الاسكندرية في اواخر الشهر الماضي ودخلنا السفينة فلكان التي هي مخزن الطرابيد وقواربها ورأينا قوارب الطريد مصفوفة على ظهرها مستعدة للنزول في البحر عند اول اشارة وهي مجهزة بكل ما يلزم لها ورأينا الانبوب الذي تدفع منهُ الطرابيد بالهواء المنضغط والطرابيد مصفوفة على جانبيهِ وشبكة الزرد معلقة بالسفينة ومطوية حولها يسهل نشرها في دقيقة من الزمان فتحول بينها وبين ما ترمى بهِ من الطرابيد . وسألنا ربان السفينة عن طريد ارمسترنج وما ينتظر منهُ فاظهر الريب فيهِ والاستخفاف

بهِ . وقد لايكون عالماً بما وصل اليهِ هذا الطربيد الآن لانهُ يقال ان الحكومة الانكليزية والحكومة الاميركية مهتمتان بامرهِ اشد الاهتمام· واخو الانسانية يفرح باتقان ادوات الهلاك لانها قد تضطر الناس اخيرًا الى ترك القتال

الماء في الطعام

من الاطعمة ما يُرى الماء فيهِ كالمرق والعنب والبرتقال ومنهُ ما لا يرى فيهِ ماء جافًا كان كالخبز او طريًا كاللحم ولكن لا يخلو طعام من الماء مهما كان جامدًا فالخبز تراهُ جامدًا لا ماء فيهِ وتلمسهُ لا تشعر ان فيهِ نقطة ماء ولا سيما اذا كان جافًا يابسًا وهو في الحقيقة مشحون بالماء لا يقل الماء فيهِ عن ثلاثين في المئة وقد يبلغ اربعين في المئة او اكثر . والدقيق الذي يُصنع الخبز منهُ يكون فيهِ ١٧ في المئة من الماء · ففي كل مئة درهم دقيقًا ١٧ درهمًا ماء واذا عُجنت وخبزت بلغ وزن خبزها ١١٧ درهمًا الى ١٢٣ درهمًا فيزيد وزن الخبز على وزن الدقيق حتى ان الخباز الذي يأخذ منك رطلاً من الدقيق ويرد اليك رطلاً من الخبز يكون قد ربح منك اوقيتين او اكثر سواء عرفتَ ذلك او لم تعرفهُ · ومعلوم ان الماء في الخبز الجاف اقل منهُ في الخبز اللين وفي القشرة الظاهرة اقل منهُ في اللب الباطن . ويبقى الماء في الخبز من يوم الى آخر ولو جفَّ ويبس لانك اذا وضعتهُ على النار لان حالاً وظهر فيهِ بخار الماء ولكنهُ اذا حُمّص حينئذٍ زال اكثر الماء منهُ

واللحم كثير الماء لكن الماء في الدهن اقل منهُ في الهبر ولهذا تجد الهبر ثقيلاً لكثرة ما يحوي من الماء واما الدهن فيكون خفيفًا . ويختلف مقدار الماء في اللحم باختلاف نوعهِ وموضعهِ من الحيوان وكون الحيوان سمينًا او هزيلاً · ففي لحم الغنم عادة ٧٥ في المئة من الماء اي في كل رطل من لحم الغنم تسع اواقي من الماء وثلاث اواقي فقط من المادة اللحمية · وان كان الخروف حَمَلاً سمينًا فالماء في لحمهِ اقل من ذلك يبلغ نحو ٦٤ في المئة واذا كان خنزيرًا سمينًا جدًّا فالماء فيهِ ٥٠ الى ٥٥ في المئة واذا قدّد وجفّ لم يبق فيهِ الاَّ ٢٢ في المئة من الماء ولذلك يغلو ثمن اللحم المقدد اذا بيع بالوزن لان ثقلهُ يخفُّ بتقديدهِ · والماء في لحم الطيور من ٧٥ في المئة الى ٣٨ في المئة حسب نحافتها وسمنها ففي الحمام ٧٥ في المئة وفي الدجاج والبط وصغار الديوك الرومية ٧٠ في المئة وفي الاوز السمين ٣٨ في المئة · واذا زاد ثمن الطيور قل الماء في ابدانها مثل سائر الحيوانات

وفي البيض الجديد ٦٥ في المئة من الماء فاذا عتق تبخر بعض مائهِ فلم يعد مافي البيضة يملاها ولذلك يظهر جانب من البيضة العتيقة فارغًا اذا سُلقت لكن طعمها يفسد ولو قل ما فيها من الماء بالنسبة الى الغذاء

والزبدة لاتخلو من الماء ويبلغ مقدار الماء فيها من ٢٠ في المئة الى ١١ في المئة واذا أُحسن استخراجها لم يزد ماؤُها عن ١١ او ١٢ في المئة وما زاد على ذلك يترك فيها احتيالاً

واللبن كثير الماء كما لايخفى ولو لم يمزج بهِ غشًّا ويبلغ الماء فيهِ نحو ٨٧ في المئة ولبن المساء اقلُّ ماءً من لبن الصباح فهو اكثر منهُ غذاءً

والسمك كثير الماء كاللحم واجودهُ اكثرهُ ماءً ويختلف مقدار الماء فيهِ من ٧٨ في المئة الى ٤٠ في المئة حسب نوعهِ ومقدار الدهن فيهِ

والخضر والبقول كثيرة الماء جدًّا ففي الخيار والقثاء ٩٥ في المئة من الماء وفي الخس ٩٢ في المئة وفي اللفت ٩٠ في المئة وفي الكرنب ٧٨ في المئة وفي البطاطس ٧٤ في المئة

ويختلف مقدار الماء في الجبن حسب انواعهِ من ٢٠ في المئة فقط الى ٦٣ في المئة

والفاكهة كالخضر في كثرة الماء ففي التفاح ثمانون في المئة ماءً . والعنب يظهر اكثر مائيةً من التفاح لكن الماء فيهِ ليس اكثر منهُ في التفاح والفرق بينهما ظاهري فقط من هذا القبيل واغرب من ذلك ان يكون الماء في الخيار اكثر منهُ في العنب كما رأيت ولذلك يتغذى الجسم من العنب اكثر مما يتغذى من غيرهِ من الفواكه والبقول والخضر

وواضح مما تقدم ان كل ما نأكلهُ لا يخلو من الماء مهما كان جافًّا والماء كثير فيهِ غالبًا يزيد على نصف وزنهِ واذا لم يكن الماء كثيرًا في الطعام فلا بد من طبخهِ بالماء ومزجهِ بهِ كما تطبخ الارز والحبوب على انواعها بل نزيد الماء في ما فيهِ ماء كثير لكي يسهل مضغهُ وهضمهُ ثم اننا نشرب كثيرًا من الماء وكل ما نشربهُ من الاشربة اكثرهُ ماء واذا كان الفصل صيفًا والهواء حارًّا جافًّا فقد يشرب الواحد اقة او اقتين من الماء في يومهِ ولا غرابة في ذلك لان اجسامنا مثل اجسام الحيوانات التي نأكلها كثيرة الماء والماء عنصرنا الاكبر ولا بدَّ منهُ لاجسامنا كما لابدَّ منهُ لهضم الاطعمة التي نأكلها وتذويبها . والذين لايشربون ماء يشربون ما يقوم مقامهُ من الاشربة الكثيرة الماء او يأكلون كثيرًا من الخضر والبقول وكلها كثيرة الماء

باب الزراعة

تقرير جارستن

والمشروعات المنتظرة

لما تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على ان المالية المصرية تطلق من قيودها القديمة فيتاح لها استعمال الاموال المتوفرة لديها واستعمال ما يزيد من ايراداتها على نفقاتها سنة بعد سنة في ما يعود على القطر المصري والامة المصرية بالخير عقدت الآمال بان جانباً كبيرًا من تلك الاموال ينفق على اعمال الري والصرف حتى تصل المياه الكافية الى كل بقعة يمكن زرعها في هذا القطر وفي الاقطار السودانية ايضاً . وشاع منذ عهد قريب ان جناب السر وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية اخذ يدرس مشروعات الري المختلفة التي اشار بها هو والسر وليم ولككس وغيرهما من كبار المهندسين وانهُ وضع فيها تقريرًا مسهباً . واختلفت الآراء في فحوى هذا التقرير وما يؤيدهُ من المشروعات وما ينقضهُ منها ولم يتح لاحد الاطلاع على ما فيهِ الى ان نشر بالامس فاذا هو كتاب جليل فيهِ اكثر من ثلاثمئة صفحة كبيرة ومئات من الصور والاشكال والخرائط يوصف فيها تسع مشروعات كبيرة للري والاماكن التي يراد عملها فيها ولاسيما المشروعات الكبيرة التي يراد بها تكثير ماء النيل بتكثير ما ينصبُّ اليهِ من البحيرات الاستوائية وتقليل ما يضيع منهُ بالتبخر ونحوهِ في تلك الجهات

وقد تكلم السر وليم جارستن على هذه المشروعات بالاسهاب التام واضطرَّ ان يزور اعالي السودان بنفسهِ ويرسل وكلاءهُ الى بعضها حيث تعذَّر عليهِ الذهاب واستقصى مباحث الذين سبقوهُ اليها من قديم الزمان الى الآن من فرنسويين وانكليز والمان وغيرهم وجمع من المعلومات والحقائق ما ملأَ مئتي صفحة كبيرة ثم لخَّص ذلك كلهُ في فصل قال فيهِ ما ترجمتهُ

"ان مصالح مصر مرتبطة بمصالح السودان في كل الاعمال التي يراد بها تدبير النيل حتى يتعذَّر الفصل بينهما فان البلادين تستمدان ماءهما من مصدر واحد وتعتمدان عليهِ في زراعتهما ولذلك يتعذَّر ان ينظر في مشروع كبير للري يتعلق بالبلاد الواحدة من غير نظر الى البلاد الاخرى"

ثم بيّن ان المشروعات الكبيرة المتعلقة بالسودان خاصة لاتدعو الحال الى تقديمها على غيرها لان بلاد السودان لم تزل محتاجة الى كثرة السكان ولان المشروعات نفسها لم تدرس الدرس الكافي حتى الآن ٠ ومن هذه المشروعات اربعة تستحق ان يشرع في درسها في اول فرصة ممكنة اثنان متعلقان بالبحر الازرق واثنان بالبحر الابيض فالمتعلقان بالبحر الازرق احدهما التحكم بنهر القاش وفيضانهِ والثاني انشاء سد كسد اصوان او قناطر كالقناطر الخيرية على البحر الازرق نفسهِ وهذان المشروعان يفيدان بلاد السودان خاصة بخلاف المشروعين المتعلقين بالبحر الابيض فان فائدتهما تعود على القطر المصري بنوع خاص احدهما حفر مجرًى جديد للنيل في البطائح الاستوائية بين بور ونهر السبت تقصر بهِ المسافة ويقلّ التبخر جدًّا ويحفظ ما يضيع الآن من ماء النيل بانتشارهِ في بطائح فسيحة لا فائدة منها ٠ واذا كانت طبيعة الارض لا تأذن بحفر هذا المجرى فيها اما لارتفاعها الكثير او لانخفاضها الكثير فيلجأ الى اصلاح المجرى المعروف الآن ببحر الزراف ٠ هذا هو المشروع الواحد والمشروع الثاني التحكم بمياه بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت حتى ينصبَّ منهما المقدار الكافي من الماء في الوقت المطلوب من السنة

وقد قدَّر نفقات المشروع الاول من مشروعي البحر الازرق بنصف مليون جنيه ونفقات المشروع الثاني بمليون جنيه ونفقات مشروعي البحر الابيض بخمسة ملايين ونصف من الجنيهات وقال انها قد لا تزيد على ثلاثة ملايين واربع مئة الف جنيه

اما المشروعات التي يراد عملها في القطر المصري نفسهِ فأخصها خمسة اولها تعلية خزان اصوان وتبلغ نفقات ذلك نصف مليون جنيه وثانيها اصلاح فرعي رشيد ودمياط حتى يؤمن بهما الغرق وتبلغ نفقات اصلاحهما تسع مئة الف جنيه وثالثها عمل ما يلزم من الترع في الوجه البحري لارواء ما فيهِ من اراضي البور ونفقات ذلك نصف مليون جنيه ورابعها عمل ما يلزم من الترع في الوجه القبلي لاتمام الري الصيفي فيهِ ونفقات ذلك مليونان ونصف مليون من الجنيهات وخامسها اقامة قناطر على النيل بين اسيوط وقنا ونفقاتها مليون جنيه

وقد بقيت مشروعات أُخرى تقتضي اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات اشار السر وليم جارستن بتركها الى ما بعد اتمام المشروعات الاولى

والمشروع الاول الذي يتشوّف اليهِ جمهور القراء هو مشروع تعلية الخزان فقد قال السر وليم ولككس انهُ اذا علي ستة امتار فقط تضاعف ما يخزن بهِ الآن من الماء ٠ وقال السر وليم جارستن في تقريرهِ هذا انهُ كان يعارض دائمًا في تعلية الخزان اما الآن فيعدل عن المعارضة اذا عملت اعمال أُخرى تزيد بها المياه ويؤمن الغرق اي اذا كانت تعلية الخزان جزءا من

مشروع كبير يراد بهِ تكثير ماء النيل والتحكم بهِ وقت الفيضان ولا يقتصر على ابطال المعارضة حينئذٍ بل يشير ايضاً بهذه التعلية ويقول انها تصير مفيدة جدًّا . وذا عزمت الحكومة المصرية على تعلية الخزان فعليها في الوقت نفسهِ ان تعزم على عمل الاعمال الاخرى التي يزاد بها الماءُ الجاري في النيل الآن ويؤمن بها الضرر من الفيضان الغزير ولاسيما بعد ان يبطل ريُّ الحياض في الوجه القبلي ولا يعود لمياه الفيضان مصرف الاَّ النيل نفسهُ . قال وكنت اولاً اعترض على تعلية الخزان لخمسة اسباب الاول لانهُ لم تكن الحاجة ماسة الى تعليتهِ والثاني لانهُ لم يكن في الامكان ايجاد الاموال اللازمة للمشروعات المتعلقة بتعليتهِ الاَّ بعد اتمامهِ وتحقق نجاحهِ والثالث لان خزن الماء الكثير في الخزان قبل تكثير الماء في النيل يقلل الماء في مجرى النيل تحت الخزان ويضرُّ الملاحة في شهور الشتاء والرابع لانهُ لا سبيل لتصريف مياه الفيضان التي ستزيد غزارة بعد ابطال ري الحياض (المترتب على تعلية الخزان) وخامساً لان هذه التعلية تزيد مايغمر من هياكل انس الوجود

وشرح هذه الاسباب وقال انهُ ثبت الآن ان غمر الهياكل لايضر بحجارتها . ويكون منهُ شيءٌ من الضرر فوق حد الماء يمكن تلافيهِ بغسل الحجارة هناك من الاملاح التي ترسب فيها

والتفت الى مشروع وادي الريان الذي اشار بهِ السر وليم ولكس واشار بهِ قبلهُ المستر كوب هوِيتهوَس . وقال ان نفقاتهِ تزيد كثيرًا على ما قدرهُ السر وليم ولككس ويخشى ان المياه ترشح منهُ الى اراضي الفيوم فتتلفها ولا يمكن ان يقام دليل قاطع على اثبات هذا الامر او نفيهِ الاَّ بعد ان يمتلئ وادي الريان ماء وتمضي عليهِ عدة سنوات اي يجب ان تنفق خمسة ملايين من الجنيهات على هذا الخزان وينتظر بضع سنوات حتى يعلم ما اذا كان متلفاً لاراضي الفيوم او غير متلف لها فاذا كان الامر كذلك فلا يمكن ان يشير عاقل بعمل مثل هذا تنفق عليهِ القناطير المقنطرة من الاموال ثم يخشى من ضررهِ . وقد قال السر وليم ولككس انهُ لاخوف من رشح الماء بدليل انهُ لما كانت الفيوم مملوءةً ماء اي كانت فيها بحيرة مورس لم يرشح الماء منها الى وادي الريَّان الاَّ ان السر وليم جارستن ترك الحكم في هذا الاستدلال الى علماء الجيولوجيا واستشهد بقول العلامة شوينفرث وهو انهُ اذا ملئ وادي الريان ذهب بعض مائهِ في الشقوق التي في اسفلهِ . وقال ان السر بنيامين باكر والمهندسين رفيقيهِ اعربوا عن خوفهما من هذا الارتشاح وقالوا انهُ اذا ملئ وادي الريان ماء فقد تنفجر منهُ عيون وينابيع في الاماكن السفلى من الفيوم ولم يشيروا على الحكومة المصرية بجعل وادي الريان خزاناً لهذا السبب

وقد اشار السر وليم ولككس باصلاح فرع رشيد من فرعي النيل حتى يصير عرضهُ واحداً

على طوله ولو دعت الحال الى توسيعهِ حيث يقرب جسراهُ احدهما من الآخر حتى اذا جاء الفيضان غزيرًا تصرّفت زيادتهُ في هذا الفرع · فوافقهُ السر وليم جارستن على ذلك · واشار السر وليم ولككس ايضاً باصلاح فرع دمياط وجعلهِ ترعة كبيرة واجراء الماء فيهِ بالقسط من عند القناطر الخيرية ومازادعنهُ يحوّل الى فرع رشيد وقد وافقهُ السر وليم جارستن على ذلك ايضاً حتى لا يجري في فرع دمياط الاَّ ما يجري فيهِ الآن في الفيضان المعتدل وقال ان هذا الفرع يحتمل ذلك الآن ولاسيما اذا انفقت الاموال اللازمة لتقوية جسورهِ واصلاحها وحسب ان المبلغ الذي قدَّرهُ السر وليم ولككس لاصلاح هذين الفرعين وهو تسع مئة الف جنيه غير كثير

فقد وافق السر وليم ولككس على تعلية الخزان وعلى اصلاح فرعي رشيد ودمياط ولم يوافقهُ على جعل وادي الريان خزانًا للماء · واشترط لتعلية الخزان ان يصلح مجرى النيل في بحر الجبل حتى يسلم جانب كبير من مائهِ من الضياع والاَّ فلا فائدة من تعليتهِ

وقال ان هذه المشروعات الثلاثة وهي اصلاح مجرى النيل في بحر الجبل في اعالي السودان وتعلية الخزان واصلاح فرعي رشيد ودمياط انما هي اجزاء من مشروع واحد كبير فلا تفيد الفائدة المطلوبة مالم تتم اجزاؤهُ الاخرى لان ازدياد الماء في القطر المصري يستلزم عمل اعمال أُخرى عظيمة من الترع والمصارف والاَّ فلا فائدة من ازديادهِ وهذه الاعمال تقتضي نفقات طائلة ولكن لاتدعو الحال الى عملها كلها في سنة واحدة بل يمكن توزيعها على عدة سنوات · ولذلك يُفرَض على الحكومة المصرية ان تعلم ان تعلية الخزان لاتكفي ولا تفيد ما لم تعمل معها اعمال اخرى تقتضي نفقات كثيرة · فبين اسيوط وقنا ٧٥٠٠٠٠ فدان تروى الآن ري الحياض ويجب تحويلها الى الري الصيفي وقد ظهر بالاختبار في المديريات الوسطى ان نفقات هذا التحويل تبلغ اربعة جنيهات لكل فدان واذا أُضيف الى ذلك مايلزم للترع الكبيرة بلغت النفقات سبعة جنيهات لكل فدان · ولا بدَّ حينئذٍ من انشاء صف من القناطر بين اسيوط وقنا مثل قناطر اسيوط ولا تقل نفقات انشائها عن مليون جنيه · والاصلح ان ينشأ صفان من القناطر فتكون نفقاتهما مليوني جنيه ونفقات الترع والمصارف اللازمة لتحويل ٧٥٠ الف فدان الى الري الصيفي ثلاثة ملايين من الجنيهات فتصير النفقات اللازمة بين اسيوط وقنا خمسة ملايين من الجنيهات

ثم ان جانباً من المياه التي تزيد بتعلية الخزان يستعمل في الوجه البحري ويستلزم انشاء ترع ومصارف جديدة ويصعب عليَّ ان احدد المبالغ اللازمة لذلك الآن ولكنها قد لا تقل عن مليون جنيه

والاعمال التي تعمل الآن في المديريات المتوسطة يقتضي اتمامها نحو مليون جنيه · وهذا المبلغ الاخير من ضمن المشروع الذي قرّت عليهِ الحكومة المصرية ولذلك لايحسبهُ بين الاموال المطلوبة

والاعمال التي يجب عملها في السودان ستة وهي

(١) اصلاح مجرى النيل في بحر الجبل
(٢) انشاء قناطر على البحر الازرق
(٣) انشاء الترع اللازمة في بلاد الجزيرة
(٤) انشاء قناطر موازنة على نهر القاش
(٥) انشاء خزان في مكان جنوبي الرصيرص
(٦) انشاء قناطر موازنة في مخارج بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت

والعمل الاول والاخير تعود فائدتهما على القطر المصري وعلى وادي النيل شمالي الخرطوم والاعمال الاربعة الباقية تعود فوائدها على بلاد السودان خاصة

والعمل الاول يمكن اتمامهُ على اسلوب من اسلوبين الواحد انشاء مجرى جديد للنيل بين بور والسبت والثاني اصلاح بحر الزراف · وقد قدّر ان انشاء المجرى الجديد تبلغ نفقاتهُ اربعة ملايين ونصفاً من الجنيهات على الاقل وهو يتم بالكراكات وان انشاء قناطر الموازنة لبحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت تبلغ نفقاتهُ مليون جنيه فتصير النفقات اللازمة لتكثير المياه قبل تعلية الخزان خمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات · اما اصلاح بحر الزراف فلا تبلغ نفقاتهُ مع نفقات قناطر الموازنة اللازمة لهُ سوى ثلاثة ملايين واربع مئة الف جنيه ولكن المشروع الاول افيد من المشروع الثاني جدًّا ولوكانت نفقاتهُ اكثر فاذا وُجدت الاموال اللازمة لهُ وجب ان يفضل على المشروع الثاني حتماً · ولم يقطع السر وليم جارستن بمقدار النفقات اللازمة لهُ بل قال لابدّ من البحث والتدقيق في اخذ المساحات والمناسيب قبل تقدير هذه النفقات تقديرًا صحيحاً

والاعمال اللازمة للسودان خاصة تبلغ نفقاتها خمسة ملايين وخمس مئة الف جنيه فاذا اضيف اليها النفقات اللازمة للقطر المصري خاصة بلغت النفقات كلها ١٩ مليون و٣٠٠ الف جنيه او ٢١ مليون و ٤٠٠ الف جنيه فاذا وجدت هذه الاموال امكن اتمام الاعمال كلها في نحو عشر سنوات الى خمس عشرة سنة · ثم قال انهُ يمكن الاستغناء الآن عن خزان الرصيرص وعن جانب كبير من الترع في بلاد الجزيرة والاكتفاء بصف واحد من القناطر بين اسيوط وقنا

فتصير النفقات كلها ١٢٩٠٠٠٠٠ جنيه اي اقل من ثلاثة عشر مليون جنيه واذا اكتفي باصلاح بحر الزراف قلت النفقات ايضاً فبلغت عشرة ملايين و ٨٠٠ الف جنيه وهاك تفصيل ذلك على اقل التقادير

(١) تعلية الخزان تكلف	٥٠٠٠٠٠ جنيه
(٢) اصلاح فرعي رشيد ودمياط	٩٠٠٠٠٠
(٣) « مجرى النيل في بحر الجبل	٥٥٠٠٠٠٠
(٤) الترع اللازمة للوجه البحري	٠٥٠٠٠٠٠
(٥) " " القبلي	٢٥٠٠٠٠٠
(٦) صف قناطر بين اسيوط وقنا	١٠٠٠٠٠٠
(٧) " على البحر الازرق	١٠٠٠٠٠٠
(٨) ترع في بلاد الجزيرة	٠٥٠٠٠٠٠
(٩) الاعمال اللازمة لنهر القاش	٠٥٠٠٠٠٠
والجملة	١٢٩٠٠٠٠٠

ونظر السر وليم جارستن بعد ذلك الى الفوائد التي تجنيها المالية المصرية من انفاق هذه الاموال فقال انها تتقاضى ٥٠ غرشاً عن كل فدان بين اسيوط وقنا و٣٠ غرشاً عن الري بالآلات قبلي قنا . وفي الوجه البحري يضرب على الارض البور التي تصلح وتروى ريّاً صيفيّاً مئة غرش على الفدان متى تم اصلاحها فتصير زيادة الايراد هكذا

من ٧٥٠٠٠٠ فدان بين اسيوط وقنا	٣٧٥٠٠٠ جنيه
من ١٠٠٠٠٠ فوق قنا	٣٠٠٠٠ "
من ٨٠٠٠٠٠ في الوجه البحري	٨٠٠٠٠٠ "
والجملة	١٢٠٥٠٠٠ "

اما في السودان فيمكن ربط ضريبة خمسين غرشاً على ٧٠٠٠٠٠ فدان في الجزيرة وعلى ١٠٠٠٠٠ فدان على نهر القاش وعلى ٢٠٠٠٠٠ فدان شمالي الخرطوم فتبلغ الضريبة عليها كلها ٥٠٠٠٠٠ جنيه ويبلغ ربح الحكومة السنوي من هذه الاعمال ١٧٠٥٠٠٠ اي نحو ٨ في المئة بالنسبة الى النفقات المطلوبة عدا ما تستفيدهُ الحكومة من بيع الاطيان البور التي لا ثمن لها الآن وعدا ما يزيد من ايراد سكك الحديد والجمارك

تقدير الموسم الاميركي

عثرنا على الجدول التالي في جريدة البصير وفيهِ تقادير ديوان الزراعة الاميركي لموسم القطن منذ عشرين سنة الى الآن ومقدار المحصول اخيراً

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	—	—	—	٣١٧٣٠٣٧١
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	—	٢٨٩٠٧٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	١٠٧٢٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥٠٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢٠٠٠٠
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨٠٠٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١ ٠	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٧١٥٧٠٠٠	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٢ ٧	٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٢ ٧	٨٠ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٧٥٥٠٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢ ٧	٧٤ ٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ ٠	٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩٠٠٠
١٨٨٩	٨٦ ٤	٨٧ ٦	٨٩ ٣	٨٦ ٦	٨١ ٤	٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨ ٢	٨٦ ٧	٨٧ ٣	٨٣ ٨	٧٨ ٩	٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٧٠٠٠
١٨٨٧	٩٦ ٩	٩٧ ٠	٩٣ ٣	٨٢ ٨	٧٦ ٥	٧٠١٨٠٠٠	١٨٥٢٢٠٠٠

ويظهر من هذا الجدول ان السنة الحاضرة تشبه سنة ١٨٩٤ في تدرُّج التحسين في حالة المزروعات بل هي اجود من سنة ١٨٩٤ من هذا القبيل لان تلك كانت حالة المزروعات فيها ٨٨ في يونيو و ٨٩ في يوليو و٩١ في اغسطس واما هذه فحالة المزروعات فيها كانت ٨٣ في يونيو و٨٨ في يوليو و٩١ في اغسطس فالتحسُّن كثير فيها وكان المحصول سنة ١٨٩٤ نحو عشرة

ملايين بالة مع ان مساحة الاراضي المزروعة قطناً كانت ٢٣ مليون فدان اما هذه السنة فمساحة الارض المزروعة قطناً تبلغ نحو ٣٢ مليون فدان فاذا استمرّت حالة الزراعة هذه السنة على مثل ما كانت عليهِ سنة ١٨٩٤ فلا عجب اذا بلغ المحصول الاميركي ١٣ مليون بالة هذه السنة ولكن لا يعلم ما يصيب المزروعات من الآفات في شهر اغسطس وسبتمبر وعليهما يتوقف مقدار المحصول بنوع عام . وقد جاءَت الاخبار منبئة ان شجر القطن نامٍ نموًّا عظيمًا ولكن لوزهُ قليل فان صحَّ ذلك ودام لم يأتِ الموسم كبيرًا كما دلت اوائلهُ

القطن

لاغرابة اذا شحنَّا باب الزراعة في كل جزء بالكلام على القطن لانهُ معتمد القطر المصري الآن وسيزيد اعتمادهُ عليهِ باتساع نطاق الري الصيفي على ما في المشروعات المشار اليها آنفًا

ويبلغ محصول القطر المصري من القطن الآن نحو ستة ملايين قنطار واذا تمت المشروعات التي اشار اليها السر وليم جارستن في تقريرهِ واصلحت الاراضي البور في الوجه البحري وتم الري الصيفي في الوجه القبلي كلهِ فلا يبعد ان يتضاعف محصول القطر المصري من القطن . ويضاف الى ذلك ما يمكن جنيهُ من السودان وهو قليل طبعًا لقلة السكان الذين يمكن ان يعملوا في زرع القطن ومع ذلك لاخوف من ان يزيد قطن القطر المصري على المقطوعية لان مقطوعية الناس للقطن تزيد مليونين ونصف مليون قنطار كل سنة فمهما زاد محصول القطر المصري من الآن الى عشر سنوات لا يزيد اكثر من زيادة المقطوعية في سنتين ثم تقف زيادة المحصول عند ذلك الحد . اما زيادة المقطوعية فلا حدَّ لها ما دام الناس يلبسون الثياب القطنية

وتبلغ غلة القطن في المسكونة كلها ١٦ مليون بالة (وكل بالة خمسة قناطير) وهي ١١ مليون بالة من القطن الاميركي و٣ ملايين بالة من القطن الهندي ومليون بالة من القطن المصري ومليون بالة من قطن سائر البلدان . وقد كان المحصول نحو ١٣ مليون بالة ونصف مليون منذ خمس سنوات فزاد نحو مليونين ونصف مليون بالة في خمس سنوات وستبلغ المقطوعية بعد عشر سنوات ٢١ مليون بالة

والاراضي الاميركية التي تصلح لزرع القطن واسعة جدًّا وزراعة القطن تزيد اتساعًا فيها سنة بعد سنة ولكن المحصول لم يزد بزيادة المساحة لاسباب كثيرة اهمها قلة العمَّال فان العاملين في زراعة القطن هناك اكثرهم من السود وهؤُلاء قد وجدوا لهم اعمالاً اخرى اربح من زرع القطن . ثم ان الارض نفسها قلَّ خصبها لتكرُّر زرع القطن فيها ومهما كان السبب فالمرجح ان الولايات المتحدة الاميركية لا تستطيع ان تزيد محصول قطنها على نسبة زيادة المقطوعية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة رومانيا

الملكة اليصابات ملكة رومانيا المانية الاصل وهي كاتبة شهيرة معروفة في عالم الادب باسم مستعار وهو "كارمن سلفا" والملك شارل زوجها من سلالة هوهنزلرن العائلة الالمانية المالكة على المانيا . ولما اقترنت بهِ واضطرت ان ترحل عن بلادها الى موطنها الجديد لم يكن ذلك بالامر اليسير عليها ولكنها عقدت النية ان تجعل بخارست كعبة العلم والفلسفة ففازت بامنيتها حتى لقبت بخارست باريس الشرق

وظهرت على جلالتها آيات الذكاء والميل الى الادب وهي لا تزال صغيرة السنّ وساعدها على النبوغ كثرة اسفارها في صباها الى فرنسا وايطاليا وروسيا واسوج ونروج وسويسرة واول عهدها بالملك شارل ايام زارت الملكة اوغسطا (امبراطورة المانيا الاولى) فانها كانت نازلة على درج القصر فزلّت قدمها وسقطت بين يدي رجل كان يصعد الدرج وهو البرنس شارل . وسافرت بعد ذلك الى روسيا لتغيير الهواء فوافاها نبأ موت ابيها وكانت تحبهُ حبًّا شديدًا ثم توفي شقيقها فأثرت تانك النكبتان في صحتها ومرضت مرضاً ثقيلاً ولما اخذت تنقه اشار الاطباء عليها بالسفر فسافرت الى ايطاليا وسويسره برفقة عمتها الغراندوقة هيلانة الروسية . فشفيت في ايطاليا تمام الشفاء واخذت تدرس الموسيقى والتصوير وكانت قد درست الموسيقى في روسيا على روبنستين المشهور فبلغت فيها شأوًا رفيعاً

على ان شهرتها في هذا الفن لا توازي شهرتها في الشعر والانشاء . ومن احسن مؤلفاتها كتاب جعلت عنوانهُ " افكار ملكة " فنالت جائزة عليهِ من الاكادمي الفرنسوية . وألّفت كتباً كثيرة في الاساطير الرومانية واخلاق اهالي رومانيا وعاداتهم وسائر ما يتعلق بهم

ولها اياد بيضاء على بلادها لما لها من الآثار الجليلة فيها ولكثرة المشروعات الخيرية التي انشئت برعايتها . ويحضر مجلسها كثيرون من رجال الادب والشعر والموسيقى والتصوير . ولما كانت تحسن الكلام بكثير من اللغات فان زوارها يسرّون بعشرتها اذ تبحث معهم في جميع

ما يتعلق بالفنون الجميلة فتدهشهم بمعارفها وحسن ذوقها وكثيرًا ما تتلو عليهم قصائد من نظمها فتسحر الباب سامعيها بسحر كلمها وعذوبة منطقها

مادام أدم

ما دام أدم الكاتبة الفرنسوية الطائرة الصيت الفت اول كتاب من كتبها ودارت على اصحاب جرائد باريس وكبار كتابها تستطلعهم آراءهم فيهِ قبل طبعهِ ونشرهِ فخذلوها ولم ينصرها احدٌ منهم متذرعين باوهن الحجج والاسباب فمنهم من رفض الاطلاع عليهِ لانها جميلة وآخر لانها قبيحة في اعتقادهِ واسمعها البعض من عبارات الاستهانة والاستخفاف ما اذهب صبرها واوهن عزمها ومن هؤلاء العالم هنزل فانها ارسلت اليهِ كتابها ليطلع عليهِ وكان اذ ذاك منفيًا في بروكسل عاصمة البلجيك فبعث اليها بجواب كلهُ انتقاد احدُ من السنان . ومن جملة ما قالهُ فيهِ " إما ان كتابك من سقط المتاع او انهُ يجب عليك ان تستري حيرتك وارتباكك بمنديل وقليل من السعوط . وعندي انهُ لا يحق لامرأة خانها السعد وتبوأت من هذه الحياة مكان الظلّ والخفاء أن تشهر سيفًا لقتال برودون "

فساءها هذا الخطاب جدًا ولكنها انتقمت لنفسها من هنزل بأن شرعت في طبع كتابها رغمًا عما لقيت من المصاعب ومثبطات الهمم وارسلت اليهِ نسخة من نسخ الكتاب الاولى وقد كتبت عليها هذه العبارة " من امرأة جميلة الى رجل قبيح "

ولما عاد هنزل من منفاهُ اتفق انهُ التقى بها في منزل مادام فلبور ولم يكن يعرفها ولكنهُ افتتن بجمالها وطلاوة حديثها فطلب من مادام فلبور ان تعرّفهُ بها فاجابتهُ الى سؤلهِ وقدمت كلاً منهما الى الآخر قائلة " مسيو هنزل . مادام جولييت لامسين مؤلفة آراء ضد مذهب برودون " قالت مادام أدم في وصف ذلك الملتقى " وما كادت مادام فلبور تنتهي من ذلك التعريف حتى قفز هنزل من كرسيهِ بصورة غريبة فلم نتمالك انا ومادام فلبور من الضحك واضطرّ هو ان يستر حيرتهُ وارتباكهُ بمنديل من الشاش وقليل من السعوط "

وأراد هنزل ان يكفر عمّا مضى فعرض عليها ان تنقح كتابًا أتمّ تأليفهُ واخذ يسعى في طبعهِ ولما كان زوجها يضايقها ويضطهدها حسدًا من سموّ منزلتها الادبية طلب هنزل منها ان تكتب ما تكتبهُ بامضاء " جولييت لامبر " وهو اسمها ايام كانت بنتًا

ومن اعظم مصائبها اكراه ابيها وامها وجدتها وخالاتها لها على الاقتران برجل لا تحبهُ وعمرهُ ضعفا عمرها وهو المسيو لامسين فلذلك عاشت معهُ عيشة ذلّ ونكدٍ وشقاء الى ان

فرّق موتهُ بينهما فانتهى بذلك مصابها

وتعرّفت اثناء اقامتها في باريس بالكونتس داجولت دانيال ستَرون وذلك ان الكونتس قرأت كتابها المذكور آنفاً ولم تكن تدري ان كاتبتهُ امرأة بل ظنت ان كاتب الكتاب رجل استعار اسم امرأة فكتبت اليهِ تقول " سيدي . ومما يوجب الدهشة والعجب انك تستعير اسم امرأة على حين اننا نحن النساء نستعير اسماء الرجال " فأجابتها مادام لامسّين انني لست رجلاً بل امرأة وانا متطرفة في مزايا النساء . وكان ذلك فتح باب المراسلة بينهما . ولما كانت مادام لامسّين شابة قروية وقد قطنت باريس حديثاً تمنت على الكونتس ان تساعدها لتصير باريسية صرفة في عيشتها فتمّ لها ماتمنتهُ باسرع زمان وعلى اتم مرام . وعاشتا على وداد صافٍ لم يشبهُ سوى اعجاب لامسين بالكاتبة الفرنسوية المعروفة باسم " جورج سند " على ما كان بين هذه والكونتس من النفور والجفاء

وظلّت مادام لامسين تشتهر يوماً فيوماً بحسن عناية الكونتس حتى حلّت المحل الاول في عالم الادب والسياسة في الثلاثين سنة الاخيرة . ومما اسجّها على اتخاذ الادب والانشاء حرفة ان نسيبة لها اضاعت كلباً فطلبت اليها ان تستشير المسيو ادمون العرّاف الشهير في امرهِ لترى ما اذا كان يعود اليها فأجابها العرّاف " ان الكلب مسروق وأُصيب بضرر ولكنهم يعالجونهُ ويعتنون بهِ وسيفر بعد ستة اسابيع ويعود الى صاحبتهِ " . ثم حدق الى زائرتهِ وانتقل من الهزل الى الجدّ وقال " واني ارى أمامي كوكباً سينير العالم يوماً " فاجابتهُ بلهجة المنكر المتعجب " أأصير كوكباً في مستقبل الزمان " ثم مضت الايام وتناست ما كان

وفي اليوم الموعود عاد الكلب الى صاحبتهِ فتمت نبوءة ادمون وفطنت مادام لامسين لما قالهُ العرّاف عنها فانتعشت قواها وتشددت عزائمها بعد ما خارت مما لقيت من الصعوبات والعثرات في سبيلها وعادت الى الكتابة وكلها عزم وهمة

ولم يمضِ على هذه الحادثة سوى القليل حتى التقت بادمون أدم في منزل صديق لها فطلب من صاحب المنزل ان يقدمهُ اليها ولما درت بذلك قالت لصاحب المنزل " أياك ان تفعل " ولكن ادمون ادم لم يتحول عن عزمهِ وما زال يسعى في التقرب منها حتى صار من اخص اخصائها واعظم المقربين اليها . ولما توفي زوجها الاول رضيتهُ زوجاً لها وجنت من هذا الزواج اثمار الحب الحقيقي وبلغت غاية امنيتها من الادب والانشاء بلا حاسد ولا معارض .

ثم انشأت مجلة سمتها " المجلة الجديدة " فالتفّ حولها جميع اعيان البلاد وما زالت تعلو وتسمو حتى طبقت شهرتها الآفاق وكان لكتاباتها تأثير لا ينكر في مصير فرنسا واخلصت الودّ

والحبّ لها واسفت لفقد الالزاس واللورين اكثر من سائر الفرنسويين ولم تتعزَّ عن فقدها الى الآن

وعظم شأنها في البلاد حتى صار حضور مجلسها امنية الكتاب والشعراء والمصورين والسياسيين وكرائم السيدات من كل ملة ونحلة . ولها بين ملكات اوربا صديقات مخلصات منهنَّ قيصرة روسيا السابقة (ام القيصر الحالي) وملكة البرتوغال واميرة الجبل الاسود وملكة ايطاليا

قواعد للأكل

افضل حالة يتناول الانسان فيها الطعام وهو جائع . على انهُ كثيرًا ما يجلس امام المائدة فاقد القابلية فيعمد الى شرب المقبّلات مثل كاس من العرق او الوسكي او غيرها من المشروبات او اكل بعض المآكل التي تقدم عادة قبل الاكل مثل السردين والخبياري وما شاكل . وقد ظهر لبعض الاطباء ان شرب كاس من الماء قبل الطعام بمدة وجيزة او سائل آخر يحتوي كثيرًا من الماء يزيد افراز العصارة المعدية ويزيد القابلية . ثم ان التمتع بالحديث الطلي وسماع الموسيقى على المائدة مما يهيج القابلية ايضاً

وعليهِ فان شرب المرق والشوربا قبل الطعام مستحسن لكثرة الماء فيهما ولان حرارتهما تزيد افراز العصارة المعدية وتساعد على الهضم

وخير ما يؤكل بعد الشوربا طعام جامد مثل السمك او اللحم او السمك واللحم معًا لاحتوائهما على المادة المكونة للجسم فان المعدة تهضم كثيرًا منها ولذلك يعدها الاطباء في مقدمة المواد اللازمة للتغذية

والمرجح ان هضم اللحم المطبوخ أعسر على المعدة من هضم اللحم النيء لان الحرارة تجعل اللحم قاسياً يحتاج الى مضغ كثير . ويعسر الهضم ايضاً اذا اضفنا الى هذا الطعام موادَّ نشوية كالبطاطس والرقاق

اذًا فالاغلاط التي يرتكبها الناس على الطعام عادة ثلاثة الاول الاكل قبل الجوع . والثاني تهييج معدهم بالمقبلات فانها قد تورثهم امراضاً مختلفة كالاسكربوط والم الرأس وغيرها . والثالث ادخال المواد النشوية على اللحم المطبوخ فان النشاء قد يؤخر هضم بروتييد اللحم فيتولد اختمار عن ذلك الاَّ اذا مضغ الطعام جيدًا . ومضغ الطعام جيدًا يخفف كثيرًا من نتائج الاغلاط المتقدمة

وبعد السمك واللحم تؤكل الاطعمة النشوية والدهنية مثل الخضر المطبوخة باللحم او بالزيت ويحسن تناول السلطة مع اضافة قليل من الزيت وعصير الليمون الحامض اليها والليمون الحامض يفضل على الخل ·

وهناك غلط آخر يرتكبهُ الناس على المائدة وهو اكل الجبن في آخر الطعام فان اكلهُ حينئذٍ يلبك المعدة بسبب امتلائها وقلة العصارة التي تستطيع افرازها لهضم بروتييد الجبن · فاذا كان لابدَّ من اكل الجبن فليؤْكل في اول الطعام

ولا يجوز اكل الاثمار مع الخضر وخصوصاً لمن كانت معدهم نحيفة فاماً ان تؤْكل الاثمار وحدها او الخضر وحدها كأن تؤْكل الاثمار مع الفطور والخضر مع العشاء

اما المشروبات فانها تهيج العصارة المعدية بما تحتويهِ من الماء ثم تضعفها وتبرّد المعدة وخير ان تؤْخذ قبل الطعام بمدة وجيزة من ان تؤْخذ مع الطعام · والكحول يهيج العصارة المعدية ويوقف الاختمار والانزعاج اللذين يحدثان بعد الطعام ولكنهُ قد يضرُّ الجسم فيما بعد بطرق متعددة كما ظهر من المباحث العلمية · وهكذا يقال في القهوة والدخان فان تأثيرها حسن في الاول عموماً وعواقبهما وخيمة

اما تعدُّد انواع الطعام في أكلة واحدة فقد يضرُّ لانهُ يدعو الى الاسراع في الاكل وتحميل المعدة أكثر مما تستطيعهُ وعدم الهضم والاختمار

والاكثار من المقبلات والمنبهات قد يفضي الى الاعتياد عليها حتى لا يتم الهضم الاَّ بها

وخلاصة ما تقدم ان يأْكل الانسان وهو جائع مسرور ويمضغ طعامهُ جيداً فان ذلك يحسن التغذية ويقلل الامراض ويطيل العمر

وقد قام في الولايات المتحدة الاميركية رجل اسمهُ فلتشر ووضع قاعدة للاكل خلاصتها ان يقلّل الانسان كمية طعامهِ المعتادة وان يمضغ الطعام جيدًا وان يشرب كل ما يشربهُ على مهل ما عدا الماء · وقد اتبع فلتشر نفسهُ هذه القاعدة وظهرت نتيجتها فيهِ على احسنها فانهُ قارع كثيرين من معلمي الرياضة البدنية في الصبر على الاتعاب واحتمال المشقات فقرعهم · وهو يقول ان طعام الصباح فضلة يستغني البالغون عنها وان الجسم لا يحتاج الى الطعام قبل نصف النهار. واذا اكل طعامهُ مضغهُ وبالغ في مضغ اللقمة حتى يمتزج اللعاب بها جيدًا و يصير قوامها شبه قوام السائل فتهضم بسهولة وتتمثل كلها او جلها. ومن وصاياهُ المهمة ان يمتنع الانسان عن الاكل وهو في حال تهيج عقلي لان التهيج العقلي كالغضب والحزن والقلق يزعج الهضم و يضر الجسم

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) طبع الخرط الملونة

مصر · ناشد افندي فريد · ما هي طريقة طبع الخرط الجغرافية الملونة وكيف تكتب حروفها وهل تستطيع مطبعة في بلادنا الطبع والكتابة على هذه الصورة

ج ان الخرائط تطبع غالباً على مطابع الحجر · والرسم على الحجر يكون بالقلم ويكون بحروف الطباعة وتطبع الخريطة اولاً على بلاطة عليها الحدود والكلمات بحبر اسود ثم عن بلاطات اخرى على كل بلاطة لون من الالوان المطلوبة مرسوم في موضعهِ من الخريطة . وقد تطبع كذلك بالمطابع العادية بعد ان يحفر كل قسم منها ملون بلون واحد وحدهُ ويطبع وحدهُ بحبرهِ الخاص · وقد شاهدنا خرائط مطبوعة في مصر بالوان مختلفة وطبعها حسن جدًّا

(٢) فعل الالكحول

ومنهُ · ما الفرق بين فعل الالكحول الذي يتبخر في المعدة من الطعام وما يتبخر فيها من المشروبات الروحية

ج اذا كان الطعام ممزوجاً بالالكحول فلا فرق بين الكحولهِ والكحول المشروبات الروحية ولكن الطعام لا يمزج بالالكحول عادة · واذا اردتم ان الالكحول يتولد في المعدة من الطعام فذلك غير صحيح

---

(٣) الاسبستوس

مونتريول بكندا · الخواجه اسكندر قدمي · ارسلت اليكم مع هذا البريد قليلاً من معدن يستخرج من مكانين في كندا وهو اذا فُرك باليد او بآلة يتفكك الى خيوط كتانية كما ترون في ما ارسلتهُ اليكم · ويوجد هذا المعدن في ارض صخرية على عمق ٦ اقدام الى ٤٠ قدماً · وهو ينسج هنا كما ينسج الحرير والكتان فما هو نوعهُ

ج هذا هو معدن الاسبستوس الذي ترجم الى العربية بحجر الفتيلة لان القدماء كانوا يصنعون الفتائل منهُ وقد حققنا انهُ هو السمندل الذي ذكرهُ كتَّاب العرب وحسبوا انهُ حيوان لا يحترق بالنار · وهو حجر معدني

مركّب من السلكا والمغنيسيا والكاس واكسيد الحديد وقد يكون التصاق اليافهِ شديدًا فلا تنفصل وقد يكون ضعيفاً فتنفصل بسهولة وهي مرنة لينة حتى يسهل غزلها ونسجها وتمتاز منسوجاتها على سائر المنسوجات بانها لا تحترق وكان القدماء ينسجونهُ ويلفون الموتى بهِ وقت حرقهم لكي لا يمتزج رمادهم برماد الحطب . والذي ارسلتموهُ الينا من اجود انواع الاسبستوس

---

(٤) استيطان الانسان لاميركا

كتنا مركا بالارجنتين . الخواجه نجيب صوايا . دار الحديث منذ مدة بيني وبين احد العلماء المشهورين في هذه المدينة ولهُ كتب كثيرة عن آثار اميركا القديمة وعندهُ معرض كبير فيهِ كثير من هذه الآثار فسألتهُ كيف وصل الناس الى اميركا وباي طريق ساروا اليها فاجابني ان الانسان قديم في اميركا وقد وجد فيها قبلما وجد في القسم الشرقي من المسكونة واكبر شاهد على ذلك الآثار الاميركية فانها اقدم من آثار مصر وبابل واشور وقد وجدت منذ الوف كثيرة من السنين . فهل هذا القول حقيقي وما هي آراء غيرهِ من العلماء في ذلك

ج ذهب بعض العلماء ان الانسان وجد في اميركا قبلما وجد في نصف الكرة الشرقي كما قال صاحبكم ولكن جمهور العلماء لا يرون ذلك والاستاذ ونتشل الاميركي من اكثرهم بحثاً وقد جعل مهد الانسان الاول عند جزائر الهند الشرقية . وكل ما وقفنا عليهِ من مباحث العلماء يدلُّ على ان الانسان وصل الى اميركا من اسيا اولاً ثم من اوربا ولم تزل هذه المسألة في معرض البحث فلم يقم دليل قاطع حتى الآن على ان الانسان وجد في اسيا قبلما وجد في اميركا ولكن هذا هو القول المرجح عند جمهور العلماء

(٥) سكان بيرو القدماء

ومنهُ . ماذا تعرفون عن الانكاس سكان بلاد بيرو القدماء

ج الانكا لقب ملوك بيرو الاقدمين وقد كان ذلك لقب آخر ملك منهم حينما تغلّب عليهم بزارو الاسباني سنة ١٥٣١ وكانوا على جانب عظيم من العمران فكانوا يبنون بيوتهم ومعابدهم باللبن او بالاجر او بالحجر والحجارة صلبة جدًّا ولكنهم كانوا ينحتونها ويصقلونها حتى تتصل جوانبها بعضها ببعض ويقيمون السدود لجمع مياه الامطار والقنوات العالية لجرها وري الاراضي وينشئون السكك والجسور ولم تزل سككهم الى الآن افضل من السكك التي انشئت بعدهم . وكانوا يستخرجون الذهب والنحاس ويصنعون منهما الحلى والآنية ويطرقون الذهب ورقاً رقيقاً ويذهبون بهِ النحاس حتى لقد ظن الاسبانيون النحاس المذهب ذهباً صرفاً . وكانوا ماهرين في صناعة

الخزف و يصنعون من الخزف تماثيل على غاية الاتقان . وكانوا اهل زراعة وصناعة ولم يكونوا اهل حرب ولذلك لم يتقنوا عمل الاسلحة وكانوا يعتمدون على المقلاع والنبوت وسيف الخشب وكثيرًا ما يضعون في رأس النبوت قطعة كبيرة من الذهب زنتها عدة ارطال وكان عندهم رماح قصيرة سنانها من النحاس او الفضة . وكانوا ماهرين في صناعة النسج ونظموا حكومتهم احسن نظام ولكن استولى الاسبانيون عليهم كما تقدَّم واذلوهم فانقرض سكان السواحل منهم

(٦) الف ليلة وليلة

ومنهُ . هل كتاب الف ليلة وليلة من اوضاع العرب او هو منقول عن كتب الفرس

ج بعض قصصهِ فارسي الاصل و بعضها هندي الاصل و بعضها عربي الاصل ويقال ان لبعضها اصلاً تاريخيًّا حقيقيًّا مثال ذلك القصة التي ذكرها بن الجوزي في تاريخهِ المنتظم عن جارية شغب ام المقتدر فانها مثل حكاية من حكايات الف ليلة وليلة

(٧) جيش اليابان

ومنهُ . هل تقدر دولة اليابان على ارسال مليون عسكري الى ساحة الحرب

ج ان رجالها كثيرون ولا يصعب عليها ان ترسل هذا العدد منهم الى ساحة القتال فقد كان عدد جيشها منذ ثلاث سنوات ٦٣٢٠٠٠ والقواد والضباط الذين يكفون ٦٣٢ الفًا لا يصعب عليهم ان يقودوا و يضبطوا ثلثمئة الف فوقها اذا مسَّت الحاجة واستطاعت الحكومة ان ترسل اليهم زادًا يكفيهم

(٨) ابواب المنازل عند اليونان والرومان

مصر . عطا افندي فهمي . قيل ان اليونان والرومان كانوا يعملون ابواب بيوتهم تفتح الى الخارج حتى ان الواحد منهم كان اذا اراد الخروج من بيتهِ يقرع الباب من الداخل تنبيهًا للمارين ليبتعدوا عن الباب لئلا يصدمهم فهل ذلك صحيح

ج هذا صحيح عن اليونان لا عن الرومان اما الرومان فكان ذلك محظورًا عليهم فلم يكن يجوز لاحد منهم ان يجعل باب بيتهِ يفتح الى الخارج الاَّ باذن خاص

---

(٩) ماهية الروح

المنيا . بدران افندي احمد . ما هي الروح وما الذي تشابههُ واين مقرها من الجسم

ج ان كل ما يعرف معرفة يقينيَّة من هذا القبيل ان جسم الانسان يكون قادرًا على الاغتذاء والنمو والحركة ويقال حينئذٍ انهُ حيٌّ وان روحهُ فيهِ ثم يعرض لهُ عارض يمنعهُ عن الاغتذاء والنمو والحركة فيقال انهُ مات او خرجت الروح منهُ ولا يعلم هل كان فيهِ شيءٌ وخرج منهُ او ان حركات دقائقهِ المختلفة كانت تجري مجرى تظهر منهُ ظواهر الحياة . والفلسفة تثبت وجود الروح ولكنها لا تبين كيفيتها ولا تعين مقرها

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٣	٤	٥٩ صباحاً
الهلال	٩	١٠	٤٣ مساء
الربع الاول	١٦	٥	١٣ "
البدر	٢٤	٧	٥٠ صباحاً

يكون عطارد نجم المساء في اوائل الشهر ويقترب من الشمس حتى يعسر رصده ثم يصير نجم الصباح

وتظهر الزهرة في الغرب حتى ساعة بعد الغروب

والمريخ نجم الصباح يشرق نحو الساعة ٣ والدقيقة ٣٠ صباحاً

والمشتري يشرق الساعة الثامنة مساء ويبقى ظاهرًا بقية الليل

وزحل يرى جنوبًا الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ مساء ويغرب نحو الساعة ٣ صباحاً

الراديوم والزجاج

يؤثر الراديوم في الزجاج فيسوده لكن اسوداده لايدوم بل يزول من نفسهِ بفعل الحرارة ويؤثر هذا التأثير في البلور وكل الاجسام الشفافة كالميكا والجبس وما اشبه

الكي بالراديوم

جرَّب الدكتور جول رنس الباريزي تجارب كثيرة ليعرف تأثير الراديوم في كي الجلد فوجد انهُ اذا وقعت اشعة جزء من الف وستمئة جزء من الاوقية على الجلد مدة خمس دقائق لم يظهر لها اثر في الاول الامر ولكن لاتمضي اربع وعشرون ساعة حتى تظهر علامة حمراء حيث وقع النور وتبقى اسبوعين ثم تزول ويبقى مكانها ندبة كندبة الحرق واذا دام وقوع النور عشر دقائق ظهرت علامة بعد ثماني عشرة ساعة واذا دام وقوع الاشعة ساعة تقرح الجلد فاذا عولج حالاً شفي بعد شهر ونصف او شهرين واذا لم يعالج كثر فيهِ الصديد وطال عليهِ المطال ولم يبرأ فقد مرَّ على بعض الحروق ثلاثة اشهر ولم تظهر فيها علامة الشفاء الاَّ ان اشعة الراديوم تزيل الخيلان والثآليل

ضرر المسكرات

طالما سمعنا احداث الاطباء يدعون ان في المسكرات غذاء لا غنيَّ عنهُ وكنا نبين لهم ان في لقمة الخبز من الغذاء اكثر مما في الكاس من المسكر . وقد بحث احد الاطباء

في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً وبيّن ان الذين يدمنون المسكرات يموتون جوعاً احياناً كثيرة لان المسكر يؤثر في اعصابهم تأثيراً يمنع اغتذاء اجسامهم من الطعام فضلاً عن تأثيره في قواهم العقلية

الحك المقيّد

استنبط المسيو هت الفرنسوي حكاً (ابرة مغنطيسية) يقيد نفسهُ فكلما تحرَّك حرَّك مجرى كهربائياً والمجرى الكهربائي يرسم علامة منظورة على خريطة فيعلم بها سير السفينة واتجاهها وسرعتها

الكحول في البطاطس

يستغل اهالي المانيا ٥٥ مليون طن من البطاطس كل سنة يأ كلون منها نحو ٣٥ مليون طن والباقي يستعملونهُ لاستخراج الكحول

مخدّر جديد

اكتشف مخدر جديد من فصيلة الكوكايين اسمهُ يوكايين يمكن الجرّاح من عمل العمليات التي لايمكن عملها بمساعدة الكلوروفورم بسبب ماينشأ عن استنشاقهِ من الضعف في القلب . ومن مزاياهُ ايضاً ان الجرّاح لايضطر عند استعمالهِ ان يسرع في العملية كما يفعل عند استعمال الكلوروفورم وطريقة استعمالهِ ان يحقن منهُ تحت الجلد حيث يراد عمل العملية فيخدر الاعصاب ويمنع الالم . وقد استعمل حديثاً في عملية جراحية عملت في احد مستشفيات لندن ودامت ساعة ونصفاً فجاء على مايرام ونجحت العملية

اثاث من الفضة

قالت جريدة السينتفك اميركان ان ملكاً شرقياً لم تعينهُ اوصى معملاً في شفيلد (انكلترا) بعمل اثاث غرفة نوم من الفضة الخالصة والاثاث يتضمن سريراً وخزانة وطاولة للزينة (توالت) واثني عشر كرسياً وثلاثة حمامات وثلاثة آنية للماء الحار

قيصر الروس

راتب القيصر اعظم راتب ينقدهُ انسان فانهُ يكاد يبلغ مليون جنيه في السنة وهو يُرسل اليهِ اقساطاً شهرية حوالات على بنك روسيا الاهلي . على ان ايرادهُ الخاص يبلغ نحو اربعة اضعاف راتبهِ فان لهُ مئة "تفتيش" ومئة قصر وقلعة . وعندهُ من الخدم اكثر من ٣٠ الفاً وهو اكبر عدد يخدم انساناً واحداً . وفي اصطبلهِ خمسة آلاف جواد

وهو ينهض من فراشهِ عادة الساعة السادسة صباحاً فيفطر فطوراً انكليزياً من لحم مقدد وبيض وخبز وزبدة وشاي ومربى وفي الساعة السابعة يبدأ بالشغل وينظر في الامور الحربية والبحرية والدينية والقضائية حتى اذا جاء الظهر جلس للغداء ثم يقضي نحو ساعتين في التسلية ولعب الالعاب المختلفة

وعشاؤُهُ بسيط واذا انتهى منهُ قضى وقتاً يلعب لعبة روسية · وقبل النوم تقرأ القيصرة امامهُ غالباً في الجرائد او المجلات او الروايات الانكليزية وينام عادة الساعة الحادية عشرة

تقدم اليابان

يبلغ ثمن المنسوجات التي تصنع في معامل اليابان كل سنة نحو ٢٠ مليون جنيه وقد كان اقل من مليوني جنيه منذ عشرين سنة · واستخرج من اليابان نحو عشرة ملايين طنٍ من الفحم الحجري في السنة الماضية وذلك ضعفا ما استخرج منها منذ عشرين سنة · وفيها نحو خمس مئة جريدة يومية

على ان الحالة الاجتماعية العمومية فيها ليست على ما يرام فان اجور العمال حقيرة لا تزيد على اجورهم في مصر فمتوسط اجرة العامل في معامل نسج القطن نحو ثلاثة غروش وفي معامل الزجاج نحو غرشين وساعات العمل في الاولى احدى عشرة وفي الثانية عشر · وليس في القوانين ما يمنع ارباب الاعمال من زيادة ساعات العمل على النساء والاولاد واستخدام الاولاد قبلما يبلغون سنًّا معلوماً

جسر فوق بحر المانش

سألنا بعضهم في العدد الماضي عمَّا اذا كان يمكن مد سكة حديد تحت بحر المانش تصل بين فرنسا وانكلترا فأجبنا ان ذلك ممكن لولا اعتراض الحكومة الانكليزية عليهِ · وقد كتب احد الكتَّاب الفرنسويين حديثاً مقالة في مجلة العالمين الفرنسوية يبحث فيها عن امثل الطرق للوصل بين فرنسا وانكلترا أهي حفر سرب تحت البحر او صنع قارب نقال كبير ينقل قطرات سكك الحديد بركابها وما فيها من البضاعة او مدُّ جسر (كبري) فوق البحر فقال ان حفر السرب رأْي ضعيف لاسباب حربية ولصعوبة تجديد الهواء فيهِ · وصنع قارب نقال عمل عظيم في حد نفسهِ لولا ما هناك من صعوبات النقل عند اشتداد الانواء · وفي اعتقاد البعض ان الطريقة الاخيرة خير الطرق لذلك · وقد ظهر من فحص قاع البحر فحصاً جيولوجيًّا ان الارض صلبة تحتمل ضغط الدعائم العظيمة التي تلزم لمد جسر كبير · وفي سنة ١٨٧٠ اقترح بعضهم بناء جسر على ٣٤٠ دعامة ولكن قامت قيامة الناس عموماً على ذلك لما فيهِ من الخطر على الملاحة ولاسيما لان الضباب كثير الحدوث في بحر المانش حتى عدل عن ذلك الاقتراح · وتقدر نفقات بناء الجسر ووصلهِ بسكة الحديد عن الجانبين باربعة وثلاثين مليون جنيه

اما مشروع حفر السرب فقد جاء في الجرائد العلمية الاخيرة عنهُ انهُ مشروع قديم اقترحهُ رجل فرنسوي اسمهُ ماتيو سنة ١٨٠٢ وصادق عليهِ مجلسا الامة في البلادين ثم

انقضى كأن لم يكن . وقد تجدد البحث فيهِ حديثاً وكتب احد كبار المهندسين الفرنسويين تقريرًا أبان فيهِ الفوائد التجارية العظيمة التي تعود على انكلترا وفرنسا من حفر السرب ولكن الانكليز لا يزالون ينفرون من هذا المشروع كما نفروا منهُ اولاً وحجة بعضهم انهُ يخشى ان تجرد فرنسا جيشاً تزحف بهِ على انكلترا من السرب سرًّا وتأخذها على غرة

العمال الصينيُّون

اخصُّ صفات الصينيين الاقتصاد البالغ حدَّ التقتير فان العامل الصيني ينفق في البلدان المتمدنة التي يهاجر اليها للعمل فيها ما يساوي ١٣ مليماً في اليوم بالنقود المصرية او سبعين بارة بالنقود الشامية و يقتصد نحو ٢٠ جنيهاً في السنة حتى اذا اراد العودة الى بلادهِ صرفها فضة وحملها في منطقتهِ . ويعود الى الصين نحو ٣٠ الف مهاجر سنويًّا من استراليا وزيلندا الجديدة واميركا فيكون متوسط المال الذي يوفرونهُ و يعودون بهِ الى بلادهم نحو ٦٠٠ الف جنيه

والربا فاحش في الصين والاطيان رخيصة واذا جمع الصيني عشرين جنيها تمكن من مشترى ارض يعيش بريعها مدى الحياة والصينيون يشترون الزوجات كلاً بعشرات من الغروش

سكان المانيا وفرنسا

كان عدد اهالي الممالك الالمانية واهالي فرنسا متساوياً سنة ١٨٦٠ فصار عدد اهالي المانيا اليوم ٥٢ مليوناً واهالي فرنسا ٣٨ مليوناً ولا يزال الاولون يزيدون والآخرون ينقصون فقد بلغ عدد المواليد في فرنسا ٨٥٧٠٠٠ سنة ١٩٠١ يقابلهم ٨٤٥٣٧٨ سنة ١٩٠٢ ولو كان الفرنسويون يقتدون باهالي برتني احدى ولاياتهم لأثروا وزادوا وبلغت زيادتهم ٤٥٦٠٠٠ كل سنة ولكنَّ معظمهم يعدُّون الاقلال من الاولاد اسلم طريقة لاظهار حبهم لهم . وقد اخذ سائر الشعوب والامم ينحون هذا النحو ماعدا اهل روسيا والصين واليابان . و يرى بعض العلماء ان سبب ذلك انتشار المبادىء الجمهورية وتقديم المصلحة العمومية على المصلحة الخصوصية

وبناء على ذلك قام الفرنسويون يعقدون اللجان و ينشرون المناشير و يكتبون المقالات الطويلة العريضة في الجرائد والمجلات تنبيهاً الى الخطر الذي يتهدد الامة من استمرار هذه الحال وحثًّا على مداوتها بالدواء الشافي منها او المخفف لوطأتها . واقترح بعضهم على الحكومة ان تسنَّ لائحة تفضيلية تفضل بموجبها استخدام اولاد كل رجل لا ينقص عدد اولاده عن ثلاثة في وظائف الحكومة

نفقة المعيشة في المانيا

رتب بعضهم الالمانيين بالنظر الى دخلهم السنوي الى اربع طبقات . الاولى طبقة الاعيان والاغنياء وهم ٢٥٠ الف عائلة دخل كلٍ منها اكثر من ٤٥٠ جنيهاً في السنة . والثانية الطبقة الوسطى العليا وفيها ٢٧٥٠٠٠٠ عائلة يترواح دخل كل منها بين ١٣٥ جنيهاً و ٤٥٠ جنيهاً في السنة . والثالثة الطبقة الوسطى السفلى ودخل كل عائلة من عائلاتها ٩٠ جنيهاً الى ١٣٥ والرابعة طبقة الفقراء ودخل كل من عائلاتهم لايزيد على ٤٥ جنيهاً وعدد تلك العائلات اكثر من خمسة ملايين

وراتب ناظر المدرسة اليومية العالية في المانيا بين ٢٥٠ جنيهاً و ٣٠٠ في السنة عدا اجرة مسكنهِ وتعليم اولادهِ مجاناً . وراتب الضابط الذي برتبة الماجور بين ٢٠٠ جنيه و ٢٥٠ واجرة الكاتب في المحلات التجارية ٤٠ جنيهاً في السنة عادة حتى في المدن التي نفقة المعيشة فيها كبيرة مثل همبرج

توزع الالوان في الطبيعة

قال احد العلماء ان اللونين الابيض والاصفر هما اللونان الغالبان على ازهار الشتاء والربيع واللون القرنفلي لون ازهار الصيف والالوان الغامقة تغلب على ازهار آخر الصيف والخريف اما اللون الاصفر فلا يختص بازهار فصل دون آخر

وانتقل من النبات الى الحيوان فسأل قائلاً لماذا يندر وجود طيور بيضاء بين الطيور البرية ويكثر ذلك بين الطيور البحرية . ولماذا ترى غالب آكلة اللحوم من الحيوانات رقطاء الجلد او مخططتهُ خلافاً لآكلة الاعشاب . ولماذا نرى الطيور المغردة غامقة اللون غالباً على حين ان الطيور الباهية الالوان لا تحسن الغناء .

المسيحيون في اليابان

يقدَّر عدد المسيحيين في اليابان بنحو مئة الف نفس اي انهم واحد في كل خمس مئة نفس من اهالي اليابان منهم نحو النصف كاثوليك و١٦ الفاً من الارثوذكس والباقون انجيليون . وقد سمحت الحكومة اليابانية لبعض القسيسين المسيحيين الوطنيين بمرافقة الجيش الى الحرب وفعلت مثل ذلك في حرب اليابان والصين

فاكهة جديدة

ذكرنا في العدد الماضي تحت هذا العنوان ان بعضهم اهتمَّ بتوليد فاكهة جديدة بجعل يلقح ازهار بعض الاشجار بلقاح من ازهار اشجار اخرى فيتولد منها اثمار جديدة . وقد جاء في الاخبار الاخيرة عنهُ انهُ يأخذ ثمرة صغيرة تافهة الطعم ضامرة ويصيرها ثمرة كبيرة الحجم ذات نكهة في الطعم . ويأخذ زهرة

صغيرة لا رائحة لها ولا جمال فيصيرها عطرية جميلة وقد غيَّر لون زهرة صفراء مرارًا فصيرهُ مرة ابيض فضيًّا واخرى ازرق بنفسجيًّا واخرى احمر قرمزيًّا . وصنع الجوز رقيق القشرة حتى ان الطائر يثقبهُ بمنقارهِ ويأكل لبهُ . ولما رأى ان ذلك لا يفي بالمرام عاد فصلب قشرهُ حفظًا للبهِ

نجاح الاطباء

ألَّف احد كبار الاطباء كتابًا في الطبيب واساس نجاحهِ فقال ان اعظم الاسباب لنجاح الطبيب اخلاقهُ الراضية وحسن معاملتهِ لمرضاهُ . ولا ريب ان تشاؤُم الطبيب امام الذين يدعى لمعالجتهم يفعل ما لا يفعلهُ امر آخر في كرههم لهُ ونفورهم منهُ وعدم دعوتهم اياهُ مرة اخرى . ثم ان كثيرين منهم يصفون لمرضاهم ادوية نادرة غالية الثمن على حين انهُ يمكن الاستعاضة منها بادوية تكون اقلّ ثمنًا واكثر فعلاً . وهذا مما ينفّر الناس من الطبيب ويقف عثرة في سبيل نجاحهِ

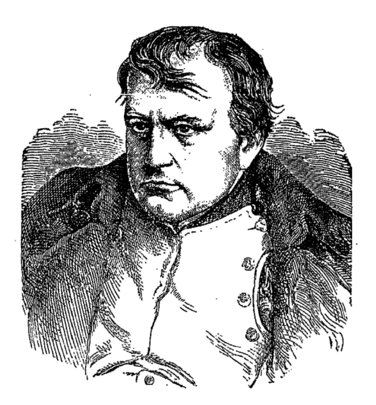
سمُّ الافعى والحيوانات المائية

جرَّب الدكتور نوجوشي الياباني (وهو الذي ذكرنا خبر اكتشافهِ ترياق الافعى منذ عهد قريب) فعل سم الافاعي المعروفة بالكوبرا وذات الاجراس في الحيات الاخرى والضفادع والاسماك وغيرها من حيوانات الماء فوجد ان الحيَّات والضفادع تموت حالاً بسمّ الكوبرا دون غيرها من الافاعي وان السلحفاة اشدُّ تأثرًا منها والسمك اشدُّ تأثرًا من الفريقين اما الجندب والسرطان فلا يؤثر السمُّ فيهما البتة وكذلك معظم انواع الدود

سياسة الاقتصاد

عقدت جمعية الاقتصاد الانكليزية الملكية جلستها السنوية المعتادة في ١٤ يوليو الماضي برئاسة المستر بلفور رئيس الوزارة الانكليزية فخطب خطبة طويلة قال فيها اذا تكلم رجل من رجال العلم وترك الجمهور يظنون انهُ انما يتكلم لمصلحة حزبهِ لا لمصلحة العلم وان آراءهُ العلمية التي يفصح عنها ليست خالية من الصبغة السياسية لم يؤثر كلامهُ التأثير المطلوب فما دامت سياسة الاقتصاد علمًا ولا انكر عليها ذلك فمن الواجب ان تكون مشتركة غير خاصة بامة دون اخرى . غير ان الناس لا ينظرون هذا النظر اليها بل تسمعهم يحدثونك بمدارس سياسة الاقتصاد الانكليزية والالمانية والفرنسوية والاميركية وذلك يدلُّ على ان سياسة الاقتصاد لا تعتبر عندهم علمًا والاَّ لما فرقوا بين اقتصاد واقتصاد كما انهم لا يفرقون بين رياضيات ورياضيات فلا يقولون رياضيات انكليزية ورياضيات المانية . ثم حث على الاتحاد والتعاون في رفع شأن هذا العلم لما في ذلك من الخير العام لبني الانسان

فهرس الجزء التاسع من المجلد التاسع والعشرين



نبوليون بونابرت



اللورد روزبري

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد التاسع والعشرين

١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢١ رجب سنة ١٣٢٢

كتاب روزبري عن نبوليون

تمهيد

لما ذكرنا اسماء المشاهير في العام الماضي مرتبة حسب شهرتهم ومقدار ما كُتب عنهم في التواريخ ودوائر المعارف الاوربية والاميركية كان اسم نبوليون اولها فهو باجماع اهالي اوربا واميركا اشهر انسان قام في المسكونة

وقد يُظن ان ما كُتب عنهُ منذ مئة عام الى الآن استغرق كل ما يمكن ان يكتب في هذا الشان وان الكتَّاب والمؤرخين لم يتركوا شاردة ولا واردة ولم يفرطوا بشيء بل زادوا القول على ما في مجالهِ من السعة وصوَّروا حول هامة نبوليون هالات من المجد استنزفت كل صور الخيال. لكن ظهر من عهد قريب كتاب كتبهُ اللورد روزبري عن اخريات نبوليون جاء مصداقاً للقول المأثور "كم ترك الاول للآخر" لا لان اللورد روزبري اتى باخبار جديدة لم يأتِ بها غيرهُ بل لانهُ محَّص ما كُتب في هذا الموضوع ونقَّاهُ مما ادخلتهُ فيهِ الاوهام والاغراض ونسقهُ تنسيقاً بديعاً وابدى فيهِ من حسن الانتقاد واصالة الرأي ما يندر نظيرهُ

واسم اللورد روزبري مشهور عند قراء المقتطف بنوع عام وعند المصريين منهم بنوع خاص وهو تلميذ غلادستون وخليفتهُ في زعامة الاحرار من الانكليز وفي رئاسة نظارهم قبل ان اعتزل السياسة. وقد طالعوا بعض خطبهِ مترجمة او ملخصة وعرفوهُ بقوة العارضة وحسن البيان ولكن قد لا يعلم جمهورهم انهُ من كبار الكتَّاب. وهذه مزية للانكليز على غيرهم من الامم وهي ان كثيرين من زعمائهم في السياسة هم من زعمائهم ايضاً في الانشاء يجمعون بين وزارتي السيف والقلم ولذلك ترجح سياستهم على سياسة غيرهم

وقد اتفق لنا ان طالعنا هذا الكتاب ونحن في مكان يشرف على بحر الروم حيث اصطدمت بوارج نبوليون ببوارج الانكليز خصومهِ الالداء الذين تعقبوهُ من حين خفق علَم النصر فوق رأسهِ الى ان أُخمدت انفاسهُ في منفاهُ . واصطدمت قبلها بوارج مصر ببوارج رومية وامتزجت مياهُ البحر بدماء الابطال من عهد رعمسيس الكبير الى عهد نبوليون خاتمة الفاتحين العظام . طالعناهُ فعجبنا من انصاف المؤلف ومهارتهِ في استنباط الحقائق وكشف الغوامض فرأينا ان نقتطف منهُ بما تجيزهُ لنا حقوق التلخيص

(١) نفي نبوليون

بدأ اللورد روزبري كتابهُ بفصولٍ ذكر فيها رفاق نبوليون والذين كتبوا اخبارهُ في منفاهُ وشرح اطوارهم وبيَّن انهم لم يكتفوا بذكر الحوادث كما هي بل زوَّقوها باذواقهم وزادوا عليها من مخترعاتهم . و يظهر لنا مما قالهُ في عرض كلامهِ عنهم ان اكثرهم كانوا جواسيس عليهِ او صاروا جواسيس يتجسسون امورهُ ويتاجرون باخبارهِ

ولما اتمَّ الكلام عليهم شرع في الكلام على نفي نبوليون فقال " ان الانكليزي ليأسف لان حكومة بلادهِ رضيت بان تحرس نبوليون في منفاهُ ويزيد اسفهُ لانها قامت بهذه الحراسة على اسلوب مهين و بواسطة اناس شكسي الاخلاق فان كان الفرنسيون يغتاظون من ذكر جزيرة القديسة هيلانة فنحن الانكليز نتألم من ذكرها ونتوجع . ولكن قد لا نستطيع في هذه الايام ان نحكم حكماً صائباً في ما كانت عليهِ الاحوال في ذلك الحين فان انكلترا انفقت على مقاومة نبوليون وارسالهِ الى جزيرة البا اكثر من ثماني مئة مليون جنيه ثم اضطرت ان تنفق كثيراً من الملايين قبل ان تغلبت عليهِ عدا ما خسرتهُ هي وسائر اوربا من النفوس الذين لا يقل عددهم عن مليونين فكان على الدول المتحالفة ان تمنع افلاتهُ باية واسطة كانت لئلا يعود الى سابق عهدهِ و يضرم نار الفتنة في اوربا كلها . الاَّ ان خوف اوربا منهُ يزيدهُ شأناً ورفعة قدر

ولما سلَّم نبوليون نفسهُ لانكلترا بعد واقعة وترلو كتب لورد لفربول رئيس وزرائها الى لورد كاسلراي وزير الخارجية فيها يقول حبذا لو استلم ملك فرنسا بونابرت وقتلهُ شنقاً او رمياً بالرصاص لعصيانهِ . ثم كتب اليهِ ثانية يقول "ان كان ملك فرنسا لا يرى من نفسهِ المقدرة على معاملة بونابرت كما يعامل العصاة فنحن نأخذ على انفسنا حراستهُ " . وشكر اللورد روزبري ربهُ لان الوزارة الانكليزية لم تسلم نبوليون لملك فرنسا لكي يقتل رمياً بالرصاص كما قتل المرشال ناي الفرنسوي

ولم يكن نبوليون ينتظر ان ينفى الى جزيرة القديسة هيلانة بل كان يحسب ان الانكليز يسمحون لهُ بالسكن في بلادهم كاحد الناس فيقضي غابر عمرهِ في الصيد والقنص منقطعاً عن السياسة ومشاغلها. لكن الحكومة الانكليزية لم تكن تأمن جانبهُ وهو على اميال قليلة من فرنسا ولا كانت تخلص من المشاكل القضائية التي تجرها عليها اقامتهُ في بلادها. وقد دلت الدلائل بعدئذٍ على انهُ كان قاصدًا ان ينتهز اول فرصة تسنح لهُ ليعود الى فرنسا ويضرم نار الفتنة فيها على البوربون. وزد على ذلك انهُ لو اقام في انكلترا لالتفَّ الناس عليهِ من كلِّ صوب من مريديهِ والمعجبين بهِ فيضعف بذلك شأن وزارة المحافظين الذين قهروهُ. ولم يكن يخلو من الانصار حتى في البلاد الانكليزية فقد كتب لورد لفربول الى لورد كاسلراي في هذا الصدد يقول "انك تعلم من اخلاق الناس في هذه البلاد ما يقنعك بان بونابرت يصير موضوع اعجابهم وقد تتعلق قلوبهم بهِ في مدة اشهر قليلة". وتقاطر عليهِ الزوار لما وصل بليموث فأيَّد ذلك راي لورد لفربول وكان هو يعلم هذا فقال وهو في جزيرة القديسة هيلانة انهُ لو اقام في بلاد الانكليز لسبي قلوب اهاليها. وظهر ذلك جليًّا على بحارة السفن الانكليزية التي سار فيها الى جزيرة البا والى انكلترا وجزيرة القديسة هيلانة فانهم كانوا يحبون بهِ ويدعون لهُ بطول العمر. وزد على ذلك ان ولي عهد انكلترا الذي كان نائب ملكها حينئذٍ كان ميالاً اليهِ حتى قال لورد كيث امير البحر انهُ لو التقى بنبوليون وكلمهُ نصف ساعة لصار من اعز اصدقائهِ. وجملة القول انهُ لو سُمح لنبوليون ان يقيم في انكلترا لكان منهُ خطر كبير على الوزارة الانكليزية وعلى الحكومة الفرنسوية ولو سُمح لهُ ان يقيم في اوربا او في اميركا لما أُخذ الى السكينة لان طبعهُ يأباها او لاغتالتهُ يد خصومهِ ولذلك اتفقت الآراء على ابعادهِ الى جزيرة القديسة هيلانة حفظًا للسلم العام

ولما أُخبر بعزم الحكومة الانكليزية على ارسالهِ الى هذهِ الجزيرة اغتاظ وقال انهُ لا يذهب اليها حيًّا ثم رضخ لاحكام القدر وقابل بلواهُ بالصبر. وأُمر الذين اخذوهُ الى الجزيرة ان يعاملوهُ كجنرال متقاعد ولا يلقبوهُ الاَّ بلقب الجنرال بونابرت. وصعد الى ظهر السفينة يمشي حاسر الرأس فبقي الضباط جالسين ولم يكشفوا رؤُوسهم ولم يعاملهُ اميرال السفينة بالاكرام في اول الامر ثم احبهُ وصار يكرمهُ وقال انهُ كان اقل الركاب شكوى من تقلبات الهواء واشتداد الانواء

وكان بحارة السفينة يسيرون فيها على غير رضاهم وقد جاهروا بالعصيان قبل خروجها من مرفإِ بليموث وأُجبروا على البقاء فيها بالقوة ولذلك لا عجب اذا عانى الاميرال المشاق في قيادتهم

وارضاء نبوليون ومنع اتصالهم بهِ . ووصلت السفينة بهِ الى الجزيرة بعد تسليمهِ بثلاثة اشهر وبقي في حراسة اميرالها الى ان وصل الجزيرة والٍ جديد وهو السرهدصن لو

(٢) السرهدصن لو

قال لورد روزبري قلما ذُكر احد في التاريخ ذكرًا غير مشكور كما ذُكر "لو" هذا فان نحسهُ جعلهُ يقبل هذا المنصب الذي كان صعباً على سواهُ ويستحيل النجاح فيهِ عليهِ فقد كان شكس الاخلاق سريع الغضب لا يعرف طرق المجاملة وقد قال نبوليون عنهُ حينما وقع نظرهُ عليهِ ان عينهُ كعين ضبع اخذت في فخ . وقالت لادي غرانفل وقد رأتهُ بعد عودتهِ من الجزيرة بسنتين ان وجههُ مثل وجه الشيطان . ولكن الحكومة التي كانت تود ان يقتل نبوليون شنقًا او رمياً بالرصاص لا يكبر عليها ان تختار لحراستهِ رجلاً مثل هذا وربما لم تكن لتجد غيرهُ يقبل بهذا المنصب المحفوف بالمكاره . ومما يثبت ما قيل عن شكاسة اخلاقهِ شهادة دوق ولنتون فقد قال عنهُ انهُ كان جاهلاً احمق حسودًا سيّئ الظن . وشهادة الاميرال ملكم ومندوبي فرنسا والنمسا وروسيا فقد قال الاميرال ملكم انهُ وجد الجزيرة مملوءة بجواسيس لو وقال المندوب الفرنسوي انهُ كان يستحيل على انكلترا ان تجد رجلاً اشكس اخلاقًا منهُ . وقال عنهُ المندوب النمسوي انهُ منغص العيش دائمًا ولا يجد لهُ مسرَّة الاَّ بتنغيص عيش غيرهِ فالانكليز يخافونهُ والفرنسويون يضحكون عليهِ والمندوبون يشكون منهُ والكل متفقون على انهُ نصف مجنون . وكان المندوب الروسي يودهُ وتزوج ابنة زوجتهِ لكنهُ قال عنهُ انهُ متعب جدًا لا يُحتمل لفرط سخافتهِ ويستحيل عليهِ ان يسالم احدًا لانهُ لا يرى في الناس الاَّ الخيانة والغدر

ومما يدل على سخافة عقلهِ انهُ ابى ان يكلم المندوبين الاَّ بالانكليزية وكان المندوب الفرنسوي لا يعرف كلمة من الانكليزية و"لو" يحسن الفرنسوية . وبقي مصرًّا على رأيهِ واخيرًا عرض على المأمور الفرنسوي ان يخاطبهُ باللاتينية بناء على انها كانت اللغة الرسمية في القرن السادس عشر . واعطي بعضهم للمندوب الفرنسوي بزورًا من اللوبياء البيضاء والخضراء ليزرعها فاوجس لو من ذلك شرًّا وحسبهُ دسيسة زاعمًا ان البزور البيضاء تشير الى البوربون لان علمهم ابيض والخضراء تشير الى نبوليون لانهُ يلبس غالبًا سترة خضراء

ومما يدل على سخافة عقلهِ ايضاً وسوء سلوكهِ انهُ دعا نبوليون مرة للعشاء عندهُ وارسل الدعوة الى الكونت برتران على هذهِ الصورة " اذا سمح الجنرال بونابرت فالسرهدصن لو ولادي لو يسرَّان بشرف مشاركتهِ لهما في العشاء اكرامًا للكونتس يوم الاثنين المقبل الساعة السادسة مساء وهما يطلبان من الكونت برتران ان يوصل هذه الدعوة الى الجنرال ويخبرهما عن

جوابهِ". وأُخبر برتران نبوليون بها فتأفف وقال ما اقل عقله لا ترسل اليهِ جواباً. والكونتس المشار اليها ههنا هي زوجة لورد مويرا حاكم الهند · اي ان لو اولم وليمة اكراماً لهذه الكونتس ودعا الامبراطور نبوليون ليحضر الوليمة اكراماً لها ولم يكتفِ بذلك بل لقبهُ باللقب الذي يعلم انهُ يغيظهُ ويغيظ فرنسا كلها وهو يحسب انهُ احسن صنعاً · وكفى بذلك دليلاً على سخافة عقلهِ ان لم يكن على قلة ادبهِ

ولا شبهة في ان السرهدصن لو كان يقصد خدمة بلادهِ لكنهُ جوزي منها جزاء سنمار على ما قال لورد روزبري فأُرسل الى سيلان بعد وفاة نبوليون ولما انقضت مدة خدمتهِ لم يعطَ خدمة اخرى ولا أُعطي معاشاً · ومرّ وهو راجع من سيلان على البيت الذي كان فيهِ نبوليون فوجد انهُ صار مزرباً للدواب

وظهر كتاب الدكتور اوميرا عن منفى نبوليون وقد صوّب فيهِ سهام الذم للو والتنديد بهِ فعدَّ ذلك قذفاً وطلب محاكمة المؤلف ولجأ الى اثنين من المحامين فقالا لهُ عيّن لنا اماكن القذف فاخذ يقرأ الكتاب ولما تيسر لهُ تعيين اماكن القذف قال القضاة ان زمن رفع هذه الدعوى قد فات فاضطرَّ ان يدفع النفقات ولا ينال شيئاً · وطلب من الحكومة ان تدافع عنهُ فلم يلقَ مجيباً واخيرًا دافع عنهُ واحد بكتاب كبير في ثلاثة مجلدات لكن الكتاب ظهر بعد وفاتهِ بتسع سنوات فلم يستفد منهُ وهو ضخم مملٌّ لا يقرأهُ احد

(٣) مسألة اللقب

وامبهب لورد روزبري في مسألة تلقيب نبوليون بلقب جنرال فقال ان كل دول الارض ما عدا انكلترا اعترفت بنبوليون امبراطورًا لفرنسا غير انها كانت مستعدة ان تعقد معهُ صلحاً كامبراطور والبابا نفسهُ مسحهُ امبراطورًا وقد أُعطي كل المزايا التي تعطى لاصحاب هذا اللقب سياسيّاً ودينيّاً وكان اعظم امبراطور قام في اوربا بعد شارلمان والالقاب التي منحها في فرنسا اعترف بها الذين خلفوهُ فكأنهم اعترفوا بسلطتهِ على منحها · وولنتون نفسهُ كان يلقب اخاهُ بلقب ملك فلم يكن انكار الحكومة الانكليزية عليهِ لقب الامبراطور الا من قبيل السخافة ومثل ذلك تلقيب البارلمنت لهُ بنبوليون بونابرته Buonaparté كأنهُ اراد ان يجردهُ من الجنسية الفرنسوية ايضاً

وما عَنَتْهُ الحكومة الانكليزية بالحبة اجراهُ السرهدصن لو بالقنطار وجرى على خطتهِ الى ما بعد وفاة نبوليون فان اتباعهُ ارادوا ان يكتبوا على تابوتهِ اسمهُ نبوليون مجرّدًا من كل لقب فابى لو ذلك وقال بل اكتبوا معها بونابرت فابوا هم ايضاً وتركوا التابوت من غير اسم

وعدَّد لورد روزبري امثلة كثيرة من هذا القبيل ثم نصب ميزان الجدَل واورد حجج الذين دافعوا عن الحكومة الانكليزية في اغفالها لقب الامبراطور وعززها بكل ما يمكن من ادلتهم حتى يظن القارئ انهُ لم يبقَ للمخالفين كلام يقولونهُ ثم انقضَّ على تلك الحجج بالشواهد التاريخية والنتائج العقلية فقوضها تقويضاً. وها نحن موردون بعض ما اوردهُ ليظهر منهُ كيف يجول امراءُ الكلام في ميادين الجدل. نقل اولاً كلام السر ولتر سكوت كاتب سيرة نبوليون وهو

"لا شيءَ يدعو بريطانيا لمجاملة اسيرها وتلقيبهِ بلقب ضنَّت عليهِ بهِ حينما كان زمام الامبراطورية الفرنسوية في يدهِ"

ثم قال "ان مفاد عبارة سكوت ان بريطانيا غير مضطرَّة ان تجامل نبوليون حينما لم تعد ترجّي منهُ نفعاً وهي لم تجاملهُ حينما كانت تنتظر منهُ النفع مع انها كانت ترغب في تلك المجاملة حينئذٍ لانها فوَّضت الى لورد يرموث ولورد لودردايل ان يخابرا الامبراطور نبوليون سنة ١٨٠٦ وكان لقب الامبراطور مرعيًّا في مؤتمر شاتيلون الذي أرسل اليهِ كلٌّ من نبوليون ونائب ملك الانكليز نائباً مفوَّضاً. ولو لم يوجس نبوليون شرًّا لعقدت المعاهدة فيهِ وامضاها الفريقان. ثم ان بريطانيا اعترفت بنبوليون امبراطوراً في جزيرة البا لان نائبها السر نيل كمبل كان يلقبهُ في المحررات الرسمية بجلالة الامبراطور نبوليون S. M. l'Empereur Napoléon"

وقال السر ولتر سكوت انهُ لو اعترفت بريطانيا بنبوليون امبراطوراً لاضطرّت ان تعاملهُ كامبراطور ولم يعد في وسعها الاحتفاظ بهِ كاسير وقال ان ذلك سبب جوهريّ لانكارها عليهِ لقب الامبراطور. فردَّ عليهِ لورد روزبري بقولهِ "ان الحكومة التي تعدُّ هذا السبب جوهريًّا خالية من كل جوهر لانهُ لم يكن يتعذَّر عليها ان تجد في حكم نبوليون سوابق تجيز لها سجنهُ مع تلقيبهِ بلقب امبراطور كما سجن هو فردينند ملك اسبانيا. واذا قال نبوليون حينئذٍ انني انا لم اعترف بفردينند ملكاً جارتهُ الحكومة الانكليزية في ذلك وقالت انها هي لم تعترف بنبوليون امبراطوراً وزد على ذلك ان في اوربا متسلّطاً تفوق سلطتهُ سلطة الملوك لان ملوك اوربا يعترفون انهُ نائب الله على الارض وهو بابا رومية وهذا البابا قد توَّج نبوليون امبراطوراً ومع ذلك فان نبوليون قبض عليهِ وسجنهُ ولم يقل احد كيف يسجن البابا وهو صاحب التاج المثلث ولا انحطَّ شأن البابوية بذلك فلم يكن اذاً سبيل للامبراطور نبوليون ان يعترض على انكلترا لسجنها اياهُ وهو امبراطور لانهُ هو سار على هذه الخطة قبلها"

وقال السر ولتر سكوت انهُ لو لقبت انكلترا نبوليون امبراطور فرنسا فماذا يكون شأن الملك

لويس الثامن عشر وملك اي مملكةٍ يكون. فاجاب اللورد روزبري "اولاً ان نبوليون لم يلقب نفسهُ امبراطور فرنسا بل الامبراطور نبوليون. وثانياً ان ملك الانكليز بقي يلقب نفسهُ وتلقبهُ حكومتهُ بملك فرنسا مع انهُ كان على فرنسا ملك معترَف بهِ وهو لويس الخامس عشر وخلفهُ لويس السادس عشر فكيف حقَّ للحكومة الانكليزية ان تلقب ملكها بملك فرنسا وعلى فرنسا ملك شرعي . ولم تترك انكلترا تلقيب ملكها بملك فرنسا الاَّ على عهد نبوليون ولعلها فعلت ذلك ارضاءً لهُ . ولكن الحكومة الانكليزية احسنت في انها لم تجادل نبوليون بادلَّة السر ولتر سكوت والاَّ لثار نبوليون في وجهها كالاسد وافسد حجتها من تاريخها وبيَّن لها انهُ ابقى للملك شارل الرابع القابهُ مع انهُ وضع اخاهُ يوسف بدلاً منهُ على عرش اسبانيا"

ثم ذكر السر ولتر سكوت حكم مؤتمر برلين بتجريد نبوليون من الحقوق المدنية وحسبانهِ عدوًّا لنوع الانسان ومقاومًا للراحة لانهُ نقض الاتفاق الذي جُعل بموجبهِ امبراطورًا على جزيرة البا وعدَّ السر ولتر سكوت ذلك دليلاً على ان اوربا جرَّدت نبوليون من كل الالقاب . فردَّ عليهِ لورد روزبري بقولهِ "ان نبوليون لم ينقض ذلك الاتفاق بل نقضتهُ حكومة فرنسا لانها تعهدت ان تدفع اليهِ مليوني فرنك كل سنة والى عائلتهِ مليونين ونصف مليون وتعطي ابنهُ دوقية بارما وبياشنزا وغواستلاً فيلقَّب برنس تلك الدوقيات وذلك كلهُ مقابل تنازل نبوليون فلم تقم بشيءٍ مَّا تعهَّدت لهُ بهِ فهي البادئة بنقض العهود . وكان امبراطور روسيا وامبراطور النمسا ووزير انكلترا يطلبون من حكومة فرنسا ان تقوم بعهودها فيجيبهم الوزير تليرند انهُ يخاف ان يرسل المال الى نبوليون فيستعملهُ في حشد الجنود ثم يقول لمولاهُ الملك اننا نتذرَّع بالمطل فتضطر انكلترا ان تدفع المال من جيبها . وقد صرَّح لافايت ان البوربون قصدوا ان يحملوا نبوليون على عمل منكر حتى يفتكوا بهِ وكانوا يفكرون في طريقة يغتالونهُ بها. ولذلك فالمحالفون هم الذين نقضوا المعاهدة لا نبوليون فهم اولى منهُ بالحرمان من الحقوق المدنية ان كان حرمانها نتيجة نقض المعاهدة

ثم ان الامة الفرنسوية لم تصادق على حكم ذلك المؤتمر بل ابدت رغبتها في عودة نبوليون اليها وتولي شؤونها وخروج البوربون منها بالصوت العام (بلبيسيت) فكيف تستحل الدول الاخرى ان تغض الطرف عن ارادة امة باكملها

وقد يقال انهُ ان كانت الحكومة الانكليزية قد اساءت في انكارها على نبوليون لقب امبراطور فنبوليون اساء ايضاً في انهُ لم يترفع عن هذه الطفائف لاسيما وان شهرتهُ كانت قد طبَّقت الخافقين ورسَّخ لهُ في التاريخ اسماً لا ينالهُ كيد خصومهِ بمكروه . وهو احتجاج حسن

لاسيما وان اسم نبوليون كان قد صار فوق كل الالقاب . ويذكرنا هذا بما فعلهُ الامبراطور كارلس الخامس لما تنازل عن الملك وزهد بالدنيا فانهُ طلب ان لا يُلقَّب بعد ذلك بلقب الامبراطور وصنع ختماً جديداً عُطْلاً من صورة التاج . واهديت اليهِ مرةً طاقةٌ من الازهار فرفضها لانها كانت موضوعة في سلَّة عليها رسم التاج . ويُرَدُّ على ذلك بان كارلس ابن الملوك الصيد ورث الملك عن آبائهِ واجدادهِ فسواءٌ تربع على عرش الملك او لم يتربع عليهِ فدم الملوك جارٍ في عروقهِ لا ينكرهُ احد عليهِ . وزد على ذلك انهُ كان قد زهد في الدنيا وطلب ان يصير راهباً واما نبوليون فكان عصامياً وقد نال ما نال من الملك والسودد بقوة ذراعهِ وجنانهِ وكان لقب الامبراطور غاية ما بلغهُ بعد الجهد والعناء فلم يسهل عليهِ تركهُ اطاعة لعدو منتقم . وهو لم ينظر الى ذلك فقط بل نظر الى ما هو اهم منهُ واجل شأناً وذلك انهُ حسب ان انكار هذا اللقب عليهِ اهانة للأُمَّة الفرنسوية التي لقَّبتهُ بهِ وانكار لحقّها في اختيار ملكها ولسني المجد التي قضتها في عهدهِ ولا يُقصَد بهذا الانكار الاَّ محو آثار ذلك المجد من تاريخ فرنسا . واذا لم يكن هو امبراطوراً فلا يكون جنرالاً لان الامة التي لقَّبتهُ امبراطوراً هي التي لقَّبتهُ جنرالاً . وموقف نبوليون في حجتهِ هذه ثابت لا يتزعزع

وقد قال السر ولتر سكوت ان نبوليون رضي ان يقيم في بلاد الانكليز متخفياً (incognito) مثل الملك لويس الثامن عشر الذي سمى نفسهُ كونت ليل فلماذا لم يقم متخفياً في جزيرة القديسة هيلانة . وردَّ اللورد روزبري عليهِ بقولهِ " ان نبوليون طلب ان يقيم متخفياً في جزيرة القديسة هيلانة باسم الكولونل مويرون او باسم بارون دوروك ودامت المخابرة في ذلك مع السر هدصن لو عدة اسابيع . ويقال ان لو عرض على نبوليون ان يسمي نفسهُ "كونت ليون" وكاد نبوليون يقبل بهذا الاسم لو لم ينبههُ احد رجالهِ الى ان كونت ليون لقب لرئيس كنيسة ليون الكبرى فقال اذاً لا يحق لي ان انتحل لقباً لغيري . واخيراً ابت الوزارة الانكليزية على نبوليون ان يتلقب بلقب منتحل مهما كان لان الملوك يفعلون ذلك . فاللوم في كل ما حدث من مسأَلة اللقب عائد على الوزارة الانكليزية لا على نبوليون ولا على لو . ولما رأى لو ان المسأَلة لم تحل الغى كلمة جنرال من مكاتباتهِ وصار يسميهِ نبوليون بونابرت بلا لقب ولا كنية كأَنهُ هيُّ بن بيّ "

هذا وكل ما ذكرناهُ في هذه المقالة مقتطف من كتاب اللورد روزبري ولو لم نشر اليهِ في كل فقرة وسنتم الاقتطاف منهُ في الجزء التالي

المهاجرة الى اميركا

كتب الدكتور الن مكلولن من اطباء مصلحة الصحة في الولايات المتحدة الاميركية مقالة وجيزة في هذا الموضوع قال فيها: — كان الذين يؤمون الولايات المتحدة الاميركانية قصد استيطان ثغورها بعد معاهدة باريس التي عقدت سنة ١٧٨٣ يسمّون بالمهاجرين · وكانوا يسمّون قبل حرب الثورة بالمستعمرين والفرق بين التسميتين سيامي . فان المستعمر كان مهاجرًا يروم انشاء وطن جديد لهُ في بلاد جديدة مع بقائهِ من رعايا وطنهِ الاصلي . واما المهاجر فكان يسعى الى تغيير رعويتهِ واستبدالها برعوية جديدة · ولاتزال حكومة ايطاليا الى الآن تعدُّ الايطاليين الذين هاجروا بلادها واستعمروا الولايات المتحدة ولم يغيروا جنسيتهم من جملة رعاياها · وهذا هو معظم الفرق بين المستعمر والمهاجر

ولم يكن في ذلك الزمان مدن كبيرة مزدحمة بالسكان يقصدها البهال كما هي الحال عليهِ في هذه الايام ولا كان هناك معامل كبيرة او مناجم تستدعي عمل العمال لان البلاد كانت براري وحراجًا لم تطأها قدم انسان ماعدا منطقة ضيقة على الساحل وكان المهاجرون الاولون قومًا لا تثني لهم المصاعب همة ولا تلوي عزيمة فنحتوا الجبال بيوتًا ومهدوا لهم سبيلاً في قلب الغابات الكثيفة دون ان يرجوا اجرًا او شكورًا بل كل ما كان يندبهم الى العمل همة قعساء ورغبة في تأسيس وطن جديد يكفيهم مؤونة ما كانوا يلقون من الذل والنكد والاضطهاد في وطنهم القديم وعليهِ فقد كان المستعمر الاول حطابًا وفلاحًا ترك خلفهُ مشاقَّ كثيرة من مثل الخدمة العسكرية الالزامية والاضطهاد الديني والجنسي والضرائب الثقيلة الحمل والحروب الاهلية ونظام الاقطاعات ووجد في مقرهِ الجديد ملكاً مشاعًا واستقلالاً تامًّا لا يشوبهُ اضطهاد ولا ضغائن جنسية او دينية وحرية شخصية واحترامًا لحقوق الفرد بلا نظر الى مقامهِ الاجتماعي . فهذه المزايا الجليلة وامثالها حملت الالوف على المهاجرة حتى قدَّروا ان عدد الذين هاجروا الى الولايات المتحدة من اوربا بلغ ١٥٠ الفًا بين سنة ١٧٨٣ و سنة ١٨١٠ وكان معظمهم من الجزائر الانكليزية والباقون من الالمان والفرنسويين واهالي اسوج ونروج

ثم انقطع سيل المهاجرة او كاد من انكلترا بسبب اشتباكها مع الولايات المتحدة في حرب سنة ١٨١٢ ثم عادت المياه الى مجاريها بعد انتهاء الحرب فدخل الولايات المتحدة نحو ٢ الف مهاجر · وطغى السيل بين سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٠ وجعل يزيد على التوالي حتى بلغ معظمهُ في العشرين سنة التالية وكان سبب الزيادة ابتلاء ارلندا بالجدب والقحط واشتداد ازمة

الصنّاع في المانيا وثورة سنة ١٨٤٨ واكتشاف مناجم الذهب في كليفورنيا

وبلغت مهاجرة الارلنديين الربى بين سنتي ١٨٤١ و ١٨٥٠ فكانت ٤٦ في المئة من مجموع المهاجرين ثم جعلت تنخفض حتى صارت ٤ في المئة . واما الالمان فما زالوا يهاجرون افواجاً حتى سنة ١٨٨٠ وما بعدها بسنوات قليلة فبلغوا حينئذٍ ٣٠ في المئة من مجموع المهاجرين ثم تناقص عددهم حتى بلغوا الآن ١٠ في المئة من المهاجرين . وقس على ذلك اهالي اسوج ونروج

ولما تناقص عدد المهاجرين من البلدان المذكورة اخذ عدد المهاجرين من ايطاليا والنمسا وروسيا يزيد فدخل الولايات المتحدة ٣٦٣١ ايطاليًّا و ٧٦٥٨ نمسويًّا و ٨٩٨١ روسيًّا سنة ١٨٧٥ ثم زاد ذلك العدد زيادة عظيمة حتى بلغ عدد المهاجرين الايطاليين ٢٣٠٦٢٢ نفساً والنمسويين ٢٠٦٠٠١ والروس ١٣٦٠٩٣ سنة ١٩٠٣ اي ان عدد المهاجرين الايطاليين والنمسويين والروس كان ٩ في المئة من مجموع المهاجرين سنة ١٨٧٥ فصار اليوم نحو ٦٧ في المئة منهُ

وقد كان المهاجرون الاولون يختلفون كل الاختلاف عن مهاجري هذه الايام فان الاولين كانوا زرّاعاً وفلاحين كما سبق القول ولكن اكتشاف مناجم الفحم الحجري والحديد جعل الحاجة ماسَّة الى صنف آخر من الناس يسمَّى بالعمال وزادت الحاجة الى العمال بمد سكك الحديد في البلاد. ثم ان زيادة المعامل الصناعية جعلت مهرة الصنّاع ومهندسي الآلات الميكانيكية في كل قطر يهاجرون الى الولايات المتحدة افواجاً . فكانوا لازمين للبلاد في بادئ الامر . اما الآن فلا لزوم لهم بعد بل ان مزاحمتهم للصناع الاميركيين تضايق هؤلاء وتسدُّ ابواب التكسب والارتزاق في وجوههم

هذا وان سرعة نماء المدن الكبيرة في الخمس والعشرين سنة الماضية حملت صنفاً آخر من الناس على المهاجرة وهو صنف الحَلَم الانساني الذي يعيش على غيرهِ ولا يعتمد على نفسهِ في معيشتهِ . وعليهِ يمكن قسمة المهاجرين الذين يهاجرون الى الولايات المتحدة هذه الايام الى اربعة اقسام . الاول الفلاحون . والثاني العمال . والثالث الصنّاع . والرابع الحَلَم . فالفلاحون يشتملون على الذين يعملون في المزارع والذين يستأجرون الاراضي او يشترونها قصد استغلالها والاقامة فيها . والعمال هم جميع الذين يعملون في المناجم والمعامل واعمال البناء العظيمة . وهذان القسمان لازمان ولاغنى عنهما لتقدم فلاحة البلاد وصناعتها . والقسم الثالث يشتمل على المهندسين الميكانيكيين وحذاق الصناع وارباب الحرف والمهن وغيرهم من الذين يهاجرون الى اميركا ويزاحمون الاميركيين في صنائعهم . وهو ليس لازماً لتقدم البلاد وقد لايكون ذا قيمة

فيهِ . واما القسم الرابع فلا قيمة لهُ البتة كما يدل اسمهُ عليهِ بل انهُ مضرٌّ بجسم البلاد وهو يتضمن الحدّارين والشحاذين والبطَّال وسائر الذين يتجمعون في المدن الكبيرة فلا يستطيعون عملاً بدنيًّا شاقًّا او لا يريدونهُ فهؤُلاء عبءٌ ثقيل على عاتق المجتمع الانساني وضررهم بجسم الامة على نسبة عددهم

ويقال في الختام ان احوال اوربا الاجتماعية والسياسية تعين كمية المهاجرة الى اميركا وكيفيتها . فالبلاد التي حكومتها عادلة ورعيتها ناجحة لا يهاجر عدد كبير من اهلها منها والذين يهاجرون منهم هم من الطبقة الدنيا وذوي الفقر والمسكنة . وخير مثال لذلك المانيا فان اثراءها ونموّ روح الوطنية في صدور الاهالي ورضاءهم عن حكومتهم كل ذلك قطع سيل المهاجرة منها الى اميركا او قلَّلهُ كثيرًا . والذين يهاجرون منهم الآن دون الذين كانوا يهاجرون منذ ٢٥ سنة . وخير لاميركا ان يؤُمها الفلاحون الاقوياء الابدان من بلدان معارفها قليلة من ان يؤُمها فاسدو الاخلاق والمجرمون والمرضى بامراض معدية واصحاب العاهات من بلدان درجة العلم والمعارف فيها عالية مرتقية

واليوم يهاجرون الى اميركا الفلاحون كما كانوا يهاجرون اليها فيما مضى ويهاجر اليها العمال والبلاد محتاجة اليهم فتقبلهم على الرحب والسعة ويهاجر اليها ايضاً رغماً عنها كلُّ أفّاق لا يستطيع المعيشة في غير المدن الكبيرة . انتهى كلام الدكتور مكلولن

وكأَن الكاتب اشار في القسم الرابع من هذه الاقسام الى معظم الذين هاجروا الى اميركا من الشرق الادنى سواءٌ كان ذلك من سورية او غيرها والى اكثر اليهود الذين هاجروا اليها من روسيا فان جمهورهم من اهل الطبقة الدنيا الذين لم يتعلموا ولم يتهذبوا

قلنا ان معظم الذين هاجروا الى اميركا كانوا على مثل ما وصفنا لا كلهم لان بين الذين هاجروا اليها عدداً عديداً من الذين كانت غايتهم من المهاجرة طلب الرزق بالوسائل القانونية وشعارهم الصدق والامانة في المعاملة ورأْس مالهم العلم والتهذيب والفضائل التي تلقوها في الوطن وربوها في ديار الغربة . ومن هؤُلاء من عاد الى وطنهِ لينفع قومهُ ومنهم من آثر البقاء في اميركا وتجنس بالجنسية الاميركية حاسباً ان وطن الانسان حيث يكتسب رزقهُ وينال حريتهُ ويأمن على نفسهِ ومالهِ . فامثال هؤُلاء يجلهم الاميركيون ويحترمونهم ويحسبونهم منهم فيهم

على انهُ لو كان فقراءُ سورية يقصدون اميركا للعمل في ارضها او في معاملها لعدهم الاميركيون من القسمين الاولين اللذين قال الكاتب فيهما انهما لازمان للبلاد لاغنى لها

عنهما ولقدومهم على الذين يقصدونها للاتجار ولو كانوا اكثر منهم مالاً واسمى تربية واوفر تهذيباً وذلك ميسور لفلاحي سورية نظرًا الى اعتيادهم حراثة الارض والى تسهيل الحكومة الاميركية سبل الحراثة والزراعة في وجه كل من يريد احترافهما في بلادها

وقلنا الشرق الادنى احترازًا من الشرق الاقصى وخصوصاً الصين فان الصينيين يملاؤن اطراف الولايات المتحدة الاميركية ويحترفون بعض الحرف السهلة مثل كيّ الثياب وما اشبه ولكنهم يتقنونها حتى يسابقوا الاميركيين فيها ويسبقوهم لاسيما وانهم يقتضون اجرة اقل مما يطلبهُ الاميركيون لان نفقاتهم زهيدة لا تكاد تذكر في جنب نفقات الاميركيين فلذلك يكرههم هؤلاء ويعدونهم دخلاء متطفلين على موائد رزقهم . واذا كرهوهم فانما يكرهون فيهم تقتيرهم وقناعتهم بالقليل من الربح وشظف معيشتهم

فعسى ان يهتم السوريون المهاجرون الى اميركا بابتياع الاراضي الزراعية واستغلالها كما فعلوا في هذا القطر فيعدوا من الطبقة الفضلى بين المهاجرين . لان الخيرات التي ينالها ارباب الزراعة يستخرجونها من التراب والماء والهواء فتصير بضاعة ثمينة بعد ان كانت ضائعة وتزيد بها ثروة البلاد وقوتها

اكليل الغار

— لكوكب البحار —

مرثاة للاميرال مكاروف بقلم تولستوي الفيلسوف الروسي الشهير نظمت ببعض تصرف اخذًا عن جريدة المحبة الغراء

أبكي ابا الهيجاء اوحد عصرهِ . من كان غنم الدهر طاعةُ امرهِ
والنصر خادنهُ لآخر عمرهِ والآن لجُّ البحر مدرج قبرهِ
فيهِ مكاروفٌ ثوى بسلامِ

ذاك المحيط القاتم المتموجُ في عمقهِ الاجيال تلوًا تدرجُ
كيف احتوى من للخطوب يفرّجُ ولدى الوغى بدم العداة يضرّجُ
ويبيدهم بالصارم الصمصامِ

ولهُ اعدَّ النصرُ اكليلَ العلا ليبيت بالمجد الاثيل مكلَّلا
وعليهِ شعب الروس بات معوَّلا ورجوهُ بالاعدا البغاة منكِّلا
فيردهم فرقًا بغير نظامِ

لكنما حكم القضاء له انبرى وبغير ابطاء بنكبته جرى
ما امهلتهُ الحادثات ليبهرا هذا الكيان وكلَّ افكار الورى
بالحزم والتدريب والاقدام

هل هاب منهُ الدهرُ ضدًّا يقلقُ ام بات شخصُ الموت منهُ يفرقُ
لما رآهُ وهو منهُ الاسبقُ لبلوغ ارواح العدى اذ يطبقُ
بجموعهم كالليث بالاغنام

أم أثقل الغبراء وازنُ مجدهِ فشكت قصورًا دون محمل جدهِ
فسنا وطُهرِ النفس الغر بُردهِ نحو السماء مخلفًا من بعدهِ
جثمانهُ فوق المحيط الطامي

ولذاك بات بهِ المحيط يفاخرُ ولحرصهِ اضحى عليهِ يحاذرُ
من ان تمدَّ الى بهاهُ نواظرُ مع درّهِ في لجّهِ هو ذاخرُ
جسمًا كنوزَ العالمين يسامي

هذي الطبيعة كاشفتهُ أمرها فرأتهُ ممتدًّا ليكشف سرها
حذرُ العظيم من الاعاظم جرَّها لحياتهِ الجلّى توجّهُ ضرَّها
فعنا الجريءُ لنافذ الاحكام

اذ ان اسرار الطبيعة فائقه لغموضها تعنو العقول الرائقه
واذا رأيتم من امور شائقه فلتلك جاءتها عزائمُ صادقه
ان العظيمة من اخي الاعظام

الزيتُ من طول اشتعالٍ ينضبُ والفيضَ من نهر جفافٌ يعقبُ
والنور من طول الانارة يغربُ وكذا حياة اخي العظائم تذهبُ
اذ يستضيق الارضَ كلُّ همام

يا من بامرار الحياة تخبّرا وعن البلوغ لكنهِ ذلك قصّرا
عبثًا تحاول كشف ما قد أُضمرا ليستْ حياة المرء الاَّ مظهرا
للوهم يتلوهُ الردى كختام

في كل عصر سابق ظن الملا ان الكمال لهم أتمّ وأكملا
بوسائل من ارضنا لهمُ انجلى أو جاءهم وحيًا يساق من العلا
لكن ترى يا معشر الانام

اين الكمال لنا يزف حقائقهُ هل في قلوب بالقساوة دافقهْ
اضحت لسفك دم الخلائق عاشقهْ لا رحمةٌ ام في قلوب زنادقهْ
باثارة الهيجاء ذات غرامِ

بل اين هاتيك المبادي الصالحهْ هل في ثغور بالتبسُّم طافحهْ
عن السعن بظبي المفاسد جارحهْ او اعينٍ فيها الشراسة واضحهْ
ما بلَّها دمع مدى الايامِ

وتنهُّدُ البحر العميق وانْ علا زادت عليهِ تنهدات بني الملا
وسكونهُ ان طال ليس ليعدلا لسكون هاتيك الفرائس للبلا
تطفو عليهِ وهي ذات زحامِ

يا قبَّة الافلاك هيَّا أَرعدي طول الزمان و بالسحابِ تلبدي
يا موجُ بالانواء دوماً ازبدِ ياريحُ هبي دون كل تقيُّدِ
كزئير ليثٍ عاث بالانعامِ

يا كلَّ اعماقٍ بهذي الابحر او فوقها بالضر فيضي وازخري
وجميعَ ما يفني و يردي أحضري فجميعُ هذي مثل عقدة خنصرِ
بازاء فتك معاشر الظلاَّمِ

نبذوا العهود وبالشرور تسلحوا ولبعضهم بعضاً جيوشاً سرَّحوا
بالسخط والقتل الذريع تطوحوا لتمدنٍ منهُ العواطف تجرحُ
لفسادهِ بدلَ الضيا بقتامِ

ارض كساها الخصب اجمل حلَّةٍ والريُّ غادرها باكمل بهجةٍ
خيراتها وفرتْ لاهل الهمةِ كي يشكروا وهاب كل عطيَّةِ
وموزع الافضال والانعامِ

مالي اراها للابالس ملعبا حصنٌ هنالك شيَّدوهُ مقببا
وامامهُ حفروا الخنادق والظبي شهرت وتنظيم الدفاع ترتبا
وتهيأُوا لكريهةٍ وصدامِ

وبواسلٌ للقا العداة تجمهروا وسيوفهم باكفهم قد اشهروا
وضيا الغزالة فوقها يتسعرُ مرأى جميل للنواظر يبهرُ
فيهِ يرى المفتونُ ربَّ هيامِ

وعليهم تلك الملابس تسطعُ والنفس من الحانهم تتشجعُ
حركاتهم حسب النظام توقّعُ وعلى رؤوسهم المغافر تلمعُ
فتزيدهم حسناً ورفع مقامِ

عزفوا بالحان هنالك شائقة وتلت قواطر بالكتائب دافقة
وعلى رؤوسهم البيارق خافقة وغدت باسرع من سقوط الصاعقة
ترمي البنادق مثل حب غمامِ

بدت البواتر والمدافع لعلعت ولحصد هاتيك المواكب أسرعت
ودم الخلائق كالبحار تجمعت الهام طارت والحشاشة قُطّعت
والقتل حلل دون بعض ملامِ

الخيل تصهل والمدافع ترعدُ وبنادق نيرانها لاتبردُ
وصليل اسياف وثمة مشهدُ شبح الفنا والموت بات يعربدُ
بقبيح منظرهِ على الاقوامِ

للقيصر المحبوب والاوطان لا تتوقفوا فالى الامام معجّلا
هذا شعارهمُ وآخر ما انجلى من قولهم لما احيطوا بالبلا
حيُّوا المنون تحيّة البسّامِ

وصدورهم فتحت لنار عداتهم والبشر منطبع على جبهاتهم
ونجيعهم يجري على وجناتهم وخلالهُ يبدو نبا نصراتهم
ماحجبتهُ صفرة الاعدامِ

صاحوا لقيصرنا وحب مواطنٍ نحو الامام تقدموا بتعاونٍ
لبلادنا والملك دون تهاونٍ هجموا وقد داسوا بقلب ساكنٍ
قتلى لهم اشلاؤهم كركامِ

وطئت ركامهمُ الخيولُ بلا جزع وتحمس الفرسان ثم بها اندفع
فالى الامام الى الامام بلا هلع صوت المبوق والطبول قد انقطع
ودم الفوارس صبغة الاعلامِ

وهنت ايادي القوم من مشق الظبى ووهت عزائمهم ومركبهم كبا

لكنهم زادوا لذاك تصلُّبا بلغوا حصونًا شيدت فوق الربى
من حولها الاشلاء كالآكامِ
***
اعماقَ ممتد السكون قد اخترقْ لهفٌ يصم الاذن بل يدمي الحدقْ
وصدور آلاف بأنَّات الحرقْ هتفت بحشرجة المنية واندفقْ
منها النجيع باوجع الالامِ
ضوء المشاعل مذ بدا يتوقدُ برزت مراء للفرائص ترعدُ
أخوانِ كلٌّ منهما يتوسدُ زند الشقيق ببهجة تتصعدُ
ويد تشد براية وحسامِ
وبكل صدر منهما قد اغمدا نصل لمقبضهِ اغارَ وانجدا
رهط الصليب هناك اسرع منجدا وجدوا صليبهما اشد توردا
وتوقدًا فجثوا على الاقدامِ
صلَّوا امامهما باوفر رهبةٍ فمحا عيونهما بكل مشقةٍ
هتفا بقولهما لآخر مرةٍ لبلادنا ولملكنا ذي الرحمةِ
هيا بنا هيا بنا لامامِ
الليل خيم فوق هاتيك البقعْ والموت غشاها بجلباب الجزعْ
مجرًا بها سرب الجوارح قد وقعْ لمدافن الابطال بالجوع اندفعْ
يلقى باشلاها الذ طعامِ
رجل هناك مضرَّج بدمائهِ فوق الثرى والسيف في احشائهِ
مع ضعف عينيهِ يرى بازائهِ جيش الجوارح همّ في اعضائهِ
يقتاتُ من ذاك الفؤاد الدامي
اظفارها في جسمهِ قد اسرعتْ من فوق عظم الصدر لحمًا مادعتْ
وكذا حشاشة قلبهِ العاني رعتْ وبدت ثقوبٌ في حشاهُ أُودعتْ
من نار اعداه الرصاص الحامي
قد أنّ لكن ليس اذن تسمعُ نادى فجاوبهُ نعيق يجزعُ
من سرب طير فوقهُ تتجمعُ كوليمة فيها الجوارح ترفعُ
ما بين لحم سائغ وعظامِ

وبصدره النفس الاخير تصعدا وختام ما قد فاه فيهِ مرددا
لمواطني ولقيصري روحي الفدا فالى الامام الى الامام الى العدى
فالموت في صدرِ العداة مرامي

***

هذي الحروب وهذه اهوالهُا مهما تقلب بالنتائج حالهُا
للشعب حقاً ضرها ووبالهُا ويل لمن يعزى لهُ اشعالهُا
فلإثمهُ من افظع الآثام

ولم غدا الوهم المضل يصورُ ان الردى فيها فخار اكبرُ
اذ خيلوهُ فضيلة لا تنكرُ بمسرةٍ وشجاعة تتسعرُ
كأس الردى ارتشفوا ككأس مدامِ

مهما تضاربت المذاهب في الورى في امرها والنهي عنها كررا
فلها البقاء بكل عصر قدرا وجدت مع الانسان مذ وطئ الثرى
في عصر تنوير وعصر ظلامِ

فخروجها بجفاف اخر دمعةٍ اذ تنتهي للذاتِ كل محبةٍ
وتزول ، كل مطامع بشريةٍ هذا هو الانسان حسب الفطرةِ
تمَّ الكمال لهُ من الاوهامِ

ان الكمال هو الحقيقة في البشرْ وحياتنا وهم فليس بمنتظرْ
ان يدرك الوهمُ الحقيقةَ فالفكرْ في الارض تأمل بالكمال لها ظفرْ
ستنالهُ في عالم الاحلامِ

لا لا سيدركهُ متى العيش انصرمْ وبقبرهِ اضحى يمازجهُ العدمْ
ويضيق من نوم يطول على الامْ ليعيش في دار السعادة والنعمْ
حيث الحقيقة تزدهي بدوامِ

***

يكفيك في التيه احتمالاً للكمدْ هيا مكاروف استرح حتى الابدْ
يكفي عناً يا نفسَ ذبَّاك الاسدْ ثقلَ الحياة خلعتِ مع ثقل الجسدْ
ولكِ الكمال بدا بكل تمامِ

بجمال صورتهِ كسيت مجملاً وضيا الحقيقة بالكمال لك انجلى

معها امتزجت بلطف حسنٍ قد حلا عظمت ملذتهُ لذلك في الملا
ما ادركتهُ مدارك الافهام ِ

فالآن انت الكوكب المتألقُ بسما الفضاء لك السناء المشرقُ
باشعة ذهبية تتدفقُ ارشد نفوساً بالشقا تتحرّقُ
في مرسح لتزاحم وخصام ِ

في مدلهمّ الكون تائهة الفكرْ فمن الكمال أُعد لها بعض الصورْ
لتبيتَ مدركةً لبعض المنتظرْ من بهجة سموية فيها الظفرْ
لك في العلا منقادةً بزمام ِ

فلكِ الهنا يا خير نفس طاهرهْ يا ذات هاتيك المزايا الباهرهْ
ان كانت الافكار مني قاصرهْ في وصفها فالنفس منا حائرهْ
بالوهم طي محابس الاجسام ِ

هذا وانتِ طليقة بتحررِ ليست تقيد في الفضاء الاكبرِ
خوضي بحار اللا نهايةِ وامخري والتيهَ والاخطارَ لا تحذري
كلاً ولا تخشي من الالغام ِ

واذا جرت سفن الحياة الحائرهْ في موج ابحار الوجود الزاخرهْ
وغدا القتام لها يجر مخاطرهْ واليك قد رفعت عيوناً غائرهْ
من داجيات الهم والاسقام ِ

فاجعلْ لمرساها الامين لها هدي بشعاع نور من سناك توقدا
لجميع من فيها يغبّط للمدى لك كوكب الابحار ذكرًا امجدا
تردادهُ الذاكي كنشر خزام ِ

بك يقتدون فيبذلون الانفسا وتدوم انت مبيناً ومدرّسا
حق المواطن كي نراهُ مقدّسا وعلى المدى ذكراك ليست تُنتسى
ذكرى همامٍ باسلٍ مقدام ِ

بسبيل امتهِ وملك بلادهِ في الحرب قد سفكت دماهُ فؤادهِ
ويرى امتداد الكون في آمادهِ بك كوكباً لم يخبُ نور سدادهِ
مجدًا لامتهِ مدى الايام ِ

(ش.)

أذن الانسان

وتعليل عدم حركتها

نشر الدكتور والتر سمث من اساتذة مدرسة لايك فورست مقالة في هذا الموضوع في مجلة العلم العام الاميركية قال فيها ما خلاصتهُ

حديث الاذن حديث ذو شجون وتاريخها مختلف الوجوه . سَلْ عالمًا من علماء النشوء والارتقاء يخبرك ان اصل فتحة الاذن في الانسان فتحة خيشوم الدعموص الذي ارتقى الانسان منهُ وان المادة الغضروفية التي تتألف الاذن فيها نمت على سطح الرأس الخارجي وجهزت بعضلات مختلفة تغير حركتها وتكيف شكلها كما في الفرس مثلاً فان اذنيهِ تتحركان مثل عينيهِ بل هما اسهل حركة منهما ويمكن تحريك كل منهما في جهة مختلفة بخلاف العينين كان الطبيعة قصدت قديمًا ان تكون اذنا جدّ الانسان مثل اذني الفرس من حيث سهولة حركتهما فجهزتهما بالمادة الغضروفية والعضلات اللازمة لتحريكهما ولكنها غيرت فيما بعد قصدها فاستردت ما وهبت. نعم ان المادة الغضروفية باقية حيث كانت ولكن قوة التحريك زالت. ومن الناس من يستطيع تحريك اذنيهِ بعض التحريك الاَّ ان ذلك يوجب اشمئزاز المشاهدين ونفورهم لندورهِ وخروجهِ عن حدّ المألوف

وربّ سائل يسأل لماذا فقد الانسان قوة تحريك اذنيهِ . أبعد ذلك تقهقرًا في سلّم الارتقاء ام خسر تلك القوة ليربح امرًا اعظم لا يمكن ربحهُ بلا تلك الخسارة . وعندي انهُ يمكن الاستدلال على اسباب التغير الذي طرأ على الاذن وعلى ان الانسان ربح ربحًا عقليًّا لا تعدُّ الخسارة شيئًا في جنبهِ . ولتبيين ذلك الربح نبحث اولاً في ما خسرهُ الانسان من المزايا على اثر فقد الاذن لحركتها واهمية تلك الخسارة تتضح من مقابلة الاذن بالعين . فان العين دائمة التحرك وعلى ذلك يترتب امران مهمان الاول انهُ يمكن تحريك العين من جهة الى اخرى عند ارادة فحص الاشياء ونقدها . وليست اقسام العين المختلفة على نسبة واحدة في قوة البصر بل ان القسم الاوسط منها احدُّ بصرًا من الاطراف . وعليهِ فاذا اراد احد التحديق الى شيء غير مواجه لهُ ادار عينيهِ نحوهُ لتقع اشعة النور الخارجة منهُ على القسم الاوسط منهما . وهذا التغيير في حركة العين يتمُّ بالسرعة والدقة اللازمتين ويعين العين على اتمام الغرض المقصود منها

والامر الثاني المترتب على تحرك العين رؤيتها ما يقع تحت نظرها المتسع بغاية الترتيب

والانتظام . وقد يظهر ان علمنا بمركز الاشياء النسبي انما هو طبيعي او غريزي فان كثيراً من صغار الحيوانات ترشد خطواتها بنفسها من حين ولادتها فتأمن العثار والزلل بخلاف طفل الانسان . نعم ان في جهاز الطفل العصبي استعداداً لادارة حركاته المستقبلة ولكنهُ لا يستطيع ان يكيف حركاته مطاوعة للوسط المحيط به كما يفعل فرخ الدجاجة مثلاً بل يدرك علاقتهُ بالاشباح الخارجية بالتعلم والاختبار. ولسنا نعلم ماهية شعور الطفل بالنور لاول رؤيته اياهُ ولكن بعض شعورنا العادي يقاربهُ فقد قال احد العلماء الالمانيين ان شعورنا باللون عند تحديقنا الى اللون الازرق في قبة السماء يشبهُ صوتاً موسيقياً اي اننا نشعر باللون فقط ولا نتصور مكاناً لهُ والمرجح ان شعورنا بالمناظر التي حولنا لاول رؤيتنا لها يشبه ذلك الشعور. ولو كانت العين ساكنة لا تتحرك لما رأت من الاشباح التي حولها سوى الوان متتابعة . ولكن اذا كانت تتحرك وتنتقل بين الالوان فانها تمرُّ من صورة الباب الى صورة الجدار فالشباك وهلمَّ جرّا فيرتسم في الذهن سلسلة صور معروضة للنظر على الدوام ومرتبة ترتيباً محدوداً . وعليهِ فان شعورنا بالاشباح التي حولنا منتظمة ومرتبة مسببٌ عن تحرُّك العينين

ومثل ذلك يقال في حاسة اللمس فاننا ندرك حجم الاشباح التي نلمسها بتداول الانامل لها ولا ندرك العلاقة المكانية التي بين تلك الاشباح إلاَّ بلمسها مراراً طرداً وعكساً

اما الاذن البشرية فانها ثابتة لا تتحرك وعليهِ فهي لا تستطيع ان تأتي حركات معكوسة لاستقبال الاصوات مثل الحركات التي تدير العين من موضعها سريعاً لتستقبل اشعة النور الصادرة عن المرئيات . ثم ان تصوُّر المكان بالصوت تصوُّر صعب جدًّا حتى انكر كثيرون ان للصوت صفة مكانية ولكن لا يمكن اثبات ذلك لاننا نستطيع تعيين مكان الصوت وندرك ما اذا كان عن يميننا او يسارنا او خلفنا او امامنا وكذلك ندرك اختلاف حجم الاصوات . على ان ادراك صفة الصوت المكانية لا يقاس بحاستي اللون واللمس في دقتهما وجلاء حدودها فما هو حجم الرعد مثلاً . نعم ان هذا السؤال يظهر بلا معنى لاول وهلة ولكنهُ ليس خالياً من المعنى كما يظن فاننا نقول مثلاً ان دمدمة الرعد ملأَت السماء . وسبب ظهور السؤال المذكور بلا معنى هو غموض صورة الصوت من حيث الاتساع

واذا حللنا هذا الغموض وجدنا اننا نقدر ان نعين مكان الصوت تماماً بسبب عدم تحرك الاذن . وكلنا نعلم ما هناك من الصعوبة في تعيين جهة الصوت الغريب الاَّ اذا ساعدت العين الاذن على ذلك . فان صوت جرس الدرَّاجة يتركنا حائرين لا ندري من اين اتى حتى نرى الدراجة باعيننا وكثيراً ما يحدث اننا نسمع الصوت لا من جهة الجسم الصائت بل من

الجهة المقابلة له . فيرى من ذلك ان الاذن لاتقابل بالعين من حيث الدقة والضبط في تعيين الجهة . وان نقدها للعضلات التي تديرها لاستقبال امواج الهواء من حيث تأتي افضى الى نقصنها الحاضر في تعيين مركز الصوت وباتت خسارتها مزدوجة . فالخسارة الاولى تظهر من قول دارون " ان توجيه كثيرمن الحيوانات آذانها الى جميع الجهات يفيدها اكبر فائدة لانها تعرف بهِ جهة الخطر وتسعى في اتقائهِ " والخسارة الثانية لها علاقة شديدة بالاولى فانهُ لوكانت الاذن متحركة مثل العين والانامل لا شبهتهما في ترتيب الصور المكانية التي تحدثها وفي جلاء حدودها ولو لم تبلغ مبلغهما في ذلك

على ان دارون يرى ان الانسان كسب مزية تعوّض بعض ما خسرهُ بفقد الاذن لحركتها وتلك المزية هي زيادة السهولة في تحريكهِ رأسهُ الى جميع الجهات . نعم ان حركة الرأس تعين على البصر والسمع ولكنها لا توازي حركة اعضاء الحواس نفسها . فان الرجل الذي تصاب رجلاهُ بالشلل قلما يتعزى عن مصابهِ بتعيين حمال خصوصي له يحملهُ حيث شاء . ومما يجب الالتفات اليهِ في هذا الصدد ان العين تتمتع بحركات الرأس وهي لم تفقد حركتها

ولننتقل الآن الى البحث في الربح العقلي الذي نتج عن تلك الخسارة وهذا الربح هو الانتباه لتوالي الاصوات فان الصوت يقع فجأة على آذاننا ثم يزول و يتلوهُ آخر يختلف عنهُ في صفتهِ فندرك الصوتين ونميز بينهما . واذا اصغينا الى جسم صائت انحصر اهتمامنا في الانتباه لاصواتهِ المتتابعة . وهذا يتضح من سماعنا للخطب التي تتلى امامنا فاننا نسمع اصواتاً تحدث في وقت واحد تقريباً ولكن الخاصة الغالبة من خصائص شعورنا بها هي ان تنوعها يحدث في سلسلة متتابعة . فالسمع اذاً حاسة زمانية اي يُدرَك بهِ زمان الاصوات ولو بقيت الاذن متحركة لكان السمع حاسة مكانية تُدرك اماكن الاصوات ولكن لايُدرَك زمنها بل تُدرَك كأنها حدثت في وقت واحد

هذا من جهة شعور الاذن بالاصوات . واما من جهة شعور العين بالمرئيات فاننا ننظر الى شيءٍ من الاشباح ومادمنا ننظر اليهِ فان شكلهُ يبقى واحداً لا يتغير وقد يظهر انهُ لم يتغير ولو نظرنا اليهِ بعد يوم اوشهر او سنة . على ان العين تميز مايطرأُ على بعض الاشباح من التغير فاننا كثيرًا ما نرى سحب الصيف تتكون ثم تضمحل في السماء واغصان الاشجار تتحرك من جهة الى اخرى ولكن البصر حاسة مكانية واهتمام العين انما هو بالاشكال وعلاقتها بعضها ببعض بخلاف الاذن فانها عضو حاسة زمانية . فلو فرض ان العين مُرّنت لتهتم اهتماماً خصوصياً بالتغيير الذي يطرأُ على الاشباح التي امامها لوجب ان تمتنع عن الحركة وان تبقى محدقة الى تلك الاشباح

والصور والاشكال الخصوصية التي يتخذها تتابع الاصوات وتشعر الاذن بها ولّدت اللغة والموسيقى . فاللغة مؤلفة من اصوات متتابعة وفائدتها تفوق كل وصف ويتلوها الموسيقى فان ما نشعر بهِ من الارتياح للانغام الموسيقية يتوقف على الشعور بتتابع الاصوات

وربّ معترض يسأل وما قولكم في الحيوانات الدنيا التي ليس لها آذان خارجية او لها آذان لا تتحرك . وفي الجواب على هذا السؤال يلزمنا ان نميز بين الحيوانات التي لم يكن لها آذان متحركة البتة وبين الحيوانات التي كان لها آذان متحركة ثم فقدت آذانها حركتها فان كلامنا متجه الى هذه الاخيرة اما الطيور التي لم يكن لها آذان متحركة فانها شديدة السمع ومعلوم انها شديدة الولع بالموسيقى فهي كالانسان من هذا القبيل لان آذانها ثابتة فتدرك تتابع الاصوات . ومما يذكر هنا ان كثيرًا من الطيور تقلد الاصوات حتى صوت الانسان وهي وان تكن لا تدرك معنى ما تقلدهُ ولكنها تدرك تتابع الاصوات

وقد يظهر لاول وهلة ان السعدان والقرد شذَّا عن القاعدة المتقدمة فانهما فقدا قوة تحريك الاذن مثل الانسان ولكنهما لا يستطيعان النطق مثلهُ . واذا كان ذلك كذلك فانهما فقدا شيئًا لم ينالا عوضًا عنهُ كما نال الانسان . ولكن لا يغرب عن البال ان العلماء العقليين لا يزالون يجهلون امورًا كثيرة عن حياة القرود العقلية فان بعض انواع القرود تجتمع جماعات تأخذ في الصياح معًا وتلتذُّ بهِ وهي لا تصيح قصد طرد العدوّ عنها بل تفعل ذلك عن تروٍّ قصد الغناء وزعيمها يبدأُ اللحن . ثم ان السعادين تاتي اصواتًا أُخرى غير ما تقدم تدلُّ على ادراكها للاصوات . ذكر الاستاذ هيكل انهُ سمع بعض القرود تصوت اصواتًا غريبة تشبه بعض الاصوات التي ينطق بها قبائل البوشمان عند الكلام . وكتب المستر غارنر مقالة في "كلام السعادين" قال فيها ان الاصوات التي تحدثها السعادين هي اصوات ذات مقاطع وصادرة عن تروٍّ وقصد . والسعادين توجهها دائمًا الى فرد معين بقصد افهامهِ اياها على ما يظهر . ثم تنتظر الجواب فاذا لم تظفر بهِ كررت الاصوات مرارًا . وهي تنظر عادة الى الشخص الذي تخاطبهُ ولا تحدث تلك الاصوات اذا كانت منفردة او قصد التسلية . وتفهم الاصوات الصادرة عن السعادين التي من نوعها حتى اذا قلدها الانسان . والغالب ان كل عمل من اعمال السعادين يصحبهُ صوت خاص بهِ . وقال المستر غارنر في مؤلف آخر الفهُ بعد ان درس طبائع القرود في مواطنها الاصلية ان الشمبانزي ينطق بخمس وعشرين كلمة الى ثلاثين كلمة وقد ادعى انهُ تعلم عشرًا منها حتى انهُ يستطيع ان يخاطب القرود بها

ووصف المستر رومانس كيفية غناء القرد المعروف بالشمبانزي فقال ان اغنيتهُ مؤلفة من

صعقات وصيحات سريعة عالية يرددها وهو يفحص الارض برجليهِ . وقال داروِن ان نوعين من القرد المعروف بالجيبون يستطيعان الغناء

ومما يهمُّ ذكرهُ في الكلام على ترقية قوى النطق في القرود ان القرود متقدمة على مادونها من الحيوانات في احوالها الاجتماعية كما يشهد بذلك السياح والذين عنوا بتربيتها . ولكن معرفتنا لتلك الاحوال ناقصة وما نعرفهُ منها كافٍ لان يدلنا على ان صفة الاجتماع فيها وثيقة العرى . وحيث تكون الحياة الاجتماعية كذلك فهناك يترقى استعمال الاصوات . و يظهر لاول وهلة ان ما ربحتهُ القرود في استعمال اصواتها لا يساوي مافقدتهُ بسبب تغير آذانها وصيرورتها غير متحركة ولكن لا يمكن الجزم بذلك نظرًا الى ما لترقية قوة النطق من الاهمية

وخلاصة ما تقدم ان فقد الاذن لحركتها افضى الى زيادة الانتباه لتوالي الاصوات وانتهى باستعمال اللغة والموسيقى . وان شكل الاذن كان ملائمًا في بادىء الامر للوسط المحيط بها فتغير فيها بعد مطاوعة لشروط الارتقاء في درجاتهِ التي هي اسمى وارقى . ولا ريب ان شكلها الحاضر اكثر ملاءمة للقيام بالمطالب العقلية العليا

بنك رويستون

ان سبيل الشر لايخلو من معالم الخير ولاسيما في اولهِ وهذا مارآه النهام فان محبة زوجتهِ وابنتهِ لهُ والنظر إلى مقامهِ بين اقرانهِ شغلا بالهُ تلك الليلة واليوم التالي ليصرفاهُ عما عقد نيتهُ عليهِ . وكأن ابنتهُ لم تتودد اليهِ قبلاً كما توددت تلك الليلة ولم تعرب عما يكنهُ قلبها لهُ من الحب والاكرام كما اعربت حينئذٍ حتى خيل لهُ احيانًا انها عارفة مافي ضميرهِ وتريد صرفهُ عنهُ . وقامت في الصباح واحضرت لهُ الطعام على جاري عادتها لان امها تتأخر في نومها عادةً وجعلت تصف مقدار حبها لهُ وشكرها على تربيتهِ اياها وقالت انها اتفقت مع خطيبها على ان لا يأخذا منهُ درهمًا بل يعيشا بكدها لان معيشة الفقر تزيد تعلق كلٍّ منهما بالآخر والاعتماد على محبتهِ . فقال لها هل يضرك ان اعطيك في آخر كل سنة بضعة الوف من الريالات لتسديد حسابات السنة قال ذلك وهو يحاول المزاح فطوقتهُ بذراعيها وقالت لهُ كلاَّ يا ابي ولا نريد ان نعلق قلوبنا على المال لانهُ لا يسعد احدًا هوذا انت غنيٌّ وعندك اموال كثيرة ولكنني لا اراك اسعد حالاً من غيرك . اني احبك الآن من كل قلبي ولكن لو كنت فقيرًا لزادت محبتي لك اضعافًا

فلما سمع منها هذا الكلام ضاقت انفاسهُ وكاد يغمى عليهِ ولكنهُ تجلَّد وودعها وخرج من البيت قبل ميعاد خروجهِ منهُ ولم يكد يخرج حتى التقى باثنين من مدبري البنك فقالا لهُ انهما أتيا ليذكراهُ بانهُ مضى على البنك خمس وعشرون سنة حينئذٍ وقد قرَّ قرارهم في مجلسهم الاخير على ان يحتفلوا بذلك تلك الليلة وطلبوا منهُ ان يحضر الاحتفال ليقدموا لهُ فيهِ تذكاراً يدل على شكرهم لهُ لان البنك نجح بادارتهِ نجاحا تامًّا ثم صافحاهُ وسارا وهما يقولان الى اللقاء . فودعهما واذا بصوت من داخلهِ يقول لهُ اعترف لهما بواقعة الحال واخبرهما عمَّا حل بالبنك وارح ضميرك ولا ترتكب هذا الوزر العظيم . هذا صوت الضمير هبَّ من رقادهِ وحاول الانتصار عليهِ فلم يصغ اليهِ بل قال قضي الامر

وعند الظهر ارسل يطلب غداءهُ من البيت ولم يشأْ ان يعود ويتغدَّى فيهِ على جاري عادتهِ . ودخل عليهِ كلفري حينئذٍ وقال انهُ يهتم باسم البنك اكثر مما يهتم بأمر نفسهِ وان الاجرة التي يأْخذها تزيد على حاجاتهِ وقد وفَّر منهُ مبلغاً وزادهُ ببعض الاشغال التجارية فبلغ عشرين الف ريال وهو على قلتهِ بالنسبة الى ديون البنك يسد ثغرة صغيرة وكم من حصاة صغيرة سندت خابية كبيرة . وانهُ بلغتهُ اشاعات مؤَدَّاها ان البنك في خطر مبين

فضاق صدر النهام وقال لهُ اليك عن هذا الفضول اتجهل من انا حتى تأْتيني بالاشاعات والخرافات ألم اقل لك انهُ لا خوف علينا أو تظن ان اللصوص عقدوا النية على سلبنا والأَمَ تخاف أو تريد ان نقدم لي نقودك لكي تسدَّ بها الثغرة التي ولدتها اوهامك

فاحمرَّ وجه كلفري لكنهُ قال ارجو ان لا تغتاظ مني لاني لم اقصد ان اغيظك وغاية ما اتمناهُ في هذه الدنيا ان اخدمك فاسمح لي ان ادفع المبلغ الطفيف الى البنك فانهُ لا يضرهُ

فضحك النهام ضحكة الاستهزاء لكنهُ لم يرَ لهُ مناصاً الا بان يكذب على صرَّافهِ فقال لهُ اني شاكر لك على ما تبديهِ من الغيرة ولكن اجلس واسمع ما اقولهُ لك ولم اقلهُ قبلاً لاني احسب انهُ ليس من شأْنك ولكنني ارى الآن ان ثقتي بك تخولني اطلاعك عليهِ . انظر هذا الدرج فان فيهِ ما يساوي مليونين ونصف مليون من الاوراق المالية وهي مثل نقود الحجر تماماً وساضعها اليوم في خزانة البنك بيدي . نعم ان البنك عمل اعمالاً كبيرة خسر فيها ولكنهُ عمل اعمالاً اخرى ربح منها كثيراً ونحن الآن في سعة اكثر مما كنا في اي وقت آخر ولا اقول اننا بأَمن من كل خطر ولكنني اقول واؤَكد اننا في سعة . كان يجب ان لا اخبرك بهذا الامر لا سيما واني لم اخبر المدبرين بهِ فارجو ان لا تخبر بهِ احداً . ولماذا لا تزال عابساً تعال للعشاء معنا غداً فان بنتنك يكون في نيويورك لحضور الجمعية الطبية . ولا تكلمني بعد

الآن عن ضيقة البنك والاموال التي وفَّرتها · اذهب الآن بسلام

فخرج كلفري وبقي النهام وحدهُ وقد تشدَّد وقسي قلبهُ واسكت ضميرهُ

اما كلفري فخرج من عند المدير غير مطمئن البال نعم ان المدير نفى خوفهُ من جهة واحدة ولكنهُ كان قد سمع ان اثنين من اللصوص المشهورين بسرقة البنوك جاء المدينة منذ يومين · سمع هذا الخبر متسلسلاً معنعناً من صديق لهُ مستخدم في شركة الضمانات وهذا سمع الخبر من صديق لهُ في دائرة البوليس السري ومفاد الخبر ان اثنين من اللصوص الكبار خرجا من نيويورك ووجهتهما تلك المدينة · وقد يكون الخبر كاذباً ولذلك لم يتجاسر ان يخبر المدير بتفاصيلهِ ولكنهُ لم يستطع ان ينفيهُ من ذهنهِ فطار النوم من عينيهِ تلك الليلة وقام وخرج من غرفتهِ ومشى في طريق البنك وكان الفصل صيفاً ولكن كان الظلام دامساً لانهُ لم يكن القمر مشرقاً وكانت الغيوم كثيرة متلبدة قرب الافق وكان الى جانب البنك بناء كبير خرج السكان منهُ لان اصحابهُ عزموا على هدمهِ وكانت ابوابهُ مفتوحة والخارج من البنك يستطيع ان يمرَّ فيها فيصل الى الشارع المقابل بطريق مختصر

وهناك حارس موقفهُ امام باب البنك وغفير من رجال البوليس يمشي في ذلك الشارع ذهاباً واياباً فيصل الى باب البنك مرة كل عشر دقائق . فوقف كلفري هناك هنيهة ولم يرَ الحارس ولا رأى الغفير فاستغرب ذلك واوجس شرًّا ثم سمع وقع الخطى فوقف في مكانهِ وبعد قليل وصل الماشي اليهِ واذا هو الدكتور بنتنك خطيب اولمبيا كان راجعاً من عيادة مريض فلما رأى كلفري خاطبهُ قائلاً ما اوصلك الى هنا بعد نصف الليل أانشغال البال او الحاجة الى استنشاق الهواء النقي · وكان صوتهُ رناناً مطرباً فانعش فؤاد كلفري وكان كلفري عادلاً ينصف الناس وقد رأى من حسن شمائل هذا الشاب ماحببهُ اليهِ رغماً عن انهُ اخذ الفتاة التي يحبها فقال لهُ ان بالي مشغول من جهة البنك فقد بلغني ان عصبة من اللصوص اتت هذه المدينة ولا ارى الحارس ولا الغفير ولا يخلو الامر من دسيسة على ما اظن

فنظر اليهِ بنتنك وقال باسماً اتظن ان اللصوص في البنك الآن

فقال كلفري ان نفسي تحدثني بالدخول ليطمئن بالي

فقال بنتنك اسمح لي اذاً ان ادخل معك فان اثنين اصلح من واحد وقد كان لي بعض الشأن في الصراع ونحن في المدرسة فهل المفاتيح معك

فقال كلفري اني شاكر فضلك نعم اني واثق بان لا اساس لاوهامي ولكن ما الحيلة وانا

لا استطيع طردها ولا ضرر من الحذر فاذا اردت فتعال معي . قال ذلك وفتح الباب ودخل هو وبنتنك

***

اتمَّ دكستر غون تدبيرهُ على غاية الاحكام كما يفعل القوَّاد المحنكون فرشا الحارس وتخلص منهُ وسلط على الخفير شاباً ارلنديًّا من قومهِ جاء يدَّعي ان عندهُ نقوداً ويريد ان يستشيرهُ في كيف يبتاع بها وظيفة في البوليس فقضى معهُ ساعات في خان قريب من البنك واتى غون الى البنك ومعهُ رجل واحد من اتباعهِ ففتحاهُ واخذا يعالجان الخزانة وهي كبيرة كالحصن المشيد ولكنها غير مصنوعة حسب الاساليب الحديثة فلا يتعذر فتحها بالمثقب والعفريت. وفي اقل من ربع ساعة فتحا بابها وقد تعبا في ذلك تعباً كبيراً وتصبَّب جبيناهما عرقاً ولكنهما لم يحسبا للتعب حساباً لان امامهما ثروة تغنيهما وتأذن لهما بالسكن في بلاد المكسيك او شيلي آمنين مطمئنين بالراحة والهناء

ولما فتحت الخزانة قال رفيق غون ما اسهل فتحها عار علينا ان نأخذ شيئاً منها ونحن لم نتعب لهُ . فقال لهُ غون ما ادرانا ما فيها لانني لا اصدق ما قالهُ لي ذلك المنافق

ومرَّت عليهما بضع دقائق وهما يفتحان دروج الخزانة وما فيها من الاوراق فلم يريا شيئاً من الاوراق المالية واخيراً قال رفيق غون هو ذا اوراق بثلثمئة ريال . فقال أثلثمئة فقط واين البقية وعاودا التفتيش فافرغا الخزانة كلها من كل ما فيها ولم يجدا فيها غير الثلاثمئة ريال ووقفا وكلٌّ منهما ينظر الى رفيقهِ مبهوتاً . واخيراً جعل رفيق غون يشتم ويلعن وقال غون لقد خدعتنا يا النهام ولكنك ستندم حيث لا ينفع الندم انت الآن عند الموسرين تشرب كؤُوس المسرات ولكنني ساسقيك دماً قبل رجوعك الى بيتك . ولم يكد يفرغ من الكلام حتى صرخ رفيقهُ قائلاً " اتوا علينا " وحاول إغلاق الباب لكن بنتنك كان من الاشداء المشهورين فدفع الباب بكتفهِ ومنع اغلاقهُ فضربهُ اللص بمطرقة كانت في يدهِ فحاد من طريقها فاصابت رأس كلفري وكادت تصرعهُ ثم هرب وفتح باباً سريًّا في مؤخر البنك وخرج منهُ وترك غون وحدهُ فقال بنتنك لغون سلّم لنا فتسلم . وكانت عيناهُ تتلألآن في وجه ملئهُ البشر وبين اعطاف كلها قوة وبسالة وكانهُ وهو كالجواد المتحفز للسباق

فقال لهُ غون اليك عني ايها الشاب فلا ثأر لي عليك ولا اريد بك سوءا دعني اذهب بسلام فاننا لم نأخذ شيئاً من البنك

وكان بنتنك واثقاً من نفسهِ انهُ خبير بفن الصراع فدنا من غون فرآهُ يضع يدهُ في

جيبهِ حيث يوضع المسدَّس عادةً ووقف الاثنان متقابلين وغون اقوى من بنتنك كثيرًا ولكن بنتنك امهر منهُ بفنون المصارعة فتماسكا وتصارعا فصُرِع غون ووقع تحت بنتنك وقبض بنتنك على خناق غون وكاد يخنقهُ ولما وقع غون اتت يدهُ اليمنى تحتهُ فجمَّع قوتهُ واخرجها من تحتهِ وتناول بها مسدسهُ وقال لبنتنك اتركني حتى اذهب بسلام فقال لهُ بنتنك لا اتركك فوضع المسدس في صدرهِ واطلقهُ فاصاب منهُ مقتلاً فانحلت يدا بنتنك ورماهُ غون عنهُ ونهض ونهض كلفري حينئذٍ وهجم عليهِ فرفسهُ برجلهِ على ساقيهِ فالقاهُ على ظهرهِ وخرج ونهض كلفري فرأى نفسهُ وحدهُ مع القتيل فقال اواه لماذا لم يقتلني لقد عرفتهُ يا الهي يا الهي

***

عاد النهام تلك الليلة من الوليمة بعد نصف الليل وفي جيبهِ صحيفة من الفضة عليها كتابة منقوشة تعرب عن شكر مجلس المدبرين لهُ لكي تبقى تذكارًا لاولادهِ من بعدهِ . وقف في ذلك الاحتفال مبالغًا في البشاشة وطلاقة الوجه وخطب خطبة اختلب الالباب بفصاحتها ونكاتها جوابًا للخطب التي قدمت لهُ . وفتح ساعتهُ وهو راجع الى بيتهِ وقال ترى هل قضي الامر وعزم ان يمرَّ في الشارع الذي فيهِ البنك ولو طالت بهِ الطريق ليرى ماجرى . جسارة لا تستغرب ممن طوَّح نفسهُ في الشر مثلهُ . ولما دنا من شارع البنك رأى رجلاً مارًّا في شارع آخر مقاطع وهو غون نفسهُ ولو اسرع قليلاً لا لتقى بهِ ولكن قدرت لهُ النجاة منهُ لان غون كان عازمًا على الفتك بهِ

ووقف امام البنك وهو يقول في نفسهِ لقد كلت لهذا اللص الصاع صاعين على اهانتهِ لي فاخذ حشفًا وسوءَ كيلة ولا يستطيع الشكوى والاموال التي سرقتها من اللص نقضي حاجاتي في الاسابيع الاولى الى ان يتدبر امر البنك قال ذلك وسار في طريقهِ. وكان كلفري في غضون ذلك يجمع مابقي فيهِ من الرمق ليخرج من البنك وينادي الحراس فخرج ونادى ولكن النهام كان قد ابعد عنهُ فلم يسمع صوتهُ

ولما وصل النهام الى بيتهِ فتح الباب خلسة ودخل غرفتهُ واتكأَ في سريرهِ يضرب اخماسًا لاسداس وهو عالم ان الناس كلهم يرثون لهُ فترد عليهِ رسائل التعازي من كل مكان ويقوم المدبرون فيعقدون الاجتماع بعد الاجتماع واخيرًا يجمعون لهُ مالاً كافيًا ويعيدون انشاء البنك ويبقونهُ مديرًا لهُ . وتتزوج اوليبيا في الخريف وتمضي مع زوجها للنزهة في اوربا ثم يتبعهما و يستريح من عناء الاشغال . فبدا السرور على وجههِ واسلم نفسهُ للنوم

وقامت اوليبيا في الصباح على جاري عادتها وخرجت الى الرواق تستنشق رائحة الورد

وتنتظر خطيبها ليمرَّ بها فتحييهُ وتعطيهُ اجمل وردة عندها . وقطفت الوردة ووقفت في انتظاره لكنهُ لم يمرَّ بها في الوقت المعتاد ثم مرَّ احد باعة الجرائد التي تصدر في الصباح فلما رآها ذُعِر منها والقى جريدة امامها وسار مسرعاً فاستغربت ذلك منهُ وتناولت الجريدة بيدها ودخلت لتعطيها لابيها وفتحتها في الطريق ونظرت فيها فرأت عنوان المقالة الاولى بحروف سوداء كبيرة فقرأتهُ ووقفت جامدة كالصنم وهي تظن ان عينيها خدعتاها وضعفت يداها عن حمل الجريدة فجمعت قوتها وادنت الجريدة من وجهها وامعنت نظرها فيها فرأت الكلمات ترقص امامها فعادت تحدق فيها ثم صرخت قتلوهُ قتلوهُ يا ابي يا ابي ووقعت مغمىً عليها والجريدة الى جانبها

***

النهام في مكتبتهِ وكلفري واقف امامهُ . وقد مضى اسبوع على سرقة البنك وجرى التحقيق واخذ رجال البوليس يفتشون عن القاتل . ودفن بنتنك . وقف كلفري بطلب منهُ امام النهام المدير فقال لهُ المدير تفضل اجلس اني لا اقابل احداً في هذه الايام ولكن انت مستثنى اظنك انيت لتسأَل عمَّا قرَّ عليهِ القرار من جهة تنظيم البنك . لم يتم شيء حتى الآن والمسأَلة في يد المديرين ولا استطيع ان اهتم بها لان زوجتي مريضة وابنتي تشغل بالي تفضل اجلس

فقال كلفري لا اجلس بل ابقى واقفاً باذنك . عندي امور اريد ان اطلعك عليها ولم ارَ من الحكمة ان اطلع عليها احداً غيرك . فقال النهام هذا الامر لا يعنيني وليس هو من شأني فاذهب الى رئيس البوليس واخبرهُ بما تعلمهُ

فقال كلفري غير ملتفت الى كلام المدير . اولاً لا اريد ان اعود الى البنك

فقال المدير اذاً تريد شهادة مني فاني اكتبها لك عن طيب نفس

وماذا تريد ان تفعل هل تريد ان نتاجر بما تعلمهُ

فقال كلفري حاشا لي ان افعل ذلك وانت تعلم اني لا افعلهُ ولما سئلت لم اذكر شيئاً يلقي اقل شبهة عليك لانني لو فعلت لوجدت القانون عاجزاً عن ان ينالك ولكن انت وانا وذلك اللص نعرف من انت وماذا فعلت وسوف تبقى معرفة ذلك محصورة فينا . انك ابوها ويجب ان تبقى مغشوشة فيك وخير لي ان اقتلك بيدي من ان تسيء الظن بك ولقد فضلت ان اطلعك على ما اعلمهُ من امرك . اما اللص فلا بدَّ من نجاتهِ والاَّ افشى سرك وعليك ان تحمي الرجل الذي قتل خطيب بنتك وتبقى متظاهراً بالفضل كما انت اكراماً لها . ولو قتلت نفسك لانفضح امرك . وعليك ان تدعها تعتنقك وتقبلك كل صباح وكل مساء كما كانت تفعل دائماً وتتظاهر

امامها بالصلاح . اما الشرائع البشرية والنواميس البشرية فلا تصل اليك ولا يمكنها ان تقاصك باشد مما تقاص انت نفسك بهِ فقد متَّ موتاً ادبياً ودخلت ابواب الجحيم من الآن ومع ذلك عليك ان تتظاهر بانك حيٌّ وبانك من الملائكة لا من الابالسة اما انا فلا اريد منك شيئاً وانما اريد ان اكلمك عن الليلة التي قبل ليلة السرقة فقد زارك رجل تلك الليلة واستقبلتهُ في بيتك

طنّت اذنا النهام لما سمع هذا الكلام وجاشت نفسهُ وكاد يغمى عليهِ وقال بصوت خافت أصحيح ذلك قد يكون صحيحاً فانني استقبل كثيرين هنا

فقال كلفري كنت مارًّا امام الباب لما خرج منهُ فرأيت وجههُ رأيتهُ جليًّا حتى لا انساهُ ولو مرَّت السنون ثم رأيتهُ نفسهُ في الليلة التالية فعرفتهُ

فتولَّت النهام الرعدة فامسك كرسيهُ بيدهِ مخافة السقوط عنهُ وقال هل رأيتهُ فاجابهُ كلفري نعم رأيتهُ وعرفتهُ لما وضع مسدسهُ في قلب بنتنك واطلقهُ وكنت اود ان يلحقني بهِ لانني عرفت دخيلة هذا الامر . لقد كنت اعتقد فيك غير ما رأيت . اللهمَّ صبرًا

فوقع كلامهُ كالصاعقة على النهام لكنهُ تجلَّد وانتصب في كرسيهِ وقال لهُ قل ما هو مرادك . قال ذلك وصمت بغتةً كأنهُ حصر عن الكلام وغادرتهُ الفصاحة التي انطقتهُ بما نطق . ثم قال هذا ماخطر لي ان اقولهُ ولا اعلم تماماً ماذا قلت وسابقى في هذه المدينة حتى اذا احتاجت الى مساعدتي لا اتأخر عنها اما انت فلن تعود تراني

قال ذلك ومشى ليخرج فقال لهُ النهام لقد كنت احسبك صعلوكاً ضعيف الرأي ولكن فاضت عليك الآن قوة علوية لكي تخجلني وتقتلني ولست آسفاً لانك عرفت امري بل انني مسرور لانهُ يوجد من يعلم حق العلم اني مراءٍ وجبان وشرير وحسناً تفعل ببقائك في هذه المدينة حتى تقع عيني عليك من وقت الى آخر فاتذكر من انا . وانهُ ليصعب عليَّ جدًّا ان ابقى محتفظاً باسمي وحياتي ولكنني سافعل ذلك الى ان اموت كمدًا . اذهب يحفظ الله

عاش النهام بعد ذلك ثلاث سنوات فقط ولما مات ظهر كأنهُ شيخ همٌّ ولا تزال زوجتهُ وابنتهُ في قيد الحياة عاكفتين على اعمال البر وكلفري يزورهما من وقت الى آخر . وفي غرفة اولمبيا صورة ابيها وخطيبها وهما سلوتها من الدنيا تحيطها بالازهار كل يوم

انتهت القصة ومغزاها اوضح من ان يبيَّن . فكم من امرىءٍ تظنهُ معدن الصلاح ومحتد الفضل ويظهر بين الناس في هذا المظهر ولا يبالي وهو ذئب في ثياب الحملان

ذئب تراهُ مصلياً . واذا مررت بهِ ركعْ
يدعو وجلُّ دعائهِ . ما للفريسة لا تقعْ

وكم من رجل يُعدّ من اهل المناصب الذين حازوا الشهرة بالجد والمثابرة او من ارباب الاموال الذين اغتنوا بالحذق والتدبير وهو لص انتحل المعارف او سرق الاموال او زوّر او مان نخدع الناس ولم يكشف امرهُ . والضمير لا يؤنب على محرَّم الاَّ قبل التوغل في ارتكاب المحارم والعاقل مشغول بنفسهِ عن كشف عيوب غيرهِ

سياسة المدرسة

ألفت العالمة الفاضلة مس لاكرانج رئيسة مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام عدة مقالات بالانكليزية ضمنتها اراء اشهر كتبة هذا العصر في فن التعليم مثل سبنسر وغيرهِ فآثرت نشر خلاصة مقالة منها في المقتطف الاغر وموضوعها "سياسة المدرسة" ليقف عليها اساتذة المدارس ومديروها قالت

من المدارس ما تكون بهجةً للمعلم والتلميذ معاً . فيدرس التلامذة فيها برغبة ونشاط ويرجعون الى بيوتهم مساء وقلوبهم متعلقة بالمدرسة . ومن المدارس ما هي على خلاف ما ذكرنا . فان فيها من التشويش والكسل وسوء التصرف ما يحير المعلم ويتعبهُ حتى يشعر ان مدرستهُ أكره مكان في العالم فيأخذ يعد الايام كأنهُ مسجون في احد السجون

يستطيع الانسان ان يعمل عملاً ميكانيكيًا وقلبهُ بعيد عنهُ ولكن هذا لا يتهيأ لهُ في معاملة الاخوان حيث ينبغي ان تظهر محبتهُ لعملهِ بعينيهِ وشفتيهِ وصوتهِ ويديهِ . والمحبة هي المفتاح الذهبي لكل قلبٍ والمعلم الذي لا يحب تلامذتهُ لا يمكنهُ اتقان التعليم . ولا حاجة الى اعلان المحبة بالشفاه فانها تظهر في الاعمال واللهجة والصوت بل تقرأ على محيا المعلم وهو ينظر الى تلامذتهِ

وعلى المعلم ان يتذكر ان الطاعة الحقيقية لا تكون اجبارية . راقب جوادًا وهو يروَّض تجد ان المروض لا يخوفهُ بل يبدي ارادتهُ لهُ بجدٍّ فحالما يدرك المراد ويشعر انهُ قادرٌ على اتمامهِ يجري في عملهِ

والمعلم اذا راقب تلامذتهُ في ساحة اللعب يرى ان احدهم يتخذ امر القيادة على نفسهِ والبقية ينقادون اليهِ عن طيب نفس ليس لانهُ فائق القوة بل لان لهُ الصفات التي تخولهُ القيادة كالرزانة والسطوة والثقة بالنفس وغيرها . فالمعلم المقتدر يتمكن من جذب التلامذة اليهِ ولا سيا الكبار منهم الذين يتهيأ لهُ بواسطتهم اقامة رأي عام يهون عليهِ تدبير المدرسة .

والتلميذ يسر اذا شعر انهُ قادر على مساعدة معلمهِ

ومن الممكن ان نصير الطاعة عادةً في التلامذة . فيعتادون على الجلوس بهدوء والنهوض معاً والسير بنظام والتكلم باحترام . وعلى المعلم ان لا يطلب من التلميذ طاعةً عمياء بل ليطلب منهُ الطاعة لقوانين يراها التلميذ انها سنت لخيرهِ . وعليهِ مراعاة التلامذة عند سن كل قانون لان للقوانين علاقة بهم . فهم اذا احسوا ان اساس القانون حب السلطة نفروا من الرضوخ لهُ . فالطاعة ينبغي اذاً ان تكون عن رضى القلب لا كرهاً . وعلى المعلم قبل طلب الطاعة ان يتأكد اصابة طلبهِ ثم يجري في تنفيذهِ باظهارهِ العزم والجد ولهيئة المعلم اهمية كبرى . قال احد النظار المقتدرين " ان الذي لا يمكنهُ ان ينظر الى عين تلميذهِ لا يستطيع ان يتسلط عليهِ "

واذا فعل التلميذ امرًا مستقبحًا فعلى المعلم ان لا يضيع رشدهُ . فان رزانة الربان وتسلطهُ على نفسهِ هما اللذان ينقذان المركب حين الخطر . وقوة المعلم تتضاعف الف مرة اذا استطاع ضبط نفسهِ ضبطاً كاملاً في الاحوال المهيجة

ليكن قصد المعلم من التسلط على التلامذة خيرهم وعليهِ ان يراقبهم بانتباه ليتمكن من معرفة درجة اقتدارهم . فاذا وجد منهم ضعفاً فاللوم عليهِ لانهُ يكون غير قادر على تحويل انتباههم اليهِ وعلى بسط الكلام وايضاح المعاني . فان هذه النواقص اذا وجدت في المعلم كانت عقبات في سبيل التلامذة ولابد من تنسيق الدروس اوقات التسميع تنسيقاً حسناً والاَّ كانت سبباً لخراب المدرسة

المرغبات

ان المعلم الذي يقتصر على حث النبهاء والمجتهدين يخطئ الغرض لان هؤلاء لا يحتاجون الى محركات ومرغبات . وعليهِ فان اعطاء الجوائز امرٌ معترضٌ عليهِ لانهُ من قبيل ترغيب النبهاء وتثبيط عزائم البلداء الذين هم اولى بالحث والتحريك . هذا ناهيك عن ان الظفر بالجائزة يحرك في الظافر الاعجاب والكبرياء فينظر الى من دونهُ نظر الازدراء وربما كان جهادهُ في الدرس ومحافظتهُ على القانون لمجرد طلب التفوّق والفوز لا لطلب المعرفة والسلوك الحسن لذاتهما . وكم من مرة يرى التلامذة ولداً حاملاً جائزة مع علمهم انهُ اقل منهم استحقاقاً او اجتهاداً . وافضل المرغبات وابسطها العلامات (النقط) الاسبوعية والشهرية والسنوية التي تظهر منزلة الدارس . واسمى المنشطات الادبيَّة الترغيب في الحصول على رضى الوالدين والمعلمين والرغبة في التقدم والنجاح وعمل المستقيم وحب خير الآخرين وغير ذلك من الامور النبيلة

التأديب والقصاص

اذا عجز المعلم عن التسلط على التلامذة فهو غير قادر على التربية والتنظيم وعدم اقتداره هذا لا يقوم مقامهُ التوبيخ والتعنيف والضرب . ومن الاغلاط التي يغلب صدورها من بعض المعلمين هي الانتهار وهو ليس تأديباً بل هو مخالف للتأديب . ومن اكبر المصائب التي على المعلم احتمالها هي الغلاظة التي تصبح احياناً وقاحة والغلاظ في المدرسة قلائل ولكنَّ واحداً منهم يكفي لاتعاب المعلم كما تكفي ذبابة واحدة لاقلاق الحصان . فاذا وجد من يتعمَّد الخشونة في المدرسة ويستهين باوامر المعلم فعلى المعلم ان لا يعاملهُ بمثل خشونتهِ بل ليظهر الاستغراب ما امكنهُ بهيئة ممزوجة بخيبة الامل . تكلم مع التلميذ على انفراد ولكن لا تطلب منهُ ربط نفسهِ بوعدٍ اذ لعلَّهُ يريد الاصلاح ويأبى الارتباط بوعد . وليس من الحسن تكثير القوانين في المدرسة

ولا بدَّ لكل مدرسة من قوانين فمن الضرورة تعيين قصاصات على مخالفتها غير انهُ ليس من الضروري جعل القصاص صارماً بل ليكن مساعداً في تدريب التلميذ على إطاعة القانون . فاذا كان التلميذ كسلان او مزعجاً فاستبقهِ بعد انصراف المدرسة واستوضح منهُ فاذا كان عذرهُ حقًّا او هو ليس من اهل السوابق فاصرفهُ . واياك ان تحجز عليهِ بروح الانتقام دعهُ يشعر انهُ انما يُقاصص على الذنب لا على اغاظة المعلم

وقد تقضي الحال ان يعترف التلميذ علانيةً بذنبٍ ارتكبهُ ولكن مثل هذا الاعتراف يحتاج الى مزيد حكمة وانتباه لئلاَّ يتولَّد عنهُ الرياء او التذمر او العصيان جهاراً . وانواع القصاصات كثيرة الاَّ ان الضرب ينبغي ان يكون آخر ما يلجأ اليهِ . والحذر من ضرب الولد على رأسهِ او دفعهِ او هزّهِ او قرصهِ او جذب اذنهِ لان هذه الامور انما تستعمل بغضبٍ فتكون عواقبها وخيمة هذا ناهيك عن انها معاملة وحشيةٌ تحط بقدر المعلّم والتلميذ . والحذر من القصاصات التي تطول آلامها ومن استعمال التهكُّم والسخرية فانها تولّد اردأ الاحساسات . وعلى المعلم حين اجراء القصاص ألاَّ يكون عليهِ ادنى مظاهر الغضب لئلاَّ يكون القصاص انتقاماً وتشفياً . ومن المستحسن تأخير القصاص الصارم الى وقتٍ يمكن التلميذ من التأمل بالذنب والمعلّم من ضبط نفسهِ ليكون على اتم الهدو والسكينة . ولا يبرح من البال ان الغاية من القصاص هي اصلاح المعتدي وردع الغير عن التشبُّه بهِ فاذا كان القصاص فعَّالاً انتج ندامةً وخضوعاً .

والتوبيخ اللطيف من افعل القصاصات وخير استعمالهِ على انفراد لان توبيخ التلميذ على

مشبهٍ من ارفاقهِ يدعوهُ الى المقاومة وكلما قلّت القصاصات في المدرسة دلّ ذلك على الزيادة في حسن ادارتها

والنظام من لوازم السلطة الحسنة . والسكون ليس بنظام . فمقياس النظام إنما هو العمل اي ان افضل نظام هو الذي بواسطتهِ يتم افضل عمل

ومن اللياقة ان يكون المعلم بشوشاً مبتسماً . يظن البعض ان السلطة تستدعي ظهور الانسان بمظهر الصرامة والاستبداد وهذا غلط . ان المعلم الذي يمكنهُ ابهاج التلامذة وايقاظ اذهانهم للمعرفة يمكنهُ ان يتسلط عليهم

التسميع

على المعلم ان يعلّم جيداً ما يعلّمهُ وان يستعد لكل درس . والموضوع مهما كان قديماً على المعلم اظهارهُ بمظهر جديد منعش . والاولاد من طبعهم حب العلم فاذا ابدوا تمللاً من درس فذلك دليل على ان وقتهُ لم يأتِ . فالدروس يلزم ان تكون مناسبة لسن المتعلم ودرجة ارتقائهِ . وعلى المعلم ان يجري في تسميعهِ على طريقة يشغل بها الفرقة كلها ويطلب ان يكون التسميع خالياً من الغلط واجوبة المسائل محكمة تمام الاحكام لئلا يتعود التلميذ على الدرس السطحي فيعتاد الغلط ويفقد اعتبار النفس . وعلى المعلم ان لايتبع خطةً في التسميع يعرف منها كل واحد من التلامذة متى يأتي دورهُ وان لايسمح بالمجاوبة لاحد من غير تسميتهِ ولا بمعارضة تلميذ آخر لان هذا من ضروب الخشونة . ونختم هذهِ المقالة بذكر بعض امورٍ يجب على المعلم اجتنابها

(١) لاتسأل التلامذة مسئلة سخيفة لا تحتاج الى جواب (٢) لا تسأل الاذكياء اكثر من البلداء (٣) لا تستعمل لهجة الآمر (٤) لا يأخذك الملل في اصلاح سقطات التلامذة (٥) لا تتأخر عن طلب الصفح من تلميذ اسأت اليهِ (٦) لاتغمض الطرف عن الحسنات وتفتحهُ عند النظر الى السيئات بل اكثر من النظر الى ما هو صالح (٧) لاتحاول تهدئة المدرسة بالخبط على الطاولة او بدق الجرس (٨) لاتذنّب تلميذاً على عمل شيء انت تفعلهُ

لاتنهَ عن خلق وتأتيَ مثلهُ عار عليك اذا فعلت عظيمُ

طرابلس الشام جرجس الخوري المقدسي

المدرسة الكلية الاميركانية

في بيروت

يتعذر على الكاتب ان يوفي هذه المدرسة حقها من الوصف في مقالة او مقالات فان ذلك يقتضي مجلداً ضخماً وانما نقول في هذا الصدد ان ارض المدرسة تشغل مساحة تزيد عن مساحة حيّ من احياء القاهرة كالاسماعيلية او التوفيقية وفيها ثلاثة عشر بناء نصفها كبير فخيم وموقعها في رابية تشرف على البحر غرباً بشمال وهواؤها صحي وكل هذا مما يندر اجتماعهُ في المدارس الكبيرة

مضى على هذه المدرسة نحو ٣٨ عاماً وهي سائرة سيرًا حثيثًا الى الامام فقد كان عدد تلامذتها سنة انشائها ستة عشر فبلغوا هذا العام سبع مئة واربعين وكان فيها اولاً دائرتان وهما الدائرة العلمية والدائرة الطبية فصار فيها الآن خمس وهي العلمية والطبية والصيدلية والاستعدادية والتجارية

وكان اساتذتها عشرة او اثني عشر فبلغوا اليوم نحو ٤٥ وكانت متاحفها صغيرة وادواتها قليلة ومكتبتها لا تكاد تذكر واللغات التي تعلمها الانكليزية والعربية فقط فصار فيها الآن صفوف اختيارية لدرس الفرنسوية والتركية والالمانية ايضاً وجمع في مكتبتها نحو خمسة عشر الف مجلد وبلغت ادواتها وعددها مبلغاً عظيماً من الاهمية واصبحت متاحفها من متاحف العالم المعدودة وخصوصاً متحفي النبات والجيولوجيا لوجود كثير من الرواميز النادرة الجامعة لنبات سورية وفلسطين و بعض الممالك الشرقية وهو ما لا وجود لهُ في غيرها

ويضيق بنا المقام لو شئنا وصف كيفية التعليم فيها وغاية ما نقولهُ هنا ان برنامجها مستوفٍ فهي تعلم الرياضيات بجميع فروعها كالهندسة والجبر وحساب المثلثات والمساحة والهندسة التحليلية والفلك وفيها مرصد تام الآلات والادوات لرصد الاجرام السموية وتعلم العلوم الطبيعية كالنبات والحيوان والكيمياء والجيولوجيا وتعتني بتدريس اللغتين العربية والانكليزية تمام الاعتناء من صرف ونحو ومعانٍ وبيان وبلاغة. ويتمرن التلامذة على الكتابة الفصحى والالقاء فيها . اما العلوم فتدرس كلها باللغة الانكليزية

غير ان الذي امتازت بهِ هذه المدرسة وسبقت بهِ غيرها من مدارس الشرق وكثيرًا من مدارس الغرب ايضاً هو روح التربية الصحيحة والاعتناء بآداب التلامذة وانماء العواطف الشريفة وعزة النفس فيهم واعدادهم لكي يكونوا رجالاً في العالم. فعند دخول التلميذ الى المدرسة

يعطيهِ الرئيس منشورًا طبع بعدة لغات وملخصهُ انك ايها التلميذ قد اتيت الى هذه المدرسة ليس كمن يأتي الى سجن بل كمن يأتي الى عائلة ومعلموك يهتمون ان يبلغوك اقصى درجات النجاح . فعليك اذًا ان تحافظ على قوانينها حتى يعيش جميع افراد هذه العائلة في هناء وراحة . واهم قوانينها هو هذا " ان كل تلميذ يسلك سلوك رجل اديب صادق شريف يحتقر الكذب ويغتنم الفرص التي تسنح لهُ للفائدة ويسر بمساعدة من حولهُ . فعند ما تدرس ادرس بنشاط وعند ما تلعب العب بنشاط . قد اشتهر تلامذة مدرستنا بالاستقامة في وقوفهم وكلامهم واعمالهم . ثم انك كثيرًا ما ستشعر بفتور العزم او تقع في مشاكل فاذا وقعت في شيء من هذا فلا تتأخر عن الالتجاء الى الرئيس او الى احد المعلمين اذ تجدهم يسرون بمساعدتك" . ويعين الرئيس لكل فرقة من التلامذة معلمًا يكون بمثابة صديق خاص لهم يلجأون اليهِ وقت الاتعاب والمشاكل . هذه هي طريقة استقبال التلامذة الداخلين حديثًا يأتي الواحد منهم غريبًا فيرى رئيس المدرسة ومعلميها يستقبلونهُ بالترحاب ويعاملونهُ بما لا مزيد عليهِ من اللطف والايناس وللرئيس ساعات معلومة كل يوم يستقبل فيها التلامذة يدخل عليهِ التلميذ ليشكو همومهُ ويقضي اشغالهُ فيرى هناك ابًا رؤوفًا وصديقًا نصوحًا يستقبلهُ بالدعة واللطف ويخلص لهُ النصح وما يلزم من الارشاد فيعود وملء جنبيهِ الشكر والنشاط بعد فتور الهمة والعزم . وليس هناك حاجب يحول بين التليمذ والرئيس او عوائد تلزمهُ مراعاتها مثل السلام العسكري والوقوف كما يقف الجندي امام ضابطهِ مما يثبط الهمم ويصغر النفوس ويجعل الانسان آلة ميكانيكية في يد من هو اعلى منهُ بل يجلس التلميذ بجانب الرئيس ويتحادثان بحرية تامة كما يتحادث الولد مع ابيهِ . وتحيي عقيلة الرئيس وغيرها من عقيلات المعلمين ليالي ساهرة لكل فرقة من فرق المدرسة لتعليم التلامذة آداب السلوك في الاجتماعات وتدريبهم على آداب المعاشرة فترى المعلمين وعقيلاتهم في هذه الليالي يبذلون الجهد في توفير وسائل السرور ويشتركون جميعًا في التوقيع على الآلات الموسيقية والغناء ولعب الالعاب حتى يشعر التلامذة كأنهم بين اقاربهم وخلانهم وكل هذا مما لا غنى عنهُ في اقتباس التمدن الحديث وتهذيب الاخلاق

والاهتمام بتثقيف عقول التلامذة وتهذيب اخلاقهم ليس باقل من الاعتناء باجسامهم ففي المدرسة استاذ ماهر بالالعاب الرياضية وهو يروض اجسام التلامذة على احدث الطرق العلمية المعول عليها في مدارس اميركا . يزن التلميذ في اول السنة ويقيسهُ بطرق مختلفة ثم يفرض لهُ نوع التمرين العضلي الذي يوافقهُ ولكل تلميذ صحيفة خاصة بهِ يقيد فيها الاستاذ مقاس التلميذ من وقت الى آخر لمعرفة الفرق . ولدى الاستاذ جدول فيهِ متوسط وزن ومقاس

خمسة آلاف شاب في اميركا بين السابعة عشرة والثلاثين من العمر فيقابل عليهِ اقيسة التلامذة في المدرسة . وقد ظهرت فائدة هذه الالعاب الرياضية حتى صار كثيرون من التلامذة مثل احسن شبان اميركا تقريباً في قوة العضل وخفة الحركة مع ما للاميركيين من السبق في هذا المضمار . وضمن اراضي المدرسة ميدان كبير متسع يلعب فيهِ التلامذة ولهم في السنة يوم مشهود يتقاطر اليهِ الناس لمشاهدة الالعاب المختلفة حتى بلغ عدد المتفرجين هذه السنة نحو الخمسة آلاف .

وتهتم المدرسة اهتماماً عظيماً لتقرن العلم بالعمل فلا يكتفي الاساتذة بالقاء الدروس وعمل التجارب بانفسهم بل يدربون التلامذة على اجرائها هم ايضاً — ترى تلامذة صفٍ التحليل الكيماوي وامام كلٍ منهم الانابيب والادوات اللازمة للعمل وترى تلامذة صف الفحص المكرسكوبي وكلٌ منهم يفحص بمكرسكوبهِ وتلامذة النبات يجمعون عدداً معلوماً من الرواميز النباتية ويرتبونها بحسب فصائلها وانواعها ويفعل مثل هذا تلامذة الحيوان والجيولوجيا . وتلامذة مدرسة التجارة يتمرنون على مسك الدفاتر تمريناً كافياً ويدرسون علم سياسة الاقتصاد وتاريخ التجارة وآدابها والنصوص القانونية التي يحتاج اليها التاجر فيخرج التلميذ منهم وقد المَّ بمبادىء التجارة علماً وعملاً

ومما يميز هذه المدرسة استقامة المبادىء وحرية الافكار وهي وان كانت مسيحية وتفرض على جميع تلامذتها حضور الصلاة اليومية الاَّ انها لا تحاول حملهم على تغيير معتقدهم بل ان رئيسها يوصي كلاً منهم باتباع قواعد مذهبهِ على اختلاف مللهم ونحلهم فيسهل على المسلمين الصوم وقضاء سائر الفروض التي يوجبها الاسلام عليهم . والغاية التي تسعى اليها المدرسة هي جعل تلامذتها مثالاً في الامانة والاستقامة وصدق المعاملة ولطف الاخلاق حائزين لجميع صفات الرجولية مثل الاعتماد على النفس والشهامة واحتقار الكذب . وجميع مواعظ اساتذتها وخطبهم الادبية ترمي الى هذا الغرض وهي بعيدة بعد الارض عن السماء عن كل ما تشتم منهُ رائحة التعصب الديني او الجدل . ومن الطف الاساليب في انماء محبة الحق والعدل انهُ اذا اذنب تلميذ عرض الاستاذ الامر على صف الادبيات وطلب اليهم ان يبدوا آراءهم في مقدار جسامة ذنبهِ والعقاب الذي يستحقهُ عدلاً وقد شهد لهم الاساتذة انهم غالباً يصيبون في احكامهم ولا تمنعهم صداقتهم للمذنب عن النظر في ذنبهِ نظراً خالياً من كل غرض وهوى

واغلب اساتذة هذه المدرسة من متخرجي اشهر المدارس الجامعة في اميركا وبينهم كثيرون من المعلمين السوريين الذين تخرجوا من المدرسة الكلية نفسها وكلهم يعيشون معاً على غاية

الوفاق والوئام بلا فرق ولا تمييز. ومما يجدر ذكرهُ عنهم انهم ينتهزون الفرص للدرس والمطالعة ولهم جمعيات خاصة بهم يلقون فيها الخطب المختلفة في المواضع التي يدرسونها و يسعون جهدهم في طرق ابواب جديدة للبحث فاساتذة النبات والجيولوجيا والتاريخ جابوا سورية وفلسطين وحوران وجبل لبنان وجمعوا رموزًا وعاديات ثمينة جدًّا وبعضها فريدٌ في بابهِ لا وجود لهُ في متاحف بقية المدارس

ولا تزال المدرسة سائرة في سبيل التقدم باجتهاد وهمة رئيسها ومعلميها و بغيرة اهل الفضل واليسار من اهالي اميركا الذين ينفقون من اموالهم عليها بسخاء و يهتمون بنجاحها. فقد شرعت هذا العام في بناء مستشفى للنساء على احسن مثال وآخر للاطفال ومدرسة لتعليم الممرضات صناعة التمريض يقضين فيها ثلاث سنوات في الدرس والتمرين وستكون دروسها بالانكليزية و ينوون في المستقبل بناء مستشفى خاصٍ بامراض العين وآخر للامراض الجلدية

هذه طرفة من تاريخ هذه المدرسة ووصف حالها الحاضرة . نسأل الله ان يأخذ بناصر ذوي المروءة والهمة والكرم لتعمر بيوت العلم في الشرق وتعود المعارف الى اهلها (سائح)

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبلهُ)

الفصل العاشر في التصرف في الاملاك

ان عادة التصرف في الاملاك قد ادخلها القاضي تعديلاً للحق القديم او اثباتًا لهُ

(١ و ٢) من لم يدخلهم في الميراث الا القاضي لا يصيرون ورثة بحقٍ تام بل هم اشباه الورثة و يسمون واضعي اليد

(٣) ان التصرفات في الملك المبنية على كتاب الوصية هي الآتية . الاولى ما يعطاهُ الاولاد المسكوت عنهم وما يُدعى ضد الالواح . والثانية ما وعدهُ القاضي كلَّ المقامين ورثة شرعًا والمورثين حسب الالواح . واما من ماتوا ولم يوصوا ففي الدرجة الاولى الورثة الحقيقيون. والذين امر القاضي بجعلهم ورثة فالقاضي يجيز لهم وضع اليد كالاولاد . ثم ان القاضي يجيز وضع اليد في الدرجة الثانية للورثة الشرعيين . وفي الدرجة الثالثة لعشرة اشخاص يفضلون على المعتق الاجنبي . وفي الدرجة الرابعة لاقرب ذوي الارحام . وفي الدرجة الخامسة لمن هو عضوٌ من العائلة . وفي الدرجة السادسة للمولى والمولاة ولاولادهم واصولهم . وفي الدرجة السابعة

للزوج والزوجة . وفي الدرجة الثامنة لذوي ارحام المولى

(٤) لكن تصحيحاً لكل هذه الاحكام قد استحسنا وضع اليد مخالفة لما جاء في الالواح او موافقة له . واما الذين يموتون غير موصين فالاحكام الواردة في حق الاولاد وفي حق المتخذين وَرَثة شرعاً وفي حق الزوج والزوجة فلما كان القاضي قد اوجد جملة انواع من وضع اليد عين زمناً محدوداً لطلب وضع اليد. سنةً للاولاد والاصول الطبيعيين او المتبنين ومائة يوم لمن عداهم .

(٥) اذا من له حصة في الميراث لم يطلب وضع اليد في هذه المدة المحدودة فتعطى تلك المدة الذين هم من هذه الدرجة نفسها . وان لم يكن هناك احد من تلك الدرجة فتعطى المهلة من هو في الدرجة التابعة وهلمّ جرًّا . ولا يعد للطالب الاّ الايام التي يتمكن فيها من الطلب

الفصل الحادي عشر في الاقتناء بالتبني الاستدعائي

(١) متى ابو العائلة سلم نفسهُ بالتبني الاستدعائي فكل مالهُ من العروض والعقار والحقوق او كل ما يجب لهُ كان في الشرع القديم يصير بحق تامٍّ ملك المتبني ما خلا ما يهلك او يبطل بتغير الحالة

(٢) اما في عهدنا فلم يبقَ لهُ سوى استغلال ما امتلكهُ الاولاد بسبب اجنبي عن الاب . فان مات المتبني استدعائيًا في عائلتهِ المتبناة فكل ما كان لهُ حتى الملك ينتقل الى المتبني . مالم يكن هناك اشخاص آخرون يفضلهم قانوننا على الاب فيما لا يمكن ان يكتسبهُ من الاشياء

الفصل الثاني عشر فيمن تسلم اليهِ الاملاك المحكوم بها بسبب التحرير

اذا العبيد الذين اعتقهم مولاهم بكتاب لم يستعملوهُ لقبض الميراث التمسوا ان يقضى لهم بالاملاك محافظةً على الحرية قُبِل التماسهم

الفصل الثالث عشر في التركات الممنوعة الحاصلة من بيع الاملاك وفي مرسوم قلوديانوس[1]

مع السياق المألوف في الدعاوي[2] تختفي مبايعات الاملاك فيعطى الدائنون الحق ان يضعوا ايديهم على الاملاك باذن القاضي بالوجه الذي يظهر لهم انهُ الاصلح والانفع

(١) عامل روماني وُلد في السنة العاشرة قبل المسيح وقد جاء في ترجمتهِ انهُ وضع عدّة تدابير قضائية نافعة وقد مات مسموماً (٢) اي مع اختفاء المعاملات المتعارفة

الفصل الرابع عشر في العهود

لننتقل الى العهود · العهد رباط الشرع الملزم بالوفاء حسب قواعد الشرع المدني

(١) ان العهود بحسب التقسيم الاصلي قسمان مدنية وقضائية فالعهود المدنية هي التي تقررها الشرائع او يؤيدها الشرع المدني · والعهود القضائية هي ما يقررها القاضي بالتصرف بولايتهِ ويسمونها شرفية

(٢) وهي في التقسيم التالي اربعة اقسام لانها اما ان تقع بالمعاهدة او بشبه المعاهدة او بالجناية او بشبه الجناية· فالتي تقع بالمعاهدة تقوم بالشيء وبالقول وبالكتابة وبالرضا

الفصل الخامس عشر في بأي وجهٍ يتعهد بالالتزام بالشيء

التعهد بالشيء يقع بحصول القرض· وموردهُ الاشياء القابلة التثمين وزنًا او عدًّا او ذرعًا والتي ترد بمثلها جنسًا ونوعًا. وعن هذا العهد تنتج الدعوى الشخصية لاسترداد المسروق والمختلس والمغصوب

(١) من يقبل ما ليس لهُ ممن يفيهِ اياهُ خطاءً يلتزم بالشيء ويحق لمن يتصرف فيهِ اقامة الدعوى الشخصية لاستردادهِ

(٢) من يأخذ شيئًا بقصد الاستخدام يلتزم بهِ · وعليهِ ان يحفظهُ حفظ العارية . والمستعير اذا فقدت العارية منهُ اتفاقًا يبقى ملتزمًا بها (يريد اذا كان ذلك بسبب منهُ) ويجب على من اخذ شيئًا للاستخدام ان يبذل اتم العناية بحفظهِ لكنهُ لا يلتزم اذا طرأت قوة غالبة ولا في الاحوال الاتفاقية حين لا يقع الضرر بتعديهِ او تقصيرهِ [١] والشيء المأخوذ للانتفاع بهِ يعد عارية ان لم يعطَ او يوعد أجرة ما عليهِ

(٣) كذلك من يستودع شيئًا يلتزم بهِ ويؤاخذ بدعوى الوديعة ان وقع منهُ تعدٍّ او تقصير [٢]

(٤) الدائن المرتهن ملتزم بالرهن وملتزم ان يرد الشيء بصك الرهن . وقد تقرَّر ان

---

(١) هذا منطبق على قول الفقهاء ان الامانة اذا هلكت من غير تعدٍّ لم يضمن الامين كالوديعة فهي امانة في يد المودَع فاذا هلكت من غير تعدٍّ لم يضمنها لأن بالناس حاجةً الى الاستيداع فان ضمناهُ يمتنع الناس من قبول الودائع فتتعطل مصالحهم

(٢) سئل فيما اذا كان لزيد الغائب وديعة عند عمرو فأذن لهُ زيد في ارسالها اليهِ مع رجل امين يعتمد عليهِ ففعل ذلك فخرج على الرسول قطاع الطريق فنهبوا القافلة والامانة بالقهر والغلبة ولم يمكن دفعهم ويريد زيد ان يضمنها عمرًا فهل حيث كان الامر كذلك لاضمان على عمرو (الجواب) نعم (تنقيح الفتاوى الحامدية) وفيها ايضًا اذا أبق عبد الوديعة فلا ضمان على المودَع اذ قد جرى ذلك بدون تعدٍّ منهُ ولا تقصير في حفظهِ

ليس عليهِ الاَّ بذل العناية بحفظهِ

الفصل السادس عشر في العهود القوليَّة

ينعقد العهد القولي بواسطة السؤَال والجواب وذلك متى وقع الشرط على ان نُعطى او يُفعل لنا شيءٌ و يتخرَّج على هذا العهد أمران احدهما المطالبة برد الشيء المعيَّن اذا كان الشرط معيَّناً والآخر دعوى الشرط ان لم يكن الشرط معيَّناً

(١) يجوز ان يكتب الشرط في أي لغة متى كان المتعاقدان عارفين بتلك اللغة

(٢) الشرط اما ان يكون مطلقاً . واما ان يكون الى اجلٍ او مقيَّداً بحال . فصورة الشرط المطلق أن يقول هل وعدت ان تعطيني ليرةً وربعاً فعلى هذه الصورة تجوز المطالبة بالمبلغ حالاً. واماَّ الشرط المضروب لهُ أجلٌ فيضم اليهِ يوم وفاء المبلغ . وصورتهُ ان يقول هل وعدت ان تعطيني ليرتين ونصفاً اوَّل اذار فلا تجوز المطالبة بالمبلغ والحالة هذهِ قبل حلول الأَجل

(٣ و ٤) الاشتراط المقيد بحالٍ هو التعهد المؤَجل الى حادثة معينة ففي هذه الصورة لايكون للمتعهد لهُ الا الأَمل في ان لهُ ديناً . ويجوز لهُ ان ينقل هذا الأَمل الى وارثهِ

(٥) وعدتَ ان تعطيني في قرطاجنَّة فهذا كما يظهر وعد محضٌ وهو في الحقيقة يتضمن أجلاً . وهذا الأَجل ضروريٌّ للواعد لكي يتمكن من دفع المبلغ في قرطاجنَّة

(٦) الشروط المتعلقة بالزمان الحاضر او بالزمان الماضي تبطل الالتزام في الحال او توجب ان لا يتأَخر التنفيذ بوجهٍ ما

(٧) يجوز ان يُقيد العهد حتى بوقائع وحوادث لكن من الحكمة ان تُعلق عقوبات على تنفيذ ذلك العهد حتى لا يتكلَّف المدعي اثبات حقوقهِ

الفصل السابع عشر في المتعاهدَين والمتواعدَين

يجوز ان يتفق شخصان او اكثر في عهدٍ واحد او وعدٍ واحد فبعد ان يسأَل كلٌّ منهما او منهم يجيب الواعد ويقول "وانا أَعدهُ هذا الوعد على هذا الوجه" فيقول يازيد هل تعد ان تعطيني ليرتين ونصفاً وياعمرو هل تعد ان تعطيني هذا المبلغ . فمتى اجاب كلٌّ منهما على انفراد "أنا أَعد بذلك" تمَّ التعاهد

(١) في تعهدات من هذا النوع لكل من الدائنين حقٌّ في الكل وكلٌّ من المديونين مسؤُول في الكل

(٢) المتشاركان في الوعد يجوز ان يكون احدهما ملتزماً على الاطلاق وان يكون الآخر ملتزماً عند اجلٍ او تحت شرط

الفصل الثامن عشر في عهد العبيد

(١) يحق للعبد ان يعاهد بالنيابة عن مولاهُ ويكسب لمولاهُ . وهذا الحقُّ بعينهِ للاولاد الذين هم تحت ولاية والدهم

(٢) اذا كان العهد واقعاً على عمل فالعهد يتعلق بشخص المعاهد

(٣) العبد المشترك بين عدَّة موالٍ والمعاهد كسبهُ لكلٍّ منهم على قدر حصَّتهِ في رقبتهِ ما لم يكن قد عاهد بأمر واحدٍ منهم فقط او لواحدٍ سمَّاهُ منهم فكسبهُ حينئذٍ لذلك الواحد الذي سماهُ

الفصل التاسع عشر في تقسيم العهود

توجد عهود أُخر (وهي شرعية . وقضائية . وعمومية)

(١) العهود الشرعية انما تصدر عن منصب القاضي فقط

(٢) العهود القضائية انما تصدر عن منصب القاضي الأعلى فقط

(٣) العهود المتفق عليها هي المذكورة في عقود المتعاقدين

(٤) العهود العمومية هي كالتي بها املاك القاصر تكون محفوظةً او كالتي بها يجب انجاز الوعد

الفصل العشرون في العهود الباطلة

(١و٢) كلُّ ما يوجد او يحتمل انهُ يوجد يجوز دخولهُ في العهد فلا فائدة للعهد فيما اذا تُعهِّد لشخص ان يعطى شيئاً مفرداً لله تعالى او شيئاً دينيًّا او عموميًّا او رجلاً حرًّا او شيئهُ الخاص

(٣) اذا وعد شخصٌ ان رجلاً يعطي او يصنع شيئاً فلا يلتزم بالوعد . واذا وعد ان يجعل ذلك الرجل يعطي فهو ملتزم بالوعد

(٤) اذا اشترط زيدٌ باسم من ليس هو تحت ولايتهِ فكأنهُ لم يشترط شيئاً وان اشترط باسم من هو تحت ولايتهِ فما حصل عن ذلك فهو راجع اليهِ

(٥) العهد باطل ان لم يجاوب الشخص عن الشيء الذي سئل عنهُ

(٦) كذلك متى عاهدتَ عمن هو تحت ولايتك او متى عاهد هو عنك فالعهد باطل

(٧) الاخرس لا يستطيع ان يعاهد صريحاً ولا ان يعد . وكذلك الاطرش

(٨) ليس المجنون باهلٍ لعهدٍ ما

(٩) يجوز للقاصر شرعاً ان يعاهد في كل امرٍ لكن يشترط ان يكون ذلك بإذن الوصي حتى يصير ملتزماً شخصياً

(١٠ و١١) متى ضمَّ شرط مستحيل الى العهد صار العهد غير شرعي

(١٢) العهد القولي الذي ينعقد بين الغائبين باطل

(١٣) بما ان العهود تصير شرعية بتراضي المتعاهدين نريد ان العهد المقطوع للالزام سواء كان بعد وفاة او ليلة وفاة المعاهد او الواعد يكون صحيحاً في كل حال

(١٤) العهد المنعقد على وعدٍ مقابلٍ للوعد الاول شرعيٌّ صحيحٌ في مطلق الاحوال

(١٥) العهد بالهبة عند الوفاة على الصورة الآتية وهي أتعدني ان تهبني متى متُّ انا أو متى متَّ انت شرعيٌّ صحيح

(١٦) كذلك يكون العهد صحيحاً اذا علق على وفاة ثالث

(١٧) اذا كان وعد زيد مكتوباً في صك فيعتبر ذلك الوعد بمنزلة جواب على سؤال متقدم

(١٨) متى اشتمل العهد الواحد نفسهُ على اشياء متعدّدة فان اجاب الواعد "انا أعد ان أُعطي" تعيَّن عليهِ ان يعطي كلَّ تلك الاشياء المذكورة في العهد . واما ان اجاب "اني أُعطي واحداً او بعضاً منها" انعقد الالتزام على ما تعيَّن في الجواب

(١٩) انما وُضعت العهود ليكسب كلٌّ من المتعاهدين ما ينتفع بكسبهِ

(٢٠) متى تعهد احد الناس عن شخص ثالث وكان للمتعهد مصلحة في ذلك التعهد نريد ان يكون التعهد صحيحاً وذلك كما اذا تعهد مديون عن غريمهِ ولهُ منفعة من وراء ذلك التعهد فالتعهد صحيح

(٢١) من يَعِد ان شخصاً ثالثاً يعمل فلا يكون ملتزماً مالم يكن قد قيد وعدهُ باشتراط عقوبةٍ ما على نفسهِ ان لم ينجز الوعد[1]

(٢٢) لا يصحُّ تعهد احد بشيءٍ سيملكهُ

(١) من قواعد ابن نجيم ما يطابق هذه القاعدة قال « المواعيد بصور التعاليق تكون لازمة مثلاً لو قال رجل لآخر بع هذا الشيء لفلان وان لم يعطك ثمنهُ فانا اعطيهُ لك فلم يعطِ المشتري الثمن لزم الرجل اداء الثمن المذكور بناءً على وعدهِ المعلق » (المجلة)

(٢٣) اذا اعتقد المتعهد انهُ تكلم عن شيء والواعد يتكلم عن شيء آخر بطل التعهد

(٢٤) الوعد بأمرٍ قبيح منكر غير صحيح شرعاً

(٢٥) متى قيِّد العهد بشرط معين فاذا تم الشرط جاز لوارث المتعهد ان يتصرف. وكذا وارث الواعد

(٢٦) من يشترط ان يُعطَى لهُ في سنة معينةٍ او في شهرٍ معين يحق لهُ شرعاً ان يطالب بما اشترط متى انقضت السنة او الشهر

الفصل الحادي والعشرون في الكفالة

قد جرت العادة ان يؤخذ كفلاء ليكون المكفول لهُ على أتم الثقة والاطمئنان

(١) يصحُّ أخذ الكفالة في عامة العهود والالتزامات[1]

(٢) ان الكفيل ملتزم بما كفل. واذا تُوفي قام الوارث مقامهُ في الالتزام بما كفل بهِ[2]

(٣) الكفالة يجوز ان تتقدم العهد ويجوز ان تتأخر عنهُ

(٤) اذا تعدَّد الكفلاء[3] فكلٌّ منهم مطالَبٌ بالكل الاَّ ان مرسوم العاهل أدريان يلزم الدائن ان يطالب الموسرين منهم وقت ابتداء المخاصمة وكلاًّ منهم بحصتهِ

---

(١) في الفقه الاسلامي تصحُّ الكفالة بكل حقٍّ يمكن استيفاؤهُ من الكفيل · والكفالة بالمال جائزة معلوماً كان المال المكفول بهِ او مجهولاً فالاوَّل نحو كفلت لك منهُ المبلغ المذكور في هذا السند وقدرهُ الف ليرةٍ والثاني نحو كفلت لك عن فلانٍ ما ثبت لك عليهِ · وذلك بشرط ان يكون ديناً صحيحاً · وهو ما لا يسقط الاَّ بالاَداء او الابراء · ومن مات وعليهِ ديون ولم يترك شيئاً فتكفل رجل عنهُ للغرماء لم تصح عند ابي حنيفة لأَن الدين سقط بموتهِ مفلساً · ولو ترك ما يفي ببعض الدين صحَّ بقدرهِ كما في ابن ملك

(٢) كذا في الفقه الاسلامي · اما الكفيل بالنفس فيبرأُ من الكفالة بموت المكفول عنهُ لأَنهُ سقط الحضور عن الاصيل فيسقط عن الكفيل · وكذلك يبرأُ من الكفالة بموتهِ لانهُ لم يبقَ قادرًا على تسليم المكفول بهِ بنفسهِ وما لهُ لا يصلح لايفاء هذا الواجب

(٣) وفي المادَّة ٦٤٧ من مجلة الاحكام العدلية ما نصهُ « لو كان لدينٍ كفلاء متعددة فان كان كلٌّ منهم قد كفل على حدةٍ يطالب كلٌّ منهم بمجموع الدين · وان كانوا قد كفلوا معاً يطالب كلٌّ منهم بمقدار حصتهِ من الدين · ولكن لو كان قد كفل كلٌّ منهم المبلغ الذي لزم في ذمة الآخر فعلى هذا الحال يطالب كلٌّ منهم بمجموع الدين · مثلاً لو كفل احدٌ آخر بألفٍ ثم كفل ذلك المبلغ غيرهُ ايضاً فللدائن ان يطالب من شاء منهما · واما لو كفلا معاً فيطالب كلٌّ منهما بنصف المبلغ المذكور الاَّ ان يكون قد كفل كلٌّ منهما المبلغ الذي لزم ذمة الآخر فعلى ذلك الحال يطالب كلٌّ منهما بالالف

(٥) لايجوز ان يكون الكفيل ملتزماً باكثر مما يلتزم بهِ المكفول عنهُ . ويجوز ان يكون ملتزماً بأقل مما يلتزم بهِ المكفول عنهُ والمديون يجوز ان يَعد وعداً مطلقاً والكفيل يَعِد وعداً مقيداً بشرطٍ لكن نقيض ذلك غير جائزٍ

(٦) اذا ادى الكفيل شيئاً عن المكفول رجع بهِ عليهِ بحجة انهُ دفعهُ بالوكالة عنهُ [١]

(٧) متى كتب زيد انهُ صار كفيلاً عن فلان اعتبرت كفالتهُ شرعية صادرة بحضرة الشهودة ووجب عليهِ القيام بها

الفصل الثاني والعشرون في العهود المكتوبة

الاستثناء لقلة عدد النقود لايمتدُّ بوجهٍ من الوجوه الى ماوراء السنتين

الفصل الثالث والعشرون في العقود الصادرة عن التراضي

العقود تنعقد بالتراضي [٢] في البيوع والاجارات والشركات والوكالات اذ يكفي من يعقدون هذه العقود ان يبدوا رضاهم . فالعاقدان في هذه العقود يجب لكلٍّ منهما على الآخر بعلة الارتباط المتبادل ان يقوم بالواجب عليهِ للآخر بنية سليمةٍ وانصافٍ

الفصل الرابع والعشرون في البيع

ينعقد البيع فورَ الاتفاق على الثمن وأما البيوع التي تقيد بالكتابة فقد قررنا ان البيع لاينعقد الاّ متى كان صك البيع قد كتب بيد المتعاقدين او بيد ثالث . وأما اذا كتب ذلك الصك على يد الموثق اي الصكاك فلا يعتبر البيع قد عقد في اجزائهِ كافة الاّ اذا كان قد أُعطي شيء على سبيل العربون فالذي يرجع عن اتمام العقد فان كان المشتري خسر ما أعطى . وان كان البائع أُلزم أن يرد ضعف ما أخذ . ومما لابدَّ منهُ تعيين ثمنٍ اذ لابيع بلا ثمنٍ .

---

(١) يرجع الكفيل على الاصيل بما أدّى ان الكفالة بأمرهِ والاّ لم يرجع عليهِ بما يؤديهِ لأنهُ متبرّع بأدائهِ كذا في كتب الفقه الاسلاميّ عامة

(٢) كذا في الفقه الاسلاميّ واعلم ان البيع يكون بقولٍ او فعلٍ اما القول فالايجاب والقبول وهما ركنهُ ولذا لم يلزم بيع المكرَه وان انعقد بل هو بيع فاسد موقوف على اجازة البائع . واما الفعل فالتعاطي وحقيقتهُ وضع الثمن وأخذ المثمن عن تراضٍ منهما من غير لفظٍ (الدرّ المختار وحاشية ابن عابدين)

(١) يجب ان يعين الثمن . وقد تقرر في شرعنا انهُ كلما جرى البيع على هذه الصورة وهي "لكي يعين الثمن فلان" كان البيع موقوفاً فاذا الشخص المذكور سمى الثمن نفذ البيع بحسب تثمينهِ فالشاري يقبض المبيع والبائع يقبض الثمن . ولكن اذا كان الامر بالعكس اي اذا لم يرد الشخص المسمى او لم يقدر ان يعين الثمن كان البيع في هذه الحال مردوداً كأنهُ لم يقع اذ لم يعين لهُ ثمن

(٢) ايضاً يجب ان يكون الثمن دارهم . وأما سابينوس وكاسيوس فقالا يجوز ان يكون الثمن اي شيء كان . ومن هنا أتى القول المشهور الدائر على السنة العوام وهو " البيع مبادلة الاشياء " واما بروكولوس فيقطع ان مبادلة الاشياء ضرب آخر من العقود مفترق عن البيع والرأي رأيهُ[١]

(٣) متى انعقد البيع صار المبيع حينئذٍ في عهدة المشتري ولو لم يستلمهُ بعد . وما طرأ على المبيع بدون غشٍ من البائع ولا تعدٍ منهُ فلا يُسأل عنهُ لكن متى حمل الغرْيل بعد البيع زيادةً على الارض فهي للمشتري لان الزيادة لمن عليهِ النقصان

(٤) يجوز ان يعقد البيع بشرطٍ وان يعقد مطلقاً[٢]

(٥) من يشتري مكاناً مقدساً ومحلاً دينياً أو عمومياً فشراؤهُ باطل . واما من يخدعهُ البائع فيشتريها على انها كسائر العقارات المملوكة للافراد فيجوز لهُ ان يقيم دعوى الشراء ليسترد الثمن الذي دفعهُ . وهذا الحكم مطرد فيمن يشتري الحرَّ على انهُ عبد[٣]

الفصل الخامس والعشرون في الاجارة

الاجارة تشبه البيع . وقواعدها نفس قواعدهِ وتنعقد متى اتفق على الاجرة[٤]

---

(١) يقال لهذا في الفقه الاسلامي المقايضة وقالوا في تعريفها هي مبادلة عرَض بعرضٍ فمن بادل زيداً كتاب نحوٍ بكتاب فقهٍ كان ذلك مقايضةً

(٢) كذا في الفقه الاسلامي ولكن على التفصيل الآتي وهو ان البيع بشرطٍ يقتضيهِ العقد صحيح والشرط معتبر والبيع بشرط يؤيد العقد صحيح والشرط معتبر وكذا البيع بشرط متعارف وهو المرعي في عرف البلدة والبيع بشرطٍ لا نفع فيهِ لاحد المتعاقدين صحيح والشرط لغوٌ (المجلة الفصل الرابع) وعند ابن شبرمة البيع والشرط جائزان على الاطلاق لحديث «المسلمون عند شروطهم» (٣) في الفقه الاسلامي بيع الوقف باطل لا فاسدٌ كما هو صريح كلام القنية وفي حاشية ابن عابدين ان بعض مشايخ العصر افتوا بفسادهِ لا ببطلانهِ ولم نقبل فتواهم وفي المادة ٢١٠ من المجلة لو باع آدمياً حرًّا فالبيع باطل (٤) عرَّفها الفقهاء بقولهم «الاجارة بيع منفعةٍ معلومةٍ بعوضٍ معلومٍ»

(١) ما قلناهُ في البيع في شأن تعيين الثمن اذا فوّض الى حكم شخص ثالث نقولهُ في الاجارة اذا جعل تسمية الأجرة لحكم شخص ثالث

(٢) اذا سلمك شخص شيئاً معيناً لتنتفع بهِ او لتتمتع بهِ واخذ منك شيئاً آخر لينتفع بهِ او ليتمتع بهِ فهو نوع آخر من الإجارة . ويراعى في الدعوى نصّ العقد

(٣) وهذا يراعى ايضاً في التركات المسلّمة الى بعض اشخاص ليتمتعوا بها مؤبداً بحيث انهُ ما بقيت الاجرة او الغلة تؤدى الى المالك لا يجوز ان يخرج الميراث لا الى المستأجر نفسهِ ولا الى وارثهِ ولا الى من باعهم المستأجر او وارثهُ او المعطى او المجعول مهرًا او المبيع بنوعٍ من سائر انواع البيوع

وفي شريعة زينون ان الاجارة الطويلة المدّة كانت عقداً خاصاً تتبع فيهِ قواعد لهُ خاصة واذا بعض العقود كان مبنيًا عليها كان حكمها حكم هذا العقد . واذا لم يتفق على ما يطرأ من العيب او الخطر على الشيء كانت الخسارة الكلية على المالك والجزئية على المستأجر

(٤) اذا اتفق مع صائغ على ان الصائغ يصنع لهُ خاتم ذهب بوزن معيّن وشكل معيّن وانهُ يدفع لهُ ثمنهُ ليرتين ونصفاً كان ذلك عندنا بيعاً [١] . واما اذا كان الذهب لزيدٍ واتفق مع الصائغ على اجرة الصياغة فذلك اجارة

(٥) يجب على المستأجر ان يقوم بكل ما توجب عليهِ الشريعة بموجب العقد الذي عقدهُ واذا أُهمل شرطٌ في هذه الشريعة وجب انفاذهُ بمقتضى قوانين العدل والمساواة . ويتعين عليهِ محافظةً على الشيء ان يُعني بهِ كعناية ربّ بيتٍ بأهل بيتهِ

(٦) متى توفي المستأجر اثناء مدة الاجارة يقوم وارثهُ مقامهُ في الاجارة ويصير حكمهُ كحكمهِ [٢]

(ستأتي البقية)

---

(١) وفي المادّة ٣٨٨ من المجلة « اذا قال شخص لأحد من اهل الصنائع اصنع لي الشيء الفلانيّ بكذا قرشاً وقبل الصانع ذلك انعقد البيع استصناعاً » وهذا موافق لما في الفقه الروماني كما رأيت

(٢) هذا مخالف لما في الفقه الاسلاميّ لانهُ اذا مات المؤجر او المستأجر تبطل الاجارة لكن اذا تعدّد المؤجر او تعدّد المستأجر تبطل بقدر الحصص . ولا تبطل في موت واحدٍ من خمسة الوكيل . والوصيّ . والأب . والقاضي في اجارة مال اليتيم . والقيم في اجارة مال الوقف (الفرائد البهية في القواعد الفقهية)

المغالاة بالصور

لقد يعجب الشرقي اذا قيل لهُ ان الصورة الواحدة التي لا تزيد مساحتها على متر مربع تباع احيانًا بالف جنيه او اكثر الى عشرين او ثلاثين الف جنيه . ويزيد عجبهُ اذا علم ان تلك الصورة عينها كانت تباع ببضعة جنيهات وان صورًا مثلها لمصورين غير مشهورين قد لا تباع بعشرات الجنيهات . والسبب الاكبر للمغالاة بالصور تنافس الاغنياء في احراز مالا يحرزه غيرهم واهتمام باعة الصورة بترغيبهم في ذلك . ومن اشهر هؤلاء الباعة بيت كرستي في مدينة لندن وهو دلاَّل نشأ في اواسط القرن الثامن عشر وكان في اول امرهِ يبيع التحف والتركات على انواعها من الصور والاسلحة القديمة الى الخيل والمركبات والخنازير والبراميل ثم اقتصر على بيع الصور والتحف وجعل يعرض ما يريد بيعهُ في غرفة فسيحة ويدعو العظماء والاغنياء لمشاهدتهِ ولا يدع احدًا من السوقة يمتزج بهم فزادت المنافسة بينهم رويدًا رويدًا حتى بلغت ما بلغتهُ الآن وصار محل كرستي مجمعًا للاشراف وارباب الثروة

وكانت اثمان الصور حينئذٍ طفيفة جدًّا . ففي اول مزاد أُقيم سنة ١٧٦٧ بيعت صورة من تصوير هلبين باربعة جنيهات وثمانية عشر شلنًا وصورة من صور تشيان بجنيهين وشلنين وصورة من صور غويدو بجنيه وشلن . وبلغ ثمن كل ما بيع في يومين مئتين واربعة واربعين جنيهًا وثمانية عشر شلنًا وهو لو بيع الآن لبلغ عشرات الالوف من الجنيهات . ثم زادت رغبة الاغنياء في ابتياع الصور وزادت مغالاتهم بها حتى ان صورة من صور رينلدز اخذ ثمنها مئة جنيه بيعت في المزاد سنة ١٨٢٨ فبلغ ثمنها الفًا ومئتي جنيه

ولما حدثت الثورة الفرنسوية جعل كثيرون من امراء فرنسا وعظمائها واغنيائها يبيعون ما عندهم من التحف فانتقل كثير منها الى انكلترا ووصل الى محل كرستي فبيعت صورتان منها بسبعة الآف جنيه وهما من تصوير كلود . وشاع ذلك في اوربا فقال المصورون واصحاب الصور ان سوقها في مدينة لندن فقصدوها بصورهم من كل بلدان اوربا وجعلت الدول ترسل معتمديها الى محل كرستي هذا لتسترجع صور اهاليها باي ثمن كان كما حدث في صورة "الحَبَل بلا دنس" التي بيعت سنة ١٨٥٢ وكانت للمرشال صُلت فان حكومة فرنسا اشترتها بنحو ثلاثة وعشرين الف جنيه

قال احد الكتَّاب وقد دخل محل كرستي منذ عهد قريب ورأى الصور تباع فيهِ انهُ رأى هناك جماعة من اكبر رجال الانكليز مثل دوق دقنشير ومركيز لنسدون ونحوهما من عظماء

الامَّة وكثيرين من كبار المصورين ومبتاعي الصور لمتاحف اوربا واميركا. فأُتي اولاً بصورة لادي سليناباركر من تصوير غاينسبرو ووقف الدلال ومطرقة العاج في يدهِ ونادى الجمع قائلاً كم تدفعون فقال واحد الف جنيه وقال آخر الفاً وخمس مئة وآخر الفين وآخر الفين وخمس مئة وآخر ثلاثة آلاف وآخر ثلاثة آلاف وخمس مئة ووقفوا عند هذا الحد. فجعل الدلَّال ينادي ويقول ثلاثة آلاف وخمس مئة جنيه ثلاثة آلاف وخمس مئة جنيه. فعاد الناس الى المزايدة وزادوا مئة بعد اخرى حتى أبلغوها ثلاثة آلاف وثماني مئة جنيه ووقفوا عند هذا الحد فرسا المزاد على احدهم. وهم يقولون ان الصورة ليست من احسن صور المصور غاينسبرو والاَّ لفاقت هذا الثمن كثيراً لان احدى صورهِ وهي صورة دوقة دفنشير بيعت سنة ١٨٧٦ بعشرة آلاف ومئة جنيه وصورة اخرى وهي صورة لادي ملغراف بيعت سنة ١٨٩٥ بعشرة آلاف جنيه وهي نفسها بيعت بالف وسبعين جنيهاً قبل ذلك ببضع عشرة سنة

وتباع الصور والتحف غالباً من مجاميع اصحابها اذا ماتوا ولم يستطع ورثتهم الاحتفاظ بها او اذا افتقروا او اصابتهم نائبة اخرى من نوائب الدهر. ولا يندر ان تباع التحف التي جمعها الملوك والامراءُ والعظماءُ لان الدهر في الناس قلَّب "ان دان يوماً لشخص ففي غد يتغلَّب". وفي اوربا اناس عملهم التفتيش عن الصور القديمة في الاماكن المهجورة وابتياعها بارخص الاثمان والذهاب بها الى حيث تباع باثمان فاحشة. وكثيرًا ما تكون مزوَّرة صنعت في ايطاليا او المانيا وعزيت الى مصور قديم مشهور. ويقف صاحبها واصدقاؤُهُ يتزايدون في ثمنها الى ان يتقدَّم غرٌّ جاهل من اصحاب الملايين ويتزايد معهم فيرسو المزاد عليهِ

ويغالي اولئك الاغنياءُ بكل التحف النادرة كما يغالون بالصور ففي الربيع الماضي بيعت حقَّة صغيرة من حقق السعوط بستة آلاف واربع مئة جنيه وقد كانت للملك لويس الخامس عشر. وبيعت ثلاثة آنية من خزف سفر بعشرة آلاف جنيه وكاس من الزجاج المنقوش بالفين وستمئة جنيه

وقد يتزايد المشترون ويفرطون مغايظةً ثم يندمون ولات ساعة مندم. من ذلك ان بعضهم ابلغ صورة " دانيال في جب الأُسود " التي صورها روبنس الى اربعة آلاف وتسع مئه جنيه فرسا مزادها عليهِ بهذا الثمن ثم باعها لصاحبها بالفي جنيه وقد بيعت هذه الصورة عينها قبل ذلك بمئتي جنيه. وكثيرًا ما تباع الصورة بثمن فاحش بناءً على انها صورة حقيقية للمصور المنسوبة اليهِ ثم توجد مزورة لا تساوي شيئاً. وقد تباع بثمن بخس لانها تكون مغطاة بالاوساخ ثم يظهر انها من اثمن الصور لكن ذلك صار نادرًا الآن لمهارة منتقدي الصور. وقد

باع محل كرستي هذا صوراً سنة ١٨٨٢ بلغ ثمنها اكثر من ستمئة الف جنيه . فاعجب بغنى امة تشتري من دلال واحد ما ثمنهُ ستمئة الف جنيه مما ليس من الحاجيات في شيء

وغني عن البيان ان صوراً يغالي الناس بها الى هذا الحد ويبتاعونها بالوف الجنيهات تتجه اليها انظار اللصوص فيحاولون اختلاسها بكل واسطة . وقد نجحوا في اختلاس كثير من الصور المشهورة من ذلك صورة كونتس دفنشير المشار اليها آنفاً . فان بعض اللصوص نزعوها من الاطار الذي حولها ولفّوها وهربوا بها ثم وجدت وبيعت فاشتراها بيربنت مورغان المثري الاميركي

ومن ذلك ايضاً صورة مار انطونيوس وهي للمصور مورلّو واكبر صوره ومن اجملها وكانت في كنيسة اشبيلية الكبرى وقد عرض دوق ملبرو ان يشتريها بستة وثلاثين الف جنيه فلم تبع له . وسنة ١٨٧٤ شاع ان بعض اللصوص عازمون على سرقتها فضوعف الحرس الذي يحرسها واضيف اليهِ كلبان كبيران . وفي الخامس من شهر نوفمبر وجد خرق كبير فيها فان اللص قطع منها صورة مار انطونيوس وهي تصلح ان تكون صورة على حدتها . وبذلت الحكومة الاسبانية جهدها في التفتيش عن السارق والصورة المسروقة ونشرت صورتهما بالفوتوغراف في الآفاق فلم تقف لهما على اثر . وفي السنة التالية عُرضت الصورة المسروقة للبيع في نيويورك باميركا والذي عُرضت عليهِ عرف انها الصورة المسروقة واخبر قنصل اسبانيا بذلك واشتراها بمئتي جنيه وكان الذي باعها رجلاً اسبانيًّا فقبض عليهِ وظهر انهُ هو السارق وردت الصورة الى مكانها

ومنها صورة المجدلية متكئة تقرأ وهي اجمل صور المصور كورجيو سرقت من متحف درسدن سنة ١٧٤٧ هي وصورتان اخريان غيرها . والظاهر ان السارق لم يكن راغباً فيها بل في الحجارة الكريمة المرصعة بها فانها وجدت بعدئذٍ في تبّان واطارها منزوع منها . ومثل ذلك ما اصاب صورة من صور رفائيل فانها وجدت عند فلاح في ايطاليا سنة ١٨٧٦ وقد وضعها في شباك مكسور ليسدهُ بها ورآها عابر طريق فاستغرب وضعها في شباك مكسور وطلب ان ينظر فيها وكان خبيراً بالصور فعرف للحال انها صورة رفائيل التي صوّرها لبيت روفو

ومنذ خمس سنوات كان في متحف الصور الانكليزية المعروف بالرواق الوطني صورة سيدة واولادها الثلاثة من تصوير السر يشوع رينلدز اهدتها اليهِ لادي هملتون سنة ١٨٩٢ ثم اتضح ان لادي هملتون كان يحق لها ان تمتلك هذه الصورة ما دامت حية ولكن لا يحق

لما ان تبيعها ولا ان تهبها فاستردها اصحابها سنة ١٨٩٩ وباعوها للمستر بيت باثنين وعشرين الف جنيه

ولا تفسر مغالاة الناس بالصور والتحف الى هذا الحد الاَّ برغبة الاغنياء في الامتياز على غيرهم فيرون ذلك في احراز الاشياء النادرة او المنقطعة النظير وتقع بينهم المنافسة فيوصلون الصورة الى مئة الف جنيه وحقة السعوط الى ستة الآف جنيه كما تقدَّم

العمر والتدابير الصحية

لم تبقَ شبهة في ان التدابير الصحية تطيل العمر. الاَّ ان اظهار ذلك بالارقام ليس سهلاً في هذا القطر كما هو سهل في غيرهِ لأَن احصاء السكان والمواليد والوفيات حديث فيهِ. اما البلدان الاوربية ولاسيما المدن الانكليزية فالاحصاء قديم فيها ودقيق وقد ظهر من احصاء الوفيات في مدينة لندن منذ ستين سنة الى الآن ان العمر آخذ في الازدياد فكان متوسط الوفيات السنوي نحو ٢٥ في الالف فصار الآن نحو ١٥ في الالف اي كان متوسط عمر الانسان ٤٠ سنة فصار الآن نحو ٦٦ سنة وهاك جدول متوسط الوفيات السنوي منذ سنة ١٨٤١ الى آخر العام الماضي

المتوسط السنوي بين سنة	١٨٤١و١٨٥٠	٢٤،٨
" " " "	١٨٥١و١٨٦٠	٢٣،٧
" " " "	١٨٦١و١٨٧٠	٢٤،٤
" " " "	١٨٧١و١٨٨٠	٢٢،٥
" " " "	١٨٨١و١٨٩٠	٢٠،٥
" " " "	١٨٩١و١٩٠٠	١٩،٢
المتوسط	١٩٠١	١٧،١
"	١٩٠٢	١٧،٢
"	١٨٠٣	١٥،٢

ويظهر من ذلك ان متوسط عمر الانسان كان نحو ٤٠ سنة بين سنة ١٨٤١ و١٨٥٠

فصار نحو ٤٢ سنة بين ١٨٥١ و١٨٦٠ و٤٤ بين سنة ١٨٧١ و١٨٨٠ و٤٨ بين سنة ١٨٨١ و١٨٩٠ و٥٢ بين سنة ١٨٩٠ و١٩٠٠ ثم بلغ ٥٨ سنة ١٩٠١ ونحو ٦٠ سنة ١٩٠٣ .
ومعلوم ان الوفيات لا تقع على معدَّل واحد في كل سنة من سني العمر بل الاطفال والشيوخ معرضون للموت اكثر من الشبان والكهول . وقد أُحصي عدد السنين التي عاشها الناس بعد ان بلغوا اعماراً معلومة وذلك من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٩٠ ومن سنة ١٨٩١ الى سنة ١٩٠٠ فظهر انهم عاشوا في العشر السنوات الاخيرة اكثر مما عاشوا في العشر السنوات التي قبلها . فالطفل المولود حديثاً قُدِّر لهُ من العمر اقل من اربعين سنة بين سنة ١٨٨١ وسنة ١٨٩٠ وواحد واربعون سنة بين سنة ١٨٩١ وسنة ١٩٠٠ وابن خمس سنوات قُدِّر لهُ خمسون سنة واربعة اعشار السنة في المدة الاولى وواحد وخمسون سنة وستة اعشار في المدة الثانية فزاد معدل العمر نحو سنة الى حد السنة الخامسة والعشرين واقل من ذلك فوقها . ولذلك لا عجب اذا ربحت شركات ضمان الحياة ربحاً طائلاً في السنين الاخيرة لان الاموال السنوية التي تتقاضاها من الذين تضمن حياتهم مبنية على متوسط العمر منذ ثلاثين سنة اي ان الانسان الذي كانت تضمن حياتهُ وهو ابن عشرين سنة ولا تنتظر انهُ يعيش ايضاً اكثر من ٣٧ سنة صار يعيش تسعاً وثلاثين سنة فيزيد ربحها من السنويات فقط نحو ٦ في المئة ولا سبب ذلك الاَّ شيوع التدبير الصحية وتقدُّم العلوم الطبيَّة وتوفر اسباب المعيشة . ولعلَّ ذلك جارٍ في القطر المصري ايضاً لشيوع التدابير الصحية فيهِ واهتمام الناس بتطبيب مرضاهم وتمريضهم . ولكن ليس عندنا حتى الآن احصاءات مدققة لاظهارهِ

ثم ان الفقر والمسكنة من اسباب قصر العمر والغنى والرفاهة من اسباب طولهِ . فالغني يعمّر اكثر من الفقير لانهُ اقدر منهُ على اكل الطعام المغذي وعلى اتقاء الامراض والتداوي منها وقد ثبت ذلك بالاحصاء ايضاً في جهتين من مدينة لندن الواحدة يسكنها الاغنياء والثانية يسكنها الفقراء فظهر ان اطفال الاغنياء يعيشون ٥١ سنة واطفال الفقراء ٣٦ سنة . واولاد الاغنياء الذين بلغوا الخامسة من العمر يعيشون ايضاً ٥٧ سنة واولاد الفقراء الذين من عمرهم يعيشون اقل من ٤٩ سنة وشبان الاغنياء الذين عمرهم عشرون سنة يعيشون ايضاً ٤٤ سنة واما شبان الفقراء الذين من عمرهم فلا يعيشون ايضاً الاَّ ٣٦ سنة . ويقل الفرق رويداً رويداً بين الاغنياء والفقراء حتى يبلغ نحو سنتين فقط في الشيوخ الذين يبلغون ٧٥ سنة من العمر . ويظهر ذلك كلهُ في الجدول التالي وهو عن ثلاث سنوات — من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٠

	الاغنياء	الفقراء
متوسط ما يعيشهُ الطفل	٥٠و٨	٣٦و٥
متوسط ما يعيشهُ ايضاً ابن ٥ سنوات	٥٧و٤	٤٨و٧
" " " " " ١٠ "	٥٣و٣	٤٥و٠
" " " " " ٢٠ سنة	٤٤و٢	٣٦و٤
" " " " " ٢٥ "	٣٩و٨	٣٢و٤
" " " " " ٣٠ "	٣٥و٥	٢٨و٦
" " " " " ٤٠ "	٢٧و٥	٢١و٩
" " " " " ٥٠ "	٢٠و٣	١٦و٢
" " " " " ٦٠ "	١٤و١	١١و٣
" " " " " ٧٥ "	٧و١	٥و٢

اي لنفرض اننا نظرنا في تواريخ الف طفل من اولاد الاغنياء فنرى بعضهم يموتون حال ولادتهم و بعضهم في السنة الاولى من عمرهم و بعضهم في السنة الثانية او الثالثة او الرابعة وهلمَّ جرًّا وقد يعمر بعضهم مئة سنة او اكثر واذا جمعنا السنين التي عاشوها كلهم وجدنا مجموعها ٥٠٨٠٠ سنة . واذا فعلنا كذلك بالف مولود من اولاد الفقراء وجدنا مجموع السنين التي عاشوها كلهم ٣٦٥٠٠ سنة فقط

واذا اخذنا الف ولد من اولاد الاغنياء عمر كلٍّ منهم عشر سنوات وجمعنا السنين التي يعيشونها كلهم بعد ذلك وجدنا مجموعها ٥٣٣٠٠ سنة . واذا اخذنا الف ولد من اولاد الفقراء عمر كلٍّ منهم عشر سنوات وجمعنا السنين التي يعيشونها كلهم بعد ذلك وجدنا مجموعها ٤٥٠٠٠ سنة . واذا اخذنا مئة شيخ من شيوخ الاغنياء عمر كلٍّ منهم ٧٥ سنة وجمعنا السنين التي يعيشونها بعد ذلك بلغ مجموعها ٧١٠٠ سنة واذا اخذنا الف شيخ من شيوخ الفقراء عمر كلٍّ منهم ٧٥ سنة وجمعنا السنين التي يعيشونها بعد ذلك بلغ مجموعها ٥٢٠٠ سنة . (هذا في بلاد الانكليز واما في القطر المصري فمتوسط العمر اقل من ذلك كثيرًا كما لا يخفى)

وليس المراد ان كل غنيّ يعمر اكثر من كل فقير. كلاَّ فان بعض الفقراء يعمرون اكثر من بعض الاغنياء وقد ترى شيخًا فقيرًا عمرهُ مئة سنة او اكثر ولا ترى شيخًا غنيًّا بالغًا هذا العمر ولكن المراد ان مجموع السنين التي يعيشها جمهور كبير من الاغنياء هو اكثر من مجموع السنين التي يعيشها جمهور مثلهُ عددًا من الفقراء. وبعبارة أُخرى ان الامم الغنية يعمر افرادها اكثر مما

تعمر افراد الامم الفقيرة او ان الغنى يطيل العمر والفقر يقصره كما ان مراعاة التدابير الصحية تطيل العمر بنوع عام وعدم مراعاتها يقصره . فالعلم والغنى والراحة والرفاهة تأول كلها الى اطالة العمر وازدياد عدد السكان ولكنها قد تأول الى امر يقل به عدد السكان وهو قلة المواليد اما لضعف في البنية او لخوف من تعب الولادة ونفقات الاولاد . وهذا هو السبب الاكبر الذي ابقى عدد السكان في فرنسا على حاله منذ سنين عديدة الى الآن مع توفر اسباب الراحة والرفاهة لهم فاذا زالت الاسباب التي تقلل المواليد فالامم التي تعتني بالتدابير الصحية تعمر وتنمو اكثر من غيرها

حياة الجماد

من مقالة لمسيو داستر احد اساتذة مدرسة السوربون في باريس

يبدر الى الذهن لاول وهلة انهُ لا يمكن ان يكون بين الاجسام الحية وغير الحية مشابهة جوهرية اذ اي شبه بين الحجر والشجر والاسد فان مقابلة الحجر الجامد بالحيوان المتنقل والنبات النامي تجلي عن اختلاف عظيم بينها وتوضح لنا ان بين الاجسام الحية وغير الحية بعداً شاسعاً

واول اختبار الانسان يؤيد هذا القول والابحاث السطحية توافقهُ فينشأ الطفل ويشب وهو يرى ان الحيوان والنبات يفرقان عن الجماد فرقاً عظيماً جدًّا . ولكن كلما زادت معارفنا زدنا ارتياباً في عظم ذلك الفرق وتبيَّن لنا انهُ لا تصح قسمة الاجسام الى حية وغير حية حتى صار العلماء يحدثونك عن حياة الجماد وهم انما يقولون ذلك لانهم يرون في بعض انواع الجماد كثيرًا من اوصاف الحياة وفي اجسام اخرى دلائل خفية تدل على علاقة الاجسام الحية بغير الحية . مثال ذلك ان بعضهم رأى في الاجسام المتبلورة معظم اوصاف الاجسام الحية فان لها شكلاً محدوداً وميلاً الى اتخاذ ذلك الشكل دائماً واصلاحهِ مما يطرأ عليهِ من الطوارىء وحجمها يزيد من السائل الذي تتكون منهُ . واغرب من ذلك ان فيها جميع مزايا التوليد . وظهر لبعض العلماء الطبيعيين ان عدم تغير بعض الاجسام التي يظن عادة انها اصلب من غيرها وعدم تحركها مثل الزجاج والفولاذ والنحاس وغيرها انما هو امر ظاهري فقط . فان تحت سطح الجسم الذي يظهر لنا جامداً لا يتحرك دقائق تتزاحم وتتجاول وتترتب على اشكال محدودة مطاوعة لاحوال ما يحيط بها . وقد يمر عليها سنين طويلة قبلما تتخذ لها شكلاً تبقى عليهِ دائماً

ولزيادة الايضاح نذكر الاوصاف الجوهرية التي تمتاز بها الاجسام الحية وهي الاوصاف التي يقال انهم وجدوها في الاجسام غير الحية ايضاً بلا زيادة ولا نقصان . ويقسم الكلام في ذلك الى سبعة ابواب تحتها فصول

الباب الاول

في الحياة عموماً وفيهِ فصلان

الاول آراء الاقدمين والشعراء . والثاني آراء الفلاسفة

﴿ آراء الاقدمين والشعراء ﴾ ان ما يقولهُ العلم عن مشابهة الاجسام غير الحية للاجسام الحية يطابق تصورات الاقدمين والشعراء في ذلك . فقد كان الاقدمون يعتقدون ان جميع الاجسام الطبيعية حية كانت او غير حية اعضاء جسم حيٍّ عامٍ سموهُ بالجسم الحي الكبير احترازاً من الجسم الحي الصغير اي جسد الانسان . ونسبوا اليهِ قوة حيوية تدير حركاتهِ وتتسلط على اعمالهِ وتشبه القوة الحيوية التي في الانسان . وقوةً عقلية تدرك تلك الاعمال وتشبه نفس الانسان . وقد كان لتلك الحياة العمومية او النفس العمومية شأن عظيم في نظام ما وراء الطبيعة الذي وضعوهُ . وجرى الشعراء ذلك المجرى فكان دأبهم تجسيم الاشياء الطبيعية لتقريبها من افهام الناس وتصوراتهم ونسبة الحياة او الروح الى ظواهرها فقال احدهم " لكل شيء من الاشياء صوت فللريح صوت وللهب صوت وللامواج والاشجار والاحجار صوت . وهي تحيا ولكلٍّ منها روح داخلهُ " وسموا اصوات الظواهر الطبيعية باسماء خصوصية مثل هزيم الرعد وحفيف الشجر وجعجعة الرحى وصرير الباب وزفير النار وما اشبه

﴿ آراء الفلاسفة ﴾ كان طاليس الفيلسوف اليوناني يعتقد ان كلَّ الاجسام الطبيعية ذات حياة وكذلك كبلر العالم الفلكي فانهُ كان يقول ان الكرة الارضية حيوان كبير يتأثر بحركات النجوم فيخاف دنوَّ بعضها منهُ ويبدي خوفهُ بالزوابع والعواصف والزلازل وان مدَّ البحر وجزرهُ تنفس ذلك الحيوان وانهُ يعرق ويفرز الفضول ويجري الدم في عروقهِ ويأكل وبعض طعامهِ ماء البحر فانهُ يبتلعهُ باقنية متعددة . على ان كبلر عاد عن هذه الخرافات في اواخر ايامهِ وقال انهُ انما عنى بروح الاجسام السموية القوة التي تحركها لا غير

الا ان الفصل بين الاجسام الحية وغير الحية بدأ من عهد الفلاسفة الذين ادخلوا في العلم مبدأ بقاء الحياة والارتقاء واولهم لبنتز فقد قال " انهُ لا توجد مملكة غير آلية بل الموجودات كلها آلية تشمل جميع صور الجماد والنبات والحيوان . وان لا شيء خالٍ من الحياة بل الحياة عامة لكل شيء " فيترتب على هذا القول انهُ ليس ثمة فرجة او حلقة مفقودة في سلسلة الظواهر

الطبيعية وان كل شيء يرتقي شيئاً فشيئاً وان الموجودات غير الآلية اصل الموجودات الآلية . واما الحياة فلم تكن موجودة على وجه الارض دائماً بل ظهرت في احد العصور الجيولوجية بسبب ملاءمة الاحوال ولكن مبدأ بقاء الحياة يضطرنا الى التسليم بان الحياة لم تكن معدومة حقيقة بل حكماً وانها كانت على صورة اولية خفية

وذهب بعض الفلاسفة المحدثين مذهب لبنتز فقالوا ان المادة الحية وغير الحية ليستا نوعين مختلفين بل صورتان من مادة واحدة مختلفتان في درجتهما وكثيراً ما يكون اختلافهما قليلاً جداً . فاذا كانت المسألة مسألة اختلاف في الدرجة فلا تناقض كالبرد والحر فانهما ليسا متناقضين بل هما درجتان مختلفتان من درجات الحرارة

هذا وان ما يحملنا على ازالة الحد الفاصل بين المملكة الآلية والمملكة غير الآلية والاعتقاد بان في الجماد اصول حياة اولية هو نفس ما يحملنا على التسليم بانهُ ليس بين الظواهر الطبيعية الاخرى فرق جوهري اساسي وغاية ما في الامر درجات تحوّل وانتقال بين الجسم الحي والجسم غير الحي والجسم العاقل والجسم غير العاقل والفكر وعدم الفكر والمدرك وغير المدرك . فهذا الانتقال من الشيء الى ضده حسب الظاهر يخالف اختبارنا العادي ولكن الذين يعرفون ما للظواهر الطبيعية من الدرجات غير المتناهية يسلّمون بالانتقال المذكور . فلا عجب بعد هذا اذا حذا العالم حذو الفيلسوف وذهب الى ان في الجماد اثراً من الحياة وان فيهِ جميع الصفات الجوهرية التي تميز الاحياء . ولكن لا بدَّ لهُ اولاً من ان يبرهن على وجود تلك الصفات بالمشاهدة والامتحان وعلى ان الجواهر الفردة ودقائق المادة ليست ميتة بل هي عناصر حيَّة متحركة لها صورة من صور الحياة الدنيا المشاهدة في جميع انواع المادة مثل الجذب والدفع والتأثر بالمؤثرات الخارجية وتغير قوة التوازن وتجمع الدقائق على اشكال منتظمة طبقاً لتراكيب محدودة وافراز مركبات كيماوية مختلفة

وذهب الفلاسفة في بيان اوجه المشابهة بين المادة الحية وغير الحية الى ابعد من ذلك فقالوا ان في قوى المادة غير الحية وخصوصاً القوى الكيماوية اثراً قليلاً من الاميال التي تتسلط على اعضاء الاجسام الحية اي الحس . فان ردَّ الفعل الذي يصدر عن المادة غير الحية يدلُّ عندهم على وجود نوع بسيط من الشعور تستطيع تلك المادة ان تميز بهِ بين النافع وضده فتختار النافع وتنبذ الضار . وهذا هو المبدأ العام في حركة الاشياء وعليهِ الفيلسوف امبيدوكليس اليوناني . وديدرو وكبانه من الفلاسفة المحدثين ومعظم العلماء الماديين . فانهم التمسوا في ادنى المخلوقات غير الحية اثراً للحياة والقوة العقلية التي يبزغ شعاعها في فجر المخلوقات الحية

وقالوا ايضاً ان تمثيل المادة غير الحية للمادة الحية نتيجة طبيعية لصحة مبدأي بقاء الحياة والارتقاء . على ان في طي هذين المبدأين مبدأ آخر لا يصرّح اولئك الفلاسفة بهِ جهاراً بل ضمناً وهو انهُ مهما تعددت تراكيب العناصر لم ينتج منها مركَّبٌ جديدٌ يختلف في جوهرهِ عن جوهر العناصر التي يتركب منها . فديدرو وكبانه يقولان ان الانسان صلصال حي وهو ايضاً حيوان عاقل . ولما كان يستحيل نشوء العاقل من غير العاقل فلا بدَّ ان يكون الصلصال قد احتوى اصل العقل . ولكن ألا يمكن ان يكون العقل نتيجة ترتيب دقائق الصلصال . فاذا انكرنا ذلك وجب ان ننكر ايضاً ان اختلاف الترتيب والتنظيم في المادة المرتبة المنتظمة يفضي الى خاصة جديدة تختلف عن الخاصة التي كانت لها قبل ذلك الاختلاف . وقال فيلسوف آخر ان البروتوبلازم الحي انما هو مجموع عناصر بسيطة ولا بدَّ لتلك العناصر من ان تحوي مبدأ الحياة . وعليهِ فاذا لم تكن الحياة في كل عنصر فلا يمكن ان تنتج عن اتحاد العناصر وائتلافها

وقال العالم لدانتيك ان الانسان وسائر الحيوانات مجموع جواهر . واهون على المرء ان يسلّم ان الادراك الانساني ناتج عن مبادىء الادراك المتضمنة في الجواهر التي يتألف منها من ان يعدَّهُ ناتجاً عن تركُّب عناصر لا اثر للادراك فيها . وقال هيكل ان الحياة عامة لكل المواد ولا يمكننا ان نتصور وجودها في مركبات المادة ما لم نتصور وجودها اولاً في العناصر التي تتركب المادة منها . واليك طريقة استدلالهم للوصول الى النتيجة المتقدمة

ان عوامل الترتيب والتجمع والتركيب لا تحدِث في جسم مركَّبٍ شيئاً جديداً يختلف في جوهرهِ عن جوهر العناصر التي يتألف الجسم منها . والتجمع يكسب الجسم المركَّب خاصة هي نفس الخاصة التي في عناصرهِ البسيطة ولكن ارقى منها . على ان ما يعدهُ بعضهم اولية تستغني عن البرهان ليس في الحقيقة اولية فهم يظنون قولهم ان ليس في المركَّب شيء لا يوجد في العناصر التي يتألف منها اولية بديهية لا تحتاج الى اثبات وهي في الحقيقة فرض يفرضونهُ . وقولهم ان ترتيب المادة وتجمعها على اشكال عجيبة لا يحدثان فيها شيئاً جديداً قول يفتقر الى اثبات

ولنطبق هذا المبدأ على الكائنات المرتبة فنقول ان جميع الكائنات الطبيعية هي في الحقيقة ترتيبات ومجموعات مؤلفة من مادة واحدة . وينتج عن الفرض المتقدم انها تختلف بعضها عن بعض في الكمية والشكل لا في الكيفية او الجوهر اذ يمكننا ان ننتقل من واحد منها الى الآخر ولا نجد بينها ما يعترض في سبيلنا . فيظهر من ذلك ان ناموس بقاء الحياة نتيجة بسيطة للفرض الاساسي وهكذا يقال في ناموس النشوء الارتقاء

وهذه القاعدة ليست مختصة بفريق من العلماء دون الآخر فان لبنتز لم يكن من العلماء الماديين ومع ذلك فانهُ نسب الى عناصر المادة وجواهرها حياة بل نوعاً من الفكر . وكذلك الاب بوسكوتش اليسوعي واحد اساتذة كلية رومية فانهُ نسب الى الجواهر نوعاً من الحياة الدنيا . وسان توماس فانهُ قال ان للاجسام غير الحية نوعاً من الحركة والميل الى بعض الاشياء دون غيرها

الباب الثاني

وحدانية الاجسام الحية وغير الحية

وهناك طريقتان للبرهان على كون المادة الحية وغير الحية شيئاً واحداً في الجوهر . احداهما ان نظهر للعيان اشتقاق الاحياء العليا من الاحياء الدنيا وذلك يستلزم ان نصنع جسماً حيًّا تامًّا بجميع اجزائهِ سواء كان نباتاً حقيرًا او حيواناً دنيئاً من مواد غير حية . فان استطعنا ان نفعل ذلك كان برهاناً لا يُرَدّ على ان جراثيم الحياة كامنة في دقائق الاجسام غير الحية . ولكن هذا غير مستطاع والعلم قاصر عنهُ . وهذه الطريقة هي ما يسمونها بالتولد الذاتي . فقد كان القدماء يعتقدون بها حتى بين الحيوانات المرتقية في سلَّم الخلق وعليهِ قال فان هلمونت ان الفيران تخلق من الخرق الخلقة المخلوطة قمحاً باختيار لا تعرف كيفيتهُ . وذكر ديودورس انهم شاهدوا حيوانات تتولد من طمي النيل وهي غير تامة الخلقة . وكان ارسطو يعتقد بتولد بعض انواع السمك على هذه الطريقة . ورأى الراعي الذي ذكرهُ فرجيل الشاعر الروماني الشهير في قصائدهِ اسراب النحل تتولد من جنبي ثور ميت . وكانوا يعتقدون ايضاً ان الذباب يتولد من اللحم الفاسد والدود من الاثمار والامعاء

وطريقة التولُّد هذه نبذت الآن بعد ان ضربها باستور الضربة القاضية فانهُ ابان ان ابسط الاحياء المكروسكوبية خاضع للناموس العام وهو ان كل حيٍّ لمن حيٍّ آخر

على انهُ وان لم يتيسر للانسان اثبات طريقة التولد الذاتي او تولد الحي من غير الحي الاَّ ان هيكل يقول انها كانت الطريقة التي تولدت بها الاحياء الارضية قديماً حينما اخذت الكرة الارضية تبرد وقشرتها تجمد والبخار المائي المحيط بها يتكاثف فنشأ عن ذلك احوال ملائمة لظهور الاحياء الاولى التي تولدت منها الاحياء المعروفة تدريجاً . ويقدر اللورد كلفن ان ذلك جرى منذ عشرين او اربعين مليون سنة . ويقول معظم الفسيولوجيين انهُ اذا عرفنا تلك الاحوال تماماً وامكننا احداثها لم يبعد ان نتوصل الى نتيجتها اي ان نصنع جسماً حيًّا تامَّ الاجزاء من المواد غير الآلية . والذين يذهبون هذا المذهب يقولون ان قصور التجربة والامتحان من هذا

القبيل انما هو وقتي وسببهُ قلة معرفتنا وضعف وسائطنا وعليهِ فليس ثمة ما يدلُّ على ان احداث الحي من غير الحي مستحيل

اما اهل البيولوجيا فلا يرون هذا الرأي كلهم · بل ان عدداً كبيراً منهم يؤكدون انهُ يستحيل نشوء الحياة من اجتماع المواد غير الآلية بالقوى الطبيعية ويقولون انهُ لا يمكن ان تكون الحياة قد نشأت على وجه هذه الارض بفعل المادة غير الحية والقوى التي لا تزال تتسلط عليها الى الآن · ومن هؤلاء العالمان كوهن ورختر الالمانيان فانهما يقولان ان الحياة لم تنشأ في ارضنا بل نُقلت اليها من عالم آخر على صورة جراثيم تشبه الخلايا التي تتركب الاحياء منها عندنا على ما هو معلوم . وهي اما ان تكون قد نقلت الينا بواسطة الشهب والنيازك التي تنقض علينا من الفضاء او انها وصلت الينا من الفضاء على صورة غبار كوني .وصاحب المذهب الاول كاتب فرنسوي اسمهُ الكونت دي سال جيون ومذهبهُ ليس بعيداً عن الصحة كما قد يبدر الى الذهن فان كلفن وهلملتز وافقاهُ عليهِ على بعد شهرتهما وعظم خبرتهما بهذه الشؤون · ثم انهُ يظهر من تحليل طيف السدام المختص بذوات الاذناب ان فيهِ مادة هيدرو كربونية · وقد وجدوا الكربون ونوعاً من المادة الآلية في كثير من النيازك ايضاً

ولكنَّ هناك اعتراضات كثيرة على هذا المذهب منها ان وجود الجراثيم الكونية منافض لنواميس النشوء والارتقاء · ومنها ان الشروط اللازمة للحياة لا توجد في الاجسام التي بين السيارات (كالشهب والنيازك) · ومنها ان النيازك تحمى متى بلغت جوَّ الارض الى حدّ ان حرارتها تميت كلَّ ما يمكن ان تنقلهُ الينا من الجراثيم · ولكن هلمولتز يردُّ هذا الاعتراض بقولهِ ان حرارة النيازك سطحية لا تصل الى داخلها فتسلم الجراثيم التي هناك · اما المذهب الثاني فمذهب رختر وكوهن كما تقدم ومآلهُ ان الجراثيم الحية الاولى بلغت ارضنا ممزوجة بالغبار الكوني الذي يعوم في الفضاء ويتساقط الى الارض على الدوام · ومن الاعتراضات على هذا المذهب انهُ ان سلمت تلك الجراثيم بسقوطها البطيء من الحرارة الشديدة التي تصيب النيازك بسقوطها السريع بقيت معرضة لفعل اشعة النور وهي تقتل الجراثيم عادة

ومن العلماء من لا يسلّم باحد هذين المذهبين ولا يرى ما يوجب فرض انتقال الاحياء الاولى من العوالم الاخرى الينا بل يقول ان الاحياء وجدت على الارض في كل زمان حتى الزمان الذي كانت الارض فيهِ شعلة من نار ولكنها لم تكن نفس الاحياء التي نعرفها الآن اذ لا بدَّ ان تكون قد تغيرت تغيراً عظيماً على مرّ الدهور · فان الاحياء الاولى كانت تختلف كلَّ الاختلاف عن الاحياء الحاضرة التي يختلُّ نظامها بارتفاع الحرارة ارتفاعاً قليلاً ·

وهذا المذهب يظهر اقرب الى الفرض منهُ الى الحقيقة واشبه بتصورات كبلر وغيرهِ من اصحاب المذاهب الخيالية ولكنهُ مطابق من بعض الوجوه لآراء المحدثين في حياة المادة ووجه مطابقتهِ لها في ما ينطوي عليهِ من الارتقاء في مواد الكرة الارضية ٭

وصاحب هذا المذهب برابرو ومن رأيهِ ان الاحياء الاولى وجدت في النار ثم طرأ عليها ما طرأ من التغيير فباتت على مثل ما نراها الآن. ومع ما طرأ عليها من التغيّر العظيم لم يتغير عددها بل ان مجموع الاحياء في الكون بقي على ما كان عليهِ

هذه هي اراءِ الشعراء وعلماء ما وراء الطبيعة والفلاسفة في حيوية الاجسام غير الحية ولكن العلم الحديث ينظر اليها نظرًا آخر ويرى ان فيها اثرًا لعمل العوامل التي تتسلط على الاجسام الحية وخواصها الاساسية (ستأتي البقية)

مصطفى فهمي باشا وتجران باشا

نقلاً عن المقطم

لما اشتدَّ في العاصمة الحر ضاق منا الصدر وعيل الصبر فملانا التحبير والتحرير ورحلنا عن العاصمة وهجرنا الهجير وجئنا رمل الاسكندرية النضير نشرح الصدور بنسيمهِ العليل وننعش النفوس بشمألهِ البليل فالفيناهُ مصيفًا تمَّ اعتدالهُ وشغف القلوب جمالهُ وقرب على سكان العاصمة وصالهُ . البحر يرسل النسيم اليهِ والرياض والحدائق تنثر الورود عليهِ ولطف اهلهِ يجعلهُ جنة الانس للقادم اليهِ فحمدنا الله على انهُ كان نصيبنا في هذا الصيف ولم نتحسر على فراقهِ كما تحسر الذين قصدوا اوربا فوجدوها شبه سقر من شدة الحر ولا عانينا من صروف الايام ما يعانيهِ المصطاف في بر الشام. واسعدنا الحظ بمنزل في الابرهيمية اجتمعت فيهِ اسباب النزهة والراحة والتسلية فالبحر يرغي ويزبد على اركانهِ وامواجهُ تتنفس نهارًا وليلاً تحت جدرانهِ والنسيم البليل لا ينقطع لحظة عن سكانهِ. وجماهير المتنزهين على الشاطىء يؤنسونهُ ساعات الوحشة ووقوعهُ بين الناس في اطراف المنازل يجعلهُ شبه قاعة الاجتماع لطالب التسلية والمحاضرة وشبه صومعة المعتزل لطالب التأمل والتفكير. ومما زاد توفيقنا بهِ توسطهُ بين صحب لنا من خيرة الانام وصفوة القوم الكرام فركوب الترام هنيهة من الزمان يوصلنا غربًا الى الاسكندرية حيث الاخوان والخلان يضيق عن عدهم المقام ويعجز عن وصف لطفهم اللسان. ويوصلنا شرقًا الى قصر حضرة الماثل الخواجا وهبي كرم الذي فاق قصور الرمل في عظمتهِ

وزخرفتهِ وزينتهِ والى منزل صهرهِ الوجيه الاديب الخواجا ديمتري خلاط ومنزل حضرة الوجيه الماجد الخواجا جورج كرم وحضرة صهرهِ الوجيه الخواجا الياس دباس ومن جهة اخرى الى قصر سعادة الهمام سابا باشا مدير البوسطة العام حيث لطف السكان يحكي بهجة المكان وغير ذلك كثير من المنازل والقصور حيث الاصدقاء والخلان مبثوثون الى ما وراء سان ستفانو والسراي عدا الخلان والجيران النازلين على قربٍ منا في الابرهيمية نفسها ونحوهم من الافاضل الذين سبونا بانسهم ولطفهم واسرونا بجميلهم ومعروفهم في زياراتهم وأنسونا المحابر والاقلام ببهجة اجتماعاتهم وكرمهم في ولائمهم ودعواتهم وحسن مسامراتهم في متنزهاتهم

اخبار الجرائد المحلية

بينا كنا بالامس جالسين على شرفة تطل على البحر والامواج الخضر تتعالى تحت اعيننا ثم تنقلب وتصدم الصخر فتكسو الشاطئ حلة ناصعة البياض . ثم تعود وهي تعج وتغيب في اللج اذا الخادم قد اتانا حاملاً الجرائد المحلية التي تصدر في العاصمة والاسكندرية فقلبنا النظر فيها فاذا بعضها ينعي المرحوم نجران باشا الذي مثل في زمانهِ دورًا عظيم الشان على مرسح السياسة المصرية . وبعضها ينشر كتابًا من ابرهيم بك الهلباوي المحامي يفصح فيهِ عما يجد في نفسهِ من السرور بالسفر مع عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس نظار مصر في باخرة واحدة لان سفرتهُ يسرت عليهِ محادثة عطوفتهِ والتمتع برقتهِ والاطلاع على آرائهِ القانونية والاجتماعية ويعترف في غضون ذلك بان كل ما كتبهُ وما قالهُ ايام ما كانوا يسمونهُ "بالنهضة المصرية" كان خطاء في خطاء واضغاث احلام صادرًا عن قلة التجربة والاختبار وعدم معرفة حقائق الامور . ويقول ان الجفاء الذي كان يشعر بهِ ايام تلك "النهضة" عند نظرهِ "الى شخص عرف بانهُ موالٍ للاحتلال — يعني بهِ مصطفى باشا فهمي — قد تبدل الآن بمحبة واحترام حيث دلت التجارب على ان مقاومة الاحتلال ان لم تجلب ضررًا فلا تفيد فائدة . دلتنا التجارب على ان البناء الذي كنا نسعى لتدعيمهِ والاستظلال بظلهِ قائم على اساس ضعيف" اهـ

هذه الاقوال خطها قلم ابرهيم بك الهلباوي ونشرتها جريدة المؤيد في هذه الايام كما خط قلمهُ المقالات التي عنوانها "الى اي طريقٍ نحن مسوقون" ونشرتها جريدة المؤيد حين "النهضة" في هاتيك الايام

وتصفحنا جرائد اخرى سميت منذ ايام النهضة "بالجرائد الاسلامية" تمييزًا لها عن سائر الجرائد المصرية فالفينا فيها طعنًا صارعًا في الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ووصف سخط الرأي العام لما فعل بفضيلة السيد احمد عبد الخالق السادات ووصف سقوطهِ عند الجمهور

وانحطاط منزلة جريدته عند قرائها الى غير ذلك مما يشعر بان اصحاب " الجرائد الاسلامية " مصممون على اسقاط المؤيد وصرع صاحبهِ ومحق ثقة الجمهور بهِ في هذه الايام كما رفعوا منزلتهُ عند القراء واحلّوهُ محل الثقة منهم تارة باقلامهم واقوالهم وطوراً بافعالهم واموالهم ايام " النهضة "

اخبار طوتها الايام

فقراءة ما تقدم من الاسماء والاقوال هاجت اعماق النفس منا كما كانت الريح تهيج لجج البحر امام اعيننا واعادت الينا ذكرى حوادث مضت ورسوماً بقيت على لوح الذاكرة بعد ان طوت الايام اصحابها وعفت المنون آثارهم فتذكرنا ليلة من ليالي اكتوبر سنة ١٨٩٢ كنا قد انتهينا فيها من عناء يوم كثير الاشغال والهموم وجلسنا على شرفة المنزل في القاهرة نلتمس الراحة بالانفراد والسكون واذا جرس الباب يقرع فلما فتح الخادم دخل صديق تحت جنح الغسق وطلب مقابلتنا في الحال وكان رحمهُ الله من الاصدقاء الذين اشتد الوداد بيننا وبينهم فأدخلهُ الخادم الينا بلا امهال وكانت لوائح القلق والاهتمام تلوح على وجههِ . فما لبث ان جلس حتى كاشفنا بسرهِ فقال علمت من فلان وفلان — وكلاهما ثقة عندكم في صحة الاخبار — اننا مشرفون على انقلاب واضطراب واختلاط واختباط فان الجناب العالي مصمم على امر جلل وفعل خطير سيكون من بعدهِ صراع شديد ونزاع كثير وقد عزم ان يجعل فاتحة تصميمهِ اسقاط الوزارة الفهمية واستبدال عطوفة مصطفى فهمي باشا رئيس النظارة بسعادة تجران باشا ناظر الخارجية فان تجران باشا حاز المكانة العظمى عند سموهِ منذ كان سموهُ يطوف الوجه البحري في سياحتهِ النيلية وادرك المنزلة العليا في ثقتهِ لانهُ اقنعهُ ان نفوذ الاحتلال يعلو في مصر ويتعاظم حتى فاق كل نفوذ سواهُ فيخشى على المصالح الخديوية والمصالح الوطنية ان تضيع بالاستسلام الى المحتلين ومطاوعتهم على مرادهم ولذلك يجب ان يعارضوا على يد وزارة وطنية قوية تناقشهم حساب كل كبيرة وصغيرة وتوقفهم عند حدهم بقوة الاتحاد وشدة المعارضة والجري على خطة مخالفة لخطة الوزارة الفهمية . قال صديقنا رحمهُ الله وانتم تعلمون ان سمو الامير جلس على الاريكة الخديوية منذ عهد غير بعيد آتياً من مدرسة الطريزيانوم في النمسا حيث كان يلقن المعارف والعلوم مع شبان مثلهِ احداث في السن فلم يختبر الرجال ولا عرف بعد متاعب الملك ومصاعب الحكم فاعجبتهُ اقوال الذين زينوا لهُ الاستقلال والنهي وسهلوا عليهِ التخلص من الاحتلال ووعدوهُ ان ينيلوهُ ماتمنى بما يبدون من العزم والحزم في معارضة المحتلين فوثق سموهُ بهم وصمم على عزل مصطفى باشا فهمي وتقليد تجران باشا منصب رئاسة النظارة في اول فرصة

وكان صديقنا يورد في غضون كلامهِ حوادث مطابقة لاخبار كنا سمعناها و يشرح اموراً كانت قد اتصلت بنا ولكن خفي علينا مغزاها فما اتمَّ كلامهُ حتى ايقنا بصحة خبرهِ ونشرنا في الغد خبراً وجيزاً في المقطم ذكرنا فيهِ العزم على اسقاط الوزارة الفهمية صريحاً ولمحنا الى تقليد نجران باشا رئاسة النظارة وسائر ما تقدم من الكلام تلميحاً

فما ظهر هذا الخبر حتى ذاع ذلك السرُّ المكتوم وتحدَّث بهِ القريبون والبعيدون ووردت المسائل على ادارة المقطم تترى كما هو المعتاد في كل خبر يهيج الجمهور. واتفق ان عطوفة مصطفى باشا فهمي كان حينئذٍ في طريقهِ عائداً من مصيفهِ في اوربا فلما رست بهِ الباخرة في ميناء الاسكندرية كان بين الذين ذهبوا للقائهِ جماعة يحملون اعداد المقطم الحاوية الخبر فما انتهوا من السلام عليهِ حتى سألوهُ عن صحة الخبر فأجابهم انهُ لم يسمع ذلك الاَّ منهم وان خبر المقطم ربما كان طمعاً لصيد بعض الطامعين بالوزارة لا اقلَّ ولا اكثر. ثم جاء العاصمة وقال للمرحوم البارون مالورتي مدير المطبوعات حينئذٍ أُرى ان المقطم قد نشر خبراً عارياً عن الصحة هاج بهِ الخواطر فيحسن تكذيبهُ . فكتب الينا البارون مالورتي كتاباً بهذا المعنى ووصل الساعي بالكتاب ونحن نهمُّ بالركوب لبعض المقابلات . فتناولنا الكتاب ومررنا بالبارون في طريقنا فقابلنا بالعتب الشديد على نشرنا خبراً لا يضرُّ ولا يفيد قبل ان تتحقق صحتهُ وقال اننا لو سألناهُ عنهُ قبل نشرهِ لاخبرنا انهُ من الاشاعات الباطلة البعيدة عن الصحة واطال رحمهُ الله في العتاب بما دلنا على انهُ لم يكن يعلم شيئاً مما كان جارياً في تلك الايام وطلب منا تكذيب الخبر في الختام

فتبسمنا وقلنا انك توافقنا يا جناب البارون على ان الجرائد انشئت لنشر الاخبار الصادقة لا لتكذيبها ولا لاخفاء الحقائق عن قرائها حتى لا يعلموا بوقوع خلاف بين اعضاء الوزارة او بعزم الامير على اسقاط الوزارة واقامة أُخرى مقامها

فقاطعنا في الكلام قائلاً اني اؤَكد لكم ان الخبر غير صحيح ولولا ذلك لم اطلب تكذيبهُ

فاجبناهُ ونحن نؤَكد لك ان الخبر صحيح ولولا ذلك لم ننشرهُ اذ لم نقدم على نشرهِ ونحن جاهلون عواقب نشرهِ . فقال اذاً قصدكم ان لا تكذبوهُ

قلنا هذا هو قصدنا ولو ساء عطوفة رئيس النظار ذلك منا لان عطوفتهُ يكون اول مستخف بنا اذا رآنا نكذّب خبراً اليوم ثم نعود فنثبت صدقهُ غداً . فقال ولكن الجرائد الاخرى تكذبهُ

قلنا افعل ما بدا لك وودعناهُ وانصرفنا والظاهر ان اجوبتنا اثنتهُ عن عزمهِ ولو لم تثننا

اقواله عن عزمنا فانا لما فرغنا من مقابلاتنا وعدنا الى ادارة المقطم وجدنا منهُ كتاباً ثانياً يسألنا فيهِ ان نقابل رئيس النظار . فاستقبلنا عطوفتهُ عشيّة ذلك النهار بوجه باسر خلافاً لما اشتهر عنهُ من مقابلة زائريهِ بوجهٍ بشوش وكلمنا كلاماً يقطر العتب بل الغضب منهُ زاعماً اننا قصدنا القاء الشقاق والنفور بين الاخوان المتفقين قضاء لمآرب بعض الطامعين واننا لم نزل متعمدين ذلك لامتناعنا عن تكذيب خبر ليس فيهِ من الصحة اثر

فساءنا ذلك الجفاء ممن لم نكن نسمع منهُ الاّ كل كلمة طيبة قبل هذه الحادثة ولم نرَ منهُ بعدها غير ما يسبي من اللطف والدعة ودماثة الاخلاق ولين الجانب على طول معرفتنا بهِ وكثرة محادثتنا لهُ . ولكنا كظمنا الغيظ واجبناهُ بالايجاز قائلين اننا لم نقصد من نشر الخبر الاّ القيام بواجب الصحافة ولو لم نكن مقتنعين بصحتهِ لما تأخرنا عن تكذيبهِ . ومع ذلك فقد نشر الخبر وقضي الامر فما على عطوفتهِ الاّ الصبر فان كان كاذباً كذبتهُ الايام وان كان صحيحاً قبل عطوفتهُ عذرنا والسلام . ثم استأذنا وانصرفنا ونحن نتأفف من صناعة ان صدق صاحبها فيها سوَّد وجههُ وان لم يصدق اتعب ضميرهُ واغضب ربهُ

وبعد زمان غير طويل اخذ المستور في الظهور ووقع الجذب والدفع بين ولاة الامور على غير علم من الجمهور . ثم مرض مصطفى باشا مرضاً ثقيلاً في اواخر سنة ١٨٩٢ حتى لم يرجُ كثيرون لهُ الشفاء فأراد الجناب العالي تعيين المرحوم نجران باشا رئيساً لنظارهِ وابى جناب اللورد كرومر ذلك وكان من جراء ذلك ما كان مما لا يزال محفوظاً في الاذهان . وقامت الجرائد المصرية حينئذٍ على مصطفى باشا قومةً واحدة فلم تترك ذمّاً ولا لوماً ولا هجواً ولا هجراً الاّ رمتهُ بهِ وكان اقل طعن تطعن عليهِ بهِ قولها الخائن المائن العاصي مولاهُ الناكث عهود وطنهِ . وكانت جريدتا الاهرام والمؤيد حينئذٍ في طليعة الجرائد العربية الحاملة عليهِ والجرائد الاخرى تحذو حذوها وتردّد صدى اقوالها ولكن خالفها المقطم وثبت في وجه الاحزاب الرافعة رايات "النهضة" وظلَّ ينادي على رؤوس الاشهاد ان سياسة مصطفى باشا والافراد الذين يعدون على الاصابع لقلتهم من المجاهرين برأيهِ هي سياسة الحكمة والرشاد النافعة للامة والبلاد واما سياسة العداوة والمقاومة فعواقبها غير نافعة ولا مأمونة بل ربما كانت وخيمة

وليس من غرضنا ايراد ما كان من الصراع والقراع في ساحات الحروب التي اشتبكت فيها اقلام الادباء والكتّاب في هاتيك الايام وانما نقول ان ابرهيم بك الهلباوي كان من الذين جالوا جولات عظيمة فيها وصالوا وطالوا وتحاملوا وتطاولوا تحت راية "النهضة" . ومن الاقوال السائرة عند الاوربيين ان التاريخ يعيد نفسهُ . وقد صحَّ هذا القول في صاحب المؤيد فان

من يتذكر الاقوال التي كان يطعن بها على مصطفى باشا فهمي وحزبهِ ايام " النهضة " ويقرأ الاقوال التي تطعن بها عليهِ الجرائد الاسلامية بسبب قضيتهِ مع السادات في هذه الايام يقول ان تلك الجرائد انما ترد اليهِ اقوالهُ وتكيل لهُ بالكيل الذي كان يكيل بهِ لغيرهِ . فليعتبر بذلك اصحاب الصحف الحديثة اليوم فرب اقوال يقولونها وصحفهم قليلة التأثير وضيعة الشان يجرعون سمها الزؤام بعد ما يعظم شأنها على مر الزمان

وبعد ما سقطت الوزارة الفهمية وعقبتها الوزارة الرياضية الاخيرة في ابان الانقلاب والاضطراب وهيجان البلاد صعد عطوفة مصطفى باشا فهمي في النيل وسافر الدكتور ملتن معهُ ليمرضهُ و يعتني بهِ حتى يسترجع عافيتهُ ولما عاد الى العاصمة وصار قادراً على مقابلة الزائرين عدناهُ في جملة الزائرين القليلين فصافحنا شديداً وذكر الخبر وما جرى بيننا بسببهِ وقال اصبتم في ما نشرتم وفي ما فعلتم ولا تستغربوا شدة انكاري لخبركم فسليم النية لا يظن في الناس الاَّ سلامة النية

سياسة نجران باشا

قلنا ان المرحوم نجران باشا لم يقلد رئاسة النظار ولكنهُ بقي مدة خدمتهِ في الحكومة قوَّة محركة وحركة فعَّالة لهُ الكلمة النافذة والمكانة السامية عند الحضرة الفخيمة الخديوية حتى كانت احزاب " النهضة " تعدهُ اليد المديرة في الوزارة الرياضة الاخيرة . وشاع يوماً ان الحكومة المصرية ساعية في انقاص جيش الاحتلال او في ارجاعهِ عن هذه الديار وان نظارة الخارجية المصرية تفاوض نظارة الخارجية البريطانية رأساً في ذلك فزرنا المرحوم نجران باشا اول زيارة في منزلهِ وسألناهُ عن تلك الاشاعة فأجابنا بابداء الدهشة والاستغراب وافضى بنا ذلك الى حديث طويل تحققنا فيهِ بالخبر ما كنا نسمعهُ بالخبرَ عن حريتهِ في مجاهرتهِ بضميرهِ والتصريح برأيهِ وعن ذكائهِ وسرعة خاطرهِ وتسرعهِ في الامور وحدتهِ والاقدام على الاشياء قبل تقديرهِ موضع قدمهِ وعاقبة خطوتهِ . واعجبنا منهُ ما كان يبدو عليهِ من العظمة والهيبة التي يقال انهُ ورثها عن ملوك الارمن اجدادهِ من جهة ابيهِ كما ورث حرية الضمير عن اجدادهِ الانكليز من جهة امهِ

ومن جملة الاقوال التي قالها لنا حينئذٍ في الدفاع عن سياستهِ وتخطئة السياسة التي يشير بها المقطم . اني انا وابي من قبلي صرنا مصريين ومصر صارت وطننا فلا نعرف لنا وطناً غيرها. وخديوي مصر امراؤنا واولياء نعمتنا . فحسن الوفاء والولاء يوجب عليَّ خدمة وطني والانتصار لاميري ومعارضة الاجنبي الطامع بأخذ وطني والحلول محل اميري فاذا قرت في معارضتهِ

فقد نلت المرام وان اخفقت فحسبي اني فعلت الواجب عليَّ وما افلحت . واما انتم فتشدون ازر الاجنبي على الوطني وتبغون انالة المحتلين حقوق الخديويين فسياستي ممدوحة ولو اخفقت فيها وسياستكم غير ممدوحة ولو فزتم فيها

فقلنا لهُ ليس الامر كذلك يا سعادة الباشا بل كلٌّ منا يغني على ليلاه ويخطئ من يتوهم منا ان غايتهُ اشرف من غاية سواه فكن على يقين ان ما نقصده من الخير لاميرك ووطنك نقصده نحن مثلك وما غيرتك عليهما باشد من غيرة غيرك ولكن الفرق بينك وبين غيرك هو في السياسة المؤدية الى ذلك فسعادتك تُنزل الى ساحة الصراع قويًّا وضعيفًا اولهما الاجنبي وثانيهما الوطني ثم تطلب ان يكونا خصمين متعاديين وتفرض ان مصالحهما متناقضة طبعًا مع انها متفقة في اكثر الامور اتفاقًا لا يكاد يكون لهُ مثيل بين مصالح فريقين متشاركين او متخالفين . وتحرّض بعد ذلك الوطني الضعيف على مبارزة الاجنبي القوي وتغري من لا سلاح معهُ بمهاجمة الممتنع في حصنهِ المدجج بسلاحهِ ثم تقول ان فاز الضعيف فقد نلنا المرام وان قهر وذلَّ فقد فعلنا الواجب علينا والسلام . ونحن نقول ان ذلك ليس من الصواب بل حسن السياسة يوجب على الضعيف الابتعاد عن التحرش بالقوي واجتناب كل امر يؤدي الى وقوع التنافر بينهما وتوخي كل واسطة توثق عرى الاتفاق والاتحاد بينهما . والقوي ليس هنا خصمًا للضعيف بل انهُ نصير لهُ يسالمهُ قولاً وفعلاً ويصون مصالحهُ ظاهرًا وباطنًا لان مصالح الضعيف مطابقة لمصالحهِ . فالواجب الذي لا يجوز للعقلاء ان يختلفوا فيهِ هو ان ينصحوا للضعيف دائمًا بمسالمة القوي والسعي في الانتفاع بقوتهِ وعلمهِ ومساعدتهِ واتخاذهِ صديقًا لا عدوًّا والاَّ كان الضعيف معهُ كالساعي الى حتفهِ بظلفهِ ونال القوي مرادهُ منهُ رغم انفهِ

فهزَّ تجران باشا رأسهُ اشارة الى عدم الموافقة على رأينا ولسان حالهِ يقول "ان سياستكم هذه كلها كلام" . وادمنا النظر الى عينيهِ هنيهة ثم حوّلنا الطرف عنهُ ولسان حالنا يقول "وسياستكم خطاءٌ تظهرهُ الايام" واستأذنا وانصرفنا وكان ذلك آخر حديث بيننا

ثم مضت الايام والاعوام وتجران باشا يتوارى عن عيون الجمهور ويبعد عن مراكز ادارة القطر ومحافل السياسة عامًا فعامًا حتى نسيتهُ الجرائد وسكتت عن ذكرهِ الالسنة بعد ان بقي موضوع حديث الصحف والمجالس الخصوصية والعمومية زمانًا ولم يعد الجمهور يسمع عنهُ غير اخبار الذهاب والاياب في السفر او خبر ايلام وليمة او الدعوة الى وليمة وما اشبه . وقد رأى احزابهُ تنحلُّ وتضمحلُّ في غضون ذلك وجمع الزعماء والعقلاء فيها يعترفون بان سياسة مصطفى باشا فهمي كانت سياسة الصواب وان عطوفتهُ رأى بعين عقلهِ وبعد نظرهِ في الامور ما لم

يروه هم الاَّ بعد مضي بضعة عشر عاماً في الاختبار والاطلاع على سير الاحوال · ووافتهُ منيتهُ فانتقل الى رحمة ربهِ بعد ما كتب ابرهيم بك الملباوي قائلاً بلسانهم في جريدة المؤيد ان النفور الذي كانوا يشعرون بهِ من مصطفى باشا فهمي لانهُ اول شخص موالٍ للاحتلال قد تبدل بمحبة واحترام وان البناء الذي كانوا يسعون في تشييدهِ وتأييدهِ والاستظلال بظلهِ قائم على اساس ضعيف

ولما تأملنا هذا التغير في رأي الجمهور ونحن نتتبع ادوار تغيرهِ بسرور حانت منا التفاتة الى البحر فاذا موجة خضراء قد تعالت وتعاظمت حتى طفت على ما حولها ثم انقلبت وصدمت صخراً امامها فتنفست عليهِ وهي ترغي وتزبد وتطاير زبدها في الجو حتى اختفى الصخر عنا ولم يبقَ غير مائها وزبدها امام اعيننا · ولكن لم يكن الاَّ كلمح القبس حتى ارتدَّ ذلك الماء الى جوف البحر وغاب في لجهِ وانحسر عن الصخر فبان الصخر ثابتاً راسخاً في موضعهِ · فقلنا ما اشبه امر هذه الموجة بما يجري في تاريخ البشر من الحوادث والعبر فتراانا نجتمع ونفترق ونختلف ونتفق ونهيج ونجيش ثم نسكن ونغيب في لجج بحر الدهر ولا يبقى الاَّ الحق والصواب ثابتين كالصخر

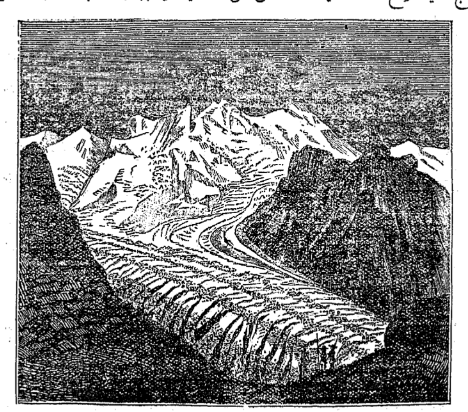
التصعيد في الجبال

اذا وضعتَ عصاً على اخمص طفل عمرهُ بضعة ايام انقبضت اصابع قدمهِ عليها كأنهُ يحاول مسكها · وقد يسهل رفع الطفل عن الارض بانقباض اصابع قدميهِ على العصا وتعلقهِ بها · ويقول البعض ان ذلك دليل على ان اسلاف الانسان الاولين كانوا يستعملون اقدامهم في اعتراش الاشجار كما يستعملون اياديهم وكما تستعمل القرود اياديها واقدامها . وسواء صحَّ هذا القول او لم يصح فالميل الى اعتراش الاشجار والتصعيد في الجبال غريزي في الانسان يظهر في صغارهِ ويرتاح اليهِ كبارهُ ويقدم عليهِ غير مبالٍ بما قد يؤدي اليهِ من المخاطر

يخطر على بالنا الآن ما فعلناهُ في سن الصبا فنستغرب إقدامنا عليهِ لولا هذا الخلق الفطري · وقفنا ذات يوم تجاه جبل صنين اعلى جبال لبنان فرأيناهُ شامخاً يناطح السحاب وكنا عند سفحهِ على مقربة من نبعهِ وقيل لنا ان الطريق الى قنتهِ بعيد طويل وانهُ قد يمكن الصعود اليها في خط مستقيم مواجهةً · فشرعنا نصعد ولا مرشد لنا ولا دليل ولا شيء يقينا من التدهور الاَّ اغصان البربريس الشائكة نتشبث بها في بعض الاحيان · وجانب الجبل هناك مفروش بفتات الصخور لا تثبت فيهِ قدم وتحتنا هوَّة زاد عمقها بارتفاعنا حتى صار الوفاً من الاقدام ومع ذلك

لم نبالِ بالخطر ولم ننفكّ عن التصعيد الى ان بلغنا القنة العليا · فاسترحنا هنيهة ثم عدنا أدراجنا وكنا نجلس على فتات الصخور فتنهار بنامئة قدم او اكثر الى ان يتجمّع كثير منها تحت اقدامنا ويقف عن الانهيار ثم نكرر ذلك فبلغنا سفح الجبل في دقائق ولا يفعل هذا من يقدّر العواقب ·

ويظهر هذا الميل على اشدهِ في الذين يصعّدون في جبال الالب وهي مغطاة بالثلج والجليد · والثلج اذا تراكم بعضهُ فوق بعض وضغط اعلاهُ على اسفلهِ وكان ذلك على سفح جبل زحل على ذلك السفح زحلاً كأنهُ نهر بطيء الجريان فينحر جوانب الجبل بسيرهِ كما تنحرها انهر الماء فتتخلخل الصخور منها وتتدهور عليهِ ولذلك ترى الحجارة منتشرة على جانبيهِ · واذا بلغ شرفًا او بقعة منخفضة تشقّق فظهرت فيهِ شقوق عميقة كالاودية كما ترى في هذا الرسم وقد رسم فيهِ نهر من انهر الجليد والحجارة منهارة على جانبيهِ والشقوق بادية فيهِ · والمصعدون في الجبال قد يمشون على هذه الانهار فتقع الصخور عليهم وتسحق رؤوسهم او يقعون في الشقوق فيدفنون في الثلج احياء ومع ذلك لا ينفكّ الناس عن التصعيد في جبال الالب سنة بعد أخرى



وقد وقفنا الآن على مقالتين موضوعهما التصعيد في جبال الالب للسيدة اوبري له بلند شرحت فيهما بعض ما يلاقيهِ المصعدون من المشاق وهي من اخبر الناس في هذا الموضوع

ومن اكثرهم تصعيدًا في الجبال فاقتطفنا منهما مايلي

. قالت الكاتبة ان التصعيد في الجبال احب الملاهي لانهُ اشدها خطرًا فهو كصيد الاسود وركب السوابق لذتهُ في مخاطرهِ

ويظهر مما يحدث سنويًا للمصعدين في جبال الالب ان التصعيد فيها لايخلو من الخطر ولكن الذين يؤخذون فيهِ اما انهم اغفلوا الحذر الواجب او لم يسترشدوا بالادلة الأكفاء ومع ذلك اذا نفذ القدر بطل الحذر

حدث منذ عهد قريب ان شابًا انكليزيًا صعد في جبال الالب الى اعلى مكان امكنهُ الوصول اليهِ وعاد راجعًا وكان معهُ دليلان ماهران احدهما امامهُ والآخر وراءهُ فوقع صخر كبير على رأس الدليل المتقدم فقتلهُ حالاً ودفعهُ الى هوَّة عميقة وكان الثلاثة ممسكين بحبل واحد فوقع الشاب والدليل الثاني فوق الدليل الاول نحو تلك الهوة ورأى الدليل الثاني شقًا كبيرًا في الجليد قبل الوصول الى حافة الهوة وعلم انهُ ان استطاع ان يعلق بهِ فقد ينجو هو والشاب من الوقوع في الهوَّة وكانت السقطة قد رضَّضت مفاصلهُ ولكنها لم تذهب برشدهِ فتمكن من النزول في الشق هو ورفيقهُ المقتول والشاب الذي معهما ونهض للحال وانهض الشاب واخرج الرمل من فيهِ وصعد بهِ من الشق قبل ان يقع عليهما حجر يصرعهما لان الحجارة كانت تنهال من جانب الجبل تباعًا بسبب اشتداد الحر حينئذٍ وذوبان الجليد الممسك لها . وكان صعودهُ من الشق على تلك الصورة وليس معهُ شيء يتعلق بهِ من الخوارق حتى ولو لم يكن جسمهُ مترضضًا . وظلاَّ يصعدان تسلقًا وتشبثًا الى ان بلغا مكانًا امينًا . وبقيا اسابيع كثيرة قبل ان شفيا من سقطتهما . وأُخرجت جثة رفيقهما من الشق في اليوم التالي بعد عناء شديد

هذا الشق نجي اثنين من الهلاك والشقوق في الغالب مهالك يهلك فيها المصعدون في الجبال كما حدث منذ عامين فان رجلين فرنسويين ودليليهما ضلُّوا الطريق في ليلة شديدة العواصف وكانوا في ابرد بقعة من جبال الالب فباتوا يمشون ذهابًا وايابًا لكي لا يهرأهم البرد لكنهُ هرأ الفرنسويين وبقي الدليلان حيين الى الصباح فنزلا عن الجبل وقد مزقت العواصف ثيابهما وجمد الدم والثلج على وجهيهما ولقيا في نزولهما جماعة من المصعدين فاخبراها عن موت رفيقيهما بردًا في اعلى الجبل فاضاعت الجماعة رشدها واسرعت نحو ذينك المنكودي الحظ لعلها تجد فيهما رمقًا وكان الواجب عليها ان تترك الميت وتهتم بالحي فظلَّ الدليلان نازلين على ما بهما من الضعف . وبعد ساعة من الزمان كان في الوادي رجل بيدهِ نظارة ينظر فيها

الى الجبل فرأى رجلاً وقع في شق من شقوق الجليد وهو احد الدليلين وللحال قام جماعة من اهل النخوة وصعدوا لتخليصهِ فوجدوا ان رفيقهُ وقع معهُ ايضاً واحدهما قتل والآخر لا يزال حيًّا فانقذوهُ بعد عناء شديد . والجماعة الاولى وجدت جثتي الفرنسويين على عشرين متراً فقط من الطريق المطروق ولم تجد فيهما رمقاً فاضافت جبال الالب ثلاثة في ذلك اليوم الى عدد قتلاها . والغالب ان الذين يهرأهم البرد او يقعون في المهالك توجد جثثهم حالاً ولكن قد لا توجد ابداً وقد توجد بعد زمن طويل . مثال ذلك ان رجلاً انكليزيًّا اسمهُ هنري اركريت صعد الجبل الابيض (منت بلانك) ومعهُ دليل وحاملان لحمل امتعتهِ وصعد معهُ صاحب الفندق ورفيق لهُ واختاروا طريقاً مختصراً لان الوقت كان في اكتوبر والنهار قصير الاَّ ان ذلك الطريق كان كثير المخاطر يتجنبهُ المصعدون غالباً . فلما وصلوا الى مكان يكثر سقوط دحاريج الثلج فيهِ سقط عليهم دحروج كبير جدًّا فجرف اركريت ورفاقهُ الثلاثة واما صاحب الفندق ورفيقهُ فتمكنا بعصويهما ولم يجرفا ولكن انقطع الحبل الواصل بينهما . ولما تنقى الهواء من قطع الثلج النازلة مع الدحروج نظرا حواليهما فلم يجدا اثراً لاركريت ودليلهِ والحاملين اللذين معهُ ولكنهما رأيا الدحروج الذي جرفهما قد انبسط في مكان مطمئن تحتهما فنزلا اليهِ وبقيا ساعتين يفتشان فيهِ فوجدا جثة احد الحاملين فقط واضطرا ان يعودا الى الفندق فوجدا اخت اركريت هناك جالسة تصوّر وقد صعدت مع اخيها في اليوم السابق ونزلا سالمين . فدخل صاحب الفندق ليخبرها بما حدث لكن أرتج عليهِ ولم يستطع الكلام فنظرت اليهِ وقالت اخي اخي ماذا جرى لهُ فقال لها تشجعي . فجثت على ركبتيها وطلبت المعونة من الله ثم قالت هات اخبرني بما توقع فاخبرها . واخذ المفتشون يفتشون عن جثث القتلى وظلوا عشرة ايام فلم يجدوا جثة اركريت واشتدت الانواء والعواصف فمنعتهم عن التفتيش . وبعد احدى وثلاثين سنة وجدت جثة هذا الرجل في سفح الجبل سار بها نهر الجليد رويداً رويداً الى ان بلغت الى هناك وعرفت مما وجد معها من امتعتهِ كازرار قميصهِ ونقود كانت في جيبهِ وقلم رصاص من الذهب ووجد منديلهُ ايضاً وعليهِ حروف مقتطعة من اسمهِ والفرقة التي هو منها لانهُ كان يوزباشيًّا في الجيش الانكليزي

ويحمل الذين يصعدون في جبال الثلج معولاً يحفرون بهِ حفراً في الثلج تقف اقدامهم فيها لان سطح الثلج يكون في الغالب صقيلاً تزلق الاقدام عليهِ ولاسيما اذا كان مائلاً . وقد يزلق الدليل ويقع المعول من يدهِ فيتدهور ويدهور تابعيهِ معهُ . وكثيراً ما يقف على جرف من الثلج فينهار الجرف او ينكسر بهِ فان الثلج قد يتصلَّب في بعض الاماكن وينهار

ما تحتهُ رويداً رويداً فيبقى بارزاً من جانب الجبل كالافريز يقف المصعدون عليهِ ولا يحسبون انهُ بارز في الهواء لا شيءَ تحتهُ يسندهُ · حدث منذ بضع سنوات ان سائحاً كان يصعد في جبال الالب هو وامرأة اخيهِ ودليلان اسم احدهما هنسن واسم الآخر خرستيان والاربعة مرتبطون بحبل واحد · واتفق ان الرجل وامرأة اخيهِ والدليل خرستيان تقدموا ووقفوا على افريز من افاريز الثلج فسقط تحت اقدامهم ووقعوا على سطح صقيل من الثلج مائل جداً لا تثبت القدم عليهِ وكان لا بدَّ من تدهورهم كلهم الى اسفل الوادي الذي تحتهم وعمقهُ لا يقلُّ عن الفي قدم الاَّ ان الدليل الثاني الذي كان واقفاً وراءهم وثب حالاً الى الجانب الآخر من حرف الثلج فصار قادراً على حفظهم من الوقوع في الوادي اذا كان الحبل الذي ارتبطوا بهِ متيناً يحمل الثلاثة ولا يقطعهُ حرف الثلج وسقط المعول من يد الدليل الاول وقتما وقع الافريز بهِ لكن معول السائح بقي في يدهِ فلم يبقَ سبيل لنجاتهم الاَّ ان يرمي بهِ الى الدليل فيلتقطهُ ويحفر بهِ حفراً في الثلج تقف بها اقدامهم والاَّ فلا بدَّ من سقوطهم في الهاوية التي تحتهم حالما ينقطع الحبل بهم · وفعل الرجل ذلك فرمى بمعولهِ الى الدليل الاول فتلقَّاهُ هذا وجعل يحفر بهِ حفراً صغيرة في الثلج تثبت فيها الاقدام فصعد الثلاثة عليها ونجوا

وكثيراً ما يصاب المصعدون بدوار مثل دوار البحر فيسقطون عن الشواهق · حدث سنة ١٨٩٨ ان رجلاً اسمهُ نارودا مشهوراً بتصعيد الجبال صعد مع زوجتهِ وصديق لهُ في قنة صعبة جداً وكان قد بلغها ست نوبات قبل ذلك اما في هذه النوبة فكان منحرف الصحة فلم يكد يبلغ اعلاها حتى صرخ اني وقعت · ووقع على ظهرهِ وتدهور مئة قدم وكان رفيقهُ واقفاً تحتهُ فامسك بالحبل جيداً فشدَّ الحبل على ذراعهِ وقطع اصابعهُ واطلَّ الرجل وزوجة نارودا عليهِ فوجداهُ معلقاً بالحبل بيد واحدة وتحتهُ هوَّة عميقة جداً · وبعد عناء شديد وصلا اليهِ ووضعاهُ على سطح مستوٍ من الجليد وكان لا يزال في دوارهِ ولم يكن معهم طعام ولا شراب · وكانت الساعة الثانية بعد الظهر فجعل رفيقهُ وزوجتهُ يصرخان ويناديان وظلاَّ ثلاث ساعات الى ان سمع البعض صوتهما واقبلوا لمساعدتهما ولم يتمكنوا من انزالهِ عن الجبل الاَّ في الصباح التالي وبات الليل كلهُ يهذي ولما بلغوا بهِ سفح الجبل اسلم الروح . . .

وفي الصيف الماضي صعد ثلاثة الى هذه القنة ولم يشأ دليل من الادلة ان يصعد معهم لصعوبة البلوغ اليها لكنهم بلغوها سالمين وبينما هم آخذون في النزول فاجأتهم زوبعة من الثلج إضطرتهم ان يبيتوا هناك · وحاولوا النزول في اليوم التالي فلم يستطيعوا لكثرة الثلج فباتوا هناك ايضاً ولا غطاء معهم ولا شيء يقيهم ذلك البرد القارس ووجدهم البعض حينئذٍ وانقذوهم سالمين

وذكرت الكاتبة نوادر أُخرى من هذا القبيل وقالت في الختام ان التصعيد في جبال الثلج لا يكون محفوفاً بالمخاطر دائماً بل قد يكون كلهُ بهجةً وحبوراً ولذلك يتعشقهُ الناس ولا ينفكون عنهُ

باب الزراعة

محصول القطن ومستقبلهُ

ان غلة القطن من الولايات المتحدة والهند ومصر تبلغ نحو سبعين مليون قنطار فيكون القطن المصري اقل من عشرها · والقطن الاميركاني وحدهُ نحو ٥٥ مليون قنطار والقطن الهندي نحو عشرة ملايين قنطار والقطن المصري من ستة الى سبعة ملايين قنطار

ويرد الى البلاد الانكليزية كل سنة من ١٨ الى ٢٠ مليون قنطار وقد كان الوارد في العام الماضي نحو ١٨ مليون قنطار فقط وهي ١٣ مليون ونصف من القطن الاميركاني ونحو ثلاثة ملايين من القطن المصري ونحو مليون من القطن الهندي ونصف مليون من سائر الاقطان · وكان الوارد سنة ١٨٩٨ نحو ٢١ مليون قنطار ثمانية عشر منها من القطن الاميركاني ونحو مليونين وثلاثة ارباع من القطن المصري ونحو ربع مليون من القطن الهندي

فاذا تمكَّن الاميركيون من العمل بما ينوون العمل بهِ وهو ان يكثروا معامل القطن في بلادهم حتى يغزلوا وينسجوا كل قطنهم فالقطن المصري كلهُ وضعفاهُ لا تفي بحاجة المعامل الانكليزية · واذا استطاعت المعامل الانكليزية ان تشتغل دواماً كما اشتغلت سنة ١٨٩٨ مثلاً وتجد اسواقاً لمنسوجاتها ومغزولاتها كلها لم تكتفِ باقل من عشرين مليون قنطار اي باكثر من ثلاثة اضعاف محصول القطر المصري

اما ازدياد معامل القطن في اميركا حتى تصير تغزل وتنسج كل القطن الاميركاني فامر قريب الوقوع لان هذه المعامل زادت ثمانية اضعاف منذ عشرين سنة الى الآن ولا يمنعها من الازدياد بسرعة ايضاً الاَّ كون الاسواق التجارية لم تفتح كلها حتى الآن للبضائع الاميركانية كما هي مفتوحة لغيرها او كون التجار الاميركيين لم يصلوا اليها حتى الآن او لم يروّجوا بضائعهم فيها ولكنهم سيفعلون ذلك بعد زمن غير طويل · ولذلك يهتم الانكليز الآن اشد الاهتمام

باكتشاف الاماكن التي يسهل زرع القطن فيها لكي يستغنوا بها عن القطن الاميركاني. وقد قال الاستاذ وندهام بنستن في تقرير رفعهُ حديثاً الى مجلس التجارة في البلاد الانكليزية ونشر في الكتاب الازرق انهُ يُرجح ان تزيد زراعة القطن في الهند ولا سيما في برما اذا بقي سعرهُ مرتفعاً كما هو الان ولكن اكثر القطن الذي ينبت في الهند الآن قصير الشعر لا يصلح للمعامل الانكليزية وانهُ لا يُحتمل ان تتسع زراعة القطن كثيرًا في القطر المصري لان الاراضي الصالحة لهُ قد زرعت كلها تقريباً. وفي هذا القول الاخير نظر لانهُ لا يزال في الوجه البحري نحو نصف مليون فدان من الاراضي التي تصلح لزرع القطن. والاراضي التي يزرع القطن في ثلثها فقط الآن يمكن ان يزرع في نصفها اذا توفرت المياه واعتمد الزراعون على السماد الكيماوي حيث لا يوجد السباخ البلدي فيصير محصول القطن في الوجه البحري فقط سبعة ملايين او ثمانية ملايين قنطار. ومتى تمت الاعمال اللازمة للري الصيفي في الوجه القبلي ايضاً فلا يبعد ان يصير محصول القطن المصري عشرة ملايين قنطار او نحو نصف ما يلزم للمعامل الانكليزية هذا اذا لم يرسل القطن المصري الى سائر معامل اوربا. لكن لا شبهة في ان معامل اوربا واميركا تأخذ نصفهُ على الاقل كل سنة فلا يبقى للمعامل الانكليزية غير خمسة ملايين قنطار او نحو ربع ما يلزم لها. وعليهِ فسيبقى القطن المصري رائجاً جدًّا ولو زاد محصولهُ على عشرة ملايين قنطار

وقد عدد الاستاذ بنستن الاماكن التي جُرّب فيها زرع القطن المصري والقطن الاميركاني في افريقية وجزائر الهند الغربية وجزائر بحر الروم وبلاد الهند ويظهر لنا مما ذكرهُ عنها كلها انهُ مهما بُذل من العناية لزرع القطن فيها لا يُنتظر ان يبلغ محصولهُ نصف محصول القطن المصري

فجزيرة قبرص مثلاً كان يصدر منها ١٨ الف قنطار في السنة وقت حرب اميركا ولا يصدر منها الآن سوى ثلاثة الاف قنطار فان كانت حرب اميركا لم تزد المحصول الا الى ١٨ الف قنطار فلا ينتظر ان يبلغ عشرة الآف قنطار الآن مهما كانت الوسائل وهو محصول ابعدية واحدة في القطر المصري

وجزيرة مالطة زرع فيها ٦٩٩ فداناً سنة ١٩٠٢ بلغ محصولها ٣٣٤٢ قنطارًا ولكن لا يعلم ما هو نوعهُ ولا ما هي مساحة الاراضي التي يمكن زرع القطن فيها. ثم ان الاراضي التي تصلح لزرع القطن في جزائر بحر الروم وفيها ماء كافٍ لريهِ وقت انحباس المطر تصلح ايضاً لزرع التبغ مثلاً وغلة فدان التبغ تساوي عشرة اضعاف غلة فدان القطن.

السودان — يقال ان الاراضي الصالحة لزرع القطن في السودان واسعة جدًّا ولكن

ما الفائدة من اتساع الاراضي وفدان القطن يحتاج الى رجل واحد على الاقل للقيام بخدمتهِ من حرث وزرع وخفّ وعزق وري وجمع او الى خمسة انفس من السكان · ففي القطر المصري يزرع القطن في نحو مليون وثلثمئة الف فدان وعدد السكان الذين يقومون بزراعتها كباراً وصغاراً لا يقل عن ستة ملايين نفس · وعدد السكان في بلاد السودان حيث توجد الاراضي الصالحة لزرع القطن لا يزيد على مليون نفس فاذا عملوا كلهم في زرع القطن على نسبة ما يعمل السكان في الوجه البحري من القطر المصري لم يستطيعوا ان يزرعوا اكثر من مئتي الف فدان . وفي مديرية البحيرة وحدها من القطر المصري اكثر من مئتي الف فدان تصلح لزرع القطن اذا باعتها الحكومة للاهالي وانتها بالماء الكافي · ولا ندري كيف يهتم ولاة الامور بزرع القطن في السودان وعندهم مئات الالوف من الافدنة في القطر المصري وعلى ساعات قليلة من الاسكندرية الى حيث ينقل القطن ولا يكلف نقلهُ ربع ما يكلفهُ نقلهُ لاصداره من السودان الى البحر . نعم انهُ يجب ان يرغب اهالي السودان في زراعة يستفيدون منها ولكن يجب ايضاً ان لا يبالغ في فائدة شيء اذا كانت المبالغة تصرف الناس عما لهم منهُ نفع كبير الى ما منهُ نفع قليل او غير محقق

الهند — بلغت مساحة الارض التي زرعت قطناً في العام الماضي في بلاد الهند نحو ١٧ مليون ونصف مليون وبلغ حاصل القطن منها نحو احد عشر مليون قنطار اي ان متوسط حاصل الفدان نحو ستين رطلاً من القطن الهندي الرخيص الثمن ولا ندري كيف يعيش الهنود الذين يزرعون هذا القطن او كيف يمكن ان تزاد زراعتهُ حيث لا تزيد غلة الفدان على ستين رطلاً · وما قيل عن الهند يقال عن اكثر البلدان التي يزرع فيها القطن الآن على قلة فان اتساع زراعتهِ فيها امر بعيد لقلة حاصلهِ وكثرة النفقات اللازمة لزرعهِ وعزقهِ وجمعهِ

قطن السودان

نرى لحكومة السودان اهتماماً شديداً بزرع القطن وهي تحسن صنعاً لان البلاد لا تعمر ولا تفلح ما لم يحصل منها شيء يمكنها اصداره واخذ ثمنهِ نقوداً والقطن من اسهل الحاصلات الزراعية اصداراً وهو من اغلاها ثمناً فلا يذهب اكثر ثمنهِ اجرةً لشحنهِ كما لو كان رخيصاً كالقمح والذرة . واذا استطاع مليون نفس من اهالي السودان ان يشتغلوا بزراعة القطن ويزرعوا مئتي الف فدان قطناً وبلغ محصولها مليون قنطار وبيع القنطار في ارضهِ بمئة وخمسين غرشاً بلغ دخل السودان من هذا الصنف مليوناً ونصفاً من الجنيهات

وقد وقفنا الآن على ما كتبهُ مدير التجارب الزراعية في شندي عن زراعة القطن هناك

ومفاده انهُ زرع القطن المصري هناك ورواه اخورية في شهر فبراير الماضي فبلغ محصول الفدان المزروع من القطن العباسي ١٢٠٠ رطل والمزروع من القطن العفيفي نحو ٨٠٠ رطل والمزروع من التيوفتش ٧٠٠ رطل اي نحو ثلاثة قناطير وثلاثة ارباع القنطار من الاول وقنطارين ونصف من الثاني ونحو قنطارين وربع من الثالث (القنطار ٣١٥ رطلاً)

ولم تنتج نتائج حسنة من زرع القطن في الشتاء لان نموهُ توقف تماماً في شهري دسمبر ويناير . والقطن الذي زُرع في اكتوبر لم يظهر الطرح فيهِ حتى شهر ابريل ولكن نموهُ جيد وينتظر ان يبلغ محصول الفدان منهُ اربعة قناطير اذا امكن ريهُ مدة شهرين آخرين او ثلاثة . واذا قابلنا ما يزرع في الصيف بما يزرع في الشتاء وجدنا المزية لما يزرع في الصيف في شهر يوليو

ويزرع القطن في ابي حراز في الطمي المتخلف من فيضان البحر الابيض ولا يروى بعد ذلك ومحصولهُ قليل جدًّا ولكن نوعهُ ليس ادنى من انواع القطن السوداني

ويزرع القطن في طوكر في الارض التي يرويها خور بركة و يبلغ حاصل الفدان نحو ٦٠٠ رطل من القطن غير المحلوج تباع بنحو ٣٤٠ غرشاً

ويزرع القطن في مديرية بربر في السنين التي يكون فيها الفيضان عالياً . وقطن السودان يحتمل القيظ الشديد ولا يعلم هل يحتمل القطن المصري القيظ مثلهُ لو زرع هناك . والعادة ان يزرع القطن مع الذرة الشامية والذرة تظلل نبات القطن وتقيهِ ومتى بلغت ونزعت يروى القطن ويترك فلا يميتهُ القيظ والمظنون انهُ يمكن ايجاد نوع متوسط بين القطن المصري والقطن السوداني بالتلقيح فتجود شعرتهُ ويبقى يحتمل القيظ كالقطن السوداني والطريقة الفضلى لزرع القطن في السودان ان يزرع في شهر يونيو او يوليو في حوّش تصل اليها المياه من الترع فيروى من الترع الى شهر اكتوبر . ثم يروى قليلاً في فصل الشتاء . وينتظر ان يبلغ محصول الفدان حينئذٍ اربعة قناطير الى خمسة . والارض التي تزرع قطناً هذه السنة تترك سنتين تروى فيهما ري الحياض فقط وتزرع قمحاً وقطاني

وكتب بعضهم عن زرع القطن على نهر رهد بين القضارف والقلاَّبات فقال انهُ رأى القطن مزروعاً في ٧٦٢ فداناً في القلاَّبات وان ثمن قنطار القطن غير المحلوج هناك ٣٤ غرشاً و يشتريهِ الاحباش ولكنهم لا يشترون ما فيهِ اقل صفرة فيكون ثمن القنطار المصري (٣١٥ رطلاً) نحو مئة غرش

وكيف التفتنا الى تقارير الذين جالوا في بلاد السودان نجد انهم متفقون على ان الارض تصلح لزرع القطن ولكن قلة الناس مانعة من ذلك . اما السكان فسيزيد عددهم مع الزمان

واما الارض فكونها صالحة للزراعة لا يفيد ان القطن يجود فيها ويكون نوعهُ جيدًا لان جودة القطن تتوقف على امور كثيرة غير جودة الارض . ثم ان غلاء اجرة النقل سيبقى مانعًا كبيرًا في سبيل زرع القطن في تلك الانحاء

موسم اميركا

بلغ موسم القطن الاميركي الذي انتهى في الشهر الماضي عشرة ملايين ونحو ١١ الف بالة فهو اصغر موسم منذ سنة ١٩٠٠ . وقد اخذت معامل اميركا ٤٠ في المئة منهُ ومعامل انكلترا ٣٦ في المئة ومعامل فرنسا ٧ في المئة وسائر اوربا ٢٧ في المئة . وقد كانت معامل اميركا تستعمل مليونين و ٥٠٠ الف بالة فقط منذ عشر سنوات فصارت تستعمل الآن اربعة ملايين بالة او اكثر . ويقال ان المقطوعية من القطن تزيد زيادة طبيعية بزيادة السكان تبلغ نحو مليوني قنطار كل سنة فاذا استمرَّت الحال على هذا المنوال عشر سنوات أُخرى احتاج الناس الى عشرين مليون قنطار فوق ما يستعملونهُ الآن فتصير المقطوعية كلها ونحو ٩٠ مليون قنطار وهي الآن نحو ٧٠ مليون قنطار

قطن فلسطين

كتب قنصل الانكليز في القدس ان الناس ابطلوا زراعة القطن بعد انتهاء الحرب الاميركية مع انهُ كان يزرع قبل ذلك في كل بلاد الساحل من غزَّة الى صور في ارض طولها مئة ميل وعرضها من خمسة اميال الى عشرين ميلاً وعندهُ انهُ يمكن اقناع الاهالي بالعود الى زرعهِ وقد بلغ الصادر من فلسطين قبل الحرب الاميركية عشرين الف بالة في السنة وهو ابيض قصير الشعر ادنى من القطن المصري . انتهى

وقد رأينا القطن المزروع في اكثر بلاد الساحل حتى بلاد صافيتا وهو صغير اللوز قليل الحمل يعيش بعلاً وبعيد عن الظن ان يكثر الناس من زرعهِ الاَّ اذا ارتفع سعر القطن كثيرًا كما ارتفع وقت الحرب الاميركية

فائدة في زراعة القصب

ثبت للدكتور كوبوس بعد التجارب في زراعة القصب ما يأتي

اولاً ان مقدار السكر في قصب السكر يختلف كثيرًا وهو على اكثرهِ في العيدان الغليظة التي مرَّ عليها سنون كثيرة وهي تغرس غرسًا

ثانيًا ان مقدار السكر يزيد ايضًا بازدياد وزن القصب

ثالثاً اذا اختيرت العقل من القصب الثقيل الكثير السكّر كانت العيدان النابتة منها كثيرة السكّر ايضاً

رابعاً ان القصب المنتقى كذلك يسلم اكثر من غيرهِ من المرض المعروف بمرض السره

التوت ودود الحرير

رفع حضرة الوجيه الخواجه خطار ثابت الى جناب المستر متشل انس وكيل المالية التقرير التالي عن زراعة التوت وتربية دود الحرير في ارض بسنديله بعد ما جرب ذلك نحو ثماني سنوات

" استلمت الارض في بدء سنة ١٨٩٧ وكان منها قسم كبير مستملحاً ولما كان شجر التوت لا يعيش في الارض السبخة رأيت من الواجب قبل كل شيء ان اهتم بتحليتها فاعددتها لزراعة الارز ولكن المزارعين الذين اتخذتهم لهذه الغاية لم يتمكنوا من القيام بخدمتها اذ ليس للارض الأساقيتان لا يمكن ان تقوما بريها كلها فاقتصروا على زراعة الارز في قسم منها وهو القسم الذي غرس شجراً في السنة التالية سنة ٩٨ وكان هذا القسم جيد التربة من الاصل واما الارض السبخة فلم ينلها نصيب من زراعة الارز في تلك السنة وقد صادفت في مزاولة تحليتها صعوبات شديدة في السنين التالية لان المياه الصيفية التي لا تحلو التربة الأ بها كانت قليلة جداً في تلك السنوات فكان من ذلك اننا لم نتمكن من زراعة الارز في الارض السبخة ولا من ري الارض المغروسة ريًّا منتظماً فنشأ عن هذه الحالة القاهرة ان الوفا من الشجر المغروس حديثاً مات عطشاً وقد تحققت الحكومة من ذلك فاضافت سنتين على ميعاد التجربة المقرر في العقد الاصلي حتى اصبحت سنوهُ اثنتي عشرة بدلاً من عشر واخيراً تمَّ الغرس في الميعاد المتفق عليهِ

اما نمو الشجر فهو جيد جدًّا في الارض التي كانت تربتها حلوة من الاصل وهو كذلك جيد في الارض التي توفقنا الى تحليتها تماماً ولكنهُ لا يزال في الارض قسم تتخللهُ عروق سبخة مما يجعل شجرهُ بطيء النمو ونحن باذلون كل الاهتمام في سبيل تحليتهِ حتى يساوي باقي الارض والمأمول ان نصل الى هذه الغاية في وقت قريب بما نبذلهُ من الجهد والعناية . على ان نجاح شجر التوت في القطر المصري امر ثابت بالعيان لا يحتاج الى برهان لان التوت موجود في كل الجهات وهو بالغ فيها من النمو مبلغاً يقصر عنهُ كل التوت في كل جهات اوربا وسوريا، فالامر الذي يهم الكلام فيهِ بالنظر الى مسألة نجاح المشروع هو امر تربية الحرير وها نحن آتون على بيان نتيجة عملنا فيهِ

في ربيع سنة ١٩٠١ ربينا ثلاثين جراماً من بزر دود الحرير تجربة جديدة بعد التجارب المكرَّرة التي كنا اجريناها في سنوات مختلفة قبل الاتفاق الذي عقدتهُ معنا الحكومة فكانت التربية داخل قاعة من قاعات السكن لا في خص" (الخص عشة من بوص وحصير) فكان محصولها خمساً وثلاثين اقة من شرانق الحرير وهو محصول متوسط بالنسبة الى محصول اوربا وسوريا وبموجبهِ يكون محصول الفدان الذي استوفى شجرهُ حقهُ من النمو ٢٣٣ اقة (على اعتبار ان وزن ورقهِ ٦١٦٠ كيلو كناية عن ٨٠ حملاً) ومتوسط ثمن الاقة ١٧ غرشاً فتكون قيمة محصول الفدان ٣٩٦١ غرشاً يستنزل ربعهُ في المصاريف فيكون الصافي ٢٩٧٠ غرشاً

وفي سنة ١٩٠٢ كان التوت المغروس في سنة ٩٨ وسنة ٩٩ قد نما نموًّا يأذن بتربية الدود للاستغلال لا للتجربة فقط فربينا خمساً واربعين علبة بزر تحوي العلبة منها خمسة وعشرين جراماً فكان محصولها ٨٧٤ اقة من الشرانق بيع قسم منها في مصر وقسم آخر في الزقازيق والباقي نسجناهُ اقمشة لحسابنا الخاص . ثم في سنة ١٩٠٣ ربينا ٦٠ علبة فكان محصولها ١٢٥٦ اقة ومحصول هاتين السنتين كان اقل من محصول سنة التجربة باعتبار نسبتهِ الى كمية البزر واهمّ سبب في ذلك النقص هو ان الانفار الذين استحضرناهم من برّ الشام لتربية الدود لم يكن عددهم كافياً لتربية تلك الكمية الكبيرة والمصريون الذين يعملون تحت مناظرتهم ومناظرتنا كانوا على جهل تام بامر دود الحرير وتربيتهِ فكان سوء الخدمة مؤثرًا على نتيجة المحصول ومع ذلك فتلك النتيجة تجعل محصول الفدان البالغ توتهُ النمو الكامل على متوسط محصول السنتين ٣٤٥١ غرشاً صاغاً يستنزل ربعها في مقابل المصاريف فيكون صافي ربعهِ ٢٣٨٩ غرشاً صاغاً

واما في السنة الحالية فاننا قد ربينا خمسة وسبعين علبة اي الفاً وثمانمائة وخمسة وسبعين جراماً من البذر فكان محصولها ٢٠٦٤ اقة وهو محصول جيد جدًّا والسبب في زيادة نجاحهِ عن السنتين السابقتين هو ان الانفار المصريين الذين كانوا يخدمون الدود كانوا قد اكتسبوا شيئاً من الخبرة في خدمتهم للدود في الموسمين السابقين فجاء عملهم في هذه السنة اوفى واقرب الى المرغوب . وقد بعنا محصول هذا الموسم بسعر ١٧ غرشاً الاقة فكان مجموع ثمنهِ ٣٥٠٨٨ غرشاً

وثمة للفائدة يجب عليّ ان اضيف الى هذه البيانات ان ورق التوت الذي استخدم في تربية هذا الموسم الاخير انما هو الناتج من محصول اربعين فداناً فقط وهي التي مرّ على غرس شجرها اربع سنوات فاكثر واما باقي الشجر فانهُ بالنظر الى حداثة عهدهِ ينتج حتى الآن كمية قليلة من الورق ليس لها شأن يذكر والاربعون فداناً المشار اليها لا تزال الآن في مقتبل صباها وسيزيد محصولها من الورق مع زيادة نموها سنة فسنة الى ان يبلغ اربعة اضعاف ما هو

عليهِ الآن او أكثر

هذا ويسرني ان اخبر سعادتكم بان كثيرين من الاهالي قد رغبوا في زرع شجر التوت في اراضيهم بعد ان رأوا باعينهم سير المشروع فكان مجموع ما بعتهُ من الاشجار حتى الآن ٣١٣٦٤ ولو امكنني تلبية كل الطلبات لزاد عدد المبيع عن ذلك كثيرًا ولكن الفسائل التي كنت احضرها في كل سنة كان يموت قسم كبير من شجرها عطشًا في زمن المناوبات. وكنت احتاج سنويًا الى بضعة آلاف من الاشجار فالباقي لم يكن يكفي لاجابة كل الطلبات وعندي من الآن طلبات للسنة القادمة ما يزيد على عشرة آلاف شجرة . نعم ان معظم التوت الذي بعتهُ انما اشتراهُ الاهالي لاجل غرسهِ على اطراف اراضيهم ومجاري المياه والطرقات وجوانب المساكن والمساقي الاَّ انهُ في الحقيقة لا يرجى منهم الآن اكثر من ذلك لانهم لا يزالون جاهلين كيفية تربية الدود ونتائجهِ الحقيقية فلا يطلب منهم التوسع في زراعتهِ الى حد ان يشغلوا بهِ اراضيهم التي يستغلون منها القطن ولكن اذا كبر الشجر الذي غرسوهُ في حواشي تلك الاراضي وجربوا تربية الدود عليهِ اما بواسطة عملة من السوريين المقيمين بين ظهرانيهم او بواسطة بعض الفلاحين المصريين الذين يكونون قد تعلموا هذه التربية فانهم عند ما يرون ارباحهُ يتدرجون شيئًا فشيئًا الى غرسهِ في اراضٍ يخصصونها لهُ على النمط الذي يشاهدونهُ عندنا في الاراضي المخصصة للمشروع . واني اعتقد ان ارتفاع اسعار القطن في هذه السنوات الاخيرة كان سببًا لحصر كل اهتمام ارباب الزراعة في زراعة القطن نفسهِ. وهم الآن معذورون في ذلك اذ ليس من الحكمة وحسن التدبير ان يعدل المصري اليوم عن زراعة القطن التي تضاعفت ارباحها الى زراعة لم يختبرها و يعطل ربع ارضهِ ثلاث سنوات قبل ان ينال من محصول الزراعة الجديدة شيئًا يستحق الذكر ولكن اذا رجعت اسعار القطن يومًا الى حالتها القديمة (ونسأل الله ان لا ترجع) فحينئذٍ ينتظر انتشار زراعة التوت في القطر المصري الانتشار الذي يجعل وادي النيل مصدرًا من مصادر الحرير المهمة في العالم

على انهُ بالرغم عن ارتفاع اسعار المحصولات المصرية في الاوقات الحاضرة فانهُ لا يزال في ارض مصر متسع لزراعة شجر التوت وتربية دود الحرير وذلك في الاراضي الرملية التي لا تصلح للقطن ولا تنجح فيها الحبوب لان شجر التوت يعيش فيها وينمو نموًّا يكفل الحصول على ايراد يعادل في كل سنة قيمة ثمن الارض نفسها ولذلك اقول انهُ وان دامت الاسعار الحالية على ما هي عليهِ بل لو زادت ارتفاعًا فان زراعة التوت لاجل تربية دود الحرير ستنتشر متى تحقق الاهلون فوائدها وعلموا بحقيقة ارباحها وهذا لا يتأتى الاَّ متى كثر عدد الفلاحين الذين

يزاولون تربية الدود لان استغلال الحرير من شجر التوت اقرب في الحقيقة الى الصناعة منهُ الى الزراعة والفلاح في الوقت الحاضر لا يشتغل بالطبع في تربية الدود الأ لحساب غيرهِ كما هي الحالة عندنا في بسنديلة فاذا تعلم امكن ان ينقل هذه الصناعة الى حيث ينتقل. وقد اتفق لنا اننا في سنة ١٩٠٢ استغنينا عن جانب من الدود الذي كنا نربيهِ بسبب قلة الورق فطرحناهُ في جهة من الغيط فالتقطتهُ امرأة كانت اشتغلت عندنا في خدمة الدود في السنة السابقة وربتهُ على توت موجود في بلدتها المجاورة لعزبتنا فنجح واشترينا ما نتج عندها من الشرانق

. وبالاختصار اقول في ختام هذا التقرير ان نجاح المشروع اصبح امرًا محققًا لاريب فيهِ وان اقبال الاهالي على شراء شجر التوت لغرسهِ في اراضيهم هو اول خطوة في سبيل انتشار هذه الزراعة المفيدة"

بسنديله في ٢٧ اغسطس سنة ١٩٠٤ — خطار ثابت

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ماهية الروح

جناب منشئي المقتطف الاغر

رأيت في الجزء التاسع من مجلتكم الغراء (شهر سبتمبر سنة ١٩٠٤) على الصحيفة ٨٢٥ سؤالاً من حضرة الفاضل الاديب بدران افندي احمد بالمنيا « عن ماهية الروح وما الذي يشابههُ » فالذي عنَّ لي

ان الروح ليس شيئًا يقوم بذاتهِ وانما هو نتيجة تركيب الجسم الحيواني الذي يتألف من موادَ واخلاط على نسب مقدورة واوعية واجهزةٍ مخصوصة فمتى تم التركيب هذا على الصورة التي احكم الله صنعها نتج الروح عنهُ فاذا عرض لهذا التركيب فساد فانهُ يعدم الروح

فمثل الروح كمثل الكهرباء التي تنتج من تركيب البطارية (الجهاز) ومعلوم ان الجهاز كثير التنوع فمنهُ ما يتألف من احماض ومنهُ ما هو من معادن الى غير ذلك مما ليس بخافٍ ولكن اراني في حاجة الى ايراد نوع منها — كنت عرفتهُ — استيفاء للعبارة فاقول لكي نحصل على كهربائية نركب جهازًا على الوجه الآتي

نأخذ كأسًا او وعاء من الزجاج او الخزف نضع في اسفلهِ قرصًا من النحاس مربوطًا من جانبهِ بشريط نحاسي ليكون طرفًا في نهاية الوعاء ثم نضع في هذا الوعاء على قرص النحاس جانبًا من سولفات النحاس (التوتية الزرقاء) حتى نصف الوعاء ثم نضع فوقهُ جانبًا من نشارة الخشب حتى يتم امتلاء الوعاء الاَّ قليلاً ثم نأتي بقرص من الزنك (المعدن المعلوم) يكون ثقيلاً ونضعهُ على النشارة مربوطًا من طرفهِ بشريط من المعدن نفسهِ ثم يتعهد هذا الوعاء بقليل من الماء كي يصل هذا الماء الى آخر الوعاء فيبلل النشارة والتوتية فمتى تخمَّر هذا التركيب إقبض باحدى يديك على طرف الشريط النحاسي وبالاخرى على الشريط الزنكي فمتى قبضت على هذا النحو شعرت بشيء هو الكهرباء

الفساد فقدان الكهرباء . اذا انقطع اي شريط من الشريطين او جفَّ الماء في الوعاء او نفدت فاعلية التوتية بمضي الزمن او حال حائل بين اتصال اي شيء من هذه المركبات الى غير ذلك فسدت الكهرباء فلا تعود تشعر بشيء اذا لمست الشريطين

ومعلوم انهُ اذا لم يحصل هذا التأليف المشتمل عليهِ التركيب لم تنتج الكهرباء اصلاً فاذا لمست النحاس بذاتهِ او التوتية بذاتها او الزنك او النشارة فلست بشاعرٍ شيئًا

فالخلاصة ان الكهرباء نتيجة التركيب وانهُ اذا عرض فساد لهُ لا تنتج معهُ الكهرباء

هكذا الروح نتيجة من تألف التركيب الجسماني فاذا فسد شيءٌ من مركباتهِ فقدت الروح لانهُ نتيجة ذلك التركيب فقد يكون الجسم الحيواني ملقىً امامك دون ان يفقد شيئًا من صورتهِ لانهُ فاقد الروح بفساد شيء مما اشتمل عليهِ من التركيب كما قد يكون الوعاء امامك على صورة مركبةٍ ولكن لا كهرباء فيهِ عند ما فسد شيءٌ من مركباتهِ ومن ثم قلت في ماهية الروح

وما الروح في الاجسام شيءٌ بذاتهِ يكون لهُ بعد الجسوم بقاء
ولكن من التركيب كان نتيجة تمثلها في وصفها الكهرباء

« فسبحان الذي بيدهِ ملكوتُ كل شيء وهو على كل شيء قدير »

والسؤَال حيث ان الامر ما تقدَّم فهل لعلماء اوربا ان يبحثوا في طريقة لحفظ هذا الروح اللطيف في جسمهِ بايجادهم اسبابًا لا يعرض معها فساد لذلك التركيب او على الاقل

يبقى الروح وقتاً اطول مما هو فان الامر كما قلتُ واقول فيهِ

لعمرك ما تلك الحياة رخيصة ٌ فصنها فما بعد الحياة حياةُ

محمد نور

المحامي

[المقتطف] ان الرأي الذي ابداهُ حضرة الكاتب الفاضل هو رأي الماديين · والعلم الطبيعي يميل اليهِ لاسيما بعد ان ظهر لهُ الآن ما يدلُّ على ان المواد كلها ظواهر من ظواهر الكهربائية اي ان الموجود حقيقة هو الكهربائية لاغير ومنها تتألف صور المواد على اختلافها فالرجل دقائق كهربائية مجموعة على صورة مخصوصة · والكتاب دقائق كهربائية اخرى مجموعة على صورة اخرى وهلمَّ جرًّا· وقد كانت خطبة الوزير بلفور رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني هذا العام في هذا الموضوع وربما عرَّبناها في الجزء التالي

فسخ الخطبة

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

كثر لغط الجرائد الانكليزية في امر الخطبة والزواج وواجبات الخطيبين الواحد نحو الآخر على اثر فسخ الخطبة بين احد الموظفين الانكليز في الحكومة المصرية وابنة محافظ لندن وقد عثرت في احدى الجرائد الانكليزية على مقالة عنوانها " الزواج او عدمهُ " فرأيت ان اعرّبها لما حوتهُ من الفوائد الجمة · قالت الجريدة

" لو فرضنا ان رجلاً تحقق قبل زواجهِ بيومين ان خطيبتهُ لا تحبهُ او شعر من نفسهِ انهُ لا يحبها او رأى ان مهرها اقلُّ مما كان يؤمل · فماذا يفعل حينئذٍ

ولو فرضنا انهُ قرَّر فسخ الخطبة أَيبلغ الجرائد قرارهُ او يترك الامر لخطيبتهِ لتعلن هي فسخ الخطبة صونًا لاسمها وشرفها · فقد جاءتنا رسائل تترى في هذا الموضوع ذهب الكتاب في بعضها انهُ يجب فسخ الخطبة والغاء الزواج حتى الساعة الاخيرة اذا ظهر ان الخطيبين ليسا متلائمين وانهُ يجب ان يترك فسخ الخطبة للخطيبة لتكون البادئة بهِ حفظاً لكرامتها · فان ذلك خير للخطيبين وأبقى · فكم من فتاة تحقق قبيل الزواج انها قبلت من لا يصلح لها ولا تصلح لهُ

فتساق الى حفلة الاكليل شهيدة الاعتقاد انهُ ليس من الشرف ان تنقض الخطبة بعد ابرامها. ولكن أليس كسر عرى الخطبة اشرف من كسر القلوب "

هذا ما قالتهُ الجريدة وقد ذيلت مقالها باقوال بعض مراسليها وهاك بعضها . قال مراسل بامضاء " القانون والنظام " انهُ لو كان الفتيات يرافعن الشبان الذين يخطبونهنَّ ثم يفسخون الخطبة لقلت حوادث فسخ الخطبة قبيل الزواج

وقال آخر معها قلنا في ذم الشاب الذي يعلن فسخ خطبتهِ على رؤوس الاشهاد قبيل الزواج لم نكن مبالغين في ذلك . فان عرى الخطبة تكاد تكون مثل عرى الزواج متانة في بعض البلدان فحبذا لو جرى مثل ذلك في انكلترا . ويجب ان تعقد الخطبة بموجب عقد قانوني شرعي وتعامل مثل سائر العقود في نظر القانون

وكتبت امرأة بامضاء "جدة" تقول كثيرًا ما نسمع بنقض عهود الخطبة هذه الايام ولا عجب في ذلك ولا غرابة ما دام الشبان لا يعتدون بالخطبة ولا يكترثون لها . وذلك لان بنت هذا الزمان لا يهولها تبدل خمسة او ستة من الخطباء عليها قبل زواجها . فيفقد الشبان ثقتهم بالبنات ولا يعدون نقض عهود الخطبة جرماً كبيرًا ولو كان ذلك في ساعة الاكليل . ولما كان ذلك كذلك فلا عجب اذا فقد الزواج كثيرًا من رونقهِ وبهائهِ . انتهى

هذا راي الجريدة الانكليزية وهذه آراء مكاتبيها فهلاَّ اتحفنا كتابنا بآرائهم في هذه المسألة ولهم الفضل والمنة فانها من المسائل التي تشغل العقول والاذهان وتتكرر من آن الى آن فينشأ عن تكرارها ضغائن واحقاد في الصدور ويمسي الزواج بها مضغة في الافواه وفضلة يستغنى عنها بدلاً من ان يكون ركناً من اعظم اركان العمران . ورجساً ينفر الناس منهُ بدلاً من ان يكون فرضاً مقدساً يحرصون على ادائهِ . ويبيت الحبُّ الذي هو اساس الزواج في كل ملة ونحلة ادنى الرذائل لا اسمى الفضائل كما هو في الحقيقة

(طالب)

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الضعف والقوة والسمن والنحافة

طرابلس الشام · خليل افندي نحاس · نرى رجلاً نحيف الجسم لكنهُ قويٌّ وآخر سميناً لكنهُ ضعيف فلماذا هذا الاختلاف في بنيتيهما وقوتيهما · وهل يمكن ان يصير السمين نحيفاً والنحيف سميناً وما هي التدابير اللازمة لذلك

ج ان الميل الى النحافة والسمن والقوة والضعف وراثي واكتسابي اما الوراثي فيكون اذا كان احد الوالدين سميناً او نحيفاً او قويّاً او ضعيفاً او كانا كلاهما كذلك · ولكن كون الوالدين سمينين لا يقضي ان يسمن اولادهما او ان يميلوا الى السمن لانهم قد لا يرثون ذلك الميل منهما او قد يقاومونهُ في الاستعمال . وما يقال عن الميل الوراثي الى السمن يقال عن الميل الوراثي الى النحافة والى القوة او الضعف · والنحافة تكتسب بقلة الاكل وقلة النوم وكثرة الشغل العقلي وكثرة الرياضة البدنية · وافعل هذه الاسباب كلها قلة الاكل · والسمن يكتسب بكثرة الاكل وكثرة النوم وقلة الشغل العقلي وقلة الرياضة البدنية · وافعل هذه الاسباب كلها كثرة الاكل · والقوة تكتسب بكثرة الرياضة البدنية · والضعف بقلتها · وقد يأكل الانسان كثيراً ولا يسمن لانهُ لا يهضم اكلهُ اما لقلة مضغهِ او لضعف معدتهِ او لضعف التمثيل في جسمهِ هذا اذا استعمل بقية الوسائل التي تعين على السمن

(٢) تقدم اليابانيين وتأخر الروس

ومنهُ · مرَّ الشهر السادس على الحرب في الشرق الاقصى واليابان لا تزال تتقدَّم الى الامام وقد اوشكت ان تحتل منشوريا باسرها وتطرد الروس منها · وكلٌّ يعلم ان الروس لم يفوزوا بمعركة مطلقاً فما هو سبب ذلك مع ما هو مشهور من بأسهم وشدتهم . واذا قيل ان ذلك يعزى الى قلتهم ووفرة اعدائهم افلا يسوغ لنا ان نقول ان المدافع يقدر ان يقف في وجه خمسة من المهاجمين

ج لا خلاف في ان السبب الاكبر لفوز اليابانيين كثرة عددهم وعُدَدهم فانهم

اكثر عدداً من الروس واكثر منهم مَدافع وقد كانوا كذلك في كل المواقع . ولا يصحُّ قولكم ان المُدافع يقدر ان يقف في وجه خمسة مهاجمين الاَّ اذا كان المُدافع داخل ابراج وحصون كما في بورت آرثر واما في المواقع التي لا تحميها الاسوار والحصون المنيعة فحال المهاجم اصلح من حال المدافع لان المهاجم يستطيع ان يختار الاوقات التي يهاجم فيها والجهات التي يهاجم منها فيجمع قوة عظيمة على هذا الموقع حتى يفوز بهِ ثم ينتقل الى موقع آخر وهلمَّ جرًّا ولذلك يهتمّ كلٌّ من المتحاربين في عرض البلاد ان يكون مهاجماً حالما توازي قوتهُ قوة خصمهِ. ولا عبرة بما يفعلهُ كلٌّ من الخصمين لتحصين موقعهِ حينئذٍ لانهُ لا يكون حصونًا منيعة بل عقبات في طريق المهاجم تصدّهُ قليلاً لكنها لا تمنع قنابل مدافعهِ ولا رصاص بنادقهِ

(٣) الاسطول الياباني والاسطول الروسي

ومنهُ . اتظنون ان ستقوم قائمة للروس في البحر بعد نكبتهم الاخيرة اذا اجهز اليابانيون على ما بقي من اسطول بورت آرثر .

ج ان اسطول البلطيك مثل اسطول اليابان قوة ان لم يكن اقوى منهُ فاذا استطاعت روسيا ان توصلهُ الى الشرق الاقصى وتوصل معهُ فحماً كافياً لهُ وحوضاً كبيرًا لاصلاحهِ فلا يبعد ان تقوى بهِ على اسطول اليابان

(٤) نهاية الحرب

ومنهُ . هل يستطيع الروس ان يجددوا الحرب بعد ان يخلوا منشوريا

ج نعم وهذه الحرب لا تنتهي باخلاء منشوريا بل بعجز احدى الدولتين عن مداومة الحرب ماليًّا او بتوسط دول اخرى ترى ان ما حدث للروس واليابان كافٍ لاضعافهما

---

(٥) ثديا الرجل

بيروت . عثمان افندي سنو . ما هي فائدة ثديي الرجل وهل لهما فائدة خصوصية او وجودهما اضطراري

ج لا فائدة منهما الآن ويحتمل انهما كانا في غابر الازمان كبيرين وكان الرجل يرضع اولادهُ كما ترضع المرأة اولادها ثم ابطل الرجل استعمالها لما تفرَّغ للحرب والاعمال الشاقة فضعفا رويدًا رويدًا الى ان صارا اثريين كما يحتمل انهما نموا وكبرا في المرأة فقط وبقيا في الرجل صغيرين لانهُ لم يستعملهما قط . والغالب انهما يتضخمان قليلاً في اول سن البلوغ وقد يدرَّان شيئًا من اللبن حينئذٍ ويسهل تفسير ذلك بالوراثة او بالعود الى الاصل

(٦) الوحام

ومنهُ . اصحيح ما يقال من ان المرأة تشتهي شيئًا في مدة وحامها من نوع المأكول او المنظور فيظهر لذلك اثر في المولود

ج كلاَّ ولكننا نظن انهُ يحدث من وقوع نظر الزوجين على شيء ما وتكرُّر ذلك مراراً كثيرة ان يظهر لصورة ذلك الشيء اثر في النسل وان هذا هو سبب تشكُّل بعض انواع الفراش بصور بعض الازهار التي تعيش بينها وسبب ترقُّط ابدان الحيوانات التي تقيم في الغابات حيث تظهر الاظلال مرقطة بما يتخللها من نور الشمس وسبب تلوُّن بعض الطيور بلون ما تعيش فيهِ من الارض كالحجل الذي يشبهُ لونهُ لون الارض تماماً . فاذا صحَّ هذا الظن وصدق على الانسان ايضاً عُلِّل بهِ رسوخ جمال الوجه في بعض الامم وصيرورتهُ فيها وراثيًّا بعد ان كان صناعيًّا كزجج الحواجب وكحل العينين ولمى الشفتين ولم نرَ لاحد كلاماً في هذا الموضوع ولا مكنتنا الفرص من استقراء البحث فيهِ حتى الآن

(٧) قدم الانسان

ومنهُ . يظهر لنا مما نطالعهُ في بعض المجلات العلمية ان علماء الطبيعة يقولون بوجود الانسان على هذه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين . فكيف عرفوا ذلك هل رأوهُ في تاريخ مكتتب او استنتجوهُ استنتاجاً . وما اقدم تاريخ مكتتب . او ما هي الادلة التي استدلوا منها على قدم الانسان

ج ان في علم الانبتان وعلم آثاره وعلم آثار الاحياء وعلم الفسيولوجيا الحيوانية وعلم الاجنة ادلة كثيرة على ان الانسان وجد على هذه البسيطة منذ الوف من السنين الاَّ اذا كان الخالق قد خالف في خلقهِ سنة سائر المخلوقات بخلقهِ دفعةً واحدةً كما هو الآن . فالآثار القديمة تدلُّ دلالة واضحة على ان الفرق بين اصناف الانسان الابيض والاسمر والاسود كان موجوداً منذ خمسة الاف سنة كما هو موجود الآن تماماً واذا كان الناس من اب واحد وام واحدة فلا يحدث ذلك الاَّ في الوف من السنين . والآثار تدل ايضاً على ان الناس اتصلوا الى تنظيم الممالك وبناء المدن واتقان الصناعات وسن الشرائع منذ ستة الآف سنة او اكثر . وهذه كلها من الامور التي لايتدرَّج اليها الناس الاَّ في الازمنة الطويلة . وقد وجدت آثار الانسان في كهوف الارض مع عظام بعض الحيوانات المنقرضة في اماكن لاتعيش فيها تلك الحيوانات الآن وتدلُّ الدلائل على انها انقرضت منها في العصر الجليدي الذي عمَّ اوربا وشمالي اسيا . ويستدل من بعض الدلائل الفلكية على ان هذا العصر كان آخر مرة منذ نحو عشرة الآف سنة فقد كان الانسان عائشاً هناك منذ اكثر من عشرة الآف سنة

ثم ان جنين الانسان يتشكل على صور شتى فيكون مثل اجنة الاسماك والطيور

والوحوش ويكون جسمهُ مغطى بالشعر الغزير قبلما يولد ويولد شبيهاً بجنين القرود ولا يفسر هذا التغيير تفسيرًا معقولاً الاَّ بان الجنين يمرُّ في تكوُّنهِ على الاطوار التي مرَّت عليها انواع الحيوان في ارتقائها . هذا عدا ما في جسم الانسان من الاعضاء الاثرية التي لافائدة منها الآن ولكنها تدلُّ دلالة واضحة على انها بقايا اعضاء مفيدة ضعفت بعدم الاستعمال مدة الوف من السنين كتندؤتي الرجل المشار اليها في سؤال سابق فهما مثل الزربن اللذين في السترة الافرنجية من الوراء ومثل الازرار التي على الكمين فانَّ هذه الازرار كلها لا فائدة منها الآن ولكن كان لها فائدة في غابر الزمن . فالزران اللذان الى الوراء كان ذيلا السترة يعلقان بهما لكي يظهر السيف الذي كان الناس يتقلدونهُ حينئذٍ والازرار التي على الاكمام وضعت عليها في ثياب الجنود اولاً وذلك لمنعهم من مسح انوفهم باكمامهم وتوسيخها بها

ولعلَّ التوراة اقدم تاريخ مكتوب كتابة . ومن الدروج المصرية ما هو اقدم منها ولكنهُ ليس تاريخاً . اما الآثار المصرية والبابلية المنقوشة نقشاً على الصخور والاجر فكثير منها أقدم من التوراة ويمتد تاريخ بعضها الى ستة الآف سنة قبل التاريخ المسيحي

---

(٨) الالهام والتعلم

دمشق . احد المشتركين . بماذا يهتدي الانسان الى معرفة الدين الحقيقي هل من الهام يأتيهِ او مما يتعلمهُ من والديهِ ومعلميهِ فان كان الاول فاي لوم عليهِ اذا نشأ على ضلال ولم ينعم عليهِ بالالهام وان كان الثاني فايُّ لوم عليهِ وقد تعلم ما تعلمهُ من والديهِ ومن الذين حواليهِ

ج قد يتعلم الانسان من والديهِ ومن الذين حواليهِ اموراً كثيرة يضرهُ الجري عليها ويقتبس عادات يضرهُ اتباعها كاهمال النظافة واهمال التدابير الصحية واكل المآكل الفاسدة فيضرُّ ولا يعذر بانهُ تعلم ذلك من والديهِ وجرى على خطتهم فانهُ أُعطي عقلاً يميز بهِ بين ما ينفعهُ وما يضرهُ فيتمسك بالاول ويبتعد عن الثاني واذا اعتمد الانسان على عقلهِ وعلى ارشاد العقلاء فالغالب انهُ يجد في كل دين ما يأمرهُ بالمعروف وينهاهُ عن المنكر مما لو عمل بهِ لوفى بالغرض الذي وُجد لاجلهِ



مقام الانسان في الخليقة

الف الدكتور وليس كتاباً موضوعهُ "مكان الانسان من الكون" ذكر فيهِ القضايا الآتية وهي

(١) ان عالم الكواكب والاجرام السموية مجموع مرتبط الاجزاء لهُ امتداد محدود

(٢) ان النظام الشمسي واقع في مجرى المجرَّة نحو اواسطها . وعليهِ فالارض في مركز عالم الاجرام السموية تقريباً

(٣) ان الكون مؤلف من نوع واحد من المادة في جميع اجزائهِ وهو خاضع لنواميس طبيعية وكيماوية واحدة

هذه قضايا قال انها ثابتة لاتقبل الشك واما القضايا التي رجحها فهي

(١) ليس بين سيارات النظام الشمسي سيار مسكون او يصلح للسكن الاَّ الارض

(٢) ليس في الكون شمس تتبعها سيارات مسكونة غير شمسنا

(٣) ان موقع الشمس المركزي ثابت لايتغير وقد يكون لازماً لوجود الحياة على الارض

وخلاصة ذلك كلهِ ان الانسان رأس المخلوقات العاقلة انما هو موجود في الارض دون غيرها من اجزاء الكون وان نوع الانسان غاية هذا الكون العظيم الواسع الاطراف الممتد الاكناف

والدكتور وليس من اشهر علماء الطبيعة وهو قسيم دارون في مذهب النشوء

تعاليم كنفوشيوس

كنفوشيوس فيلسوف الصين وحكيمها الكبير مضى عليهِ اكثر من الفي سنة ولاتزال تعاليمهُ محترمة في الصين كلها يجلها الصينيون ويخضعون لها خضوعهم لاعظم الشرائع والقوانين وهو مالم يسبق لهُ مثيل في تاريخ البشر لاسيما وان تعاليمهُ دنيوية محضة لاعلاقة لها بالدين . فانها تبحث في واجبات الناس بعضهم نحو بعض في هذه الحياة ولا تذكر شيئاً عن الله ولا عن الحياة بعد الموت . قيل سألهُ وزير من وزراء الدولة ما هي الحكمة فأجابهُ "ان الحكمة ان يقف كلُّ انسان نفسهُ على اتمام واجباتهِ نحو الناس ويحترم الارواح ان كان هناك ارواح ويبتعد عنها" وسألهُ تلميذ من تلامذتهِ عن عبادة الاسلاف فأجابهُ "ان كنت لاتستطيع ان

تخدم الناس فكيف تستطيع ان تخدم الارواح " وعاد هذا التلميذ فسأله عن حالة الانسان بعد الموت فأجابهُ " ان كنت لا تعلم ماهية الحياة فكيف تعلم ماهية الموت"

وقد جمع خلاصة تعاليمهِ في ثلاث كلمات وهي " لي . شو . تشنتز " ومعنى " لي " شريعة العمل الصالح الاولى والاخيرة وهي ان يعمل الانسان الواجب في الوقت الواجب والطريقة الواجبة وللسبب الواجب . وفسر كنفوشيوس نفسهُ معنى كلمة " شو " فقال هو " ان لا تفعل بالآخرين مالا تريد ان يفعلوا بك " ومعنى " تشنتز " الرجل الكامل والرجل الكامل لا يعمل عملاً دنيئاً في معاملتهِ للآخرين ولا يجلس في مجلس لا يستطيع ان يحافظ فيهِ على كرامتهِ . ولا يحتقر من دونهُ ولا يستجلب رضى من فوقهُ بوسائط دنيئة . وهو يصلح نفسهُ ولا يفتش عن عيوب الغير ولا يغتاظ من احد ولا يتذمر على الله ولا على الناس

مرض النوم

كتب الاستاذ راي لنكستر مقالة في مجلة كورنرلي الانكليزية جمع فيها خلاصة ما عُرف عن مرض النوم الى الآن فقال انهُ نشأ في بلاد الكونجو غربي افريقية فلم يكد يؤثر في الاهالي فلما انتقل الى اوغندا بات وباءً قتالاً وقد مات بهِ اكثر من مئة الف نفس في السنوات الاخيرة . ولم يكتشف لهُ علاج شافٍ حتى الآن ولا عرف ان احداً من الذين اصيبوا بهِ شفي منهُ

اما اعراضهُ فهي تغير السحنة تغيرًا واضحاً وتعاقب الحمى والم الرأس على المريض وقد يدوم على هذه الحال عدة اسابيع ثم يعسر عليهِ المشي والكلام ويستولي الارتعاش على لسانهِ ويديهِ وتزيد الحمى ويأخذهُ النوم فلا يستفيق الاَّ اذا أُوقظ لتناول الطعام . وبعد ثلاثة اشهر او اربعة من ابتداء المرض يقع في سبات عميق ويمتنع عن الاكل ويهزل جسمهُ وتظهر القروح عليهِ فيموت وهو على تلك الحال . وقد يدوم المرض من شهرين الى سنة

واما سببهُ فحَلَم صغيرة ينقلها من انسان الى انسان نوع من الذباب يسمى تستزي والذبابة منهُ اكبر من الذبابة العادية بقليل وهي لا ضرر منها عادة الاَّ اذا وجدت الحَلَم المذكورة فتنقلها من المريض الى السليم

اغنى القبائل

في الطرف الشرقي من لنج ايلند على مئة ميل من مدينة نيويورك بقية من هنود اميركا من قبيلة المنتوك التي كان لها شأن كبير في تاريخ تلك البلاد . عدد نفوس هذه البقية ثلثمئة وقد ابقت لهم الحكومة الاميركية ستة آلاف فدان يسكنون فيها ويعيشون منها

وتسمي رأس المنتوك الى الآن . ومنذ مدة ارادت شركة البواخر التي يرئسها المستر بيربنت مورغان ان تجعل هذا الرأس محطًّا لبواخرها الآتية من لفربول الى نيويورك فتقصر المسافة بين المدينتين مئة ميل فعارضها المنود في ذلك وقام رئيسهم واسمهُ الملك فرعون يقاضي شركة البواخر وهو شاب درس في مدرسة يابل الجامعة وتخرج فيها واعتمد في دفاعهِ عن قبيلتهِ على معاهدة أبرمت بين المنتوك والبيض سنة ١٦٦٢ يقال فيها ان رأس المنتوك يبقى لقبيلة المنتوك ملكًا ابديًّا . ومنذ خمسين سنة اغفل البيض هذه المعاهدة واستولوا على رأس المنتوك وداعتهم القبيلة فلم يحكم لها فرفع الملك فرعون دعواهُ الى المجلس الاعلى في وشنطون فحكم ان تعطى القبيلة بدلاً من تلك الارض ستمئة الف جنيه توزَّع على نفوسها بالسواء فيخص كل رجل وكل امرأة وكل ولد وكل طفل الف جنيه . واودع المال في خزينة الحكومة الاميركية وابيح لاعضاء هذه القبيلة ان يأخذوهُ منها او يبقوهُ فيها و يكتفوا بريعهِ

إطالة العمر

بين اساتذة مستوصف باستور في باريس استاذ اسمهُ متشنيكوف وقد اشتهر باكتشافهِ وظيفة الكريات البيضاء التي في دم الانسان فأبان انها اشبه بجيش يجول ويصول في الجسم ويكرُّ على الاعداء التي تحاول اغتيالهُ والفتك بهِ . فاذا دخل مكروبٌ الجسمَ انقضت الكريات البيضاء عليهِ واهلكتهُ ثم اغرقتهُ في تيار الدم المندفع اندفاع السيل واقتاتت بهِ وليس لها من غاية سوى حماية الجسم من غارات اعدائهِ . فاذا بترت اصبع من الاصابع هبّت الكريات الى مكان البتر باسرع من لمح البصر وجعلت ترأب الصدع وتلأم الجرح وتفتك بكل مادة ضارة تعلق بالاصبع فلا يبقى للمكروب مجال لدخول الجسم والنجاة منها الاَّ بقدر ما للبزاقة التي تسطو على خلية النحل من فرص النجاة من لسع حماتها

اما رأي الاستاذ متشنيكوف الذي بناهُ على هذا الاكتشاف فخلاصتهُ انهُ لا يمكن ان يطرأ على الجسم مرض الاَّ اذا أَلمَّ بالكريات البيضاء ضعف يمنعها من مقاومة المكروبات فتتحوَّل الى اعضاء الجسم الحيوية وتقتات بها فتبيت عونًا للاعداء عليها لا لها . وعندهُ انهُ لا بدَّ ان يكتشف مصل تبقى الكريات البيضاء بهِ قوية شديدة فيسلم الجسم من شرّ الآفات والامراض و يطول بهِ عمر الانسان فبدلاً من ان يموت في سنّ السبعين يموت في سنّ المئة والاربعين . ويتبدَّل وجه هذا الكون وتدخل الفلسفة طورًا جديدًا وتتغير المذاهب ويعود الانسان لا يخشى الموت بل يستقبلهُ بثغر مفترّ ووجه بسَّام فيرين على الابدان كما يرين الكرى على الاجفان لانهُ

يشبع من الحياة ويتعب فيرى الموت في صورة ملاك هابط عليهِ والشفاء في جناحيهِ

قال احد كبار العلماء مرة لبعضهم انني لا أرى سبباً يجعل الموت ضربة لازمة على الانسان . فلو ان صانعاً صنع جسم الانسان وارانيهِ لأبدي رأيي فيهِ لأعجبت بدقة صنعتهِ ولانتقدت عيباً واحداً فيهِ ورغبت اليهِ في اصلاحهِ . فان الجسم يبني في احد اطوار العمر اكثر مما يهدم ويبقى كذلك مدة طويلة ثم تنقلب الحال ولكن لماذا تنقلب ويأخذ الجسم في الاندثار والانحلال فيعود وهو لا يستطيع اصلاح ما فسد وترميم ما تقوَّض وتجديد ما اندثر وتركيب ما انحلَّ

وقال احد الاطباء ان من اهم الامور لدوام الصحة الطعام الذي نأكلهُ ونستمد الغذاء منهُ . ولا نعلم حتى الآن ما اذا كان الطعام الذي نأكلهُ صالحاً لتغذية الجسم او غير صالح لها . على ان من القواعد المقبولة عموماً ان شرب الكحول مضرٌّ بالجسم والاكثار من أكل الاطعمة الحيوانية مفسد لقوامهِ مقوض لاركانهِ هادمٌ لبنيانهِ . والخبز الابيض لا فائدة منهُ البتة . ولكن هناك قوماً لا يرون هذا الرأي بل يقولون بفائدة الكحول واللحوم والخبز الابيض ويدافعون عنها جهد الطاقة . وهذا كلهُ يدل على ان العلم لا يزال بعيداً مراحل كثيرة عن حلّ سرّ الحياة

الكسوف القادم

اشاع بعض جرائد القطر المصري خطاءً ان الشمس تكسف في شهر اغسطس الماضي في يوم يستحيل ان تكسف فيهِ لانها لا تكسف الاَّ في المحاق في آخر الشهر القمري او اولهِ . والصحيح ان الشمس كسفت في ٩ سبتمبر الماضي كسوفاً لا يعدهُ علماء الفلك مهمًّا لان الظلّ وقع في الاوقيانوس الباسيفيكي ولم يصب جزيرة معروفة فلم تمكن مراقبتهُ ثم انتهى عند ساحل شيلي. وستكسف الشمس كسوفاً تامًّا في ٣٠ اغسطس القادم سنة ١٩٠٥ وهو الكسوف الذي ارادتهُ الجرائد المذكورة فقدمتهُ سنة على اوانهِ الحقيقي . وعلماء الفلك ينتظرونهُ بذاهب الصبر لسهولة مراقبتهِ ورصدهِ فان الظلّ يبدأُ من جنوب خليج هدصن في اميركا الشمالية ويمتد شرقاً فيصيب الاوقيانوس الاتلنتيكي فشمالي اسبانيا بشرق فشمالي الجزائر فشمالي تونس فاصوان ثم ينتهي جنوبي بلاد العرب . وسيقصد اسبانيا كثيرون من علماء الفلك في اوربا واميركا لرصدهِ منها

اما في اصوان فان الكسوف يبدأُ الساعة ٣ والدقيقة ٢٦ والثانية ٢٨ بعد الظهر ويكون علو الشمس ٢٩ درجة ومدة الكسوف التام دقيقتين و ٣٣ ثانية

الموسم الاميركاني

متى قيل الموسم عُرف ان المراد بهِ القطن الذي ينتج سنويًّا في الولايات المتحدة الاميركية من ١ سبتمبر الى ٣١ اغسطس في العام التالي وقد نشرنا في الجزء الماضي جدولاً ذكر فيهِ مقدار الموسم منذ ١٧ سنة الى الآن ومساحة الارض المزروعة ووقفنا الآن على جدول آخر يظهر انهُ ادق من الاول ولو كان الفرق بينهما قليلاً وقد ذكر فيهِ مقدار ما بلغهُ الموسم في ٣١ اغسطس من كل سنة ومساحة الارض التي كان مزروعًا فيها

السنة	المساحة	الموسم بالات
١٨٩٥	٢٠١٠٧٠٠٠	٠٩٨٩٣٠٠٠
١٨٩٦	١٩٧٠٢٠٠٠	٠٧١٦٢٠٠٠
١٨٩٧	٢٠٠٥٨٠٠٠	٠٨٧١٤٠٠٠
١٨٩٨	٢٢٠٥٧٠٠٠	١١١٨١٠٠٠
١٨٩٩	٢٣١٧٤٠٠٠	١١٢٣٥٠٠٠
١٩٠٠	٢٤١٧٥٠٠٠	٠٩٤٣٩٠٠٠
١٩٠١	٢٦٥٣٤٠٠٠	١٠٤٢٥٠٠٠
١٩٠٢	٢٧٨٧٤٠٠٠	١٠٧٠١٠٠٠
١٩٠٣	٢٧٣٠٠٠٠٠	١٠٧٥٨٠٠٠
١٩٠٤	٢٨٩٩٨٠٠٠	١٠٠١١٠٠٠
١٩٠٥	٣٢٨٠٠٠٠٠	

ويقال ان الموسم الذي ابتدأ في اول سبتمبر هذه السنة وسينتهي في ٣١ اغسطس سنة ١٩٠٥ لا يزيد على ١١٢٥٠٠٠٠ مع انهُ لما صدر تقرير الحكومة عن حالة الزراعة في اغسطس كان المظنون انهُ يزيد على ١٢ مليون بالة او ١٢ مليون ونصف ولكن عرض لهُ من عوارض الحر والجفاف والمطر والدود ما افسد جانبًا منهُ حتى لا يقدر الآن باكثر من احد عشر مليونًا وربع مليون والمعامل في اوربا واميركا تحتاج الى اكثر من ذلك وقد قدر بعضهم انها تحتاج الى ١١٤٥٠٠٠٠ بالة من القطن الاميركي ولذلك اخذت الاسعار ترتفع بعد ان هبطت كثيرًا فارتفع سعر القطن المصري ايضًا وبلغ سعر الكنترااتات المصرية حين كتابة هذه السطور نحو ١٥ ريالاً وبيع القنطار من القطن المصري بثلثمئة وستين غرشًا حيث كان يباع في العام الماضي في مثل ذلك اليوم بثلثمئة وخمسة وسبعين غرشًا ولذلك ينتظر ان لا ينقص ثمن القنطار هذا العام عن ثمنهِ في العام الماضي سوى ريال واحد

اطول الحيوانات عمرًا

سمع احد العلماء منذ عدة سنوات ان في جزيرة سيشل قرب مدغسكر سلحفاة كبيرة ثقلها ٩٧٠ رطلاً مصريًّا وان هناك ادلة تثبت انها عاشت بين الاهالي منذ ١٥٠ سنة وادلة اخرى ترجح ان عمرها ليس اقل من ٣٠٠ سنة . فقصد الجزيرة المذكورة يروم استئجار السلحفاة ليعرضها في معرض سنت

لويس باميركا . فرفض الاهالي ان يجيبوهُ الى طلبهِ لانهم يكرمونها ويجلُّون قدرها . ولم يتحولوا عن رفضهم حتى تكفل لهم بان يعيدها اليهم سالمة . ولما وصلت الى اميركا وجدوا نخلة صغيرة اخذت تفرخ في ظهرها . وكيفية ذلك انها مولعة بالخوض في الوحول وكأن بعض الوحل وفيهِ نواةُ تمر علق بظهرها وسقط في شق عميق من شقوقهِ فأفرخت ونبتت فيهِ

ومما يدلُّ على ان عمرها يبلغ ٢٥٠ سنة او اكثر ضخامة بدنها وهيئة ترسها وحالتهُ وهو يتخذ عادة دليلاً لمعرفة عمر السلاحف

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدرسة كمبردج في اواسط شهر اغسطس الماضي فخطب فيهِ المستر بلفور رئيس وزراء الانكليز الآن خطبة الرئاسة . وجعل مدار خطبتهِ على المذهب الجديد في المادة وهو انها كهربائية فبيَّن ان معارف الناس المبنية على شهادة الحواس غير يقينية لانها تُنقض من وقت الى آخر وانهُ اذا أُريد البحث عن الامور اليقينية فذلك منوط بالفلسفة لا بالعلم الطبيعي وهو في ذلك كالمستجير من الرمضاء بالنارِ

طيارة حربية

اخترع عالم الماني اميركي طيارة تستعمل في الحرب وترسل الاشارات منها واليها بنوع من التلغراف الذي بلا اسلاك اكتُشف حديثاً. وقد جربت امام امبراطور الالمان وحاشيتهِ وضباط البحرية ولم يسمح لاحد من عامة الاهالي بمشاهدة التجربة فاطيرت سبع طيارات باسلاك من النحاس الى علو ١٢ الف قدم وأُطير بعضها من قارب البريد الخاص بالامبراطور وكان يسير بسرعة ٣٠ ميلاً بحرياً في الساعة واستعملت عدة لغات في الاشارات

الورق الياباني

يصنع اليابانيون من لحاء الاشجار انواعاً من الورق تفوق في جودتها ما يصنع منها في اوربا ولما كان غالب جدران منازلهم من الخشب فانهم يلصقون عليها نوعاً من الورق السخيف يحجب الريح ولا يحجب النور . والورق المزيت رخيص عندهم جداً ومتين وهم يستعملونهُ للوقاية من الامطار فيردُّ الماء كما يردُّهُ المشمع الاَّ انهُ يفضل المشمع بخفتهِ والحمَّالون يلبسونهُ اثواباً يكلّف الثوب منها نحو فرنك ويلبسهُ الواحد منهم سنة او اكثر بلا انقطاع . وتصنع اكياس الدقيق والقمح من نوع من الورق يعسر على الحشرات خرقهُ على ان احسن انواع الورق عندهم نوع يستعملونهُ مكان الجلد لوضع التبغ فيهِ وهو متين ليّنٌ ويكاد يكون شفافاً

ساعة جديدة

اخترع احد الاميركيين نوعاً جديداً من

الساعات الكبيرة شاع استعمالهُ هذه الايام في المحلات التجارية المشهورة في نيويورك. والفرق الجوهري بينهُ وبين الساعات الاعتيادية الكبيرة هو ان الساعة منهُ لا عقربين لما يستدلُّ بهما على الساعة والدقيقة بل ان هناك ارقاماً تدلُّ على الوقت فارقام الساعات الى فوق وارقام الدقائق الى تحت. فاذا كانت الساعة ٨ والدقيقة ٢٥ ظهر رقم ٨ فوق رقم ٢٥ هكذا $\frac{٨}{٢٥}$

فرش الشوارع بالصمغ الهندي

فرش احد شوارع لندن بالصمغ الهندي (اللاستك) سنة ١٨٨١ فكانت نفقة اليرد المربع نحو جنيه ونصف للاساس ونحو ٥ جنيهات ونصف للصمغ ونفقة اليرد المربع في السنة نحو غرشين صاغ. وكان سمك الصمغ حينئذٍ عقدتين. وفي سنة ١٩٠٢ اخذ قسم من الصمغ المفروش في آخر الشارع قرب محطة سكة الحديد وفحص فوجد ان سمكهُ قلَّ نحو ٨/٥ العقدة حيث يكثر وطء اقدام الخيل. وفحصت اقسام اخرى مفروشة في وسط الشارع حيث تزدحم اقدام المارة ويكثر دوس الخيل فوجد ان سمكها قلَّ عقدة في بعض الاماكن وعقدة وربعاً في غيرها فاضطروا الى نزع الصمغ القديم وابداله بصمغ جديد وطلبوا من الشركات المختلفة ان تقدم طلبات المناقصة ففعلت. فكان اكثر طلب ١٧ جنيهاً ونصفاً ثمن اليرد المربع واقلهُ ٥ جنيهات ونصفاً

اكل الافاعي بعضها بعضاً

روت احدى الجرائد العلمية الانكليزية ان بعضهم شاهد الافاعي تأكل بعضها بعضاً وهذا ما لم يسمع بهِ قبلاً بل كلُّ ما سمع انها تأكل حيوانات ليست من نوعها. قالت الجريدة والمرجح انها لا تفعل ذلك وهي في حالتها الطبيعية

سنُّ الفيل

متوسط ما يصدر من ولاية الكنجو الحرة من العاج (سن الفيل) سنوياً نحو ٦٤٧ الف كيلو منها ١٤٤ الفاً ترسل الى الهند والصين والباقي الى الاسواق الاوربية. وثمن الكيلو من السنّ العال ٣٠ فرنكاً ومن الوسط ٢٤ الى ٢٥ ومن الدون ١٣ الى ١٥

احصاءُ سكانِ فرنسا

يحصى سكان فرنسا مرة كلَّ خمس سنوات. وآخر مرة احصوا فيها كانت سنة ١٩٠١ فبلغوا حينئذٍ ٣٨٩٦١٩٤٥ نفساً اي انهم زادوا ٤٤٤٦١٣ نفساً عما كانوا عليهِ في الاحصاء الذي جرى قبل ذلك بخمس سنوات وكانوا قد زادوا ١٧٥٠٢٧ نفساً في الاحصاء الذي قبلهُ. وهذا النموُّ بطيءٌ جداً بالنسبة الى نموّ سائر الشعوب الاوربية

بعض المعارك الكبيرة في القرن الماضي

اولها معركة ليبسك سنة ١٨١٣ كانت الجنود الفرنسوية فيها ١٨٠٠٠٠ وخسرت ٢٥٠٠٠ بين قتيل وجريح وجنود اعدائهم ٣١٠٠٠٠ وخسروا ٤٥٠٠٠ . ومعركة سادوى سنة ١٨٦٦ بين النمسويين والبروسيانيين تحارب فيها ٤٢٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٣٢٠٠٠ . ومعركة سيدان كان عدد الالمانيين فيها ١٨٠٠٠٠ وعدد الفرنسويين ١٢٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٢٧٠٠٠ ومعركة سان بريفه تحارب فيها ٣٤٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٢٧٠٠٠

لحم الدجاج

يظن العامة ان لحم الدجاج يختلف كثيرًا عن لحم البقر والضان في صفتهِ وفعلهِ وهضمهِ والحقيقة انهُ قلما يختلف عنها من هذا القبيل اما من جهة الهضم فانهُ اسهل هضمًا من لحم الضان والبقر ولكن قليلاً وكلما سمنت الدجاجة كان لحمها اعسر هضماً والفراخ اسهل هضماً من الدجاج الكبيرة وعضلاتها القليلة الحركة كعضلات الصدر اسهل هضماً من العضلات الكثيرة الحركة كعضلات الفخذ

سفينة الدسكفري

وصلت الدسكفري الى البلاد الانكليزية عائدة من انحاء القطب الجنوبي وهي السفينة التي أرسلت لاكتشاف مجاهل تلك الانحاء ومعرفة ما فيها من انواع الحيوان والنبات وما يحدث في جوها من الظواهر الجوية وقد وصفنا ماالاقاهُ ركابها من الشدائد في تلك الاصقاع. وحالما وصلت ارسل ملك الانكليز يهنئ قبطانها برجوعهِ سالماً غانماً وامر ان يصنع نشان يقلدهُ الذين يخدمون في الانحاء القبطية وسيقلد بهِ ضباط هذه السفينة وبحارتها جزاء لهم وترغيباً لغيرهم في ما يرقي شأن بلادهم

القطن الصناعي

يصنعون في اوربا قطناً من خشب نوع من الشجر وذلك انهم ينزعون من اغصان الشجرة وجذعها ما فيها من اللحاء والعقد ثم تحمى بالبخار ويضاف اليها محلول بي كبريتات الصودا حتى تلين وتبيض ثم تضغط وتدلك وتحمي ايضاً وتغمس في كلوريد الكلس وغيرهِ من المواد وتنقلب في حالات اخرى كثيرة فتخرج اخيرًا خيوطاً فتصمغ وتوضع بين اسطوانتين لتجفف وتصير نسيجاً يصلح لعمل الملابس منهُ ولكنهُ لا يكون متيناً كنسيج القطن

اطول اللحى

في الولايات المتحدة الاميركية رجل اسمهُ فلنتين تبلي طول لحيتهِ اكثر من احدى عشرة قدماً . اطلقها في الحرب الاهلية ولم يحلقها بعد ذلك وهو يلفها في منديل من الحرير ويضعها في جيب قميصهِ

دود لوز القطن

رأى المستركوك العالم بالحشرات ان في غواتيمالا نوعاً من النمل يأكل الدود الذي ينخر لوز القطن فينجي القطن منهُ فاهتمَّ ديوان الزراعة في وشنطون بهذا الامر وعين اناساً للبحث فيهِ عساهم يصلون الى طريقة لاستخدام هذا النمل في استئصال دود القطن

نيران الغابات

كثيرًا ما تشب النار في الغابات الكبيرة الملتفة الاشجار في اميركا وتندلع السن اللهب من كل جهة وتمتد بسرعة حتى تتصل باطراف الغابات ويذهب ما فيها طعم النار . ومن هذا القبيل نار شبت في حرجة من حراج اميركا سنة ١٨٢٥ فاحتدم ضرامها ظهر السابع من اكتوبر ولم يمضِ تسع ساعات حتى التهمت بقعة طولها ٨٠ ميلاً وعرضها ٢٥ ميلاً وفيها مليونان ونصف مليون فدان فهلك كل حي فيها حتى سمك الانهار التي تخترقها واحترق عدد من المدن ولكن اهلها نجوا ما عدا ١٦٠ نفساً منهم

وشبت نار اخرى في مكان آخر منها سنة ١٨٧١ فالتهمت بقعة مساحتها الفا ميل مربع واتلفت من الاملاك والاشجار ما قدروهُ بملايين الريالات واحترق نحو ١٥٠٠ نفس . واتلفت نار غيرها من الخشب ما قيمتهُ مليونا جنيه . وشبت نار اخرى في غرة سبتمبر سنة ١٨٩٤ فاتلفت ما قيمتهُ ٥ ملايين جنيه

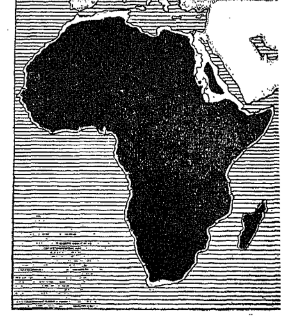
سكة حديد الرأس ومصر

ورد في الجرائد الاخيرة ان القسم الاول من سكة الحديد التي كان سسل رودس اول من قال بمدّها بين مصر والرأس تمَّ او كاد فانهم مدُّوا الى الآن خطوط السكة على مسافة ١٦٠٠ ميل فبلغت ضفه نهر زمبيسي الجنوبية عند شلالات فكتوريا . وقد شرعوا في بناء جسر للسكة الحديدية فوق النهر المذكور ومتى أتموا بناءهُ اخذوا في بناء القسم الثاني من السكة وهو يمتد من نهر زمبيسي الى جهة بحيرة تنجنيكا وطولهُ ٢٥٠ ميلاً . وقد قدَّر سسل رودس ان طول الخط بين مصر والرأس يبلغ ٧٥٠٠ ميل فاذا طرحنا من ذلك ما مدوهُ منهُ او شرعوا في مدهِ جنوباً وما مدَّ منهُ شمالاً بقي نحو الفي ميل لم تمدَّ بعد

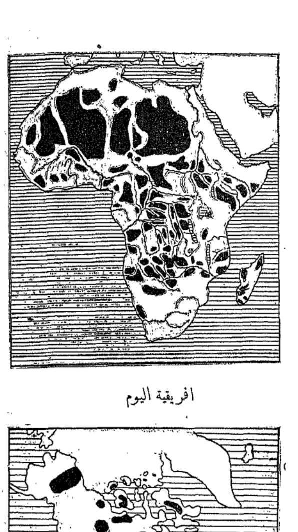
الدخان والصقيع

اثبت بعض رجال الزراعة ان الدخان يمنع الصقيع وما ينتج عنهُ من الضرر بالمزروعات وخصوصاً الكرم . وذلك بان تشعل النار في الارض التي يراد حفظ مزروعاتها مدة ايام البرد الشديد وبفضل اشعال المواد التي لا تشتعل بسهولة بل يتصاعد دخان كثيف عند احراقها مثل العشب الاخضر او اليابس الرطب . وقد ابانوا ان نفقة ذلك تقل كثيراً عن الخسارة التي تصيب المزروعات من الصقيع . وفي فرنسا يحرقون الزيوت الكثيفة التي تبقى بعد عمل الغاز في معامله

فهرس الجزء العاشر من المجلد التاسع والعشرين



افريقية سنة ١٨٠٠



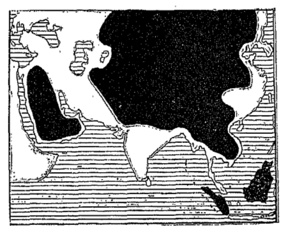
افريقية اليوم



اميركا الشمالية سنة ١٨٠٠



اميركا الشمالية اليوم



اسيا سنة ١٨٠٠



اسيا اليوم

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد التاسع والعشرين

١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٢

تقدم الجغرافية

في القرن التاسع عشر

من قلم العالم جلبرت جروزفنر

كان القسم المعروف من اليابسة سنة ١٨٠٠ يبلغ نحو خمس اليابسة كلها وكانت الخرائط ترسم ويترك القسم المجهول بلا كتابة . فما جاءت سنة ١٩٠٠ حتى بلغ ما اكتشف من اليابسة عشرة اجزاء من احد عشر جزءا تقريباً فبقي جزء من احد عشر مجهولاً (انظر الرسم الذي في صدر هذه المقالة) . والجزء المجهول متفرق على سطح الارض بقعاً صغيرة وليس هناك مساحات واسعة لم تكشف الاَّ في جهة قطبي الارض الشمالي والجنوبي

والفرق بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر من هذا القبيل ان الاول اشتهر باكتشافاتهِ البحرية والثاني اشتهر باكتشافاتهِ البرية كما يتبين مما يأتي

افريقية

كانت قارة افريقية على الخارطة منذ مئة سنة بقعة سوداء تحفها حاشية بيضاء قليلة العرض مع قربها من اوربا ووقوع ساحلها الشمالي موازياً لساحل اوربا الجنوبي على مسافة الف ميل وما ذلك الاَّ لان رداءة اقليمها جعلت اسبانيا وفرنسا وانكلترا والبرتوغال يشحن باوجههن عنها ويتزاحمن على الاستعمار في أطراف اميركا والهند السحيقة وانما قصدن افريقية للاتجار بالرقيق فيها . اما الآن فقد اصبح معظم القارة معروفاً بفضل لفنستون وستنلي وباكر وسبيك ونجو وغيرهم من اهل السياحة الذين جابوها طولاً وعرضاً فأناروا ظلماتها ولم يبق مظلماً سوى بقع صغيرة متفرقة لابد ان تكشف قريباً . وقد ضمت دول اوربا كل ميل منها الى املاكهن

بالطرق السلمية ماعدا المغرب الاقصى والحبشة على حين ان استعمار اميركا والهند كلفهن الوف الرجال وبدرات الاموال

واهم ما في تاريخ اكتشاف افريقية اكتشاف منابع انهرها الاربعة العظيمة وهي النيجر والزمبيسي والنيل والكنجو فان الرحالة بروس اخترق القارة في اواخر القرن الثامن عشر من البحر الاحمر حتى بلغ اعالي النيل الازرق في الحبشة (الاتبرة) ثم سار حذاء النهر حتى ملتقاهُ بالنيل قبلي بربر واستأنف السير من هناك الى القاهرة · اما الآن فقد اكتشف مجرى النيل على مدى طولهِ مسافة ٣٤٠٠ ميل ·واكتشف ما طولهُ ٢٦٠٠ ميل من النيجر وبقي قسم صغير في اواسطهِ لم يكتشف بعد وما طولهُ ١٥٠٠ ميل من الزمبيسي ونحو ٣٠٠٠ ميل من الكنجو وهو نهر لا يفوقهُ حجماً الاَّ نهر الامازون في اميركا الجنوبية

اما مكتشف مجرى النيجر فجراح انكليزي اسمهُ منجو بارك انتدبتهُ الجمعية الافريقية الانكليزية لذلك فسافر من غمبيا في غربي القارة سنة ١٧٩٦ الى مسافة مئات من الاميال وعاد الى انكلترا ثم استأنف السير سنة ١٨٠٥ فقطع نحو الفي ميل من النهر بقاربهِ ومعهُ اربعة من الرفاق حتى اذا كاد يبلغ منابعهُ هاجم الاهالي قاربهُ فانقلب بهِ وغرق قبل ان يدرك غايتهُ ويبلغ امنيتهُ

وبعد موت بارك قام دنهام وكلابرتون فسافرا من فزَّان جنوباً الى الصحراء الكبيرة واكتشفا بحيرة تشاد ثم سارا الى سكوتو على النيجر · وتلاهما سائح فرنسوي اسمهُ كاليه فوصل مدينة تمبكتو سنة ١٨٢٨. ثم سائح آخر اسمهُ نختجال فسار من النيجر الى بحيرة تشاد وتوجه شرقاً مارًّا في وداي ودارفور والسودان المصري

على ان من اعظم المكتشفين لفنستون الرحالة الانكليزي الشهير فانهُ سافر الى افريقية سنة ١٨٤٠ وكان طبيباً مرسلاً فبدأ سياحتهُ من مدينة الراس وظلَّ يتوغل شمالاً فما جاءت سنة ١٨٤٩ حتى كان على بعد ٨٠ ميلاً من مدينة مفكنج جنوباً و١١٠٠ ميل من مدينة الراس· واكتشف بحيرة نجامي وما زال يوالي السفر حتى بلغ ساحل الاتلنتيكي عند مدينة لواندا ثم عاد الى نهر الزمبيسي واكتشف الشلالات التي سماها باسم الملكة فكتوريا وبحيرتي نياسا وشيرا اللتين يجري نهر الزمبيسي منهما

وسنة ١٨٥٩ سافر الضابطان الانكليزيان برتون وسبيك من زنجبار قصد اكتشاف بحيرة كثر التحدُّث بها في تلك الايام فبلغا بحيرة تنجنيكا ثم عادا الى زنجبار وافترقا فسافر برتون جنوباً وسبيك شمالاً برفقة صديق لهُ واكتشفا بحيرة فكتوريا نيانزا سنة ١٨٦١ · وفيما كانا

يدوران حولها وجدا نهرًا كبيرًا يخرج منها (البحر الابيض) ويجري شمالاً فسارا حذاءهُ حتى التقيا بالسر صموئيل باكر (باشا) وكان قد قدم من الخرطوم واستأنف باكر المسير غربًا حتى اكتشف بحيرة البرت نيانزا. وهذه البحيرة وبحيرة فكتوريا نيانزا هما البحيرتان اللتان يستمد النيل اكثر مائهِ منهما

وفي سنة ١٨٦٥ قصد لفنستون بحيرة تنجنيكا واكتشف بحيرتين اخريين ثم انقطعت اخبارهُ عن اوربا فأوفد المستر غوردون بنيت صاحب جريدة نيويورك هرالد الرحالة ستنلي للتفتيش عنهُ كما هو معلوم فسافر ستنلي من زنجبار غربًا حتى بلغ يوجيجي على ساحل بحيرة تنجنيكا الشرقي فوجدهُ فيها. ودار ستنلي حول بحيرة فكتوريا نيانزا ثم اكتشف بحيرة البرت ادورد وتوجه غربًا فبلغ نهر الكنغو وسار حتى ساحل الاتلنتيكي. وفي سنة ١٨٧٨ عاد يسعى في اجتياز افريقيا من الغرب الى الشرق للتفتيش عن امين باشا وانقاذهِ. وسافر من مصب الكنغو فرأى في سفرتهِ هذه جبال القمر

وتلاهُ سياح وروَّاد آخرون فاكتشفوا بلادًا اخرى مجهولة منهم دونلدسن سمث فانهُ سافر من بربرة واكتشف الارض الواقعة بين بحيرة رودلف والنيل. ومنهم جروجان فانهُ اجتاز القارة من مدينة الراس الى القاهرة فكانت سياحتهُ هذه خاتمة الاسفار الافريقية المشهورة التي تمت في القرن الماضي

الاصقاع المتجمدة الشمالية

كان لروَّاد الاصقاع المتجمدة الشمالية في القرن الماضي ثلاث غايات يرمون اليها الاولى اكتشاف طريق شمالية غربية توصل الى الهند. والثانية اكتشاف طريق شمالية شرقية. والثالثة بلوغ القطب الشمالي. اما الغايتان الاولى والثانية فتمتا لهم فان مكلور اكتشف طريقًا صعبة من بوغاز بيرين الى اوربا بين سنة ١٨٥٠ و١٨٥٣ والبارون نوردنسجولد العالم الاسوجي سار حذاء ساحل آسيا فوصل الاوقيانوس الباسيفيكي وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٠. الى ان اكتشاف تينك الطريقين لم يُفد الناس فائدة تذكر ولا يبعد ان الطريق الثانية تفيد تجار الخشب والفرو وما اشبه من حاصلات البلدان الشمالية متى تقدمت تجارة سيبيريا

بقيت الغاية الثالثة اي اكتشاف القطب الشمالي وهي وان لم تتمَّ بعد الاَّ انها كادت تتمُّ على ايدي ابطال المكتشفين مثل هول ولوكوود ونسن وامبروزي فان كلاًّ منهم تقدم نحو القطب عن سالفهِ حتى لم يبقَ بين القطب وآخر مرحلة بلغوها سوى ٣ درجات و٢٧ دقيقة وكان قد سبق هؤلاء الاربعة نفر من الرجال فاكتشفوا اماكن عديدة لم تكن قد اكتشفت

بعد اشهرهم مكنزي وبري وفرنكلين وروس . على ان أَفجع اخبار تلك الاسفار ما ألمَّ بالسر جون فرنكلن ورفاقهِ وكانوا ١٢٨ نفساً . وتحرير الخبر انهُ ركب سفينتين هو وجماعتهُ في شهر مايو سنة ١٨٤٥ ثم انقطع خبرهم وامحى اثرهم . وعرف فيما بعد ان الجمد سدَّ المسالك على سفينتهم فمات فرنكلين في يونيو سنة ١٨٤٧ وكان عند جماعتهِ حينئذٍ زاد يكفيهم سنة ومات ٢٤ نفساً منهم ولما كان الجمد لا يزال يكتنف السفينتين عقدوا النية ان لا ينتظروا ذوبانهُ بل يفتحوا لانفسهم طريقاً . ولم يعلم شيءٌ عنهم بعد ذلك مع ان حملات كثيرة ارسلت برًّا وبحرًا للتفتيش عنهم في كل الجهات حتى اذا كانت سنة ١٨٥٤ التقى الرحالة راي بشابٍ من الاسكيمو فاخبرهُ هذا ان قومهُ رأَوا منذ اربع سنوات ٤٠ رجلاً ابيض يجرُّون قارباً في مكان معلوم . ولم يمضِ على ذلك اشهر قليلة حتى عثر الرحالة المذكورة على ثلاثين جثة من جثثهم

وفي سنة ١٨٥٠ أُرسل مكلور وكولنسن للتفتيش عن سائر المفقودين من رجال الحملة من الغرب الى الشرق فلقي حملة قادمة من الشرق بقيادة السر ادورد بلتشر ولم يرَ هو ولا غيرهُ اثرًا لفرنكلين ولا سمعوا بما جرى لهُ مع انهم والوا البحث والتنقيب تسع سنوات متتابعة . الاَّ ان امرأة فرنكلين لم تيأَس فجهزت سنة ١٨٥٩ حملة سارت بقيادة مكلنتوك فعثرت على هيكل انسان في بلاد الملك وليم وتوصل هوبسون الى معرفة ما جرى للحملة من سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٨ . وكانت نتيجة هذه الحملة معرفة مواقع الجزر الممتدة على الساحل الشمالي من اميركا الشمالية

الاصقاع المتجمدة الجنوبية

حول القطب الجنوبي بقعة لم تطأها قدم انسان بعد وهي ضعف اوربا مساحةً ولا يعلم ما اذا كانت ارضاً يابسةً او بحرًا كبيرًا

واهمُّ الذين قصدوا تلك الاصقاع للاكتشاف الكبتن سمث فانهُ اكتشف جزائر شتلاند الجنوبية سنة ١٨١٦ وتلاهُ كثيرون غيرهُ واكتشفوا اراضي اخرى ابعدها على عرض الدرجة الثامنة والسبعين وكان الذي بلغ هذا العرض السر جيمس روس من مشاهير المكتشفين في الاصقاع الشمالية كما تقدم وذلك سنة ١٨٤٢ . ولم يتجاوز احد هذا الحدَّ الاَّ بورشجرافنك سنة ١٨٩٩ فانهُ بلغ عرض ٧٨° و ٥٠َ . وهذا اقصى ما وصل اليهِ انسان في تلك المجاهل السحيقة حتى آخر القرن الماضي

استراليا

استراليا قارة تساوي الولايات المتحدة الاميركية مساحة وعدد سكانها الانكليز الآن ستة ملايين لا غير . وفي اواخر السنة الاخيرة من القرن الماضي اتحدوا والفوا حكومة مستقلة

استقلالاً ادارياً . وقد كانت استراليا في السنة الاولى من القرن الماضي بلاداً مجهولة تسكنها قبائل همجية منحطة في سلَّم المدنية وجماعة من الانكليز متفرقة على ساحل البلاد المعروفة اليوم باسم نيوسوث ويلس واما سائر اقسام القارة فلم يكن يعرف عنها شيء

وفي اوائل القرن الماضي اكتشف الكبتن كنغ مصابَّ انهر استراليا وسواحلها الشمالية والغربية وما بينها . وقام بعده ستيوارت فاكتشف نيوسوث ويلس واوغل في القارة حتى بلغ اواسطها وعاد فجدَّد الكرة واجتازها من جهة الى جهة سنة ١٨٦٢ فكان اول ابيض فعل ذلك وتلاه كثيرون فاكتشفوا اماكن مجهولة حتى لم يبقَ من القارة سوى اماكن قليلة لم تكشف ومعظمها صحارى قاحلة

اميركا الشمالية

اهمّ الاكتشافات الجغرافية التي جرت في القرن التاسع عشر كان في اميركا الشمالية وخصوصاً الولايات المتحدة الغربية . ومعظم الفضل في ذلك عائد على المستعمر والمعدِّن لا على الجغرافي ولا السائح المكتشف . وقد كانت البلاد الواقعة غربي نهر مسسبي والجبال الصخرية في جملتها مجهولة سنة ١٨٠١ . فكانت كتب الجغرافية المعروفة حينئذٍ تصف اميركا الشمالية بانها بلاد "معظمها سهولة مستوية قليلة الانحدار ليس فيها من الجبال الشامخة غير الجبال الواقعة نحو القطب والجبال التي تخرق الولايات المتحدة الشرقية وتسمى جبال اليغاني"

الاَّ ان كثيرين من الرواد والمكتشفين ساعدوا في اكتشاف بعض الاماكن المجهولة مثل وادي نهر مسوري والجبال الصخرية وكليفورنيا وغيرها . ومن اولئك الرواد فريمونت ولويس وكلارك وبيك وبونفيل وبويل وغيرهم كثيرون

اميركا الجنوبية

ليس بين القارات الستّ قارة يجهلها الناس الآن مثلما يجهلون هذه القارة مع انها كانت منذ مئة سنة اشهر القارات واعرفها ماعدا اوربا . فان الجزويت أوغلوا فيها بطريق الانهر التي تخترقها من كل جانب حتى بلغوا قلبها ورسموا خرائط الاماكن التي مروا بها

ومن اشهر مكتشفيها همبلت المشهور فانهُ ساح في كثير من بلادها وكان اول من توسع في تفسير كلمة "جغرافية" فأطلقها على وصف اقليم البلدان وهوائها وتوزُّع الحيوان والنبات فيها وطبيعة تربتها ولم يقتصر على رسم الانهر والجبال وغيرها كما ترسم الخرائط عادة . وتلاهُ مكتشفون آخرون مثل سبيكس ومارتيوس وشومبرج وكريفو فاكتشفوا كثيرًا من الاماكن التي لم تكتشف قبلاً فصارت اميركا الجنوبية على مانراها الآن

اسيا

كان ماركو بولو الاوربيّ الوحيد الذي جاب جزءًا كبيرًا من اسيا قبل سنة ١٨٠٠ . وما استهلّ القرن التاسع عشر حتى أمها المكتشفون من كل ملة ونحلة ورسموا خارطتها فجاءت مضبوطة في مجملها وأوفدت روسيا عددًا عديدًا من الرجال للاكتشاف من الشمال الشرقي فقامت انكلترا تناظرها وارسلت رجالها من الجنوب . وربما كان اكتشاف مجاهل اسيا اصعب مراسًا وأبعد منالاً من اكتشاف مجاهل افريقية او استراليا او اميركا الشمالية لان الاجنبيّ كان يلقى فيها مئات من ملايين الشعوب والقبائل التي تختلف في طباعها واخلاقها عن متوحشي افريقية فتقف في سبيلهِ وتحول دون تقدمهِ

وفي سنة ١٨٢٩ دخل همبلت اواسط اسيا وسواحل بحر قزبين . وعقبهُ المرسل الفرنسوي هوك فعبر بلاد التبت سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٥ وأقام عدة اشهر في لاسًا عاصمتها . وساح بلجراف في بلاد العرب حوالي سنة ١٨٦١ واجتازها من جهة الى جهة . ثم قام السائح جارنييه المشهور وساح في كمبوديا والصين وقطع اكثر من ٥٠٠٠ ميل في بلاد لم يعرفها الغربيون قبلاً . وتلاهم كثيرون غيرهم مثل سفن هدن ورشتوفن وروكهل فاكتشفوا اقاليم كثيرة ومسحوها وعينوا مواقعها في الخارطات فاصبحت اسيا وهي تكاد تعرف كلها

الخاتمة

وغاية القول ان تقدم الجغرافية في القرن التاسع عشر كشف خبايا كل زاوية من زوايا الارض امام اهالي اوربا واميركا . بل ان تقدم العلوم الجغرافية فيهِ أماط النقاب عن اصل الارض وكيفية تكوُّنها . فان علم الجيولوجيا الذي يبحث في طبيعة قشرة الارض وتكوُّنها يخبرنا عن الدور الجليدي ويدلنا بواسطة البقايا المتحجرة على ان الحياة ظهرت في الارض منذ الوف الملايين من السنين . ثم ان علم الظواهر الجوية الذي يبحث في احوال الهواء المحيط بالارض وعلم اعماق البحر انما هما نتيجة تقدم الجغرافية في القرن الماضي . وسيكون مدار بحث الانسان في هذا القرن على سبر غور البحار لحلّ اسرارها وهتك استارها

الجواد العالِم

كثر كلام الصحف في الشهر الماضي وما قبلهُ على جواد في برلين يقال انهُ يفهم ما يخاطب بهِ ويُسأل بعض المسائل الحسابيَّة فيجيب عنها بالدقة التامَّة . وقد كتب بعضهم رسالة من برلين الى مجلة المجلات الانكليزية في ٢١ سبتمبر الماضي قال فيها ما خلاصتهُ

لقد أُعطي هذا الجواد قوة التمييز . ويظهر هذا القول مدهشاً في بادىء الرأي ولكن لجنةً من اكبر الثقات في علم الطب البيطري تألفت لتحقيق ما يدَّعيهِ صاحبهُ وهو رجل من سكان شمالي برلين اسمهُ فن استن عكف منذ اربع عشرة سنة على درس غرائز الحيوانات ورأَى منذ اربع سنوات ان جواداً روسياً من خيلهِ يميز كالعقلاء فجعل يعلمهُ ساعةً كل يوم فبلغ بهِ مبلغاً يفوق التصديق . وهو اصلاً من معلمي المدارس فاستخدم في تعليمهِ الوسائل التي تستخدم في المدارس الابتدائية اي اللوح الاسود والطباشير والاشياء التي يُعلَّم بها الصغار اسماء الالوان والروائح وما اشبه فعلَّمهُ كيفية جمع الارقام الحسابية وطرحها وضربها وقسمتها وهو يعلمهُ الآن الحساب العشري والنسبة البسيطة

وقد أُذن لي في فحص هذا الجواد مع اللجنة التي عينت لفحصهِ فزال من نفسي كل ما كان يخامرها من الريب لان افعالهُ اوضح من ان يكون فيها شيءٌ من الخداع . وقد استعان صاحبهُ على تعليمهِ برجل اسمهُ شلِنغس وهو من من النابغين في تدبير الحيوانات فكان الجواد طوع امرهِ في كل شيء . وهو الآن يقرأُ الكلمات المكتوبة ويميز بين انواع النقود ويعرف الوقت في الساعة واذا رأَى صورة فوتوغرافية ثم رأَى صاحبها بين جماعة ميزهُ عن غيرهِ

ولا ينطق ولكنهُ يجيب بالاشارات فاذا اراد ان يقول نعم حنا رأْسهُ واذا اراد ان يقول لا انغضهُ ويدل على الاعداد بضرب حافر يدهِ اليمنى على الارض واذا اراد تأكيد شيءٍ ضرب ايضاً بحافر يدهِ اليسرى . مثال ذلك ان صاحبهُ سألهُ كم هو مجموع اثنين واثنين فضرب اربع ضربات بحافر يدهِ اليمنى فقال لهُ صاحبهُ بل المجموع خمسة فاعاد الجواد بضرب اربع ضربات بيدهِ اليمنى وايدها باربع ضربات بيدهِ اليسرى

ثم طلب منهُ ان يقرأَ كلمات كتبت لهُ على لوح فقرأها او عرف اين هي مثلاً كتبت اللجنة كلمات مختلفة وجعلت تلفظها لهُ كلمة كلمة من غير ترتيب وكلما لفظت كلمة دلَّها عليها . وعمل عملاً في الحساب العشري من غير غلط

ووُضعت امامهُ سلَّة كبيرة فيها خرق مختلفة الالوان فجعل يختار منها الخرق الملونة بالالوان

المطلوبة . وسئل كم واحد من الحضور بنظارات وكم منهم بغير بنظارات فاجاب من غير خطا . وطُلب منهُ ان يشير الى سيدة على رأسها برنيطة خضراء فاشار اليها . وحاول بعض الضباط خداعهُ فاراهُ ريالاً وسألهُ كم الساعة فلم ينخدع . وطُلب منهُ ان يأخذ خرقة كبيرة وينظف معلفهُ بها فيعطى ما يحبهُ من الطعام فالتفت يفتش عن خرقة فوجدها في يد معلمهِ فأخذها منهُ وباسهُ كأنهُ يشكرهُ على ذلك ثم اسرع الى معلفهِ وجعل ينظفهُ بها وينفضها من الغبار وعاد الى صاحبهِ يطالبهُ بما وعدهُ بهِ ووقف ينتظر احضار الطعام لهُ بفارغ الصبر

وقد اراد بعض الاميركيين مشترى هذا الجواد ودفعوا ثمنهُ سبعة الآف وخمساية جنيه فأبى صاحبهُ بيعهُ لان ليس غرضهُ الكسب بل تحقيق الامور العلمية . انتهى

وجاء في الجريدة المسماة عمل العالم ان هذا الجواد يميز بين المعادن المختلفة فاذا أُري قطعاً مختلفة من الذهب والفضة والنكل والنحاس ميز بينها بالضرب بحافرهِ فانهُ يضرب ضربةً واحدة للذهب وضربتين للفضة وثلاثاً للنكل واربعاً للنحاس . وأُري ريالاً قيمتهُ خمسة ماركات وقيل لهُ كم ريال منها تساوي ذهباً قيمتهُ عشرون ماركاً فضرب بيدهِ اربع ضربات . ويدل على الحروف الهجائية باعداد تقابل وضعها في الابجدية فالحرف الاول عددهُ واحد ولهُ ضربة والثاني عددهُ اثنان ولهُ ضربتان وهلمَّ جرًّا . واذا سألتهُ عن الوقت وكانت الساعة ١١ ونصفاً ضرب بيدهِ احدى عشرة ضربة وانتظر هنيهة ثم ضرب ثلاثين ضربة اي ثلاثين دقيقة . ويقال انهُ في قواهُ العقلية مثل ولد عمرهُ ثلاث عشرة سنة

هذه خلاصة ما جاء في مجلة المجلات . وجاء في جريدة السينتفك اميركان ما ينطبق على ذلك ولكنهُ مثلهُ خالٍ من التدقيق العلمي وبعضهُ في غاية الغرابة يُستبعَد حتى من العقلاء الذين لم يزاولوهُ مدة كمعرفتهِ اوراق اللعب ورقة ورقة ونسبة بعضها الى بعض ومعرفتهِ الدراهم الممسوحة من غير الممسوحة وقيل فيها ان الدكتور هنروث مدير بستان الحيوانات في برلين فحصهُ فحصاً مدققاً واقتنع بصحة ما ينسب اليهِ وبان ليس في الامر شيء من الخداع

ولم نقف حتى الآن على تعليل هذه الافعال لعالم نثق بهِ . واذا كانت خالية من كل خداع كما يقال امكن تعليلها بان صاحب الجواد او معلمهُ يتسلط على ارادتهِ تسلط المنوّم على المنوَّم ليأمرهُ بالحركات التي يريدها ولو عن غير قصد ويشير اليهِ بالرضى متى اتمها . وقد يفعل ذلك عن غير قصد او لا يشعر انهُ فعلهُ . ومعلوم ان الحيوانات الاليفة كالكلاب تنظر الى وجوه اصحابها وتفهم مرادهم من مجرَّد نظرها وتفهم ما يبدو فيها من امارات الاستحسان والاستهجان فلا يتعذر عليها ان تفعل ما يفعل هذا الجواد

كتاب روزبري عن نبوليون

(٤) مسألة المال

قال اللورد روزبري "اننا اطلنا الكلام في مسألة اللقب لانها اصل كل الشرور فننتقل منها الى المسألة المالية وهي لحسن الحظ عرضية ولعلها كانت تابعة لمسألة اللقب كأن الوزارة الانكليزية قالت في نفسها انها ان ابقت لنبوليون لقب امبراطور اضطرت ان تنفق عليهِ نفقات طائلة ليقوم بمقتضيات ذلك اللقب ولكن كانت الحرب كثيرة النفقات فيجب ان يكون الاسير قليلها لاسيما انها كانت تنفق على السرهدصن لو اثني عشر الف جنيه في السنة فجعلت نفقات نبوليون وحاشيتهِ وعددها واحد وخمسون نفساً ثمانية الآف جنيه في السنة وقالت ان احتاج الى اكثر فلينفق من جيبهِ. ولقد كان ينفق من جيبهِ لان نفقاتهِ بلغت ١٨٠٠٠ او ١٩٠٠٠ جنيه في السنة هذا مع الاقتصاد الشديد لغلاء كل شيء في تلك الجزيرة فان ثمن الاشياء فيها كان اربعة اضعاف ما هو في غيرها. ولما رأى لو غلاء الاسعار جعل نفقات نبوليون مثل نفقاتهِ اي ١٢٠٠٠ جنيه في السنة وهو في ذلك اكرم من رئيسهِ لورد بثرست وزير الحربية والمستعمرات لان لورد بثرست امرهُ ان لايدفع من نفقات نبوليون سوى ٨٠٠٠ جنيه في السنة . وبلغ نبوليون ذلك فقال ليفعل ما يشاء بشرط ان لايكلمني في هذا الموضوع . لانهُ كان يخشى ان يصل الخبر الى اوربا فيعود بالعار على فرنسا . وكان يفعل هناك كما كان يفعل وهو على سرير الملك اي انهُ كان يستدعي وكيل الخرج اليهِ و يطلّع على حسابهِ بالتدقيق ويقلل النفقات جهدهُ ولكنهُ لم يشأ ان يتذاكر في هذا الموضع مع سجانهِ

وزار نبوليون المائدة التي كان يأكل عليها اتباعهُ فرأى الطعام قليلاً لايقوم بهم ولعلهم فعلوا ذلك قصداً فامر وكيل الخرج ان يبيع ماعندهُ من الآنية الفضيَّة فباع جانباً منها ولو نفسهُ حدَّد الثمن الذي بيعت بهِ. وقدّم الطعام الى نبوليون في صحاف من الخزف فاعتراهُ الخجل وعاف الاكل الاَّ ان وكيل الخرج كان قد خالف امر مولاهُ ولم يبع كل الصحاف بل ابقى جانباً منها فاتاهُ بالطعام فيها في اليوم التالي فسرَّ بذلك واكل على جاري عادتهِ

ويقال انهُ لما بيعت آنية نبوليون اوجس لو شرّاً وندم على ما فعل لانهُ خاف من ملامة الناس لهُ"

قال لورد روزبري "ان كل ما حدث كان من قبيل المغايظة فان نبوليون لم يكن مضطرّاً ان يبيع اناء واحداً لانهُ كان لهُ اموال طائلة في باريس وفي جزيرة القديسة هيلانة نفسها

ومع ذلك لا نلومهُ على ما فعل لانهُ حارب خصومهُ بسلاحهم على اسلوب تمجهُ فيهِ الانظار اليهِ فان بيعهُ لآنيتهِ الفضية لابد من ان يشيع في الجزيرة كلها وتنتقل اخبارهُ الى اوربا فيشدد الناس النكير على الحكومة الانكليزية وقد نجح في ذلك. وحدث بعد هذا ان قلَّ الوقود عندهُ فامر خادمهُ ان يكسر سريرهُ ويوقدهُ وشاع الخبر في الجزيرة حالاً فأُسقط في يد لو وصار يتجنب مغاضبة نبوليون

"وكان نبوليون واسع الحيلة يلجأُ الى هذه الطفائف حينما تدعو الحال اليها مثل غيرهِ من عظام الرجال فكان مثلاً يسرُّ بكتابة مكاتيبهِ من قصور الملوك الذين غلبهم . ويدرس تواريخ بعض قوادهِ ثم يقابلهم وهم في اماكنهم في الجيش ويسميهم باسمائهم ويذكّرهم بما فعلوا فيبتهجون بذلك. وكان في حروبهِ يشيع ان الدائرة دارت عليهِ حتى اذا بلغت الاشاعة وزراءهُ وتولاهم القنوط فاجأَهم باخبار النصر مفاجأَةً. ولما كان في موسكو يحيط بهِ النار والجوع ويتهدَّدهُ البرد والصقيع بعث الى فرنسا كتابة مسهبة عن اصلاح التياترو الفرنسوي لكي يقنع رجالهُ انهُ غير مبالٍ بما هو فيهِ ويقنع فرنسا انهُ يدبر امور المملكة صغيرها وكبيرها وهو في حومة الوغى"

وذكر لورد روزبري حديثاً لنبوليون مع الدكتور اوميرا الانكليزي ورجح صحتهُ وهو قول نبوليون لهُ "ان وزراءكم ارادوا ان ينسى الناس اسمي فاذكروهم بهِ ببخلهم المنتن وسوء تصرفهم ولو عقلوا لاباحوا لي ولرجالي ان ننفق قدر ما نشاءُ فاسكتونا واسكتوا الناس اجمع ولم تزد نفقاتنا على ١٦٠٠٠ او ١٧٠٠٠ جنيه في السنة". وطلب بعض الكتب التاريخة فارسلتها الحكومة الانكليزية اليهِ وحاسبتهُ بثمنها فلم يشأْ ان يدفعهُ ثم لما توفي استردتها وباعتها بثمن بخس ولو ابقتها لربحت منها ربحاً وافراً لان عليها كثيراً من الحواشي بخطهِ

(٥) تسليمهُ وامرهُ

قال نبوليون وهو في معركة استرلتز الشهيرة "ان الانسان لا يستطيع الحرب الاَّ سنين قليلة فانا لا استطيعها الاَّ ست سنوات اخرى ثم اضطرُّ ان انحي عنها". ومن الغريب ان الايام حققت صدق هذا القول فبعد واقعة استرلتز بست سنوات وشهر واحد اعلن الحرب على الروس فآب بالفشل واخذ نجم سعدهِ في الافول من ذلك الحين حتى ظن اعوانهُ انهُ اعتراهُ مرض اضعف همتهُ وثبط عزيمتهُ . ومن المحقق انهُ اخذ يسمن وصار يكثر من الاكل والنوم . والظاهر ان السرطان الذي اماتهُ وامات اباهُ من قبلهِ شرع ينمو في معدتهِ فيهيجها لطلب الطعام فزاد اكلهُ وزاد سمنهُ فقلَّ ورود الدم الى دماغهِ وتوليد الافكار فيهِ . وهذا

امرٌ عاديٌّ يصيب كل من كان عصبيًّا نحيفًا . ثم سمن وترهّل وزاد سمنهُ وهو في جزيرة البا لانهُ انقطع فيها عن الاشغال الشاقة وعكف على الملاذ فاتخذ سمنهُ دليلاً على انكفاء مطامعهِ وضرب على بطنهِ بيديهِ في قصر التويلري وقال للذين حولهُ هل يبقى في الانسان مطامع بعد ان يصير سمينًا مثلي . وثبت لاعوانهِ ان همتهُ فترت وعضب دماغهِ كلَّ عن المضاء فصاروا يتناجون في ذلك واصبحوا يجاهرون بهِ . وجعل وزراؤهُ يدخلون عليهِ فيجدونهُ نائمًا والكتاب في يدهِ بعد ان كان يبيت الليالي ساهرًا وهو على صهوة جوادهِ . وصار يكثر من الكلام ويفيض في الحديث كلما مل من الشغل العقلي كأنهُ يجد في الكلام راحة وفكاهةً . وبلغ من ضعف عزيمتهِ انهُ وهو في جزيرة البا انتبه الى خيانة وزيرهِ فوشه ولام نفسهُ لانهُ لم يقتلهُ لكنهُ ابقى عليهِ لما عاد الى باريس ولم ينلهُ بمكروه . وفوشه هذا هو الذي خدعهُ وخانهُ وسلمهُ للانكليز . وكان نبوليون يعلم ذلك ولكنهُ ابقاهُ رئيسًا للبوليس ولم يجسر على الاقتصاص منهُ

ولما استثقل متاعب الملك ودسائس الاعوان وضاق بها ذرعًا خرج بجندهِ للقتال لعلهُ يشفى من مرض الخمول مستشفيًا من داء بداء ولكنهُ فعل فعلَ المقامر الذي تتكرر خسارتهُ وتضيق بهِ الدنيا فيخاطر بكل ما يملك دفعةً واحدة عساهُ ان يسترد ما خسرهُ او يبلغ حد الافلاس . ولم يبلغ ميدان القتال حتى خارت قواهُ فلم يعد يعبأ بالبحث عن مواقع الاعداء ولا يهتم بسرعة الهجوم عليهم مع انهُ فاز في حروبهِ السابقة لاهتمامهِ بهذين الامرين . ولم تدر رحى الحرب حتى قال يظهر انهم اشتبكوا (Il paraît qu'ils sont mêlés) وادار راس جوادهِ وخرج من ساحة الوغى وهرب الى باريس لا يلوي على احد فوصل قصر الاليزه الساعة السادسة صباحًا (في الحادي والعشرين من شهر يونيو) وقال " ان الجيش فعل فعال الابطال ولكن تولاهُ الاضطراب . وبلغ الجنون من ناي انهُ فادى بالفرسان ". ثم ارتمى في حمام من الماء السخن واستدعى وزراءهُ

ورآهُ لا قالت ذلك الصباح ووصف كيف قابلهُ قائلاً حالما رآني بادر اليَّ وهو يضحك كالمجانين ويقول يا الهي يا الهي ويرفع عينيهِ الى السماء ويمشي حول جدران الغرفة ثم لم تلبث هذه النوبة ان فارقتهُ فثاب اليهِ رشدهُ وسألني عمَّا هو جارٍ في مجلس النواب . وكان يجب عليهِ ان يبادر الى المجلس قبلما يخلع ثيابهُ ويسحرهُ ببلاغة خطابهِ ويأمر بقتل فوشه لانهُ سبب هذه البلية ولكنهُ لم يفعل ذلك بل عقد مجلسهُ الخاص وفوشه يحرّض حزب المعارضين على مقاومتهِ واعوانهُ وذوو قرباهُ يتوسلون اليهِ ليبدي شيئًا من حزمهِ السابق وهو صامت لا يتكلم . وجعل المعارضون والخائنون والمتآمرون يلمّون شملهم ويجاهرون بمقاومتهِ وهو جالس لا يبدي

ولا يعيد وقد فرغت حيلتهُ وفارقتهُ عزيمتهُ . مركبتهُ واقفة على الباب لتسير بهِ الى مجلس النواب وهو جالس في مكانهِ لا يتحرَّك . واخيرًا قدّمت اليهِ ورقة التنازل عن الملك فامضاها بيدهِ وهو كأنهُ في بحران . فعل ذلك والجنود خارج القصر والشعب كلهُ يناديهِ لكي لا يتركهُ وهو لو قال كلمة واحدة لاستراح من خصومهِ كلهم في ساعة من الزمان او لأحدث في البلاد ثورة كالثورة المشهورة ولكنهُ لم يقل كلمة ولا فعل شيئًا بل ارسل مركبتهُ بين الجموع فارغة وخرج في مركبة اخرى الى قصر مالمازون Malmaison وجلس هناك يقرأ الروايات غير مهتم بالدفاع ولا بالهرب . واخيرًا عرض خدمتهُ على الحكومة الموقتة كجنرال فرفضت طلبهُ وامرتهُ بالخروج من البلاد فاطاع وخرج في ربع ساعة ووصل الى روشفور واقام فيها وهو لا يزال في بحرانهِ لا يعي على شيءٍ . وعرض عليهِ اخوهُ يوسف ان يهرب الى اميركا في سفينة اميركية كانت هناك وكان ذلك ميسورًا لهُ فلم يفعل . وعرض عليهِ الهرب في سفينة هولندية فلم يقبل وكان هناك بارجتان فرنسويتان فعرضتا عليهِ ان يهرب في واحدة منهما وتبقى الاخرى تشغل السفينة الانكليزية عنها لكنهُ لم يفعل شيئًا من ذلك بل سلَّم نفسهُ للانكليز وجلس على ظهر سفينتهم يقرأ في اوسيان Ossian وسارت بهِ السفينة وهو في بحرانهِ الى ان قابلت اوسنت فخرج من غرفتهِ ونظارة في يدهِ ووقف ينظر الى سواحل فرنسا من الساعة السابعة صباحًا الى الظهر اي الى ان غابت تلك السواحل عن نظرهِ فعاد الى غرفتهِ متكئًا على ذراع برتران وهو شاحب الوجه صامت لا يتكلَّم وعاودتهُ نوبات الخمول كل مدة اقامتهِ في جزيرة القديسة هيلانة فكان يقيم ساعات متوالية في فراشهِ او في حمامهِ ولم يعد يلبس ثياب النهار الاَّ بعد الظهر . ومع ذلك كانت الوزارة الانكليزية ونائبها السرهدصن لو في قلق دائم لئلاَّ يهرب من تلك الجزيرة و يقيم الدنيا عليها

وقد اختار الانكليز هذه الجزيرة لانها ابعد الجزائر عن اوربا واقفرها وحصَّنوها حتى صارت امنع من عقاب الجو وظلَّ السرهدصن لو يزيد في تحصينها ووضع المدافع فيها الى وفاة نبوليون مع انهُ قال للوزير كاسلراي قبل مغادرتهِ لندن انهُ لا يرى سبيلاً لهرب نبوليون من تلك الجزيرة الاَّ بخيانة حاميتها

والجزيرة صخر كبير مستدير في وسطهِ سهل بنيت فيهِ مدينة اسمها لنغوود يكتنفهُ خندق عميق يفصلهُ عما حولهُ ولا يوصل اليهِ الاَّ من طريق ضيق عرضهُ اقل من عشرين قدمًا وهو شديد التحدُّر حتى اذا دخل الجزيرة عشرة آلاف جندي فخمسون جنديًّا يكفون لمنعهم من الوصول الى مدينة لنغوود ولا يوصل اليها الاَّ بهِ . وهناك آلاي من الجيش وفرقة من المدفعية .

والحراس يحيطون بالمدينة من كل ناحية ويزيد عددهم ليلاً حتى يصيروا حلقة متصلة حول المدينة وهناك سفينتان حربيتان تطوفان حول الجزيرة نهارًا وليلاً وبارجتان في المرفأين اللذين يمكن ان ينزل منهما الى السفن والحراس على كل قمة من قممها يرون كل سفينة آتية اليها عن بعد ستين ميلاً وكلما رأوا سفينة اطلقوا مدفعاً فانتبه الحرّاس والجنود والسفن الحربية. ولم يكن يسمح لسفينة اجنبية ان تدنو من تلك الجزيرة مهما كانت ولا لسفينة انكليزية الاّ اذا كانت من السفن الحربية او سفينة مخصوصة آتية بالمؤونة والميرة للحراس. ومهما كان نوعها لا يسمح لها ان تخابر احدًا في الجزيرة لاي سبب كان

ومع هذا الاحتراس والتضييق لم يكن يسمح لنبوليون ان يخطو خطوة في الجزيرة الاّ ووراءهُ حارس انكليزي. واتفق مرةً انهُ خرج راكبًا وخرج معهُ برتران وغورغو فتبعهم هذا الحارس وكان اسمهُ بوبلتون وطلب اليهِ برتران ان لا يدنو منهم كثيرًا فابى وفيما هو يكلمهُ عدا نبوليون بجوادهِ وتبعهُ غورغو ولم يكن بوبلتون يحسن الركوب فلم يستطع ان يدركهما فاسرع الى الاميرال ككبرن امير البوارج الانكليزية الحارسة الجزيرة وشكا اليهِ امرهُ فضحك الاميرال منهُ ثم قال لهُ كن مطمئن البال ان بوارجي تكتنف الجزيرة حتى لو اراد الشيطان ان يخرج منها لتعذر عليهِ ذلك

ثم لما مرض نبوليون ولم يعد يخرج من غرفتهِ كثرت هواجس لو ووساوسهُ وخُيل لهُ ان نبوليون هرب من لنغوود وتسلّق الصخور ولا يبعد ان تقابلهُ سفينة غواصة تسير تحت الماء فيهرب فيها فكتب اليهِ في ٢٩ اغسطس سنة ١٨١٩ يقول لهُ لا بُدَّ من ان يراك ضابط من الحراس كل يوم. وقد أمر هذا الضابط ان يدوس كل الموانع التي تمنع ذلك وانهُ اذا عارضهُ احد من حاشية نبوليون في اتمام مأموريتهِ أُخرج ذلك المعارض من الجزيرة حالاً وعُدَّ مسؤولاً عن كل ما ينتج من فعلهِ. وانهُ اذا لم يرَ ذلك الضابط نبوليون كل يوم حتى الساعة العاشرة صباحًا حق لهُ ان يدخل البيت الذي فيهِ نبوليون والغرفة التي هو فيها عنوةً. فاجابهُ نبوليون انهُ يفضل الموت على هذه الاهانة اي انهُ يقتل الضابط المشار اليهِ حالما يراهُ وكان ذلك في ٢٩ اغسطس. وفي ٤ سبتمبر اضطر لو ان يعدل عن عزمهِ ويستردّ اوامرهُ. وذاق الضابط الامرّين في مراقبة نبوليون فكان يوصوص من صائر الباب او من ثقب مفتاحهِ او من الكوة فيرى برنيطة نبوليون فيحكم انها على رأسهِ او يراهُ جالسًا في حمّامهِ. ورآهُ نبوليون مرةً وهو يرقبهُ كذلك ففتح الباب بغتةً وخرج اليهِ عاريًا

وفي يومية هذا الرجل من المضحكات ما يعزُّ نظيرهُ. كتب مرةً انهُ بقي ذات يوم اثنتي

عشرة ساعة واقفاً على قدميهِ قبلما استطاع ان يرى نبوليون· وكتب في يوم آخر انهُ بقي واقفاً عشر ساعات على قصب رجليهِ عرضةً لتهكم الخدم ولم يرَ نبوليون

الى هذا الحد بلغت الحماقة من الوالي حتى جعل ضباطهُ عرضةً للهزء والسخرية في قضاء امرٍ لا داعي لهُ·· ومن رأي اللورد روزبري انهُ لم يكن خوف من ان احداً يحاول انقاذ نبوليون لكن الاشاعات كانت كثيرة حينئذٍ عن عزم اناس على بناء سفينة تسير تحت الماء وتصل الى الجزيرة وتنقذ نبوليون منها وكان الوالي يضاعف الحرس كلما بلغتهُ اشاعة من هذه الاشاعات بل كانت الوزارة الانكليزية نفسها تقلق قلقاً شديداً لاشاعات مثل هذه وظلت في قلق الى ان ادركت نبوليون الوفاة · ويقال عن ثقة ان ربان احدى السفن عرض ان ينقذ نبوليون في قارب خلسة ويوصلهُ الى اميركا لكن نبوليون رفض ذلك رفضاً باتاً· وعُرضت عليهِ اساليب اخرى للنجاة فنظر اليها نظر الازدراء· نعم انهُ كان يود ان ينقذ من الاسر ولكنهُ كان يريد ان يحدث ذلك جهاراً بواسطة شريفة يأمن بها على حياتهِ بعد انقاذهِ واما لو هرب هرباً لتعقبهُ خصومهُ اين ذهب واوقعوا بهِ · والظاهر من قول منتلون ان نبوليون كان يعتقد بالقضاء والقدر ويقول ان كل شيءٍ في كتاب مسطور وانهُ لا يموت الاَّ حيث قدر لهُ كأنهُ يردد قول الشاعر

ومن كانت منيتهُ بارضٍ فليس يموت في ارض سواها

وقال اخيراً لاتباعهِ بعد ان عرضوا عليهِ اساليب مختلفة للنجاة " خير لي ان اموت هنا شهيداً فان ذلك قد يعيد الملك الى ابني اذا بقي حياً " . وقال مرةً ان فيهِ بارقة امل بالنجاة اذا قوي حزب المعارضين في البارلمنت الانكليزي وتبوأت الاميرة تشارلوط اريكة الملك . وقد حسب ان هذه الاميرة تميل اليهِ لانها تزوجت بالامير ليوبولد الذي ودَّ مرةً ان يكون ياوراً لهُ

ولم يكن قليل الاماني بل كثيراً ما كان يهجس بالمحال قيل انهُ امر قوَّاد جيشهِ وهو في حرب الروس ان يقودوا بعض الفيالق وهو يعلم انها فنيت ولما قالوا لهُ في ذلك قال لهم لماذا لا تدعونني أسرُّ باحلامي. ولما هاجمت جنود الاحلاف فرنسا قال للمرشال مكدونلد اني اعتمد على فيلقك فقال لهُ المرشال ألا تريد ان نستعرض هذا الفيلق فلا يأخذك استعراضهُ دقيقة لانهُ مؤلف مني ومن ياور واحد وكل ما عندنا اربعة كرامي قش وطاولة خشب ابيض· وفي معركة سنة ١٨١٤ كان يقول لمارمون اذهب برجالك العشرة الآلاف فقال لهُ مارمون انهم الآن ثلاثة آلاف فقط فلم يلتفت اليهِ بل ظلَّ يقول انهم عشرة آلاف · ومع كل ذلك كان لهُ

مهابة عظيمة في قلوب كل من في جزيرة القديسة هيلانة . قال المندوب الروسي "ان لهذا الرجل المخلوع المأسور المكتنف بالحرّاس والحفّاظ من السلطة على كل الذين يدنون منهُ ما يُعجب ويُدهش فان كل ما في هذه الجزيرة يدلُّ على تفوُّق نبوليون وعظمتهِ . الفرنسويون يرتجفون من رؤيتهِ ويحسبون خدمتهُ منتهى السعادة . والانكليز لا يدنون منهُ الاَّ والرهبة تشملهم حتى حرَّاسهُ يتمنون ان ينظر اليهم نظرةً او يكلمهم كلمة وما من احد يستطيع ان يلتفت اليهِ التفات النظير الى نظيرهِ ". وزد على ذلك انهُ كان يدخل اكواخ الاهالي ويجلس معهم ويكلم الخدم والعبيد ويتحفهم بالهدايا ولما رأى الوالي ذلك ضيَّق عليهِ النطاق لئلاَّ تتعلق قلوب السكان بهِ فيعصوا اوامر الحكومة

الزهد في الحياة

في قطيع نعجةٌ قد نتجت · حملاً أبيض كالثلج النقي
رأمتهُ وسقتهُ لبناً · فتقوَّى نامياً ممَّا سقي
شارفتهُ وعليهِ انعطفت · حفظتهُ كسوادِ الحدقِ
عند ما أصبح شهراً عمرهُ · وعن المربض لم يفارقِ
جاءهُ الراعي ومعهُ مدية · وبها ينوي احتزاز العنقِ
فدعاهُ مستغيثاً خاشعاً · عند ما القاهُ فوق الطبقِ (١)
قائلاً مولايَ رفقاً انني · في حياتي لذَّةً لم أذقِ
ما رعيتُ العشبَ بل مازلتَ من · ضرعِ أمي من لبانٍ استقي
ما برحتُ السجن يوماً واحداً · ومع القطعان لم انطلقِ
أعفُ عني سنةً احيا بها · مطمئناً في سراحٍ مطلقِ
لا يخاف الفوتُ مني وانا · كل يومٍ عالق بالوهقِ (٢)
فاتقِ الرحمانَ في حقيَ او · فاصنع الرحمة ان لم تتقِ

***

رفق الراعي بهِ وانطفأت · جمرةٌ في طرفهِ المغرورقِ

---

(١) الطبق سطح الارض او ماعون مقعر من الخشب مثل الذي يضعهُ الجزَّار تحت العنق ليجتمع فيهِ الدم
(٢) الوهق حبل في طرفهِ انشوطة يطرح على عنق الدابة لتوخذ بهِ

قال فاذهب وارتبع كيف تشا واذكر الحمدَ لقلبي المشفقِ
فمضي يمرح عامًا كاملاً ينتشي في البرّ ريحَ الحبَقِ
شاربًا من كلّ وردٍ سائغٍ آكلاً من كلّ نبتٍ مورقِ
غاديًا عند تباشير الضحى رائحًا عند دنوّ الغسقِ
لاجئًا في الحرّ للاظلال او عائذًا من مطرٍ في نفقِ
يلحق الزاعي ويدري انهُ طعمة السرحان ان لم يلحقِ

***

بعد ان مرَّت عليهِ سنةٌ قصد الراعي بقلبٍ قلقِ
قال ماضي العمر قد ادركتهُ جئتُ كي تخبرني عما بقي
هل أواتي العيش كالماضي تُرى جزعٌ في نكدٍ في رهقِ (١)
هكذا في سغبٍ (٢) ولغبٍ (٣) هكذا في نصبٍ او حرَقِ
ابدًا في عطشٍ لا نشرب الا ماء الأ مفعمًا بالرنقِ (٤)
ان نغادر فرقًا حاق بنا لم نغادرهُ لغير الفرقِ
تارةً نهبط للقيعان في طلب القوت وطورًا نرتقي
في شتاء بردهُ أرهقنا ما بهِ الأ انصبابُ الغَدَقِ (٥)
لا نرى في قبّة الجوّ سوى غضب من مُرعدٍ او مُبرقِ
كان اخوانٌ لنا لم ننسهم جرفوا بالعارض المندفقِ
اقبل الصيف فقلنا انفرجت فالتقانا بالهجير المحرقِ
ناب عن سيل شآبيب (٦) الشتا من جلودِ الحيّ سيلُ العرقِ
وعلينا فوق ما نحن بهِ يرصد الذئب شعاب الطُرُقِ
فاذا صادف منّا غرّةً جاءنا ينشبُ ناب الحنقِ
فكان العمر بحرٌ مزبدٌ وكأني فوقهُ في زورقِ
ابدًا في خطرٍ يرصدني ابدًا في حذرٍ من غرقِ

(١) الرهق الاسم من الارهاق وهو حمل الانسان على ما لا يطيقهُ (٢) السغب هو الجوع مع التعب (٣) اللغب هو التعب الشديد والاعياء المنهك (٤) الرنق هو كدر الماء (٥) الغدق هو الماء الكثير (٦) واحدها شؤبوب وهو الدفعة من المطر

نكباتٌ قوّضت جسمي ولم تُبقِ من روحيَ غير الرمقِ
طالَ عيشي المرُّ في داجيةٍ وانا ارقبُ وجه الفلقِ
هل لهذا الليل صبحٌ يُرتجى فرَجٌ من ضوئهِ المنبثقِ
هل انا وحدي شقيٌّ يا ترى في ربى الارض ام الكلُّ شقي
هل ارجّي في حياتي زمناً خالصاً من حذرٍ او قلقِ
ام بواقي العمر مثل المنقضي ومواضيهِ هوادي الملحقِ

***

اقبل الراعي عليهِ قائلاً انما الايام مثل الحلَقِ
فاذا عشتَ قروناً عدّةً لستَ تلقى غير هذا النسَّقِ
راحت الدنيا على طلاّبها وجدوها كالعقوق الابلقِ(١)
قبلك الكلُّ على سطح الثرى طلبوا السعد بسعيٍ مخفقِ
دفعوا ناب البلايا عنهمُ زمناً دفعَ ضعيفٍ متقي
صرعتهم نوبٌ ارواحُهم معها مهما تعمّرْ تزهقِ
كل حيٍّ في الثرى مهما يطل عمرهُ يأتِ لهذا المأزِقِ(٢)
ان تجاهد زمناً سوف يجي زمنٌ مهما تجاهد تغرَقِ

***

فاجاب الحملُ النادمُ يا ليتني اخترت احتزاز العنقِ
ليت اني صرت نسياً مغفلاً ليتني متُّ بعامي الاسبقِ
خذ السكين واذبحني ولا تبقني رهن البلاء المحدقِ

دمشق الشام فارس الخوري

(١) الابلق العقوق اي الذكر الحامل وهو عبارة عما يستحيل وجودهُ
(٢) المأزِق هو المضيق

عجائب الحرب

قيل ان رجلاً من اهالي اميركا طلب من رجل من هنودها ان يبارزهُ فكان اختيار السلاح من حق الهندي فاختار برميلاً من البارود يجلسان عليهِ كلاهما و يشعل بارودهُ بهما. وهذا شأن المحاربين في هذا الزمان فانهم كالجلوس على برميل من البارود يشعل ما فيهِ فينسفهم كلهم نسفاً

وكان المظنون ان دول الارض تفقه الى ذلك فلا تعود تتقاضى الى السيف والمدفع واللغم والطربيد بل تقيم بينها المحكمين المنصفين كما يفعل جمهور الناس عامتهم وخاصتهم بل كما يفعل عرب البادية ومتوحشو افريقية في غالب الاحيان . ولكن وراء هذه الجيوش المجيشة القائد والملك والصانع وصاحب الاموال وكلٌّ منهم يغني على ليلاهُ ولا يعبأ بحياة سواهُ . الاول يسعى الى الامتياز على اقرانهِ وترفيع رتبتهِ ومقامهِ وتحلية صدرهِ بالنياشين والثاني يحاول اشغال قومهِ بالحروب والفتوح عن طلب الحكومة الدستورية والمشاركة في السيادة والثالث يصنع البنادق والمدافع واللغوم والطرابيد والبوارج والطرادات ولا تروج سوقها ولا تتوفَّر مكاسبها الاَّ اذا نشبت الحروب واقتضت استعمال الكثير منها. وصاحب الاموال يدين الدول في اوقات الضيق و يتقاضى منها الربا الفاحش و يعيش متنعماً بهِ هو واولادهُ من بعدهِ . كذا فعل بيت روشيلد وغيرهُ من البيوتات الكبيرة في اوربا واميركا وكذا تراكمت الديون الفاحشة على انكلترا وفرنسا وايطاليا وقام الوف من الاغنياء يتنعمون بجنى الملايين من الرعايا المساكين وجمهور الناس اغنام ترعاهم ذئاب

ويتعزَّى الكتَّاب احياناً كما نتعزَّى نحن بان قتلى الحروب الحديثة اقلُّ من قتلى الحروب القديمة . وهذا صحيح على اطلاقهِ ولكن لماذا لا تبطل الحروب مطلقاً وهي خالية من كل نفع لنوع الانسان وليس فيها الاَّ الضرر والضيم والالم والشقاء ولا يستفيد منها الاَّ اناس يُعَدُّون على الاصابع يضرمون نارها و يذكون اوارها لمال يكسبونهُ او فخر ينالونهُ واكبر المخترعين يتنافسون في استنباط آلات الهلاك و يسخّرون لها اجمل ما اكتشفهُ عقل الانسان من حقائق العلوم الطبيعية والرياضية

من كان سنُّهُ بين الاربعين والخمسين من قراء هذه السطور يتذكر البندقية ذات الزناد تحشى من فمها بالبارود والرصاص. والمدفع المسبوك من الحديد او النحاس يحشى ببارود اسود يعمي دخانهُ الابصار وقنابل صغيرة مستديرة لا تُقذَف بالبارود الاَّ الى امد قريب . والبارجة

ذات الشراع تعبث بها الرياح وتخرقها القنابل فجاء العلم الطبيعي والرياضي وغيَّر كل ذلك· صارت البنادق تحشى من خزنتها برصاصات كثيرة دفعةً واحدة ويوضع معها بارود لا دخان لهُ او يركَّب في خزنتها آلة دوَّارة تلقمها الرصاص باسرع من لمح البصر فتطلق الف رصاصة في الدقيقة . والمدافع الرشاشة ينصبُّ منها الرصاص كالمطر الهطال · وصارت البوارج تدرَّع بدروع من الحديد الصلب يبلغ سمكها قدمين او اكثر. وتبارى صانعو الدروع وصانعو المدافع والقنابل واستخدم الفريقان العلم الطبيعي والرياضي اولئك يصلّبون الحديد ويقسونهُ حتى لا يخدشهُ المبرد ولا يخرقهُ شيءٌ وهؤُلاء يكبرون القنابل ويدققون رؤُوسها ويطوّلون المدافع ويشخّنون جوفها حتى تصير القنابل تقع على الغرض بقوة تزحزح الجبال وتخرقهُ ولو كان اشد المعادن صلابةً. فبلغت الدروع حد ما تحملهُ السفن من حيث ثقلها ولا تزال تزيد صلابة بتوالي الاكتشافات العلمية ولا تزال القنابل تزيد ثقلاً وقوةً بتكبير المدافع وتطويلها واتقان عمل البارود

وقد استنبط المستر هدصن مكسيم باروداً جديدًا تحشى بهِ القنابل فلا تنفجر متى اصابت درع البارجة الكبيرة كما تنفجر القنابل عادة بل بعد ان تخرقهُ وتدخل البارجة ومتى انفجرت تمزقت الوفاً من القطع وانتشرت قطعها في السفينة كرصاص البنادق وقتلت كل من تصيبهُ فهي القضاء المبرم على البوارج لانها تخرق دروعها وتنفجر فيها انفجاراً

وقد استخدم رجال الحرب التلغراف الذي لهُ سلك والذي لا سلك لهُ ولم يعودوا ينصبون لهُ الاعمدة كما كانوا يفعلون قبلاً بل صاروا يلقون اسلاكهُ على الارض فتبقى اقسام الجيش متصلة بعضها ببعض مهما تفرقت وتباعدت فهو آذان القواد والجنود يسمعون بعضهم بعضاً بهِ مهما شسعت الابعاد بينهم

واستخدموا النور الكهربائي فهو عينهم يرون بها ابعد الاشباح في الليل الدامس كما يسمعون بالتلغراف اخفت الاصوات في البعد الشاسع . تلقي البارجة اشعة نورها الكهربائي حولها على اميال كثيرة وتفتش بهِ عن نسافات العدو فترى نسافة مسرعة اليها تقطع لجج البحر بسرعة دونها سرعة السوابق وبين يديها طوربيد فيهِ الموت الزؤَام اذا وصلت اليها ورشقتها بهِ اوردتها حتفها في لحظة من الزمان · ومئات من الرجال وبدرات من الاموال وثمار العلم والصناعة تغوص في لجج اليم الى يوم يحشرون · لكن النور الكهربائي يكتشف النسافة قبل ان تدنو من غرضها وللحال تصوَّب اليها المدافع وترشقها بمئات من القنابل دفعةً واحدة والنور الكهربائي مشرق عليها حتى لا تختفي عن الانظار الاَّ حين تصيبها قنبلة وتدفنها في قلب البحار

وقد يقال كيف تصوَّب المدافع نحو الغرض في لحظة من الزمان وهي كبيرة ثقيلة كالجبال الرواسخ ثقل بعضها خمسون طنًّا او ستون والجواب ان الكهربائية ربة العجائب قد استُخدمت لتسديد المدافع فتديرها كيف شاء المدير باسرع من لمح البصر وهي التي تضع القنابل فيها وتطلقها منها بما لا مزيد عليهِ من السرعة والإحكام

وكان الطربيد يسير في الماء بقوة ما فيهِ من الهواء المضغط فتكون سرعتهُ نحو نصف ميل في الدقيقة ثم تقلُّ ويبطؤُ سيرهُ فيخشى ان السفينة التي اطلقتهُ تلحق بهِ في سيرها فينفجر تحتها ويغرقها. وقد استنبط المستر هدصن مكسيم مادة اطلق عليها اسم موتوريت يضعها في الطربيد بدل الهواء المضغط فتكون سرعتهُ اشد ممَّا لو سار بالهواء ويسير بها الى ابعد ممَّا يسير بالهواء. واستنبط ايضًا قوارب طربيد تسير بهذه المادة فتكون سرعتها فائقة جدًّا وتغوص تحت الماء فاذا سُلّح القارب منها بالطرابيد لم تنجُ منهُ بارجة مهما كان حجمها ومهما كانت سرعتها

هذه بعض عجائب الحروب الحديثة وكلها او اكثرها يستخدم الآن في الحرب الناشبة بين الروس واليابان. ثمار العلوم ونتاج العقول يقيّد مئات الالوف باستخدامها ليقتل بها بعضهم بعضًا خدمة لنفر قليل من الملوك والقواد وارباب المال والاعمال

حياة الجماد

الباب الثالث

ترتيب الاجسام الحية وغير الحية وتركيبها الكيماوي

اول ما نسألهُ هنا ما هي صفات الجسم الحي الحقيقي التام. وما هي خواصهُ الاساسية. وهذه الصفات والخواص هي تركيب كيماوي معلوم وبناء وشكل خصوصيان وارتقاء لهُ مدة محدودة وآخرة هي الموت وقدرة الجسم على النموّ او الاغتذاء وعلى اخلاف النسل

وهنا سؤالان آخران وهما اية خاصة من هذه الخواص هي الاهمُّ في حدّ الحياة وتعريفها. واذا فقد الجسم الحيّ بعضها أفيكفي ذلك لتحولهِ الى جسم غير حيّ. وللجواب عن ذلك نقول ان كلَّ ما نعرفهُ عن تركيب المادة الحية وترتيبها متضمَّن في قانوني الوحدة الكيماوية التي للاجسام الحية. الاول ان الحياة انما تظهر في المادة الحية (بروتوبلازم) وبواسطتها. والثاني ان الحياة تحفظ في بروتوبلازم لهُ اعضاء الخليَّة التامة. ولو كان هذان القانونان مطلقين وصحَّ

ان الحياة لا توجد الاَّ في البروتوبلازم و بواسطتهِ وفي الخلية و بواسطتها لحكمنا ان الحياة مقصورة على المملكة الآلية ولكن ألا يمكن ان تظهر آثار الحياة في احوال وشروط اخرى اي في مادة ليست بروتوبلازماً وفي جسم لهُ تركيب يختلف عن تركيب الخلية و بعبارة اخرى في كائن ليس حيواناً ولا نباتاً . وهذا ما نريد ان نثبتهُ بالامتحان

ظهر من تجارب كثيرين من العلماء انهُ لا بدَّ للحياة من وجود الجسم الخلوي ونواتهِ اي لا بدَّ من ان تكون الخلية تامة التركيب صحيحة لتكون حية . ولكن ظهر ايضاً من تلك التجارب انهُ اذا فقدت الخلية صحتها لم يعقب ذلك الموت حالاً بل ان بعض الوظائف الحيوية يبقى جارياً مجراهُ في بروتوبلازم فقد نواتهُ وفي خلية مختلة وغير تامة. ثم انهُ اذا طحنت الخلايا وسحقت توقف معظم وظائفها عن العمل ولكن ظهر بالتجارب التي عملت في بعض نبات الخمير ان البروتوبلازم لا يموت ولو طحن واختلَّت وظائفهُ الحيوية بل ان كثيرًا من خواصهِ يبقى ظاهرًا عليهِ

ومما لا ريب فيهِ ان بعض مظاهر الحياة يظهر خارج الخلية وبعيدًا عنها اي في اجسام غير آلية و يصاحب ظهورها فيها اعراض تشبه اعراض المادة الحية . وقد ثبت بالمشاهدة والامتحان ان وجه الشبه بين اعراض الفئتين تامٌّ فان بعض العلماء أبان ان الاعراض المرافقة للبلورات والجراثيم البلورية تشبه اعراض الحياة كل الشبه

الباب الرابع

ارتقاء المادة الحية وغير الحية وتغيرها

من اشهر خواص الجسم الحيّ ارتقاؤهُ وتغيرهُ المستمر . فانهُ يبدأُ ضعيفاً ثم ينمو ويرتقي ثم ينحط ويضمحل . ورب سائل يسأل هل هذا الارتقاء وهذا التغير خاصان بالجسم الحيّ ألا يطرأُ على الجسم غير الحيّ ما يشبههما . والجواب عن ذلك لا يحتمل اقل ريب . فقد قال بيشات — ولم يصب كبد الحقيقة في ما قال — ان الخواص الحيوية وقتية ومن مزيتها افناء نفسها على مرّ الزمن . بخلاف الخواص الطبيعية فانها ازلية ابدية . فالاجسام غير الحية لا بداءة لها ولا نهاية لازمة ولا زمان محدودًا ولا ارتقاء بل تبقى غير متغيرة كالموت الذي هي صورتهُ

وهذا القول غير صحيح في الاجرام السموية مثلاً . فقد زعم القدماء ان الاجرام السموية لا يطرأُ عليها تغير ولا فساد و بقي هذا الزعم متسلطاً على العقول حتى القرن السابع عشر حين

وجّه الراصدون اول منظار اخترعهُ غليليو يرقبون بهِ وجه السماء فدهشوا لما رأَوا في الفلك من التغير على حين انهم كانوا يعتقدون انهُ ثابت لا يتغير . اما نحن فلا يدهشنا ما يطرأُ على الاجرام السموية من التغير آناً بعد آن فان مذهب لابلاس في اصل الافلاك بات معروفاً مشهوراً وما من احدٍ الاَّ ويعرف شيئاً عن تغير الاجرام السموية ودورانها المستمر . قال المسيو فاي ان الاجرام لم تكن موجودة منذ الازل بل كان لها زمان تكونت فيهِ ولا بدَّ ان تشيب وتهرم ثم ينطفىء سراجها اخيرًا

وعليهِ فان الاجسام غير الحية ليست ابدية لا تتغير . فان الاجرام السموية قابلة للارتقاء وارتقاؤُها بطيء بالنسبة الى ما يشاهد على هذه الارض . ولكن اختلاف تلك النسبة المطابق لطول الزمان واتساع المكان مما لا تعدُّ مقاييسنا شيئاً مذكورًا في جنبهما لا يغيرّ وجه المشابهة الجوهرية بين الامرين

ولكن ما لنا وللاجرام السموية البعيدة عنّا في البحث عن حركة الاجسام غير الحية المشابهة لحركة الاجسام الحية . ولنسأَل علماءَ الفلسفة الطبيعية والكيمياء القريبين منا يجيبونا او لننظر الى ما حولنا تنكشف لنا الحقيقة باوجهها . اما علماء الجيولوجيا فان لدانتيك يذكر جيولوجياً قسم الجمادات الى قسمين سمّى الاول منهما بالصخور الحية وهي الصخور التي يتغير تركيبها وترتقي مطاوعة لتأْثير الظواهر الجوية فيها . وسمّى الثاني بالصخور الميتة وهي التي بعد ما مرّت بها ادوار التغيُّر كلها بلغت دورًا وقفت عندهُ واستراحت راحتها الاخيرة ومن هذا القبيل الطفال . وذهب غيرهُ الى أَبعد من ذلك فقال ان الصخور الحية تصاب بالمرض ويدركها الهرم ثم الموت . وبمثل هذا الكلام يتكلم باعة الجواهر هذه الايام عن بعض الجواهر الثمينة

اما اهل الكيمياء القديمة فقالوا في ذلك ما شاؤُوا وزعموا ان انواع المادة المختلفة عاشت وبلغت واستحالت من نوعٍ الى آخر

هذا والمشهور ان كلَّ شيء في الكون لا ينقطع عن العمل والحركة وان سكون الاشياء الطبيعية امر ظاهري فقط سببهُ عجزنا عن الشعور بحركتها الداخلية فاننا لا نرى الدقائق والذرات التي تتأَلف منها لشدة صغرها مع انها في حركة دائمة — تخطر ذهاباً واياباً ويحلُّ بعضها محل بعض وتجتمع في صور وامكنة ملائمة لاحوال الوسط المحيط بها وهذه الحركة حقيقية لا وهمية وهي تنتج تعباً تعقبهُ راحة كما في الاجسام الآلية . واول من ذكر تعب المعادن او تعب مرونتها اللورد كلفن ونسب غيرهُ الى الاجسام غير الحية اوصاف الاجسام

الحية مثل انحناء الزجاج مطاوعة للضغط ومقاومة الفولاذ للانسحاب مدافعة عن نفسهِ من الانقصاف وما اشبه ذلك. ومنهم من نسب اليها الذاكرة وآخرون نسبوا اليها الهستيريا في كلامهم على انفعالات الاجسام المعرضة للمغنطيسية او بعض القوى الميكانيكية. واعترف علماء الفلسفة الطبيعية الذين بحثوا في مرونة الاجسام كلهم ما عدا واحداً منهم ان تأثير قوة خارجية في جسمٍ ما يتوقف على القوى التي فعلت فيهِ قبلاً لا على القوة التي تفعل فيهِ الآن وحدها . حتى قال احدهم ان قطعة من سلك الحديد تتذكر ان كانت قد سحبت او فتلت او طرأ عليها طارئ آخر الى مدة محدودة ثم تنسى ذلك

على ان أبسط الطرق للحكم في حركة المادة ان نشاهدها حيث دقائق المادة حرة تتحرك كيف شاءت . وذلك فيما اذا نظرنا بالمكرسكوب دقائق الغبار الطافية على وجه سائل من السوائل او نقط الزيت العائمة على وجه الماء . فاذا كانت تلك الدقائق او النقط صغيرة جداً ظهرت قلقة مضطربة لا تستقرُّ على حال ولا تنقطع عن الحركة البتة وهذه الحركة تسمى "حركة برون" نسبة الى العالم الانكليزي برون فانهُ كان اول من اكتشفها وذلك سنة ١٨٢٧

والذي يأخذ نقطة من ماء النهر او البحر وينظر اليها بالمكرسكوب يندهش من كثرة حركة الاحياء المكرسكوبية التي فيها ولكنهُ يرى دقائق اخرى دائمة الحركة والاضطراب وهي ليست اجساماً حية بل غبار معدني ودقائق اخرى غير آلية . ولالتباس حركتها بحركة الاحياء المكرسكوبية كثيراً ما اخطأها الباحثون فظنوها نوعاً من الحيوانات او البكتيريا على ان الخبيرين يسهل عليهم التمييز بينها وبين الاحياء الحقيقية فان حركتها اشبه بخطران الرقاص اي انها حركة لا ينتقل الجسم المتحرك بها من موضعهِ بخلاف حركة الاجسام الحية وكلما زاد حجمها بطؤَت حركتها او قلَّ حجمها أسرعت حركتها حتى يعسر تتبعها . وقد قال بعضهم ان تلك الحركة لا تتوقف على طبيعة الدقائق المتحركة ولا على شكلها ولا على طبيعة السائل الذي تعلق بهِ بل على قوامهِ او درجة لزوجتهِ فانها اسرع في الكحول والاثير مما هي عليهِ في الحامض الكبريتيك والجليسيرين مثلاً . ومن الادلة على ان تلك الحركة ليست حيوية وجودها في السوائل التي أُغليت وفي الحوامض وغيرها من السوائل القاتلة للاحياء . ومن اهم صفاتها دوامها وعدم انتهاء مدتها فان صخور الغرانيت تتضمن بلورات من الكوورتز وكانت كل بلورة من تلك البلورات تحتوي عند تكونها على نقطة ماء وفقاعة من الغاز ولا تزال تلك الفقاعة تتحرك حركتها الخاصة من العصر الناري الى الآن (اي منذ ملايين من السنين)

ولا يعلم سبب هذه الحركة . فقد قال بعضهم ان سببها اهتزاز الارض نفسها ولكن غيرهُ

اثبت وجود تلك الحركة حيث لم يظهر على مرآة الزئبق التي توضع في مقاييس الهزات والزلازل اقل اضطراب يدل على اهتزاز تحت الارض . ثم ان الحركة لم تزد عند اهتزاز الارض وظهور اثر الاهتزاز على المقاييس المذكورة ولم تتغير بتغير النور والمغنطيسية والمؤثرات الكهربائية وغيرها من الطوارىء الخارجية

اذا اخذنا قطعة من الكوورتز تتضمن غازاً ظهر لنا انها جامدة لا اثر للحركة فيها ولكن اذا نظرنا اليها بالمكرسكوب اتضح لنا ان جمودها وهمي لا حقيقي . فاننا ننظر الى الجسم الذي امامنا كما ننظر الى جمهور غفير من الناس عن بعد — نرى مجموعهم ولكننا لا نرى كلاً منهم بمفردهِ ولا نشعر بحركتهِ ولو كان ذلك المجموع متحركاً . فاذا نظرنا اليهم بالتلسكوب رأيناهم جمعاً مائجاً مضطرباً . وزد على ما تقدم ان دقائق الاجسام لا تقتصر على الحركة داخل الجسم الذي يتألف منها بل انها تنتقل من جسم الى آخر مطاوعة للمؤثرات الخارجية مثل الثقل والضغط والجذب والفتل والنور والكهربائية وما اشبه . فمن التجارب التي عملت للدلالة على انتقال دقائق المادة بالثقل والضغط انهم وضعوا قطعاً من الفلين في قعر اناء صغير من الخشب وقطعة من الشمع الاسود الذي يستعملهُ صناع الاحذية فوق الفلين وحصى صغيرة فوق الكل . وبعد مدة وجيزة انقلب ذلك الترتيب فهبطت الحصى الى الاسفل وارتفعت قطع الفلين الى الاعلى وقطعة الشمع بينهما

وجرَّب بعضهم التجربة الآتية وهي انهُ اتى باسطوانة صغيرة من الرصاص ووضعها على قرص من الذهب ووضع الاثنين في مكان درجة حرارتهِ مثل درجة غليان الماء فبقيا جامدين لان الذهب يذوب على درجة ١٢٠٠ س والرصاص على درجة ٣٣٠ س . وبقيا على تلك الحال شهراً ونصفاً ثم فحص الرصاص فوجد ان دقائق الذهب بلغت راس اسطوانتهِ . وأبان آخر انهُ اذا وضع قرص من النحاس وقرص آخر من الزنك معاً وضغطا ضغطاً شديداً التحما عند سطحيهما المتماسين وهذا ما لا يحدث اذا كانت دقائقهما لا تتداخل

فهذه الشواهد وغيرها تدل على وجود حركة مستمرة بين دقائق الاجسام غير الحية وان تلك الحركة ترس يقيها الطوارىء الخارجية حفظاً لها كما هي الحال في الاجسام الحية . وان الاجسام غير الحية قابلة للتغير والتأثر مثل الاجسام الحية بل قد تكون اشد تأثراً منها احياناً فان الزئبق في الترمومتر يرتفع او يهبط لاقل تغير في حرارة الهواء مما لا يشعر بهِ جسم من الاجسام الحية

الباب الخامس

الاجسام الحية والبلورات

قلنا في كلامنا على خواص الاجسام الحية ان اهم تلك الخواص ثلاث الاولى ان لها شكلاً خصوصياً. والثانية انها قابلة للنموّ والتغذية . والثالثة انها قابلة للتوليد . في عالم الجماد نقصر كلامنا على الاجسام المتبلورة لانها هي وحدها ذات شكل خصوصي دون غيرها فنقول

ان للجماد ميلاً ظاهرًا الى اتخاذ اشكال بلورية اذا كانت القوى الطبيعية التي يخضع لها منتظمة في اعمالها غير عرضة للطوارئ الفجائية . وهكذا يقال في الاحياء فانها لا توجد الاَّ في وسط منتظم سالم من العوارض والغِيَر الطبيعية . والجسم الحيُّ يميل منذ ظهوره الى اتخاذ شكل خصوصي رغماً عن العوارض والمصاعب التي يلقاها في طريق نموّهِ فيضمد جراحهُ ويصلح ما يطرأ عليهِ من الفساد . وهذه الامور تعدُّ في عين الفيلسوف الطبيعي اهمّ خواص الجسم الحيّ لانها ادلُّ الدلائل على وحدانيتهِ . وقد يتبادر الى الذهن انها خاصة حيوية محصورة في الاجسام الحية لا تتجاوزها الى غيرها ولكنها ليست كذلك لانها من خواص الاجسام المتبلورة ايضاً

ولبيان ذلك نذكر بعض الشيء عن تكوُّن البلورات واتخاذها اشكالاً خصوصية للمقابلة بينها وبين الاجسام الحية . ويراد بالشكل في النبات والحيوان وعلم البلورات تجمُّع دقائق الاجسام على نظام محدود او هو الترتيب بعينهِ . فجسم الانسان مثلاً بناءٌ يحتوي على ٦٠ مليون مليون مليون خلية تجد كلٌّ منها مكانها معدًّا لها . ويراد بالشكل ايضاً في علم البلورات الترتيب الذي تظهر البلورات فيهِ . وربما كان تجمُّع عناصر البلورات ابسط من تجمع دقائق الاجسام الحية ولكن البلورات ليست اقلّ ترتيباً وانتظاماً من الاجسام الحية

اما اوجه الشبه بين الاجسام الحية والبلورات فمنها ان الشكل البلوري يعيّن نوع الجماد كما ان الشكل التشريحي يعيّن الحيوان والنبات . ومنها ان تشابه اشكال الحيوانات والنباتات تدلُّ على تشابه اصلها ونوعها وهكذا يقال في البلورات فان تشابه اشكالها يدلُّ على ما بينها من صلة القربى . ومنها ان انواع الجماد المتشابهة في تبلورها وتركيبها الكيماوي يمكن ان يحلّ بعضها محل بعض في البلورة الواحدة عند تكوُّنها فتمتزج معاً وامتزاجها هذا يقابل تزاوج الاحياء التي من نوع واحد . ومن اهمّ اوجه الشبه بين الاحياء والبلورات دفاعها عن نفسها واصلاح ما يطرأ عليها من الفساد . فمن المشهور ان الجسم الحيّ يرمّ جراحهُ ويستردُّ ما فقدهُ ويجدّد الاجزاء التي تزال منهُ . وهكذا تفعل البلورة . فقد أبان بعض الباحثين ان البلورات تتكوّن

من نواة اصلية كما يتكون الحيوان من الجنين وان الاجزاء التي تتكوَّن منها تجمع طبقاً لقواعد هندسية وعلى مثال ما يجري في البيضة التي يتركَّب منها جسم الحيوان . على انهُ قد يطرأُ على البلورة طارىء في خلال تكوُّنها فتتشوَّه ولكنها تصلح ذلك كما شاهد باستور . فقد قال انهُ اذا كسر قسم من بلورة ثم أُعيدت الى السائل الذي تكونت منهُ اخذ حجمها يكبر من كل جانب وخصوصاً من الجانب المكسور ولا تمضي ساعات قليلة حتى يتمّ جبر الكسر وانتظامهُ على مثل ما كان عليهِ قبلاً

الباب السادس

تغذية الجسم الحيّ والبلورة

قالوا وأَصابوا ان خاصة التغذية اهم خواص الاحياء ولكن في البلورات عملاً يشبه عمل التغذية . فان البلورة تنمو من نواة اصلية كما قلنا سابقاً تقابلها الجرثومة في النبات والجنين في الحيوان . واذا وضعت تلك النواة في سائل من نوعها نمت بتمثيل مادة السائل وهي محافظة على شكلها وقد تبلغ حجماً كبيرًا اذا عرفنا كيف نغذيها . وكثيرًا ما يحدث ان جزءا جديدًا من البلورة يصير نواة تمتصُّ من السائل الذي حولها فيتأَلف منها بلورة جديدة ملاصقة للأُولى واذا رفعت من السائل توقفت عن النمو مثل بزور النبات حتى اذا أُعيدت اليهِ عادت تنمو وتكبر . ونموها يتوقف على حرارة السائل الذي هي فيهِ فاذا برد نمت واذا أُحمي ذابت . وهذا يشبه ما يجري في الاحياء من بعض الوجوه

وقد يتبادر الى الوهم ان بين الجسم الحيّ والبلورة تناقضاً تامًّا في كيفية التغذية والنمو فان الجسم الحيّ يتغذّى بالمداخلة[1] والبلورة بالملامسة . وذلك لان البلورة مؤَلفة من سطوح لا تتخللها المواد المغذية وعليهِ يتم عمل التغذية فيها بالملامسة الخارجية ويزيد حجمها بالاضافة اليها من الخارج . اما الجسم الحيُّ فعلى ضد ذلك فان المواد المغذية تتخللهُ بسهولة لانهُ مؤَلف من خلايا ذات صور واشكال مستديرة مرنة فالسوائل والغازات التي تصيبهُ من الخارج تستطيع دخولهُ بلا استئذان فيتمُّ عمل التمثيل في جميع اجزائهِ ويزيد حجمهُ بزيادة كل حجر في بنيانهِ

على ان هذا التناقض الظاهر يقلُّ اذا قابلنا ما بين الجماد البسيط في تركيبهِ والجسم الحي المركَّب . ثم ان المداخلة والملامسة ليستا سوى واسطتين ميكانيكيتين يلجأ الجسم الحي اليهما

(١) هي ما تسمى بالانكليزية Intussusception ويراد بها اغتذاء الجسم الآلي بالمواد غير الآلية بادخالها فيهِ كما يراد بها ما اطلق عليهِ علماء الطب اسم اندغام الامعاء اي دخول بعضها في بعض

على السواء طبقاً لحاجتهِ بلا تمييز بينهما . فان عظام الجسم تتغذى وتنمو بالاضافة اليها من الخارج وكذلك اصداف الحيوانات ذوات الاصداف وفلوس الزحافات والاسماك كما هي الحال عليهِ في البلورات . فالمداخلة والملامسة اذا واسطتان ميكانيكيتان لهما علاقة بالصفات الطبيعية التي للاجسام الحية والبلورات وهي الجمود في البلورات والخثور في البروتوبلازم . واذا قابلنا السائل غير الآلي بالمادة الخاثرة الآلية رأينا ان ما يضاف الى كليهما يتمّ امتزاجهُ بالمداخلة . مثال ذلك اننا اذا اضفنا نوعاً من الاملاح التي تذوب الى سائل ما تداخلت دقائق الملح في دقائق ذلك السائل . وعليهِ فليس في المداخلة امر جوهريٌّ خفيت حقيقتهُ على الافهام

الباب السابع

تولُّد الحي والجماد . التولُّد الذاتي

الحيُّ انما يتولَّد من الحيّ . والبروتوبلازم الذي فيهِ انما هو جزءٌ من بروتوبلازم سابق لهُ والعناصر التي يتركب منها متسلسلة عن عناصر حيّ قبلهُ خلفاً عن سلف . ومثل هذا يقال في بعض البلورات فانها تتولد من بلورات سابقة وعليهِ يمكن ان تعدّ بمثابة نسل لها

هذا وان النموّ في الحيّ ناموس الحيوية الاساسي والتوليد النتيجة اللازمة عن النمو . والخلايا الحية لا بدّ ان تزيد وتتضاعف . ففي الاحياء البسيطة يتمّ التناسل بالانقسام او التجزوء . وفي الاحياء المركبة يتم باعضاء خصوصية . وربما ظهر ان ذلك مقصور على الحيّ دون الجماد وان التناسل او التوليد خاصة من خواص الحيّ يمتاز بها على الجماد . ولكن ذلك ليس كذلك كما يظهر مما يأتي

اذا اراد المشتغل بتربية المكروبات ان يربي نوعاً منها وضع بعضها في سائل التربية فنمت واثرت . واذا اراد تربية نوع من المكروبات التي توجد عادة في الهواء لم يضطرّ ان يضع شيئاً منها في السائل بل اذا ترك انبوبة السائل مفتوحة وقعت المكروبات عليهِ وتولدت فيهِ وتكاثرت وتولدها هذا يشبه ان يكون ذاتيًّا . وقد ابان بعض العلماء الطبيعيين ان بعض السوائل مثل محلول كبريتات الصودا وكبريتيات المغنيسيا وكلورات الصودا تصلح لتربية بعض انواع البلورات . فالشبه بين الامرين ظاهر الاَّ ان هناك فرقاً مهمًّا وهو ان البلورات تتولد بسرعة عظيمة بخلاف المكروبات فانها تتولد ببطء

ومن اوجه الشبه بين الاثنين انهُ يمكن تلقيح سائل بالبلورات كما يمكن تلقيح سائل آخر بالمكروبات وان البلورات شديدة الصغر في حجمها مثل المكروبات . وقد قسمت السوائل التي

تذاب فيها الاجسام القابلة للذوبان الى قسمين قسم يبقى سائلاً لا يتبلور الاَّ اذا لقح بالبلورات وقسم يتبلور من ذاتهِ بلا ادخال شيء اليهِ وهذا ما يسمى بالتبلور الذاتي وهو يشبه ما يسمى بالتولد الذاتي في الاحياء . خذ مثالاً لك الغليسرين فاننا لا نعلم ما هي الاحوال والشروط التي يتبلور فيها لاننا اذا برَّدناهُ لم يتبلور بل تحوَّل الى سائل كثيف على ما هو معلوم . وكلُّ ما نعلمهُ عنهُ انهُ يتبلور ولكن تحت شروط واحوال نجهلها . ولم تكن بلورات الغليسرين معروفة قبل سنة ١٨٦٧ بل عرفت فجأة تلك السنة وقد ظهر بالتجربة انها تذوب على درجة ١٨ من ميزان سنتغراد فاذا لم نتخذ التدابير اللازمة لبقاء البلورات الموجودة منها الآن على تلك الحرارة ذابت كلها وانقرضت عن وجه الارض

فيظهر مما تقدم ان الجماد يشابه الحيّ مشابهة كثيرة في ظهورهِ وانتشارهِ وانقراضهِ . وهذه الامور تفضي الى نتيجة واحدة . فقد كانت البلورات قبل اجتماع الشروط والاحوال الملائمة لتولدها الذاتي تتولد من بلورات اخرى ليس الاَّ كما ان المغنطيس كان يعمل قبل اكتشاف المغنطيسية الكهربائية بامرار المغنطيس على قطع الفولاذ . وعلى هذا المنوال كان القدماء يزعمون ان كلّ نار جديدة كانت تضرم من شرارة قبست من نار موجودة قبلاً . وما قالهُ القدماء في النار نقولهُ نحن الآن في الاحياء الارضية وهو انهُ ما من حيّ الاَّ وقد اشتقّ من حيّ آخر موجود قبلهُ . ولا يبعد ان نرى الحي يتولد من غير الحي كما تتولَّد النار من غير النار .

فلسفة الحرب الحاضرة

ونبذة من تاريخ اليابان

. نشرت المجلة العمومية الفرنسوية فصلاً عظيم الفائدة عن الحرب الحاضرة فاخترت تعريبهُ لانهُ يشتمل على الاسباب التي حملت اليابان على امتشاق الحسام ومنازلة الروس في حرب عوان لا يعلم الاَّ الله متى يكون منتهاها قالت

يخطئُ من يظن ان اليابان انما شهرت الحرب على روسيا لمجرد امتلاك كوريا فان السبب الاعظم في اقدامها على هذه الحرب هو ان تقدمها السريع في جميع فروع المدنية اضطرها ان تطلب خارج الجزر اليابانية الضيقة مكاناً فسيحاً يسعها وهي تبني بناء تمدّنها وعمرانها لان

الشعب الياباني الذي اخذ يرتقي منذ ثلاثين سنة رأى نفسهُ محصورًا في بلادهِ وعليهِ يصحُّ القول ان تقدم اليابان السريع اولد تلك الحرب

هذا ولم يسبق في تاريخ البشر ان امة خرجت في ثلاثين سنة من حضيض الجهل والفتن ونفضت عنها غبار الذل والمسكنة واقتدت باوربا فنظمت بلادها تنظيماً يضارع تنظيم اعظم البلاد المتمدنة حتى فاقت البعض منها بمراحل. بل لم ننظر في اي تواريخ من التواريخ ان امة نظمت جنديتها تنظيماً بديعاً وانشأت لنفسها عمارة بحرية ضخمة وفتحت المدارس في بلادها على اختلاف طبقاتها ونزعاتها و بلغت ما بلغتهُ اليابان في تلك المدة القصيرة حتى استطاعت الآن ان تقف في وجه اعظم دول الارض جاهاً وعزة وضخامة

في ثلاثين سنة انتقلت بلاد اليابان من استبداد القرون الوسطى التي كانت اوربا غارقة في لججهِ الى ارقى تمدن حديث اي ان فلاحاً يابانياً عمرهُ الآن ستون سنة راى مالم يرهُ آباؤنا اي انهُ قضى شبابهُ كخادم حقير عاش في ايام شارلمان وشاخ بين الافكار والعادات الحديثة. ان هذا لشيء عجاب

فان الجزر اليابانية كانت من مدة سبع وثلاثين سنة قائمة في وجه الشعوب الاوربية كارض مضى عليها عشرون قرنًا وهم لايعلمون من امرها شيئًا وكانت احوالها الداخلية تشبه احوال اوربا في زمن استبداد الامراء لان سلطة الامراء كانت في اليابان عظيمة وكان الاجانب يستوطنون بعض الثغور البحرية و يعيشون بمعزل عن البلاد الداخلية لان تكرر المذابح والثورات علمهم ان عاقبة التوغل في داخلية البلاد وخيمة حتى انهُ كان يهون على الانسان ان يسكن الصين ولا يسكن اليابان

فلم نسمع الاَّ وثورة عظيمة قلبت نظام البلاد رأساً على عقب وغيرتهُ تغييرًا كليًا ذلك لان بعض اليابانيين وجدوا لداء بلادهم المستعصي دواء شافياً فقلبوا نظامها المختل وابدلوهُ بنظام جديد يشبه نظامات الغرب الحديثة فجاراهم امبراطورهم الحالي "موتسوهيتو" وغيَّر وبدَّل ونبذ تقاليد البلاد القديمة واقتبس من مدنية الغرب ما تمكَّن بهِ من انشاء مملكة عظيمة. منذ ذلك الحين سقطت اليابان القديمة وسقط معها نفوذ امرائها وهم في سبات وغفلة لا يعلمون معنى لهذا التغيير الفجائي. فاعلنت اذ ذاك مساواة اليابانيين جميعهم امام القانون واعلنت معها الحرية الشخصية وصار الامبراطور يحكم بمشورة برلمان او مجلس نواب ينتخب من افراد الامة وفتحت الثغور البحرية كلها في وجوه الاجانب وانتقلت عاصمة المملكة الى توكيو رسميًا. ذلك كلهُ جرى في بضعة اشهر ليس الاَّ

فاهتمّ اليابانيون بعد الثورة باصلاح البلاد لان الحكومة الحديثة تستلزم بلاداً احدث منها والحق يقال ان التفنن الغريب الذي اظهرهُ اليابانيون في هذا المجال يحير عقول ذوي الالباب ويقضي بالعجب العجاب . فضربت النقود وتأسست البنوكة وانتشر التعليم الصناعي ومد التلغراف والتلفون والسكك الحديدية والزراعية وانشئت المدارس والمجلات العلمية ونظمت البلاد وصار لها بوليس هو الآن في غاية من المهارة بل يضارع بوليس فرنسا والمانيا في الحذق والاستنباط

مدّت السكك الحديدية اولاً بين طوكيو ويوكوهاما وذلك سنة ١٨٧٠ فربط بها اعظم ثغر لليابان بعاصمتها وبلغ طول الخط جميعهِ ٢٨ كيلو متراً . وفي سنة ١٨٨٠ كان طول سكك الحديد اليابانية ١١٧ كيلو متراً فبلغ ٣٠١٠ كيلو مترات سنة ١٨٩٠ و ٦٠٨٠ كيلومتراً سنة ١٩٠٣ وهذه الزيادة عظيمة مدهشة . وكان في البلاد سنة ١٨٦٨ خط واحد للتلغراف بين طوكيو ويوكوهاما وفي سنة ١٨٩٣ بلغ طول اسلاك التلغراف ١٣٥٧٦ كيلو متراً وفي سنة ١٩٠٣ بلغ عشرين الفاً وهذا التقدم سريع عظيم . ولم يكن للبوسطة الرسمية اثر في اليابان منذ ثلاثين سنة اما الآن ففيها الوف من المكاتب على غاية من الضبط والنظام

وعلى قدر ما كانت اليابان تتقدم في المدنية والاصلاح كانت لا تألو جهداً في تنظيم جنديتها وبحريتها والاقتداء بالدول الاوربية وخصوصاً فرنسا والمانيا مطمح انظارها ومقصد افكارها . فانشأت جيشاً عاملاً مؤلفاً من مئتي الف جندي ورديفاً يبلغ مئة الف جندي والغرض منهُ مساعدة الجيش العامل في الحرب . ومئة الف جندي من الجيش الاحتياطي يجمعون عند مسيس الحاجة . وفيها غير الجيوش المتقدمة ٤٦ اورطة من الطوبجية وتسعون الف جواد عدا المستشفيات والخدم والنقالين والحمالين . اما من جهة البحر فان التغيير عظيم ايضاً لان اليابان اشترت من اوربا ٧ بوارج حربية من الطبقة الاولى و ٧ مدمرات مصفحة على احسن طرز وابدع مثال و ١٧ بارجة حربية و ٣٠ نسافة هذا عدا كل ما زاد من البوارج والدوارع بعدئذٍ وهو كثير فدخلت اليابان بذلك في مصاف الدول البحرية العظمى

واغرب من هذا وذاك دقة الياباني في العمل ومهارتهُ في الاختراع والاستنباط بحيث لايمكن الاوربي ان يفوق عليهِ كثيراً . فالصناعة التي كان لايذكر لها اسم عندهم نمت وتقوت وعظمت الى حدّ ان معملاً واحداً في طوكيو باع من الحرير في سنة واحدة ما بلغ ٢٥ مليون فرنك ولما كانت اليابان مجموع جزائر كان عليها ان تزيد عدد بواخرها تسهيلاً للتجارة ففي سنة ١٨٩٠ كان عندها ٨٥٥ سفينة شراعية و ٥٨٠ باخرة فصار عندها في سنة ١٩٠١

اربعة آلاف سفينة شراعية و ١٤٠٠ باخرة فيالعظمة ذلك النمو في هذه المدة القصيرة

اما نتيجة هذه النهضة فكانت هكذا : ان اليابان انتصرت على الصين وكوريا في حرب منظمة واتحدت مع اعظم دولة بحرية في الغرب وزادت تجارتها الخارجية زيادة خارقة للعادة ففي ١٨٩٠ قدرت تجارة اليابان الخارجية بمبلغ ٣٥٠ مليون فرنك فبلغت عام ١٩٠٢ مليارًا و ٣٥٠ مليونًا اما اشغالها الداخلية فعظيمة ايضاً ويكفي شاهداً لذلك ان نقول ان بنكاً واحداً من بنوكة يوكوهاما دفع الى احد عملائهِ تحويلاً بالتلغراف بمبلغ ٧ ملايين ونصف مليون فرنك

ولكن هل تقدمت تلك البلاد هذا التقدم الباهر في جميع فروع المدنية دون ان يكلفها ذلك شيئاً . كلا فمن جهة زادت نفقات الجند زيادة عظيمة وتضاعف دينها وازدادت الضرائب وحب الاستخدام في دوائر الحكومة الى غير ذلك مما هو مشاهد في حكومات الغرب الكبيرة . ولكن هناك خطرًا عظيمًا يكبر يوماً فيوماً ويهدد حياة تلك الدولة الشابة الممتلئة دماً وقوة وشعورًا ذلك ان مساحة الجزر اليابانية كلها تكاد تبلغ ٣٨٢ الف كيلومتر والذي يمكن زرعهُ منها ٥٠ الفاً فقط فاذا كان ازدياد السكان سنويًا يقدر بخمسمائة الف نسمة تعذر على تلك الجزر ان تقوم بمعيشة شعب يبلغ عددهُ ستون مليونًا بعد عشرين سنة فاصبح من المقرر الواجب على اليابانيين ان يهاجروا من بلادهم لطلب الرزق في بلاد اخرى حيث يستطيعون توسيع دائرة اشغالهم واعمالهم بفتح السبل في وجه تجارتهم وصناعتهم . فاذا سلمنا بوجوب المهاجرة فالى اي بلاد يهاجر اليابانيون

والجواب ان الياباني يطلب الشرق الاقصى برمتهِ من سنقافورة الى فلادفستوك والهند الصينية ضمن هذه الدائرة الواسعة . ورب قائل يقول ان تحقيق الاحلام اهون من تحقيق آمال اليابانيين فنقول ان اليابان كبرت الى حد صارت معهُ المهاجرة محتمة عليها لان المواليد تزيد سنة بعد سنة زيادة عظيمة تضطر الياباني الى تحصيل رزقهِ في غير جزرهِ الضيقة واذا علمنا انهُ يدين بدين الامم التي يحاول المهاجرة اليها ويتكلم بلغات تلك البلاد التي يريد الانضمام اليها سهل عليهِ هذا الاستعمار وهذا التوسع خصوصاً بعد ان ملكت اليابان زمام التجارة والصناعة في جميع الشرق الاقصى وضربت مصالح اوربا جمعاء بحروب مدنية لا تلبث ان تعود عليها بالفوائد خصوصاً بعد ان رأينا منها هذه العظمة وهذا التقدم في كل فن من الفنون

بيد انها لم تخط خطوة في هذا السبيل الاَّ رأت امامها ان الجنس الابيض يناشبها حربًا عوانًا ويدافع عن مصالحهِ مدافعة اليائس لان اوربا واميركا تبيعان معاً للشرق الاقصى كل

سنة باحد عشر مليارًا من الفرنكات نخافتا ان تحل اليابان محلها في تلك الاسواق العظيمة بعد ان صارت الآن في غنى عن محصولاتهما لانها تكفي نفسها بنفسها وتزيد وتزاحم بضائع غيرها لرخص هذه البضائع عندها وهذا ناشيء من رخص اجور العمال في مصانعها . فتعذر اذ ذاك على اوربا واميركا منازلتها في حروب تجارية مثل هذه حتى اوشكت تجارتهما ان تبور في تلك الاصقاع

وظلت الحال على هذا المنوال منذ سبع سنوات واوربا تحسب لليابان حساباً عظيماً لحرمتها الانتفاع بنصرتها التي احرزتها على الصين وردتها داخل بلادها من غير ان تنال شبر ارضٍ من عدوتها وخصيمتها فسكتت اليابان لهذا الفشل وكالت لاوربا من جهة اخرى الصاع صاعين فطردت وكلاء المحلات الاوربية التجارية الذين عندها بان زادت الضرائب على بضائعهم فلما وجدوا ان لا باب لهم للربح بهذه الطريقة غادروا البلاد. وعجلت في اصلاح جيشها وتكبيره واعداد بحريتها وجابت بحار الشرق الاقصى كلها طلباً للاتجار فهددت تجارة اوربا وزادت مهاجرة ابنائها لجميع السواحل الصينية والكورية خصوصاً

بمثل هذا ظنت اليابان انها انتقمت من اوربا انتقاماً هائلاً . ولكن " ما كل ما يتمنى المرء يدركه " فان سكة حديد سيبيريا التي لم يحلم اليابانيون بها قط اظهرت لهم ان اوربا قريبة منهم تهددهم تهديداً عظيماً لاسيما اذا تمكنت من ابتلاع منشوريا وكوريا والاشراف على البحر. منذ هذا الوقت تقررت الحرب واصبحت امرًا واجباً لا بدَّ منهُ لان آمال اليابان واشغالها المتواصلة باتت مرتبكة وبلادها على شفا جرف هارٍ

اما الآن فلا يفكرن احد في ان الحرب الحاضرة هي بين روسيا واليابان فقط وان كوريا هي سببها . كلاَّ فهي حرب بين جنسين الجنس الابيض والجنس الاصفر لاحتكار اسواق الشرق الاقصى والتوسع في المهاجرة والاستعمار فان فازت روسيا على اليابان فانما هي تشتغل لمصلحتها اولاً ولمصلحة اوربا ثانياً . وان فازت اليابان عليها كان لها من وراء ذلك فوائد جمة تجعلها بعد زمن في غنى عظيم وعزٍ مقيم

طنطا جوزيف دهان

خطبة الوزير بلفور

(رأس الوزير بلفور مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي التأم في اواسط اغسطس في مدرسة كمبردج الجامعة وخطب فيهِ خطبة انيقة جعل موضوعها "تأملات مبنية على الرأي الجديد في المادة" وهو الرأي الذي بسطناهُ منذ بضعة اشهر ومفادهُ ان جواهر المادة التي كان يقال انها جواهر فردة او اجزاءٌ لاتتجزأ مؤلفة من دقائق كهربائية صغيرة جدًّا فالكهربائية اصل المادة او الهيولى . وها تعريب الخطبة)

ان هذا المجمع يلتئم غالبًا في المدن المزدحمة بالسكان حيث نتذكر شدة ارتباط العلم الحديث بالصناعة الحديثة اذا جاز لنا ان ننسى ذلك اي ارتباط المباحث المجرَّدة التي يشتغل بها رجال العلم باعمال المخترعين والصناع . وهذا امر لابدَّ منهُ لانهُ لايمكن نفي الارتباط التام بين العلم والعمل مالم يُضرَّ الاثنان معًا ومن يستخفُّ بما يستفيدهُ كلٌّ منهما من الآخر فليس هو بالصديق الحميم لهذا ولا لذاك

ولكن قد أُنشيء هذا المجمع لترقية العلوم فيحسن ان يختار لا لتئامهِ من وقت آخر مكانٌ تتجه العناية فيهِ الى المباحث العلمية المجرَّدة اكثر مما تتجه الى تطبيقها على العمل . وان كان الامر كذلك فلا مكان اصلح لهُ من دور هذه المدرسة القديمة الجليلة لانهُ ان كان للمكتشفات الطبيعية مقرٌّ فمقرها هنا وان كان للذين يعتقدون ان العلم الطبيعي هو علم العلوم واصلها دارٌ ترحّب بهم فهنا تلك الدار. وان لم اكن مخطئًا بتغرضي للمدرسة التي ربيتُ فيها فليس في المعمور بقعة مثل هذه اتصل بها بالدرس او بالتدريس عدد عديد من المشاهير الذين اكتشفوا الحقائق الطبيعية المفيدة . لا اقول شيئًا عن باكون نبيِّ العصر الجديد ولا عن دارون كوبرنكس علم الحياة لان بحثي ليس في ما اضافتهُ هذه المدرسة الى العلوم بنوع عام بل في ما اضافهُ العلماء الطبيعيون الذين تعلموا او علَّموا على رمية سهم من هذا المكان — من نيوتن في القرن السابع عشر الى كفنديش في الثامن عشر وينغ ومنوكس ومكسول في التاسع عشر وكلفن الذي يستحق عصرهُ ان يسمى بهِ الى رايلي ولارمور وطمسن وجمهور العلماء الذين معمل كفنديش مركز حلقتهم وآراؤهم العلمية تجعل اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن مثل اشهر القرون السالفة

وما هو البحث الذي عكف عليهِ هؤلاء الافاضل ورصفاؤهم من كل البلدان والى اي غاية كانت ترمي مباحثهم الطبيعية التي اشرتُ اليها . فقد طالما قيل ان غرضهم كشف

النواميس التي تربط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض · ولكن هذا القول لا يُعرِب عن الحقيقة ولا هو وافٍ بالمراد فاولاً لا يصحُّ ان يطلق اسم الظواهر على الامور التي لا تظهر لمخلوقات مشاعرهم ضعيفة مثل مشاعرنا ولم تظهر قط ولن تظهر ابدًا · وهذا الخطأُ لغوي راسخ يتعذَّر اصلاحهُ فاذا غضضنا الطرف عنهُ وجدنا خطأً آخر وهو ان اكتشاف النواميس الطبيعية هو كل ما يُطْلَب من البحث في الطبيعة · فان العالِم الطبيعي يطلب شيئًا آخر وراء ما يحدث مع الظواهر و يتلوهُ من النتائج · يطلب شيئًا وراء النواميس التي تربط الحوادث الطبيعية وغرضهُ معرفة ما لهُ وجود طبيعي حقيقي اي معرفة الحقيقة الطبيعية وهذه الحقيقة قد يمكن ان تُدْرَك وقد يمكن ان لا تُدرَك ولكنها مستقلة عن الادراك وبها يقوم نظام العالم المادي الذي اتصالنا بهِ طفيف جدًّا ولا يعتمد عليهِ. اما انهُ يوجد شيءٌ لهُ وجود حقيقي فامر يعتقدهُ العلماء ولو انكرهُ الفلاسفة واذا فرضنا المحال وقلنا ان الانتقاد ينفي هذا الاعتقاد فالعلم كما يفهمهُ العلماء يزول ايضاً ولا يبقى لهُ وجود

وان كان الامر كذلك وان كان من اغراض العلم ولاسيما العلم الطبيعي ادراك العالَم الطبيعي في حقيقتهِ اي ادراك الحقيقة التي لها وجود حقيقي فيهِ فالمقابلة بين الصور العقلية المختلفة التي صُوِّرت بها هذه الحقيقة في العصور المختلفة ينبه الذهن الى مسائل على غاية الاهمية · نعم انهُ لا يحقُّ لي ان ابحث في ما كان من هذه المسائل فلسفيًّا محضاً لان المجمع ليس فلسفيًّا ولا يحقُّ لي ايضاً ان ابحث في ما كان منها علميًّا محضاً لاني لست كفوءًا لذلك ولكن من هذه المسائل ما يقع بين بين و يحمل العالِم الطبيعي والفيلسوف المنقطع للفلسفة على التساهل لمن يعتدي على حرميهما مثلي كما سافعل في الدقائق التالية

ومرادي الآن ان اقابل بين صورتين من هذه الصور الاولى منهما تمثّل الآراء التي كانت متغلّبة في اواخر القرن الثامن عشر بعد ظهور كتاب المبادىء الذي وضعهُ نيوتن باكثر من مئة سنة وذاك الوقت متوسط بين ظهور ذلك الكتاب وبين عصرنا الحاضر · واظن انهُ لو سئل جمهور العلماء حينئذٍ ان يصفوا العالم الطبيعي كما يبدو لهم وكما يعتقدونهُ لقالوا على الراجح انهُ مؤلف من عناصر مختلفة ذات ثقل لها تراكيب كثيرة منتشرة في الفضاء تظهر على صور مختلفة بفعل الالفة الكيماوية والحرارة · ومهما اختلفت صورها فهي خاضعة لنواميس الحركة ومادتها لا تتغيّر وهي تجذب وتنجذب من كل الجهات حسب ناموس الجاذبية العام مهما كانت الابعاد. وقد يضيفون الى هذه المادة ذات الثقل شيئًا لا ثقل لهُ وهو الحرارة وكانت تحسب حينئذٍ بين العناصر و يضيفون ايضاً سائلين هما السائلان الكهربائيان والذرات التي يتألف النور منها

وكان العلماء يتصورون ان الافعال تنتقل من مكان الى آخر من غير موصل ولم يكن احد يحلم حينئذٍ بما يقال لهُ حفظ القوَّة . وقد بحثوا في الكهربائية والمغنطيسية بحثًا مهمًّا ولكنهم لم يعلقوا عليهما شأنًا كبيرًا ولا اضطرُّوا الى فرض وجود الاثير لتكميل نظام الكون

ولكن حدث في ذلك الحين ما كان سببًا لتغيير عظيم في آراء الناس فان بنغ فتح باب المناظرة التي ادَّت اخيرًا الى اثبات مذهب امواج النور والى الاعتقاد بوجود مادَّة بين الكواكب لايصال هذه الامواج . ولا يقتصر ذلك على اثبات مذهب صحيح ونقض مذهب فاسد بل يتناول امرًا آخر وهو ادخال عنصر جديد شامل في صورة العالم على ما كان يتصورها العلماء حينئذٍ . وهذا العنصر الجديد غيَّر كل الآراء القديمة ولا يزال يغيرها . فان نظام الكون حسب مذهب لابلاس يكفيهِ ان يكون الفضاء واسعًا الى غير نهاية والشموس واقمارها منتشرة فيهِ على ابعاد شاسعة بعضها تام التكوين وبعضها لا يزال آخذًا في التكوُّن ولكن اذا كان الفضاء غير المتناهي مملوءًا بمادة متصلة الاجزاء فالحال تختلف تمام الاختلاف ولا بدَّ من ان يستدل منهُ على امور اخرى لانهُ لا يمكن ان يظن ان هذا الاثير ان كان موجودًا حقيقة فهو انما وجد لكي يوصل الى عين الانسان الامواج التي اتفق انها تؤَثر في عصب البصر . فقد فرض وجودهُ لهذه الغاية ولكن يستحيل ان يكون وجودهُ مقصورًا عليها ولذلك فالاشياء التي تمتاز بعضها عن بعض من حيث الشعور بها كالنور والحرارة والاشياء التي لا تؤَثر في المشاعر مثل الامواج الكهربائية في التلغراف الذي لا سلك لهُ تختلف اختلافًا جوهريًّا في الكم لا في الكيف كما هو معلوم الآن

وهذا ليس الكل ولا يداني الكل فاننا اذا فتنا القرن الذي يفصل سنة ١٨٠٤ عن سنة ١٩٠٤ وحاولنا رسم صورة العالم كما يتصورها بعض قادة الافكار الآن نجد انها تغيرت عما كانت عليهِ ولم يقتصر تغيرها على الاكتشافات الواسعة النطاق كالرأْي الجوهري وتألف المادة من الدقائق وحركة دقائق الغازات ونواميس حفظ القوة وتوزعها بل تناول ما هو اهم من ذلك كثيرًا تناول المقام الذي عرف للكهربائية والاثير في كل ما يدل على الحقائق الطبيعية التي يمكن البلوغ اليها

فقد كانت الكهربائية في نظر الفلاسفة الطبيعيين سنة ١٧٠٠ سببًا خفيًّا لبعض الظواهر الطفيفة وعرف حينئذٍ بل منذ عهد قديم ان بعض المواد كالكهرباء والزجاج تفرك فتصير تجذب الاجسام الخفيفة التي تقرَّب منها . وبعد نحو خمسين سنة عرف فعل الكهربائية في الصواعق وبعد نحو مئة سنة من التاريخ الاول عرف انها تجري كالسائل وبعد مئة وعشرين سنة

منهُ عرف ان لها علاقة بالمغنطيس وبعد ١٧٠ سنة عرف ان لها علاقة بالنور والاشعاع الاثيري

والآن قام اناس يقولون ان الاجسام التي نراها بعيوننا ونلمسها بايادينا انما هي ظواهر حقيقتها الكهربائية وان الدقيقة التي كان الكيماويون يحسبونها جوهرًا فردًا او جزءا لا يتجزأ انما هي مجموع من الدقائق الصغيرة وهذه الدقائق ليست مادة مكهربة بل كهربائية محضة وكلّ مجموع يختلف عن غيرهِ في عدد ما فيهِ من دقائق الكهربائية وفي ترتيبها فيهِ ونسبة حركتها بعضها الى بعض والى الاثير وعلى هذه الاختلافات وحدها تتوقف الخواص التي يمتاز بها ما كان يسمّى حتى الآن بالجوهر الفرد او بالجزء الذي لا يتجزأ . والجوهر الفرد خاضع لناموس التغيرُّ الشامل لكل ما في السماء والارض ولو كان تغيرُّهُ بطيئًا جدًّا يقتضي من الدهور ما لا يحسب معهُ الزمن الفلكي اللازم لبرد شمس من الشموس شيئًا مذكورًا

فان كانت المادة مجموعًا من الجواهر الفردة وان كان الجوهر الفرد مؤلفًا من الدقائق الكهربائية فما هي هذه الدقائق . قد تكون كما ارتأي الاستاذ لارمور تغيرات في الاثير اشبه بالعقد في مادة متصلة الاجزاء لا تنضغط ولا تتمدد . وسواء صح ارجاع المادة الى هذه الدقائق والوقوف عندها او لم يصح فهذه الدقائق غير منفصلة عن الاثير وتتوقف خواصها على اتصالها بهِ ويستحيل ان تكون كهربائية والاثير غير موجود

حقًّا ان هذا التغير عظيم جدًّا فمنذ مئتي سنة كانت الكهربائية العوبة علمية وهي الآن اصل المادة وجوهرها في نظر جمهور كبير من العلماء . ولم يثبت ان الاثير من عناصر الكون الاَّ منذ مئة سنة ومن المحتمل الآن ان يكون هو العنصر الذي يتألف الكون منهُ . ويترتب على ذلك امور في غاية الغرابة فقد كان يظن ان حجم الجسم شيء ثابت لا يُعلّل ولا يتغير مهما تغير جرم الجسم فلا يزيد ولا ينقص ومهما تجزأ فلكل جزء منهُ خواص الجسم كلهِ المادية مهما تغير ذلك الجزء شكلاً وجرمًا وتغيرت صفاتهُ الكيماوية والطبيعية

ولكن اذا ثبت ما تقدَّم عن حقيقة المادة فحجمها قابل للتعليل وقد علل فعلاً وهو ليس خاصةً من خواصها بل عرض عام ناتج عن النسبة بين الدقائق الكهربائية التي تتألف المادة منها وبين الاثير الذين يحيط بها . وهو دائم التغير بحركتهِ السريعة

ثم اننا نعلم الرأي المشهور الآن من حيث اصل الشموس وسياراتها ونفاد القوة منها في شكل النور والحرارة وان الشموس المشرقة الآن هي في منتصف عمرها بين كونها سديمًا نشأت منهُ وبين الظلمة المدلهمة التي تصير اليها اخيرًا حينما تنفد القوة منها وتصير الى برد قارس . وان الشموس التي انقضى اجلها كذلك صارت في حالة السكون التام عناصرها جامدة لا تتحرك

و يستحيل عليها ان تعمل عملاً كيماوياً . ولا سبيل لها لتسترد شيئاً من القوة التي فقدتها ما لم يصدمها جرم سماوي او تنتقل الى فضاء تسخنهُ شموس اخرى

ولكن اذا سلمنا بالمذهب الكهربائي تغيَّر كل ذلك لان ما يزول من قوة الدقائق المؤلفة منها الشموس بتحوُّلها الى حرارة اما بالتقلُّص بفعل الجاذبية او بالتفاعل الكيماوي او بقوة اخرى تفعل بين دقائق المادة وتبدُّد الحرارة في الفضاء الواسع على مر الزمن كل ذلك لا يزيل القوة كلها من دقائقها بل ان المقدار الذي يزول منها شيء طفيف جدًّا بالنسبة الى ما يبقى مخزونًا فيها فالجسم كلهُ تضعف قوتهُ ولكن القوة المذخورة في دقائقهِ لا يزول منها شيء بل يقيم بعضها مع بعض ساكناً غير متحرّك ويكون في كلّ دقيقة منها من القوة الداخلية ما لا نفاد لهُ

ثم هب ان احد علماء الفلك كان يرقب الكواكب فرأى كوكبًا منها انبثق النور منهُ بغتةً واشتعل واستحال الى غاز يضيء مدة ثم ينطفئ فانهُ يدهش لهذا الحادث العظيم ولكن الدقائق التي تتكوّن جواهر ذلك الكوكب منها تبقى على حالها وتبقى القوى التي تربطها بعضها ببعض غير مثلومة. والقوة العظيمة التي تزول من الكواكب باشتعالهِ لا تحسب شيئًا مذكورًا في جنب القوى الكامنة بين دقائق جواهرهِ

والقوى التي نعلمها ونبني حسابنا عليها هي اضعف القوى الطبيعية . وما الالفة الكيماوية وقوة التماسك التي تلتصق بها الجواهر بعضها ببعض سوى اثر طفيف من القوة الكهربائية التي تحفظ الدقائق من التجزوء. والجاذبية العامة التي تنقلص بها المواد السديمية فتتكون منها الشموس وسياراتها انما هي شيء طفيف بالنسبة الى قوتي الجذب والدفع اللتين بين الاجسام المكهربة وهاتان القوتان طفيفتان جدًّا بالنسبة الى قوتي الجذب والدفع اللتين بين الدقائق الكهربائية المؤلفة منها الجواهر . وحركات جواهر المادة التي تسبب الحرارة وعليها تتوقف الحياة وبها تتعلق اكثر الاعمال الصناعية في العصر الحاضر لا تُعدُّ شيئًا مذكورًا في جنب حركات الدقائق الاصلية التي تتألف منها الجواهر . . والظاهر ان حركات الدقائق هذه بعيدة عن ان يصل اليها استعمالنا لاننا عائشون على الحد الموصل اليها ولا امل لنا باستخدامها يومًا ما فلا تدير معاملنا ولا تجرُّ مركباتنا ولكنها لا تقصر عن ان تنبه عقولنا فان السماوات العلى قد راعت الناس وراقتهم من قديم الزمان فاعجبوا بها وعبدوها ولكن اذا كان التراب الذي تحت اقدامنا مؤلفًا من عوالم لا تعدُّ ولا تحصى عناصرها في حركة دائمة فائقة السرعة ومع ذلك مرَّت الدهور وستكرُّ العصور ويبقى توازنها على حالهِ فغرائب ما نراهُ بعيوننا من حركات اجرام السماء

ليست اعجب من غرائب ما اراناهُ العلم الطبيعي حديثاً ولو بعين الاستنتاج

وسواءٌ ثبتت هذه الصورة التي رسمتها لكم رسماً غير جلي او زالت في دورها كما زال غيرها من صور الكون ورُسمت صورة اخرى بدلاً منها على السجل العلمي فكلنا يسلّم ان محاولة توحيد الطبيعة كما هو جارٍ الآن لممَّا يروق للعقول و يسرُّ بهِ المرءُ كما يسرُّ اذا صعد في عقاب شاقّة ثم اطلّ على سهل فسيح الرحاب تتخلَّلهُ الانهار وتتاخمهُ الهضاب . ولا اجسر ان اقول هل لهذه الرغبة في توحيد الكون وردّهِ الى اصل واحد بسيط مسوّغٌ عقلي فان البديهة لا تستلزم على ما اعلم ان يكون العالم المادي صوراً مختلفة لجوهر واحد لا تراكيب مؤلفة من ستين او سبعين عنصراً بسيطاً ولكن لماذا نسرُّ بالرأي الاول ولا نسرُّ بالثاني. فان العلماء كانوا دائماً غير راضين عن تعدُّد الاصول فرحَّبوا بكل ما يدلُّ على ان الجوهر الفرد مركَّب وان لجواهر العناصر كلها اصلاً واحداً تشترك فيهِ . وعندي ان هذا الميل النفسي ليس ممَّا يُغضُّ الطرف عنهُ او يُستهان بهِ . فقد كان الفيلسوف جون مل يستخفُّ بالذين يستصعبون التسليم بان الافعال لا تصل من مكان الى آخر الاَّ بموصل وكان يقول ان الاختبار يرينا انها تصل من غير موصل فلماذا نفرض وجودهُ استلزاماً او موافقةً لغرض في النفس لا يؤيدهُ دليل . هذا هو احتجاج مِل ولا ردَّ عليهِ عندي . ومع ذلك فان اعتقاد فَرَداي ان الافعال لا تنتقل من غير موصل ادَّى الى اكتشافات بديعة بُنيت عليها صنائعنا الكهربائية وما ترتأيهِ الآن من اصل المادة . والآن لا يسلّم العلماء بما استسهل مل التسليم بهِ وهو ان الاجسام تفعل بعضها ببعض من غير موصل بينها مع انهم لا يزالون يجهلون حقيقة التجاذب بين المواد

فما هو هذا الميل الى توحيد العناصر والمواد كلها والاعتقاد بان لها كلها اصلاً واحداً تردُّ اليهِ . هل هو هوىً في النفس يجب اطراحهُ او هو مفتاح لاسرار الكون لا يليق بالحكيم الاغضاء عنهُ . ذلك مما لا استطيع البحث فيهِ الآن لانهُ توجد مسائل اخرى يستلزمها الرأي الجديد واريد ان اوجه نظركم اليها في الدقائق الباقية

لا مشاحة ان هذا الرأي الجديد في اصل المادة وحقيقتها يخالف اختبار الناس تمام المخالفة . قل لهم ان الكرة الارضية التي نحن عائشون عليها والاجسام الآلية التي من نصيبنا الاتصال بها مادمنا في هذه الحياة الدنيا مؤلفة كلها من دقائق كهربائية متفرقة في الفضاء بينها ابعاد شاسعة جدًّا بالنسبة الى اقطارها فلا يسهل عليهم تصور ذلك الاَّ بعد امعان النظر . وهو يخالف ايضاً الرأي الذي جرى عليهِ العلم حتى الآن وهذا الرأي هو ان صفات المادة على نوعين اولية وثانوية فالاولية كالحجم والشكل موجودة في المادة من غير التفات الى الناظر اليها والثانوية

كالحرارة واللون كان يظن انهُ ليس لها وجود ذاتي مستقلٌ وما هي الاَّ نتائج ناتجة عن فعل الصفات الاولية بمشاعرنا وهنا خالف الراي الاخبار

ثم اشار الخطيب الى نزاع الفلاسفة في هذا الموضوع وفي وجود المادة وقال ان العلماء لم يجاروهم فيهِ لان العلم يفرض وجود المادة وصفاتها الى ان قام اصحاب المذهب الجديد الذين يقولون ان الجواهر الاصلية التي تتألف المادة منها ليست مادية بل هي اجزاءٌ صغيرة من القوة الكهربائية فنفوا بذلك وجود المادة ولم يبقوا في هذا الكون غير القوة الكهربائية . ورأيهم هذا في نفي المادة مبنيٌّ على نتائج استنتجوها من الرأي الاول القائل بوجود المادة وذلك من المدهشات فان العلماء الطبيعيين يدَّعون انهم بنوا كل ارآئهم العلمية على الاختبار وهذا الاختبار انما هو شعورنا بالكون المادي لكن النتائج التي اوصل اليها مناقضة لهُ على خط مستقيم حسب الظاهر . اي ان ما اتصلنا اليهِ من معرفة حقيقة الاشياء مبني على ما لا حقيقة لهُ والصور العقلية التي نستخدمها في ايضاح هذه الحقيقة للغير منتزعة من تخيلات لاحقيقة لها ينهانا العلم عن الاعتقاد بها وتأمرنا الطبيعة باستعمالها

وصلنا الآن الى مسائل يجب ان يبحث فيها منطقيًّا ولكن علم المنطق لم يعبأ بها فلا يلام رجال العلم لانهم مشتغلون باكتشاف الاكتشافات لا بتحليل المسلَّمات الاساسية التي يقتضيها اكتشاف هذه المكتشفات . ولا يلام الفلاسفة الباحثون في ما وراء الطبيعة لان آراءهم تتجه الى جهات اخرى ورغبتهم في حل فلسفة الكون ضعيفة . وكيفما حُلَّت المسائل التي يبحثون فيها بنوع خاص فحلها لا يقرّب المشاكل التي اشرت اليها من الحل الحقيقي ولا يبعدها عنهُ . فالعلماء الطبيعيون والفلاسفة الخياليون بعيدون عن البحث في هذه المسائل واما الفلاسفة المجرّبون فليسوا بعيدين عنها ولكنهم لم يحاولوها ولا يظهر انهم فهموا انهُ توجد مسائل تستلزم الحل حاسبين ان مدار العلم انما هو البحث في الظواهر الطبيعية وانهُ يقضي ما يطلب منهُ اذا عرف الاسباب القريبة لان غرضهُ البحث عن نواميس الطبيعة لا عن حقيقتها واذا بحث عن حقيقة المذاهب العلمية وكيفية الوصول اليها رأى ان البحث الاستقرائي الذي اعتمد عليهِ العلماء حتى الآن قليل الحقائق العلمية

ثم ان هناك امرًا آخر اهتمُّ بهِ كثيرًا ولو ظهر لي انهُ لا يهمُّ احدًا غيري . وهو ان معارفنا الطبيعية مبنية كلها على شعورنا . وهذا الشعور يقنعنا بوجود العالم المادي ويرشدنا الى اوصافهِ ومقوماتهِ لكن شعورنا هذا مبنيٌّ على مشاعرنا فالذي ننظرهُ لا يتوقف على المنظور فقط بل على العين الناظرة ايضًا والذي نسمعهُ لا يتوقف على المسموع فقط بل على الاذن

السامعة ايضاً . غير ان العيون والآذان وكل الحواس نشأت فينا وفي اسلافنا من انواع الحيوان بالطريقة البطيئة طريقة الانتخاب الطبيعي . وما يصحُّ على المشاعر يصحُّ على القوى العقلية التي مكنتنا من ان نبني على مدركات المشاعر بناء العلم العظيم . ومدار الانتخاب الطبيعي النفع كما لا يخفى فما كان نافعاً للنوع في جهادهِ لاجل البقاء حُفظ ونقوَّى وما هو غير نافع فهو عبءٌ ثقيل يزول مع الزمان . ومعلوم ان مشاعرنا ارتقت قبلما صرنا نستخدمها في البحث عن اسرار الحقائق الطبيعية بدهور كثيرة لان اكتشافاتنا في هذا الباب انما حدثت بالامس . فقوى الانتخاب الطبيعي الخالية من الادراك فعلت فعل المدرك المدبر في اعدادها مشاعرنا لادراك ما تدركهُ الآن وهي خالية من التدبير. فالصدفة العمياء قادتها الى تجهيز الانسان بالقوة الفسيولوجية والعقلية التي تؤَهلهُ للمباحث الطبيعية العالية . والعلم الطبيعي يدلنا على ان كل حاسَّة من الحواس وكل قوة من قوى العقل لا تساعدنا على الحرب والاكل واخلاف النسل انما هي فضلة زائدة عن القوى التي تساعدنا على ذلك فلم نعطَ المشاعر للبحث العلمي ولا ارتقت قوانا العقلية من قوى الحيوان الاعجم لقياس الافلاك وقسمة الجواهر

ولهذه الاسباب تجد ان ما يعتقدهُ الناس من امر العالم المادي الذي هم فيهِ ناقص بل هو خطأٌ تام . فقد عاشوا كلهم حتى آخر القرن الماضي في عالم من الوهم واوهامهم التي يهمنا النظر فيها الآن لا تتعلَّق بامور بعيدة او الهيَّة فائقة الادراك بل بامور نراها بعيوننا ونلمسها بايادينا — بامور الحياة العادية — الامور التي نختبرها وننظر اليها واثقين اننا نعلمها حق العلم . ولعل سبب ذلك ان وقوع هذه المحسوسات تحت ادراك المشاعر كان مانعاً في طريق الجهاد لاجل البقاء بدلاً من ان يكون معيناً لهُ او ان الكذب كان انفع من الصدق او انهُ لم يكن في الامكان البلوغ الى نتائج احسن من هذه مع ما نحن فيهِ من نقص الاعضاء . واذا صدقت هذه النتيجة فهي تشمل غير الحواس من وسائل المعرفة اي انها تشمل قوى العقل ايضاً . فان كان النشوء قد عجز عن ايجاد آلات يوثق بها لادراك الامور الاختبارية فكيف يعوَّل عليهِ في تجهيز العقل بما يلزم لهُ لاستخدام هذه الامور واستنتاج الاحكام العقلية منها

اعتبارات مثل هذه ان لم اكن قد ادمجتها ادماجاً يخرجها عن حد المفهوم تدلُّ دلالة قاطعة على عدم الانتظام في كل مذهب علمي عامّ يبنى على العلم الطبيعي وحدهُ . وسّعوا نطاق المعارف كما تشاؤُون وارسموا صورة الكون على ما تريدون وردوا كل ما فيهِ من المتخالفات الى صور الاثير المالىء الفضاء واستقصوا تاريخهُ الى زمن تولُّد الجواهر وبيّنوا كيف تفعل بها الجاذبية العامة فتكوّن منها السدام والشموس وكل كواكب السماء ثم كيف تجمّعت هذه الدقائق في

كوكب منها وركّبت المركبات الآلية ثم كيف صارت المركبات الآلية اجساماً حية وكيف ارتقت الاجسام الحية على اساليب مختلفة فتولّد منها اخيراً نوع من الحيوان ارقى من غيره وبعد قرون كثيرة نشأ من هذا النوع حفنة من العلماء فالتفتوا الى ما حولهم ونظروا الى العالم الذي انشأهم وعرفوه وحكموا عليهِ. افعلوا ذلك كلهُ فتكونوا قد اوجدتم العلم ولكنكم لا تكونون قد اوجدتم شيئاً يكفي لاقناع العقل تمام الاقناع لانهُ يبقى شيء لا تفسرهُ هذه السلسلة المتتابعة الاسباب والنتائج تفسيراً مقنعاً وهو اصل المعرفة نفسها فان العلم الطبيعي يحسب المعرفة نتيجة اشياء غير عاقلة لانهُ لا يعرف الاَّ الاشياء غير العاقلة ولكنهُ يضطرُّ ان يحسب المعرفة شيئاً عقلياً والاَّ انتفى العلم نفسهُ. فالصعوبة الاولى هي استخراج معتقدات من الاختبار ينقضها الاختبار نفسهُ. والثانية هي التوفيق بين اصل هذه المعتقدات وبين ما ندَّعيهِ لها من الصحة لاننا كلما زدنا استقصاء في تعليل اصلها زدنا شكاً في صحتها وكلما زاد المذهب العلمي شمولاً زادت الصعوبة في اكتشاف الوسائل التي علماؤُ بها استحكاماً

ههنا الحدُّ الذي لا يتعداهُ العلم الطبيعي ووراء هذا الحد مجاهل لا يستطيع اكتشافها وانما هي من نصيب الفلسفة. وهي ليست من شؤُون هذا المجمع لاننا قد اجتمعنا لترقي المعارف في قسم من اقسامها الكبيرة فلا نفيدها بتشويش التخوم وتغيير الحدود التي تفصل عادة بين قسم وآخر

وقد يقال انني لم اجرِ على هذه السنَّة التي سننتها بل تخطيت الحدود التي يشتغل ضمنها علماء الطبيعة. فان كان الامر كذلك فمني العذر ومنكم الصفح ولقد كان غرضي الاول ان احرّك في نفوس الذين مثلي ليسوا من علماء الطبيعة المحنكين الاهتمام بالمذهب الجديد الذي هو اوسع نطاقاً من كل المذاهب التي تدعي ان الامتحان يؤَيدها. وان كان الغرور قد حملني على الاشارة الى رأيي الخصوصي وهو ان العلم الطبيعي يزيد ميلاً في ارتقائهِ الى تفسير امور الكون تفسيراً غير مادي فالذين يوافقونني اقل من غيرهم لا يضنون بالعفو عني

سكة الحجاز

رأت الدولة العثمانية ان بلاد اليمن والحجاز شاسعة عن مقر السلطنة ومنبعث القوة وان بعض قبائلها لا تنفك تبدي نواجذ الشر والنشوز كلما لاحت لها الفرص واهتبلت الغِرَر فيتعذر للحال تسريح الجيوش اليهما مئات من الاميال برًّا وبحرًا فارتأت منذ خمس سنين مدَّ خط حديدي من دمشق الى مكة وهي مسافة لا تقل عن الف وتسعمائة كيلومتر مدَّت منها منذ شهر تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٣١٦ (١٨٩٩) حسابًا شرقيًّا اربعمائة وستين كيلو مترًا . وقد احتفل في اليوم الاول من شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٤ اي يوم ذكرى جلوس الحضرة السلطانية بوصول الخط من دمشق الى معان بحضور وفد سلطاني رافقتهُ في رحلتهِ وشهدت مع الشاهدين ان هذا العمل من خير ما تم على ايدينا من الاعمال في هذا العصر. وهو وان لم يبلغ كمالهُ والكمال الآن كالطفرة محال فيكفي انهُ مثال من جهد المقل وعنوان على الثبات والجد

كان العقلاء يظنون بادىء بدء ان دون انشاء الخط الحجازي خرط القتاد وشرط الحداد لما عُرِف من ان القوم اهل اقوال لا افعال اذ قام لهم وعليهم من الماضي اكبر برهان على وناء الهمم وضعف النفوس ولكن لم يلبث هذا الظن ان انقلب يقينًا وصار ما يعدُّ من قبيل الخيال في حكم الحقيقة . وعلى نسبة ما كان يتم من الاميال والفراسخ كانت تتبدل لهجة الناس شرقًا وغربًا في الحكم على هذا المشروع . ولو لم يكن فيما مدَّ الى اليوم من الخطوط الحديدية الاَّ اشارة الى ما في الامة العثمانية من القوة الكامنة والذكاء الفطري والعزائم التي متى دُعيت اجابت لكفى في إثبات الفضل والاشادة بالمحمدة . ولا عجب فالعثمانيون على اختلاف عناصرهم مؤلفون من ارقى السلائل البشرية التي استفاض ذكر اعمالها في القرون الغابرة . فحريٌّ بهم وبلادهم ما علمت من الاعتدال وزكاء التربة ان يتعلموا اذا علموا وينجحوا اذا حسن تدريبهم وان لا تعجزهم مضاهاة ارقى الشعوب متى صحت منهم العزائم وحسنت قيادتهم

وكيفما كانت الغاية من انشاء هذه السكة فقد تلقتها الامة بانها اسلامية وطنية يقصدبها تخفيف وعثاء السفر عن حجاج المسلمين واستعمار البلاد . ولذلك بادر سكان الولايات العثمانية المسلمون فجمعوا او أريدوا على ان يجمعوا اعانات للانفاق على الخط . وتلكأ اولاً بعض من جرت عادتهم ان يكونوا اول الباذلين في كل ما تريد الدولة القيام بهِ من الاعمال لانهم كانوا في شك من اتمام العمل . ولما اخذت امارات الهمة تبدو حينًا بعد آخر اخذ الهنود والمصريون

يشتركون في مد يد المعونة وقد جاد بعض المكتتبين بليرة وليرتين لكل كيلو متر ودفع بعضهم عشرة آلاف جنيه بدون ان يُعرَف اسمهُ . واذ ايقنت الدولة انهُ يتعذَّر انجاز العمل بالاعانات اخترعت طوابع واوراقاً ذات قيم للاستعمال في بعض الاحوال والاشغال ووضعت مكساً على امتيازات المعادن التي تعطى في البلاد وعلى الاراضي الاميرية التي تباع واخذت تتقاضى كل سنة عشر شهر ايار (مايو) من المأمورين الذين تتجاوز مشاهراتهم خمسمائة قرش من الملكيين والعسكريين

للخط لجنة علياء مقرها الاستانة وهي مرجع جميع الاعمال الادارية وبيدها فض الكليات والجزئيات ولهُ لجنة فرعية مقرها دمشق ترجع في شؤونها الى لجنة الاستانة . ويعمل في الخط نحو اربعين مهندساً نصفهم من المسلمين العثمانيين جيء بهم اولاً بمثابة معاونين للمهندسين الاجانب فلما تبينت كفاءتهم بفضل رئيسهم المسيو مايسنر الالماني وظهر لهُ ان المهندس العثماني اذا مُرّن تأهل لمد احسن طرز من الخطوط الحديدية رقَّى رواتب بعضهم ورتبهم فجعل مختار بك رئيساً للمهندسين في خط حيفا . ويقول الخبيرون بانهُ سيكتفى بعد حين بالمهندسين العثمانيين في مد هذه السكة وغيرها اذ قد اصبح مهندسونا بعد ان كانوا يدرسون الهندسة نظريًّا في دار الهندسة بالاستانة يدرسونها اليوم عمليًّا . ولشدة تفاني المهندسين في التوفر على العمل مع إجادتهِ استحقوا ثناء الخاصة والعامة وأُعجب القوم بغيرة مايسنر الالماني وشريدر الفرنساوي ومختار واحمد ونوري العثمانيين وغيرهم من الرؤساء الذين لهم الاثر المحمود في اخراج هذا العمل من القوة الى الفعل وكانوا قبل لا يعرفون كيف يسيرون فغدوا اليوم بفضل الدربة والبحث كاحسن الدارسين المفننين

اذا علمت هذا ساغ لك ان نقسم المهندسين الى فئتين اجانب ووطنيين كلهم سواء في الهمة وبعد النظر كما يقسم العملة الى قسمين قسم الجند النظامي الذي سُخّر للعمل في الخط تحت نظارة ضباطهِ وقوادهِ وقسم عامة العملة من وطنيين وغيرهم ممن يستخدمهم الملتزمون والمقاولون. وبلغ عدد العاملين من الجند اربعة آلاف وخمسمائة وكان يعمل نحو خمسمائة عامل من غير الجند من دمشق الى عمان فلما تجاوزت الخطوط الحديدية هذه المدرة صار يشتغل فيهِ نحو الف عامل من عملة الملتزمين اما عدد الحيوانات العاملة فلا يعلم بالتمام . ويأخذ الجندي وضابطهُ اجوراً وأُعطيات تقبض رأس كل شهر فيتناول الجندي قرشاً صحيحاً عن كل متر مكعب من التراب حفراً واملاء وثلاثة قروش عن المتر المكعب من الصخر المتوسط واذا زاد الصخر صلابة تقدر اجرة عاملهِ عن كل متر من الثلاثة الى الستة قروش فيصيب الفرد والحالة هذه في الشهر نحو

جنيه عثماني . اما الضباط فقد خصص لهم لقاء كل متر يعمل تحت نظارتهم خمس بارات فيتناول رئيس المئة مثلاً من الستة جنيهات الى العشرة في الشهر بقدر ما لديهِ من الجند على حين لا يتجاوز راتبهُ الاصلي اربعة جنيهات

حدثني بعض الاجانب من عمال الخط قال ليس اصبر من الجندي العثماني على تحمل المشاق والقناعة بالقليل فالفرد يعمل عمل الجماعة من الغربيين وقد كان يمد من الخطوط الحديدية قبل الشهر الاخير كيلو متر ونصف كل يوم ثم زادت الهمة فصاروا يمدون كيلومترين ثم تدرجوا الى ثلاثة كيلومترات حتى دهش الاهلون واخذوا يشبّهون الخطوط الحديدية في سرعة تمديدها بانها سيل من حديد . وقد مرنت ايدي العملة كلهم فصاروا يمدون بعد الآن ثلاثة كيلومترات في النهار بدون ريث ولا عجلة . ويكلف كل كيلو متر الفاً وخمسمائة جنيه عثماني يدخل في ذلك نفقات بناء المحطات واحواض المياه وغيرها من مرافق السكة وهي اقل قيمة تنفق على اقل خط حديدي في العالم . ولكثرة الموجود الآن في صندوق السكة من الدراهم واستكمال الادوات الاساسية عقدت نواصي الآمال بانهُ لا تمضي ثلاث سنوات الاَّ ويصل الخط الى المدينة

وبعدُ فان المسافة بين دمشق ومعان عشرة ايام لراكب المطايا من قصاد البيت الحرام وهذه المسافة هي ربع الخط بين معان ومدائن صالح والمدينة ومكة او ثلث الطريق بين دمشق ومعان ومدائن صالح والمدينة . وذرعها اربعمائة وستون كيلومترًا يقف القطار في ست وعشرين محطة وهي : القدم . الكسوة . ديرعلي . المسمية . جباب . خبب . المحجة شقرا . اذرع . خربة الغزالة . درعا . نصيب . المفرق . خربة السمرا . الزرقا . قصرعمان لُبّن . جيزة . ضبعة . خان الزبيب . القطرانة . الحسا . جروف الدرويش . عنيزة . معان . وقد قطعها القطار هذه المرة في ست وعشرين ساعة وفي المكنة ان يجتازها في عشرين اذا وقف وقفاً معتدلاً في المحطات ولم يغذَّ السير بحيث يكون عرضة للخطر . قال احد الموظفين في الخط من الاجانب لو عملت هذه السكة من الخط العريض (نورمال) اي بعرض ١٥٠ سنتمترًا لقطع القطار ثمانين كيلومترًا في الساعة فاجتاز المسافة بين دمشق ومعان في سبع ساعات اما خطنا هذا وعرضهُ ١٠٥ سنتيمترات فلا يقطع قطارهُ اكثر من خمسة وعشرين كيلومترًا في الساعة هذا مع سهولة الطريق الاَّ في النادر . ومن المقرر انهُ متى تمت الاعمال على محورها يمشي القطار اربعين كيلومترًا في الساعة . وسمعت بعض من لهُ علاقة بالخط يقول ان الدولة فكرت اولاً في عملهِ عريضاً ولما حسبت نفقاتهِ وجدتها ضعفي نفقة الخط الضيق

فاختارت الثاني لانهُ يقصد بهِ ان يكون خطًّا حربيًّا لا خطًّا تجاريًّا وان يكن ينفع الخط بين حيفا ودرعا ودمشق ومعان في رواج التجارة والزراعة لانهُ يسير في بلاد عمرانها طبيعي

***

من لم يلقِ نظرًا بليغًا في انحاء الخط وحناياهُ يظنّ ان الماء ناضب والحقيقة ان قلتهُ محسوسة على اديم الارض ومخزون في بطنها وهو غزير من دمشق الى معان اذا حفرت لهُ آبار ارتوازية او خزن في احواض وآبار و يوجد من معان الى مدائن صالح وهذا القسم الذي يعمل فيهِ الآن لا يتعدى المئة والخمسين كيلو مترًا و يتعذر امهاه الآبار منهُ اما ماوراء ذلك من الكور الحجازية فالماء فيهِ كثير . ولذلك سلكت الدولة في هذا الخط طريق الركب الشامي الى الحجاز لانهُ اعمر من غيرهِ واكثر امواهًا بالطبع . حدثني احد الامراء ان في وادي سرحان على مسيرة اربعة ايام من محطة المحجة مياهًا غزيرة وان نهر الازرق يجري في تلك الانحاء ولا ينتفع بهِ حق الانتفاع وان الاهلين قد يسيرون خمس ساعات لورود الماء كما هو الحال في عين حامر وراء محطة خبب فان اهل جوارها يقصدونها من الاقاصي للاستقاء وانهُ كان طريق عجلات من بصري اسكي شام في حوران الى بصرة العراق وكان على كل ساعتين محطة وبئر ماء يستقي منهُ السفار . وفي قضاء السلط انهار عدة كما في احصاء الحكومة كالاردن والزرقا ووادي شعيب ووادي السير وبحات وعمان وحسبان تسقي اراضي تبلغ مساحتها نحو خمسمائة فدان فقط

هذا ما لقفتهُ من الثقات عن حالة الخط الحاضرة . ولقائل هل يكون لهذه المسالك التي لم تدمثها الخطا ولا اهتدت اليها القطا حظ من العمران بعد امتداد الخط الحديدي فيزرع في تلك الاصقاع الجرداء المرداء مايجود فيها من ضروب النباتات والثمار وتقام ثمت للصناعة مصانع وللتجارة اسواق وهل يؤثر هذا المشروع الاثر المطلوب في ثروة الاهلين ويمتعهم بطعم المدنية والراحة . نعم ان هذا سيكون ولكن لا في القريب العاجل شأن حركة الارتقاء في هذه البلاد فانها سائرة على مهل مناطة بالاتفاق والطبيعة لا بالتعمل واتخاذ الاسباب

وقد بدأ الاهلون في هذه الارجاء يدركون ماهية الربح وقيمة الكدح فنرى بعض سكان البلاد المجاورة للخط يعملون في السكة مع العامل الاجنبي و باجرة تكاد تكون كاجرتهِ حتى ان الرجل الذي كان لهُ عشرون جملاً لا يستفيد منها الاَّ قروشًا معدودة في اوقات محدودة من السنة صار الآن بفضل غدوهِ ورواحهِ في اعمال السكة موسعًا عليهِ في الرزق يربح مئات القروش . وهكذا قل في سائر السوقة والباعة . اشترك في هذا الربح المجاورون للخط واصاب

سكان دمشق وبيروت والقدس وسائر بلاد فلسطين قسط وافر من هذه الارباح سواءٌ كان من البياعات او المقاولات والالتزامات التي نشط بعضهم الى عقدها مع زعماء النظار على السكة وقد كانوا يتخوفون ذلك قبل فلما رأوا انتظام الاشغال وتأدية المطاليب في حينها بدون مطل ولا الحاف اخذوا يلتزمون عشرات من الكيلومترات فيستفيدون ويفيدون

ضمني مجلس وشيخ قبيلة الحويطات استدللت منهُ على ذكاء اهل البادية قال لما رأى الدولة مدت السلك البرقي في دمشق الى المدينة منذ نحو ثلاث سنين استنتج ان مئات الافدنة الشاغرة الواقعة على طريق السلك في الناحية التي تنزلها عشيرتهُ لابد ان تملك وتسجل باسم احد في سجلات الحكومة فما كان منهُ الاَّ ان خطط قسماً كبيرًا منها وفلح بعضها على حين كانت بورًا معطلة حتى اذا مر الخط الحديدي من ناحيتهِ ايضاً عمر لهُ دارًا فيما استصفاهُ من الفلاة ولكن ما اسرع ما اشرفت على الخراب فان قبيلة اخرى ممن يناصبنهُ العداء حملت على تلك الدار فخربتها جملة حتى عادت قاعاً صفصفاً . قال فلو كان لهذه البلاد امن لاطمأن السكان وعمروا كل ارض سهلة المأخذ قابلة للحرث والكرث . وحدث الثقات من العمال ان جميع الاراضي القابلة للفلاحة في لواء الكرك التي لا مالك لها ستضاف كامثالها الى الاراضي السلطانية الخاصة وتجعل اباعد مهمة وتفاتيش منظمة كما ان بعض اعيان دمشق استصفوا مئات من الافدنة ليستنبتوها

لاجرم ان الخط الحجازي يمر على ما يعلم من محطاتهِ ببلاد متوسطة في شهرتها وعمرانها ومن انعم النظر في مسيرهِ من حيث الجملة يجد انهُ مرَّ في ارض حوران وهي مخزن غلات سورية مشهورة بجودة حنطتها وطيب تربتها . وكان مركز لواء حوران اليوم وهو شمسكين (او شيخ مسكين المحرَّفة عن اشمشكين) مركز حكومة آل غسان قبل الاسلام على ما في احصاء الحكومة وفي معجم البلدان ان بصرى كانت قصبة هذه الكورة وما برحت " قراها ومزارعها وحرارها[1] منازل العرب وقد ورد ذكرها في اشعارهم " ويمر الخط في لواء الكرك الذي أُسس منذ زهاء عشر سنين واراضيهِ على ما في تقرير الحكومة مخصبة منبتة وهي على طريق القوافل من مصر الى الحجاز وانهُ كان لهُ شأن يذكر في القديم وقد جعل مركزًا للحكومة على عهد الصيلبيين وقامت فيهِ بعض الحصون والقلاع ولما استولى عليهِ آل ايوب زاد حصانة وعمارة ولم يبقَ اليوم الاَّ اثر طفيف من تلك القلاع والحصون يدل على ما كان في الاعصر السالفة من الترقي

(١) الارض الحرة بفتح الحاء هي ذات حجارة نخرة سود كالحرار والحرات

هذان اللواءان او المركزان هما من اعمال ولاية سورية فان يكن سمي لواء حوران باسم اقليمهِ ولواء الكرك باسم مركزهِ ففيهما بلاد كان الاولى بها ان تكون مراكز الحكومة وسينقل مقر حكومة حوران من شمسكين الى درعا كما نقل من الشيخ سعد قبلاً وذلك لاهمية درعا . ولعل مركز الكرك ينقل على حسب الاحوال فيصير في معان مثلاً . هذان اللواءان وان كان اسمهما قليل الشيوع فان مساحتهما كبيرة يليق بهما لو كانا عامرين ان لا يكونا ولاية فقط بل ان يكونا ايالات قائمة برأسها وما اظن سويسرا اكبر مساحة من نصفها ولكن شتان بين بلاد استنبتت فيها الصم الصلاب فاخصبت وامرعت وغرست في ذرى جبالها القاحلة وآكامها المصخرة الوعرة صنوف الاشجار وبلاد قد تسير فيها اليوم واليومين والثلاثة ولا تجد فيها ماء تشرب منهُ ولا شجرة تستظل بها وبين بلاد تأوي ثلاثة ملايين من السكان المنوَّرين كلهم وبلاد ليس فيها نصف مليون ما فيهم خمسمائة رجل يقرأ ويكتب حتى بركاكة زائدة . وبين بلاد اقل من ما فيها راحة دائمة وعيش خضال يقصدها اعاظم سياح الارض للاستمتاع بمناظرها وراحتها وبلاد اقل ما فيها شن غارات تباع فيها الارواح بيع السماح وتفشي المحرمات والموبقات بحيث عدت بين اهلها من المستحب او المباح

اكثر سكان حوران اهل فلاحة يقيمون في الدساكر والقرى اما اهالي الكرك فمعظمهم بادية من اهل الوبر ينزلون الخيام والآطام تفرقوا عشائر وتجمعوا عصابات وقد يغير بعضهم على بعض على ما جرت بهِ عادة اهل البادية كلما بعدوا عن المعمورة . ومن عشائر حوران عشيرة زبيد وتعرف ايضاً بعرب اللجاة تقيم في اللجاة من اعمال بصر الحرير وفئة من بني صخر يدعون الكعابنة وكذلك السرحان وولد علي والاشاجعة وهما من عنزة والطيار والعيسى والسردية والسوالمة والروالة والحريشة وفي لواء الكرك قبائل الحويطات وبني صخر وبني عطية والشرارات والمجالي ولم يحرث الارض من هؤلاء الاَّ مشايخ بني صخر تملكوا بعض خرب في انحاء السلط قوةً واقتدارًا واخذوا يستغلونها وتفلح لهم وهم ابدًا يتنقلون في الفجاج والسهول مسيرة ايام فبينا تراهم قرب نجد او في سواد العراق اذا هم في البلقاء او حوران او ارض الشام انتجاعاً للكلاء وورود مناهل الماء

ولقد تبين لي ان سكان هذه البلاد وان فطر اكثرهم على حب الغارة ومد يد الاذاء بالحرام هم من اقرب الناس لقبول الحضارة وتأليف شاردهم . والذهن الخالي يسهل نقش ما تريد طبعهُ فيهِ من الافكار اكثر من الذهن المملوء بالخرافات والتقاليد . خذ لذلك مثالاً اهالي لواء الكرك فقد عودهم حسين حلمي باشا متصرفهم الاول ان لا يرشوا العمال وشدد النكير

عليهم في ذلك حتى حرج عليهم انزال فرسان الدرك واطعامهم فأتمروا بكل ما امرهم بهِ الاَّ انهم لم يرضوا الاَّ باقراء من ينزل عليهم من اولئك الفرسان وتقديم العلف لدوابهم مخافة ان يرموا بالشح على حين من عادتهم ضيافة من لا صلة بينهم وبينهُ من ابناء السبيل بدون عوض ولا غرض. فعربان الكرك والحالة هذه مثال الطاعة يتفانون في محبة الصادقين من الموظفين ولا يشكون الاَّ من سوءِ استعمال بعض مأموري المالية

كان لهذه البلاد حظٌّ من المدنية قديماً يدرك ذلك من يجوب نواحيها ويستبطن خوافيها قال ياقوت والبلقاء كورة من اعمال الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل. قال محمد بن احمد البشَّاري عمان على سيف [1] البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء وهي معدن الحبوب والانهار بها عدة انهار وارحية يديرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السوق مُسَفْسَف الصحن شبه مكة وقصر جالوت على جبل يطلُّ عليها وهي رخيصة الاسعار كثيرة الفواكه غير ان اهلها جهال والطرق اليها صعبة

وقال ياقوت والشوبك قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وايلة والقُلْزُم قرب الكرك وذكر يحيى بن علي التنوخي في تاريخهِ ان يقدور الذي ملك الفرس سار سنة ٥٠٩ الى بلاد ربيعة من طيءٍ وهي باق والشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى فعمرهُ ورتب فيهِ رجالهُ وبطل السفر من مصر الى الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن اه. وفي وسط قلعة الشوبك باب حجري قديم ينزل الى بئر فيهِ بثلثمائة وستين درجة وقد استعصت هذه القلعة على ابراهيم باشا المصري لما اراد فتحها ايام حملتهِ على سورية

اما وادي موسى المعروف عند الافرنج بيترا فهو كما جاء في تقرير الحكومة على اربع ساعات ونصف من معان مشهور بآثارهِ وعادياتهِ المدهشة وفيهِ من النواويس والقصور والهياكل ومدينة كلها من الصخر ما يدعو علماء الغرب الى شد الرحال اليها وقيل ان بعضهم نقل معهُ شيئاً من تماثيلها وحجارها المنقوشة. وفي قضاء درعات وقد بني فيهِ الآن محطة عظيمة للسكة ومعمل لتصليح ادواتها – آثار حمام قديم جسيم. وفي وادي الشلالة الفاصل بين درعا وعجلون من ناحية درعا مغاور قديمة على صورة غرف ومقاصير حرية بامتاع العيون بها وينبجس من هذا الوادي ماء عذب سائغ من مغارة حفرت في قطعة واحدة من الصخر منقطعة القرين وعرض هذه المغارة ثلاث اذرع وارتفاعها ست. انتهى معرباً عن تقرير الحكومة

(١) في القاموس السيف بالكسر ساحل البحر وساحل الوادي او لكل ساحل سيف اوانما يقال ذلك لسيف عمان

وفي السلط عاديات كثيرة حرية بالنظر وفي هذا القضاء نحو ثلثمائة قرية خربة وآثار مغاور ومرسح في عمان على شكل هلالي نُقر في سفح جبل وهناك حصن على اكمة وفي هذا القضاء ايضاً مياه معدنية كثيرة تصب كلها في بحيرة لوط وفي وادي معين حمام زرقاء معين ماؤهُ سخن اجاج معدني من جهة وعذب بارد من الجهة الثانية · وفي معين ومادبا وحسبان آثار كثيرة ظريفة · وفي شمالي قضاء الطفيلة وادي العفرة وفيهِ مناجم حديد وحمام معدني ينسب الى سليمان بن داود ثبت نفعهُ للامراض العصبية الى غير ذلك من الآثار المحيلة في صرخد واذرعات وبصرى وجرش وغيرها من البلدان التي كان لها مكانة من العمران في سالف الازمان

***

هذا اهم ماينبغي ان يقال في السكة الحجازية وبلادها · بقي ان اشير الى الخط بين حيفا ودرعا فاقول ان الحكومة العثمانية لما رأت شركة سكة الحديد بين بيروت ودمشق وحوران الفرنسوية تتصعب في نقل ادوات السكة وتشتط في تقاضي الاجور ابتاعت سكة حيفا من صاحب امتيازها الذي عجز عن تمديدها بمئة وخمسين الف جنيه عثماني وكان مُدَّ منها تسعة كيلومترات وعمل منها ستون كيلومترًا من الاعمال الترابية ناقصة الاَّ قليلاً · وسيكون طول هذا الخط من حيفا الى درعا مئة وخمسين كيلومترًا ومتى التصق الخطان الواحد بالآخر تتقدم حيفا وتقف بيروت عن رقيها لقرب حيفا من مصر والاستانة واوربا خصوصاً بعد تشييد مرفإٍ يجري في تلك المدينة الصغيرة الذي سيقام بايدي عثمانيين وعلى نفقتهم على مثال مرفإ بيروت

وقد بدئ بالعمل في هذه السكة في ايار (مايو) سنة ١٣١٩ شرقية فمد منهُ الى الآن ثمانون كيلومترًا وقد تجاوز التراب الكيلومتر الخامس والتسعين وما دعا الى التريث الاَّ تأخر جسر اليرموك الحديدي في المعمل الموصى عليهِ فيهِ واذا حضرت جسور هذا الخط وهي ستة او سبعة كما ان انفاقهُ (تونل) ثلاثة وواحد في خط معان فالمأمول ان تسير القطارات وتتصل بدرعا في شهر نيسان (ابريل) القابل · اما المحطات التي يمر بها الخط فهي : حيفا · تل الشمام عفولة · بيسان · جسر المجامع · صماخ · الحمة · الكوية · تل الشهاب · درعا · نجز منها حتى الآن اربع محطات وصرف على جميع هذا العمل خمسة وثلاثون الف جنيه عثماني ويقدر ماسينفق على هذا الخط وحدهُ بثلثمائة الف ليرة عثمانية يضاف الى ذلك ثمن الامتياز · وقد جرى التزام الخط كلهِ ويعمل فيهِ الآن نحو ثلثمائة جندي

ويمر هذا الخط في ارض مخصبة للغاية ويقول بعض اهل النظر انها من اخصب ارض الله وفيها معادن كثيرة . هذا وحال الفلاح فيها على ضعف وخمول فما بالك لو عني باستنباتها على الطرق الحديثة وخصوصاً من حيفا الى مضيق الحمة وفيهِ مرج بني عامر واراضي بيسان والغور واصعب ارض فيهِ على المرور وادي اليرمون الذي يعمل فيهِ الآن ليل نهار وهو ممتد من مضيق الحمة الى تل الشهاب . قال احد الافاضل ومن عجائب هذا الوادي مياههُ الكثيرة المتردمة وغاباتهُ الكثيفة التي لم تمسسها يد . وفي تل الشهاب وزيزون (ام القصب) سبعة شلالات او ثمانية ارتفاع انحدارها عشرات من الامتار تدار بها نحو عشرين رحىً وتنفع لكل صناعة ويتأتى استخدام هذه الشلالات في عمل محرك كهربائي (دينامو) لإنارة المحطات البعيدة والقريبة بالكهربائية

والحمة مياه معدنية مشهورة منذ القديم تنفع الامراض العصبية والجلدية وهي احسن من حمامات كارلسباد في بوهيميا وحمامات بورصة في الاناضول وحمامات حلوان مصر. فيها على ما روى الثقات املاح كثيرة نافعة تدفع عادية اكثر الامراض وتلائم حرارتها معظم امزجة سكان الارض فتبدأ تدريجاً من الا ٢٦ الى الا ٥٦ درجة بميزان سنتغراد وشربها يقوي المعدة ويسهل الهضم

وتجتاز سكة حيفا بساحل طبرية في محطة صماخ ووادي الحمة وغير خاف ما لبركة طبرية من الاهمية التاريخية والدينية التي تستدعي السياح الى زيارتها ويقال انهُ متى تم الخط الحيفاوي تجعل شعبة من عفولة الى الناصرة قدر ثلاث ساعات فتحيا بذلك فلسطين وينتقل جانب كبير من التجارة اليها لاسيما اذا مدت شعبة من القدس الى عمان

ومضيق الحمة من اعمال جبل عجلون وحاضرة هذا الجبل اربد وكان اسمها في الاصل ايبلا اواربيل. وعلى مقربة من مكيس على ما ذكر المؤرخون مرسح للرومان ذو احجار محكمة الصُنع . وخرابة جرش المشهورة هي من اعمال عجلون ايضاً أُثر عنها رُواء الصنعة وجسامة البناء وهي اشبه بعاديات تدمر وبعلبك قيل انها عمرت زمن الرومانيين وان لم يثبت انها اشارة لمدنية قوم بعينهم . وفي اراضي مخيبة على ساعتين ونصف من قرية مكيس مياه معدنية كثيرة تنفع في شفاء النقرس والامراض الجلدية ومن العجيب ان معظم الحمامات المعدنية في هذا الاقليم منبعثة من جانب الغور الشرقي

وعلى الجملة فيجتاز الخط الحيفاوي ما عرف قديماً ببلاد الأُردن" احد اجناد الشام الخمسة . جاء في معجم البلدان انها كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قال احمد

بن الطيّب السرخسي الفيلسوف هما اردنان أُردن الكبير واردن الصغير فاما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية بينهُ وبين طبرية لمن عبر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلاً تجتمع فيهِ المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر فتسقي اكثر ضياع جند الاردن فيما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية على جبل يشرف على هذه البحيرة. فهذا النهر اعني الاردن الكبير بينهُ وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب وفي وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلها السكر ومنها يحمل الى سائر بلاد الشرق. وعليهِ قرى كثيرة منها بيسان وقراوا واريحا والعوجاء وغير ذلك. وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهرًا واحدًا فيسقي ضياع الغور وضياع البثينة ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي. وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة جدَرَ وكورة صَفّورية وكورة صور وكورة عكّا وغير ذلك اه

وانت ترى ان البلاد التي دعيت بارض الغور وقد يصح بان تُسمى بلاد القاع او الغوطة هي الارض الواقعة بين جسر المجامع الى تل الشهاب وهي منخفضة عن سطح البحر من مئة متر الى مئتين ولذلك يُحبَّذ مَنْ لهم الفضل في التوفر على مد الخطوط الحديدية في تلك الكورة رغم فساد الهواء وحزونة هذه الارض وان لم تكن مساحتها طويلة كثيرًا . والناظر في المصوَّر المنشور آنفًا يرى ان السكة الحجازية بعيدة عن ساحل البحر الاحمر وانهُ كان الاولى ان تتصل السكة بالبحر الاحمر كما اتصلت بالبحر الابيض ويقال انهُ ستمد ناشطة او شعبة من معان الى خليج العقبة وهي لا تتجاوز مئة كيلو متر يبدأ بها بعد انجاز خط حيفا . والشائع ان كتائب الجند المرابطة في المدينة منذ مدة وعددها تسع كتائب سيسخر بعضها للعمل في الخط من مدينة الرسول على ما بينها وبين جونها وهي ينبع من البعد (مائتا كيلو) . وارتأى بعض المنتسبين لهذه الادارة ان البداءة من جدة الى مكة تزيد السرعة في العمل فان طولهُ لا يتجاوز خمسة وسبعين كيلو مترًا ويمكن تمديدهُ في سنة وتستحصل نفقاتهُ في سنتين او ثلاث من اجور النقل ويسهل تمديد الخط اكثر من سهولتهِ من جهة الشام لوجود جدة على الساحل وبهذا الفرع تكون قد مُدّت اهم ناشطة للخط العام . ويقول العارفون انهُ اذا بدئ بالخط من المدينة كما هو الآن في حكم المقرر تصرف الدولة بدل القرش الواحد قرشين ونصفًا

هذا ويرجى ان تدفع رواتب السرايا العاملة من الجند في اوقاتها على نحو ما تصرف الاعطيات لهم ولعلهُ لا تغمط حقوق المهندسين العثمانيين على ما عرف من اقتدارهم وغيرتهم

فيكون حظهم من الرواتب حظ الاجانب منها فليس من العدل ان ينال غير الوطني ثلاثة اضعاف راتب العثماني مع انهُ كما اكد غير واحد ليس دونهُ في الاجتهاد والمعرفة والاقربون اولى بالمعروف. ومما ينبغي احلالهُ محل النظر تنظيم حالة الجنود العاملين في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم ومساكنهم حتى لا تكون البادية مقبرة لهم كما كانت في السنتين الماضيتين وقد هلك مئات منهم لقلة الوقاية وعدم العناية . قال بعضهم وليس لهذا النقص من سبب وفي مخازن الاستانة ومستودعاتها الكثير من حاجياتهم كما ان الاوامر قاضية بأن تدر عليهم المشاهرات الاصلية فاخذت تصرف في نقل المؤونة لهم التي لم يخصص لها ما يقوم بها . والحاجة ماسة ايضاً الى اقامة مستشفى نقال يمرض فيهِ العاملون في الخط ويقال انهُ سيقام مستشفى في معان وعساهُ يقام مستحم او حمام للعاملين . فخليق بمن يعمل في التراب والشمس الساعات الطويلة ان يستحم مرتين في الاسبوع . ولو أُعفيت لجنة دمشق من مراجعة لجنة الاستانة في كل عمل تريدهُ مما يؤدي الى تطويل احياناً يجلب بعض خلل اذاً لزادت السرعة في العمل

والغالب ان الدولة بعد انجاز السكة الحديدية ستسلمها الى شركة تجارية من حيفا فدرعا فمعان ومن دمشق الى معان وتبقي ما وراء ذلك من الخط الى مكة على نفقتها يدار بايدي عمالها وموظفيها كما جرت في خط حيدر باشا وازميد في الاناضول فانها لما استثمرتهُ على نفقتها خسرت ولما سلمتهُ لشركة حصرت نفقاتهِ وواردتهِ أخذ الربح ينهال انهيالاً . هذا والناس في اكثر مدن سورية يستبشرون خيرًا بارتباط اكثر مدنهم بعضها ببعض وخصوصاً البلاد الساحلية بالداخلية فدمشق متصلة ببيروت فحلب فالاناضول فالاستانة فيافا الى آخرهِ ويؤمل بعض اهل النظر ان يركب الحاج بعد بضع سنين من الروم ايلي اي من تركيا اوربا القطار الحديدي فيمر بآسيا الصغرى فالحجاز لا يركب البحر اصلاً . وعسى ان تتم هذه الاماني كلها باتصال حاضرة سورية بحاضرة الحجاز او شمالي جزيرة العرب بجنوبيها او بلاد وصفها القرآن بانها « وادٍ غير ذي زرع » ببلاد جاء في التوراة انها « تفيض لبناً وعسلاً » والله اعلم بما كان وما سيكون

محمد كرد علي

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبله)

الفصل السادس والعشرون في الشركة

تعقد الشركة عادةً اما على جميع الاموال[١] واما على عمل او مشروع واحدٍ

(١) ان لم يقع اتفاق على تقسيم الربح او الخسارة فالشركاء على السواء وان عيّن لكلٍ نصيب قُسم الربح او الخسارة على حسب التعيين الذي جرى الاتفاق عليهِ

(٢) يجوز بلا نزاع ان تُعقد الشركة على ان احد الشريكين يضع مالاً دون الآخر وان يكون الربح مع ذلك مشتركاً بينهما . ويجوز ايضاً ان تُعقد الشركة على ان احد الشريكين يأخذ جزءًا من الربح ولا يُطالب بالخسارة . ويراد بالربح ما يبقى بعد النفقات والكُلف

(٣) من المعلوم انهُ اذا كانت الحصَّة معيَّنةً في احدى حالتي الربح او الخسارة ومهملةً في حالةٍ أُخرى فالحالة المهملة تُقاس بالحالة المعيَّنة[٢]

(٤) تبقى الشركة ما بقي الشركاء على النية التي بها عقدوا الشركة . مع ذلك اذا أنكر احدٌ بغشٍ ومخادعةِ الشركة ليستبد بالربح الحاصل يُجبر على جعل الربح مشتركاً لكنهُ اذا ربح من وجهٍ آخر فذلك الربح لهُ وحدهُ

(٥) تنفسخ الشركة بموت احد الشركاء . واذا كانت الشركة معقودة بارادة اكثر الشركاء فموت احدهم يفسخها حتى ولو كان الباقون اكثر اللهم ما لم يكن قد وقع العقد على وجهٍ آخر[٣]

(٦) متى انعقدت الشركة على مشروع بعينهِ فمتى انتهى المشروع انتهت الشركة

---

(١) في الفقه الاسلامي الشركة اختصاص اثنين او اكثر بمحلٍ واحد وهي اما شركة املاك واما شركة عقود وهذه على اربعة أوجه مفاوضة وعنان وشركة وجوه وشركة صنائع . وشركة المفاوضة ان يشترك الرجلان ويستويا في مالها وتصرُّفها ودينهما وهذه تقابل الشركة في جميع الاموال عند الرومانيين

(٢) ان هذا موافق لما قال الفقهاء من حمل المطلق على المقيد (الدر المختار)

(٣) وفي الفقه الاسلامي « اذا مات احد الشريكين او جنَّ جنونًا مطبقًا تنفسخ الشركة لكن في صورة كون الشركاء ثلاثة او اكثر تنفسخ الشركة في حقّ الميت او المجنون وحدهُ وتبقى بين الآخرين . وتنفسخ الشركة بفسخ احد الشريكين لكن علم الآخر بفسخهِ شرطٌ فلا تنفسخ الشركة ما لم يكن فسخ احدهما معلومًا للآخر (المجلة)

(٧) من البيّن ان الشركة تنفسخ حين تستصفى اموالها كلها [1] (اي حين تُضبط)

(٨) اذا ركبت الديون احد الشركاء وسلّم موجوداتهِ تنفسخ الشركة

(٩) الشريك مسؤول لشريكهِ [2] عن اعمالهِ ولو بعلة الخطاء وعلى الشريك ان يُعنى ويهتمّ باشغال الشركة مثل ما يُعنى ويهتمّ عادةً باشغالهِ الخاصة

الفصل السابع والعشرون في الوكالة

(١و٢و٣و٤و٥و٦) الوكالة تنعقد على خمسة اوجه . الوجه الاول لأجل العاقد فقط . والثاني لأجل العاقد ولأجلك . والثالث لأجل ثالث فقط . والرابع لأجل العاقد ولأجل ثالث . والخامس لأجلك ولأجل ثالث . فان كانت لاجلك فقط فالوكالة كلا وكالة وهي بان تكون مشورةً احرى من ان تكون وكالةً . هذا ولا يترتب عليهِ التزام . من يأمرك ان تقرض زيدًا مالاً فهو مسؤول او ملتزم بهذه الوكالة . وذلك انك لم تقرض زيدًا المال الاّ على وجه ان يعطيكهُ الآمر

(٧) الوكالة فيما يضادّ الآداب المحمودة غير ملزمةٍ

(٨) لا يحقّ للوكيل ان يتخطى حدود الوكالة [3]

(٩) تبطل الوكالة اذا ردّها الوكيل قبل ان يباشر شيئًا من اعمال الوكالة

(١٠) اذا توفي الموكّل او الوكيل والوكالة بحالها انفسخت الوكالة [4] ولكن اذا انفذت الوكالة والموكّل قد مات وانت لم تعلم بموتهِ جاز لك التصرُّف بنص الوكالة

(١١) قبول الوكالة وردها اختياريّ . فان قبلها التزم ان يقوم بها . والاّ ردها اسرع

---

(١) وفي شرح القدوري « اذا هلك مال الشركة جميعهُ او احد المالين قبل ان يشتريا شيئًا بطلت الشركة لأنها تعينت بهذين المالين . فاذا هلكا مات المحلّ وفي هلاك احدهما بطل في الهالك لعدمهِ لأن صاحبهُ لم يرضَ ان يعطيهُ شيئًا من ربح مالهِ . وان اشترى احدهما بمالهِ وهلك بعد مال الآخر فالمشترى بينهما على ما شرطا لأن الملك حين وقع وقع مشتركًا بينهما لقيام الشركة وقت الشراء فلا يتغير الحكم بهلاك المال الآخر بعد ذلك » (٢) الشريكان كل واحد منهما أمين الآخر . مال الشركة في يد كلّ منهما في حكم الوديعة فاذا تلف مال الشركة في يد واحدٍ منهما بلا تعدٍّ ولا تقصيرٍ فلا يكون ضامنًا حصة شريكهِ (المجلة المادة ١٣٥٠)

(٣) هذا مطابق لما جاء في الفقه الاسلامي قال في المجلة في (المادّة ١٤٧٩) اذا قيدت الوكالة بقيدٍ فليس للوكيل مخالفتهُ (٤) ومثلهُ ما جاء في المادّة ١٥٢٧ من المجلة ينعزل الوكيل بوفاة الموكل . ولكن اذا تعلق بهِ حق الغير لا ينعزل وفي المادة ١٥٣٠ تبطل الوكالة بجنون الوكيل او الموكل

ما يمكن ما لم تعارضهُ اسبابٌ قانونية تحول بينهُ وبين المبادرة الى ردها [١]

(١٢) يصحُّ ان تنعقد الوكالة موَّجلةً الى أجلٍ ما ويصحُّ ان تنعقد معلقةً بشرطٍ [٢]

(١٣) اعلم ان الوكالة ان لم تكن مجانيةً تحوَّلت عقدًا آخر والمكافأة الموعودة تجعلها إجارةً

الفصل الثامن والعشرون في العهود المبنية على شبه العقد

لننظر في انواع العهود المبنية على شبه العقد

(١) اذا ادار زيدٌ أشغال غائبٍ صار بينهما اعمال متبادلة تسمَّى الاعمال التجارية فلمالك الشيء حقّ اقامة الدعوى على ذلك الذي تصرَّف في اشيائهِ ولمدير الاشغال ان يدَّعي على المالك وكلتا الدعويين تحصل بدون وكالة . وذلك متى تقدَّم الواحد ليدير اشغال الآخر . وكما ان من يدير ادارةً صالحةً لهُ حقّ على من كان يدير لاجلهم كذلك عليهِ ان يقدّم حسابًا عن تصرُّفهِ وادارتهِ . وعليهِ ان يبذل غاية التحوُّط في ادارة اشغالهم

(٢) الاوصياء مسؤُولون عن اعمال الوصاية . وذلك بشبه العقد . وفي هذه الحال الدعاوي متبادلة (اي لكل من الاوصياء والقاصرين ان يدَّعي بعضهم على بعض) [١]

(٣) متى كان شيءٌ بدون عقد شركةٍ مشتركًا بين عدَّة مُلّاكٍ فكل من هؤُلاء المُلّاك مسؤُول عند الآخر بسبب هذا الشيء تبعًا للتقسيم العموميّ لانهُ احرز وحدهُ ثمار الشيء او لأَن شريكهُ في الملك أنفق وحدهُ النفقات اللازمة لهذا الشيء نفسهِ فهو مطالبٌ بذلك

---

(١) وفي المجلة «اذا عزل الوكيل نفسهُ يلزم عليهِ ان يعلم الموكل بعزلهِ . وتبقى الوكالة في عهدتهِ الى ان يعلم الموكل عزلهُ (المادة ١٥١٠)

(٢) كذا في الفقه الاسلاميّ . فاذا وكل زيدًا واستثنى اقرارهُ عليهِ جاز الاستثناء ومن ثمَّ فلا يصحُّ اقرار الوكيل على الموكل في هذه الصورة . ولو قال وكلتك ان تبيع دوابيَّ في شهر نيسان وقبل الوكيل ذلك يكون وكيلاً بحلول الشهر المذكور . واما قبل حلولهِ فليس لهُ ان يبيع . ولو قال وكلتك ان تبيع ساعتي هذه بالف قرشٍ تكون وكالة الوكيل مقيدةً بعدم البيع باقلَّ من الف قرش (المجلة في باب الوكالة)

(٣) هذا موافق لما في الفقه الاسلاميّ وفي الاشباه « يقبل قول الوصيّ فيما يدَّعيهِ بلا بينة الاَّ في ثنتي عشرة مسئلة . ادَّعى قضاء دين الميت او ادَّعى قضاءهُ من مالهِ او ان اليتيم استهلك مالاً آخر فدفع ضمانهُ او أذن لهُ بتجارةٍ فركبتهُ ديونٌ فقضاها عنهُ . او أدَّى خراج ارضهِ في وقت لا يصلح للزراعة او جعل عبدهِ الآبق او فداء عبدهِ الجاني او الانفاق على محرمهِ او على رقيقهِ الذين ماتوا او الانفاقَ عليهِ مما في ذمتهِ وكذا من مالِ نفسهِ حال غيبة مالهِ واراد الرجوع او اتجر فربح ثمَّ ادَّعي انهُ كان مضاربًا فلا يكون لهُ في الربح شيءٌ الاَّ ان يشهد عند التصرُّف انهُ يتصرَّف فيهِ بالمضاربة . والاَصل ان كلَّ شيءٍ كان الوصيّ مسلطًا عليهِ فانهُ يصدَّق فيهِ بيمينهِ اذا لم يكذبهُ الظاهر واما ما لا يكون مسلطًا عليهِ فلا يصدَّق فيهِ . اه بتصرُّف

بشبه العقد [١]

(٤) والأمر كذلك في حقّ من هو مسؤول لشريكه في الارث من اجل هذه الاسباب نفسها وذلك جرياً على سنّة تقسيم الميراث العائلي

(٥) الوارث يُعتبر مسؤولاً بشبه العقد عن الشيء الموصى بهِ

(٦) كذلك من يؤدّي لهُ خطأً ما ليس لهُ يصح مديوناً بشبهِ العقد

(٧) ان القدماء قرّروا انهُ في الدعاوي التي يعظم فيها الذنب بعلّة الانكار لا يجوز ان يعاد ما كان قد دُفع بدون وجوب ولا استحقاق واما قانوننا فقد قطع كذلك فيما يتعلّق بالوصايا فقط والودائع المتروكة للاماكن المكرّمة

الفصل التاسع والعشرون في بأيّ الاشخاص يكون لنا حقّ الاكتساب

اعلم أنّا نكسب لانفسنا بانفسنا وبمن هم تحت ولايتنا بحيث ان ما يكسبهُ العبيد يصير ملكاً خالصاً لنا . وما يكسبهُ الاولاد بالعمل تكون غلّتهُ للاب . وتبقى عينهُ ملكاً للابن . والاب يتصرّف مع ذلك في الملك ويديره [٢]

(١) نكسب لانفسنا بالاحرار وبالعبيد الذين نملكهم بنيةٍ سليمة متى كسبوا شيئاً بعملهم او كسبوهُ باستعمال ما نملكهُ

(٢) نكسب على هذا الوجه نفسهِ بالعبد الذي لنا غلّتهُ او استعمالهُ

من المقرّر ان العبد المشترك بين عدة موالٍ يكسب لهم على نسبة حصصهم في رقبتهِ الاّ اذا اشترط او متى قبل بالتسليم لواحدٍ منهم باسمهِ لانهُ حينئذٍ يكسب لهذا وحدهُ . واذا اشترط العبد بامر احد اسيادهِ فانما كسبهُ لمن امرهُ بذلك منهم

الفصل الثلاثون في بأيّ وجهٍ يزول الالتزام ويبطل العهد

يزول العهد ويبطل الالتزام بوفاء ما يجب وفاؤهُ وردّ ما يجب ردّهُ . او متى ردّ المديون شيئاً مكان آخر برضا الدائن . ولا فرق فيمن يفي فان وفى المديون الاصليّ برئ الكفلاء

(١) الملك المشترك متى احتاج الى التعمير والترميم يعمرهُ اصحابهُ بالاشتراك على مقدار حصصهم . اذا عمر احد الشريكين الملك المشترك باذن الآخر وصرف من مالهِ قدراً معروفاً فلهُ الرجوع بحصة شريكهِ واذا عمر بدون اذن من الشريك او من الحاكم يكون متبرعاً يعني ليس لهُ ان يرجع على شريكهِ بمقدار ما اصاب حصتهُ من المصرف سواء كان ذلك الملك المشترك قابل القسمة او لم يكن (المجلة)

(٢) لاخلاف في هذا بين الفقهين الاّ فيما يكسبهُ الابن . ففي الفقه الاسلامي ما يملكهُ الابن بمالهِ فلهُ عينهُ وغلتهُ

وان وفى الكفيل برئ الاصيل[١]

(١) ان العهد يزول بالتراضي. وهو وفاء وهميّ وهو لا يبرئ الاّ من العهود المنعقدة بالقول دون غيرها على ان العهد او الالتزام المتكوّن بسببٍ آخر يحوّل شرطًا و يبطل بالوفاء الوهميّ

(٢) اذا دخل شرطٌ في عهدٍ ما يجوز ان ينقلب العهد عهدًا قوليًا وان يبطل بالتراضي

(٣) زد على ذلك ان الالتزام يبطل بتغيير العهد ولا جرم ان تداخل مديون جديد يوجد التزامًا جديدًا . والتزام العهد الاول ينتقل الى الثاني فيزول ولو كان العهد الثاني عهدًا باطلاً .متى تعهّد عن عبدٍ فالملتزم الاول يستمرّ ابدًاملتزمًا على هذا الوجه عينهِ. واذا تعهدت عن الشخص الذي كان ملتزمًا لك فتغيير العهد لا يتم الاّ اذا دخل شيء جديد في العهد الثاني . وذلك كأن يضاف او يُسقط عهد او مهلة او كفيل . واما قانوننا فقد صرّح ان تغيير عهدٍ سابق لا يقع الاّ بقدر ما يوضحهُ المتعاقدان

(٤) العهود المنعقدة بالتراضي تنحلّ بالتراضي[٢]

الكتاب الرابع

الفصل الاوّل في تبعات الجناية

بقي علينا ان ننظر في تبعات الجناية وشبه الجناية ـــ كل ما يتأتّى عن الجناية مثل السرقة والاختلاس والضرر والاعتداء

(١) السرقة اخذ الشيء نفسهِ بالخداع او استعمالهُ فقط او وضع اليد عليهِ بقصد الانتفاع بهِ

(٢و ٣) السرقة ضربان صريحة ومستترة فالسارق الصريح هو الذي يؤخذ حال مباشرة

---

(١) لا جرم ان هذا منطبق كل الانطباق على احكام الفقه الاسلامي. لكن في شريعة موسى تبرأ ذمة المديون العبرانيّ اذا جاءت السنة السابعة سنة الابراء وان لم يفِ ما عليهِ لما جاء في الآيتين ٢ و ٣ من الفصل ١٥ من سفر تثنية الاشتراع . كلُّ صاحب دينٍ فليبرئ صاحبهُ مما اقرضهُ لا يطالب صاحبهُ ولا اخاهُ اما الاجنبيّ فطالبهُ

(٢) وذلك كالبيع والاجارة والوكالة والشركة فاذا اتفق المتبايعان على فسخ البيع انفسخ . وفسخ البيع على هذا الوجه يسمى عند الفقهاء اقالةً الاّ ان الاقالة لا تصحّ ما لم يكن المبيع قائمًا او موجودًا في يد المشتري وقت الاقالة فان كان المبيع قد تلف فلا تصحُّ الإقالة . وكذا اذا اتفق المؤجر والمستأجر على حلِّ عقد الاجارة او الوكيل والموكل على فسخ عقد الوكالة او الشريكان على ابطال الشركة فتصبح كل هذه العقود باطلةً وهذا مما لا يختلف فيهِ الفقه الروماني عن الفقه الاسلاميّ

السرقة والذي يُقبَض عليهِ في مكان ارتكاب السرقة ومن وهو لم يزل قابضاً الشيء ينظر او يقبض عليهِ من المالك او من ايٍّ كان قبل ان يصل الى حيث يقصد ان يحملهُ او يودعهُ. والسرقة التي لا تظهر سرقة مستترة

(٤ و٥) عقوبة السرقة الصريحة هي ان يُرَدَّ اربعة امثال المسروق وعقوبة السرقة المستترة ان يرَدّ مثلا المسروق [(١)]

(٦) السرقة ترتكب متى أُخذ مال الغير بدون ارادة مالكهِ

(٧و٨) قد تقرَّر ان من يتصرَّف في المستعار غير التصرُّف المعيَّن عند الاستعارة يرتكب السرقة ولكن بشرط ان يعلم المستعير أنَّ تصرُّفهُ ذلك مخالف لارادة المالك وانهُ لو علم المالك بذلك لما كان يأذن فيهِ . كما انهُ لا توجد سرقة اذا لم تقصد السرقة فمن يستعمل العاريَّة استعمالاً مضاداً لارادة المالك والمالك مع ذلك لا يرفض هذا الاستعمال فقد تقرَّر ان ذلك ليس بسرقة

(٩) يُسرَق احياناً من ابناء الاحرار

(١٠) كذلك قد يسرق المرء شيئهُ المختصَّ بهِ

(١١) من يُشِر بالسرقة ويُعِن على ارتكابها يؤاخذ بها . واذا سهل امرؤ ارتكاب سرقة بدون قصد يكون مسؤولاً في ذلك فعلاً . واما من ليس لهُ في ارتكاب السرقة الاَّ الحث عليها والتجرئة على اتيانها فلا يؤاخذ بها

(١٢) من يختلس من أُصولهِ (كأَبيهِ وجدهِ) ومن مواليهِ شيئاً فقد ارتكب السرقة لكن لا يترتب على ذلك دعوى السرقة حيث لا يجوز ان تقام بينهم دعوى ولا بعلة من العلل [(٢)]

---

(١) ان الفقه الاسلامي لم يذكر للسرقة هذا التقسيم ولارتب عليها مثل هذه العقوبة قال في شرح القدوري « اذا سرق البالغ العاقل الناطق البصير ما قيمتهُ عشرة دراهم مضروبة او غير مضروبة من حرز (وهو ما يمنع وصول يد الغير سواء كان بناء او حافظاً) لا شبهة فيهِ ولا تأويل مرَّة واحدة الجد المالك ام تعدَّد وجب عليهِ القطع » والقطع منصوص عليهِ في القرآن قال والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . واذا قطع السارق والعين قائمة في يدهِ ردَّها على مالكها لبقائها على ملكهِ وان كانت هالكة لم يضمن . وعقوبة السارق في شريعة موسى والغاصب وجاحد الوديعة والامانة والضالة ان يردَّ الشيء بعينهِ ويزيد عليهِ خمسهُ ويعطيهُ للذي هو لهُ (سفر الاحبار الفصل ٦ والآية ٤ و٥)

(٢) هذا يشبه قول الفقهاء « ومن سرق من ابويهِ او ولدهِ او ذي رحم محرم منهُ لم يقطع وكذلك اذا سرق احد الزوجين من الآخر او العبد من سيدهِ او من امرأة سيدهِ او من زوج سيدتهِ » (شرح القدوري)

(١٣) حق اقامة دعوى السرقة لمن لهُ الانتفاع من حفظ المسروق ولو لم يكن مالكه[(١)]

(١٤) من ثم ينتج ان للدائن حقًّا ثابتًا على اقامة دعوى السرقة عند سلب الرهن ولو كان الغريم قادرًا على الوفاء

(١٥) اذا سرقت الثياب المسلمة للقصار لكي يبيضها او يحفظها او للخياط لكي يرفأها بأجرةٍ مسماة فاقامة دعوى السرقة للقصار او الخياط لا للمالك اذ لا نفع لهُ بذلك فلهُ ان يطالب باسترداد شيئهِ بدعوى الاجارة · وقد تقرَّر ان الذي ينتصب خصماً في دعوى السرقة هو القصار او الخياط ان ضليعين بالوفاء . والاَّ فالذي ينتصب خصماً في دعوى السرقة انما هو المالك نفسهُ لان النفع انما هو لهُ [(٢)]

(١٦) ما قد قيل في القصار والخياط كان القدماء يرون ان من الواجب ان يقال في المستعير غير أنَّا تحرُّزًا وتحوُّطًا قد اصلحنا هذه المادة وخيرنا المالك المعير بين اقامة دعوى العاريَّة على المستعير وبين اقامة دعوى السرقة على السارق لكنهُ عقب ان يختار احد الامرين فليس لهُ ان ينتقل من دعوى جنائية الى أخرى [(٣)]

(١٧) ليس الوديع بضامنٍ للوديعة لكنهُ يضمن مايقع من الضرر بتقصيرهِ وتعديهِ

(١٨) ان غير البالغ يحكم عليهِ بالعقوبة اذا ارتكب الجرم بفهمٍ

(١٩) ان دعوى السرقة تنحصر في طلب العقوبة . واما المالك فلهُ فوق ذلك المطالبة بالشيء المسروق واسترداده[(٤)]

الفصل الثاني في الاشياء المغصوبة

من يغصب مال احد[(٥)] تقم عليهِ دعوى السرقة على ان القاضي يوجد دعوى خاصة يقال لها دعوى الغصب نسبةً الى هذا الجرم وهو غصب المسروق . وتعطى اربعة امثال المغصوب

(١) هذا موافق لما جاء في المجلة ونصهُ « اذا غصب الوديعة او المستعار او المأجور او المرهون فللوديع والمستعير والمستأجر والمرتهن أن يدَّعي بأُولئك على الغاصب فقط ولا يلزم حضور المالك وليس للمالك ان يدَّعي وحدهُ بأُولئك ما لم يحضر هؤلاء »

(٢) ليس هذا القيد في الفقه الاسلاميّ

(٣) ان قانون يوستنيانوس هذا مخالف لما في الفقه الاسلامي كما رأيت فيما علقتهُ على المادة (١٣)

(٤) هذا الحكم ايضًا مخالف لما ورد في الفقه الاسلاميّ على ما علمت

(٥) الغصب شرعًا ازالة يدٍ محقةٍ بيدٍ مبطلة في مالٍ متقوَّم محترم بغير اذن مالكهِ لا بخفيةٍ فاستخدام العبد وتحميل الدابة غصبٌ

في السنة (١). واذا انقضت السنة يرد المغصوب فقط . وفي اربعة امثال المغصوب تدخل قيمتهُ (اعني يرد المغصوب مع ثلاثة امثالهِ)

(١) لاتقام هذه الدعوى الاَّ عند الغصب او الاخذ بنية رديئة فمن يرى نفسهُ مالكاً لما غصبهُ وهو يعتقد انهُ مأذون للمالك أن يأخذ ولو غصباً شيئهُ من الواضع يدهُ عليهِ يجب ان يغتفر لهُ . مع ذلك مقرَّرٌ انهُ لايؤذن لاحدٍ ان يغصب حق ولا الشيء الذي يظنهُ لهُ . فان خالف هذه القاعدة يفقد ملكية شيئهِ الذي انتزع غصباً ممن هو في يدهِ . وان لم يكن الشيء المغصوب لهُ فعليهِ عقب ردهِ تأدية قيمتهِ بحسب تثمينهِ

(٢) تقع هذه الدعوى سواءٌ كان الشيء جزءا من الاملاك اولم يكن لكن يشترط ان تكون لهُ علاقة بالاملاك . ولا بدَّ ان نقول ان عامة الاحوال التي يختفي فيها اختلاس الشيء تُعطي سبيلاً لدعوى السرقة وتقع في هذه الاحوال نفسها الدعوى التي سبق لنا الكلام فيها

الفصل الثالث في شريعة اكويليا (٢)

ان دعوى الضرر المسببة عن التعدّي مقرَّرة في الباب الاول من شريعة اكويليا وهذا نصُّ ماهنالك " ان احدٌ قتل تعدّياً عبد الغير او دابتهُ يحكم عليهِ ان يؤدي لمولى العبد وصاحب الدابة اغلى قيمةٍ كانت لهما تلك السنة (٣) »

(١ و٢) يُعد قاتلاً من يقتل من دون حقٍ . من يقتل لصًّا وقد سُدَّ عليهِ باب التخلُّص

(١) في الفقه الاسلامي يجب على الغاصب ردّ عين المغصوب في مكان غصبهِ لتفاوت القيم باختلاف الاماكن أو ردُّ مثلهِ ان هلك وهو مثليٌّ . وان انقطع المثل فقيمتهُ يوم الخصومة اي وقت القضاء وعند ابي يوسف يوم الغصب وعند محمد يوم الانقطاع وقد عوّلت المجلة على قول ابي يوسف وتجب القيمة في القيميّ يوم غصبهِ اجماعاً وفي المجلة « ان صادف صاحب المال الغاصب في بلدةٍ أخرى وكان المال المغصوب معهُ فان شاء صاحبهُ استردَّهُ هناك . وان طلب ردَّهُ في مكان الغصب فمصاريف نقليتهِ ومؤنة ردّهِ على الغاصب »

(٢) كان سنة ٦٦ قبل الميلاد واشتهر بفصاحتهِ القضائية و بعلم الفقه وهو صفيُّ شيشرون وخرّيج مدرسة سيوس سيفولا

(٣) هذا موافق لمذهب الشافعي فعندهُ لا يقتل الحرُّ بالعبد ومخالف لمذهب ابي حنيفة قال في الدرّ المختار « فيقتل الحرُّ بالحرّ و بالعبد » وفي ردّ المحتار « ولنا اطلاق قولهِ تعالى ان النفس بالنفس فانهُ ناسخ لقولهِ تعالى « الحرُّ بالحرّ » وقد جرى ابو الفتح البستي على مذهب الشافعي فقال

خذوا بدمي هذا الغزال فانهُ . رماني بسهمي مقلتيهِ على عمدِ
ولا تقتلوهُ انني انا عبدهُ ولم أرَ حرًّا قطُّ يقتل بالعبدِ

فردَّ عليهِ بعض الحنفية بقولهِ

خذوا بدمي من رام قتلي بلحظهِ ولم يخشَ بطشَ اللهِ في قاتلِ العمدِ
وقودوا بهِ جبرًا وان كنتُ عبدهُ ليعلمَ أنّ الحرّ يقتلُ بالعبدِ

منهُ فدم اللصِّ هدرٌ [١]

(٣) لا يؤَاخذ من يقتل عرضاً ان لم يقع ذلك بتقصيرٍ من جهتهِ [٢]

(٤) وبناءٌ عليهِ فان قتل من يلعب او يتمرَّن برمي السهام عبداً وهو مارٌ فان كان هذا الحادث صادراً من جنديٍّ في المكان الذي اعتيد فيهِ التمرُّن على الرماية فمقرَّر انهُ لا جرم عليهِ . وان حدث مثل هذا الحادث من رجلٍ ليس بجنديٍّ يؤَاخذ بجنايتهِ

(٥) متى قتل الحطّاب عبداً عابر طريق بسقوط فرع من الشجرة فان وقع هذا الحادث على طرف الطريق والحطّاب لم يصح لينبه كان مستوجباً العقاب لتقصيرهِ (ستأتي البقية)



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

بورت آرثر والحرب الحاضرة

سيديَّ الفاضلين

عثرت في الجزء التاسع من مقتطفكما الاغر على مقالة ضافية في " بورت آرثر والحرب الحاضرة " لجناب م . ع . ج كشف بها القناع عن كثيرٍ من الحقائق المتعلّقة بالشرق

---

(١) وكذا في الفقه الاسلامي . قال في الخانية « رأى رجلاً يسرق مالهُ فصاح بهِ ولم يهرب . او رأى رجلاً ينقب حائطهُ او حائط غيرهِ وهو معروف بالسرقة فصاح بهِ ولم يهرب حلَّ لهُ قتلهُ ولا قصاص عليهِ » وفي الحاشية عن البحر « استقبلهُ اللصوص ومعهُ مالٌ لا يساوي عشرة حلَّ لهُ ان يقاتلهم لقولهِ (ص) قاتل دون مالك . واسم المال يقع على القليل والكثير »

(٢) وموجب هذا في الفقه الاسلاميّ الكفارة والدية على العاقلة وفي الدرّ المختار « والثالث خطا وهو نوعان اما خطاٌ في ظنّ الفاعل كأن يرمي شخصاً ظنهُ صيداً او خطا في نفس الفعل كأن يرمي غرضاً اوصيدا فاصاب آدميا او رمى غرضاً فاصابهُ ثم رجع عنهُ او تجاوز عنهُ الى ما وراءهُ فاصاب رجلاً او قصد رجلاً فاصاب غيرهُ » . واما عند اليهود فيهرب الى احدى مدن الملجإِ كما في الفصل ٤ من سفر التثنية

الاقصى ونسبتهِ الى اوربا. وقد ذكر في عرض الكلام انتباه اليابانيين من غفلتهم الشرقية حتى بلغوا منزلة ارقى الدول قوةً ومنعةً راجع صفحة ٧٦٥ . على انهُ لوى عنان البحث الى التقريع بهم لانهم اقتحموا حرب الروس وحكم عليهم بالجهل والطيش والانخداع والبطر والتهور محمولين برياح الاهواء البريطانية حاسباً ان البريطانيين حملوهم على كره الروس كرهاً شديداً ودفعوهم الى حرب وبيلة العاقبة . ومواقع النظر في هذه المقالة عديدة منها

اولاً انكارهُ على الانكليز الاعجاب باليابان مع ان ذلك لم ينحصر في الانكليز بل يشاركهم فيهِ جميع الامم الراقية ومنهم الاميركان والفرنسيس والالمان

وثانياً ايماؤهُ الى ان الامة الانكليزية اجمع قصدت التغرير بالامة اليابانية حتى لم يتمالك اللورد سالسبري مجاراة لامتهِ ان كتب يمدح جنودهم . وهذا الفكر من اغرب صور الخيال ان امة برمتها اجمعت على خداع امة ناهضة حديثاً وتطويحها في مغامر التهلكة . وقد نسي ان في الامة الانكليزية الوفاً من افاضل الاتقياء ينكرون الحرب ويحرمون الاشتراك فيها وفي كل مداخلة سياسية . هذا عدا ما نعلمهُ عن الامة الانكليزية انها الاولى في حب الخير وخدمة الانسانية في امم الارض . ومن الامور المستحقة الالتفات انهُ جعل مدير دفة سياستها منقاداً لاميال امتهِ لا ان الامة محمولة بغرض سياستها فتأمل

وثالثاً ان الامة اليابانية انطلت عليها حيلة الانكليز فحملت كتابات الانكليز في قوة اليابان ومنعتها محمل الحقيقة والصحة فتوهمت بنفسها خلاف الواقع . وهذا من الغرابة بمكان وهو يماثل اغترار رجل فقير لا يملك شروى نقير بكتابة رجل آخر عنهُ انهُ غنيٌّ فوهم في نفسهِ الغنى وهبَّ لمناضلة اغنياء زمانهِ مخدوعاً بما كتب فيهِ . فتأمل الصورة التي صوّر فيها الامة اليابانية . فلو فرضنا ان رجلاً سخيف العقل خدع بكتابة كاذبة فيهِ أفيمكن انطلاء الخديعة على الامة بامرها وهي مؤلفة من خمسين مليون نفس وفيهم الساسة والكتاب والمخترعون والمؤلفون وارباب النقد والتبصُّر الذين تبرهنت اهليتهم وكفاءتهم في كل مواضيع البحث والنظر

وقد ثبت بالاختبار ان أكابر الهيئة الاجتماعية صلاحاً وفضلاً هم المحسنون ظنّاً في الآخرين وان اكرم الناس يرون على الدوام الجانب الصالح من غيرهم . وان المدح على الاحسان خير من الذم على الاساءة لانهُ يحمل على كثرة الصلاح من اسهل الطرق . وهذا اساس مدح اللورد سالسبوري لجنود اليابان في حرب الصين سنة ١٩٠٠ فانهُ بمدحهم يحمل غيرهم على التمثل بهم فترتقي آداب الجندية . وذلك من المقاصد التي يليق نسبتها للورد سالسبوري . واني لا اقول بعصمة رجال السياسة والادب ولكنني لا أرى سبباً كافياً لاتهام اللورد سالسبوري

والمستر ستد ومؤلفي الاسكلوبيذيا البريطانية وبقية الخطباء والوعاظ والادباء من امة الانكليز بقصد خداع اليابان والتغرير بهم . ولو فرض ان النتيجة كانت كما زعم جنابهُ لكانت غير مقصودة من اولئك . لان التصور الذي تضمنتهُ مقالتهُ من المستحيل تحقيقهُ . ولو كان قصد الانكليز كما فسرهُ حضرتهُ لكان اليابان شعروا بهِ واسقطوا اصحابهُ لان صاحب الغرض مهما تلوّن لا يقدر ان يخفي غرضهُ والهيئة الاجتماعية مطبوعة على اعتبار الخلوص في المقاصد والاقرب لحكم العقل السليم هو ان اللورد سالسبري والمستر ستد ومؤلفي الاسكلوبيذيا البريطانية وغيرهم من كتاب الانكليز وخطبائهم انما تكلموا بخلوص وبساطة في مديحهم اليابان . ولم يقولوا فيهم الاَّ ما رأوهُ واقتنعوا بصحتهِ . وبعيد عن الروية ان كل كتابات الانكليز على اختلاف طبقاتهم مدة ربع قرن كانت متجهة لدفع اليابان الى حرب الروس

اما الحكم الذي ابرمهُ حضرتهُ على الامة اليابانية في حربها مع الروس وانها سعت الى حتفها بظلفها وان حداثة عهدها في النعمة والقوَّة ابطرتها وحملتها على التهور وخسارة نعمتها وقوتها الخ . فاقل ما يقال فيهِ انهُ مبتسر اعني ان جناب الكاتب اسرع قليلاً فان رحى المعارك لا تزال دائرة الى الآن فلو صبر الى انجلائها عن دحر اليابان وخذلانهم لكان حكمهُ أمتن واجدر بالقبول . لان "السيف اصدق انباء من الكتب" فهل اليابان مخدوعة من نفسها او من كتاب الانكليز ومدفوعة الى حرب الروس اغترارًا وان ذلك يعود عليها بالدمار ذلك من انباء الغيب يعلنهُ الزمان . فليس علينا الاَّ الانتظار

لا ريب في ان دولة الروس من اعظم دول الارض في القوة الحربية بحرية وبرية وان فيها القواد المحنكين والضباط المدربين وهي دولة شريفة يعز عليها الانكسار ولو مهما كلفها الامر . ولا ريب في انها قادرة على تجييش مئات الالوف وارسالها الى اقصى الارض بوجه السرعة وامدادها بالمؤن والذخائر وهي الدولة التي لم ترجع من ميادين القتال الاَّ ظافرة . وخضوع الامة للقيصر ومحبتها لهُ امر جدير بالاعتبار ويحملنا على الثقة بقوة الحكومة وتمكنها من المثابرة على الحرب الى امدٍ طويل . كل ذلك مقرَّر على اننا لا نرى من سداد الرأي والحكمة الجزم بدمار اليابان لان النصر بيد الله يؤتيهِ من يشاء وهو على كل شيء قدير . وعلى فرض ان اليابانيين محقوا سحقًا ووردوا الحتف في هذه الحرب فقد يكون لومنا اياهم في غير محله اذا كانوا اضطروا للدخول فيها . وعلى كل حال ارى ان جناب الكاتب قد حمل اليابان المساكين ما لا طاقة لهم على احتمالهِ . وهم الامة الوحيدة في الشرق التي نهضت من غفلتها حسبما اثبت جنابهُ . فحريٌّ بنا الرفق بها ولا نحسب نهوضها ذنبًا لئلا نثني عزم بقية امم المشرق الغافلة عن التمثل بها . على

انا من جهة ثانية لانؤكد الفوز لليابان ولا نسلق الروس السنة حداداً ولا نتهمهم بالانخداع والغرور والتعدي . ومع اننا نرى اندفاق كتائب اليابان في اغوار منشوريا وانجادها ولا اندفاق السيول الجارفة . وقد طموا على روابيها وجبالها . وحلوا قلاعها وحصونها . واصلوا الروسيين ناراً حامية . وقذفوا عليهم سيولاً من الكرات الجهنمية . فزحزحوهم بعد معارك يشيب لها الولدان من شمولبو و ينغ ينغ وينغامبو وانجو ويجو وانتونغ وطاكوشان وشانتونغ وطاليان وان ودالني وكنشو ونتشان ووافنكو وفوشو وسيويان وسيمازي ودالينغ وشيلنغ وكينغ وطاكشياو وبن كوف ونيوشوانغ وهايشنغ ولياويانغ عدا الوقائع البحرية التي لم يثبت التاريخ نظيرها فانهم حطموا الاساطيل الروسية وفرقوها ايدي سبا واغرقوها وعظام قوادها في اعماق البحار . وانفردوا في السيادة البحرية في الشرق ولا تزال اعلام النصر خافقة فوق رؤُوسهم براً وبحراً مدة ثمانية اشهر . مع كل ذلك لانفخر بهم ولا نكفل لهم النصر نهائياً ولا ننسب لاعدائهم الطيش والغرور . ومن يعلم ماذا يجيء به الغد . ومن يعلم هل يكون النصر لروسيا او لليابان ومع ان لنا اساساً للظن لكننا لانرى من باب الحكمة والانصاف ان نجزم بما نظنهُ ونبني عليهِ اللوم والتقريع بدول الارض العظيمة وفيها من الكتاب والادباء وقادة الافكار من لانشق لهم غباراً . واذا حكمنا بشيء واتت الايام بعكسهِ نضطر الى تغييرهِ بالمٍ وخجل . فلندع اليابان والروس يبرهنون بالفعل مقدرتهم او اغترارهم وبعدها نحكم بما حدث ويكون حكمنا حقاً لاريب فيهِ . وقد احسن من قال لاتحكموا في شيء قبل الوقت . وخلاصة ما اقولهُ اني استلفت نظر جنابهِ الى امرين

الاول تأويلهُ كل كتابات الانكليز على اختلاف طبقاتهم تأويلاً يصرفها الى التغرير باليابان ودفعهم الى الدمار فان ذلك يحط من كرامة الانكليز و يسلبهم كل حقيقة ادبية في كتاباتهم . ولا يسلم عقل بذلك

والثاني تشديدهُ النكير على اليابان لانهم تعرضوا لمناوأة الروس بداعي انهم ضعفاء عاجزون عن ذلك وحكمهُ الجازم بخذلانهم قبل الوقت . وفيما سوى ذلك اثني على همتهِ وفضلهِ واُوافقهُ في كثير من آرائهِ الفنية واهديهِ تحيتي واعتباري والسلام

حمص (باحث)

نفس العين وعين الاثر

قصيدة من نظم الشاعر المطبوع عزتلو فارس بك شقير قائمقام قضاء الكورة في لبنان نظمها تذكارًا للاحتفال باقامة تمثال العلامة الفاضل الدكتور دانيال بلس الرئيس الاول للمدرسة الكلية الانجيلية في بيروت

هل اثرٌ شاد المرء من حجرٍ كاثرٍ شاد الفضل من بشرِ
فالنفس والعلم باقيان على رغم التلاشي في العالم النظري
ليستْ اساطينِ بعلبكٍ لها شان الاساطر عن أُلي الأَثرِ
ولا سنى الشمس ضاء في قمرٍ كبارق العلم ضاء في فكرِ
ذاك بدا فانتهى الى قدَرٍ وذاك سارٍ نامٍ مع العُصُرِ
واللاهيولى يسمو بجوهرهِ عنها اقتفاء في السير والسِّيَرِ
أجلْ حياة الارواح سامية رغم انحطاط الاشباح في صغرِ
والفرق بين المثال من جمدٍ وما بناهُ التثقيف من نفرِ
كالفرق ما بين العقل منطلقًا والنقل قيد الحدود والصوَرِ
لقد بنى دانيال خير بني الام وطان خير الآثار والأَثرِ
أنشا اراكين الفضل ثانيةً ايات ما انشأوا يد الغيرِ
من كلّ فردٍ تشقّ نظرتهُ حجاب ما الجهل حاك من حبرِ
فمن حكيمٍ شعاعُ حكمتهِ يكشف ليل الضلال والغُرُرِ
ومن طبيبٍ تلقى عيادتهُ عوامل البرء موضع الخطرِ
ومصقعٍ خلتَ فوقَ منبرهِ سحرًا يريك الكلام من دُرَرِ
وشاعرٍ آخذٍ بلاغتهُ بما تمنى من كل مبتكرِ
وناثرٍ لم يفق عبارتهُ الاّ سموُّ الآيات في سورِ
وراسمٍ رسمهُ الحقيقةُ لو جاز حلول الارواحَ في صورِ
وحاسب قد وعت بصيرتهُ ما كان اوعى في الصحف بالبصرِ
وزارعٍ يجعل السباخ على حالٍ تسوم البذار بالبدرِ
وتاجرٍ حرز مالهِ يدهُ وفكرهُ حرز المدن والمدرِ
وسائس ساس أمة بلغت بهِ من الغاي كل مفتخرِ

هاتيك آثار دانيال وهل من غرد فوق تلكم الغرر
ترى رأوا قطعة الرخام كفا لفضل مسعاهُ الباهر الخطر
لا بل دروا انهُ استحال فقد مدوا اليهِ بنان معتذرِ
وهو على فضلهِ ومفخرهِ قابلهم بالوقار والخفرِ
اخواننا في الديار ليس لنا عن شكرهِ غير الاقرار بالحصرِ
زحتم غطاءً عن الرخام لمن زاح غطا جهل السمع والبصرِ
الراسخ الباذخ المقام اذا عُدّت مقامات القدرِ والقَدَرِ
العالم العاملُ المزين بهِ حقيقة الخُبر صادق الخبَرِ
أبا هوردٍ لله درّك من شيخ جليل بالحزم مدَّثرِ
يا أسلمْ فان ابنك الكريم يرى آثارك الغرّ خير مدَّخرِ
هورد يا خير من قفا سلفاً قد فاح طيب ذكرهِ العطرِ
فكن لهُ ابناً وللصفوف اباً يرعاهم وسع الحرص والسهرِ
منبهاً من قوى خواطرهم ما يستفكُ النهى من الأُسرِ
وكن لهم مثل من دعاك لهم فعاضهم بالفتا من الكبرِ
حذار شيخوخةٍ تدب الى شباب آداب الانفس النضرِ
وكن كما كان حكمةً ومضاً وعش كما عاش سامي الوطرِ
ولا نقف عند حدّ حالتنا ان القوى ترتقي مع الدهرِ
ولا تشب ما نقولهُ سلفاً قد زيّنَ الله الغصن بالثمرِ
يا فرع أصلٍ ذكت عناصرهُ من جوهر الناس لا من الحجرِ

اول تمثال في حمص

المرحوم الدكتور سليمان الخوري عيسى من رجال سورية النابغين خدم وطنهُ ودولتهُ خدمةً نصوحاً خلدت لهُ الذكر العطر والاحدوثة الطيبة وقد عرف قراء المقتطف الكرام شيئاً من ترجمة حياتهِ ومما نشرعنهُ في العدد السادس من السنة الماضية مشفوعاً برسمهِ . وبما ان الامم الراقية في سلّم الحضارة والتمدن قد اعتادت ان تنصب لرجالها العظماء التماثيل والانصاب برهاناً على اعترافها بجميل اولئك الرجال الافاضل خدمة الانسانية والوطنية فلم يمضِ على وفاة الفقيد مدة طويلة حتي تحركت عاطفة عرفان الجميل في نفوس بعض الوطنيين الغيورين على

تخليد ذكر المحسنين واقترحوا اقامة تمثال لهُ يشترك فيهِ ابناء وطنهم كلهم . غير ان انجال الفقيد مع شكرهم هذه العواطف الشريفة التي اظهرها المواطنون وقدرهم اياها قدرها واعتبارها اعظم مشاركة في آلام مصابهم الفادح واكبر تعزية عنهُ فقد ابوا الاَّ ان يقوموا هم بنفقات هذا الاثر برًّا بوالدهم الذي اورثهم المجد التليد والطريف مكتفين من مواطنيهم بذلك الشعور الشريف وتلك العاطفة المقدسة عاطفة عرفان الجميل

ولما تمَّ صنع التمثال في اشهر معامل ايطاليا ووصل الى حمص تعيَّن يوم الاحد الواقع في ٧ اب (اغسطس) موعدًا للاحتفال برفع الغطاء عنهُ ووُزعَتْ رقاع الدعوة على وجهاء المدينة ونبلائها للاشتراك في هذا الاحتفال الوطني الذي لم يسبق لهُ نظير . ولما أزفت الساعة المعينة من صباح ذلك اليوم تقاطر الناس زرافات ووحدانًا الى كنيسة القديس ايليان للروم الارثوذكس وبعد انتهاء القداس خرجوا الى المدفن المجاور الكنيسة حيث تمثال الفقيد على ضريحهِ . وكان في مقدمة الجمع سيادة الحبر السيد اثناسيوس متروبوليت حمص وما يليها وسائر اكليروسهِ الموقر

فلما وقف سيادتهُ بجانب الضريح ارتجل خطبةً نفيسة بيَّن فيها الغرض من اقامة هذا الاثر وعدَّد بوجيز العبارة خدمات الفقيد ثم أوعز الى حضرة الوجيه حبيب افندي مرهج ان ينوب عنهُ بكشف التمثال ففعل مردّدًا قول المرنم الالهي : الصديق يكون لذكرٍ ابدي . فاذا بهِ تمثال نصفي فائق الاتقان يمثل الفقيد الكريم احسن تمثيل . ثم كلف حضرتهُ جناب الاستاذ حبيب افندي الخوري الانطاكي ان يقرأ بالنيابة عنهُ خطبةً كان قد اعدها لهذا الاحتفال البهيج . وعقبهُ في موقف الخطابة الدكتور كامل افندي لوقا والاستاذ يوسف افندي شاهين وكاتب هذه الرسالة فعدَّدوا صفات الفقيد الحسناء . ثم تقدم حضرة الدكتور كامل افندي الخوري نجل صاحب الاثر وشكر للحاضرين غيرتهم ومؤاساتهم وانعطافهم واثنى على فضلهم ومعروفهم واختتم كلامهُ بالدعاء لجلالة المتبوع الاعظم

رزق الله نعمة الله عبود

مقام العلم في اميركا

افتتحت مدرسة كولمبيا الجامعة في نيويورك سنتها المئة والحادية والخمسين بمنح رئيس اساقفة كنتربري رندال تومس دافيدسن د.ل رتبة دكتور في الشرائع

شهدت هذه الحفلة ورأيت اهل الدين واهل العلم يضمهم منبر واحد وعليهم الجبب بعصائبها الحريرية الملونة بحسب رتب اصحابها العلمية فكان رئيس الجامعة نكولاس مري بتلر

على كرسي مرتفع وعن يمينهِ رئيس اساقفة كنتربري واسقف نيويورك وعن شماله الدكتور روبرت ودورد ورئيس الجامعة الروحي وخلفهُ بضع مئة من الاساتذة والمعلمين وامامهُ بضعة الوف من التلامذة والزائرين . وافتتحت الحفلة بترنيمة وصلاة ثم رحب الرئيس بالتلامذة وخطب الدكتور ودورد في المرامي المدرسية وبعد هذا وقف اسقف نيويورك ليقدم رئيس اساقفة كنتربري لاخذ الرتبة وخاطب الرئيس بما يأتي (بعدما ذكر انهُ اطلع على رأي بعضهم ان اميركا تحسب من مناشيء الجنس البشري)

"سيدي — يسرني اعتقادي انهُ سواء كانت المدنية اشرقت اولاً على شواطيء القارات الشرقية او الغربية فانها اكتسبت من اسلافنا الانكلوسكسونيين مجداً لن يفنى . وجامعة كولمبيا هذه كانت تدعى بادىء بدء مدرسة الملك لان ملك بريطانيا جورج الثاني كان اول من القى بزور العلم فيها وكان اول من عينهُ من حلقة مديريها رئيس اساقفة كنتربري . وقد مضت السنون العديدة وتبدلت تلك المباديء الصغيرة بهذه المعاهد الكبيرة الاَّ انهُ لم يمرَّ في تاريخ هذا المعهد العلمي ساعة جليلة كهذه لان رئيس اساقفة كنتربري هو بيننا الآن ليرى بعينيهِ العمل الذي اسسهُ اسلافهُ الاماجد وعززوهُ . وهو بوظيفتهِ السامية وشهرتهِ الواسعة كعالم سامي وروحاني يجلهُ الناس هناك وهنا وهؤلاء التلامذة سيزيدون في اجلالهِ ولا سيما بعد ما يلقي البركة على اسس معبدكم الجديد . فانا اقدمهُ ياسيدي لاني عالم انك سترحب بهِ عنا جميعاً وباسم دائرة امناء هذه الجامعة اسألك ان تمنحهُ رتبة الشرف رتبة دكتور في الشرائع "

عندئذ نهض الرئيس بتلر وبيدهِ دبلوما الرتبة وخاطب رئيس الاساقفة باوصافهِ ورتبهِ الدينية والعلمية جميعها ثم سلمهُ الدبلوما وحالما فعل ذلك تقدم من خلفهِ اثنان من عمدة المدرسة وألبسا رئيس الاساقفة شارة الرتبة من الحرير الملون حسب الوان المدرسة . ثم تكلم رئيس الاساقفة بعد ما صفق لهُ الحضور طويلاً وقال

" لي الشرف ايها الرئيس ان اصير من عداد نائلي رتب جامعة كولمبيا ومع اني احدث من هؤلاء جميعاً فانا اقدمهم بعلاقتي برئاسة اسقفية كنتربري التي كان لها اليد الاولى في تدبير شؤون هذه الجامعة " ثم قال " تعلمون انهُ لايزال لدينا مسائل شتى ينبغي حلها على اني اعتقد ان مسائل عظيمة ولا سيما في سبيل التربية قد تمكنتم انتم من حلها بسرعتكم المعروفة ونحن لم نستطع اتقانها في اربعمائة سنة . واي رجل يقف تجاه هذا الجمهور العظيم ولا يتأثر من الافكار التي يوحيها اليهِ ؟ نعم نحن واقفون في فجر انور قرن مرَّ فيهِ العالم وعلى شفا اكتشافات عظيمة

ستظهر في عالم المعرفة والعلم ومن يا ترى سيفتح الابواب الجديدة ويستخدم قوى الطبيعة بطرق اكمل من ذي قبل لمنفعة البشر الأ اهل العلم انتم الذين اراكم امامي"

وبعد هذا مشى رئيس الاساقفة ورئيس الجامعة يتلوهما الاساتذة والمعلمون والتلامذة والزائرون الى موقع المعبد الجديد حيث جرت الترانيم والصلوات التبريكية وانقضت الحفلة

هذا خلاصة ما وقع في هذه الحفلة اوردتهُ مقدمة طويلة لنتيجة قصيرة احب ان اعلقها هنا وهي اجلال العلم واهلهِ والتباهي برتبهِ حتى من رؤساء الدين الفخام — وقوف رئيس كولمبيا على دكة صغيرة (وهو لا يزال في منتصف عمرهِ) وبيدهِ الدبلوما وامامهُ رئيس اساقفة كنتربري الطائر الصيت متوج ملوك انكلترا واقف بوقار ليتناول الدبلوما ويعتز بالانتساب الى المدرسة ومتخرجيها ويقر بشرف الرتبة التي خلعت عليهِ — كل هذه امور اثرت فيَّ تأثيرًا بالغًا كرجل دخل هذه البلاد حديثًا واثرة رجال الدين وسيطرتهم في الشرق لا تزال في خاطري . هذا ما حداني لكتابة هذه السطور ليقف قراء المقتطف في الشرق على نسبة اهل الدين الى اهل العلم في الغرب ويعلم كل شرقي لم يعلم هذا من قبل انهُ ما دام استبداد رؤساء الدين سائدًا في البلاد فضلاً عن استبداد الحكام فقد ضرب الله لتأخر سورية اجلاً غير مسمّى

جامعة كولمبيا — نيو يورك في ٣ اكتوبر سنة ١٩٠٤ بولس الخولي

رسوخ الاوهام

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

زرت احد معارفي بالامس فجرت امامي المحادثة التابعة بين ربة البيت واحدى زائراتها

ربة البيت — لا اعرف ماذا اعمل لابني فقد صار عمرهُ سنتين وهو لا يستطيع المشي حتى الآن

الزائرة — اني اصف لك شيئًا جرَّبهُ كثيرون من معارفنا وام فلان كان ابنها مثل ابنكِ فاستعملت لهُ هذا العلاج فمشى حالاً

ربة البيت — ما هو

الزائرة — خذي ابنكِ يوم الجمعة وقت صلاة الظهر وخطّيهِ فوق الكوانين في المطبخ قائلة ياشيخ منخل ياشيخ منخل وحياة الكباب والمحشي خلّ ابني يمشي

هذا ما سمعتهُ باذني . وواصفة هذا العلاج من بنات المدارس وتعرف اللغة الفرنسوية

طنطا سلامون حموي

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ التمدن الاسلامي

الجزء الثالث

موضوع هذا الجزء " العلم والادب وما كان منهما عند العرب قبل الاسلام وما احدثهُ الاسلام من التغيير في القرائح والعقول وما نقل عن اللغات الاجنبيَّة من العلوم وما كان من تأثير التمدن الاسلامي في كل ذلك " وقال مؤلفهُ رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان انهُ " يشتمل على خلاصة تاريخ العلم والفلسفة والادب من اول عهد العمران الى ظهور الاسلام فضلاً عن تاريخها فيهِ "

ولا يخفى ان الموضوع واسع النطاق جدًّا لا يستوفى الاَّ في المجلدات الضخمة فان علماء اوربا الذين كتبوا في تاريخ العلوم وارتقائها وضعوا في تاريخ بعضها كعلم الهيئة وعلم الطب وعلم الكيمياء مجلدات كبيرة فلا ينتظر ان يدمج تاريخ العلم والفلسفة والادب من اول عهد العمران الى ان دالت دول الاسلام في نحو مئتي صفحة ناهيك عن ان ما يكتب في تاريخ كل علم لا يجيء وافيًا بالمراد ما لم يكن كاتبهُ من المتبحرين في ذلك العلم الواقفين على كتب اهلهِ ومذاكراتهم في مسائلهِ المختلفة وما لم يطالع اشهر الكتب الموضوعة فيهِ. فعلى من يكتب تاريخ علم الكيمياء عند العرب مثلاً ان يطَّلع على اشهر الكتب الموضوعة فيهِ قبلهم ثم على اشهر الكتب التي ترجموها والتي وضعوها ثم يسرد القضايا التي عُرفت قبل عهدهم والقضايا التي عرفوها هم كما فعل دِيماس وبلتن وغيرهما . وقس على ذلك علم الهيئة وعلم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم القطوع المخروطية وسائر العلوم الرياضية وكذلك علم الطب بكل فروعهِ . والاعتماد على الكتب العربية لا يشفي غليلاً لان تكريرها للقول ان العرب اشتغلوا بالعلم والحكمة والرياضة والطبيعة لا يفيد شيئًا وكذلك تعديدها لاسماء المؤلفين واسماء تآليفهم لا يكفي الباحث المحقق . و يظهر لنا ان هذا الجزء شبه مقدمة لما يمكن ان يكتب في هذا الموضوع بما يكفي من الاشباع وهو مع ذلك جامع لفوائد جمة وتحقيقات كثيرة مما لم نرَهُ في غيرهِ من الكتب وبعضها مما لم يذكرهُ احد من الباحثين في هذا العصر غير المؤلف على ما يظهر لنا كاستقصائهِ الخبر عن حرق مكتبة

الاسكندرية الى ما قبل ابي الفرج الملطي فبرأهُ مما اتهمهُ بهِ كثيرون من انهُ وضع الخبر . والفصل الذي عقدهُ المؤلف لهذا الموضوع يشهد لهُ بدقة البحث وحسن النظر وقد رأينا ان ننقل اكثرهُ عنهُ قال :

"جاء في تاريخ مختصر الدول لابي الفرج الملطي عند كلامهِ عن فتح مصر على يد عمرو بن العاص ما نصهُ " وعاش (يحيى الغراماطيقي) الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعهُ من العلوم فأكرمهُ عمرو وسمع من الفاظهِ الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هالهُ ففتن بهِ وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ وكان لا يفارقهُ . ثم قال لهُ يحيى يوماً (انك قد احطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاصناف الموجودة بها فما لك بهِ انتفاع فلا نعارضك فيهِ وما لا انتفاع لك بهِ فنحن اولى بهِ) فقال لهُ عمرو (ما الذي تحتاج اليهِ) قال (كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية) فقال لهُ عمرو (هذا ما لا يمكنني ان آمر فيهِ الاَّ بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب) . فكتب الى عمر وعرَّفهُ قول يحيى فورد عليهِ كتاب عمر يقول فيهِ (واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنهُ غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليهِ فتقدم باعدامها) فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب "

" وليس في نص هذه العبارة التباس ولكن الذين يجلُّون العرب عن احراق هذه المكتبة يطعنون في هذه الرواية وينسبون قائلها الى التعصب الديني وفي جملتهم جماعة كبيرة من مؤرخي الافرنج وقد الفوا الرسائل والكتب في تجريحها . وخلاصة اقوالهم : ان ابا الفرج المذكور هو اول من نسب حريق مكتبة الاسكندرية الى عمرو بن العاص وانهُ انما فعل ذلك تعصباً للنصرانية وتحقيراً للاسلام . وانهُ من اهل القرن السابع للهجرة وكان ابوهُ يهودياً وتنصر وشب ابو الفرج على النصرانية وارتقى في رتب الاكليروس الى الاسقفية ثم الف تاريخاً في السريانية استخرجهُ من كتب يونانية وفارسية وعربية وسريانية واستخلص من هذا التاريخ كتاباً في العربية سماهُ مختصر الدول — قالوا " وهو اول كتاب ذكرت فيهِ هذه القصة وتناقلها عنهُ الافرنج الى هذه الغاية " وان ما جاء في هذا الشأن من اقوال عبد اللطيف البغدادي والمقريزي وحاجي خلفه من مؤرخي المسلمين لا تعتبر مصادر مستقلة لان المقريزي نقل عن عبد اللطيف حرفياً وحاجي خلفه لم يذكر مدينة الاسكندرية وانما اشار الى ان العرب في صدر الاسلام لم يعتنوا بشيء من العلوم الاَّ بلغتهم وشريعتهم حتى قال " ويروى

انهم احرقوا ما وجدوهُ من الكتب في فتوحات البلاد " وان عبد اللطيف البغدادي ذكر حريق المكتبة في عرض كلامهِ عن عمود السواري بغير تحقيق . ويزعم اصحاب هذا الرأي ان مكتبة الاسكندرية احرقها الرومان قبل الاسلام وانها لو احرقها العرب لذكرها مؤرخو المسلمين وخصوصاً كتّاب الفتوح والمغازي . اه

"لا ننكر ان بعض هذه المكتبة احترق قبل الاسلام ولكن ذلك لا يمنع احتراق باقيها في الاسلام . اما النصوص التي وردت في هذا الشأن فليس ابو الفرج اول من رواها كما توهم بعضهم . فان عبد اللطيف البغدادي طاف مصر وكتب عن مشاهدها وآثارها وذكر احراق العرب لهذه المكتبة قبل ان يولد ابو الفرج ببضع وعشرين سنة لان ابا الفرج ولد سنة ١٢٢٦ م (٦٢٢ هـ) وعبد اللطيف زار مصر في اواخر القرن السادس للهجرة وهاك نص عبارتهِ « ورايت ايضاً حول عمود السواري من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها انها كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليهِ قبة هو حاملها . وارى انهُ الرواق الذي كان يدرس فيهِ ارسطوطاليس وشيعتهُ من بعدهِ وانهُ دار العلم التي بناها الاسكندر حين بني مدينتهُ وفيها كانت خزانة الكتب التي احرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضي الله عنهُ »

"نعم ان عبارة البغدادي مختصرة وقد جاءت عرضاً لكنها تدل على وثوق قائلها بصحتها كانهُ اخذها عن مصدر موثوق بهِ ومعول عليهِ في ذلك العصر كالذي اخذ عنهُ ابو الفرج

" اما ابو الفرج فقد اتمّ كتابهُ مختصر الدول في العربية في اواخر حياتهِ (توفي سنة ٦٨٤ هـ) وهو ليس مختصر تاريخهِ السرياني الاّ من حيث اخبار الفتح لانه يزيد على النسخة السريانية باخبار كثيرة عن الاسلام والمغول وتاريخ علوم الروم والعرب وآدابهم . واما السرياني فهو عبارة عن اخبار الفتح فقط فاغفال ذكر احراق المكتبة فيهِ لا يدل على انهُ دخيل في النسخة العربية او دسهُ فيهِ بعض المتأخرين كما توهم بعضهم وانما ذكر في النسخة العربية لانهُ يتعلق باداب الروم والعرب التي ادخلها المؤلف في هذه النسخة كما تقدم

« وقد تبين لنا بالبحث والتنقيب ان أبا الفرج المذكور نقل تلك الرواية عن مؤرخ مسلم توفي قبلهُ بنحو اربعين سنة وهو جمال الدين ابو الحسن علي بن ابرهيم القفطي وزير حلب المعروف بالقاضي الاكرم ولد في قفط من صعيد مصر سنة ٥٦٥ وتوفي في حلب سنة ٦٤٦ هـ وللقاضي المذكور كتاب في تراجم الحكماء عثرنا على نسخة منهُ خطية في دار الكتب الخديوية مكتوبة سنة ١١٩٧ هـ وقرأنا فيها في اثناء ترجمة يحيي النحوي كلاماً في معنى كلام ابي الفرج

واكثر تفصيلاً منهُ وفيهِ شيءٌ عن تاريخ هذه المكتبة منذ انشائها — واليك نص قولهِ:

"وعاش (يحيي النحوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعهُ من العلم واعتقادهُ وما جرى لهُ مع النصارى فاكرمهُ عمرو ورأى لهُ موضعاً وسمع كلامهُ في ابطال التثليث فاعجبهُ وسمع كلامهُ ايضاً في انقضاء الدهر ففتن بهِ وشاهد من حججهِ المنطقية وسمع من الفاظهِ الفلسفية التي لم يكن للعرب بها انسة ماهالهُ . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ وكاد لايفارقهُ . ثم قال لهُ يحيي يوماً (انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاجناس الموصوفة الموجودة بها فاما مالك بهِ انتفاع فلا اعارضك فيهِ واما ما لا نفع لكم بهِ فنحن اولى بهِ) فأمر بالافراج عنهُ . فقال لهُ عمرو (وما الذي تحتاج اليهِ) قال (كتب الحكمة في الخزائن الملوكية وقد اوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها) فقال لهُ (ومن جمع هذه الكتب وما قصتها) . فقال لهُ يحيي (ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك حبب اليهِ العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وامر بجمعها وافرد لها خزائن فجمعت وولى امرها رجلاً يعرف بابن مرة (زميرة) وتقدم اليهِ بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في اثمانها وترغيب تجارها ففعل واجتمع من ذلك في مدة خمسون الف كتاب ومائة وعشرون كتاباً ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة اترى بقي في الارض من كتب العلم مالم يكن عندنا . فقال لهُ زميرة قد بقي في الدنيا شيءٌ في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم فعجب الملك من ذلك وقال لهُ دم على التحصيل فلم يزل على ذلك الى ان مات وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الامر من الملوك واتباعهم الى وقتنا هذا) . فاستكثر عمرو ماذكرهُ يحيي وعجب منهُ وقال لهُ (لايمكنني ان آمر فيها بامر الأ بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) وكتب الى عمر وعرفهُ بقول يحيي الذي ذكر واستأذنهُ ما الذي يصنعهُ فيها فورد عليهِ كتاب عمر يقول فيهِ (واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب اللهِ عنهُ غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالى فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها) . فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذٍ وانسيتها فذكروا انها استنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب" انتهى كلام ابن القفطي

"وبمقابلة هذه الفقرة بكلام أبي الفرج يتضح لك ان أبا الفرج نقل قول ابن القفطي مختصرًا . ولو قرأت الكتابين لعلمت ان أبا الفرج نقل كثيرًا من زياداتهِ العلمية في كتابهِ

العربي عن كتاب ابن القفطي ككلامهِ عن ثيادوق طبيب الحجاج فان العبارة منقولة عن تراجم الحكماء حرفيًّا

"بقي علينا البحث في المصدر الذي نقل عنهُ ابن القفطي والغالب انهُ نفس المصدر الذي نقل عنهُ عبد اللطيف البغدادي لانهما كانا متعاصرين وعبد اللطيف سابقهُ لانهُ ولد سنة ١٥٥٧ وتوفي سنة ٦٢٩ هـ ولكن لسوء الحظ قد ضاعت تلك المصادر في جملة ماضاع من مؤلفات العرب . على اننا اذا تدبرنا ما ذكرهُ ابن النديم في كتاب الفهرست عن اخبار الفلاسفة الطبيعيين من حكاية انشاء مكتبة الاسكندرية يتضح لنا ان في جملة المصادر التي نقلت عنها تلك الرواية تاريخًا لرجل اسمهُ اسحق الراهب كان يبحث في اخبار اليونان والرومان وآدابهما . ومن جملة ما نقلوهُ عنهُ خبر انشاء مكتبة الاسكندرية على يد زميرة وهاك نصهُ .

« ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك فحص عن كتب العلم وولى امرها رجلاً يعرف بزميرة فجمع من ذلك على ما حكي اربعة وخمسين الف كتاب ومائة وعشرين كتابًا وقال لهُ ايها الملك قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم » وهي نفس عبارة ابن القفطي فالظاهر انهُ اخذ انشاء المكتبة عن اسحق المذكور واخذ حريقها عن سواهُ . ولولا ما نقلهُ ابن النديم عن اسحق الراهب من أمر الفلاسفة لما علمنا بوجودهِ وظنناهُ لم يقل شيئًا كما ظننا المسلمين لم يذكروا شيئًا عن حريق مكتبة الاسكندرية على يد عمرو

"فيؤخذ مما تقدم ان حكاية احراق مكتبة الاسكندرية لم يختلقها ابو الفرج لتعصب ديني ولا دسها احدٌ بعدهُ بل هو نقلها عن ابن القفطي وهو قاضٍ من قضاة المسلمين عالم بالفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو والاصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجبر والتعديل وكان صدرًا محتشمًا جمع من الكتب ما لا يوصف وكانوا يحملونها اليهِ من الآفاق وكانت مكتبتهُ تساوي خمسين الف دينار ولم يكن يحب من الدنيا سواها ولهُ حكايات غريبة عن غرامهِ بالكتب ولم يخلف ولدًا فاوصى بمكتبتهِ لناصر الدولة صاحب حلب . ولهُ مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو واللغة وفي جملتها كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين في ستة مجلدات وكتاب تراجم الحكماء الذي نحن في صددهِ . وان ابن القفطي وعبد اللطيف البغدادي اخذا عن مصدر ضائع . واما خلوّ كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلا بد لهُ من سبب والغالب انهم ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوهُ

او لعلّ لذلك سبباً آخر . وفي كل حال فقد ترجح عندنا صدق رواية ابي الفرج " . انتهى

ومعلوم ان نقل ابي الفرج عن ابن القفطي المعروف بالقاضي الاكرم لايحل المسألة بل يبعد الاسناد درجة . ولا تزال هذه المسألة في معرض البحث لاسيما وان رواية ابن القفطي بعيدة عن التحقيق التاريخي وقد رجح الباحثون ان يوحنا النحوي المذكور فيها هو يوحنا فيلبونس الذي نشأ قبل الفتح باكثر من مئة سنة

والكتاب في مئتي صفحة بقطع المقتطف وهو حافل بالفوائد التاريخية جامع لزبدة كتب كثيرة وقد اسند المؤلف مانقلهُ الى المصادر التي نقل عنها وذكر الجزء والصفحة ولكنهُ اغفل ذكر الطبعة التي نقل عنها وبعض الكتب طبع مراراً فلا تنطبق صفحات الطبعة الواحدة على صفحات الطبعة الثانية . وتتمّ الفائدة لو اشار في صدر الكتاب الى النسخ التي اعتمد عليها كما فعل صاحب كتاب حضارة الاسلام

ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

لما كانت المكاتب العربيَّة حافلة بالكتب العلمية من مترجَم وموضوع كان تلخيص مواضيعها سهلاً على الباحثين كما فعل مؤلف هذا الكتاب وهو الامام شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصار السنجاري المتوفى سنة ٧٤٩ للهجرة فانهُ جمع مواضيع اكثر العلوم المعروفة لعصرهِ في رسالة وجيزة وذكر فيها من اسماء الكتب المؤلفة في العلوم المختلفة ما يرشد طالب البحث عن علوم العرب والمنقول اليهم والمنقول عنهم فيسهل عليهِ استقصاء ما يريد استقصاءهُ . خذ مثالاً لذلك ما ذكرهُ عن علم الهندسة قال " هو علم يتعرَّف منهُ احوال المقادير ولواحقها واوضاع بعضها عند بعض ونسبها وخواص اشكالها والطرق الى عمل ما سبيلهُ ان يُعمَل بها واستخراج ما يحتاج الى استخراجهِ بالبراهين اليقينيَّة . وموضوعهُ المقادير المطلقة اعني الجسم التعليمي والسطح والخط ولواحقها من الزاوية والنقطة والشكل . واجزاؤهُ الاصلية عشرة " وبعد ان فصَّل هذهِ الاجزاء قال " ولم ارَ الى الآن كتاباً يشتمل على هذهِ الاجزاء العشرة لكن لو كمل تصنيف الاستكمال للمؤتمن بن هود رحمهُ الله لكان كافياً مغنياً واما كتاب الاستقصات لاقليدس فانهُ يحتوي على المهم من الجزء الاول والثاني والرابع والخامس والسادس والثامن واما الجزء الثالث فينفرد بهِ كتاب المخروطات لابلينوس والسابع ينفرد بهِ كتاب الاشكال الكرية لمالاناوس والجزء التاسع بعضهُ في الاستقصات وبعضهُ في كتاب الكرة والاسطوانة لارشميدس والجزء العاشر ينفرد بهِ كتاب الكرة المتحركة لاقطوقيوس "

ويظهر من ذلك ان كتب الرياضيات المحضة كانت الى عهد المؤلف ترجمات من كتب اليونان . ثم استطرد الى ذكر العلوم الممتزجة المبنيَّة على الرياضيات وسماها بالعلوم المتفرعة من الرياضيات وقال انها عشرة وهي علم عقود الابنية وعلم المناظر وعلم المرايا المحرقة وعلم مراكز الاثقال وعلم المساحة وعلم إنباط المياه وعلم جر الاثقال وعلم البنكامات وعلم الآلات الحربيَّة وعلم الآلات الروحانية . وذكر في علم عقود الابنيَّة كتاباً لابن الهيثم وكتاباً للكرخي وفي علم المناظر كتاباً لاقليدس وكتاباً لابن عيسى الوزير وكتاباً لابن الهيثم وفي علم المرايا كتاباً لابي علي بن الهيثم وفي علم مراكز الاثقال كتاباً لابن سهل الكوهي وكتاباً لابن الهيثم وفي علم المساحة كتاباً لابن المحلي الموصلي وكتاباً لابن المختار وكتاباً لارشميدس الخ . ويتضح من ذلك ان العرب اعتمدوا في الاصول على كتب اليونان واما الفروع فالفوا فيها كتباً كثيرة

وقد استفدنا من هذه الرسالة ان السموأل برهن على مسائل علم الجبر بالبراهين العددية والخيَّام برهن عليها بالبراهين الهندسية وحبذا لو ارشدنا احد الى حيث يوجد كتابا السموأل والخيَّام

هذا ومجال البحث في علوم العرب وما اقتبسوهُ وما وضعوهُ واسع جدًّا ولم نرَ لاحد في ذلك كلاماً شافياً حتى الآن فاذا اريد ان يُعرَف تاريخ العلوم عندهم وجب ان يبحث في كل علم منها على حدتهِ وتذكر قضاياهُ التي عرفها الناس قبلما تناولها العرب والقضايا التي زادها العرب فيهِ وبذلك لا بغيرهِ يعرف تاريخ العلم عندهم وينصفون فلا ينسب اليهم ما ليس لهم ولا يبخسون اشياءهم

وقد عني بطبع هذه الرسالة حضرة اسعد بك حيدر احد اعيان قضاء بعلبك بعد ان وقف عليها وصححها حضرة العالم المحقق طاهر افندي بن صالح الجزائري احد علماء دمشق

تهذيب النفس

خطبة للاستاذ الفاضل جرجس افندي همام احد اساتذة المدرسة الكلية الشرقية في مدينة زحلة القاها على طلبة المدرسة في احتفالها السنوي هذا الصيف . واوضح فيها ان النفس مولعة بالمعرفة والتدرُّج فيها ترقياً الى الكمال لان للانسان وجوداً معنوياً غير وجودهِ المادي والمدني . وهذا الوجود المعنوي هو الحياة الانسانية الحقَّة التي تقوم بتغذية النفس بالمعارف وتحليتها بالفضائل . فالتهذيب بالعلوم هو غاية النفس واليهِ تنزع وما احراها لهُ لانها لهُ خُلقت وبهِ تحيا وتتدرَّج في معارج الكمال . ومقام المرء من المجد والعلي هو حيث يجعل نفسهُ من سلَّم العلم والتهذيب . واستشهد الخطيب احياناً بسير الفضلاء لايضاح مرادهِ قال :

" كان دِكرت الفيلسوف الفرنسي يعتبر ذاتهُ كائنًا مفكرًا وسعى سعيًا متواصلاً في تهذيب نفسهِ وترويض قواهُ العاقلة بُغية أن يجلو غامضًا او يحرّر مشكلاً او يحقق مظنونًا او يكشف عن نافع يعود على الناس بالخير . ولم يدُر في خلدهِ ان يعمل شيئًا رياء ولا سُمعةً ولذلك يتحاشى في اليسير الذي نشرهُ من مصنفاتهِ كل ما يؤدي الى نباهة الذكر والشهرة بين الناس . ونعم المبدأُ الشريف مبدأهُ فان محبة الحق أمارة فارقة يمتاز بها من كان صادق العزم في تهذيب نفسهِ عمّن سواهُ . ولذلك يستنكف من الدعوى انفةً واستكبارًا ويرى الابتهار عارًا . ينبذ القشور جانبًا ويحرز لُباب المعارف. يكرهُ التلفيق والترميق في الاعمال ويميل الى الإجادة والإتقان لا طمعًا في استحسان الناس ولا ابتغاء المكافأة ولكن استنانًا بسنَّتهِ الذاتية التي اختطَّها لنفسهِ . فان الافكار الصحيحة كالمبادىء القوية غايتها مقصورةٌ على نفسها لا تتخطاها الى المثوبة ولا الى حسن الاحدوثة"

والخطبة كلها على هذا النسق من بلاغة العبارة وحسن البيان

حدائق المنثور والمنظوم

كتاب انتقاهُ الاستاذ المحقق الشيخ سعيد الشرتوني من كتب البلغاء الموصوفين وفرسان البراعة المعدودين وارباب اليراعة المشهورين لكي يطالع في المدارس فيرسم في ذهن حافظهِ رواية ودراية ملكة الفصاحة والبلاغة بالغة حد النهاية وهو قسمان احدهما للمنثور وقد جعلهُ ثلاثة اجزاء والآخر للمنظوم ولم يذر مجالاً تجول فيهِ الاقلام ولا موردًا تحوم عليهِ حوائم الافهام الاّ اثبت فيهِ ما يجمل بالكتّاب محاكاتهُ وتسهل لهم وعورة السبل معارضتهُ ومضاهاتهُ والحقهُ بمعجم نشر فيهِ ما ورد في الكتاب من الغريب

وحبذا لو الحق بالمعجم فصلاً ضمنهُ ترجمات الكتّاب الذين نقل عنهم ووصف الكتب التي نقل منها وذلك بالايجاز التام كأن يقول عن الغزالي مثلاً انهُ الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي صاحب كتاب احياء علوم الدين وكتاب تهافت الفلاسفة كانت وفاتهُ بطوس سنة ٥٠٥ للهجرة (١١١١ للميلاد) . وعن المستطرف هو كتاب المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين الابشيهي وقد اعتمدت على النسخة المطبوعة في ٠٠٠ سنة ٠٠ . وهلمَّ جرًّا

كلمات في سبيل الحياة

هو مقالات ادبية فلسفية للمنشىء الاديب احمد افندي حافظ عوض جرى فيها مجرى لورد افبري في كتابهِ المشهور سعادة الحياة الذي نقلنا بعض فصولهِ الى المقتطف . وقال ان مبحث

الحياة وسعادتها من اهم المباحث التي يجب ان توجَّه اليها انظار الامة المصرية من ابواب الاقتصاد والتدبير والسعي والنشاط اذ اننا اصبحنا لا نرى اللذة الاَّ في الاشياء المادية ولا نظن السعادة الاَّ بالثروة وما شاكلها مع ان اللذة توجد في كل شيء اذا نظر اليهِ الانسان بعين الحكمة والبصيرة " وان الذين ينصحون الناشئة بالتمسك بالفضائل و ينتقدون على المدارس يجب عليهم ان يسعوا كذلك في ترقية الامة وتهذيب رجالها ليكون الآباء قدوة للابناء والاكابر قدوة للاصاغر . واما اذا لم تشيَّد للعلوم والمعارف اندية ولم ينشط العامل والنبيه ولم يجاز المؤدب ولم تعطَ المراكز بالاستحقاق والكفاءة الشخصيَّة فلا ادب يفيد ولا اديب " . والمقالات كلها على هذا النسق . وانَّا في حث الامة على اكتساب الماديات باتقان الزراعة والصناعة والتجارة لكي تغتني وتقوى يجب ان لاننسى حثها على اكتساب الادبيات حتى تملكها الفضائل وتتَّصف بمكارم الاخلاق

تمريض المرضى

وضع هذا الكتاب حضرة السيدة الفاضلة ادلا ورتبات كريمة استاذنا الدكتور يوحنا ورتبات وقد نشر اولاً فصولاً في المقتطف ثم طبع على حدتهِ في كتاب صغير الحجم يسهل وضعهُ في الجيب واستعمالهُ في البيت ولا نبالغ اذا قلنا انهُ انفع الكتب المنزلية في حال المرض كما ان كتاب ابيها الدكتور ورتبات انفع الكتب المنزلية في حال الصحَّة . وقد اهدت المؤلفة كتابها هذا الى السيدة الفاضلة مدام الياس بك مرسق . وقالت في اهدائهِ انها فعلت ذلك تذكارًا للساعات السعيدة المفيدة التي قضتاها معاً في إعادة تنظم مستشفى ماري جرجس في بيروت وتدريب الممرضات الوطنيات . فان مدام مرسق هذه من السيدات السوريات المثريات المشهورات باعمالهنَّ الخيرية

والسيدة ادلا ورتبات المؤلفة من نوابغ بنات سورية تلقت دروس طب النساء وتمريض المرضي في اشهر المدارس الانكليزية وخدمت وطنها خدمةً جلَّى في تنظيم مستشفى ماري جرجس في بيروت وتأليف هذا الكتاب اقتداء بوالدها الفاضل الذي قلَّد جيد العربيَّة المئن بتآليفهِ الكثيرة فوق خدمتهِ الطويلة في المدرسة الكلية الاميركية ومستشفاها . وقد استسمحنا حضرتها بنشر صورتها ههنا وهي لابسة لبس الممرضات



ادلا ورتبات

الكلمات الايطالية في العربية

اهدى الينا حضرة الفاضل سقراط بك سبيرو مدير مصلحة الموانى والفنارات في الاسكندرية وصاحب القاموس المعروف باسمهِ — نسخة من كراس جمع فيهِ الكلمات الايطالية المستعملة في اللغة المصرية العامة . وقد قال في مقدمتهِ ان الكلمات التي استعارها المصريون من اللغة الايطالية اكثر عدداً مما استعاروهُ من سواها ما عدا التركية وذلك يدلُّ على ان الايطاليين كانوا اول من ادخل التمدن الغربي الى مصر

ومن الفوائد التي في هذا الكرَّاس ان منشىء البوستة المصرية ايطالي واول رئيس للاستئناف المختلط ايطاليٌّ ايضاً وعدد الاوربيين في الاسكندرية ٤٦١١٨ الفاً وفي العاصمة ٣٥٣٨٥

هذا ويبلغ عدد الكلمات التي جمعها المؤلف ٤٠٠ كلمة او اكثر وهي في مواضيع مختلفة مثل الاكل والشرب واللبس والتجارة والاصوات التي ينادي الباعة بها في الشوارع واسماء الشهور والآلات والاسماء الجغرافية والاعلام وغير ذلك . وقد جعل كراستهُ تذكاراً للمرحوم الاستاذ فسك المشهور فنثني على حضرتهِ اطيب الثناء لاهتمامهِ بموضوع لا تنكر فائدتهُ اللغوية والاجتماعية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مقام المرأة في انكلترا

كتبت سيدة انكليزية مقالة في مجلة البودوار تحت هذا العنوان قالت فيها :

يذهب البعض الى ان الزمان الحاضر زمان يتمتع النساء فيهِ بحرية عظيمة . والحقيقة ان القيود التي لا تزال النساء مقيدات بها ثقيلة يرسفن فيها رغماً عن ارتقاء منزلتهن في المجتمع الانساني . ومعظم ذلك الارتقاء انما هو في منزلة الامرأة المتزوجة فان سلطتها على اولادها زادت

عما كانت عليهِ اولاً ولكنها ليست مساوية لسلطة زوجها عليهم · ولها الحق في شراء الاملاك وبيعها كما لو كانت عزباء

ومن الحقوق التي نالتها حديثاً السماح لها بدخول المدارس العليا . وقد لقيت في ذلك اشد المقاومة من الذين كانوا يزعمون ان الجهل وحده يصون المرأة ولا تزال مدرستا اكسفورد وكمبردج تأبيان عليها رتبهما . ولكنها مساوية للرجل من هذا القبيل في معاهد العلم الاخرى

على ان عدد الوالدين الذين يميلون الى تعليم بناتهم العلوم العليا مثل بنيهم لا يزال قليلاً وليس السبب الاولي في ذلك امر النفقات لان الاغنياء والفقراء سواء بهذا النظر . ثم ان حالة المرأة من حيث تعاطي الاعمال مظلمة مهما كانت مواهبها فان الحرف التي يسمح لها باحترافها قليلة والاجرة التي تأخذها صغيرة . وليس بين الحرف الشريفة حرفة يسمح لها بتعلمها سوى الطب

ومعظم البنات المتعلمات يمارسن التعليم وهنَّ اكثر عدداً من المعلمين في المدارس الابتدائية ولكن الاجور التي يتقاضينها تبلغ ثلثي اجور المعلمين مع ان الفريقين متساويان في الكفاءة ومقدار العمل. ووسائط ترقيهن قليلة فاذا خلت وظيفة ناظر في احدى المدارس التي يتعلم فيها الذكور والاناث معاً وقدم المعلمين والمعلمات الطلبات لنيل تلك الوظيفة رفض اصحاب الشأن النظر في طلبات المعلمات وعينوا الناظر من المعلمين

واغرب من هذا وذاك ان اجور المعلمات في المدارس العليا اقل من اجور المعلمين في المدارس الابتدائية فهي قلما تزيد على مئة جنيه في السنة ومعظمها اقل من ذلك كثيراً · واعلى مناصب التعليم محصور في الذكور مثل مناصب مفتشي الحكومة واساتذة الكليات الكبيرة · فقد سُمع رجل من رجال لجنة وكل اليها تعيين استاذ لالقاء الخطب على التلاميذ والتلميذات يقول " ليس عندنا من يصلح لذاك المنصب مثل السيدة فلانة لو كان تعيينها فيهِ ممكناً " ولا يثبط همة الفتاة وعزيمتها مثل معرفتها ان الرجال يحرمونها من مركز هي كفوءة لهُ لمجرد كونها أنثى

وبين النساء كثيرات يحترفن التمريض وهو مع صعوبتهِ لا يكسبن منهُ اكثر مما يكسب الخادم في المنازل . اما التجارة فان معظم اللواتي يشتغلن بها منهنَّ مستخدمات عند التجار لبيع السلع بالتفاريق · وقلما ترى امرأة تدير محلاً تجارياً والسبب في ذلك عدم وجود رأس المال اللازم للاعمال التجارية معها وقلة تمرنها واختبارها · فان التجار لا يسمحن لبناتهنَّ بالعمل في مكاتبهنَّ ولا في مخازنهنَّ · ووسائط الترقي قليلة في وجوه كاتبات المحلات التجارية لانهنَّ لا يستخدمن

للترقي بل ليبقين عند قاعدة السلّم التجارية

والنساء المستخدمات في مصالح الحكومة مثل البوستة والتلغراف والتلفون وغيرها يأخذن اجورًا قليلة جدًّا . ولا ريب ان أخذ النساء لاجور اقلّ من اجور الرجال يزيد المزاحمة التجارية والصناعية تعقدًا

والرجال الذين يقاومون استخدام النساء يعتذرون عن ذلك بقولهم ان النساء لا يطول بهنّ الزمان حتى يتزوجنَ ويصبحنَ معلقات بازواجهنّ وفاتهم ان الزواج غير ميسور للجميع لاسباب منها ان النساء اكثر عددًا من الرجال في انكلترا . ثم ان المرأة المتزوجة كثيرًا ما يموت زوجها او يمرض فتضطرّ ان تعول اولادها بنفسها . والمعروف الآن ان عدد النساء المستخدمات في المحلات التجارية والصناعية يزداد على التوالي وتحسين حالهنّ مسألة تشغل البال وتهيج البلبال

ثم اشارت الكاتبة في ختام مقالها الى حرمان المرأة الحقوق السياسية وانحطاط منزلتها الاجتماعية والعيوب الاقتصادية التي تنوء تحتها ووصفت لهذا الداء ان يسمح للمرأة بانتخاب النواب اسوة بالرجال اذ الانتخاب اساس الحرية واذا تمّ لها ذلك وصار لها نواب في مجلس الامة زالت النقائص والمساوئ التي تصمها وصلح حالها ومآلها

تهذيب البنات

وكتبت سيدة اخرى مقالة في تهذيب البنات في المجلة نفسها قالت فيها ان بين الرجال والنساء عددًا عظيمًا يهتمون بتربية كلابهم وخيلهم اكثر مما يهتمون بتربية اولادهم . على ان منهم كثيرين لا يدخلون تحت هذا الحكم بل يعنون بتربية اولادهم وتهذيبهم وينكبّون بكليتهم على ما فيه خيرهم ومصلحتهم . والاولون يظنون انهم اذا اطعموا اولادهم والبسوهم ورفّهوهم فهناك تنتهي مسؤُوليتهم وانهُ لا يطلب منهم شيءٌ آخر بعد ذلك . فينشأُ الاولاد على الخير او على الشرّ اذ لا وسط بين الاثنين ويتعلمون ويقتبسون مما حولهم حسنًا كان او قبيحًا ووالدوهم لا يشعرون الاَّ وقد تأصلت فيهم الاخلاق والعادات التي اقتبسوها اما للفخار واما للشنار

وكثيرًا ما سمعنا امًّا نكبت بابن او ابنة جلبا العار عليها وعلى بيتها تعول وتقول " اواه لماذا بلاني الله بهذا المصاب . ايّ ذنب جنيت وايّ وزر اقترفت حتى ابتليت بولد جلب عليّ المذلة والعار " والجواب على ذلك انها لم تنكب بولد عقوق لانها فعلت امرًا من الامور بل لانها لم تفعل . فكيف تؤمل الامُّ التي تكل امر اولادها الى الخادمات اياماً واسابيع بل

اشهرًا وسنين ان ينشأُوا مثل الاولاد الذين يتولى والدوهم بانفسهم امر تربيتهم ومراقبتهم الولد على ما ينشأ . علّمهُ ألاَّ يحبَّ الاَّ الجميل فيشبَّ محبًّا للجميل كارهًا للقبيح . علّمهُ الحبَّ ولا تعلّمهُ غيرهُ فيشبَّ وهو لا يعرف البغض . ومن اول واجبات الوالدين ان يعلموا اولادهم كيف يستقبلون كوارث هذه الحياة ونوازلها ويعدُّونهم لها حتى اذا نزلت بهم لا يندبون سوء حظهم ولا يستسلمون لاهواء النفس . علّمهم ان المصائب انما تضرُّ بهم اذا تركت تمرّ في نفوسهم وتخترق حجبها وانها تزقيهم وتجمل اخلاقهم اذا بشُّوا بوجوههم وهشُّوا لها . علّم البنت ان مصدر الرضى والانبساط والسعادة في هذه الحياة انما هو داخلها وانهُ في طوقها ان تجعل عيشها ابيض او اسود — انعم من النعيم او اشقى من الجحيم . لكن خير قدوة لاولادنا ولنستقبل نوب الدهر امامهم بثغر باسم وجاش رابط فان القدوة اشد تأثيرًا في نفوسهم من جميع الآراء والمبادئ التي يعلّمونها بالقول

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) خزان اصوان وقناطر اسنا

طنطا . الياس افندي جرجس ميخائيل .

هل تعلية خزان اصوان وعمل خزان بقرب اسنا يفيدان مديريتي قنا واصوان وهل عملها هو لجعل اراضي المديريتين تروى ريًّا صيفيًّا او لمنع الشراقي فقط

ج . الغرض من تعلية الخزان وبناء القناطر تكثير الماء الصيفي وتعليتهُ لتعميم الري الصيفي في مديريات الوجه البحري ومديريات الوجه القبلي الى حد قنا ولكنهُ لا يفيد في منع الشراقي فوق قنا

(٢) بنك النصيب الجديد

طنطا . ج . هل اوراق اليانصيب التي اكثر بنك النصيب الجديد الاعلان عنها ليس فيها اختلاس في السحب او غيره

ج . كلاَّ ولا يخشى ان بنكاً معتبرًا يستعمل الغش والاختلاس ولا داعي للغش والاختلاس لان اصحاب القرعة او بنك

النصيب يكسبون مكسباً كافياً من الفرق بين الاوراق التي يبيعونها والاموال التي يدفعونها للرابحين فاذا جعلوا ثمن الاوراق مئة الف جنيه جعلوا قيمة الجوائز سبعين الفاً او ثمانين الفاً فقط فيكون الفرق ربحاً لهم ونفقات ينفقونها على ادارة العمل

(٣) الرجل والرضاعة

طنطا . الخواجه يوسف حديده . قرأنا في باب المسائل رداً على سؤال عثمان افندي سنو صفحة ٩١٦ ان الرجل كان يرضع اولاده كالمرأة في غابر الزمن فكيف ذلك والمرأة لا يوجد اللبن في ثدييها الاَّ بعد ما تلد فكيف يوجد اللبن في ثدي الرجل وهو لا يلد

ج . ليس الولادة شرطاً لوجود اللبن في الثدي لانهُ قد يوجد قبلما تلد المرأة او بعد ما تلد بسنين كثيرة . وامامنا الآن قطة ترضع من اختها واختها اكبر منها ولكنها لم تلد قط . وقد رأينا امرأة ارضعت ابن بنتها بعد ان مضى على آخر ولد ولدتهُ اكثر من ١٥ سنة والغالب ان اللبن يتولد في الثدي في زمن الولادة ليكون غذاء للطفل . هذا هو النظام الجاري الآن ولكن لا شيء يمنع انهُ لم يكن كذلك دائماً . وفي تضخم ثندوتي الفتى وقت بلوغهِ كتضخم ثديي الفتاة وقت بلوغها اشارة الى ان ثندوتي الرجل كانتا تكبران وتفرزان لبناً حين الحاجة اليهِ وذلك كلهُ من باب الظن او الترجيح لا من باب التأكيد

(٤) البيرا وشربها

زحلة . ابرهيم افندي ميخائيل عطا كيف تصنع البيرا وما هي المواد المستعملة في تركيبها واي الشعوب اكثر ولوعاً بها

ج . البيرا نقاعة مختمرة من الشعير وحشيشة الدينار . ينقع الشعير في قليل من الماء حتى يشرع يفرخ اي يتحوَّل بعض نشائهِ الى سكر ثم يجفف ويحمص ويطحن او يهرس ويصب عليهِ ماء سخن حتى يذوب كل ما يمكن تذويبهُ منهُ وتضاف حشيشة الدينار الى السائل ويغلى ثم يبرد حالاً . وقد وصفنا كيفية عمل البيرا بالاسهاب في الصفحة ٥٤٤ من المجلد الثالث عشر من المقتطف

واكثر الناس شرباً للبيرة الالمانيون ثم الانكليز فالفرنسويون فالروسيون . وقد حسبوا ما شربتهُ هذه الامم وغيرها سنة ١٨٩٩ فكان هكذا

الالمانيون	١٤٠٠	مليون جالون
الانكليز	١٢٠٠	" "
الفرنسويون	٢٠٠	" "
الروسيون	١٠٠	" "

ويشرب البلجيكي ٣٦ جالوناً في السنة والانكليزي ٣٠ جالوناً والالماني ٢٥ جالوناً والدنمركي ٢١ جالوناً والسويسري ١٢ جالوناً والاميركي ١٢ جالوناً والهولندي ٩ جالونات والفرنسوي ٥ والاسوجي ٢ والرومي ١

(٥) فن التعليم

ومنهُ . ماهي الكتب التي أُلفت وطبعت باللغة العربية في فن التعليم واين تباع

ج . لم يبلغنا انهُ أُلفت كتب في العربية في فن التعليم حتى الآن

(٦) عدد الاوربيين والامريكيين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٩٠٠

سان بولو بالبرازيل . الخواجة جبران نعوم كم كان عدد نفوس كل مملكة من ممالك اوربا الكبيرة والولايات المتحدة في بداءة القرن التاسع عشر وفي بداءة القرن العشرين

ج . ترون ذلك في الجدول التالي وقد ذكرنا العدد فيهِ بالملايين

	١٨٠٠	١٩٠٠
روسيا	٣٨	١٣٠
الولايات المتحدة	٠٤	٠٧٧
المانيا	٢٥	٠٥٦
النمسا والمجر	٢٧	٠٤٤
بريطانيا	١٥	٠٤١
فرنسا	٢٧	٠٣٨
ايطاليا	١٨	٠٣٢
اسبانيا	١٢	٠١٨

(٧) نسبة الرسوم والصور الى الحقيقة

ومنهُ . ما هي القاعدة المتبعة في رسم الخزائن والمرايا ونحوها في دفاتر المعامل الصناعية اي ماهي نسبة الرسم الى الحقيقة

ج لا يظهر لنا انهُ توجد نسبة مضطردة لاننا رأينا دفاتر (كاتالوجات) مختلفة تكون الصور في بعضها كبيرة وفي بعضها صغيرة والغالب ان يكون القياس اربعة في المئة اي ان ما طولهُ اربعة سنتمترات في الرسم يكون طولهُ في المرسوم متراً . الاَّ ان اكثر الرسوم يكون طولها وعرضها مكتوبين تحتها فتعلم النسبة بين الرسم والمرسوم بسهولة

(٨) الحروب

ومنهُ . يقول البعض ان الحروب من ضروريات الحياة ولولاها ما ارتقى نوع الانسان فهل ذلك صحيح

ج . ان الميل الى الحرب او الجهاد موروث في الانسان عن اسلافهِ الاولين ولا ندري ماذا كانت حال الانسان لولا الحروب ولكن لاشبهة في ان لها شأناً كبيراً في ارتقائهِ جسداً وعقلاً

(٩) النيازك

كانبرك بداكوتا (اميركا) الخواجه طنوس ابو رزق . ما هي النجوم التي نراها تتساقط في بعض الليالي

ج . هي حجارة صغيرة من بقايا نجم متكسّر او من مجاميع سابحة في الفضاء تجذبها الارض اذا دنت منها فتقع عليها وفي وقوعها تحتك بالهواء فتحترق من سرعة حركتها وتظهر منيرة وقد تكون كبيرة فتصل الى الارض واكثر مادتها من الحديد

باب الاخبار العلمية

الظواهر الفلكية في شهر نوفمبر

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	١	١	١٣	صباحاً
الهلال	٧	٥	٣٧	مساء
الربع الاول	١٥	٢	٣٦	صباحاً
البدر	٢٣	٥	١٢	"
الربع الاخير	٣٠	٩	٣٨	"

تدخل الشمس برج الرامي في الثاني والعشرين من الشهر الساعة ٧ مساء

يكون عطارد قريباً جداً من الشمس في اوائل الشهر فلا يرى ثم يصير نجم المساء

والزهرة نجمة المساء تغرب بعد الشمس بنحو ساعتين

والمريخ يطلع الساعة ٢ والدقيقة ٣٠ صباحاً ويشرق كنجم الصباح

ويرى المشتري جنوباً الساعة الرابعة صباحاً

ويميل زحل الى الجنوب الساعة السابعة مساء ويغرب نصف الليل

اتساع الممالك الانكليزية

ازداد عدد سكان الممالك الانكليزية منذ اربعين سنة الى الآن بالنمو الطبيعي والفتوح اكثر من مئتين وعشرين مليوناً كما ترى في هذا الجدول

سنة	١٨٦١	عدد السكان	١٧٥ مليوناً
"	١٨٧١	" "	٣٥٥ "
"	١٨٨١	" "	٣٧٢ "
"	١٩٠١	" "	٤٠٠ مليون

وكانت مساحة السلطنة الانكليزية سنة ١٨٦١ نحو ثمانية ملايين من الاميال المربعة فبلغت سنة ١٩٠١ نحو اثني عشر مليوناً فهي اكثر من خمس المسكونة كلها مع ان المملكة الانكليزية نفسها اي انكلترا واسكتلندا وارلندا لا تزيد مساحتها على ١٢١٠٨٩ ميلاً فسكان كل ميل منها يحكمون على سكان مئة ميل من المعمور

وقد يظن لاول وهلة ان الانكليز هاجروا الى البلدان القاصية وعمروها لان بلادهم ضاقت بهم. وهذا غير صحيح فان سكان انكلترا وويلس يبلغون نحو ٢٣ مليون نفس وفي انكلترا وويلس ٣٧ مليون فدان فالبلاد الانكليزية اقل ازدحاماً من القطر المصري لان سكان القطر المصري عشرة ملايين ومساحة اطيانه نحو خمسة ملايين فدان

الاستاذ فنسن

يتذكر قراء المقتطف اسم الاستاذ فنسن مستنبط العلاج بالنور وقلَّ من يعلم منهم ان هذا الرجل قضي الايام يبحث ويمتحن وهو مريض بداء اليم وداء عقيم داء المفاصل وداء الاستسقاء مع ضعف في القلب والكبد لكنهُ بالغ في الحمية والتوقي حتى تمكن من تحقيق ارائهِ ثم وافتهُ منيتهُ في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر الماضي وهو في الثالثة والاربعين من عمرهِ. وقد درس في مدرسة كوبنهاغن ثم صار استاذًا للتشريح فيها واتصل الى علاج الجدري بالنور الاحمر ثم اثبت فعل النور في قتل الجراثيم المرضية واستنبط القنديل الذي يستعمل لذلك. ولما منح جائزة نوبل لاكتشافهِ هذا وهي مئة الف ريال وهب نصفها للمستشفى الذي انشئ للعلاج بالنور مع انهُ ليس من اهل الثروة

عمر البيض

ذكرت احدى الجرائد الالمانية طريقة بسيطة لامتحان البيض اساسها ان الهواء الذي في "عقب" البيضة يزيد كلما قدم عهدها. وهي ان توضع البيضة في ماء مشبع بالملح ويوضع معها ميزان لقياس زاوية ميلها فاذا كانت جديدة بقي وضعها افقيًا في قعر الاناء وكلما مرّت الايام عليها ارتفع عقبها الى فوق ومالت الى الوضع العمودي. فالبيضة التي عمرها من ٣ ايام الى ٥ يرتفع عقبها وتكوّن زاوية ميلها ٢٠ درجة. والتي عمرها ٨ ايام تكوّن زاوية ميلها ٤٥ درجة. والتي عمرها اسبوعان تكوّن زاوية ميلها ٦٠ درجة. والتي عمرها ثلاثة اسابيع تكوّن زاوية ميلها ٧٥ درجة. والتي عمرها شهر تنتصب عمودية رأسها الى تحت وعقبها الى فوق

الاطعمة المغشوشة

عزمت حكومة الولايات المتحدة الاميركية على انشاء مستوصف كيماوي في نيويورك لفحص مواد الطعام التي ترد عليها من الخارج ومعرفة السليم من المغشوش منها. والذي حملها على هذا هو انهُ قدم نيويورك حديثًا ثلاث بواخر حاملة موادّ طعام اشتبه فيها. وبعد الفحص الكيماوي وجدت مغشوشة فأعيدت من حيث جيء بها

علاج مرض النوم

روى مكاتب جريدة الدايلي كرونكل الانكليزية في باريس ان الدكتور لافران من اطباء مستوصف باستور اكتشف دواء لمرض النوم ولقّح بهِ حيوانات لقحت بمكروبات المرض فشفيت منهُ

الذكور والاناث

ظهر بالاحصاء ان عدد الاناث اكثر من

عدد الذكور في البلاد الانكليزية بنسبة ١٠٦٨ الى ١٠٠٠ . واذا قوبل بين الذكور والاناث الذين في سن الزواج اي بين ٢٥ و٣٥ فعدد الاناث يزيد على عدد الذكور بنسبة ١١١٤ الى ١٠٠٠ . والنساء اطول عمرًا من الرجال فيزيد عددهنَّ على عددهم من ٨٥ فصاعدًا بنسبة ١٦٩٣ الى ١٠٠٠

ضرر الاعشاب البرية

لا يخفى ان الاعشاب البرية التي تنمو بين المزروعات والاغراس تضرُّبها ضررًا كبيرًا وقد بحث الدكتور سمرڤل في هذا الموضوع في خطبة تلاها في مجمع ترقية العلوم البريطاني فبيَّن ان الضرر ناتج ليس عن اخذ الاعشاب للغذاء من الارض ولا عن اخذها الرطوبة منها ولا عن منعها حركة الهواء بل عن فعل سامّ تسمّ بهِ المزروعات والاغراس. وربما ترجمنا خطبتهُ برمتها ونشرناها في الجزء التالي لما فيها من الفوائد الكثيرة

لون الشعر والصحة

بيَّن الدكتور شربسل في مجمع ترقية العلوم ان شقر الشعر اشد تعرُّضًا لامراض الطفولية من سود الشعر وان سود الشعر اشد تعرضًا للسل من الشقر وذلك بعد ما يجتازون سن الصبوة وان الشقر معرضون لامراض المفاصل والسمن للامراض الرئوية

اكبر الافيال

أُتي الى احد المرافىء الالمانية بعظام فيل كان علوهُ ١٦ قدمًا و ٩ عقد من قدمهِ الى اعلى كتفهِ فهو يزيد ٣ اقدام على اعلى الافيال التي وجدت قبلهُ

التعليم في اليابان

عدد سكان اليابان ٤٥ مليونًا وعدد سكان روسيا ١٤٠ مليونًا لكن عدد الاولاد الذين يتعلمون في المدارس في بلاد اليابان ٤٣٠٢٦٢٣ وعددهم في روسيا ٤١٩٣٥٩٤ فقط

توقيف المركبات

بحثت لجنة الاتوموبيل الفرنسوية عن المسافة التي تقف فيها المركبات التي تجرها الخيل اذا اريد توقيفها بغتةً ومركبات الاتوموبيل فوجدت انهُ اذا كانت السرعة سبعة اميال ونصف ميل في الساعة فالمركبة التي تجرها الخيل لا تقف تمامًا الاَّ بعد ٣٠ قدمًا واما الاتوموبيل فيقف بعد ١٠ اقدام اي اذا كانت مركبة واتوموبيل جاريين معًا واريد توقيفهما حالاً فالمركبة لا تقف الاَّ بعد ٣٠ قدمًا واما الاتوموبيل فيقف بعد عشر اقدام واذا كانت السرعة ١٢ ميلاً في الساعة فمركبة الخيل تقف تمامًا بعد ٤٣ قدمًا و $\frac{1}{3}$ قدم واما الاتوموبيل فيقف بعد ١٦ قدمًا و $\frac{3}{4}$ القدم

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد التاسع والعشرين



ROOSEVELT
Präsident der Vereinigten Staaten von N. A.

روزفلت رئيس الولايات المتحدة

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد التاسع والعشرين

١ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٤ رمضان سنة ١٣٢٢

روزفلت رئيس الولايات المتحدة

انبأنا البرق منذ ايام قلائل ان اهالي الولايات المتحدة الاميركية انتخبوا الكولونل ثيودور روزفلت رئيساً لحكومتهم . وقد كان رئيساً لها منذ ثلاث سنوات آلت الرئاسة اليهِ بموت الرئيس السابق المستر مكنلي سنة ١٩٠١.

والاميركيون الذين يشتركون في انتخاب الرئيس نحو عشرين مليوناً من النفوس وهم كل بالغ تقريباً يشتركون في انتخاب نوَّاب لهم وهؤُلاء ينتخبون الرئيس في شهر نوفمبر كل سنة رابعة لان مدة رئاسة الرئيس اربع سنوات

واذا حان ميعاد الانتخاب كل سنة رابعة قامت البلاد وقعدت وفيها حزبان كبيران الربليك (الجمهوري) والديموقراط (الشعبي) فيتفق كل حزب منهم على زعيم يرشحهُ لرئاسة الجمهورية ويشرع يستميل الناس اليهِ بالخطب والمواعيد فينتخب المنتخبون نوَّابهم من هذا الحزب او من ذاك حسبما يميلون او يُرغَّبون الى ان يأتي يوم مخصوص من شهر نوفمبر فينتخب كل حزب من النواب واحداً من المرشحين والذي يقع لهُ العدد الاكثر من الاصوات يصير رئيساً . ورئيس الولايات المتحدة اقوى سلطة من كل الملوك والسلاطين ما عدا المستبدين منهم فهو رئيس ارقى امم الارض حضارةً واوفرها ثروةً وهو القائد العام لجنودها البرية والبحرية في السلم والحرب وبيدهِ تعيين جميع الموظفين في الوظائف الملكية والحربية ولا يقلُّ عددهم عن ثمانين الفاً . واليهِ المرجع في كل المخابرات الدولية ولهُ السيطرة على القوَّة التنفيذية وسنُّ القوانين والغاؤُها وتوطيد الامن في البلاد ولو باستخدام الجنود كلهم

وهذه الحقوق ليست حبراً على ورق بل للرئيس ان يستعملها وقتما يشاء وقد استعملها الرئيس روزفلت في السنوات الثلاث الماضية رغماً عن مقاومة جمهور كبير من النواب لهُ حتى

من حزبهِ فعقد انفاقًا متبادلاً مع كوبا وحمل على الشركات المالية الكبيرة حملات منكرة في مجالس القضاء واضطرَّ اصحاب مناجم الفحم الى قبول التحكيم بينهم وبين العمال ومنع حكومة كولمبيا من ثورة يراد بها منع الحكومة الاميركية من فتح ترعة بناما

والاغنياء من الحزب الجمهوري لا يميلون اليهِ لانهُ شديد الوطأة عليهم ولكنهم لا يستطيعون ان ينالوهُ بمكروه ولا يحاولون خذلهُ وقت الانتخاب لئلاَّ يفوز حزب الديموقراط عليهم ولاسيما بعد موت زعيمهم الآخر المسترهنَّا . ويقال انهُ لم يقم في الولايات المتحدة بعد الرئيس لنكن رجل اشهر من روزفلت او احب اليهم منهُ فهم يكرمونهُ ويجلُّونهُ ويجاهرون بتفوُّقهِ عليهم ويعتقدون انهُ يستطيع كل شيءٍ ولكنهُ لا يفعل الاَّ كل مكرمة . وهو من خاصة الاميركيين لا من عامتهم لكنهُ التصق بالعامة وفضَّل مصالحهم على مصالح الخاصَّة وفاق رجال وطنهِ في الصيد والقنص والحرب والسياسة

وقد آلت اليهِ الرئاسة اولاً بموت الرئيس مكنلي كما تقدم لانهُ كان نائبًا لهُ ولولا ذلك ما اجمعوا على انتخابهِ حينئذٍ اما الآن والسلطة في يدهِ فيستحيل ان يُنتَخب احد غيرهُ لانهُ يقال ان الاقامة في البيت الابيض منزل رؤَساء اميركا بمثابة ثلاثة اخماس اصوات الانتخاب . وزد على ذلك انهُ امتلك قلوب حزبهِ وكثيرين غيرهم باستقامتهِ وعدلهِ وبلاغة انشائهِ ورغبتهِ في تعزيز السلطة الاميركية حتى ان ما ينتقدهُ بهِ خصومهُ من انهُ رجل حرب يسعى في جعل الولايات المتحدة دولة حربية فاتحةً زاد رغبة الناس في انتخابهِ

والذين يعرفونهُ حق المعرفة يقولون انهُ سيامي محنَّك وصديق مخلص وخلٌّ وفيٌّ وعدوٌّ لدود . لهُ قلم سيَّال صنَّف كتبًا كثيرة تعدُّ في الطبقة الاولى بين مصنفات العصر وخدم بلادهُ في مناصب كثيرة . عُين رئيسًا للبوليس في مدينة نيويورك وكان فاسدًا فاصلحهُ وبذل في اصلاحهِ كل مرتخص وغالٍ ولم يراعِ كبيرًا ولا صغيرًا ولم يفعل احد فعلهُ قبلهُ ولا بعدهُ . وان كان في بوليس نيويورك شيءٌ يُحمَد الآن فالفضل فيهِ لروزفلت . وهو الذي ادار رحى الحرب مع اسبانيا وخسَّرها اساطيلها بدل البارجة ماين التي اغرقتها . وبعد ان اضرم نار الحرب وهو مساعد في نظارة الحربية استعفى من منصبهِ وركب جوادهُ وقاد فرقةً من الفرسان وكان اول مَن صعد اكمة سان جوان . ثم صار حاكمًا لولاية نيويورك فنائبًا للرئيس مكنلي فخلفًا لهُ

ولما نشبت حرب الانتخاب للرئيس مكنلي (لان الانتخاب في اميركا حرب سلاحها الالسنة والاقلام وميادينها المنابر والجرائد) خطب روزفلت خمس مئة خطبة مئتين منها في ولاية نيويورك وحدها لان اكثر الاعتماد عليها في الانتخاب والبقية في سائر الولايات . وسار سبعة

عشر الف ميل وكان متوسط خطبهِ عشرين خطبة في اليوم . وقد سار في العام الماضي اربعة عشر الف ميل وتكلَّم في ٢٦٣ مدينة موضحاً آراءهُ للجمهور ومبيناً لهم الاسباب التي حملتهُ على فعل ما فعلهُ

اما مقامهُ في عالم التأليف وبين ارباب الانشاء فواضح من مؤلفاتهِ الكثيرة فانهُ درس في مدرسة هارفرد الجامعة واتمَّ دروسهُ فيها سنة ١٨٨٠ وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة وانتُخب حينئذٍ عضواً في مجلس نيويورك فاظهر ما امتاز بهِ من اصالة الرأي واستخدام السياسة لنفع البلاد ومقاومة الخصوم بالعنف الشديد وفعل ما يعدُّ فعلهُ واجباً مهما حال في وجههِ من الحوائل . فعرف الناس قدرهُ ورأوا فيهِ مقدرةً تفوق المعتاد فاحبَّهُ بعضهم وابغضهُ البعض الآخر ولكنهم تهيَّبوهُ كلهم واكرموهُ

والَّف كتابهُ الاول سنة ١٨٨٢ وثلاثةَ كتب أُخرى في السنوات التالية . وسنة ١٨٨٨ انشأ اول كتاب سياسي بحث فيهِ عن سياسة البلاد بحثاً لم يُسبَق اليهِ وازاح الستار عن رياء المعدودين عُمَدُ الامة وعن مفاسد نوَّاب الاغنياء واظهر مناقب الذين يُعَدُّون دخلاء لانهم مولودون خارج البلاد الاميركية . وشدَّد النكير على الاغنياء الذين يجتمعون في الاندية الكبيرة ويطلبون الاصلاح كأنَّ الاصلاح مادة تمسك باليد ثم ينصرفون كأنهم قضوا الواجب عليهم . وقال انهُ كلما عرضت لهُ مشكلة خطيرة وانتخب لها لجنة لحلها فثلاثة ارباع اللجنة من الارلنديين اي ان رجال الاعمال الذين يعتمد عليهم هم من الذين يُعَدُّون دخلاء في البلاد

ثم توسَّع في هذا الموضوع والَّف فيهِ كتاباً كبيراً نشرهُ سنة ١٨٩٥ سمَّاهُ "مطالب اميركا" شرح فيهِ آراءهُ السياسية والاجتماعية فقال ان المجرمين الذين يرتكبون الجرائم ويقعون تحت طائلة القانون ليسوا بالذين يُخشى شرهم وانما يخشى شرُّ المضارب الذي يغتني بمخادعة غيرهِ ويرشو القضاة ويفسد القضاء لكي يموت وهو من كبار الاغنياء فانهُ اضرُّ بالبلاد من القتلة واللصوص وقاطعي الطرق . والذي يهيج العمال على الاعتصاب لا يفرق عن التاجر او صاحب المعمل الذي يضيّق على مستخدميهِ ويمنعهم من الاستقلال . وحطَّ الى الدرك الاسفل من الخسَّة والدناءة الغنيَّ الذي يضحي كل شيء في سبيل جمع الثروة وقد قال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

" لا شيء في الدنيا احقر واخس من الرجل الاميركي المتفاني في جمع المال فانهُ يهمل كل واجب ويغضي عن كل حق ويعكف على جمع الثروة واستخدامها في اخس الاعمال إما بالمضاربة وبتخريب البيوت والشركات او بجعل ابنهِ يعيش عيشة البذخ والطيش والخلاعة والكسل او بشترى شاب خليع من ابناء البيوت الكبيرة زوجاً لابنتهِ . ويزيد شرُّهُ وضرُّهُ اذا

فعل فعلاً حميداً من وقت الى آخر كأنْ يبني مدرسة او كنيسة لكي يجعل الجهلاء ينسون قبائحهُ .رجل مثل هذا لا يعبأُ بالعمَّال الذين يهتضم حقوقهم ولا بالبلاد التي يقوّض اركانها فهو لعنة على نفسهِ وعلى بلادهِ

" والرجل الذي يرى سياسة بلادهِ متدرجة من رديء الى اردأ منهُ ولا يحرك ساكناً ويسمع عن ظلم الحكَّام فيضحك ولا يبالي ويشاهد سوء الادارة وتعويج القضاء ولا يبذل جهدهُ في اصلاح الحال هذا الرجل ينقض عهد ولائهِ لبلادهِ وامتهِ ويُعِدُّ الطريق لخرابها ودمارها . والاغضاء عن الحق والواجب والتعامي عمَّا يؤول اليهِ الظلمُ والفسادُ من الشر والخراب نقيصتان من اقبح النقائص وهما من مزايا بعض الاميركيين الذين يعدون انفسهم في المصاف الاول بين الانام

" ويقرب من هؤلاء في الضرر الرجالُ الذين مطالبهم كلها مادية محضة فيقيسون كل شيء بمقياس الربح المالي فلا يحسبون لشاعر حساباً ولو كان انبغ شعراء العصر لانهم لا يرون ان البلاد تربح من شعرهِ ربحاً ماليًّا بل يفضلون عليهِ صانع المسامير وقد فاتهم ان الربح المالي لا يقوم مقام الفضائل القوميَّة ولا يحل المشاكل الاجتماعية

" ومنهم من يفضل المال على الشرف والمجد واصالة الرأي وحسن النظر في العواقب وكل المناقب التي تقوى بها الامم وتستعزُّ ويزعم ان ملاك السلام نال بغيتهُ من الناس لما اقنعهم بجلب البضائع الاجنبيَّة التي ينقص ثمنها بعض الشيء عن البضائع الوطنية . ولا تتحرك في نفوسهم اقل عاطفة من العواطف التي ولَّدت الساسة والابطال والشعراء والادباء ورفعت مقام الامم واعلت كلمتها "

ثم توسَّع في هذا الموضوع في كتابهِ الاخير المسمَّى " بحياة الجدّ " وافاض في تزييف المعايب الاجتماعية والترغيب في الفضائل الادبية ولا سيما بعد ان القيت على عاتق الحكومة الاميركية اعباء جديدة باضافة جزائر فيلبين اليها

وسنة ١٨٨٤ ابتاع مزرعة تُربَّى فيها المواشي واقام فيها لكي يسترد صحتهُ ويروض جسمهُ وكانت المزرعة في اطراف البلاد حيث تقيم البقية الباقية من هنود اميركا فأثَّرت فيهِ المعيشة الخلوية وحملتهُ على تأليف نوعين من الكتب الواحد عن تخوم البلاد والمعيشة الخلوية في الصيد وتربية المواشي والثاني عن بعض الامور التاريخية، وتخلَّص من لوم الاميركيين لاخذهم البلاد من الهنود بقولهِ ان البلاد لم تكن للهنود وانما كانوا فيها رحَّلاً تنزل قبيلة منهم بقعة وتقتل من فيها وتتبع الصيد الى ان تقرضهُ او يقل فتتركها وترحل الى غيرها وشأنهم شأن البيض الذين يضربون في بلاد واسعة للصيد والقنص فان حقَّ لهؤلاء ان يمتلكوا كل بلاد اصطادوا فيها

حقٌّ لهنود اميركا ان يمتلكوا البلاد التي ضربوا فيها . لكنهُ لم يبرىء الحكومة الاميركية من الظلم والاعتساف في معاملتها للهنود ولا برَّأ البيض من الجور والاعتداء عليهم

وطالع وهو هناك كتب كبار الطبيعيين الذين كتبوا عن الحيوان والنبات حتى يطبّق المعارف التي جمعوها على ما يراهُ في تلك البقاع. وتابع الصيد والقنص حتى صار من امهر الفرسان واصبرهم على المشاق

ثم الف كتابةً عن كيفية فتح البلاد الغربية من اميركا وتعميرها وهو كتاب ضخم في اربعة مجلدات جمع فيهِ من الحقائق التاريخية ومن اخبار روَّاد الحضارة وما لقوا من المشاق وما ذللوا من المصاعب ما جعلهُ من خاصَّة الكتب التاريخيَّة الموثوق بها. وقد ابان فيهِ بالادلة ان الحكومة الانكليزية كانت تقصد ان تبقى تلك البلاد قفارًا للصيد والقنص لكي لا تعمر فتقوى بها الولايات الشرقية لكن روَّاد الحضارة لم يقفوا عند حدٍّ بل فتحوا البلاد ومهَّدوا السبيل لتعميرها

هذا هو روزفلت الرجل والسياسي والمؤلف وقد شبَّههُ احد الكتاب باللورد كتشنر في قيادة الجيوش وتدبير الحروب وبامبراطور المانيا في سياسة البلاد والعباد وبالمستر تشمبرلين في اجراء الاصلاح العام دفعةً واحدة . ويسرُّ الاميركيين ان يكون رئيسهم جنديًا وسياسيًا ومؤلفًا لاسيما وانهُ يحبُّ المزاح ويلجأُ اليهِ حينما يطلب الراحة من عناء الاشغال. قيل انهُ كان جالسًا مرةً مع احد الوزراء يبحثان في مسألة سياسية هامَّة فالتفت الى الوزير بغتةً وقال لهُ هل تعطيني برنيطة اذا وثبت من فوق هذا الكرسي. فقال الوزير نعم. فنهض روزفلت ووقف وراء الكرسي وقزَّ ووثب من فوقهِ ثم جلس وعاد الى الشغل ولم يقل شيئًا. ولما اتمَّا شغلهما قال لهُ الوزير ما دعاك الى ما فعلت فقال رأيت اني انا وانت نحتاج الى شيءٍ من الراحة ورأيت نفسي في حاجة الى برنيطة جديدة . لكنهُ حريص على الوقت جدًّا وويل لمن يضيع دقيقةً من وقتهِ سدًى في حضرتهِ . زارهُ احد النوَّاب يومًا وقال لهُ على سبيل المجاملة لقد سررت بمشاهدتك فقال لهُ روزفلت اما انا فلم اسرَّ بمشاهدتك لانني مشغول جدًّا ولا وقت لي لمشاهدة احد . وهو حريص على اموالهِ مع اشتهارهِ بالكرم رآهُ بعضهم مرة يساوم واحدًا من اجل نصف غرش وفي تلك الساعة نفسها طُلب منهُ احسان لمقام خيري فدفع خمسة وعشرين جنيهًا . وحريص ايضًا على اموال غيرهِ حرصهُ على اموالهِ. لما كان يربي المواشي في بلاد المراعي كان كل احد يَسم مواشيهُ بوسم خاص والمواشي التي لا وسم لها مُلْك مشاع يسمها كل من يجدها فتصير لهُ. فرأى مرة احد رجالهِ يسم ثورًا ليس لهُ بسمتهِ فطردهُ من خدمتهِ لانهُ لم يطق ان يمتلك ما ليس لهُ ولو لم يكن لهُ مالك

مؤتمر العلوم والفنون

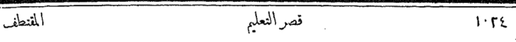
رأى ارباب العلوم والفنون ان في المعارض العمومية ميداناً واسعاً للاجتماع والتعارف والتداول فعقدوا في معرض باريس الاخير نحو مئة مؤتمر علمي تذاكروا فيها في كل المسائل التي يبحث فيها الناس الآن من فلسفية وعلمية واجتماعية . ولما عقد الاميركيون النية على اقامة معرضهم العام في مدينة سنت لويس رأى علماؤهم ان يعقدوا فيهِ مؤتمراً عاماً للعلوم والفنون يشترك فيهِ علماء الارض قاطبةً . فتم لهم ذلك وعُقد المؤتمر في التاسع عشر من شهر سبتمبر الماضي الى الخامس والعشرين منهُ برئاسة الاستاذ نيوكم الفلكي الاميركي الشهير . وانتظم فيهِ نحو الفي مشترك وكان المتكلمون فيهِ والمديرون لجلساتهِ نحو خمس مئة . وحضرهُ نواب المدارس الاميركية الكبيرة كلها وكثير من نواب المدارس الاوربيَّة الكبرى وجم غفير من المشتغلين بالعلوم والفنون من كل الاقطار . وبلغ عدد الذين خطبوا فيهِ من غير الاميركيين نحو تسعين عالماً خطبوا بالانكليزية والفرنسوية والالمانية والايطالية والهولندية . وفي اليوم الاول خطب فيهم الاستاذ نيوكم خطبة بليغة جعل موضوعها البحث العلمي وكيفية ارتقائهِ قال فيها ان رجال العلم يهتمون الآن اهتماماً شديداً بالبحث عن اصل الاشياء وكيفية نشوئها وارتقائها وذلك يصدق على المباحث العلميَّة نفسها كما يصدق على غيرها . وبيَّن ان لارتقاء العلوم والفنون اصولاً قديمة جدًّا وعللاً كثيرة تولدت في العصور الغابرة والبحث عنها يقتضي الرجوع الى ما وراء آثار الارتقاء العملي الباهر الذي تمَّ في القرن الماضي لئلا يكسف نورهُ نور العصور الغابرة . فان من ينظر الى الشجرة الكبيرة ويتملَّى من منظرها البهيج قد يغضي عن البزرة الصغيرة التي تولدت تلك الشجرة منها مع ان تولدها من البزرة اغرب من نموها . وكذلك عمراننا فان اساسهُ ادبي لا مادي والفاعل فيهِ انما هو عقل الانسان . وكل ما نراهُ من الظواهر التي تبهج النظر وتدهش الفكر انما هو نتائج الارتقاء العقلي وان صح قولهم " الانسان اعظم ما في الدنيا والعقلُ اعظم ما في الانسان " فالعقل مدار البحث وعليهِ المعوَّل

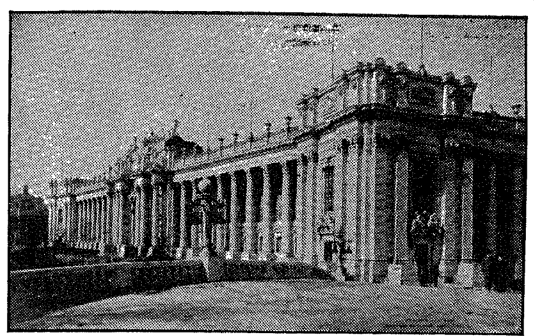
ثم ان هذا الارتقاء الذي مدارهُ استخدام قوى الطبيعة في ما يأول الى نفع الانسان حديث العهد تمَّ في القرن الماضي وابتدأ منذ اربعة قرون فقط . الاَّ ان من ينظر الى الشجرة وينسى البزرة التي نبتت الشجرة منها قد يحسب ان هذا الارتقاء نتج كلهُ عن استخدام القوى الطبيعية كالحرارة والكهربائية والفضل فيهِ لرجال الاختراع والاستنباط ولكن الباحث المدقق

الذي يفتش عن اصول الاشياء يعلم ان الفضل الاول لرجال العلم لاهل البحث العلمي لانهُ لولا القواعد العلمية التي وضعوها والنواميس الطبيعية التي توصلوا الى معرفتها ما استطاع المكتشفون والمخترعون ان يفعلوا شيئًا. فاذا اكرمنا المكتشفين والمخترعين وقدرناهم قدرهم وجب ان لا ننسى العلماء الباحثين الذين كشفوا الغوامض واظهروا اسرار الطبيعة بنور عقولهم. وان قيل انهم لم يستفيدوا مما اكتشفوهُ وبحثوا فيهِ ولا قادهم حبُّ الكسب الى البحث والاستقصاء فذلك فخر لهم يمدحون عليهِ ولا يلامون. والطبيعة لاتبيح باسرارها لمن يخطب ودها قاصدًا الكسب منها. ولا تُعلَم فائدة الحقائق العلمية الاَّ بعد معرفتها وقلما يعرفها من يفتش عن النفع منها. واقل من ذلك ان يجتمع الامران في رجل واحد فيكتشف الحقائق الطبيعية ثم يستخدمها للنفع العام (كما فعل كلفن ووط من قبلهِ). وواضح من ذلك ان هذه الحركة العظيمة التي اوصلت الناس الى هذا الارتقاء المادي اساسها البحث العلمي فهو الذي خفَّف آلام الناس وازال الخوف من الطاعون والكوليرا ومَنْطَقَ الكرة الارضية بمناطق من اسلاك التلغراف وربط القارات بسكك الحديد فقرَّب الابعاد وسهَّل الصعاب ومكننا من الاجتماع في هذا المكان. فليكن تاريخ هذا البحث وارتقاؤُهُ موضوع كلامنا الآن

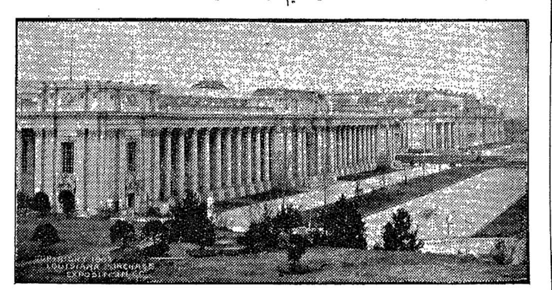
وافاض الخطيب في هذا الموضوع وتخلَّص الى ذكر البلدان التي ارسلت نوابها الى ذلك المؤتمر فأشار اليها بالكناية واحدة واحدة الى ان وصل الى اليابان فوصفها بقولهِ انها امَّة الشرق الاقصى التي تقدمت في نصف قرن تقدمًا لا مثيل لهُ وغيَّرت في آراء الناس العلميَّة لانها افسدت قول القائلين "ان الامم القديمة قد شاخت وقضي عليها ولن تقوم لها قائمة بعد الآن" وختم خطبتهُ بقولهِ لاولئك النواب اننا نرجو ان الهواء الذي استنشقتموهُ في بلادنا يبقى تأثيرهُ في نفوسكم زمانًا طويلاً فيزيدكم همَّةً ونشاطًا في متابعة اشغالكم المختلفة. وإن كانت النهضة العقلية التي تمت في القرن الماضي قد وجدت لها دافعًا جديدًا في هذا المؤتمر يأول الى توحيد العلوم وتوسيع نطاق المعارف بتعاضد خدَّامها فالذين اهتموا بانشاء هذا المؤتمر وتعضيدهِ قد احسنوا في ما فعلوا وكُللت اتعابهم بالنجاح

هذا ونود لو وسعنا المقتطف لنشر خلاصة بقية الخطب التي تليت في ذلك المؤتمر. ويظهر من مراجعة ما كُتب عنهُ وعن المعرض بنوع عام انهُ كان للعلم والتعليم شأن كبير في المعرض ومكان عزيز فيهِ كما يستدلُّ من كثرة المباني المخصَّصة لما يتعلَّق بالعلم وقد نشرنا صور بعضها على الصفحة التالية وكلها من المنشآت الرحبة الفخيمة

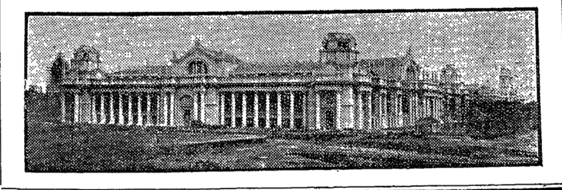




قصر التعليم من جهة اخرى



قصر الكهربائية



قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبلهُ)

(٦) متى أجرى الطبيب عملاً جراحيًا لعبدٍ ولم يتمَّ ما يلزمهُ من التضميد ثم مات العبد بهذا السبب كان الطبيب مستوجبًا العقوبة على تقصيرهِ

(٧) ان عدم الكفاءة يُعدُّ جريمةً

(٨ و٩) مقتضى هذه الشريعة يعدُّ عقابيًا اذ لا يكتفي ان يلزم بتعويض الضرر بل هو يلزم ايضاً بأداء الزيارة

(١٠) قد تقرَّر في شرح هذه الشريعة ان على القاتل ان يؤدي قيمة العبد المقتول او البهيمة الهالكة وايضاً كل ضررٍ تأتي عن ذلك

(١١) من قُتِل عبدهُ فهو بالخيار اما ان يطلب تعويض الضرر بالدعوى المبنيَّة على شريعة اكويليا . واما ان يدَّعي على القاتل دعوى توجب القتل

(١٢) لكن الشق الثاني من شريعة اكويليا مهجور في الاستعمال

(١٣) الباب الثالث من شريعة اكويليا يبحث في سائر الأضرار

(١٤) يجب على الضارّ بحسب هذا الباب ان يؤدي قيمة الشيء كما كانت في مدة ثلاثين يوماً قبل وقوع الجريمة

(١٥ و١٦) قد تقرَّر ان نصَّ هذه الشريعة صريح بانهُ اذا شخصٌ سبَّب لهُ ضررٌ (بجسمهِ) يحق لهُ عادةً ان يقيم دعاوى التعويض على من سبب الضرر بأيّ وجهٍ من الوجوه لكن متى كانت الدعوى غير صريحةٍ ونصّ شريعة اكويليا غير ممكنٍ تطبيقهُ يحكم ان مرتكب الضرر يؤاخذ بما اجترم

الفصل الرابع في التعدِّيات

يُطلَق التعدِّي بالاجمال على كل ما يقع بغير حق ويُطلق بالخصوص على الإجمال وقد يُطلق على الاثم وعلى الظلم

(١) التعدِّي يُرتكب باللكم وبالضرب بالعصا او بالسوط وبان تحجز املاك الرجل كأنَّهُ مديون وهو في الواقع لا دين عليهِ والذي يطالبهُ يعلم انهُ ليس لهُ قِبلهُ شيء . وبان يكتب ويؤلف وينشر أهاجيَّ نظماً او نثرًا فضحاً لانسان او تشنيعاً عليهِ . وبان يساعد بنيَّة رديَّة على ان يفعل احد هذه الاشياء بالمتعدَّى عليهِ . وبأن يجري بدون أدبٍ وراء أمّ

عائلةٍ او صبيٍ او فتاةٍ مراهقين . وبأن يمسّ حياة امرىء . وفي الاخير نقول يرتكب التعدّي بعدّة انواعٍ أُخر

(٢) يلحق التعدّي الشخص اذا نزل بهِ رأساً او باولادهِ الذين هم تحت ولايتهِ او بزوجتهِ . ومتى نزل التعدي بالزوج فليس للمرأة ان تقيم دعوى التعدّي . وللحمِ ان يقيم دعوى التعدّي بالنيابة عن كنّتهِ اذا كان زوجها في ولايتهِ

(٣) ان العبد لا يلحقهُ التعدّي لكن يلحق مولاهُ بسببهِ . على ان ذلك مخصرٌ فيما اذا ارتُكب عمل مخالف يمسّ كرامة السيد صريحاً . على انهُ ان لم ينزل بالعبد الاّ شتائم شفاهية او لكمات فليس للمولى دعوى على فاعل هذه التعديات

(٤) اذا تعدّي احد الناس على حرٍ كان يخدمك خدمةً صادقةً كان لهُ ان يقيم الدعوى على المتعدّي الاّ ان كان باعث التعدي اهانتك

(٥) عقوبة الاعتداء كانت على كسر عضوٍ قصاص دمٍ . وعلى كسر العظم جزاء نقديًّا مسمًّى . واما فيما بعد ذلك فالقضاة يفوّضون الى من اعتُدِي عليهم ان يعينوا هم أنفسهم المبلغ الذي يريدونهُ حتى ان القاضي لهُ ان يحكم على المدعى عليهِ بدفع المبلغ الذي سماهُ المدعي او بدفع مبلغ أقل حسبما يراهُ عادلاً . فقيمة الأرش تزيد وتنقص على حسب منزلة الشخص واعتبارهِ

(٦ و٧) يُعتبر التعدي فظيعاً اما بسبب الفعل واما بسبب المكان واما بسبب الشخص . وموضع الجرح يجعل التعدي احياناً فظيعاً

(٨) من المعلوم ان من يُتعدى عليهِ يجوز لهُ ان يقيم الدعوى اما جنائيةً واما حقيةً وان اقامها حقيةً فبعد أن يعين مبلغ التعويض على الوجه المشروح آنفاً تنزل العقوبة بالمتعدي وان اقامها جنائيةً فعقوبتهُ الخارقة العادة تكون راجعةً الى نظر القاضي

(٩) يؤاخذ بدعوى التعدي من يضرب او ينسبب في ضرب كفٍّ خدَّ احدٍ

(١٠) هذه الدعوى تسقط باهمال إقامتها

الفصل الخامس في العقوبات التي تترتّب على شبهِ الجناية

اذا قاضٍ اقام الدعوى باسمهِ يعتبر كانهُ ارتكب جرماً لجهلهِ ومن ثمَّ يؤاخذ بشبهِ الجناية ويغرم من اجل ذلك المبلغ الذي يستحسن القاضي عليهِ ان يغرمهُ اياهُ

(١) اذا القى او نشر شيئاً يضرّ بالغير من يسكن بيتاً سواءٌ كان مالكاً او مستأجرًا او ساكنًا مجانًا فهذا يعاقب بشبه الجناية . من يضع او يربط في طريق او ممرّ الاشياء التي اذا سقطت يتسبّب عن سقوطها ضرر بالغير فهو مستوجب جزاء نقديًّا قيمتهُ عشر قطع ذهب . واما

الاشياء المطروحة او المنشورة فالدعوى معينة بضعف قيمة الضرر المسبَّب

اما الحرُّ المقتول عرضاً (اي خطأ) فديتهُ خمسون قطعة ذهب . ولكن ان لم يمت فالقاضي يعين المبلغ الذي يراه مناسباً للجرح

(٢) متى اتخذ ابن البيت لهُ مسكناً في غير دار ابيهِ تُقم الدعوى على الابن نفسهِ. وكذلك تقام الدعوى على كل قاضٍ ابن بيت يكون قد اقام الدعوى باسمهِ

(٣) كذا صاحب السفينة او الفندق او الاصطبلات العامَّة يُعدّ شبه جانٍ في الضرر المسبَّب وفي السرقة الواقعة في السفينة او في الفندق او الاصطبلات وفي هذه الاحوال يُعطى الحقّ في اقامة الدعوى للوارث لكن لا تُقام عليهِ

الفصل السادس في الدعاوى

الدعوى حقّ المطالبة شرعاً بما للمطالِب قِبَل المطالَب

(١) من يدَّعي فانما يدَّعي على من لهُ عليهِ حقٌّ سواءٌ كان ذلك الحقّ بعقدٍ او بجريمة. فان كان الحقّ من قِبل العقد او من قبل الجريمة فالدعوى شخصيَّة او يدَّعي على شخصٍ ليس لهُ عليهِ حقٌّ من الحقوق لكن يقوم الخصام بينهما بسبب شيءٍ ما ففي الاحوال الدعوى حقيَّة او عقاريَّة

(٢) كذلك تكون الدعوى حقيةً او عقارية اذا اتجهت على حق استعمال ارض او بنايةٍ او الاستمتاع بهما او على حقّ المرور بارضٍ مجاورةٍ بدابَّة او على حقّ جرّ الماء من هذه الارض كذلك تكون الدعوى عقاريةً او حقيةً متى ادَّعي ان الخصم ليس لهُ حقّ الاستخدام ولا الاستمتاع ولا المرور بدابَّتهِ او جرّ الماء وانهُ ليس لهُ حقّ ان يرفع ابنيتهُ او حقّ النظر او حقّ ابراز الطنف او حقّ ادخال الجوائز في حائطٍ

(٣) ان الدعاوى التي مرَّ لنا الكلام فيها تنسب للشرع المدني . واما الدعاوى الاخرى من عقارية وشخصية فراجعة الى القاضي

(٤) من استلم بسببٍ عادل شيئاً لم يصبح بعدُ مالكاً لهُ ثم فقدهُ اتفاقاً فليس لهُ فيهِ دعوى عقارية او حقية صريحة. غير انَّ القاضي اوجد دعوى يستردّ بمقتضاها كل من فقد شيئاً ادَّعى انهُ كان في يدهِ وان لم يكن ذلك واقعياً

(٥) وبالعكس اذا كان زيدٌ غائباً في سبيل المصلحة العمومية او كان في أسر العدوّ وكان غاصباً شيئاً لعمرو الباقي في المدينة جاز لمالك ذلك الشيء عند رجوع زيدٍ من غيبتهِ ان يستردَّهُ في اثناء السنة وذلك بازالة اليد (اي يد زيد الغائب)

(٦) اذا المديون خدع الغرماء وسلّم شيئاً له الى احد الناس فلأولئك الغرماء الحاجزين املاك المديون ان يستردُّوا ذلك الشيء فيبطل التسليم حينئذٍ

(٧) الدعوى السرفيانية تقام على ادوات المساقي المستعملة لخدمة الارض اذا قصَّر في اداء الاجرة ويحق للغرماء بالدعوى الشبيهة بالدعوى السرفيانية ان يطالبوا بما توثّقوا بهِ من كفالةٍ ورهنٍ

(٨) من خصائص القاضي الدعاوي الشخصية من مثل دعوى المال المعيَّن ودعوى مال الموالي وابناء البيوتات وايضاً دعوى البحث عما اذا كان المدَّعي حلف او لا وغير ذلك من الدعاوي

(٩) تقام دعوى المال المعيَّن على من أنزلوا انفسهم منزلة المديونين سواءٌ كان الدين عليهم او على غيرهم ولا حاجة في ذلك الى التوثق بصكٍّ

(١٠) للقاضي ان يقيم على الاب وعلى المولى دعوى المال الموفَّر من الابن ومن العبد بتمامهِ

(١١) اذا أُقسم شخص بطلب خصمهِ ان المال الذي يدَّعيهِ هو له وانهُ لم يؤدِّ لهُ كان لهُ حقٌّ اقامة الدعوى التي بها يُعرف احلف أم لا

(١٢) للقاضي ان يقيم الدعاوي الجنائية على من حرَّف جزءًا من دفترٍ او سجلٍّ وعلى من ادَّعى على ابيهِ او مولاهُ بدون ان يجازَ لهُ ذلك وعلى من يخطف غصباً الشخص المطلوب للمرافعة او من خطفهُ خداعاً على يد الغير وللقاضي غير ذلك من الدعاوى

(١٣) دعاوى الضرر العقاريَّة يُبحث فيها عما اذا كان شخص حرًّا او محرَّرًا او عما اذا كان ينبغي الاعتراف بولدٍ

واما الدعوى التي يُبحث فيها عما اذا كان شخص حرًّا فهذه من ابواب الشرع المدَنيّ

(١٤ و١٥) تسمى الدعاوى العقاريَّة استرداديَّةً والدعاوى الشخصية الزاميَّةً

(١٦) من الدعاوي ما يكون المدَّعى بهِ فيها شيئاً ومنها ما يكون المدَّعى بهِ فيها عقوبة ومنها ما يكون مختلطاً

(١٧) ان الدعاوى المطلوب بها شيءٌ كلّها دعاوى عقارية لان كل الدعاوي الشخصية تتأتى عن عقد فان ادُّعي بوديعةٍ من قبيل ما يودَع أثناء فتنة او حريقٍ او انهدام او غرقٍ فالدعوى مختلطة

(١٨) اما الدعاوى الصادرة عن الجرائم فمنها ما يُطلب بهِ القصاص فقط . ومنها ما يطلب بهِ القصاص والشيء فمن يقيم دعوى السرقة فانما يطلب القصاص فقط

(١٩) اما الاشياء المغصوبة فالدعوى بها مختلطة . ومن قبيل المختلطة دعوى شريعة

اكويليا في الخسارة المسبّبة عن الضرر . وكذلك الدعوى المقامة على الذين يماطلون في تسليم الاشياء المتروكة للامكنة المكرّمة لكونها وقفاً او وديعةً و يرجئون ذلك الى حين محاكمتهم

(٢٠) يظهر انهُ تقع دعوى مختلطة من عقارية وشخصية وذلك كالدعوى المسماة التقسيم العائلي والدعوى المسماة التقسيم العمومي ودعوى التخوم

(٢١) الدعاوى اما مفردةٌ واما مزدوجة واما مثلثةٌ واما مربعة

(٢٢) تكون الدعاوى مفردةً متى صدرت عن شرط او اتمام قرض او اجارة او وكالة وعن أسباب أُخر

(٢٣) تكون الدعاوى مزدوجةً متى نشأت عن سرقةٍ مستترة وعن خسارة مسببة عن ضرر . وعن شريعة اكويليا . وعن الوديعة في بعض الاحوال . وعن افساد العبد . وعما أُوصي بهِ او وُقف على الامكنة المكرّمة

(٢٤) تكون الدعاوي مثلثةً متى ذكر في نص الطلب اكثر مما على المدَّعى عليهِ وذلك لكي ينال منفذو الحكم على سبيل الجُعل مبلغاً اكثر مما يستحقون

(٢٥) الدعوى المربّعة هي دعوى السرقة الصريحة والدعوى المسببة عن الخوف والدعوى المسببة عن مال أُعطي اما لاقامة نزاع خبيث او لعدم اقامتهِ على شخص ما

(٢٦) اما دعوى السرقة المستترة ودعوى افساد العبد فهما مزدوجتان في كل الاحوال . واما دعوى الخسارة المسببة عن الضرر وعن شريعة اكويليا فكلتاهما تصير مزدوجةً بمجرّد الانكار . وقد تكون احياناً دعوى الوديعة مزدوجةً بالانكار وتكون مفردة اذا أُقيمت على المقرّ . ودعوى الاشياء المتروكة للاماكن المكرمة هي مزدوجة في حالة الانكار بل في حالة المطل في الدين حتى في الوقت الذي تبتدىء فيهِ المحاكمات بأمر القضاة

(٢٧) دعوى من كان قد أُقامها بسبب الخوف تختلف عن الدعاوى الاخر . وبيان ذلك انهُ اذا رُدَّ الشيءُ نفسهُ بأمر القاضي الى المدَّعي يبرأُ المدَّعى عليهِ

(٢٨) بعض الدعاوي يصدر عن نيّةٍ سليمة وبعضها عن حقّ محضٍ فالتي عن نيّةٍ سليمة هي دعاوي البيع والاجارة والاشغال المتعاطاة والوكالة والوديعة لاجل الشريك والوصاية والاتفاق العربوني والتقسيم العائلي والصك المتبع نصهُ . والتي تنشأُ عن عقد التثمين مثل الناشئة عن المقايضة وطلب الميراث

(٢٩) دعوى رجوع الزوجة كانت قديماً احدى دعاوي النيّة السليمة لكن لما كانت هذه قد أُسقطت واستبدلت بدعوى الشرط وكان يجب ابقاء صفة النيّة السليمة لدعوى استرجاع

المهر صارت دعوى الشرط صادرة عن نيَّة سليمة ولكن فيما يتعلق بهذا الاسترجاع فقط ٠ وقد جعلنا حقَّ الرهنية المستترة لذلك الاسترجاع

(٣٠) في دعاوى النية السليمة قد استحسن ان تطلق يد القاضي في ان يقدِّر بمقتضى قواعد الانصاف المبلغ الواجب ردهُ الى المدعي ٠ اما قانوننا فيكتفي بالتعويضات المبنية على حقٍّ بينٍ لاريب فيهِ فتنقص الدعاوي على نسبة تلك التعويضات ماخلا دعوى الوديعة

(٣١) وقد بقي بعض دعاوي ندعوها اختيارية اي متعلقة باختيار القاضي . وهي اما عقارية واما شخصية

(٣٢) يجب على القاضي ان يدقق النظر على حسبما يتعلق بهِ ان يصدر حكمهُ في مبلغ من النقود او في سلعةٍ معينةٍ حتى ولوكان الكلام في قيمة غير معينةٍ

(٣٣) ان من وهو يقيم دعوى طلب اكثر مما يحقُّ لهُ خسر دعواهُ يطلب اكثر من اربعة أوجه في شأن الشيء وزمانهِ ومكانهِ وسببهِ . فاذا طلب اكثر من شأن الزمان فقانون زينون الشريف الذكر قد صرَّح بما يجب ان يحكم بهِ لكن اذا كان هذا في شأن الكميَّة او سائر الاوجه الاخر فالمدَّعي يغرم بأداء مبلغ يساوي ثلاثة امثال الضرر الذي سبَّبهُ للمدَّعى عليهِ بمغالاتهِ في دعواهُ

(٣٤) المدعي الذي يطلب أقلَّ ممَّا يحقُّ لهُ فهو في مأمنٍ من التغريم

(٣٥) ان ادعى زيدٌ شيئًا مكان شيء وانجلت الحقيقة اثناء التحاكم يجوز للمدَّعي ان ان يصلح خطاءهُ

(٣٦) من الدعاوى مابهِ تارةً يطالب بالكلِّ وتارةً بالأقلِّ ٠ وذلك كالدعوى على مايوفرهُ الولد او العبد فالقاضي يحكم بالمبلغ الموفَّر

(٣٧) ايضًا نحن نريد ان المرأة متى أقامت دعوى المهر التي لايحكم فيها على الزوج الأ بالمبلغ الذي يمكن ان يؤَديهُ ان مبلغ المهر المسترد يسقط منهُ ما يؤخذ رسماً على حبس المهر

(٣٨) متى اقام الابن دعوى على ابيهِ او العبد دعوى على مولاهُ ومتى اقام الشريك دعوى الشركة على شريكهِ فليس للمدعي اكثر مما يمكن ان يؤدي المدعي عليهِ ٠ وكذا الحكم بخصوص من يطالب شخصاً بما يكون قد اعطاهُ اياهُ

(٣٩) التعويضات المقابلة على المقاصة تجعل كلاًّ من الفريقين يأخذ اغلب الاحيان اقلَّ مما يجب لهُ

(٤٠) متى المديون سلم املاكهُ للغير ثم أيسر فلغرمائهِ ان يقيموا الدعوى عليهِ ٠ لكن

لايجوز ان يحكم عليهِ الاَّ بالمبلغ الذي يمكنهُ ان يؤديهُ حينئذٍ

الفصل السابع فيما يقال في اعمال من هو تحت ولاية الغير

(١) متى اشترك زيد في عمل مع عبدٍ متصرف بأمر مولاه' اجاز القاضي اقامة الدعوى في الكل على المولى

(٢) وبهذا السبب عينهِ تحصل دعوى الاستعمال . متى وكّل الرجل عبده' بادارة سفينة كأنهُ مولى على كل ما اتُّفق عليهِ في شأن الشيء الذي وكّل بادارتهِ . والدعوى التأسيسيّة تحصل عند ما يوكِّل الرجل عبده' بادارة دكان مثلاً او بتجارةٍ أُخرى كائنةٍ ما كانت على كل ما تعهد بهِ العبد بسبب الشيء الذي توكَّل بادارتهِ

(٣) ان القاضي يقيم ايضاً الدعوى بالغرامة او الضريبة ولا شك انهُ متى تعاطى العبد عملاً لزيادة مالهِ وكان ذلك بعلم مولاه' فكل ما يعقد عليهِ لاجل هذا العمل فهو تحت سلطة القاضي الذي يحكم ان سلع هذه التجارة بأسرها وكل ما ينشأُ عنها من ربح يكون مقسوماً بين المولى ان كان لهُ شيء وبين الغرماء على نسبة حقوقهم

(٤) زد على ذلك انهُ تقام دعوى مايدخره' العبد وبما يكون المولى قد اخذه' منهُ ويجعل في جملة ما يكون المولى قد قبضهُ من النفقات الضرورية التي انفقها العبد في منفعة مولاه' . ولو كانت الدعوى على ما يدخره' العبد وعلى ما يكون قد قبضهُ المولى دعوى واحدة فهذه يحكم فيها حكمان اما في البحث عن قيمة المال المدَّخر او الموفر فيُسقط قبل كل شيء ماعلى العبد لمولاه' او لمن هو في ولاية مولاه' واما ما يبقى بعد ذلك فهو المال الموفر الذي للعبد الحق فيهِ

(٥) لاريب ان من يعقد معهُ العبد عقداً بأمر مولاه' ومن لهُ حق اقامة الدعوى التأسيسيّة او الاستعماليّة يجوز لهُ ان يقيم دعوى ما يدخره' العبد وما يكون قد قبضهُ المولى . ولكن الاصلح لهُ ان يقيم تارةً دعوى الغرامة وتارةً دعوى ما يدخر العبد وما قبض المولى وبناء عليهِ فيجب على كل غريم دائن ان يختار واحدةً من هذه الدعاوي على حسب ما تقتضيهِ مصلحتهُ

(٦) ان ما قلناه' ينطبق على الابن والبنت والحفيد والحفيدة والاب او الجد الذين هم تحت ولايتهِ

(٧) ان مرسوم مجلس الاعيان المقدوني يمنع اقراض المال ممن هم تحت الولاية الابوية ويرد كل دعوى يقيمها المقرض

(٨) اعلم انهُ في كل عهدٍ معقود بامر الأب او المولى او من يكون الربح عائداً اليهم او لمصلحتهم يجوز ان تقام دعوى الالزام على الأب اوعلى المولى صريحاً فينتصب كلٌّ منهما خصماً للمدعي

الفصل الثامن في جنايات العبيد

ان المولى المحكوم عليهِ بسبب جناية العبد يخيَّر ان يؤدي المبلغ المحكوم بهِ جزاء وبين ان يسلم العبد في جنايتهِ

(١) الجاني مرتكب الذنب والجناية هي الذنب نفسهُ

(٢ و٣ و ٤) دعاوي جنايات العبيد مقرَّرة اما بالشرائع او بأمر القاضي

(٥) كل دعوى من دعاوي جنايات العبيد تلحق فاعلها

(٦) اذا جنى عبدٌ على مولاهُ فلا تقام في ذلك دعوى . واذا عبد الغير جنى عليك ثم صار تحت ولايتك فتمتنع الدعوى

(٧) قد استحسنَّا ان نفتح سبيلاً للدعاوي المتسببة عن جنايات العبيد الاَّ فيما ينحصر في العبيد . ولقد وجدنا انهُ تقرَّر مراراً ان ابناء البيوتات يجوز ان يحاكموا شخصيًّا على جناياتهم

الفصل التاسع في الضرر المسبَّب عن العجماء

أما العجماء فاذا أتلفت شيئًا عندما تشتد عليها شهود السفاد او متى ذُعرت او متى اخذت منها الضراوة مأخذها جاز حينئذ اقامة الدعوى الجنائية . على ان هذه الدعوى لا تحصل ما لم تخرج العجماء عن طبعها لكن اذا القساوة الوحشية لم تتعدَّ حدَّها فلا دعوى والاتلاف ضرر مسبَّب بلا تعدٍّ(١)

(١) اعلم ان مرسوم اعضاء البلدية يحظر علينا ان نضع في ممرّ كلبًا او خنزيرًا ذكرًا او خنزيرًا وحشيًّا او دبًّا او اسدًا . واذا اذن في ذلك خلافاً لهذا الحظر وتأتى منهُ ضررٌ لحرّ فيحكم على صاحب الحيوان بان يؤدي المبلغ الذي يراهُ القاضي عادلاً ومناسبًا . واما في كل ما سوى هذا من الاضرار فيحكم على صاحب الحيوان بان يؤدي مبلغ الضرر مضاعفًا . ان الدعاوى ولا سيما الدعاوى الجزائية المتسببة كلها من فعلٍ واحدٍ لا تبطل احداها الاخرى

---

(١) في الفقه الاسلاميّ « جناية العجماء جبارٌ » يعني ان الضرر الذي يحدثهُ الحيوان بنفسهِ لا يضمنهُ صاحبهُ لكن لو نظر احدٌ حيوانهُ يتلف شيئًا ولم يمنعهُ ضمن قيمة ما اتلف الحيوان . ولو كان لرجل حيوان تخشى مضرَّتهُ كالكلب العقور والثور النطوح والجمل الصائل فأُشهد على صاحبهِ انسانٌ من اهل المحلة او القرية ولم يمنعهُ ضمن صاحبهُ كل ما يتلفهُ ذلك الحيوان بعد ذلك وفي شرح الجامع الصغير « رجل ارسل كلبًا فاصاب في فورهِ انسانًا فقتلهُ او مزَّق ثيابهُ ضمن المرسل وهو المختار للفتوى » . كل جنايةٍ احدثتها الدابة في الطريق العامّ موقوفةً او مربوطةً فيضمن صاحبها جنايتها بناءً على ان لا حقَّ لهُ ان يقف دابتهُ او يربطها في الطريق العامّ

القوة والجمال

والاحتفاظ بهما

ملخصة من مجلة العلم العام الاميركية

اذا استطاع الانسان ان يحتفظ بما اودعتهُ الطبيعة من الجمال[1] الى ما بعد الزمان الذي تزول نضارة الشباب فيهِ ويأخذ ذلك الجمال في الانحلال فذلك مما لا يضيع فيهِ جهد الباحث ولا يذهب تعبهُ سدًى. ولا يؤخذ من هذا القول انهُ يمكن حفظ بضاضة الجلد ونعومتهِ ولونهِ ولون الشعر الى ما بعد الكهولة اذ تلك المزايا من مزايا الشباب ولا بدَّ ان تفارق الاجسام بمفارقتهِ فكلُّ ما يبذل من الجهد في هذا السبيل لا يأتي بطائل. نعم ان عناية الانسان بجسمهِ واقتصادهُ في قواهُ واعتدالهُ قد تؤخر تغضُّن جلدهِ ولكن لا بد ان يحول لونهُ متى حان الاوان. وليس ذلك بالامر المستنكر المستهجن اذ هو من قبيل وضع الشيء في محلهِ فان ما يليق بالشاب لا يليق بالكهل والحكمة تقضي على كلٍّ ان يجعل منظرهُ ملائمًا لسنّهِ

على انهُ يمكن تأخير الطوارىء والتغيرات التي تطرأُ على شكل الجسم وموازنتهِ وحركاتهِ في المشي والجلوس والنهوض وتناسب اعضائهِ وغيرها مما ينشأُ عن اهمال التدابير الملائمة. فان التاريخ ملآن بذكر اناس ادركوا الحقائق المتقدمة فعُرفوا وهم متقدمون في السنّ باعتدال قاماتهم وخفة حركاتهم وانتظامها وتناسب اعضائهم. وما من احد الاَّ ويعرف رجالاً ونساء بلغوا من الكبر عتيًّا وصار لهم الاولاد والاحفاد ومع ذلك بقي لهم الشيء الكثير من محاسنهم الأُولى

كان معظم الناس الى عهد قريب اذا بلغ احدهم او احدهنَّ سنَّ الخامسة والثلاثين او الاربعين رغب عن الملابس الباهية الزاهية نخلعها وارتدى الملابس البسيطة القاتمة بدلاً منها كأَنهُ يحدُّ على شبابهِ وذلك لانهُ اذا انحصرت واجبات الزوجين في دائرة منزلها واصبح معظم همهما تربية اولادهما قلَّ تفكيرهما في المحافظة على الامور التي تكفل إدامة الشباب ومحاسنهِ لهما. ولكنَّ الحالة تغيرت الآن فصار الناس صنفين صنف الشباب وصنف الشيوخ. اما الكهول فدرجوا ضمن الصنف الاول حتى صاروا يعدون منهُ. وبناء على ذلك انصرفت العناية الى ادامة الشباب والمحافظة على محاسنه ما استطاع الناس الى ذلك سبيلاً

---

(١) ان الجمال الذي يريدهُ كاتب هذه المقالة هو نفس ما ورد في تعريف بعضهم للجمال تمييزًا لهُ عن الحسن حيث قال ان الحسن يلاحظ لون الوجه والجمال يلاحظ صورة اعضائهِ. بل ان هذا الكاتب يذهب الى ابعد من ذلك و يريد بالجمال جمال اعضاء الجسم كلهِ لا الوجه وحدهُ

ولا ينكر على الزوج رغبتهُ ان يرى زوجتهُ متمتعة زمانًا طويلاً بالصفات والمزايا التي شوقتهُ الى اختيارها زوجة لهُ · وحسن الوجه وجمال القدّ هما الصفتان اللتان عليهما مدار الزواج ولكنهما تختلفان باختلاف الاذواق · ومن المشاهد ان الزوج كثيرًا ما ينتقي زوجتهُ لا لحسن حازتهُ ولا لجمال انفردت بهِ بل لتمازج بين الروحين وتلاؤُم بين الطبعين ولكن الملاحة [1] هي المرجع الاخير في كلّ حال

والناس مختلفون في ماهية المليح والقبيح باختلاف اقاليمهم وعاداتهم وازيائهم · ولكننا اذا صرفنا النظر عن الفرق الشديد بين اذواق المتوحشين كاهالي اواسط افريقية ووادي الامازون والمتمدنين كاهالي نيويورك وباريس رأينا انهم متفقون على قواعد معلومة يجرون عليها الاَّ في احوال نادرة . ولو جئنا نبحث في الوجه وملامحهِ وتقاطيعهِ لضاق بنا المجال ولكننا نحصر كلامنا في القد وشكلهِ وحركاتهِ لان جمال القد هو الجمال الذي في طوقنا المحافظة عليهِ اكثر من غيرهِ فنقول ان اعتدال القامة وسهولة حركة الجسم هما اساس جمالهِ ولا بدَّ لذلك من ان يكون الظهر عموديًّا والبطن غير بارز ولا مترهل كما في السمان او الذين عضلاتهم مرتخية والكتفان غير مرتفعين والاضلاع على زوايا قائمة مع العمود الفقري والرأس قائمًا على عنق مستقيمة مستديرة منحنية الى الامام قليلاً واذا مدّ خطٌّ عمودي من مؤخر الرأس وقع وسط الكتفين . فاذا اجتمعت هذه الصفات في انسان أمكن تدقيق خصرهِ من غير ان يلحق الجسم ضرر

واذا كان الحوض مستويًا والفقرات التي فيهِ مستقيمة كان عمل الجدار البطني صحيحًا فدعم الاعضاء المرتخية التي ضمنهُ وبقي الخصر دقيقًا · ولا يكون الخصر الدقيق جميلاً الاَّ اذا كان بروز الوركين مما يليهِ قليلاً . ولكن اذا كان بروزهما كثيرًا ظهر الخصر مثل خصر النحلة وارتخت انسجة البطن والخاصرتين والظهر وضعفت اعضاء الهضم والاعضاء الرئيسة الاخرى وفقد القدُّ جمالهُ باكرًا · ويجب ان يكون الصدر عريضًا ممتلئًا والترقوتان غير ظاهرتين والاَّ كان ظهورهما دليلاً على ارتخاء عضلات الصدر والكتفين والظهر وعلى ان قمتي الرئتين لم تتسعا الاتساع الكافي · ويجب ان تتدلى الذراعان بسهولة من الكتفين وتقع الكفان امام الوركين واقل عسم في الذراعين او الكتفين او الكوعين يذهب برشاقة القدِّ . ويجب ان يكون الجذع عند المشي مستويًا والصدر بارزًا قليلاً فتتحرك الركبتان بسهولة ويقلُّ الضغط عن العقبين . واذا كان الماشي يضرب الارض بعقبيهِ فقد الجسم رشاقتهُ . ويجب ان يكون خطران الذراعين

(١) يراد بالملاحة الحسن والجمال معًا

عند المشي مائلاً الى الامام نحو خطٍ عمودي يمرُّ في وسط الجسم . وميلهما في خطرانهما الى وراء الظهر عيب قبيح يجب اجتنابهُ بارجاع الرأس الى الوراء بحيث يقع طرفا الاذنين فوق رأسي الكتفين

ومن اهم الامور للمحافظة على الجمال اعتياد الاقتصاد في جميع القوى الطبيعية واجتناب الاسراف فيها وقت الانهماك في مشاغل الحياة. وقد يعترض على ذلك بانهُ يكاد يستحيل على المرء ان يترك اعمالهُ واشغالهُ ويتفرغ للاهتمام بنفسهِ والمحافظة على قواهُ صوناً لها من الاسراف . وجواباً عن هذا الاعتراض نقول ان الاقتصاد في قوى الجسم لا يستلزم ترك الاعمال والاشغال كما يخيَّل للمعترض . بل يتوصل الى الاقتصاد المذكور بان يوجّه المعلمون والوالدون عنايتهم الى الاولاد الذين يوكل امر تربيتهم اليهم ويمرنوهم على رباطة الجاش وسكون البال في مصائب الدهر وغيَرَ الزمان . والحق يقال ان السلامة من الاحزان والكوارث لا تسمو بالنفس الى المراتب العليا ولا ترقي العقل في الفضيلة بل تربي في المرء خلقاً تنقصهُ الاوصاف الجوهرية التي تدني النفس من الكمال وتكسب الوجه حسناً رائقاً . والصبر والثبات وغيرهما من الصفات التي تكوّن الاخلاق كل هذه لا تنمو في المرء وهو ملازم الهدوء والسكينة في المعيشة . ثم ان الاشغال والاعمال ومصاعب الحياة لا تضرُّ الجسم ولا النفس الاَّ اذا اثرت فيهما تأثيراً يورثهما الضجر والقلق و يفضي بهما الى النكد او اليأس

واعظم عوامل الاقتصاد في القوى الحيوية المحافظة على القوة العصبية . وانفاق هذه القوة على نوعين اما مباشرة واما بواسطة . فالاول أبسط واقلُّ ضرراً وامثالهُ ان تجهد عضلات ذراعك عند رفع ثقل ما الى حدّ ان تنفق من القوة العصبية ضعف ما يقتضي رفع الثقل حقيقة . والثاني اعمُّ من الاول وهو ان تجهد من عضلاتك اكثر مما يلزم لعمل عمل ما فتنفق القوة العصبية سدًى . ولا بدَّ ان يتخلَّل الاعمال العضلية فترات ترتخي العضلات فيها بعد طول انقباضها فتسترد قوتها التي انفقتها والاَّ كلّت عن العمل . مثال ذلك اذا شرع رجلان في عمل يقتضي تعباً واحداً وجرى احدها على مبدإِ الاقتصاد في القوى ولم يراعهِ الآخر فان الاول يتمهُ وهو لا يشعر بتعب والثاني يتمهُ وهو متعبٌ معيٍ. والانسان يدرّب جهازهُ العصبي من المهد الى اللحد نخيرٌ ان يكون عملهُ دقيقاً يراعى فيهِ جانب الاقتصاد من ان يفرّط فيهِ. وشرٌّ من الافراط التفريط . وكلاهما يفضيان الى اطفاء سراج الحياة وتقويض اركان الجمال

واول ما يجب الانتباه اليهِ لاطالة زمن الحسن والجمال المحافظة على مرونة انسجة الجسم. وعليهِ يمكن ان تحدَّ الشيخوخة بانها طور تصلُّب الانسجة . ومنع ذلك او الشفاء منهُ يقومان

باستعمال حركات الجسم الطبيعية استعمالاً قانونيًّا . فاذا كانت اعمال الانسان تجري على وتيرة واحدة بلا تغير او كانت محدودة او غير ملائمة في نوعها وصفتها تصلبت الانسجة قبل الاجل المعتاد . واذا كانت عضلات الجسم لم تتناسق ولم تنمُ النموَّ الكافي ظهرت تلك التغيرات باكرًا وكانت اكثر وضوحًا

وكثيرًا ما يعدُّ الشيوخ طور الشيخوخة شرًّا يخاف او آخرةً تبكى وتندب ولكن الفلسفة تناقض ذلك ثم اننا نعرف اناسًا كثيرين بلغوا طور الشيخوخة ولا تزال وجوههم تفيض بشرًا وقلوبهم تطفح رضىً وسرورًا . فان الشيخوخة في الانسان تاج اكرام واحترام ولهُ ان يزين ذلك التاج او يشينهُ . اما المرأة التي تتقدم في السنّ فانها ان كانت من اللواتي ينظرن الى ظواهر الاشياء دون بواطنها عدّت الشيخوخة مثل بئر ختم بابها ولم يعد يرى ما فيها فمالت الى اهمال جسمها ولباسها . فلتقاوم هذا الميل لانهُ ذنب الى الله ومواهبهِ الحسان . فان كثيرات من النساء اللواتي بلغن الستين والثمانين بقين ملكات في المحافل التي كن يترددن عليها

والحسان بين النساء قلال واقل منهنَّ اللواتي يستطعن المحافظة على ما قسم لهنَّ من الملاحة الى ما بعد الزمان الذي تذوى فيهِ نضارتهن عادة . ومن الحقائق الفسيولوجية المقررة ان الملاحة يمكن ان تزاد لصاحبها ولكن لا بدَّ من التذرُّع بالفطنة والحكمة لبلوغ ذلك . وقد يتفق ان الطبيعة تخص فردًا بكثير من مقومات الملاحة ولكنهُ يسيء التصرف فيها . وربَّ سائل يسأل هل تزاد الملاحة بالوسائط الصناعية وهل تمكن المحافظة عليها الى ما بعد سن الكهولة . والجواب نعم وتمكن زيادتها كثيرًا حتى في الذين لم يكن لهم حظٌّ وافر منها ايام الصبا والمحافظة عليها حتى الموت . وذلك يتمُّ بالمواظبة والصبر واحتمال بعض الالعاب البدنية والالمام بقوانين الصحة والطعام والراحة والنوم والاستحمام والاعتناء بالجلد والاسنان والشعر والظواهر الخارجية من ملبس وما اشبه . وقد يخيل لكلٍّ منا انهُ يعرف الشيء الكافي عن هذه الامور ولكنهُ اذا رام البحث فيها مفصلاً رأى انهُ يجهل كثيرًا منها

واول ما اوجه الخواطر اليهِ في هذا الشأن ان جمال القدّ يتوقف على حسن اتصال العظام بعضها ببعض ومرونة الانسجة . ولا بدَّ لحفظ موازنة الجسم من مرونة العضلات وسهولة حركة اربطتها وحركة الاوتار . وكلما تقدم الانسان في السن واخذت نتائج الامراض والملاذ تظهر عليهِ اشتدَّ العناء على بعض الاعضاء الحيوية مثل الاوعية الدموية والاعصاب فاضطرب سير الدم ومجرى الاعصاب في الجسم حتى اذا جاوز سنَّ الكهولة كان بعض اعضائهِ الحيوية معطلاً وكثير من انسجتهِ فاقدًا بضاضتهُ وغضاضتهُ . فلا تعود العين والاذن والدماغ مثلاً تتناول

مايكفيها من الغذاء فيكفُّ البصر او يكل وينبو السمع ويبلد الذهن الاَّ اذا بقيت انسجة العنق كلها لينة غير متيبسة

والرياضة البدنية خير الوسائط لاتقاء ذلك ولكن الناس مختلفون في نوع الرياضة التي يحتاجون اليها فما يصلح منها لزيد قد لايصلح لبكر . فانك اذا قلت لرجل طاعن في السن شوَّهت الايام والاسقام اعضاءهُ وحدَّبت ظهرهُ ويبست مفاصلهُ ان ينتصب امامك ويرجع كتفيهِ الى الوراء ويرفع رأسهُ فانك انما تنادي غير سامع وتأمر غير طائع . ولا بدَّ لك قبل ذلك ان تبين عيوب بنيانهِ الخصوصية وتصلح الانسجة الضعيفة او المنكمشة . والانكماش يصلح بالمطّ والدلك المتكررين . والمرونة تتأتى بتحريك اعضاء الجسم مثل الذراعين والكتفين والعنق والرجلين والظهر والحقوين واعضاء البطن

ومما يجب ذكرهُ ان الرياضة لازمة غالبًا لتطهير الدم وما يتبعهُ من تغيرات الخلايا ولابقاء اعضاء الجسم سائرة سيرها الطبيعي ولنومهِ نومًا هنيئًا . ومن الممكن ان تسير تغذية الجسم سيرًا طبيعيًا في بعض الناس مدة طويلة وفي احوال معلومة وهم لا يروّضون اجسامهم الاَّ قليلاً . ولكن اهمال الرياضة خطر عظيم . ومن الناس من يقول ان اجهاد القوى العقلية كافٍ لدفع اعضاء الجسم الى اتمام وظائفها مثل الرياضة البدنية وهذا صحيح . فان بعضهم يكتفي بالحديث المسلّي والضحك وسماع الآلات الموسيقية وعليهِ فان صحة هذا البعض تقوم بالاقتصار على الرياضة العقلية دون البدنية ولكن على شرط ان تكون احوال المعيشة صحيَّة مطردة ووظائف الجسم منتظمة فلا تحمل فوق طوقها ولا يطرأ على الجسم خلل في تغذيتهِ يتطرق الفساد بهِ اليهِ

ولكن الرياضة المنتظمة مفيدة في الصغار والكبار لحفظ صحة العقل والجسد على اتمها . وكثيرًا ما يعترض في سبيل الجسم عوارض توقع الخلل والاضطراب في نظام حركاتهِ وتحوّلها عن مجراها الطبيعي . واول تلك العوارض عيوب خلقية في بناء الجسم يكون بها بعض اعضائهِ اقوى من البعض الآخر فيُتعب القويُّ منها الضعيف عند العمل معًا . وثانيها اللباس فكلما اشتدَّ ضغط الملابس لعضو من اعضاء الجسم تغيَّر تركيبهُ وقلَّ نموُّهُ . وهناك مؤثرات أُخرى تؤثر في شكل الجسم وحركتهِ مثل العادات والازياء واجهاد القوى او عدم اجهادها والصنائع والحرف . خذ مثالاً لحرف التعدين فان المعدّن (اي العامل في المناجم لاستخراج المعادن من الارض) يضطرُّ ان يضطجع على الارض او ينحني الى الامام ساعات كثيرة وهو يعمل ويجهد قواهُ فيشوّه ذلك شكل جسمهِ كثيرًا . غير ان تحركهُ المستمر يمنع الاعضاء ان تفقد مرونتها سريعًا كما في الحرف التي لا تدعو الى حركة كثيرة

اما الطعام فلما كان تأثيرهُ في الصحة عظيماً فان تأثيرهُ في الملاحة اعظم · واول ما يجب الالتفات اليهِ في هذا الصدد الاسنان فان على العناية بتنظيفها مدار الامر كلهِ غالباً · ومن الغريب ان امراض الاسنان بين المتمدين كثيرة مع شدة عنايتهم باسنانهم وحرصهم على نظافتها · وكثير من هذه الامراض وخصوصاً امراض اللثة سبب لسوء الصحة حتى بين الطبقة العالية من الناس

واهم شيء في المحافظة على صحة اعضاء الهضم كية الطعام وكيفية تناولهِ لا نوعهُ وماهيتهُ وخير قاعدة لاختيار الطعام ان يأكل الانسان مما حضر برضى منقاداً بالقابلية الطبيعية · ولابدَّ في اختيار نوع الطعام وكميتهِ من مراعاة حالات الجسم المختلفة من تعب وانفعال ورياضة وقعود وما اشبه . ولا يجوز ان يأكل الانسان لقمة واحدة تزيد عما تشتهيهِ نفسهُ الاَّ في احوال مرضية خصوصية بأمر الطبيب بها · ويجب ايضاً مراعاة السنّ فان قليلاً من الطعام يكفي الكهل والشيخ لان الطعام يؤكل في هذا السن لحفظ الحياة لا لبناء الجسم ما لم يطرأ على الجسم مرض طويل معيٍ يقتضي اصلاح ما فسد وبنيان ما تقوَّض . واول شرط في الطعام نظافتهُ ثم بساطتهُ · اما التأنق في علاجهِ واستكثار الاقوات واستجادة المطابخ فمن الامور العرضية الثانوية بل الوخيمة العاقبة لان الاكثار من البهارات والتوابل ومطيبات الطعام يعطل قوة الهضم ويفسد حاسة الذوق

ولنا كلمة في المشد (الكورست) بعد ان بات في هذا الزمان من الضروريات للنساء حتى صار النهي عنهُ بلا طائل ولا جدوى . فان كان الغرض من لبسهِ اظهار كسم الملابس حول الخصر جرياً على قواعد الزي الحديث فلا بأس بهِ ولكن ان كان الغرض منهُ دعم الانسجة البطنية فلا حاجة الاَّ اذا كان هناك عيب في بنائها . وان كان الغرض منهُ تحسين القد فالمرأة ذات البنية القوية والتركيب الحسن لا تحتاج الى وسائط صناعية لتحسين قدّها والشاهد على ذلك ان البنت الجميلة القوام لا تلبس المشدّ اذ ترى انها ليست في حاجة اليهِ · وعليهِ فان اللواتي يصررن على لبسهِ يعترفن ضمناً ان قدودهنَّ مشوَّهة · وتشويه القدّ اما طبيعيٌّ واما اكتسابيٌّ فان كان الاول فليلبسنَ المشدّ اذا كان لا بدَّ لهنَّ من اتباع الازياء الحديثة وان كان الثاني فهو ناشئ عن عدم الاعتناء بهيئة الجسم في الجلوس والنهوض والانتقال او عن القعود او النَّهم او عن هذه الثلاثة معاً . وهذا مما يمكن الشفاء منهُ بالعزم والثبات كما يمكن الشفاء من الامراض العادية

ثم ان النساء صنفان صنف لهُ ظهور قصيرة وصنف لهُ ظهور طويلة فالمرأة ذات الظهر

الطويل والخصر الطويل او التي بين صدرها وجذعها فسحة واسعة لا يضرُّ المشدُّ بها مثلما يضر بالمرأة ذات الظهر القصير لان معظم ضرره ناتج عن ضغطهِ لاجزاء الرئتين السفلى واعاقتها عن عملها وذات الظهر الطويل لا يضغط المشد رئتيها لارتفاعهما عنهُ . والمرأة التي ظهرها قصير وخصرها طويل لا بأس اذا لبست مشدًّا واطئًا ضيقًا اما التي ظهرها قصير وخصرها قصير ايضًا ولين فان المشد يضر برئتيها وكبدها وكليتيها ومعدتها بضغطهِ لها فتهبط نحو البطن وينشأ عن ذلك اسقام وامراض كثيرة في هذه الاعضاء وفي اعضاء الولادة ايضًا

العمي يبصرون والصمُّ يسمعون

لورا دوي بريد جمن

من مقالة للسيدة جوليا وردهو

ولدت لورا دوي بريد جمن في هانوفر من البلاد الاميركية في الحادي والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٢٩ وحين ولادتها لم يعرف لها نقص في مواهبها الجسمانية الاَّ انهُ في الثالثة من عمرها اصابتها الحمى القرمزية الحادة فافقدتها نظرها وسمعها وقسمًا كبيرًا من ذوقها وشمها فاكتأبت وتشعبتها الهموم. على ان توقد طبعها ربما حملها على الاعمال السيئة في بعض الاحايين . ولما زار الدكتور هَوْ والديها ورآها ضئيلة عاجزة عزم على القيام بما يمكنهُ من امر تعليمها . فاخذها الى دار العمي في بوستن في الثامن عشر من كانون الاول سنة ١٨٣٧ واضعًا امام عينيهِ امرًا لبكًا ومشكلاً مستعجمًا — تعليم انسان اسدل جسمهُ على عقلهِ ستارًا فلم يترك لهُ كوة يشرف منها على الكون فيعرفهُ كما نعرفهُ نحن معاشر الاصحاء

ولم يتعرض التاريخ لسابقة مثلها يهتدي بها الدكتور هَوْ الى ما يمكن ان يعمل في سبيل تنبيه لورا وايقاظها . لذلك كان يخيل لمن عرفها انهُ قضي عليها بالظلام المدلهم والسكون الدائم

وكان اول ممكن يعملهُ لها ان يعلمها وجوب الطاعة ومراعاة القواعد فكان يحدوها على الجلوس على كرسيها ساكنة في اوقات معينة وعلى الرياضة البدنية في اوقات اخرى لتقوى عضلاتها ويحسن استعمالها . ثم صار بعد حين يلصق اوسمة ذات كلمات نافرة ببعض الاثاث الذي تدل عليهِ كالملعقة والكرسي مثلاً وكان يحمل تلميذتهُ هذه على تتبع تلك الحروف باصبعها ويعلمها ان تجس الموسومات لتعرف صورتها وحقيقتها فاصبحت بعد حين قادرة على التفريق بين الاوسمة في بعضها . ثم ارتقى بها الى ان صار يعطيها الاوسمة وحدها فتضعها على

موسوماتها من الاثاث من غير ان ترى علاقة عقلية بينها . ثم صار يناولها حروف الكلمات الموجودة في الاوسمة مرتبة كما تكتب حتى اصبحت قادرة على تهجية بعض الاسماء كالكتاب والمفتاح مثلاً فاعطاها الحروف ممزوجة بعضها ببعض واشار اليها ان ترتبها اسماء تناسب المسميات

وكان قد علمها حتى نهاية ماوصلنا اليهِ تقليداً آليًّا محضاً الاَّ انها بعد ذلك ابتدأت تصعد الى فروع الحقائق وتتسور الى شرف المعاني فسلَّم اليها حينئذٍ حروفاً معدنية تعلمت بها تهجية الكلام مدة شهرين ثم تعلمت الف باء العمي البكم فسهلت بها دروسها ودنا ملتمسها واصبحت واسطة توصلها الى العالم الخارجي

وبعد دروسها القراءة بالحروف النافرة شرعت في تعلم الكتابة كالعمي على ورق صفيق محفور يوضع فوقهُ ورق اعتيادي ويجرى عليهِ قلم الرصاص فتظهر الحروف المحفورة . ولم تقف على معناة عملها هذا في مفتتح الامر الا انها بعد ما علمت ان ذلك يصل افكارها بغيرها استبشرت واشتدت عزيمتها فأخذت في الشغل بنشاط جديد لتتغلب على الصعوبة وقدرت بعد بضعة اشهر على كتابة الرسالة الاتية البسيطة لوالدتها :— "ستكتب لورا رسالة للوالدة . ستركب لورا مع الوالد . ستعمل لورا كيس دراهم للوالدة . ستقبّل الوالدة وستحب لورا . ستذهب لورا الى البيت ".

واتبع استاذها في تعليمها اللغة الترتيب الآتي —

اولاً كان يعلمها الاسماء خصوصاً ما اعتادتهُ من الاشياء . ثانيًا الافعال مقدماً منها المتعدي مع ما يمثل عملهُ كقولهِ لها " اغلقي الباب " و " إفتحي الباب " مثلاً . ثالثاً النعوت ولم تتجشم في فهمها مشقة غير ان اسماء المعاني كالحلاوة والصعوبة مثلاً كبر شأنها عليها فلم تفهمها الاَّ بعد حين . رابعاً حروف الجر مع ما يمثل عملها المحسوس كأن يقول لها " الخاتم على الصندوق " و " الخاتم في الصندوق " قال استاذها " ويظهر ان ادراكها في هذا الباب كان فجائيًّا وكانت تمثل المعنى تمثيلاً غريباً فتهجي حرف الجر " على " ثم تضع كفها الواحدة فوق الثانية وتهجي " في " ثم تضع الكف الواحدة داخل الثانية " ولم يمتز استعمالها للافعال بالفروق الزمانية في ابتداء الامر فكانت تطلب مبتغاها باقرب الطرق كقولها " خبزًا اعطِ لورا ماء اسقِ لورا "

وقد اضطرت الاشغال الدكتور هو ان يكل كثيرًا من تعليمها المتأخر الى معلمين ممرنين فحفظ اثنان من هؤلاء تاريخاً يوميًّا لما كان يتجدد لها من الترقي الذي بلغ بها من المكانة انها انتقلت

بهِ من الماديات الى المعنويات حيث يكون الفكر الانساني نفسهُ موضوع التفكر . ويسّر تعليمها ارتياحُ معلميها الى براعتها في موقفها الحرج قبالة المحسوسات الخارجية

وكانت تتعجب وهي تدرس تاريخ البلاد اليونانية من كثرة الحروب حينئذٍ وتسأل بيديها " اما عرف الطيبيون والاسبرتيون والفرس الله ؟ ولو فعلوا ما بلغت حروبهم من الكثرة ما بلغت " ووجدت ذات يوم زينة جميلة في دار معلمها فقالت " يروقني الجمال اكثر من كل شيء " فذكّرها معلمها الفضيلة فاستدركت وقالت " اعني ان الفضيلة ابهى جمال "

وظهر عليها الميل الى الفصاحة من سرعة تذلل اللغة لها وسهولة الافصاح عما في نفسها بالف باء الاصابع وبلغ بها حب البيان والحديث انها بينا كانت تطعم نفسها باليد الواحدة كانت تهجي الكلمات باليد الاخرى ورؤيت تحدث باصابعها وهي نائمة

واستعملت طريقة الكتابة ايضاً لبثّ ما في نفسها وأرت ميلاً للكلمات الطويلة والجمل المطنب فيها . وتوصلت الى معرفة بليغة للكون حولها فضلاً عما استثمرتهُ من الحقائق في الكتب والرسائل . وكانت شديدة الملاحظة في صحبتها صعبة الارضاء تحكم على الناس بالخير والشر من لباقتهم او عدمها متروية في سلوكها وكان اعظم ضعفها حدة في طبعها تزايدت بضيق نفسها واحتباسها وكانت اذا اخطأت تقول " خطأ خطأ " مما يثبت تلازج الضمير بالروح الانسانية

واوجدت لكلٍ من اصحابها صوتاً خصوصيًّا تستعملهُ عند اجتماعها بهِ فضلاً عن الاصوات التي تدل على غيظها . وسعت في نطق بعض الالفاظ ذات المقاطع من حين الى آخر حتى تعلمت ان تقول " طبيب " و " طفل " و " تفاحة " وغير ذلك

وكان لها ذوق في زينتها منذ صغرها ويهمها ان ترى للباسها حسن القبول . وان هي لم تعرف حقيقة الالوان فقد عرفت مكانتها حتى كانت تسأل عن الوان لباسها هل هي جيدة او لا

وكان اللمس فيها بالغاً نهايتهُ يدهش الناس حتى اعرفهم بما ينشأُ عن حسٍ مفقود من الشدة في الحواس الباقية فاذا مست يداً عرفت صاحبها ولو مضى على فراقهِ الزمن الطويل وتكتشف القرابة بين اختين في بعض الاحايين من لمس ايديهما فقط . وتعرف خطوة الطبيب وارتجاجها في الارض وتخبر عما اذا كان في المخدع واحد او غير واحد بالواسطة نفسها

وكانت اميالها عمرانية دائماً وهذا وان كان يزيد آلامها بمنعها من لذة المحادثة العامية الا انهُ يكثر سرورها بتخويلها فرص الحديث مع الرجال الذين تعرفت بهم . ومن الواضح انها عرفت منذ حداثة سنها انها موضع تعجب الكثيرين . واستفز سكنها دار العمي في بوستن عدة سنين كثيرًا من الزائرين من اوربا وغيرها . الا ان شدة الاهتمام بها خفّ بعد حين حتى اضطرت

في سنيها المتأخرة للاعتماد على نفسها في ما يشغلها و يسليها

وكانت يلذ لها التعليم كما يلذ لها التعلم فساعدت وهي حديثة في استعمالها اللغة ابنة صغيرة مصابة مثلها وعلّمت بعد مدة طفلاً يسمى اوليفر كزول مصاباً بنظرهِ وسمعهِ الف باء العمي ولما مهرت في الحساب اذن لها استاذها ان تعلمهُ ابنة صغيرة كانت قد فقدت سمعها كلهُ واكثر نظرها . وذكرت في كناشتها اليومية هذه الحادثة متعجبة من نجاح تعليمها

اما في المسائل الدينية فكان همُّ الدكتور هوْ ان نترقى قواها الروحية ترقياً طبيعيًّا لانهُ يرى هذه النظرية لاتراعى في التربية الدينية العامية . وذكر في اخبارهِ انهُ انتهز فرصة وفاة تلميذ لهُ فهدى بها لورا الى الفرق بين الحياة والموت ورآها استنتجت منها قوة حيوية ربما لاتفني بفناء الجسد

وكانت صاحبة جدٍّ ومثابرةٍ على اعمالها تسهلت عليها عوائد الترتيب والنظافة وبرعت منذ صباها في صناعة الحبك بالابر والخياطة المتقنة حتى كانت تنظم ابرتها بلسانها

وكانت صحتها جيدة الاَّ انها في سنة ١٨٤٥ و١٨٤٦ فقدت قواها وعلا وجهها اصفرار وعقلها وسواس فاهتم الكثيرون بشأنها لكن حسن بنيتها والمعالجة الدقيقة اعادا عليها صحتها وبهجتها وكانت سريعة التهيج او الغم تميل الى الاشتكاء من الاوجاع والامراض لانها كانت عصبية المزاج دقيقة الشعور على انهُ في النادر اصابها انحراف مهمٌّ في صحتها

وتوفيت في الرابع والعشرين من ايار (مايو) سنة ١٨٨٩ اما صورتها فكانت نحيفة تظهر انها اسنُّ من عمرها الحقيقي لكن مزاجها كان بهجاً بالنسبة لحالها. وخصصت لها جمعية مساعدة العمي في بوستن بيتاً سكنتهُ معظم حياتها

هذا ما ذكرتهُ لنا السيدة جوليا وردهو عن اسماع الصم وانطاق البكم وتبصير العمي في البلاد المتمدنة فماذا نذكر لها نحن عن اصمام السامعين وابكام الناطقين واعماء الباصرين في البلدان التي قضي عليها بالجهل المطلخم والسكون الدائم

دمشق عبد الرحمن شهبندر

التهاب المعلقة الدودية

كثر الكلام في هذه الايام على التهاب المعلقة (الزائدة) الدودية والنسيج الخلوي حولها من غير ذكر الاسباب الثابتة لهذا الالتهاب . ثم ان الجراحين والاطباء انقسموا الى قسمين

القسم الواحد يقول بالعملية الجراحية لاستئصالها والقسم الآخر يمنعها ونحن من هذا القسم لاننا عالجنا نحو عشرين مصاباً من غير عملية فشفوا كلهم وكان بعضهم مصاباً بالتهاب المعلقة نفسها وبعضهم مصاباً بالتهاب النسيج الخلوي حولها وبعضهم مصاباً بالاثنين معاً ولكن لا بدَّ من المبادرة الى معالجة الالتهاب حالاً قبل امتدادهِ

وفي اول اغسطس الماضي كنت في دمشق الشام ودُعيت لمعالجة مريض اشتد الالم عليهِ ولدى الفحص وجدتهُ مصاباً بالتهاب النسيج الخلوي المحيط بالمعلقة الدودية وللحال اخذت اعالجهُ بمضادات الالتهاب من الظاهر والباطن فامرت بحقنة مسهلة ثم اعطيتهُ مسهلاً من كبريتات الصودا ووضعت العلق على الحفرة الحرقفيَّة اليمنى في محاذاة الاعور ولما انقطع خروج الدم من مكان العلق وضعت عليهِ قطناً معقَّماً ولبخة رقيقة من دقيق بزر الكتان مغطاة بالشاش السلولي وكانت قليلة الحرارة وتُغيَّر كل اربع ساعات مرة وكان ذلك قريباً من الظهر

وفي الساعة السابعة ونصف مساء طلب منا اصدقاء المريض واقاربهُ ان ندعو الاطباء لمشورة طبية . وفي العاشرة حضر ثلاثة اطباء وجراحين مشهورين فصادقوا على التشخيص وهو التهاب النسيج الخلوي المحيط بالمعلقة الدودية وصادقوا ايضاً على المعالجة التي اجريناها لهُ وقرروا ان تعمل العملية فاعترضنا بان فتح البطن لايتيسر في الفندق الذي كان المريض فيهِ ولا بدَّ لنجاحها من مستشفى معد للعمليات الجراحيَّة فتُركت العملية اليوم التالي واضافوا الى المعالجة الحقن بالمورفين ووضع مثانة مملوءة بالجليد عوض اللبخة لكن المريض رفض وضع الجليد فاستمررنا على وضع اللبخ . وحضر الاطباء في اليوم التالي وفحصوا المريض وقرروا معنا ان حالتهُ تحسنت ولا لزوم لعملية وان يستمر العلاج على ما هو عليهِ . فواظبنا على ذلك العلاج ستة ايام متوالية ولم نكن نسمح للمريض بغير اللبن طعاماً واستعنا بهِ على لين الطبيعة بدون استعمال مسهل . ولازم المريض سريرهُ مع السكون التام فشفي تماماً وبعد اسبوع من شفائهِ سافر من دمشق عائداً الى مصر

وقد عدتهُ منذ نحو شهرين فوجدتهُ في صحة معتدلة ولم يعاودهُ التهاب النسيج الخلوي حول المعلقة الدودية ولا التهابها لانني اوصيتهُ بالالتفات الى اطلاق البطن مرة واحدة كل يوم والى تجنُّب امتلاء المعدة بالاطعمة العسرة الهضم

وعدتهُ ايضاً منذ اسبوعين فوجدت ان المرض زال تماماً ولم يعاودهُ شيء من الالم في الحفرة الحرقفيَّة اليمني وبناء على ذلك انشر هذه السطور ليطَّلع عليها الجمهور

حسن محمود باشا

الحكمة

تصف ذاتها وتشكو عداتها

غادةٌ اهدى محيَّاها الصبيحْ كلَّ رُشدِ
قد علت في ساحة الكون الفسيح عرشَ مجد
ثم نادت من يرُمْ ان يستريحْ يأتِ مهدي[١]
يجتني من نحلة العلم الصحيح خيرَ شهدِ

انني معبودةٌ كلُّ الجمالْ في رداها[٢]
كلُّ أُنسٍ كلُّ ظرفٍ وجلالْ من حلاها[٣]
اعربتْ عن محض فضلٍ وكمالْ مقلتاهـا
انَّ من احني لها الهامة نالْ كلَّ قصدِ

نُور وجهي ضاءَ منهُ الخافقانْ[٤] فاجتلوهُ
نَور ثغري اين منهُ الاقحوانْ[٥] فاجتنوهُ
وحديثي ذوبُ عطفٍ وحنانْ فاحتسوهُ[٦]
انا سلطانُ الاماني والزمانْ بعض جندي

اقدموا نحوي ففردوس الرخاء تحت عرشي
وغواني الحسن ربَّات الوفاء فوق فرشي

---

(١) المهد ما يمهد الانسان لنفسهِ من فرش ونحوهِ ليرتاح في مقعدهِ ومضجعهِ وقد غلب في الاستعمال على سرير الاطفال (٢) الوشاح وما تشتمل بهِ المرأَة من غطاءٍ وملحفة (٣) الحلي جمع حلية وهي ما تتزين بهِ المرأَة من انواع المصوغ كالشنوف والاقراط والدمالج (٤) الخافقان الشرق والغرب . وهو من المثنيات التي لا تفرد (٥) ضرب من الزهور ابيض تشبه بهِ ثغور الحسان (٦) الاحتساء الشرب او نوعٌ منهُ فيهِ تمهل وترشف

كل طيرٍ[1] شدوها يولي الصفاء   حول عشّي
من اتاني نال انواع الهناء   دون جدٍّ

سلسبيل الحذق من رمي يسيلْ   ساغ نهلُه[2]
وجنى[3] الادراك في روضي الظليلْ   طاب اكلُهْ
كلُّ من يلثم ذا الخدّ الأسيلْ   زال جهلُهْ
لا تملْ لحظك عن طرفي الكحيلْ   فهو مُهدي[4]

مِشحذُ[5] الفكر احترامي زاولوهْ   فهو حرزٌ
بهجة القلب غرامي فالزموهْ   فهو كنزٌ
رونق العقل كلامي فاسمعوهْ   منهُ عزٌّ
عصمة النفس نظامي فاتبعوهْ   بالتحدّي[6]

فجنان السلم ارباضُ[7] النعيمْ   في حدودي
كلُّ وفرٍ[8] نالهُ شهمٌ كريمْ   بعض جودي
كلُّ فعلٍ شفَّ عن طبع قويمْ   من زنودي
وارتياح الخلق للذوق السليمْ   ابن رفدي[9]

سل ارسطو[10] اذ صبا نحوي وهامْ   كيف خلّدْ[11]
مجدهُ باقٍ الى يوم الزحامْ[12]   ليس يجحد[13]

(1) الطير اسم عام لجماعة الطيور مؤنث (2) السلسبيل الخمر وشراب اهل الجنة · والنهل الشرب ومنهُ المنهل لمورد الماء (3) ما يجنى من الثمار (4) المهدي اسم فاعل من الهداية (5) المشحذ · المسنُّ · اي حجر السن الذي تشحذ عليهِ النصال الكليلة لتصير قاطعة (6) تحدّى الشيء تعمدهُ (7) ارباض المدينة ضواحيها (8) الوفر الثروة والمال الكثير (9) رفدهُ اي اعطاهُ واعانهُ بعطاء او قول او غيرهما (10) ارسطو حكيم اليونان الشهير (11) دام وبقي · يراد بذلك دوام ذكرهِ وفخرهِ وبقاء حكمتهِ وتعاليمهِ (12) من اسماء يوم القيامة (13) ينكر

اوهوميروس (١) الحجى رب النظامْ صار فرقد (٢)
كلُّ فردٍ حاز فخرًا ذا دوامْ فهو عبدي

وعجيبٌ ان هذي الملايين (٣) من خلائقْ
تطلب الراحة والعزَّ المكينْ وهي تائقْ (٤)
عبثًا تسعي وبي لا تستعينْ في البوائقْ
كلُّ سعيٍ ليس لي فيهِ يمينْ (٥) ليس يجدي

قدحرستُ الكون مذكان سديم (٦) وهو آيه
صُنتهُ من كل جبَّار أثيم صار غايه (٧)
فاز بالاتقان والصنع الحكيمْ بالعنايه
انما الانسان ذو الخلق الذميمْ ثار ضدي (٨)

قد عصاني دون كل الكائنات وهو عاقلْ
ظلَّ يسعى في شعاب مهلكات سعيَ غافلْ
وهو يدري ان احياء الرفات (٩) بيَ حاصلْ
ضاع فيهِ إِي (١٠) وربِّ المعجزات كلُّ جهدي

---

(١) هوميروس اقدم شعراء اليونان صاحب الالياذة المشهورة التي يصف بها وقائع حرب تروادة وقد عرَّبها موَّخرًا صديقنا الفاضل العلاَّمة سليمان افندي البستاني (٢) الفرقد كوكب مشهور. وهما فرقدان (٣) جمع مليون وهو عند الافرنج الف الف (٤) من التوْق وهو مثل الشرْق زنةً ومعنى (٥) اليد اليمنى. اي ان كل عمل من اعمال البشر لا تكون للحكمة يد فيهِ فهو خاسر (٦) السديم الضباب الرقيق. وقد ذهب فريق من العلماء المتأخرين ان السديم اصل كلِّ الموجودات ومنهُ تركبت جميع الكائنات . راجع مقالات المقتطف في المذهب السديمي (٧) اي صار غاية في الاتقان والإِبداع بعد ان كان آيةً في التشويش وعدم الانتظام (٨) اي ان الكائنات الجامدة والعجماء كانت تسير بحسب الحكمة الموضوعة لها فاستتبَّ نظامها اما الانسان وهو آخر مخلوقات الارض فسلك بحسب هواهُ نابذًا الحكمة ظهريًّا فنالهُ ما نالهُ من البلايا والموبقات وحسبك منها الحروب العامة والخصومات الافرادية وشقاء حيوة الجهلة (٩) الرفات بقايا الرمم البالية . اي ان الحكمة قديرة على احياء موات الانسان الادبي وتدارك ما فاتهُ من جراء رسوخ قدمهِ في الجهل وتجافيهِ عن مرابع الحكمة والعلم (١٠) إِي حرف جواب بمعنى نعم ولا تقع الاَّ قبل القسم كما وقعت هنا

انا ابغي نفعهُ وهو كنودْ [١] لا يبالي [٢]
انا اهوى قربهُ وهو لدودْ [٣] لا يبالي
قد لها بالجهل لؤمًا وجحودْ عن جمالي
لم ينلني وانا الالف الودودْ غير صدّ

كم اداوي طبعهُ ذاك العنيدْ بالتأني
كم ارجّي عودهُ وهو يزيدْ بالتجني
عيل صبري ضاع ذا الدهر المديدْ بالتمني
قد خبا [٤] في عصره عصر الحديد [٥] نجم سعدي

شذَّ مَن مِن نوعهِ [٦] جاملنا [٧] ثم والى [٨]
وهو يدري ان من لان لنا قد تعالى
والذي بالهجر قد عاملنا ساء حالا
كيف يعمي الكلَّ عن سبلِ الهنا ضل رشدي

ويك يا انسان حتّامَ الجفاء دَعْ عنادكْ
كيف لا ترقى رقيَّ السعداء خذ قيادكْ
كيف ترضى بحياة الاشقياء صنْ فؤادكْ
انما الانفس تحيى بالغذاء [٩] وهو عندي

دمشق سليم عنجوري

---

(١) الكنود جاحد النعمة الكافر بالجميل (٢) من المالأَة. يقال مالأَهُ على الامر اي وافقهُ عليهِ وجاراهُ (٣) شديد العداوة (٤) يقال خبا النجمُ اذا غاب واختفى (٥) ان علماء الجيولوجيا يقسمون حياة الارض الى ازمانٍ اوعصور ويسمون العصر الذي وُجد فيهِ الانسان التاريخي بالعصر الجديدي وهو عصرنا الحاضر والذي قبلهُ بالعصر البرونزي وما قبلهُ بالعصر الحجري الى غير ذلك مما لا محل لاستيفائهِ هنا (٦) الضمير عائد للانسان (٧) من المجاملة (٨) من الموالاة (٩) قال قدماء المصريين العلم غذاء النفوس

منشأُ الطاعون

تلا الدكتور هنكن رسالة في هذا الموضوع في مجمع ترقية العلوم البريطاني قال فيها ان الطاعون الذي ظهر في بمباي سنة ١٨٩٦ قيل انهُ جاءها من هنغ كنغ لانهُ كان فيها منذ سنة ١٨٩٤ الاَّ ان اللجنة الالمانية التي أُرسلت الى بلاد الهند للبحث عن منشإِ الطاعون استدلَّت على ان منشأهُ في غرهوال في جبال حملايا وذلك ان الفين من اهالي غرهوال المعروفين بالفقراء جاؤُوا بمباي في طريقهم الى نسيك قُبيل ظهور الطاعون فيها. وفقراء غرهوال يقصدون نسيك للزيارة كل اثنتي عشرة سنة

فان كانت غرهوال مصدر الطاعون الذي ظهر في بمباي سنة ١٨٩٦ جاءها بهِ الفقراء الذين يأتون نسيك للزيارة مرةً كل اثنتي عشرة سنة فهي مصدر الطواعين الاخرى التي فشت قبل ذلك . ومعلوم ان الطاعون الجارف المعروف بطاعون بالي وقع ١٨٣٦ والطاعون المعروف بطاعون غجيرات وقع سنة ١٨١٢ وعيد نسيك الذي يحج فيهِ الناس آتين من غرهوال وقع ثماني مرات في القرن التاسع عشر وفي ثلاث منها وهي سنة ١٨١٢ و ١٨٣٦ و ١٨٩٦ حدث طاعون جارف وهذا يؤيد ما ارتأتهُ اللجنة الالمانية في اصل منشإِهِ . ثم ان الدكتور فوربس ذكر ان طاعون بالي ابتدأ في قرية على اميال قليلة من تلك المدينة على اثر مجيء بعض الفقراء اليها وسبق ظهورهُ فيها موت كثير من الجرذان . وتدلُّ الدلائل على ان هذه الطواعين الثلاثة متشابهة وتمتاز عن غيرها من الطواعين بشدة فتكها وتعسُّر زوالها . وكون فتكها اكثر في القرى منهُ في المدن وكونها تنتقل من قرية الى أُخرى كالامواج غير متبعة انتقال الناس ويكثر فيها الشكل الرئوي .والطواعين الثلاثة متشابهة تمام التشابه في ما تقدَّم ومخالفة لغيرها وهذا يدلُّ على ان لها منشأً واحدًا واصلاً واحدًا ولا يماثلها في اوصافها المتقدمة الاَّ الوباء المعروف بالموت الاسود الذي فشا في اوربا . واذا كانت بلاد غرهوال منشأ الطواعين الهندية الفتاكة وجب ان تكون منشأ الوباء المعروف بالموت الاسود . وتدلُّ الادلة على صحَّة ذلك فان الموت الاسود أُتي بهِ الى اوربا من مدينة جافا في بلاد القرم حيث حاصرت جيوش التتار بعض التجار الايطاليين. قال ابو المحاسن في تاريخهِ ان ذلك الطاعون فشا في جنود التتار من بلاد التتار نفسها وانهُ كان منتشرًا ضاربًا فيها اطنابهُ سنة ١٣٤٦ (وذكر مختار باشا المصري في تقويمهِ لسنة ٧٤٧ هجرية الموافقة لسنة ١٣٤٦ مسيحية ان الوباء وقع فيها ببلاد ازبك ثم اتصل بالقرم حتى كان يخرج في اليوم الف جنازة فبلغ عدد من مات بهِ

٨٥ الفاً وامتد الى قبرس) وكان بين الهند والتتار تجارة واسعة في الخيل في ذلك الوقت ويظهر من تاريخ الفنستون لبلاد الهند ان الثورة فشت في مابار سنة ١٣٤١ وارسلت الجنود لاخمادها ففتك بهم الطاعون. واذا استقصينا اعياد نسيك التي تقع مرة كل اثنتي عشرة سنة وجدنا ان عيداً منها وقع سنة ١٣٤٤ ومن المحتمل ان جمهوراً من الفقراء خرجوا من غرهوال قاصدين نسيك للزيارة حينئذٍ على جاري عادتهم

وقد جاء في احد التواريخ القديمة ان الجنود كانت تمر في نسيك او في ما يجاورها والظاهر انها سارت في الطريق الذي سار فيهِ الفقراء. ولما فشا فيها الطاعون اصيب بهِ السلطان ايضاً فوقف في بلدهِ دبوجيري وهي على مقربة من نسيك . وكان قد ارسل الجنود لاخماد الثورة سنة ١٣٤١ ثم ارسل اليهم المدد سنة ١٣٤٤ وحينئذٍ اصيبوا بالطاعون وينتج من ذلك كلهِ ان الطاعون فشا قرب نسيك سنة ١٣٤٤ اي في السنة التي وقع فيها العيد الذي يقع مرةً كل اثنتي عشرة سنة ومن المحتمل ان ذلك الطاعون نفسهُ امتدَّ حتى بلغ التتار والقرم سنة ١٣٤٦ وهو الموت الاسود الذي انتشر في اوربا

ومن رأْي الدكتور هنكن ان الطاعون الرئوي قليل الانتقال بالعدوى من شخص الى شخص وانهُ اذا انتقل بواسطة الجرذان زالت عدواهُ فلا يبعد ان تزول عدواهُ اذا انتقل بواسطة الناس وانهُ قد ينتقل وتتجدَّد قواهُ بواسطة انواع اخر من الحشرات كالبراغيث . والطاعون المنتشر الآن هو طاعون الثغور البحرية لانهُ اذا انتقل الى القرى زال منها حالاً فهو مخالف للطواعين الهندية الجارفة تمام المخالفة

هذه خلاصة المقالة التي تلاها الدكتور هنكن وخلاصة اجوبتهِ عن مسائل طرحها عليهِ بعض العلماء الحضور ومفادها ان الطاعون الهندي مخالف لغيرهِ من الطواعين في كيفية انتقالهِ وشدَّة فتكهِ. وانهُ يصل الى بلاد الهند وينتشر فيها ومنها بواسطة الزوَّار الذين يأْتونها من جبال حملايا حيث هو مستقر دائم وهؤلاء الزوار يقصدون مدينة نسيك مرةً كل اثنتي عشرة سنة. وقد بحثنا عن الطواعين التي وقعت في القطر المصري في القرن التالي لسنة ١٣٤٤ فوجدنا انهُ وقع فيها طاعون سنة ١٣٤٨ فهو الطاعون الذي ظهر في الهند سنة ١٣٤٤ مضى عليهِ اربع سنوات حتى وصل القطر المصري لانهُ سار في طريق شمالية فبلغ بلاد القرم سنة ١٣٤٦ وانتقل منها الى اوربا ثم وصل الى مصر . وظهر فيها سنة ١٣٨١ وهذه السنة تبعد ٣٧ سنة عن سنة ١٣٤٤ فكأنهُ ظهر في الهند سنة ١٣٨٠ وانتقل الى مصر في سنة واحدة بطريق البحر والظاهر ان هؤلاء الزوار لا يحملون جراثيم الطاعون الاَّ نادراً او ان الاحوال

لا تساعد على انتشارهِ الا في ازمنة مخصوصة ولولا ذلك لاستمرَّ انتشارهُ في الدنيا لانهُ لا يكاد يبلغ اقاصي البلدان حتى يعود الزوار الى الزيارة ويعود الوباء الى الانتشار

تقدُّم الطب

في القرن التاسع عشر

للدكتور جون بيلنغس الاميركي مدير مكتبة نيويورك العمومية

يراد بالطب جميع الفروع المتعلقة بمنع الامراض والآفات وعلاجها والاساليب التي غايتها تخفيف الآلام واطالة العمر والعلم المختص بمعرفة تركيب الجسم الانساني ووظائفهِ واسباب الامراض . فهو اذا يشمل علم الثرابيوتا الطبية والجراحية والفسيولوجيا والباثولوجيا والهيجين· وقد تقدمت هذه العلوم في القرن الماضي اكثر مما تقدمت منذ الفي سنة وسبب ذلك اتقان طرق البحث والاستقصاء على اثر زيادة المعارف الكيماوية والطبيعية واكتشاف المكرسكوب والتجارب التي تعمل في معامل الكيمياء والفلسفة الطبيعية واستعمال الطرق العلمية في مراقبة الامراض ونتائج طرق المعالجة المختلفة . ثم ان ادخال نظام الاحصاء في درس الامراض واسباب الموت واكتشاف المخدرات والمنوّمات ومضادات الفساد في الجراحة وتقدُّم علم البكتيريولوجيا الحديثة يعدُّ كلٌّ منها حلقة في تاريخ الطب في القرن الماضي

هذا وقد اثبت البحث العلمي منذ نحو عشرين سنة ان سبب بعض الامراض نموّ مكروبات خاصة في الجسم الانساني اي ان الكولرا الاسيوية والدفثيريا وبعض انواع الدوسنطاريا والحمراء والانفلونزا والتهاب مجرى البول وذات الرئة والتتانوس والحمى الراجعة والحمى التيفوبدية والتدرن الرئوي والطاعون الدبلي وغيرها من الادواء مسببة عن احياء آلية نباتية مكرسكوبية تسمَّى بكتيريا . وان حميات الملاريا المتعددة وحمى تكساس التي تصيب البقر وبعض انواع الدوسنطاريا مسببة عن حيوانات مكرسكوبية تسمى مكروزوا . وقد ترتَّب على هذا الاكتشاف نجاح الجراحة في استعمال مضادات الفساد وزيادة الدقة في تشخيص الامراض واستعمال اللقاحات المختلفة لشفاء الامراض والوقاية منها وتقدم علم الصحة العمومية

ومن اعظم الادلة على تقدم علم الطب في تخفيف اوصاب الناس وآلامهم واطالة اعمارهم ما يرى في فن الجراحة وخصوصاً بعض فروعهِ . فقد كان الذي يصاب منذ نحو مئة سنة بحصى

الكليتين او المثانة او يجرح في بطنهِ باطلاق الرصاص عليهِ او يصاب بخراجات مختلفة لا يرجّى لهُ شفاء في تلك الايام بل كان ينتظر الموت بفروغ صبر مما يقاسي من الآلام . اما الآن فان الجراح يعمل العمليات للذين يصابون بهذه الامراض والاعراض والغالب ان تنجح عملياتهُ . وقد كان الذين يصابون بالسرطان في الوجه او اللسان او الثدي او الرحم يحسبون الموت غنيمة لفرط الألم وما ينشأ عن السرطان من تشويه الهيئة وما يصحبهُ من الرائحة الكريهة اما الآن فالغالب ان يشفى المصاب باحد هذه الامراض اذا بادر الى المعالجة قبل فوات الفرصة . وقد أدرك الناس هذه الحقيقة فتراهم يبادرون الى المعالجة واحتمال العملية الجراحية علماً باضرار الاهمال والامهال خلافاً لما كانوا عليهِ في قديم الزمان . لاسيما وانهم يعلمون انهم ينشقون الكلوروفورم فيقعون في سبات عميق لا يشعرون معهُ بحز مشراط الجرّاح ولا بوخز إبرهِ . وقد يحلمون احلاماً غريبة وهم تحت يديهِ ثم لا يلبثون حتى يستفيقوا فيروا انفسهم بين ايدي الممرضات يعنين بهم ويضمدن جراحاتهم . ولا يلزمهم ان ينتظروا اسابيع واشهراً تغيّر اربطتهم فيها كل يوم بل ان الجراح يلاحظ حرارة اجسامهم وينظر الى ظاهر اربطتهم وقد يمرُّ اسبوع كامل ولا يمسُّها ومتى أزالها لم يُرَ تحتها سوى خطّ ضيق احمر لا أثر فيهِ للصديد

ثم ان ازالة اورام المبيض والرحم صارت الآن سهلة جداً بخلاف ما كانت عليهِ في سالف الزمان . وكان كثيرون يموتون بالتهاب الامعاء او اعتقالها او التهاب البريتون . اما الآن فقد بان واتضح ان معظم هذه الالتهابات ناشئ عن التهاب الزائدة (المعلقة) الدودية وهي زائدة لحمية متصلة بالمعى الغليظ في اسفل الجانب الايمن من البطن فاذا التهبت سببت الماً شديداً وقروحاً داخلية تنتهي بالموت غالباً . وازالة هذه الزائدة امرٌ عاديٌّ هذه الايام والغالب انها تنجح . اما عملية نزع الحصى من المثانة فقديمة عرفها القدماء منذ الفين وخمس مئة سنة ولا يعلم اول من عملها . ثم استبدلت في القرن الاخير بعملية تسحق بها الحصاة سحقاً وهي في المثانة ويزال المسحوق من غير ان تعمل السكين وكذلك ازالة الحصى من الكلى او من المرارة واستئصال الكلية المريضة فانها عمليات جديدة سهّل الوصول اليها تحسن طرق التشخيص واكتشاف المنومات ومضادات الفساد . وكان القدماء يظنون ان جراحات الامعاء قاتلة لا محالة فكانوا يناولون المصابين بها الافيون تخفيفاً للالم ليس إلاّ . اما الآن فان الجرّاحين يشقون بطن المصاب ويضمدون جرح الامعاء ويزيلون ما نزف من الدم وغيره وكثيراً ما يعقب ذلك الشفاء

وقد زادت المعرفة بتشريح الدماغ وتوزع الاعصاب المتفرعة منهُ فأمكن بذلك تعيين

الموضع المصاب منهُ بالالتهاب او الضغط وعمل العمليات اللازمة لازالة المواد المسببة للالتهاب والامل كثير بالشفاء

ومن فروع الجراحة التي تقدمت تقدماً عظيماً في القرن الماضي فرع تجديد الاعضاء المشوهة فان تجديد الانف المشوه مثلاً عملية قديمة جدًّا ولكن اشباه هذه العملية كادت تبلغ الكمال في المئة سنة الماضية حتى اصبح من الممكن تخفيف بلايا الافدع والكسيح والمقعد باصلاح ارجلهم وتقويم اعوجاجها على حين ان ذلك لم يكن ممكناً في ما مضى

وقد خفّت وطأة كثير من امراض النساء ايضاً . ففي سنة ١٨٠٠ كان يموت عشر نساء الى ٢٠ من كلّ الف نفساء . اما الآن فان حمى النفاس لا تكاد تعرف في المستشفيات او حيث يتولى طبيب ماهر توليد الحبالى . وقد نقص متوسط وفيات النفاس حتى صار اقلّ من ٥ في الالف

ومن العلوم التي تقدمت علم امراض العين وخصوصاً الرمد الصديدي المعروف بالاوفثلميا فان مباحث هلمهولتز في فسيولوجيا البصر واختراعهُ للمنظار المعروف احدثت انقلاباً عظيماً في هذا الفرع من العلوم الطبيّة وخففت كثيرًا من مصائب الناس وبلاياهم . فمنذ مئة سنة كان الطبيب اذا رأى أجفان المولود الجديد محمرّة وارمة والصديد يخرج من بينها حكم انهُ سيفقد بصرهُ كلّهُ او بعضهُ بعد ايام قليلة ولم يستطع معالجتهُ بالوسائط البسيطة التي يتدارك بها اطباء هذا الزمان الرمد الصديدي و يشفونهُ . ومن سوء الحظ ان معرفة علاج الرمد ليست منتشرة الانتشار الكافي ولا بدّ ان يمرّ زمن طويل قبلما يقلّ عدد الذين يصابون بهِ قلة يشعر بها

ومما لا ريب فيهِ ان متوسط الوفيات في القرن الماضي كان اعظم مما هو عليهِ الآن فقد كان متوسط الوفيات في مدينة نيويورك بين ٣٥ و٤٠ في الالف سنة ١٨٠٤ فنقص حتى بلغ نحو ٢٠ في الالف في الخمس السنوات الاخيرة

ومنذ مئة سنة تفشت الحمّى الصفراء في مدينتي نيويورك وفيلادلفيا وظلت تفتك بالاهالي سنتين فقام الاطباء يبحثون فيما اذا كانت مُعدية منقولة من الخارج فيمكن منعها والوقاية منها باقامة المحاجر الصحيّة والتطهير او فيما اذا كانت ناشئة عن سبب خفيّ في الهواء. فألّف نوح وبستر العالم الاميركي المشهور كتاباً سنة ١٨٠٠ ذهب فيهِ مذهب من قال ان الحمى الصفراء ناشئة عن سبب خفيّ في الهواء وزاد على ذلك ان حمى التيفوس والحميات العصبية مسببة عن تحوُّل عرق الجسم الى مواد فاسدة . وقرَّرت لجنة الجمعية الطبية التابعة لولاية نيو يورك

ان سبب الحمّى الصفراء تصاعد الابخرة الفاسدة من الارض وغير ذلك من الآراء السخيفة التي تدلُّ على انهم لم يكونوا يعرفون عن الحمى الصفراء شيئاً. اما الآن فانهُ وان كنّا لا نعرف سبب تلك الحمى ولا كيفية انتشارها [1] ولكننا نعرف عنها ان سببها احياء مكرسكوبية وعليهِ يمكن منع انتشارها بعزل المصابين واتخاذ وسائل التطهير اللازمة

وكان معظم الذين يبلغون سن العشرين حينئذٍ يصابون بالجدري فيموت القسم الاكبر منهم وتبقى ندبها ظاهرة في وجوه الذين يسلمون من الموت . اما الآن فان كثيرين من الاطباء لم يعالجوا رجلاً مصاباً بالجدري وقلما يُرى رجل تسمُ الجدري وجههُ بندبها

اما حمى التيفوس فقد زالت او كادت على حين ان بعض الامراض زادت بتقدم الوسائط الطبية. فان كثيرين من اولاد هذا الزمان يسلمون من الجدري ليصابوا بالدفثيريا او الحمى القرمزية او غيرهما ولو كانوا عائشين في القرن الماضي لماتوا بالجدري قبلما أُصيبوا بغيرها . ثم ان زيادة وفيات السرطان ناشئ بعضها عن تحسن الصحة العمومية حتى ان كثيرين يعيشون الى السنّ الذي يكونون فيهِ اكثر عرضة لاصابات السرطان عادة

هذا وان من اعظم الاسباب في تقدم الطب الحديث تحسن الوسائط المكتشفة لتشخيص الامراض . فان استعمال الترمومتر الكلينيكي افضى الى انقلاب عظيم في الطب والمعالجة . ومعرفتنا لامراض القلب والرئتين زادت بالقرع على الصدر والاستقصاء سواء كان ذلك بالاذن او بالآلة المستقصية (السماعة) . والتحليل الكيماوي والمكرسكوب يدلاننا على امراض في الكلى لم يكن احد ليشتبه فيها قبلاً . واشعة رنتجن تعين الجراح على تعيين مواضع الاجسام الغريبة التي تدخل الجسم ومعرفة نوع الاضرار التي تصيب العظام . والفحص البكتيريولوجي اصبح امرًا لابدَّ منهُ في فحص الامراض والعلل التي يشتبه في وجودها في الجسم مثل الدفثيريا والتدرن الرئوي والانيميا والحمى التيفويدية وغيرها من الحميات

ثم ان معظم الاعلانات الطبية التي كانت الجرائد تنشرها منذ مئة سنة كان يختص بعلاجات لازالة الدود من الامعاء وكان الاطباء ينسبون كثيرًا من اعراض الامراض العصبية والهضمية الى فعل الدود . ولكننا علمنا في مدى القرن الماضي امورًا كثيرة عن اصل الدودة الوحيدة ونموها وغيرها من الدود الذي يدخل جسم الانسان وينمو فيهِ فلم نعد ننسب اليها من الاعراض الاَّ ما كان صادرًا في الحقيقة عنها

وما يقال في الطب الشافي يقال ايضاً في الطب الواقي . فان الابحاث الطبية التي جرت

(١) اهتدوا اخيرًا الى لقاح يشفي من الحمى الصفراء كما ذكرنا ذلك في احد اجزاء المقتطف الماضية

في انكلترا بعد ظهور الكولرا فيها سنة ١٨٤٩ واختبار اطباء الجيش الانكليزي مدة حرب القرم كلُّ ذلك افضى الى تقرير قضيتين مهمتين وهما وجوب الاعتناء بماء الشرب ليكون نقياً خالياً من شوائب الاكدار ووجوب الاعتناء بمصارف المنازل ومراحيضها . وكان قواد الجيوش في حروب نابوليون يخشون حمى التيفوس التي كانت تتفشى بين الجنود اكثر مما يخشون صفوف الاعداء لشدة فتكها بهم . اما في حروب الخمس وعشرين سنة الماضية فان حمى التيفوس لم يظهر لها اثرٌ بل ظهرت الحمى التيفويدية محلها وذلك يدلُّ على اننا لانزال نجهل اموراً كثيرة عن اسباب هذه الحمى وطرق سيرها وانتقالها . ومثل هذا يقال في بعض الامراض القتالة الاخرى فانهُ يموت بالدفثيريا في الولايات المتحدة بين ٢٠ و ٣٠ الفاً كلَّ سنة وهذا يساوي عدد الذين يموتون بالحمى التيفويدية فيها ويموت بالسلِّ اكثر من مئة الف نفس فيها سنوياً . هذا مع اننا نعرف اموراً كثيرة عن جراثيم هذه الامراض وطرق سيرها والوسائط التي يمكن ايقافها بها ولكن السبب الاكبر في شدة فتكها هو جهل جمهور الناس لطبيعتها

ومما يذكر في هذا الصدد ان معرفتنا لاسباب بعض الامراض المعدية وطرق تفشيها أفادت العالم فائدة عظيمة من وجه تجاري لانها أفضت الى ازالة كثير من العقبات في سبيل التجارة مما يتعلق بالمحاجر الصحية . وزد على ذلك ان طرق التطهير الحديثة اسلم عاقبة واحسن تأثيراً من الطرق القديمة كالمحاجر ومتعلقاتها . ومن احسن الادلة على نتيجة هذه الاصلاحات استقبال اهالي انكلترا لخبر ظهور الطاعون في غلاسكو منذ عهد قريب بسكون بال وذلك لعلمهم انهُ لا ينتقل بالهواء . ولو جرى مثل ذلك منذ مئة سنة لهجر الناس المدينة وتركوها خالية تصفر من السكان . ولمثل هذه الاسباب فقدت الكولرا الاسيوية كثيراً من هولها الاوَّل

على ان اهمَّ مظاهر تقدم الطب في القرن الماضي اكتشاف طرق جديدة للبحث العلمي وخصوصاً في علمي البكتيريا وتشخيص الامراض . وهذه الطرق لم تستخدم كلُّها ومتى امكن استخدامها في المستقبل القريب كان منها فوائد عظيمة لبني الانسان . وليس المقصود من ذلك انها تؤدي الى اكتشاف اكسير الحياة فان اوصاب الشيخوخة نتيجة لازمة عن طول العمر وللانسجة والاعضاء التي يتركب منها الجسم حدٌّ محدود للبقاء يختلف باختلاف الافراد . بل المقصود منهُ ان كثيراً من الآلام والامراض التي تجعل الحياة حملاً ثقيلاً في الشيخوخة يمكن تخفيفها حتى اذا جاوز الشيخ حدَّ السبعين لم يكن عيشهُ بعد ذلك تعباً وبليةً يحببان الموت اليهِ

ولذيذ الحياة أنفسُ في النفسِ وأشهى من أن يملَّ وأحلى
واذا الشيخ قال افٍّ فما ملَّ حياةً وانما الضعف ملّا

صديق الفلّاح

كتب السر ولتر ميقيل المعروف في هذا القطر مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية تحت هذا العنوان قال فيها ما خلاصتهُ

ما زال الفلاح المصري الصبور يحرث تربة مصر الزكية من عهد الفراعنة الذين عاثوا في الارض فساداً الى يومنا هذا وهو مسلّمٌ للقدر متناسٍ ما فات من الرزايا والكوارث شاكر ليد العناية الصمدانية ما اولتهُ من نعم المياه النيلية والرياح الشمالية (البحرية) . وكيف لا يترطب لسانهُ بذكر فضل النيل عليهِ وهو ابو مصر ومديم الخير لها ينساب انسياب الافعوان في فيافيها وصحاريها المجدبة فيصيرها بقاعاً نضرة وبلاداً طيبة يخرج نباتها باذن ربّها كما قال فيهِ الشاعر

يتمشى في قفرِ مصرَ اختيالاً   مثلَ فكرٍ يجول في الاحلامِ

وليس شكرهُ للنيل باقل من شكرهِ للرياح الشمالية فانها تبرّد أنفاس الصحراء الحارّة وتصيّر الملاحة ممكنة. وقد تقلبت الايام والاعوام عليهِ وتداولتهُ ايدي الولاة العتاة ورجالهُ تارة تخوضانِ الماء وطوراً تطآن الغبراء وأُحني رأسهُ منذ القدم مستسلماً لولاة ليسوا منهُ ولا هو منهم بلا عاطفة خوف تتردد في صدرهِ ولا بارقة امل تلوح بين جنبيهِ . وما فتئت هذه حال صديقي الفلاح الى عهد قريب حين تولّت شؤُونهُ حكومة تهتم بخيرهِ وترقية مصالحهِ وحفظ حقوقهِ ووقايتهِ من الظلم وتمكينهِ من ثروة البلاد . وقد عرف بمحافظتهِ على تقاليدهِ وابقاء القديم منها على قدمهِ حتى أنك لتراهُ يحرث ويحصد بالادوات التي كان اسلافهُ يستعملونها في عهد فرعون و يوسف . وتراهُ واحداً في حالتي العسر واليسر . واظهر صفاتهِ الصبر واحترام القانون والميل الى العمل ودماثة الخلق وقوة البنية والاشتباه في مقاصد ولاة امورهِ وحب الهزل والمزاح وقد ينزع احياناً الى الخصومة وخصومتهُ قصيرة الزمن قلما تنتهي بضرب الاكف ولكنهُ يكثر فيها من اشارات التهديد والوعيد

ومن صفاتهِ عدم مبالاتهِ بالوقت . فاذا رام السفر في سكة الحديد لم يسأل عن مواعيد القطارات بل قصد المحطة وافترش الارض ينتظر سفر القطار ولا يبدي اقلّ قلق اواضطراب مهما طال عليهِ المطال. فان عندهُ مثلاً يقول " ان العجلة من الشيطان والصبر مفتاح الفرج " ومحافظتهُ على عاداتهِ وتصوراتهِ وتقاليدهِ القديمة سبب ما يرى من قلة الابتكار في اعمالهِ . وهو قليل الثقة بالمبادىء الحديثة فلا يصدّق مثلاً ان في " الحرّية والمساواة والاخاء " التي

ينادي بها ابناءُ هذا الزمان اثرًا من الفلسفة العملية بل يرى ان الاستعباد رأس النواميس الطبيعية وان الطبيعة لم تخلق شيئين متساويين . وهو على جانب عظيم من التوكل والثقة بالخالق بعيد عن الكفر والالحاد ولعلَّ السبب في ذلك مواصلتهُ للطبيعة كلَّ يوم فان الذين يرون الطبيعة ويطلعون على اعمالها العجيبة لا محلَّ في نفوسهم للشك والالحاد . وما من رجل يحرث الارض ويزرعها يشك في مبدإ قيامة الاموات " لان الذي تزرعهُ لا يحيا مالم يمت " ولا يبعد ان يكون اطلاعهُ على عجائب الخليقة سببًا لعدم تعجبهِ من اعمال البشر وان يكون تذكرهُ التقاليد القديمة التي تروي عجائب الاقدمين وغرائبهم سببًا لحسبانهِ عجائب هذه الايام امورًا عادية منتظرة لا تستحق الدهشة والاستغراب مثل ترعة السويس وخزان اصوان . فهو لا يعجب من ترعة السويس لان سسوتريس كان اول من فكر في الجمع بين البحرين على ما في الاخبار القديمة . ولا يعجب بخزاني اصوان واسيوط لان الاقدمين كانوا يخزنون المياه في الاراضي المنخفضة الواقعة في الجنوب الغربي من الفيوم منذ اربعين قرنًا ولا تزال الترعة الواصلة ما بين النيل وبحيرة قارون تسمى بالبحر اليوسفي الى الآن نسبة الى يوسف بن يعقوب

ولقد خبرت الفلاح منذ سنة ١٨٧٤ . وفي سنة ١٠٩١ كتبت أصف مافعلتهُ الادارة الانكليزية لمصر فقلت " ان النظام والنزاهة والاصلاح حلَّت محلَّ السخرة والرشوة والكرباج التي كانت سائدة في عهد اسمعيل والثورة والنهب والخراب التي سادت في زمن عرابي " وليس قصدي الآن ان ابحث في مظالم الفلاح الماضية بل ان اصف ما عليهِ فلاح هذه الايام من اليسر والفلاح بالنسبة الى الماضي . ويكفينا ان نذكر في هذا الصدد انهُ بات آمنًا غارات المرابين الاجانب وجباة الرسوم والضرائب ولم يعد عرضة للقبض عليهِ وارسالهِ للخدمة العسكرية في السودان او لاعمال السخرة المنهكة وانهُ يُحكَم بالقسط والعدل وينال حظًّا كافيًا من ماء الريّ وان نوازل الغرق والشرق باتت في خبر كان

ومعظم الفلاحين اليوم من صغار المالكين فيعملون في اطيان جيرانهم او يستخدمون نظارًا على اطيان كبار المالكين ولكنهم يجنون من ارضهم ما يكفي لبعض معيشتهم . فان كانت مواردهم قليلة فان حاجاتهم اقلُّ وما داموا متمتعين بنور الشمس والهواء النقي ونائلين الكفاف من الرزق وبعيدين عن برد الشتاء وقرّهِ فانهم راضون قانعون

ثم وصف اكواخ الفلاحين وما هي عليهِ من الحقارة وابان المنافع التي يجنونها من النخيل فقال انهم يقتاتون بثمرهِ اشهرًا كثيرًا ويسحقون نواهُ فيطعمونها جمالهم ويستعملون جذوعهُ في بناء بيوتهم ويصنعون من لحائهِ حبالاً لسفنهم وقواربهم ومن خوصهِ مقاطف ومراوح .

وأطال في وصف الاباعد والمنازل والمآكل والمشارب والملاهي ومدح الفلاح المصري على تدينهِ وتسليمهِ امرهُ لخالقهِ

الطبيعة أكبر استاذ

لقد غلب على الناس ان يطلقوا لفظ الطبيعة على جميع الموجودات المادية من كوائن الارض والسماء سواء كانت اعيان البسائط والمركبات كالحيوان والجماد والنبات وعناصر الهواء والماء او مظاهرها المختلفة وصورها العديدة كالجبال والوهاد والرياض والغياض والبحار والانهار او ظواهرها الجوية كالندى والبخار والثلج والامطار والشفق والسحاب وقواتها العامة كالنور والحرارة والكهربائية الى ما يطول ذكرهُ ويلحق بهِ من الاصول والفروع والفصول والابواب

وقد توسعوا في اطلاق الطبيعة ايضاً على شرائع الكوان المادي مما استقريت اجناسهُ وانواعهُ وميزت صنوفهُ فجُمعت مسائلهُ طوائف استقلت ابحاثها وتعينت حدودها فأُدرج كل منها في فنٍ مخصوص او علم قائم بنفسهِ على ما هو مشهور يجمعها قولك العلم الطبيعي والطبيعيات

غير ان للطبيعة عند المحققين معنى اشمل واكمل يريدون بهِ ان الطبيعة هي مجموع حقائق الوجود من اعيان وصور ومحسوسٍ ومعقول وجوهر وعرض فتشمل النواميس المادية والشرائع الادبية فقالوا ان الطبيعة بهذا المعنى هي مُربي الانسان الاوحد ومرقاة كمالهِ على الاطلاق . فهي منهُ الامُ الرؤوم والمرشد الخبير والاستاذ الاكبر والمهذب الحكيم حتى اذا حُرمَ المربي رتبتهُ او عدمَ المؤدب أدبتهُ

ولما كان ما تُلقي الينا الطبيعة من دروسها بلسان شرائعها ووقائعها منحصرًا في دائرتي التأديب والتهذيب اقتصرنا هذه المرة على بيان طرفٍ من القسم الاول نريد بهِ تأديب الطبيعة وعقابها متبعين في ادراج شواهدهِ الحسية والمعنوية معنى الطبيعة الاخير الشامل لكليهما معاً على ما اسلفناهُ مستندين في اساس كلامنا على اقوالٍ من رجال الفلسفة والعلم مما يجدر بالتأمل والاعتبار ولا سيما ما يجلُّ شأنهُ لدى المهذبين والوالدين القائمين بالتخصيص على تربية الصغار

قال العلامة الاستاذ وليم جمس مؤلف كتاب (السيكولوجيا) الكبير بعد تفصيل على طويل في شرائع نشوء العادة وتأثيرها في الطباع والاخلاق من الوجه الطبيعي ما نصهُ

" لا جرم ان جهنم ذات الوقود التي يُنذر بها شرارُ الناس في المعاد والخلود ليست باشد

عذاباً من العقاب الذي نذوقهُ في هذه الدار الدنيا لما نرتكبهُ من مخالفة شريعة الطبيعة والحيد عن نهجها القويم من حيث نشوءُ الطباع والاخلاق واكتساب الملكات والعادات . فلو تأتى للأحداث ان يعلموا انهم لن يكونوا في مستقبل العمر سوى مجموع عاداتٍ لتنبهوا الى مسالكهم قبل ان يقسو منهم العود فيستحيل تقويم ما اعوجَّ من اخلاقهم وهيهات ان يردَّ ما فات . فكل امرىءٍ ينسج بيدهِ الثوب الذي يرتديهِ ويبني المنزل الذي يأويهِ . فاقلُّ فضيلةٍ ينشأُ عليها او رذيلةٍ يعتادها تنقش فيهِ اثرًا لا يمحى مدى العمر حتى تنزل معهُ الى القبر لانها تكون قد جبلت في عناصر الدم وحيكت مع نسيج العضلات وركّبت منها كريّات الاعصاب . فعلى مبدإ الطبيعي يصبح السكير لعنة البشرية برشفهِ الكأس وراء الكأس وفي شريعة الطبيعة ينشأُ ملاك الانسانية بمكرمة بعد مكرمة يبديها للناس . وبناموس الطبيعة يقوم السياسيُّ المحنك وينبغ العالم الكبير والفيلسوف الشهير وما هي الاَّ ساعة في العمل تتلو ساعةً حتى تنسج الشقة من خيطٍ بعد خيطٍ و يبنى الجدار من حجرٍ فوق حجر . فلا يسبقنَّ لوهم شابٍّ انهُ بالطفرة يعلو المراتب ويرقى المناصب في الخطة التي ينشأُ عليها والغاية التي يسعى اليها . فاذا سعى في سبيل الجدّ قدماً بعد قدم فلا بدَّ ان يحصد يوماً ما زرع ويجني ما غرس بما لا يعقب الندم حتى اذا ما فتح عينهُ ذات صباح ورأى السعد خادمهُ والمجد يحفُّ بهِ بين اقران يسودهم واخوان يعلوهم أيقن ان الطبيعة وفتهُ حقهُ الذي اسلفها وردَّت لهُ الامانة التي اودعها وتجلَّى لهُ يومئذٍ ان اقلَّ امرٍ اجراهُ في اعمالهِ هادئاً في معملهِ منفردًا في خلوتهِ بعد ان قضى لهُ الحكم الصحيح اصبح فيهِ ملكاً لا يزول وعادةً لا تحول "

ثم ان الفيلسوف سبنسر قد احال تربية الاولاد الادبية في غالب احوالها على تأديب الطبيعة وعقابها ناعياً على المؤدبين اجمعين مسالكهم القديمة الشائعة في تأديب الولد بالقصاص الذميم العقيم لانهم يعدلون بهِ عن منهج الطبيعة القويم وافاض في اثبات هذه الحقيقة تمثيلاً وبرهاناً بما لا يبقي لبليغ بياناً و يضيق عن تلخيص بعضهِ مثل هذه المقالات فنجتزىءُ بذكر اهمّ مبادئهِ على وجه التحصيل والايجاز فنقول

اولاً . أثبت من النواميس الكونية ان لكل فعلٍ ردًّا يعقبهُ ويساويهِ ولكل شيءٍ اثرًا يقابلهُ ويحاكيهِ فيطلق على هذا الاثر ما يوافقهُ من الاسماء على حسب وجوه النظر والاعتبارات كالنتيجة والعاقبة والثمرة وهلمَّ جرًّا . وبيَّن بأجلى وضوح أن أمثل الطرق في تأديب الاولاد والناشئين القاء الامر لعقاب الطبيعة بقسميهِ المادي والادبي واورد على ذلك من ابسط الشواهد اليومية والبيتية مالا مزيد فيهِ لمستزيد حتى يتيقن الاب والام والمربي كافةً انهم اذا

سلبوا حق الطبيعة في التأديب جنوا على انفسهم او نفس الاولاد ضرًّا بدل النفع بل زادوا فيهم ما يبغون اصلاحهُ فساداً على فساد بشهادة الواقع وحكم الطبع

ثم قال (اي سبنسر) خذ مثلاً حال الولد الذي لم يعتد المحافظة على ملبسهِ فيمزقهُ بالاشواك ويلطخهُ بالاوحال فاذا ضرب او أُهين وأُرسل الى الفراش عقاباً لم يرَ ذلك الاَّ ظلماً وحيفاً فازداد اهمالاً لحال ثوبهِ بدلاً من الاقلاع عنهُ . ولكن افرض انهُ كلف اصلاح ما افسدهُ بأن يطهر لباسهُ او يرفأ ما مزَّق على ما يستطيع . افلا يشعر حينئذٍ ان هذه نتيجة طبيعية لاهمالهِ ويرى جليًّا علاقة السبب بالمسبب فيتيقن عدل هذا العقاب ؟ . ثم هو اذا لم يتعظ بحكم الطبيعة قصرت عن تأديبهِ المواعظ والزواجر . ومن لاتبصّرهُ عواقب الطبيعة فلن تردعهُ روادع الشريعة . وهذا مفاد قول العامة " الانسان لايتربى الاَّ من كيسهِ " و" المشنوق يخاف من جرة الحبل"

ثانياً . حقَّق الفيلسوف ان التأديب والعقاب الطبيعيّ غايةٌ في تدقيق الاحكام وفي توفية القسط والميزان على حدٍّ التام . فان كان من امور الدنيا عدلٌ حقيقي فهو في عقاب الطبيعة على اصح معناهُ ففيهِ وحدهُ يحق ان يقال السن بالسن والعين بالعين بحيث لا يحوِّر نظام ولا يتعدَّل قانون ومنهُ وحدهُ يتعلَّم المرء الإحكام في تقرير الاعمال وتقدير النتائج . فما الخائن المرذول والخامل المعوز والمدَّعي الساقط والاحمق الخاسر والخبيث المخذول الاَّ شهود ناطقة على عدل العقاب الطبيعيّ ما فهم للعدل معنى عند العقلاء

ثالثاً . أبانَ ان الناس اجمعين في شرعها سواء فلا ترضي بغير الحق بديلاً ولا تراعي في حكمها خليلاً . فاذا ما احتمى الشيخ الجاهل تحت كنف الشيخوخة في الاحكام الادبية فأكرم شيبتهُ الناس قالت لهُ الطبيعة ان الحق اشيخ منهُ والشيخ احقُّ ان يلام فانفذت فيهِ سهم قضائها حتى تخفض كرامتهُ وتزول مهابتهُ وهذه مغبَّة الجاهلين . واذا الشابُّ المغرور انبعث في ميدان المعصية والغرور فعاف العفاف وطلَّق الحياء فقد لا يظهر فيهِ عقاب الطبيعة للحال ولكنك لابدَّ ان تقرأ يوماً احكام الطبيعة بادية على محيَّاهُ من شحوب وهزال وارتجاف واختلال فاذا لم يحتفظ بنعمة الشباب ولا حرص على جدَّة الاهاب نخالف سنَّة الزواج الطبيعيّ وراح يتنقل في الحبّ تنقل الافياء يتسرَّى من كنّ الى كنّ ويلتقط من ذلك الحب التقاط الادنياء فقد لا يصحو من خمارهِ ولهوهِ ولا تنقشع سحائب زهوهِ حتى ينجلي سواد الغرور عن مفرقهِ ويطلع فيهِ صبح المشيب . فيأوي الى مخدعهِ وقد تخاذل عنهُ اخوان الصفاء وادبرت في وجههِ قيان الغناء فريداً لا يؤنسهُ جاهٌ ولا مال فقيداً كما فقدهُ البيت الذي غذَّاهُ والوطن

الذي ربّاهُ ميتاً بصورة حيّ بعد ان وهن العظم منهُ وماتت في صدرهِ الآمال

كذا قل لمعاشر النفاق والرياء والمكر والدهاء من اهل السياسة من المتولّين احكام البلاد والقائمين على رعاية الطوائف والشعوب وتدبير شؤُون العباد فاذا خدع احدهم قوَمهُ الاغرار الى حين او اعتلى الآخر من ذروة المجد اعلى عليين فما خدع الطبيعة بخُلّب مكرهِ ولا حجب عنها دخائل سرّهِ وشرّهِ اذ لا اقرب لديها من تمزيق الحجاب وهتك الاسرار يوم يعمُّ الويل ويطمُّ السيل والطبيعة تجري باقدار

رابعاً . اوضح ان الطبيعة اقوى المؤدّبات على اقناع المعاقب باستحقاق العقاب حتى يرضى بهِ ويرتاح اليهِ ذلك لان الطبيعة لا يداخلها هوًى او غرض من عواطف الحكام والمؤدبين فلا غيظ يدفعها على الافراط ولا ضلع يميل بها الى التفريط على ما هو معلوم . فلكم رايتَ من وخيم العواقب في عقاب البشر حتى المأخوذين بعوج الحكام وقصر النظر وان نبُلت الغاية وحسن القصد. حتى ليسخط الولد على الوالد ويقوم التلميذ على الاستاذ وتفسد المودّة وتقطع علائق الحب بين الانسباء والمحبين . والمشهور من طباع الخلق انهُ ما وقع لنفس العاقل المنصف من الطيبات شيءٌ كاحكام العدل يتوقعهُ لنفسهُ ويتقاضاهُ لاخيهِ ويرضاهُ لذويهِ كأَن ارتياحهُ الى العدل ادلُّ ما بقي من آثار الصلاح على مذهب الجمهور . فلذا نرى انهُ كلما سمت مناقب ذوي الكمالات وقربت من ذلك الاصل الشريف كرهوا من نفوسهم ما لا يراهُ الاعداء الالداء فبثوا ما في صدورهم من امارات الظلم وعادوا على ذواتهم باشد اللوائم والتقبيح . الأَ ان اكثر ما يكون ذلك اذا أتى عن طريق العقاب الطبيعي . ثم ان الانسان قد لا يكتفي بالحاضر المشاهد من هذا العقاب بل ما وقف على جنايةٍ تاريخية سالفة او سمع عن قبيحةٍ بعيدة منهُ الأ ندب حظهُ كيف لم يخُلق في عصرها او يشترك في امرها وتمنى لو عادت بهِ الايام فقمصتهُ حكماً عادلاً اوكان آلةً بيد الطبيعة ليشفي النفس بانزال القضاء ويمتع ناظرهُ بمشهد ذلك العقاب . كل ذلك توحي بهِ شريعة الطبيعة وتلقيهِ اليهِ وقلّما رضي بسواها وازعاً او رضخ لغيرها شارعاً

هذا وما صحَّ من حلول العقاب الطبيعي بالافراد يقع ايضاً في الامم والجماعات . فكم من أُمّةٍ بعد ان نالت حظها من مراقي النجاح استهوتها عزّة الفتح وانبساط الجناح فاستنامت الى المفاسد ولاذت الى اكناف الترف والجمود وراحت تستأمن الايام وتعاند سنة الزمان فما لبثت ان كالت الطبيعة لها بالكيل الذي كالت وأَدالت منها ما أدالت . وكأيّ من بيتٍ كان العلم والادبُ اساسهُ والصلاح نبراسهُ فلما عدل بنوهُ عن هذا المنهاج واستضاء وارثوهُ بغير

ذاك السراج تقوّضت اركانهُ وهوى بنيانهُ بل عفّت اطلالهُ كأنهُ ما كان . ويا اسفي على خلفٍ ورثوا نعمَ السلف من كنوز الصحة والمجد والمال فاضاعوها وباعوها بابخس الاثمان . هذا اذا لم يكن الوالدون انفسهم قد تعدّوا شريعة الطبيعة باسرافٍ او اتلاف فاورثوا بنيهم ما اورثوا من مهلكات النفوس والاجساد حتى حق عليهم حكم الطبيعة ان ما زرعهُ الاباء حصدهُ الابناء

كذا البلاد التي لا يعلم قضاتها من العدل سوى الاسم ولا يدركون من الحق سوى الحرف والرسم يحسبون الناس انعاماً سواماً يجزّون منها الصوف ويحتلبون الالبان قد لا تنتبه الى مصير الوبال والدمار الاَّ يومَ لا تبقي لهم سنة الوجود زرعاً ولا ضرعاً ويجرّد فيهم سيف العدل الطبيعي فيجتثّهم اصلاً وفرعاً

وحاصل القول انك ترى آثار العقاب الطبيعي ماثلةً على قائمة كل بيت للمسرفين ناطقة على باب كل محكمة للغاشمين منقوشةعلى جبين كل مستبد مستهين قائمة على كل خراب تنادي بارفع الاصوات ان هذه عاقبة المفسدين . فحسب العاقل ان يتعظ بما هو منقوش على لوح قلبهِ مسطرًا على صفحات الارض والسموات وليهنإ الصالح الحكيم ان الشريعة والطبيعة في الخير على وفاق لأن " البر يرفع شأن الامم وعار الشعوب الخطيئة " وما كان ربك مهلكاً لقريةٍ الاَّ كان أهلها ظالمين

دمشق الشام مثري قندلفت

المرّيخ وسكّانهُ

تدلُّ الدلائل المتعددة على ان المريخ اكثر الكواكب التي يسهل رصدها شبهاً للارض. وربما كان بين الاجرام السموية ما هو اشدُّ شبهاً بالارض منهُ ولكن منها ما لا نعرف عنهُ الاَّ القليل مثل الزهرة ومنها ما لا نعرف عنهُ شيئاً البتة . وليس ينكر ان المشتري وزحل يضاهيان المريخ في ظواهرها التي تدهش رصّدها من الفلكيين ولكنهما يختلفان عنهُ كلَّ الاختلاف في هذا الشأن . فجوُّ المشتري من اغرب الاجواء في ظواهرهِ وتقلبات ممحيهِ . وزحل يمثل لنا نظاماً عجيباً لم يكن ليخطر على البال لولا وقوعهُ تحت عياننا

اما المريخ فان وجه اهميتهِ مشابهتهُ للارض مشابهة تحملنا على الظنّ انهُ كرة مثل كرتنا فان قطرهُ ٤٢٠٠ ميل وحجمهُ سبع حجم الارض وثقلهُ بالنسبة الى حجمهِ اقلُّ من ثقل الارض

بالنسبة الى حجمها اي ان ثقل عشر كرات مثل المريخ يعدل ثقل كرة الارض (ولو كانت النسبة واحدة لاقتضى سبع كرات فقط) ولهذا الاختلاف الجوهري بين المريخ وحجم ارضنا علاقة ببعض اوجه الشبه والمقابلة التي بينهُ وبينها اهمها ما يتعلق بالجوّ . فان اولى المسائل التي تبدو للخاطر عند البحث فيما اذا كان جرم من الاجرام السموية مسكوناً بخلائق حية هي هل في ذلك الجرم هواء اولا . ولما كانت الارض مكتنفة بطبقة سميكة من الهواء لزم ان تكون حالة الاحياء التي فيها مطابقة لحالة جوّها . ومعظم الحيوانات على الارض لا تستغني عن الاكسجين الذي تستمدهُ من الهواء بل هو لازم كلَّ اللزوم لها حتى ليعسر علينا ان نتصور كيف يكون شكل الاحياء في كرة لا هواء فيها

ثم ان الحياة على الكرة الارضية متوقفة على امر من الاهمية بمكان وهو وجود الاحياء تحت طبقة الهواء فان الهواء يلطّف حرارة الشمس ولولاهُ ما صلحت الارض للحياة . وهو يقينا قرَّ الليل بحفظ الحرارة من الاشعاع . فينتج من ذلك انهُ اذا فقد الهواء لزم ان تكون الاحياء مختلفة عما هي عليهِ الآن

وقد ظهر من ابحاث العلماء ان ما نسميهِ غازًا هو في الحقيقة مجموع دقائق صغيرة جدًّا لا ترى باعظم المكبرات وهي تتحرك على الدوام في جهات متغيرة وسرعة مختلفة باختلاف انواع الغازات مثل اكسجين الهواء ونتروجينهِ والحامض الكربونيك وغيرها من الغازات التي توجد عادة فيهِ فسرعة دقائق الاكسجين ربع ميل في الثانية وسرعة دقائق الهيدروجين ميل واحد على درجة ٦٤ بميزان سنتغراد تحت الصفر. ودقائق الهيدروجين اسرع دقائق الغازات حركة

اما المريخ فمن المؤكد انهُ مكتنف بطبقة من الغاز كما يظهر لراصديهِ فان الاشباح التي في وسطهِ تظهر واضحة جليَّة بخلاف التي عند طرف دائرتهِ فانها تظهر غبشاء كما من خلال سحاب. وكثيرًا ما ترى السحب والغيوم في جوّهِ وهذا لا يمكن الاَّ اذا كان هناك غاز يحملها . اما ماهية ذلك الغاز فلا نعلم عنها الاَّ القليل . ولما كان الاكسجين قوام الحياة على الارض وكان مدار البحث على ما اذا كان في المريخ احياء فسؤالنا هل فيهِ اكسجين حرٌّ أو لا . وهذا ما لا يمكننا الجواب عنهُ . ولكن لو فرض ان ليس فيهِ اكسجين الآن فهذا لا يمنع ان الاكسجين قد يوجد فيهِ في مستقبل الزمان او وجدَ فيهِ قديماً ثم فقد منهُ بالاشعاع الى الفضاء اثر تغلب قوة انتشار الغاز على قوة جذب السيَّار او فقد اثر اتحاد الاكسجين بالمعادن التي فيهِ. ولمثل هذا السبب يقولون ان الهيدروجين لا يوجد في ارضنا حرًّا بل متحدًا مع غيرهِ من المواد . وان الاكسجين قد يزول منها باستنشاق الحيوان لهُ واتحادهِ بالمواد غير الآلية التي

فيها شراهة لهُ كالحديد مثلاً فان في جوف الارض من الحديد ما يكفي للاتحاد بكل ما فيها من الاكسجين وتحويلهِ الى اكسيد . على انهُ وان كنا لا نعلم الآن ماهية جو المريخ ومقدار امتداده وسمك طبقتهِ تماماً فليس ذلك على العلم ببعيد

ومن المسائل المهمة في هذا الشأن معرفة ما اذا كان في المريخ ماء . ومعظم استنادنا في ذلك الى التلسكوب . والتلسكوب يرينا بقعة لونها ومنظرها العمومي مثل الماء ولكن لا يمكننا الجزم بانها ماء لاسيما وان المسافة بعيدة جدًّا بيننا وبين المريخ حتى وهو في اقرب منازلهِ منا . ومهما تكون قوة آلات الرصد التي عندنا فهي لا تتجاوز حدًّا محدودًا . خذ تلسكوب "لك" مثلاً فانهُ احسن تلسكوب لرصد المريخ من حيث موقع مرصدهِ واتقانهُ ولكن جهد ما يفعلهُ في تقريب الاشباح البعيدة عنا انهُ يقلل المسافة الظاهرة الى جزء من الف من قدرها الحقيقي . وبعد المريخ عنا وهو في اقرب منازلهِ الينا ٣٥ مليون ميل فاذا نظرنا اليهِ بتلسكوب "لك" رأيناهُ كما لو كان على بعد ٣٥ الف ميل عنا وهي مسافة بعيدة لا تمكننا من رؤية ما على سطحهِ ومعرفة طبيعة ارضهِ . ولزيادة ايضاح ذلك نقول ان المسافة المذكورة تساوي اثني عشر ضعف المسافة التي بين اوربا واميركا فلو أتيح لاحد ان ينظر الى اوربا من ذلك البعد لم يكد يراها فضلاً عن ان يميز بين الاشباح التي عليها ويدرك ماهيتها . وربما ميَّز بين البر والبحر من لونيهما وشاهد بعض الاشباح الكبيرة مثل جبال الالب اوضح من البعض الآخر لا غيرُ . واصغر شيء تمكن رؤيتهُ على سطح المريخ يجب ان يكون قدر مدينة لندن مساحة اي ١١٨ ميلاً مربعاً . والناظر الى المريخ بالمنظار يرى بقعاً سوداء وبقعاً حمراء والفلكيون يزعمون ان الاولى بحور والثانية برور وهو ما لم يثبت الى الآن

واعظم الدلائل على وجود الماء في المريخ ظهور بقعتين بيضاوين على قطبيهِ يظن ان سبب ابيضاضهما الثلج لاسيما وانهما تصغران وتكبران تبعاً لاختلاف الفصول فيهِ اي انهما تصغران في فصل الصيف وتكبران في فصل الشتاء . فاذا عرفنا ذلك لم يسعنا الاَّ القول بان تلك المادة البيضاء التي تظهر تارة وتختفي اخرى في زمان محدود انما هي ثلج او سائل آخر يجمد في شتاء المريخ ثم يعود فيسيل في صيفهِ . ومما لايكاد يرتاب فيهِ انهُ لو استطعنا النظر الى ارضنا عن بعد شاسع لرأينا قطبيها يتغيران تغير قطبي المريخ . فالنتيجة الطبيعية المعقولة ان ما يجري في المريخ من هذا القبيل يشبه مايجري في ارضنا

وهناك ادلة اخرى على وجود الماء في المريخ . منها ظهور خطوط طويلة سوداء طول بعضها الوف من الاميال وعرضهُ ٦٠ ميلاً على القليل . واول من رآها الاستاذ شيابارلي الفلكي

الايطالي الشهير وذلك سنة ١٨٧٧ . فقال الفلكيون في تعليلها اولاً انها انهار ثم عدلوا عن هذا القول لاسباب منها انهُ لايكاد يعقل ان كوكباً اصغر من الارض يحتوي انهارًا أكبر من انهارها بكثير. ومنها امتداد تلك الخطوط من طرف الى آخر في بعض الاماكن وتقاطعها في اماكن اخرى وهذا يخالف المشهور عن انهر الارض . وعليهِ ذهب بعضهم الى ان تلك الخطوط ترع اصطناعية لا انهر طبيعية احتفرها اهل المريخ لمقاومة ما ينتابهُ من الفيضان الذي ترجح الدلائل حدوثهُ من آن الى آن. وخالفهم آخرون فقال ليجونده انها شقوق جيولوجية تتصاعد منها البخرة تخفف برد المريخ القارس . وانكرها غيرهُ بتاتاً وقال ان سببها خطأ في بصرنا وفي آلاتنا كما ابنا غير مرة . والمستقبل زعيم بإماطة النقاب عن وجه الحقيقة

هذا والمرجح ايضاً ان في المرّيخ بعض انواع الاحياء. فان الكربون والهيدروجين وهما أكثر العناصر علاقة بظواهر الحياة على الارض هما كذلك أكثر العناصر انتشارًا في الكون فالمرجح وجودهما في المرّيخ ايضاً. وقد زعم بعضهم ان اللون المحمرَّ الذي يرى في المرّيخ لون نبات ينبت فيهِ. وقال آخرون بامكان وجود احياء عاقلة فيهِ وليس ذلك بالبعيد. ولما كانت مدة وجود الاحياء العاقلة في ارضنا مثلاً قصيرة جدًّا بالنسبة الى عمر الارض او نحو جزء من الف من عمرها فلا يبعد ان يكون ذلك كذلك في سائر الاجرام التي يفرض وجود الاحياء العاقلة فيها . وعليهِ فالمرجح انهُ ان كان في المريخ احياء عاقلة فهي ليست معاصرة للاحياء العاقلة التي على الارض لما بين الكرتين من اوجه الخلاف الكثيرة. فاما ان تكون قد وجدت فيهِ قديماً واما ان توجد فيهِ في مستقبل الزمان ولكنها ليست موجودة هناك الآن

ولقد زعم بعض الفلكيين انهُ قد يمكن مخاطبة سكان المريخ بالاشارات وهو حديث خرافة لا يكاد عاقل يصدقهُ لانهُ ان كانت ترع المريخ وطول الواحدة منها الف ميل وعرضها ٦٠ ميلاً لا ترى باعظم النظارات الاَّ في احوال نادرة فما هي الاشارات التي يستطيع اهل المريخ ايصالها الينا لو فرضنا وجودهم وسلمنا بهِ جدلاً . فلو رمنا التخاطب بالرايات للزمنا رايات كبيرة لا يقلُّ قدر الواحدة منها عن ٣٠ الف ميل مربع . او لو رمنا بناء المباني الشامخة الباذخة لما رآها اهل المريخ وان كانت مئة ضعف الهرم الكبير جرماً وكان عندهم اعظم النظارات المعروفة عندنا

ومن اغرب ما يتعلَّق بالمرّيخ ان فلكيًّا اميركيًّا كان يرصدهُ سنة ١٩٠٠ فشاهد نتوءًا في حافتهِ بقي مدة تزيد على ساعة واذاع الخبر في مشارق الارض ومغاربها فقام بعضهم يقول ان ذلك اشارة من اهل المرّيخ لنا فصدق الجمهور هذا القول ولكن بعض العلماء علَّل ذلك المنظر

بقولهِ ان سببهُ سحابة كبيرة في افق المريخ بانت لنا باشعة الشمس المنعكسة عنها

وتلا الفلكيّ الاميركيّ العالم نقولا تسلا المشهور فانهُ كان قد نصب آلة للتلغراف الذي بلا سلك على جبل في اميركا فقال انهُ شاهد على الآلة تأثيرًا لم يستطع ان يبين سببهُ واستدلَّ من ذلك انهُ لا بدَّ ان يكون رسالة من اهل المريخ. وقال ان الرسالة لم تكن واضحة وهي تشتمل على ثلاث اشارات لا غير وانهُ لا يعسر علينا ان نتمكن من مخاطبة اهل المريخ بالاشارات الكهربائية في المستقبل

على انهُ ان لم يكن ذلك النتوء الذي ظهر في المريخ اشارة من سكانهِ لنا وصحّ انهُ سحابة عرضت في افقهِ كان ذلك من الاهمية بمكان لانهُ يدلنا على ان الماء موجود فيهِ فلا يستبعد وجود الاحياء ايضاً لكثرة اوجه الشبه بينهُ وبين الارض

فنّ التعليم

خلاصة خطبة لاسقف هرفورد القاها على المجمع العلمي الانكليزي

ان ادخال فرع التعليم ضمن الفروع التي يبحث هذا المجمع فيها لرفع منار العلم دليلٌ كافٍ على ان التعليم في هذه البلاد اخذ يدخل في طور جديد . ومهما يكن في نظامنا التعليمي من العيوب والنقائص ومهما يلزمهُ لاصلاحهِ فان ايام التقليد الاعمى قد زالت وانقضت وحلَّ محلها عصر البحث العلمي فتناول التعليم في جملة مواضيعهِ واخذ اهل العلم والنقد يتساءلون في كلّ حدب وصوب ما هي غاية التعليم الصحيح وهل سبيلنا اليهِ قويم

وصف افلاطون التعليم الصحيح قديمًا فقال انهُ موسيقى النفس ورياضة البدن وان حسن السلوك فرع منهُ والشعر اساسهُ وان يكن الشعراء لا يصلحون لتعليم ولا لتهذيب وأبان شدة تأثير العشراء في اخلاق الصغار ووجوب تربيتهم في حظائر صالحة حتى لا يتعلموا الشرَّ باكرًا ان كان لا بدَّ لهم من تعلُّمهِ وانهُ يجب ان لا يروا الرذيلة ولا يسمعوا بها . وان الغرض منهُ ترقية الفضيلة . وهو اول الاشياء واجلها

وفي ظني ان معظمنا يوافق افلاطون على هذا الوصف وان كنَّا نخالفهُ في بعض امور اخرى مثل قولهِ ان التعليم يجب ان يكون الزاميًا وانهُ يجب ان يكون واحدًا للنساء والرجال . ولكنهُ قال عبارة ربما طربنا لها من صميم افئدتنا وهي قولهُ ان اهالي اثينا نفسها لا يهتمون بالتعليم حتى ان احد مشاهير ساستهم قال ماذا يهمني العلم وغيري ليس بأعلم مني . وقد قال

ملتون شاعرنا ان التعليم الصحيح يؤهل الانسان لاتمام اعمالهِ الخصوصية والعمومية بحذق وعلى موجب قواعد العدل والشرف سواء كان ذلك في السلم او في الحرب . وليس هناك غرض اسمى من ان نصيّر اولادنا ذوي حذق وعدل وشرف . وكلّ ما نصفهُ من الاغراض والوسائل لايخرج عن هذا الحد المتقدم

ولا يخفى على احد اهمية الغايات الصحيحة لما في الغايات الفاسدة من الخطر . وما نُعلّمناهُ في المدرسة ونحن نرى كلّ ما في العالم حولنا صغيرًا جرى مجرى دمنا في عروقنا وبات قسمًا من ذاكرتنا سواء تعلّمناهُ في ساعة ترح او في ساعة فرح . فالتعليم الصحيح اذًا يرمي الى انشاء اسمى ضروب الرجال من كلّ من تمرّس بالاشغال والاعمال او منت الطبيعة عليهِ بالمواهب الحسان وبثّت في صدرهِ اشرف الطباع والخصال ورغب في سلوك خير السبل واقتياد الغير اليها وتعشّق المعرفة والصدق والحرية والعدل وامتاز بحب الواجب والتعقُّل وخدمة الجمهور وقوة الارادة

فتعليم مثل هذا خير ركن لخير الافراد والامة كما عرف بالاختبار الطويل . فان التعليم الصحيح يرينا مثلاً ان ركن الحياة الصحيح ادبيٌّ معاشي لا حربيٌّ ولا عدواني وان غرض الفرد والامة الصحيح انما هو المعرفة والعدل والحرية والسلام والشرف لا الكبرياء والاعتداء والاغتصاب والطمع

يقول بعض اهل النقد انهُ يحسن ادخال فن التعليم بين مباحث مجمع علمي مثل هذا ولكنهم لايجمعون على الطريقة التي يجب تداولهُ فيها . ومنهم من لايرى هذا الرأي بتاتًا بدعوى ان التعليم متوقف اكثرهُ على المعلم لا على قواعد الفن فلا يمكن البحث فيهِ بحثًا علميًا ولا سنّ قواعد وقوانين لهُ لئلا يوضع المعلم في غير موضعهِ ويوكل اليهِ مالم يخلق لهُ ويحرم الفرص لاستخدام مواهبهِ الشخصية وقوة تأثيرهِ المغنطيسية . وقد اخذ كبار رجال الفلسفة العقلية يقولون انهُ لايحسن بالمعلم ان يقصر اعتمادهُ على ما عرف من نواميس العقل في تعليم التلامذة وتهذيبهم مغضيًا عن اميالهم وعواطفهم كأَنهم نباتات او آلات صماء

ومن رأي الذين يذهبون الى ادخال فن التعليم ضمن مباحث هذا المجمع ان يعين اولاً حدود هذا الفن ويُعنى باحلال الاغراض الصحيحة المختصة بالارتقاء الادبي والاجتماعي المحلّ الاول وانزالها المنزلة اللائقة بها . وثانيًا ان يُبحث ليعلم ما هي الطرق الموافقة لدرس فن التعليم وما هي الطرق غير الموافقة لهُ لتتبع الاولى وتجتنب الثانية

اما انا فرأيي لا يعتمد عليهِ كثيرًا في هذا الموضوع لاني وان كنت قد علّمت سنين كثيرة

الاّ اني لم اتعلّم التعلُّم اللازم قبل انتظامي في سلك المعلمين بل كنت معلّم نفسي معتمدًا على درسي واختباري الشخصي . وقد انقطعت عن التعليم منذ سنين كثيرة ولست من اصحاب الآراء الحديثة . على انهُ لما كان لا بدّ لي من كلمة في هذا الشأن اقول اني على مذهب القائلين بادراج التعليم ضمن المباحث العلمية لاني عالم حقّ العلم انهُ لو أُتيح لي وانا صغير ان استعدّ للتعليم استعدادًا علميًّا لائقًا بهِ لما اضعت موهبة من مواهبي ولاكتسبت كثيرًا من المعرفة والثقة والقوة وسلمت من كثير من الفشل والخطل وسلم تلامذتي معي

ثم تقدم الى بيان العيوب والنقائص التي تصم نظام التعليم في انكلترا فقال ان منها قلة الاستعداد اللازم للاشتغال بالتعليم وقلة اهتمام الناس على اختلاف طبقاتهم بتعليم اولادهم وانزالهم العلوم العقلية دون منزلتها الواجبة ومحافظتهم على التقاليد القديمة وعدم انتباه أُولي الشأن الانتباه الكافي الى صحة التلامذة وتقوية اجسامهم بالرياضة البدنية . وبعد ان افاض في هذا الصدد وصف العلاج اللازم لمداواة الحالة الحاضرة فقال ان مجلس المعارف نشر تذكرة أُلخص ما ورد فيها نظرًا لما حوتهُ من الآراء الصائبة والبيان الشافي حيث قال ان غاية المدرسة ايجاد الملكات الصالحة في الصغار وتقويتها فيهم وتأهيلهم علمًا وعملاً للجهاد في هذه الحياة واخراجهم منها وقد ربي فيهم الذوق السليم وحبّ المعرفة وتمكنت منهم ملكة البحث والاستدلال وعلاقة العلة بالمعلول وقوي فيهم الميل الى مطالعة سير العظماء وما اتوا من عظام الفعال . فمن اخص واجبات معلميهم والحالة هذه ان يكونوا قدوة حسنة لهم ويقووا فيهم وهم ينشأُون بين ايديهم حبّ العمل وامتلاك النفس والصبر والثبات والشجاعة ويربوهم على احترام كلّ عظيم وحبّ الحق والطهر والعدل والصدق وانكار النفس وكرم الخلق حتى يكونوا اعضاء حية نافعة في جسم المجتمع الذي يعيشون فيهِ

ثم افاض في الكلام على المدارس الخصوصية التي ينشئها الاهالي بقصد الكسب فأبان مساوئها وقال ان معلميها في الغالب شبان لم يدربوا على التعليم واجورهم قليلة وليس للحكومة سيطرة عليهم فلا هي تمتحنهم ولا تراقب اعمالهم وعندي ان خير ما يعمل لاصلاح حال مدارسنا الثانوية ان توضع جميع المدارس الخصوصية تحت المراقبة العمومية اي مراقبة الحكومة وان لا يسمح لاحد بفتح مدرسة من هذا النوع الاّ برخصة ينالها من الحكومة وان يبحث قبل اعطاء الرخصة في حالة معلمي المدرسة ومعارفهم وحالة المدرسة الصحية وسائر ما يلحق ذلك فاذا وجدت طبق المرام فيهِ والاّ منعت الرخصة عن طالبيها

واشار الى عيوب المعلمين فقال ان فيهم قومًا لا يستطيعون حفظ النظام ولا يلمون بطرق

التعليم المثلى سواء اكان ذلك في تعليم اللغات او التاريخ او علوم الادب او غيرها من فروع العلم بل تنقصهم اولى الصفات اللازمة للمعلمين الاكفاء وهي المقدرة على جعل التلامذة ينتبهون الى دروسهم ويلذون بها . فامثال هؤلاء سبب للضرر يجب تلافيهِ بتمرين المعلمين على التعليم قبل شروعهم فيهِ فلا ينتخب لهُ الاَّ كلُّ معلم تمرَّس بهِ وعرف ظواهرهُ وخوافيهُ

ومن العيوب الرئيسة في مدارسنا زيادة الاعتماد على الذاكرة دون سائر قوى العقل وذلك بان يفرض على التلامذة حفظ امور كثيرة غيباً وتترك قوة عقولهم تضعف باهمالها وقلة تمرينها وعدم الاعتماد عليها في فهم ما يتعلمونهُ

ثم قابل بين نظام المدارس الداخلية ونظام مدارس اليومية في انكلترا فقال ان المدارس الداخلية تفوق اليومية في ان التلامذة الذين يتخرجون منها يكونون اشدَّ اعتماداً على انفسهم وميلاً الى مخالطة الناس ومعاشرتهم وامهر في تطلّب وجوه النفع في الاعمال والاشغال واكثر تساهلاً واغضاء عن الهفوات واحتمالاً للمصاعب والمشاق . ولكنهم يفقدون كثيراً من قوة الشعور الادبي. وعليهِ اقول بالاجمال بناء على اختباري الماضي ان احسن منوال لتهذيب الاولاد وتربيتهم مدرسة يومية منظمة يقف المعلمون فيها حياتهم على الاهتمام بتلامذتهم داخل المدرسة وخارجها كأنهم في مدرسة داخلية

واستطرد الى الكلام على الكليات الكبرى وابان عيوبها واشار باصلاحها مما نضرب عنهُ صفحاً اذ ليست الكليات الكبرى موجودة عندنا فلا يفيدنا البحث عنها

الحرب

اساحة للحرب ام محشرُ	ومورد الموت ام الكوثرُ
وهذه جندٌ اطاعوا هوى	اربابهم ام نَعَمٌ تُنحرُ
لله ما اقسى قلوب الاولى	قاموا بأمر الملك واستأثروا
وغرَّهم في الدهر سلطانهم	فأمعنوا في الارض واستعمروا
قد اقسم البيضُ بايمانهم	لايهجرون الموت او ينصروا
واقسم الصفرُ باوثانهم	لايغمدون السيف او يظفروا
فمادت الارض باوتادها	حين التقى الابيض والاصفرُ
واثملتها خمرة من دمٍ	يلهو بها الميكادو والقيصرُ

واشبهت يوم الوغى اختها	اذ لاح فيها الشفق الاحمرُ
(واصبحت تشتاق طوفانها	لعلها من رجسها تطهرُ)
اشبعتِ يا حربُ ذئاب الفلا	وغصّت العقبان والانسرُ
وميرتِ الحيتان في بحرها	ومطعم الانسان لا يقدرُ
سالت نفوس القوم فوق الظبا	فسالت البطحاء والانهرُ
واصبحت (مكدن) يافوتةً	يغار منها الدر والجوهرُ
يافوتة قد قوّمت بينهم	بانفس كالقطر لا تحصرُ
اضحى رسول الموت ما بينها	حيران لا يدري بما يؤمرُ
كذلك المدفع في بطشهِ	اذا تعالى صوتهُ المنكرُ
تراهُ ان اوفى على مهجة	لا الدرع يثنيهِ ولا المغفرُ

***

امسى كورباتكين في غمرة	وبات اوياما لهُ ينظرُ
وظلت الروس على جمرة	والمجدُ يدعوهم ألا فاصبروا
فهل درى القيصر في قصرهِ	ما تعلن الحرب وما تضمرُ
فكم قتيل بات فوق الثرى	ينتابهُ الاظفور والمنسرُ
وكم جريح باسط كفهُ	يدعو اخاهُ وهو لا يبصرُ
وكم غريق راح في لجة	يهوي بها الطود فلا يظهرُ
وكم اسير بات في اسرهِ	ونفسهُ من حسرة تقطرُ
ان لم تروا في الصلح خيرًا لكم	فالدهر من اطماعكم اقصرُ
تسوءُنا الحرب وان اصبحت	تدعو رجال الشرق ان يفخروا
اتى على الشرقي حين اذا	ما ذكر الاحياء لا يذكرُ
ومر بالشرق زمان وما	يمر بالبال وما يخطرُ
حتى اعاد الصفر ايامهُ	فانتصف الاسود والاسمرُ
فرحمة الله على امة	يروي لها التاريخ ما يؤثرُ

مصر حافظ ابرهيم

اطيان النوبارية

من كتاب الاطيان والضرائب في القطر المصري

في جملة ما اعطي من الاطيان الخارجة الزمام بناء على الامر المشار اليهِ (وهو الصادر في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤) ٤٩٠٠٠ فدان في براري حوش عيسى والبوطة بمديرية البحيرة وقد عرفت اخيرًا بمنطقة النوبارية بمناسبة الترعة التي أُنشئت لريها وسُميت بالترعة النوبارية على اسم المرحوم نوبار باشا رئيس النظار يومئذٍ بمقتضى أمر عالٍ في اول ديسمبر سنة ١٨٨٦ ورأينا اتمامًا للفائدة ان نأتي على تلخيص ما جرى في اطيان النوبارية وهو

ان الامر العالي الصادر في اول ديسمبر سنة ١٨٨٦ تضمن (١) ان الشركة المؤلفة برئاسة السير قسطنطين زرفوداكي يجب ان تدفع بصفة سلفة كافة النقود التي تلزم لحفر وانشاء الترعة النوبارية (٢) توزع هذه النفقات على الاطيان التي اعطيت فعلاً والتي ستعطى تنفيذًا لدكريتو ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ والتي ستباع بالثمن وتحصل اقساطًا سنوية مضافًا اليها فائدة سنوية بقيمة خمسة في المائة في المدة الباقية من العشر السنوات المحددة للمعافاة من الضريبة بدكريتو ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ وان يحجز ويباع من الاطيان بقدر ما يكفي لسداد المطلوب ممن يتوقف عن السداد بذات الطرق الادارية المقررة في تحصيل الاموال. وعدا ذلك قد جاء في نص المادة السادسة منهُ ما يأتي وهو (اراضي الحكومة التي لم يصر اعطاؤُها لغاية الآن ولم تطلب قانونًا بمقتضى احكام امرنا الصادر في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ويمكن ريها بالترعة النوبارية يصير بيعها مع معافاتها من دفع الاموال اثناء السنوات الباقية لغاية مضي ميعاد العشر السنوات المذكورة اعلاهُ بشرط ان يقوم اربابها باداء التكاليف والتعهدات الناجمة عن الاحكام المدونة بالمواد الثالثة والرابعة والخامسة من امرنا هذا)

وفي ٧ ابريل سنة ١٨٨٧ قرر مجلس النظار تخصيص ٢٥٠٠٠ جنيه سنويًّا في ميزانية نظارة الاشغال العمومية ليمكن للحكومة ان تدفع منها ما يعجز عن دفعهِ اصحاب الاطيان في مقابل تحصيلهِ منهم

وفي شهر دسمبر سنة ١٨٨٩ صدر قرار من نظارة المالية (انظر صحيفة ٤٣ من كتاب القوانين العقارية) يتضمن اعتبار اتمام حفر واعداد الترعة النوبارية من اول شهر ديسمبر سنة ١٨٨٨ وانهُ يجب ان يشرع في تحصيل نفقاتها من ابتداء شهر يناير سنة ١٨٩١

اما قيمة المال التي صرفت على انشاء هذه الترعة فهي ٧٣٤٨٧ جنيهًا و٤٣٤ مليمًا منها ٢٠٠٠

جنيه حكم بها غرامة على احد المقاولين والباقي وهو ٧١٤٨٧ جنيهاً دفعت منهُ الحكومة ١٩٨٧ جنيهاً ودفعت الشركة الباقي وهو ٦٩٥٠٠ جنيه ولكن قيمة المال التي تقرر توزيعها لتحصيلها من المنتفعين باضافة الفوائد بحساب ٥ في المائة قد بلغت ٩٦١٦٣ جنيهاً و٢٦٢ مليماً

بعد ذلك اتفقت المالية مع السير قسطنطين زرفوداكي بمقتضى مكاتبة صدرت منها لجنابهِ في ٢٣ يوليو سنة ١٨٩٠ نمرة ٧٠٢ وارسل هو جواباً في ٢٨ من الشهر المذكور بالمصادقة عليها ان تحل الحكومة محلهُ

وبلغت اطيان النوبارية ٧٦١٢٨ فداناً منها ٤٦٠٣ للسير قسطنطين زرفوداكي و٢١٧٧٨ للحكومة والباقي وهو ٤٩٧٤٧ لمن أعطي لهم بمقتضى الامر العالي وبقسمة النفقات وهي ٩٦١٦٢ جنيهاً على ٧٦١٢٨ فداناً خص الفدان جنيه و٢٦٣ مليماً تقسط على ستة اقساط سنوية قيمة كل منها ٢١٣ مليماً .

ثم رأت المالية بعد ذلك اطالة مدة الاقساط نخص الفدان ١٤٠ مليماً وفي المدة من سنة ١٨٩١ لغاية سنة ١٨٩٦ حصلت الحكومة من الاهالي ١٤٠٧٥ جنيهاً واخذت منهم اطياناً بقيمة ١٦٥٦٥ جنيهاً وخص اطيان السير قسطنطين زرفوداكي ٥٨٨١ جنيهاً وخص اطيان الحكومة ٢٧٧٨٨ جنيهاً وجملة ذلك ٦٤٣٠٩ جنيهات وتاخر الاهالي في سداد ٣١٨٥٤ جنيهاً فاضطرت الحكومة ان تدفعها

وكان في تلك الاثناء صدر امر عالٍ في ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٠ (انظر كتاب القوانين العقارية صحيفة ٣٧) مقتضاهُ انهُ ابتداء من اول يناير سنة ١٨٩٧ تربط ضريبة على اطيان البور الخارجة عن الزمام التي تروى من الترعة النوبارية الصادر بانشائها دكريتو اول ديسمبر سنة ١٨٨٦ وان تتبع احكام المادة الثالثة من دكريتو ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فيما يتعلق بتقرير هذه الضريبة على الاطيان المذكورة التي سبق اعطاؤها والتي يجوز اعطاؤها فيما بعد بناء على طلبات صحيحة قدمت بشأنها قبل صدور دكريتو ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٤

وفي ٢٩ مايو سنة ١٨٩٧ صدر امر من المالية لمدير البحيرة نمرة ٨٦٢ مفادهُ ان الحكومة قد دفعت كافة نفقات الترعة لعجز المنتفعين عن القيام بذلك وانهُ بالنظر لان اطيان تلك المنطقة لم تزل على حالة من الضعف تجعلها غير قادرة على القيام بما يفي بالمتأخر من النفقات مع مايستحق منها فضلاً عن الاموال السنوية قد رأت المالية فرز اطيان النوبارية وتقدير ضريبة واحدة لكل قسم منها بقدر مايستحق واعتبار هذه الضريبة بصفة مصاريف نوبارية الى ان تستوفي الحكومة بدل ما دفعتهُ . وكانت المالية قبل ذلك قد صرحت برفع ما تأخر من

اموال تلك الاطيان لغاية سنة ١٨٩٦ فاشارت في الامر نمرة ٨٦٢ السالف الذكر الى انهُ عدا ذلك كل ما يوجد عند فرز الاطيان تالفاً يرفع ايضاً ما يستحق عليهِ لا لغاية سنة ١٨٩٧ فقط بل لغاية سنة ١٩٠٠ التي هي نهاية مدة العشر السنوات المقسط عليها تحصيل نفقات الترعة النوبارية . وقد اعتبرت الترعة ذاتها من المنافع العمومية بأمر عالٍ في ٦ دسمبر سنة ١٨٨٦ وعوينت الاطيان تعلق الاهالي فوجد منها ١٤٧٣٩ فداناً تالفة خصها من مصاريف النوبارية ١٣٥٥٥ جنيهاً رفعت على طرف الحكومة و١٧٩٤٦ فداناً تقدرت لها ضرائب مختلفة منها ١٠١٥١ فداناً بضريبة ٢٠ مليماً والباقي بضرائب تتفاوت بين ٥٠ مليماً على الاقل و ٤٠٠ مليم على الاكثر لمدد مختلفة تنتهي بنهاية سنة ١٩٠١ ثم تعاد معاينتها

وفي ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨ صدر امر المالية لمديرية البحيرة بانهُ ابتداء من سنة ١٨٩٩ لا تعرف الضرائب التي تحصل في منطقة النوبارية باسم مصاريف نوبارية كما كانت من قبل بل باسم اموال اطيان كبقية الاطيان المربوطة بالمال

هذا كل ما جرى في اطيان النوبارية

غرس الغابات والاحراش

الامر العالي الصادر في ٢٢ ابريل سنة ١٩٠٠

(المادة الاولى) الاراضي التي تخصص فقط لغرس او لزراعة اشجار الغابات والاحراش تعفى من كافة الضرائب مدة عشر سنوات تبتدىء من السنة التي تلي صدور الرخصة المنصوص عليها في المادة الثانية ثم يكون دفع المال عنها عن كل فدان سنوياً كما يأتي

قرشان صاغ في السنتين الحادية عشرة والثانية عشرة

وخمسة قروش صاغ في الثلاث السنوات التي بعدها

وعشرة قروش صاغ في الخمس السنوات التي بعدها

وبانقضاء السنة المتممة للعشرين تقدّر الحكومة قيمة الاراضي المذكورة وتربط عليها ضريبة بنسبة ايرادها اسوة بباقي أراضي القطر بحيث لا يتجاوز المال السنوي الذي يربط على كل فدان في ايّ حال من الاحوال خمسين قرشاً صاغاً

(المادة الثانية) اصحاب الاراضي الذين يرغبون الانتفاع بأحكام المادة السابقة يجب عليهم ان يقدموا طلباً لنظارة المالية للحصول على رخصة بذلك

(المادة الثالثة) الاراضي الصادرة بها الرخصة المذكورة بالمادة السابقة اذا تركت كلها

او جزء منها بدون أدنى زراعة او خصصت لاية زراعة اخرى يسقط حق صاحبها في الانتفاع بأحكام المادة الاولى سقوطاً كلياً او جزئياً وتدخل الارض تحت حكم القانون العام من حيث ربط المال ويكون سقوط الحق بمقتضى قرار من ناظر المالية بناء على معاينة مندوب من المديرية ومعهُ عمدة البلد واثنان من ارباب الاراضي بالناحية . والقرار الذي يصدره ناظر المالية لا يقبل الطعن فيهِ مطلقاً ويدرج بالجريدة الرسمية انتهى (انظر باب التقاريظ في هذا الجزء)

كتاب روزبري عن نبوليون

(٦) المندوبون

لما عقدت المعاهدة بين الدول المحالفة في ٢ اغسطس سنة ١٨١٥ اشار الوزير كسلراي على النمسا وبروسيا وروسيا ان تنتدب كلُّ دولة منهنَّ رجلاً ترسلهُ مع نبوليون الى منفاهُ ليراقبهُ ويحقق وجودهُ فيهِ . اشار بذلك ثم ندم ولات ساعة مندم . واتَّفق المتعاهدون على ان يطلبوا من ملك فرنسا ايضاً ان يوفد مندوباً من قبلهِ لهذه الغاية . وابت بروسيا ان ترسل مندوبها حاسبةً ان نفقاتهِ تزيد على النفع الناتج لها منهُ واصابت في ما فعلت اما الدول الثلاث الاخرى فارسلن مندوبيهنَّ ليحققوا وجود نبوليون في منفاهُ وما منهم من رآهُ فيهِ مرأى العين الاَّ واحداً رأى جثتهُ بعد موتهِ . وظن المندوب الروسي انهُ رآهُ مرةً واقفاً على درج البيت الذي كان فيهِ والمندوب النمسوي انهُ رأى بنظارتهِ رجلاً على رأسهِ برنيطة مثلثة فحكم انهُ نبوليون وكذلك رأى المندوب الفرنسوي بنظارتهِ شبحاً ظنهُ نبوليون ثم اتيح لهُ ان يرى جثتهُ بعد وفاتهِ

ولما لم يكن لهؤلاء المندوبين عمل آخر يعملونهُ في الجزيرة جعلوا يقابلون حاكمها ويسألونهُ عن نبوليون ويطلبون منهُ ان يريهم اياهُ وهو ينظر اليهم كخصوم مناظرين لهُ في السلطة فيستثقلهم ويهرب منهم . وعلم نبوليون بتشوُّفهم الى رؤيتهِ فجعل يحترس منهم لئلاَّ يروهُ ثم دعاهم مرةً للغداء معهُ فوقعوا في حيص بيص واخيراً بعث اليهِ المندوبان الروسي والنمسوي يقولان ان مقتضيات الحال لا تسمح لهما بذلك وبعث المندوب الفرنسوي يقول انهُ منتدب لحراستهِ لا لضيافتهِ

ويقال ان الوزير تلرند ارسل هذا المندوب انتقاماً من نبوليون لانهُ ثرثارة سخيف العقل ونبوليون لا يحتمل من كان كذلك فتنشق مرارتهُ منهُ ويموت كمداً . لكن الحساب الذي حسبهُ لم يصح ومندوبهُ لم يكلم نبوليون ولا رآهُ

واسم هذا المندوب مركيز منشانو كان كولونلاً لما كان نبوليون ضابطاً صغيرًا وكانا في فرقة واحدة من الجيش الفرنسوي وتناظرا في محبة فتاة اسمها مداموازل ده سان جرمان ففضلت رجلاً آخر عليهما واقترنت بهِ . وكان منشانو ماجناً خالع العذار على كبر سنهِ لانهُ كان قد ناهز الستين . وقد ارسلتهُ الحكومة الفرنسوية ليتحقق وجود نبوليون في الجزيرة ويراهُ بعينهِ كما تقدم فلما وصل اليها سأل حاكمها المرشال برتران عما اذا كان مولاهُ يرغب في رؤية المندوبين . فسألهُ نبوليون عمّا اذا كان المندوبون اتوهُ بمكاتيب من ملوكهم فقال الحاكم كلاَّ بل اتوا طبقاً لنص المعاهدة لكي يحققوا وجودهُ . فقال نبوليون وهل معهم صورة من هذه المعاهدة ففتشوا عنها ووجدوا انهم لم يأتوا بصورة منها وهي التي تخولهم حق الاقامة هناك وبعد ان فتشوا عنها ثلاثة اسابيع وجد المندوب النمسوي عددًا من جريد الدبيا ملفوفة امتعتهُ بهِ وفيهِ صورة المعاهدة فارسلهُ الى نبوليون فاحتج نبوليون عليها ورفض مقابلة النواب بتاتاً ومن ثم زادت رغبتهم في رؤيتهِ حتى بلغت حد الجنون على ما قالهُ الحاكم لو . وحاول منشانو مرةً ان يدخل بيت نبوليون عنوةً فقيل لهُ ان نبوليون اقسم ليقتلنَّ كل من يدخل بيتهُ فانثنى

وكان مع منشانو كاتب يكتب رسائلهُ وهو امتياز لهُ على المندوبين الآخرين لكن هذا الكاتب كان رقيباً عليهِ يكتب الرسائل ويعقّب عليها كما يشاء فنقض اكثر ما فيها كقولهِ ان انتقاد المندوب على رفيقيهِ لا اساس لهُ وهو انما يذمُّ ما لا يفعلهُ ولا يهتم بفعل شيءٍ مما يطلب منهُ فعلهُ

واسم المندوب الروسي الكونت بلماين وكان الجميع يحبونهُ ويكرمونهُ لانهُ ظريف وديع رزين على الضد من منشانو المندوب الفرنسوي وقد امرهُ الامبراطور اسكندر ان يعامل نبوليون بالاحترام الواجب لشخصهِ ورسم بيدهِ خطاً تحت كلمة "الاحترام الواجب لشخصهِ" لزيادة التأكيد . والظاهر ان الحكومة الروسيَّة عدلت عن ذلك بعدئذٍ لانها طلبت من مؤتمر اكس لاشابل ان يظهر نبوليون نفسهُ مرتين كل يوم للمندوبين وان يجبر على ذلك بالقوة ان لم يفعلهُ برضاهُ ولكن عجزت كل قوات اوربا عن ان تجبرهُ عليهِ

وابتدأ الكونت بلماين عملهُ في جزيرة القديسة هيلانة بعشقهِ لفتاة اسمها مس برك ثم تركها واقترن بفتاة اخرى اسمها مس جنصن وهي ربيبة السر هدصن لو. ويظهر مما كتبهُ غورغار ومنثلون ان نبوليون كان يمنّي نفسهُ بان الامبراطور اسكندر يودّهُ وانهُ عازم على ارجاعهِ الى اوربا والسعي في خلع البربون واعادتهِ الى عرش فرنسا . ويقال ان ذلك كلهُ مبني على رسالة ارسلها الامبراطور اسكندر الى نبوليون . وقد اقام لورد روزبري الادلَّة على ان الامبراطور اسكندر

لم يرسل رسالة الى نبوليون ولكنهُ لم ينفِ امنية نبوليون ولا انهُ كتب كتابة في هذا الصدد ازال فيها بعض الشبهات التي اوقعت النفور بينهُ وبين روسيا آملاً ان تصل الى اوربا ويراها الامبراطور اسكندر فتتحرك فيهِ الشفقة عليهِ ويسعى في ارجاعهِ من منفاهُ والاَّ فيرأف على ابنهِ حتى اذا عاد الى عرش فرنسا يوماً تكون روسيا صديقة له. لكن بلماين لم يدرِ بذلك ولا كان لهُ شأن في الدسائس التي كانت تجري في تلك الجزيرة

والمندوب النمسوي البارون ستارمر كان شابًّا في الثامنة والعشرين من عمرهِ لما وصل الى جزيرة القديسة هيلانة وكان امرهُ اصعب من رفيقيهِ لان حكومتهُ كانت تلح عليهِ دائماً بالاتفاق مع حاكم الجزيرة والاتفاق معهُ ضرب من المحال. واراد نبوليون ان تكون لهُ علاقة مع هذا المندوب فارسل يسألهُ عما اذا كان يستطيع ان يأتمنهُ على رسالة يوصلها الى امبراطور النمسا اذا اصيب بداء عياء فاجاب البارون انهُ يسأل حكومتهُ عن ذلك ويرد عليهِ الجواب والظاهر انهُ سأل ولم يجب ثم استرجعتهُ النمسا بطلب انكلترا ووكلت مندوب فرنسا لينوب عنها فرآها منشانو فرصةً لزيادة رتبتهِ وراتبهِ فطلب من حكومتهِ ان يزاد راتبهُ ٥٠٠ جنيه في السنة ومن الحكومة النمسوية ١٢٠٠ جنيه

ولم تتفق تقارير هؤلاء النواب الثلاثة الاَّ في ثلاثة امور وهي الكراهة الشديدة للسر هدسن لو حاكم الجزيرة والشكوى من غلاء الاسعار فيها لطلب زيادة الراتب وتأثير هواء الجزيرة في اعصابهم

(٧) معيشة نبوليون في منفاهُ

كانت مدينة لُغوود التي أُنزل فيها نبوليون مجموع أكواخ اقيمت مزارب للبقر. والبيت الذي خصص لمنامتهِ غرفتان صغيرتان حقيرتان. ربَّ القصور الفاخرة الذي فتحت لهُ قصور الملوك والقياصرة ابوابها فغي السنين الاخيرة من عمرهِ في غرفتين طول كلّ منهما ١٤ قدماً وعرضها ١٢ قدماً وارتفاعها ١٠ اقدام في احداهما سريرهُ الذي كان ينام فيهِ وهو في ميادين القتال ومقعد عتيق كان يجلس عليهِ ويضع كتبهُ حولهُ والغرفة صغيرة جدًّا ولكنهُ وضع فيها من آثار عظمتهِ ومجدهِ مغسلةً آنيتها من الفضة وصورة زوجتهِ الملكة ماري لويز وصورة ابنهِ ملك رومية راكباً على حَمَل وتمثالاً نصفيًّا لابنهِ ايضاً وصورة لزوجتهِ الاولى جوزفين وساعة الملك فردرك الكبير التي اخذها من بوتسدام وساعتهُ لما كان قنصلاً معلَّقة بسلسلة من شعر زوجتهِ ماري لويز. وفي الغرفة الثانية مكتبة صغيرة ورفوف للكتب وسرير آخر يستريح عليهِ نهارًا وينتقل اليهِ اذا قلق ليلاً

وكان يتكئ في الصباح على المقعد لابساً لبسة المتفضل ورأسهُ ملفوف بمنديل وطوق قميصهِ مفتوح وامامهُ المائدة عليها بعض الكتب . والكتب مبعثرة حولهُ في كل ناحية

ويلبس في النهار ثياب الصيد سترة خضراء ظلَّ يلبسها الى ان زال زغب جوخها فقلبها لكي لا يلبس جوخاً انكليزياً وبنطلوناً من الكزمير وبرنيطة مقرَّنة . ولما مرَّ عليهِ سنتان خلع البرنيطة ذات الثلاثة الالوان وامر خادمهُ ان يحتفظ بها الى ان تزول ايام البؤْس وتعود ايام الصفاء

وكان يفطر وحدهُ الساعة الحادية عشرة صباحاً ويلبس ثيابهُ الساعة الثانية ويتعشى الساعة السابعة ثم صار يتعشَّى الساعة الرابعة وعاد فجعل غداءهُ الساعة الثانية وعشاءهُ الساعة العاشرة. وكان يقضي نهارهُ في القراءة والكتابة والحديث واذا خرج للنزهة خرج بابهة الملك في مركبة كبيرة تجرها ستة من الجياد وغلامان بالثياب الرسمية على بابيها

ولم يكن يسمح لاحد من رجالهِ ان يجلس في حضرتهِ بل كان غورغو وبرتران ومنتلون يقفون امامهُ ساعات متوالية حتى ينهكهم التعب واذا عادهُ الطبيب اضطرَّ ان يلبس ثيابهُ الرسمية ويقف بجانب سريرهِ حتى يكاد يغمى عليهِ من شدَّة التعب . وقال لهُ غورغو مرةً ان اهالي الصين يعبدون ملوكهم فقال هذا هو الواجب. واقام رجالهُ معهُ كل مدة منفاهُ لا يجسر احد منهم ان يدخل اليهِ من غير ان يدعوهُ او من غير ان يعيّن لهُ ساعة يقابلهُ فيها . ولا يستطيع احد ان يتكلَّم معهُ ما لم يأْمرهُ بالكلام ولا ان يتكلم وبرنيطتهُ على رأْسهِ ثم لما علم ان الانكليز مأمورون بان لا يكشفوا رؤُوسهم حينما يكلمونهُ اباح لرجالهِ ان يكلموهُ من غير ان يكشفوا رؤُوسهم

وكان يستاء من كل تقصير يبدو من رجالهِ وينتظر منهم ان يعاملوهُ كأَنهُ لا يزال على عرشهِ في باريس. ويُقدَّم لهُ الطعام على المائدة في صحاف من الذهب ويقف النُّدُل بالثياب الرسمية المقصَّبة ويُترك كرسي فارغ الى جانبهِ للامبراطورة لا يجلس فيهِ احد الاَّ بعض السيدات اللواتي يريد المبالغة في اكرامهن

وكانت مسرتهُ العظمى مطالعة الكتب الحديثة فكلما جاءهُ كتاب منها جلس يطالعهُ يوماً بعد يوم الى ان يتمهُ . وكان خروجهُ من البيت قليلاً جدًّا لانهُ كان يكره ان يرى احداً من الحرَّاس او ان تقع عينهُ على الحاكم لو فيتذكر انهُ منفيٌّ. وقال انهُ ما دام في البيت فهو الامبراطور وكرامتهُ محفوظة ولذلك جعل يروّض جسمهُ داخلاً بالالعاب الرياضية وكان يملّها احياناً وينقطع عنها فتنحرف صحتهُ وترم رجلاهُ . ويقضي جانباً من وقتهِ في حديقة صغيرة بجانب البيت يعمل فيها بيدهِ يركس ويغرس فتراهُ لابساً برنيطة من القش والرفش في يدهِ كاحد

العمال. ورفع التراب على جوانب الحديقة حتى خشي "لو" ان لا يعود الحرّاس يرونهُ فامر بمنع ذلك ولكنهُ ترك التراب على حالهِ . واشترى اشجارًا كبيرة ونقلها الى هذه الحديقة وغرسها فيها وانفق على نقلها وغرسها نفقات طائلة

ولم يكن يحسن الكتابة والانشاء ولكنهُ كان يحسن الاملاء فيملي على كتّاب كثيرين في وقت واحد وقد يملي الليل كلهُ واذا تعب الكتّاب من الكتابة عزّاهم بقولهِ انهُ يترك لهم نشر ما كتبوهُ فيكون ربحهم منهُ كبيرًا

هذه كل وسائل التسلية التي كان يتسلّى بها وهي المطالعة والاملاء والركوب والعمل في الحديقة . واهتمّ مرةً بتربية الحملان ثم اهملها . واطلق لهُ لو بعض الارانب ليتسلّى بصيدها فدخلت حديقتهُ وكادت تأ كل ما فيها من المزروعات لكن قامت الجرذان عليها وا كلتها او انقرضت بواسطة اخرى . واصطاد مرةً بعض الحيوانات رميًا بالرصاص وسمع لو صوت اطلاق الرصاص فجزع لئلا يصيب احدًا خطأً فيقع الاشكال في كيفية محاكمتهِ وبعث يسأل رجال القضاء في لندن عمّا يكون من ذلك

وكان يركب احيانًا وقال ان اجود خيلهِ جواد اسمهُ مراد بك لا الجواد مورنجو المشهور ويلعب الشطرنج ولكنهُ لم يكن ماهرًا فيهِ ولا كان يصبر على الانغلاب فيضطر ملاعبهُ ان ينغلب لهُ. وكان يغش ملاعبهُ ولكنهُ لا يأخذ الرهان منهُ بل يضحك عليهِ قائلاً اني خدعتك

وكان يحب القراءة بصوت عالٍ على مسمع من الحضور وكثيرًا ما كان يقرأ كتبًا مملّة فيملها السامعون وينعسون فينقم عليهم . وكان يعجب بقراءة كورنيل وراسين والف ليلة وليلة وكثيرًا ما كان يقرأ التوراة وترجمة هوميروس وفرجيليوس وتاريخ هيوم ورواية زاير تأليف ڤولتير ونحو ذلك من الكتب والقصص

وقد شبههُ روزبري باسد في قفص يمشي فيهِ ذهابًا وايابًا بلا تعب ولا ملل وينظر الى ماحولهُ بعين اليئس المغضوب ولا غرابة لان ذلك المنفى كاد يقضي على اتباعهِ فكم كان فعلهُ بهِ

وكان في اكثر الاحيان يظهر الجلد ويخفي الكمد وكثيرًا ما كان يأخذ كتابًا من الكتب السنوية التي كانت تصدر في زمن مُلكهِ ويقول " لقد كان مُلكًا مجيدًا — كنت املك على ثلاثة وثمانين مليونًا من النفوس — اكثر من نصف سكان اوربا " ثم يقلّب صفحات الكتاب ويحاول اظهار الجلد بالدمدمة (اي بترنيم اغنية بصوت منخفض) وذات مرة القى رأسهُ على الكتاب ثم تنهّد وقال " تعب كلها الحياة وعبث اين كل ما انشأتهُ لقد تقوّض وسأنسى كما نُسي " وقال في وقت آخر " سينساني التاريخ لانني خُلِعتُ ولو امكنني ان اترك الملك لولدي من

بعدي لكان الامر على غير ذلك" . والظاهر ان الاسف على الماضي والخوف من المستقبل كانا كالسوس في عظامهِ فتجرَّع غصص المنون ست سنوات متواليات ولما لم تَرَ همتهُ منصرفاً تنصرف فيهِ بقيت في نفسهِ تؤَنبهُ وتعذبهُ . ولو اتيح لهُ ان يعمل عملاً ما لانفرج همهُ واطمأَنت نفسهُ ولقد كان رجل العمل والجد لا يكل ولا يمل . ورأَى ان يسلي نفسهُ و يصرف قوى عقلهِ وجسدهِ في شيءٍ ما لئلا تنصرف في تونيبهِ كالنار تأْكل نفسها ان لم تجد ما تأْكلهُ فاشتغل بتعلم اللغة الانكليزية ليقرأَ صحف الاخبار و بالاملاء على كتَّابهِ و بذكر مساوىء حرَّاسهِ الاَّ ان هذه الامور كانت كالفتات الذي يقتات بهِ الغني بعد ما يفتقر . ولا مثيل للحالة التي كان فيها لان الملوك الذين خُلعوا مثلهُ قضي عليهم حالاً . وقد حاول هو ان ينجو من تلك الحياة المرَّة فلم يتيسر لهُ ذلك لا بالقتل في حومة الوغى ولا بالانتحار . وكانت انكلترا تود ان الفرنسويين يقتلونهُ شنقاً او رمياً بالرصاص لتتخلَّص من عار قتلهِ فلم يفعلوا ولذلك اتحدت مع اوربا على تضييق خناقهِ حينما رأَت قوتهُ اعظم من ان يحتملها سلام العالم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

بعض عوائد الزواج

قال احد العلماء ان الزواج انعم الحالات التي يتقلب المرء عليها في هذه الحياة وآمنها ولا ريب انهُ اقدمها . وقال احد علماء الالمان لم يمرَّ على نوع الانسان زمنٌ الاَّ كان للزواج فيهِ شأن كبير . فان الانسان المتوحّش معروف بشدة ميلهِ الى الزواج فهو يتزوج باكرًا وقد يتزوج مرارًا . ومن الناس من يحسب العزوبة عارًا فإِما ان يتزوج العزب او ينبذ من قومهِ . وعندهم ان من ينبذ من قومهِ في هذه الدنيا ينبذ في الآخرة ايضاً . فاهل فيجي يعتقدون مثلاً ان من يموت عزباً يلاقيهِ الاله نجا نجا وهو ذاهب الى الفردوس و يضربهُ بمطرقتهِ حتى يموت ثانية وكلما مات وقصد الفردوس جرى لهُ مثلما جرى المرة الاولى الى ما لا نهاية لهُ . والعزب عند الكفرة

من سكان جنوبي افريقية مرذول لا قول لهُ ولا كلمة ولو اشتعل رأسهُ شيباً .وبعض القبائل يحلقون رأس العزب ولا يسمحون لهُ باطلاق شعرهِ كأنهُ مجرمٌ . والعزباء عندهم اندر من الكبريت الاحمر . والهنود ينزلون الاعزب منزلة الاحمق والابله

وكان الفتى عند بعض المتوحشين اذا ترعرع ورام الزواج تأبط هراوتهُ وخرج يطلب عروساً لهُ حتى اذا أصاب اول فتاة ضربها بهراوتهِ على رأسها وجرّها الى بيتهِ بقدميها كأنهُ يجرُّ صيدًا حتى كان الفتيات ينفرن من الزواج ويختبئن في منازلهنَّ خشية ان يعاملن بمثل تلك المعاملة الوحشية . وعليهِ ذهب بعض الفلاسفة الى ان حياء البنات على ما هو مشهور ناشئٌ عن هذه العادة التي جرى الانسان قديمًا عليها

ويسام الخطّاب في كثير من القبائل الهمجية الوان العذاب قبل ان يحظوا بالفتاة التي يرومون التزوج منها . فاذا طلب اثنان فتاة واشكل عليها وعلى اهلها اختيار افضلهما عمدوا الى الطريقة الآتية للفصل في الامر . وهي انهم يربطون سكينًا في كلٍّ من زندي الفتاة ويجلسونها بين طالبيها فتضع راسي السكينين على فخذيهما وتنحني الى الامام حتى تدخل السكينان فيهما فمن كان منهما اشدَّ احتمالاً لالم الجراح حظي بها . واول عمل تعملهُ بعد الزواج انها تضمد الجراحات التي كانت سببها

ولفتيات مدغسكر طريقة اخرى في اختيار الزوج وهي ان يؤتى برجل ماهر في رشق الحراب ويوقف الطالب على مسافة منهُ فيأخذ رامي الحراب في رشق حرابهِ ويؤمر الطالب بتلقيها بين ذراعهِ وجنبهِ . فاذا بدا عليهِ الخوف والوجل أو أفلتت حربة من يدهِ نُبذ نَبذ النواة والاَّ فاذا ثبت ثبات الشجاع ولم يدع حربة تفلت منهُ اختارتهُ الفتاة زوجاً لها

ومهر الفتاة يختلف باختلاف القبائل والبطون التي تنتمي اليها . فمهرها في اوغندا ثلاثة ثيران وست ابر للخياطة . ومهرها بين بعض قبائل الهنود سلتان مملوءتان ارزًا وربية من النقود المتداولة . وفي ساموى قوارب وخنازير وغيرها من ممتلكات العريس . وفي فيجي سنٌ فيل او بندقية قديمة

وكثير من القبائل الهمجية حريصة على نسبها تغار على حفظهِ فالبشمن من سكان افريقية لايزوجون ولا يتزوجون من غير قبائلهم وكذلك الهوتنتوت . وتعدد الازواج والزوجات شائع في جميع جهات المسكونة ولكنهُ الشذوذ والزواج الافرادي القاعدة

وعوائد الاعراس تختلف كثيرًا على ما هو معلوم ومن اغربها ان عقد الزواج لايحسب كاملاً بين بعض قبائل البرازيل حتى يشرب الضيوف ويسكروا ويبيتوا وهم لايستطيعون

حراكاً ولا نهوضاً . وعند غيرهم انهُ اذا اكل الفتى والفتاة الذرة من قصعة واحدة تحتم زواجهما وبعض الناس يربطون العروسين معاً و يصبون عليهما ماء بارداً

ماري كورلّي

وسرُّ نجاحها

ليس بين المولعين بقراءة الروايات احد يجهل اسم " ماري كورلّي " فان شهرتها في رواياتها طبقت الآفاق فأقبل الناس على مشتراها وقراءتها اقبال الجياع على القصاع . وآخر رواية اصدرتها قصة غرامية عنوانها " رجل الله " ارادت بهِ كاهناً عمرهُ اربعون سنة رأى فتاة عمرها ٢٧ فنفر منها حين رآها ثم جعل حبها يأخذ بمجامع قلبهِ الى ان كلف بها حتى اذا كانت ذات يوم في الصيد سقطت سقطة كادت تودي بها فاغمي عليها ولما استفاقت رأت محبها بجانبها ففاتحها بالزواج فلم تخيب لهُ املاً بل تزوجت بهِ بعد شفائها مما المّ بها

وقد انتقد المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية هذه الرواية او قرّظها تحت عنوان " ما هو السرُّ في نجاح ماري كورلّي " فقال ان اقبال الناس على روايتها الاخيرة لا علاقة لهُ بمحاسن الرواية سواء كان ذلك في عنوانها او في ما تحويهِ بل ان سببهُ كون الرواية من قلم ماري كورلّي لاغير . ولم يكن بدٌّ من اقبال الناس على مشترى روايتها مهما سمّتها ومهما ضمّنتها لانها اكتسبت رضى قرائها من قبلُ ولا يزالون راعين عهد ودّها مخلصين الولاء لها

ومن غريب أمر مؤلفي الروايات في انكلترا ان اشهرهم بين جمهور الامة مجهولون في الدوائر العلمية الادبية وبين اهالي الطبقة العليا ومع ذلك فان قراء رواياتهم يعدون بمئات الالوف على حين ان المعروفين في الدوائر العليا يغبطون انفسهم اذا وجدوا عشرة آلاف نفس يقرأون رواياتهم . خذ مثالاً لذلك جورج مرديث فان نسبة رواج رواياتهِ الى رواج روايات ماري كورلي كنسبة واحد الى عشرة وذلك لان ماري كورلي تعرف ما يريد الجمهور فتقدمهُ اليهِ على ما يشاء من السرعة . وليس في كتابتها للروايات ولا في سرد وقائعها شيءٌ من الابتكار فان رواياتها بسيطة ولكنها تصيب الغرض الذي وضعت لهُ ولا تخطئهُ . وهي ليست بائعة تصورات وافكار ولا ناشرة حقائق جديدة بل محدثة تقصُّ عليك قصة بسيطة كأنها تصدّقها وتعطف على ابطال رواياتها وتجعل قراءها يعطفون عليهم . وزد على ذلك كلهِ انها تثق كلَّ الثقة بنفسها ولعلَّ هذا هو السرُّ الاعظم في ثقة كثيرين بها



الكتابة العصرية

لحضرة الدكتورين الفاضلين

قرأت في بعض الصحف السورية مقالة اجلتُ رائد فكري في سجعها جولة بحاث واطفت الذوق في غضونها فالفيتها (ولا نكران للمماناة) نهج بها منهجاً لم تسلكهُ الآن حملة الاقلام ولا كتبة العصر فان مهيع السجع ومنهج النثر في صفحات الجرائد السيارة قد نسجت عليهِ عناكب الاهمال

اقول في صفحات الجرائد لئلا يخال الواقف نضوب معينهِ وارتاج بابهِ راساً كلاَّ فان سبيلهُ مسلوك في المقامات لا في مقالات المجلات. لذلك اتيت بكلماتي هذه اناقش من ينتهج هذا المنهج المهجور من حملة الاقلام واحرضهم تحريض اخٍ مشفق يرغب في رقيّ افكار مواطنيهِ وسمو كتاباتهم وان لا يغتروا بمادحٍ كان الاجدر ان يُستبدل بها مشرب المحققين من وضع مثل ذلك في كفتي التقريظ والانتقاد . ولكن اين نحن ؟

قضت حكمة الله في هذا الوجود ان يلبس كل عصرٍ حلة تلائم طباع ذويهِ ومظهرًا يوافق افكارهم فيأتي على طبق ما عندهم ووفق ما لديهم

ليس بخافٍ على الكبير والصغير والرفيع والحقير ما ابس هذا العصر من لباس المدنية الحقة وتحلَّى بحلة الترقي والتنوُّر فكان منهُ بروز الجرائد والمجلات في قالب التفنن وظهورها في مظاهر التعليم وكأَنها آلت على نفسها ان لا تفترع المقالات العلمية او الادبية الاَّ مدمجةً بالبلاغة مدبجة ببراع البراعة فنشر في انحاء المعمور نشرها وعمَّ الامم نفعها كل ذلك والايجاز شعارها والاختصار البليغ دثارها مع حسن سبك ورشاقة تعبير واطراح تكلف في سجع الاَّ عفوًا

ذلك شأن الجرائد والمجلات العالية وعلى خطتها سرى الكتاب رامقة تلك الحالة بلحظ الاستحسان فاخذت تنشىء المقالات على طرزها المتقن ناسجة برودها على منوالها البديع فاتسع التخيل في دائرة مُفكرتهم وطفق يسبح في تيار المعاني وبديع البيان وذاك النثر (المرسل) الذي لا يتقيد بقافية هو بلا ريب السحر الحلال

وانما تمسكت الكتاب باهدابهِ وعضت عليهِ بنواجذ الحرص لامور :

اولها : لعدم التكلف من الايجاز وبديهي ان (خير الكلام ما قل ودل) اذ يكتفي الحكيم بشذرة من مطبوعة عن تحبير مقالةٍ مسجوعة

ثانيها : محافظة على الوقت ودفعاً لما يعاني من الآلام لان الاسجاع لاتلبي الطباع الاَّ بعد عناء ونصب

ثالثها : دفعاً لاظهار الكلفة فان المرسل المشتمل على قليل من السجع يجيءُ عفوًا وتكتسي العبارة بهاء الطبع الساذج فيكون اوقع في القلوب واحلى في النفوس

رابعها : الفرار من تكرار قافية سبقت او استعارة مضت وشبه ذلك مما لاتخلو عنهُ الاسجاع

خامسها : كما قال بن الاصبع : عدم ارتكاب المعنى الساقط واللفظ السافل لانهُ ربما استدعى كلمة للقطع رغبة في السجع فجاءت نافرة من اخوتها قلقة في مكانتها

سادسها : التخلص من تشويه وجوه المعاني فان الاصل في الحسن ترك المعاني على سجيتها فتكسى الالفاظ مايليق بها فيحسن اللفظ والمعنى جميعاً . واذا قصد تحصيل الجناسات اللفظية والمطابقات البديعية جاءت المعاني تابعة للالفاظ فتشوهت وكانت كنصل من خشب في غمدٍ من ذهب اذ يوقع سامعهُ من طلب المعنى في خبط عشواء ويقع مقصودهُ منهُ في عمياء وللتفاضل في هذا الاصل قيل في المحاكمة بين الصاحب والصابىء : ان الصاحب كان يكتب كما يريد والصابىء كان يكتب كما يؤمر وشتان مابين الحالين

وثمة وجوه أُخر فليرعف الناثر في محابرها يراعهُ وليحرز قصبات السبق ان شاء الله

دمشق صلاح الدين القاسمي

النَّفَس وجدران المنازل

جناب الدكتورين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

بينما كنت اطالع في الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين من مجلتكم البهية عثرت على هذا السؤَال وهو أَصحيح ان انفاس السكان تقوي جدران المساكن فرجحتم عدم صحة ذلك بالنسبة لوجود الهياكل القديمة ثابتة منذ الوف من السنين ولا ساكن فيها ولكن لا مناسبة بين بناء القدماء والبناء الحالي وانما لو بنينا بيتاً وهجرناهُ كهذه الهياكل لانهدم بعد بضع سنين لكنكم لو انعمتم نظركم قليلاً لعلمتم ما سأقول

ثبت في علم الكيمياء ان المونة التي هي السبب في لحم الاحجار بعضها ببعض يحجر جيرها بامتصاص الغاز الكربونيك (Anhydride carbonique) فيصير البناء كحجر واحد

ومعلوم ان الهواء يحتوي على ٣ من عشرة آلاف من هذا الغاز والانسان يستنشق الهواء محتوياً على هذه الكمية من الغاز ويتنفسهُ محتوياً على ٤ و ٤ في المائة فعلى ذلك تكون انفاس السكان هي السبب في تقوية الجدران باحتوائها على كمية وافرة من هذا الغاز يمتصها البناء

شفيق سعدالله حلابه

[المقتطف] لقد اصبتم في تعليلكم اما نحن فان سؤَال السائل صرف ذهننا الى بيوت (اللبن) الطوب النيء التي يسكنها جمهور الاهلين في هذا القطر وكنا كلما رأيناها نعجب من البون الشاسع بينها وبين المباني الباقية من عهد اسلافهم . لكن الغالب ان جير المباني يتصلَّب بامتصاص الحامض الكربونيك الذائب في ماء المطر. اما الحامض الكربونيك الخارج مع النفس فيصيب البياض الداخلي ولا يصل منهُ شيءٌ يذكر الى المونة (الطين) بين الحجارة

تاريخ السودان

اطلع حضرة الشاعر الناثر اسعد افندي داغر على كتاب تاريخ السودان تأليف حضرة عزتلو نعوم بك شقير فقرظهُ بهذه الابيات

أَحييتَ في تاريخك السودانا ... وحليت عاطل جيدها فازدانا
وجلوتها بطراز وصف فاخرت ... في حسنهِ الاقطار والبلدانا
عرَّفتها في الخافقين وقد قضت ... بين الورى مجهولة ازمانا
كانت كسرٍّ في حشى افريقيا ... كرُّ الليالي زادهُ كتمانا
خفيتْ حقيقة امرها لم يستطع ... حتى مجاورها لها تبيانا
غشَّى محياها سواد الجهل من ... قدم فسمّي اهلها سودانا
ودجا بها داجي الخمول فلم يجد ... احد سواك لكشفهِ امكانا
جلَّيت في تاريخك الابهام عن ... وجهِ الحقيقة فاستهلَّ وبانا
وخدمت فيهِ العلم اكبر خدمةً ... كانت لفضلك في الورى برهانا
ورفعت فيهِ للبلاغة رايةً ... نصبت لمعناك البديع بيانا
عانيت جهدًا فيهِ لم نرَ كاتباً ... قاساهُ قبلك يا همام وعانى

وجعلتهُ لثبات عزمك آيةً ولصدق حزمك دائماً عنوانا
ضمنتهُ بحثاً عن السودان لم نرَ مثلهُ مستوفياً اتقانا
بحثاً احاط بها فعمَّ جمادها والنبت والحيوان والانسانا
ووصفت فيهِ سهولها وجبالها وهواءها والمدن والسكانا
وصفاً كفاهُ انهُ ما كان في ال امكان احسن قطُّ مما كانا
اخلصت في نار التدبر سبك ما قررتهُ فجلوتهُ عقيانا
ذهباً مصفى لم يشبهُ قط من زيف يخالط غيرهُ احيانا
وامطت عن سكانها حجب الخفا اصلاً وفرعاً مذهباً ولسانا
وذكرتَ فيهِ عن القبائل نبذة لقيت لدى قرَّائها استحسانا
وشفعتها عن اهلهم بخواطر جاءت كما شئنا وشئتَ حسانا
وأبنت عن دولاتهم ما غلّنا اروى فقلنا حسبنا وكفانا
وافدتنا عن احمد المهديّ ما ملأ الجيوب واترع الاردانا
بيَّنتَ منشاهُ ومطمحهُ وما افضى اليهِ وما عليهِ اعانا
وذكرت من غزواتهِ ما هولهُ راع الكماة وشيَّب الولدانا
ورويت عن وقعاتهِ ما غادر الا اشلا تلالاً والدما غدرانا
والمدن قفراً بلقعاً يزقو بها يوم الخراب وينذب العمرانا
فطغى وحكَّم في الرقاب مناجلاً تفري الرؤوس وتحصد الابدانا
وعلى بني حام اناخ بكلكل الـ بؤسى فزادوا ذلة وهوانا
وتجرَّعوا الارهاق من يد ذلك الـ باغي صنوفاً والشقا الوانا
حتى تلافى الله امر هلاكهم ولهم اتاح على النجا اعوانا
غشيتْ جيوش المنقذين بلادهم تجتثُّ منها الظلم والعدوانا
فاستأصلت منها الفساد واهلها منحت سلاماً دائماً وامانا
ذا كلهُ فصَّلتهُ مستأهلاً منا عليهِ المدح والشكرانا
وانا بحق قلت فيك مؤرخاً احييت في تاريخك السودانا
١٩٠٣ ٤٢٩ ٩٠ ١٢٣١ ١٥٣

باب الزراعة

جمع القطن وثمنهُ

انشأَت جريدة السينتفك اميركان مقالة موضوعها الحاجة الى آلة تجمع القطن ابانت فيها ان نفقات جمع القطن في اميركا تزيد على نفقات زرعهِ وانهُ يستحيل ان تتسع زراعتهُ الاتساع المطلوب ما لم تستنبط آلة لجمعهِ تقل بها نفقات الجمع لان العمَّال الذين يمكن استخدامهم في جمع القطن عددهم محدود واذا اشتدَّ الطلب عليهم والمناظرة زادت اجورهم ايضاً فان نفقات الجمع تبلغ خمس نفقات الزراعة كلها ويستطيع زارعوهُ ان يوسعوا زراعتهم ولكنهم لا يستطيعون ان يجدوا انفارًا يكفون لجمعهِ قبلما يتلفهُ المطر والصقيع . والمزارع الذي يستطيع ان يزرع ثلاثين فداناً بواسطة الآلات والادوات لا يستطيع هو واربعة معهُ ان يجمعوا قطن هذه الثلاثين فداناً . وقد تدعو الحال الى جمع القطن كلهِ في شهر من الزمان وهناك الصعوبة الكبرى فتتضاعف اجور العمال وتتضاعف النفقات

والنفر الواحد يجمع في يومهِ مئة رطل من القطن اي نحو ثلث قنطار من القطن الشعر وقد بلغت اجرة جمع الموسم الاميركي سنة ١٩٠٣ اكثر من سبعين مليون ريال او نحو خمس ثمن القطن

وواضح مما تقدَّم انهُ يُنفق على جمع قنطار القطن الاميركاني ثلاثون غرشاً او مضاعف ما ينفق في القطر المصري . ويظهر انهُ لا يتعذَّر استنباط آلة تقوم مقام يد الانسان في جمع القطن ولذلك ولقلَّة عدد الناس الذين يمكن ان يتفرَّغوا اياماً قليلة من السنة لجمعهِ تبقى زراعتهُ في اميركا محدودة وكميتهُ مقاربةً للمقطوعية

مستقبل القطن الاميركاني

ان اهم الامور التي ينظر اليها ارباب الاطيان في هذا القطر والذين يقصدون احياء الارض الموات فيهِ مستقبل زراعة القطن في اميركا . فقد قيل ان البلاد التي يزرع القطن فيها تبلغ مساحتها نحو خمس مئة الف فدان فان كان الامر كذلك واتسعت زراعة القطن في اميركا حتى صارت اربعة اضعاف ما هي الان عادت الاسعار الى ما كانت منذ عشر سنوات

لكن المستر فودن سكرتير الجمعيَّة الزراعيَّة كتب في هذا الموضوع ان الاراضي الصالحة للزراعة في تلك البلاد لا تزيد على ٣٥٠ مليون فدان ولا يمكن ان يخصص لزرع القطن الاَّ عشرها اي ٣٥ مليون فدان فيكون محصول هذه الاطيان من ١٦ مليون بالة الى ٢٠ مليون بالة على الاكثر اي قدر ما يلزم للمقطوعية بعد عشرين سنة . ولا يبلغ المحصول هذا المبلغ الاخير الاَّ اذا بلغ محصول الفدان ٢٢٠ رطلاً من القطن الشعر وذلك نادر جدًّا في اميركا والغالب ان يكون المحصول اقل من ٢٠٠ رطل وقد لا يزيد على ٧٠ رطلاً

ثم ابان ان زيادة المحصول من الفدان ممكننة بزيادة الاعتناء والانتقاء ولكن ذلك يقتضي ان يزيد الفلاحون علماً واجتهاداً وهذا ليس بالامر السهل ثم ان العائق الاكبر للزراعة في اميركا هو الاحوال الجوية فقد توافق الزراعة فيبلغ محصول الفدان ٢٢٠ رطلاً كما حدث سنة ١٨٩٨ وهو الاكثر وقد لا توافقها فيبلغ محصول الفدان ١٦٨ رطلاً كما حدث سنة ١٩٠٣ والفرق بين المحصولين نحو ٢٥ في المئة

وتبقى ايضاً مسألة وجود العمال لجمع القطن وهي التي اوضحناها في النبذة المتقدمة . ومن رأي المستر فودن انهُ يتعذر استنباط آلة لجمع القطن . ولذلك كلهِ لا خوف من ان القطن الاميركاني يزيد زيادة بالغة في المستقبل القريب ولا انهُ يزيد على المقطوعية في البعيد وسيبقى القطن المصري في مقامهِ ولو تضاعفت كميتهُ

الحاجة الى القطن

ذكرنا في الجزء الاول من اجزاء هذه السنة ما نشرهُ مجلس التجارة في اميركا عن عدد مغازل القطن في الدنيا ويظهر منهُ ان عدد المغازل كان نحو ١٠٤ ملايين سنة ١٨٩٩ فبلغ نحو ١١٢ مليوناً سنة ١٩٠٣ فالزيادة ثمانية ملايين مغزل نصفها في الولايات المتحدة الاميركية والنصف الآخر في سائر ممالك الارض

ويظهر من خطبة القاها سكرتير مجمع زراعة القطن البريطاني في مؤتمر معامل القطن الذي التأم حديثاً في مدينة زورك ان محصول القطن الآن لا يكفي المعامل المنشأة لغزلهِ ونسجهِ ولا يكفي المقطوعية الحاضرة ثم ان المقطوعية تزيد سنة بعد سنة اكثر مما يزيد محصول القطن

ولما كان نصف القطن من الولايات المتحدة فاصحابهُ يستطيعون ان يتحكموا باسعارهِ كما يشاؤون . ثم ان الموسم الاميركي معرض للاسباب الجوية ففي سنة ١٨٩٩ كانت مساحة

الاراضي المزروعة قطناً في اميركا ٢٣ مليون فدان وبلغ محصولها ١١ مليوناً وربع مليون من البالات. وهذه السنة بلغ مساحة الارض المزروعة قطناً ٢٨ مليون فدان ومع ذلك لا ينتظر ان يبلغ المحصول ١١ مليون بالة . ويضاف الى الاسباب الجوية قلّة وجود الانفار فان السود الذين كانوا يعملون في زرع القطن جعلوا ينتقلون الى المدن حيث توجد المعامل ليعملوا فيها

ثم ان الاوربيين قد فتحوا بلداناً واسعة في افريقية وغيرها فسيزيد الطلب على المنسوجات القطنية لكساء سكانها وستزيد المقطوعية سبعة ملايين بالة في مدة عشر سنوات اي نحو اربعين مليون قنطار او سبعة اضعاف محصول القطن المصري فمهما اتسعت مساحة الاراضي الزراعية في هذا القطر لا تفي بجزءٍ مما تدعو اليهِ زيادة المقطوعية

زراعة الليمون في سيسيليا

يكثر الليمون والبرتقال في اكثر ولايات سيسيليا واجود البرتقال في ولاية قطانيا وبلرمو وهناك البرتقال الاحمر وبرتقال الفانلا والمندرين . ويرسل الليمون والبرتقال من سيسيليا في صناديق صغيرة وكبيرة يوضع فيها صفوفاً صفين او اربعة او خمسة ملفوفاً بورق متين وبينهُ قصاصة الورق تملأُ الخلايا ولا بدَّ من ان يقطف قبلما ينضج ليتحمل السفر فلا يكون لذيذاً مثل الذي ينضج على امهِ . وتغرس اشجار الليمون والبرتقال في سيسيليا في صفوف البعد بينها خمسة امتار ويجود الشجر في الاراضي الرملية او الحجرية قرب الانهر والغدران ولا يجود في الاراضي الطينية المتماسكة الاجزاء لانهُ يصعب على الجذر السريان فيها . ولا بد من تسميد الاشجار جيداً ولو مرة في السنة وذلك بان تحفر حفرة على نحو متر من اصل الشجرة ويدفن الزبل فيها والغالب ان تسمَّد بالزبل المختمر جيداً ممزوجاً بالرماد والعظام وهو احسن سماد لها. واجود الاثمار ما عقد من زهر ابريل وهو ينضج في اكتوبر ويتلوهُ ما عقد من زهر مايو وهو ينضج في نوفمبر ودسمبر . وزهر يونيو ينضج ثمرهُ في يناير وفبراير وزهر يوليو يسقط ولا يعقد . وزهر اغسطس ينضج في مارس وزهر سبتمبر اجود منهُ وينضج ثمرهُ في ابريل ومايو وزهر اكتوبر ونوفمبر ودسمبر يحسب رجعياً وينضج ثمرهُ في يونيو ويوليو واغسطس وسبتمبر . وزهر يناير وفبراير ومارس لا يثمر الاَّ قليلاً . فاشجار الليمون والبرتقال تزهر وتثمر هناك على مدار السنة

وتقطف اول قطفة في اكتوبر وترسل الى انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة في صناديق

يختلف في حجمها باختلاف هذه البلدان وتباع باغلى الاثمان . والقطفة الثانية في نوفمبر وهي اجود من الاولى ولكنها لا تباع غالية مثلها وترسل اكثرها الى اميركا وروسيا يرسل الجيد منها واما ما دونهُ فيستعمل لاستخراج عصير الليمون والزيت العطري من قشرهِ

وقطفة دسمبر دون هذه و يصدر نصفها والنصف الآخر يصنع منهُ عصير الليمون والزيت العطري . وقطفة يناير اقل جودة من قطفة دسمبر وكذلك قطفة فبراير ومارس وهذه دون الجميع واجود منها قطفة ابريل واما قطفة مايو فثمينة وترسل الى الولايات المتحدة في صناديق صغيرة . وقطفتا يونيو و يوليو ترسلان الى لندن ولفربول وتريسته واميركا

واذا بلغت غلة البستان الواحد ١١٠٠٠٠ ليمونة فالغالب انها تكون موزعة على شهور السنة هكذا

في اكتوبر	١٥٠٠٠	ليمونة
في نوفمبر	٣٠٠٠٠	"
في دسمبر	٢٥٠٠٠	"
في يناير	٢٠٠٠٠	"
في فبراير	١٠٠٠٠	"
في مارس	١٠٠٠	"
من ابريل الى سبتمبر	٩٠٠٠	"
والجملة	١١٠٠٠٠	

ولا بدَّ من تقضيب الاشجار حتى تكون عالية قليلة الاتساع فتسهل حركة الرياح بينها واذا زاد حملها وجب ان تسند فروعها لئلا تنكسر بثقلها . وتروى في الصيف مرةً في الاسبوع ويذاب لها السماد في الماء ولا يترك شيء من العشب ينمو بينها . وقد تزرع الخضر تحتها لان غلتها تفي بنفقات التسميد والحرث ولكن زرعها يضرُّ بالشجر . ويكون الليمون في اولهِ نارنجًا ثم يطعَّم برتقالاً

وتختار الاراضي القريبة من ساحل البحر لزرع الليمون لان حرارة الهواء قليلة التغير هناك ولكن لابدَّ من ان يوقى الشجر من عصف الرياح بزرع اشجار اخرى حول بساتينهِ

و يصدر كل سنة من سيسيليا من الليمون والبرتقال ما ثمنهُ مليون جنيه الى مليون وربع يرسل اكثرها الى الولايات المتحدة الاميركية فالنمسا والمجر فروسيا فالمانيا فانكلترا فكندا فاستراليا فاسوج ونروج ففرنسا فهولندا

باب التقريظ والانتقاد

كتاب الاطيان والضرائب

اذا قُدّرت الكتب بلزومها للجمهور الاكبر من الاهلين ونفعها لهم فكتاب الاطيان والضرائب كتاب الشهر بل كتاب السنة . كنّا بالامس نبحث عن مشكلة من المشاكل التي تقع احيانًا لاصحاب الاطيان في هذا القطر وسألنا كثيرين من الذين لهم الالمام الواسع بهذهِ المسائل فلم نجد الجواب الشافي فقصدنا مؤلف الكتاب حضرة الوجيه الفاضل جرجس بك حنين مدير الاموال المقررة في نظارة المالية فاستحضر كراسًا من كتابه وارانا اياهُ فوجدنا فيهِ ضالّتنا المنشودة . ثم اطلعنا على الكتاب كلهِ فاذا هو خزانة فوائد لا يستغني عنهُ احد من اصحاب الاطيان في هذا القطر كبيرًا كان او صغيرًا غنيًّا او فقيرًا

ومعلوم ان اقتناء الاطيان اهم معايش هذا القطر فان عدد الممولين فيهِ يبلغ نحو مليون وثلاثمئة الف نفس . والممول رئيس بيت والغالب ان لا يقلّ اهل بيتهِ عن زوجة وثلاثة اولاد او اربعة فيكون بمثابة خمسة انفس او ستة وعليهِ فقلما يخلو احد من اصحاب البيوت من عقار ومن علاقات ومعاملات مالية تتعلّق بالضرائب والري والصرف وحدود الاطيان وفك الزمام ونحو ذلك مما تكثر المعاملات فيهِ ولا بدَّ من معرفتهِ معرفة تامَّة للتخلُّص من المشاكل . وتتعذَّر هذه المعرفة غالبًا لتفرقها في اوامر ومنشورات كثيرة عديدة بعضها ينسخ بعضًا ومعظمها مجهول عند الجمهور كما ترى في الفصل الذي نقلناهُ من هذا الكتاب عن اطيان النوبارية . ولا شبهة في ان حضرة المؤلف الفاضل رأى حاجة الجمهور فبادر الى سدّها بهذا الكتاب المستطاب ولم يقتصر على ذلك بل ضمنهُ كثيرًا من الفوائد التي يتوق الى معرفتها سكان هذا القطر وغيرهم من الذين لهم علاقة بهِ وببلاد السودان فانهُ ذكر فيهِ جغرافية القطر المصري وخلاصة تاريخهِ وتاريخ التقسيم الاداري فيهِ من زمن محمد علي الكبير وتاريخ نظارة المالية المصرية وديون الحكومة وما رهن لها من الاملاك وانواع الضرائب وفك الزمام والاطيان التي اعطيت للاهالي وللعربان وتعويض نقص المساحة وتعديل الضرائب ورفعها عن الشراقي والتوالف واقساطها ونحو ذلك

وكل ما في الكتاب مقتطف من المصادر الرسمية ومشفوع بملاحظات للمؤلف مبنيَّة على

اخبارهِ الطويل · وهو مطبوع في مطبعة بولاق الاميرية على ورق جيد ولا بدَّ من ان يكثر الاقبال عليهِ للانتفاع بهِ . فللمؤلف الفاضل الشكر الجزيل على هذه التحفة السنية

الارجوزة العصرية

ان النفوس الحية الشديدة الشعور لا بدَّ وان ترى في نهضة اليابان وما بدا منها اخيرًا وما نشرناهُ عنها منذ بضع سنوات الى الآن ولا سيما ما ترجمناهُ عن احد ابنائها ونشرناهُ في الجزء الثامن من المقتطف عظةً وذكرى ومجالاً واسعاً لانهاض الهمم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في ما تبنى عليهِ معالم الامم وتشاد دعائم عمرانها · وهذا ما فعلهُ صديقنا الابر المحامي الشهير والخطيب المفوَّه اخنوخ افندي فانوس الذي تمثَّلت فيهِ الغيرة الوطنية الصحيحة ووجدت لها من جنانهِ ولسانهِ وبنانهِ وبيانهِ خير معرب وافصح مبين فقد نظم ارجوزة بليغة المعاني محكمة المباني نحا فيها نحو ابن الهبارية رحمهُ الله في كتابهِ الصادح والباغم بدأها بالاشارة الى نهضة اليابان والفوز المبين الذي فازتهُ فقال ان فوزها

قد حيَّر الالباب والعقولا اذ خالف المعقول والمنقولا
وكل يوم يُكشَف الستارُ عن آية فيها النهى تحارُ
لكن هذه آية الزمانِ هادية الشيوخ والشبانِ
قوامها العلة والمعلولُ لكل شيء سبب معقولُ
وهكذا الامور بالاسبابِ كذا براها سيد الاربابِ
لما اراد نهضة اليابانِ من درك الخمول والخسرانِ
اسعدها المنان بالميكادو وحاطها السداد والرشادُ
فمنح الرعية الحريهْ في الدين والآراء والرويَّهْ
فانطلق البنان واللسانُ لخدمةِ الاوطان والجنانُ
لا يعرفون طرق التعصُّبِ المهلكِ المقوِّض المخرِّبِ
ليس لدين عندهم مزيهْ على السوى بل كلها مرعيَّهْ
تلك هي الاسبابُ وهي السرُّ في نهضة قد حار فيها الفكرُ

ثم استطرد الى ما اوصى بهِ الامير شوتوكو قومهُ على ما جاء في الجزء الثامن من المقتطف فقال

وهي على ما قيل من شوتوكو جوهرة او ذهب مسبوكُ
اذ راح يوصي قومهُ الوفاقا لانهُ عن كل فضل فاقا

والطاعةُ العمياءُ للقانونِ من واجبات الرجل الامينِ
لاشيءَ يحمي حوزة الاوطانِ الاّ وئام محكم البنيانِ

ولما اتمّ نظم تلك الوصايا قال

فاخذوا القديم والجديدا واستخلصوا من بينها المجيدا

ولم يعترضوا عليها بما يعترض بهِ ايمة الاديان الشائعة في بلادنا — اليهودية والمسيحيّة والاسلاميّة . ثم عاد الى وصف ما فعلهُ اهالي اليابان فقال انهم

لم يعبأوا بالقيل والاقوالِ وترّهات الغفَّلِ الجهالِ
بل اسرعوا في طلب المعالي من بابها يشرونها بالغالي
لانهم قد عشقوا الاوطانا وكل شيءٍ دونها قد هانا
فادركوا من كل فن احسنَهْ وعظّموا مَن منهمُ قد اتقنَهْ
فصار فيهم الطبيب الماهرُ ألنابغ المكتشف المثابرُ
واصحبت سيدة البحار حليفة لاختها تجاري

ثم التفت الى ما يمكن ان يقع من المباراة بين انكلترا واليابان في مستقبل الازمان وذهب الى ما يذهب اليهِ كثيرون من ان نهضة اليابان ستنهض امم المشرق كلها متحدةً على امم الغرب. ثم عاد الى وصف الخطَّة التي جرت عليها اليابان في نهوضها وصيرورتها بلاداً دستورية والتفت منها الى النصح والارشاد فقال

فهكذا الرجال والابطالُ والعلماءُ الحكما الاقيالُ
وهكذا الملوك والزعيّةْ انعم بها من امّة عليّةْ
فهذه حكاية اليابانِ وصدقها بالسمع والعيانِ
عسى تكون عظة لقومي توقظهم من غفلة ونومِ

ثم افاض في النصح والارشاد فذكر كثيراً من المسائل الهامّة دينيّة وادبيّة واجتماعية وختم الارجوزة باقوال وجهها الى السدة الخديوية فقال

اليك يا مليكنا المعظّما ابسط كفّاً سائلاً مسترحما
رعايةً للأُمّة الحزينهْ قبل فوات الفرص الثمينهْ
فاوسعن للفُضَلا المجالا تحطّ في رحابك الرحالاَ
واقصينّ الكاذب الخسيسا وابعدنّ الخائن الدسيسا
واجعل لديك الرتب السنيّةْ جوهرة ثمينة عليّةْ

بناها النوابغ العظام اهل العلى الافاضل الاعلام
فتزدهي في ملكك الآداب ويختفي من ارضك المعاب

والارجوزة طويلة فيها أكثر من اربع مئة بيت وقد قدَّم لها مقدَّمة بليغة خاطب بها الامَّة المصرية خصوصاً والانسانية عموماً فقال انهُ من عشاق ابناء وطنهِ بل من عشَّاق نوع الانسان ولا يصدق حسب العاشق الاَّ بالاخلاص فكرًا وقولاً وعملاً ولا اخلاص الاَّ بالمجاهرة بالحق ولما كان الحق ثقيلاً وكان الشعر روحاً خفيفاً لطيفاً كالنسيم تهواهُ النفوس او كالشهد حلو الطعم لذيذ المذاق رأيت اني في حاجة الى تخيُّرهِ موصلاً للحقيقة الى امتي ابناء جامعتي الصادقة الحقيقية جامعة الانسانية وشهدًا يحمل عقاقيرها المرَّة الشافية فاقبلت عليهِ اقبال المجاهد المتكلف فجاء كما هو حاملاً للحقيقة السمحاء وضيعاً في لفظهِ شريفاً بها

كالنور يحصرهُ الزجاج فيزدهي سطعاً بهِ فتجلُّهُ الابصارُ

الاقتضاب

في شرح أدب الكتَّاب

هذا كتاب في آداب اللغة العربية لابن السيد البطليوسي شرح فيهِ كتاب أدب الكتَّاب لمؤلفهِ محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة وهو ثلاثة اجزاء في مجلد واحد . وقد طبع على نفقة حضرة الاديبين نخله افندي قلفاط وسليم افندي ميداني صاحبي المكتبة الكلية في بيروت ووقف على طبعهِ واعتنى بمراجعة اصلهِ وصحح ما وجد فيهِ من التحريف والتصحيف حضرة اللغوي المدقق عبد الله افندي البستاني استاذ العربية في المدرسة البطريركية ببيروت فجاء كتاباً مفيدًا في اللغة العربية لا غنى عنهُ لمن يروم التضلع منها وخصوصاً تلامذة المدارس

وخير ما يقال في وصفهِ ما ورد في مقدمتهِ من قلم شارحهِ حيث قال " غرضي في كتابي هذا تفسير خطبة الكتاب الموسوم بأدب الكتَّاب وذكر اصناف الكتبة ومراتبهم وجلّ ما يحتاجون اليهِ في صناعتهم ثم الكلام بعد ذلك على نكت من هذا الديوان يجب التنبيه عليها والارشاد اليها ثم الكلام على مشكل اعراب ابياتهِ ومعانيها وذكر ما يحضرني من اسماء قائليها وقد قسمتهُ ثلاثة اجزاء . الجزء الاول في شرح الخطبة وما يتعلق بها من ذكر اصناف الكتَّاب وآلاتهم . والجزء الثاني في التنبيه على ما غلط فيهِ واضع الكتاب او الناقلون عنهُ وما منع منهُ وهو جائز . والجزء الثالث في شرح ابياتهِ "

اما اذا جاز لنا وصفهُ بكلمة او كلمتين قلنا انهُ جعبة فوائد متنوعة لانهُ جامع لكثير مما في كتاب درة الغواص في اغلاط الخواص للحريري ومما في كتابي فقه اللغة والالفاظ الكتابية ومما يلحن فيهِ العوام

والمؤلف والشارح كلاهما من فطاحل اللغويين المعدودين عاش الاول منهما في القرن الثالث للهجرة والثاني في الخامس والسادس

برنامج أخوية القديس مارون

اتحفنا حضرة الاديب الفاضل يوسف افندي خطار غانم رئيس أخوية القديس مارون في بيروت بالجزء الثاني من برنامج اخوية القديس مارون وهو يشتمل على تراجم ورسوم اصحاب الغبطة والسيادة البطريرك ماري الياس الحويك بطريرك انطاكية ورؤساء اساقفة بيروت وطرابلس ودمشق وحلب وسائر المشرق وعلى تراجم الاساقفة الذين سبقوهم من اوائل القرن السادس عشر الى يومنا هذا

والكتاب جزء من ثمانية اجزاء وقد وعد المؤلف بان يصدر البقية متضمنة نبذة من تاريخ الرهبانيات وتراجم رجال الكهنوت ونبذة اجمالية في تاريخ العيال الشهيرة مع رسوم كبار رجالها وتراجم كبار موظفي الدولة العثمانية ومشاهير العلماء والادباء والوجهاء في سورية

وورق هذا الجزء وطبعهُ على احسن ما يكون وقد حوى ترجمات بعض الاعلام الذين لهم شأن كبير في ديوان العلم والادب كالسمعاني صاحب كتاب المكتبة الشرقية والمطران جرمانوس فرحات صاحب القاموس المسمى احكام باب الاعراب

تاريخ البابية

ألف هذا الكتاب حضرة زعيم الدولة الدكتور ميرزا محمد مهدي خان الايراني نزيل مصر . افتتحهُ بمقدمة ضمنها بيان الغرض من تأليفهِ واتبعها بتمهيد في اصول الديانات الشهيرة كالبوذية واليهودية والمسيحية والاسلامية ثم استطرد الى بيان احوال ميرزا علي محمد الشيرازي الملقب بالباب وزعيم البابية وشرح ديانتهُ وذكر ما اصابهُ من حين اعلان مذهبهِ الى مقتلهِ في تبريز وما تخلل ذلك من اقبال الناس عليهِ ونفيهِ وسجنهِ وجنوح اتباعهِ الى الثورة

ويلي ذلك فصول في اخلاقهِ وشرائعهِ وشذرات من مذهبهِ ونفي البابية من ايران وبعض شعائرهم وعوائدهم . وقد قال في مقدمتهِ انهُ استند في كل ما كتبهُ الى الاخبار والدو

واخباره هو نفسه لان والده رأى الباب و باحثهُ وجادلهُ بمحضر الملك السعيد (ناصر الدين شاه) ايام كان وليًّا لعهد الدولة الايرانية الى ان قال " ونحن ايضاً قصدنا مدينة عكاء وعاشرنا ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء واختبرناهُ وصاحبنا ردهة من الزمن انجالهُ وغيرهم من وجوه القوم وعظماء الطائفة البهائية وذلك سنة ١٣٠٨ هجرية "

وقد تبرع بثمن الكتاب لاغاثة الملهوفين واعانة المنكوبين من المسلمين

كتاب الامامة والسياسة

هو كتاب قديم مشهور الفهُ الامام الفقيه ابو محمد عبدالله بن مسلم المعروف بابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هجرية . وضمنهُ تاريخ الخلافة الاسلامية من عهد ابي بكر الصديق الى عهد خلافة المأمون بن الرشيد . وقد جدد طبعهُ حضرة الاديب محمد افندي محمود الرافعي فاعتنى بطبعهِ وصححهُ وشرح بعض مسائلهِ وكلماتهِ اللغوية وقال في خاتمتهِ " وقد وقع الينا منهُ ثلاث نسخ قديمة العهد بعيدة زمن الكتابة ولكنها مع ذلك لم تسلم من عبث النساخ ... حتى اضطررنا ان نرجع في اكثرها الى عراض الكتب وامهات التاريخ " فاستحق ثناء ابناء العربية لان الكتاب من الكتب النفيسة التي تحلى بها المكاتب ولا سيما بعد ان اجاد طبعهُ وتجليدهُ

صحة المرأة

في ادوار حياتها

أَلَّف هذا الكتاب حضرة الدكتور احمد افندي عيسى في " القواعد الصحية التي ينبغي ان تتبعها الفتاة حال البلوغ والزواج والمرأة في الحمل والولادة والنفاس والرضاع ووظيفتها نحو اطفالها " وهو تسعة عشر باباً تحتها فصول عديدة في علامات البلوغ في الانثى وزواجها وامراضها وعقمها وحملها واجهاضها وولادتها وصحة مولودها وكيفية العناية بهِ ونفاسها وبلوغها طوري الياس والشيخوخة . وفيهِ بعض الرسوم ولغة الكتاب حسنة وطبعهُ متقن وهو لاغنى عنهُ لكل امٍ تهمها صحتها وصحة اطفالها فنثني على مؤلفهِ الفاضل طيّب الثناء

طائفة الاطباء بالاسكندرية

أُهدي الينا كراس بهذا العنوان يتضمن ترتيب طائفة الاطباء في الاسكندرية وقوانينها واعمالها التي صدقت عليها الجمعية العمومية المعقودة في ٦ اغسطس الماضي . وقد

وُضع هذا الكراس بالفرنسوية فترجمهُ عنها حضرة الاديب سليم افندي عواد من طلبة الحقوق وفيهِ عدا ما تقدم فصول في العلائق بين الاطباء واتعاب الطبيب ومصالح الصناعة والمستشفيات واسماء الاطباء الذين يتألف منهم مجلس الطائفة . ورئيسها الدكتور شيس بك وسكرتيرها العمومي الدكتور كولوريدي



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ .

(١) قشر السلاحف

صنتا مرتا بكولمبيا . الخواجه ميلاد ابرهيم الشدياق . ارسلت اليكم مع هذا البريد قشرة سلحفاة تسمَّى بلغة هذه البلاد كري وارجو ان تفيدوني هل لهذا القشر اسم في اللغة العربية وهل يوجد هذا الحيوان في البحار الشرقية وهو كثير في اميركا الجنوبيَّة يصطاد من البحر ومن البر ايضاً في شهر اغسطس (آب) حين يطلع الى البر لكي يبيض ويباع قشرهُ في انكلترا وثمن الكيلو من الجيد منهُ ٦٥ فرنكاً

ج . ان قشر السلاحف معروف عند العرب لان السلاحف كثيرة في البحار الشرقية ويسميهِ اهالي مصر الباغا واسمهُ في العربية الذبل قال في لسان العرب والذَّبْل ظهر السلحفاة وفي المحكم جلد السلحفاة البرية وقيل البحرية يجعل منهُ الامشاط ويجعل منهُ المسك ايضاً (الاسورة والخلاخيل) وقال الجوهري الذَّبل شيءٌ كالعاج وهو ظهر السلحفاة البرية يتخذ منهُ السوار. وواضح من ذلك كلهِ ان الامشاط والاسورة والدماليج كانت تصنع من قشور السلاحف منذ اكثر من الف سنة كما تصنع منها الآن واهالي مصر يطعمون بها الخشب كما يطعمونهُ بعرق اللؤلؤ والعاج ويصنعون منهُ الملاعق الثمينة . وقد وصلنا ما ارسلتموهُ منهُ

(٢) إطالة القامة

جكسنفيل باميركا . الخواجه عبده داود . امامنا الآن اعلان شركة الغضروف تدَّعي انها تطيل قامة الانسان الذي لم يجاوز سنهُ

الخامسة والثلاثين من عقدتين الى خمس عقد فهل في ذلك شيءٌ من الصحَّة

ج . اطلعنا على اعلان هذه الشركة ولا نرى ما يمنع صحتهُ لان جسم الانسان اطول في الصباح بعد ان يقيم مستلقياً الليل كلهُ منهُ في المساء بعد ان يقضي النهار واقفاً او ماشياً فاذا قضى اكثر وقتهِ مستلقياً وشدَّ جسمهُ قليلاً شدا لا يؤلمهُ ولا يتعبهُ فلا يبعد ان يطول عقدةً او عقدتين

(٣) السعي والقعود

المنزه . بدران افندي احمد . اجمع الناس طرًّا على ان الانسان يلزمهُ السعي والجد حتى ينال رزقهُ الاَّ ان احد الشعراء خالفهم في ذلك وقال

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً
اقصر عناك فان الرزق مقسومُ
الرزق يأتي الى من ليس يطلبهُ
وطالب الرزق يسعى وهو محرومُ

ولما كنت اعرف ان الشعراء لا يقولون قولاً الاَّ بعد طول الفكر والروية كتبت اسأل الاجابة عن رأيكم في ذلك

ج . رأينا مع رأي الجمهور وهو ان من سعى رعى ومن طلب جلب ومن جال نال وان كان لقول الشعراء قيمة فالذين قالوا مثل ذلك كثار جدًّا قال ابن نباتة

حاول جسيمات الامور ولا تقل
انَّ المحامد والعلى ارزاقُ
وارغب بنفسك ان تكون مقصرًا
عن غاية فيها الطلاب سباقُ

وقال ابو تمام

ما ابيضَّ وجه المرء في طلب العلى
حتى يسوَّد وجههُ في البيدِ

وقال المتنبي

على قدر اهل العزم تأتي العزائمُ
وتأتي على قدر الكرام الكرائمُ

وقال غيرهُ

فقُلْ لمرجّي معالي الامور
بغير اجتهاد رجوت المحالا

وقال الآخر

وقَلَّ من جدَّ في امر يحاولهُ
واستصحبَ الصبر الاَّ فاز بالظفر

(٤) الجنون

ومنهُ ما هو الجنون

ج . خلل في بناء الدماغ فان الدماغ آلة القوى العقلية فاذا اختلَّ اختلت معهُ فكان الجنون من خللها

(٥) فرنسا وانكلترا والرهبنات

مصر . الخواجه يوسف بساراني . دولتان مسيحيتان دولة فرنسا ودولة انكلترا الأولى ترغب في طرد البعثات الدينيَّة من بلادها والثانية تكرم وفادتهم وتبذل كل مرتخص وغالٍ لحمايتهم فما الداعي لكره الاولى ومحبة الثانية

ج . ان فرنسا جمهورية واكثر شعبها

من الكاثوليك وقد ظهر لها ان الطغمات الدينيَّة التي اخرجتها من بلادها تعمل على مقاومة الحكومة الجمهورية وارجاع الملكية وتأثيرها شديد في جمهور الشعب اما انكلترا فاكثر شعبها من البروتستانت ولا تأثير للرهبنات الكاثوليكية فيهم ولا حكومتها جمهورية تخشى منهم بأساً وهي تكرم وفادتهم كما تكرم وفادة كل من يلجأُ اليها

(٦) الدوري ونقل العدوى

ومنهُ . تقولون في مقتطفكم ان العصفور الدوري ينقل عدوى الامراض المعدية من مكان الى آخر وقد بلغنا ان العصفور الدوري يهرب من كل مكان تنتشر فيهِ الكوليرا فلو كان ينقل العدوى حقيقةً لكان يزيد في البلاد التي تنتشر الكوليرا فيها ولا يهجرها

ج . اولاً لاصحة لما يقال من ان العصفور الدوري يغادر البلاد التي تنتشر الكوليرا فيها . وثانياً ان القول بنقلهِ لعدوى الامراض المعدية لا يستلزم نقلهُ لعدوى كل مرض وانما هو ينقل عدوى الامراض التي يتصل اليها كأَنْ يقع على الحبوب التي تطعم منها دجاج مصابة بكوليرا الدجاج ويلتقطها ثم يقع على الحبوب التي تطعم منها دجاج سليمة فينقل الدعوى من الاولى الى الثانية وهذا واقع بالمشاهدة

مصر . محمد افندي عبد الحليم . . . .

ج . ان الشاب الذي تشيرون اليهِ مصاب اما بالتهاب بسيط او بقيلة مائية او دموية وفي كل الاحوال لا بدَّ من ان يراهُ طبيب فيشخص المرض ويصف العلاج ومهما يكن الامر فلا بدَّ لهُ من ان يقال المشي ويستعمل كيس الصفن وهو موجود في الصيدليات

(٧) الثآليل

مصر . شفيق افندي سعد الله حلابه .

ما سبب بروز الثآليل في جسم الانسان وما اسهل علاج لازالتها

ج . ان سبب الثآليل العادية غير معلوم او قد يكون سببها تهيج موضعي وكثيرًا ما تزول من نفسها فان لم تزل وكان لها عنق تربط بخيط حرير وتشدّ فتسقط بعد يومين او ثلاثة والاَّ فتنزع بمقراض اعقف ويعالج مكانها كما يعالج الجرح البسيط او تمس بمادَّة كاوية كالحامض الخليك الصرف او بنترات الفضة . وقد ازلنا ثؤلولاً كبيرًا بحليب التين مسسناهُ بهِ بضع مرات فوقع من نفسهِ . وجرَّبنا في مرة اخرى فعل الوهم فاشرنا على ابنة ان تمس ثؤلولاً في يدها بسائل اعطيناها اياهُ وتكرَّر ذلك بضعة ايام فزال الثؤلول وكان السائل ماء صرفاً فيهِ قليل من الملح وماء كولونيا ولا ندري هل زال الثؤلول من نفسهِ كما يزول عادةً او زال بفعل الوهم

(٨) المطالعة

ومنهُ . اذا اكثرت من المطالعة في حالة

الاضطجاع شعرت بدوار جيئما اقوم وامشي بخلاف ما اذا قرأت وانا جالس فما سبب ذلك وما احسن كيفية يكون عليها المطالع

ج . الظاهر انهُ يتورَّد كثير من دمكم الى رأسكم وانتم تطالعون مضطجعين فاذا وقفتم نزل الدم بغتةً من الراس فنتج الدوار كما ينتج في انيميا الدماغ . واحسن وضعٍ في المطالعة ان يجلس الانسان منتصباً ورأسهُ مائل قليلاً الى الامام ويضع الكتاب امامهُ مائلاً حتى يكون موازياً لوجههِ

(٩) اتقان اللغة الانكليزية

اسنا . احد المشتركين . ما هي افيد طريقة لاتقان اللغة الانكليزية لشخص حائز للشهادة الابتدائية

ج . ان يكثر من مطالعة الكتب والروايات الحسنة الانشاء ويكرّر قراءة ما يطالعهُ مراراً وان يكاتب احد الانكليز على ان يصلح لهُ هذا ما يكاتبهُ بهِ

(١٠) الروايات المترجمة عن الانكليزية

ومنهُ . اذكروا لنا بعض الروايات العربية التي اصلها انكليزي لكي نقابل بين الترجمة والاصل

ج . كل الروايات التي ترجمناها نحن او ترجمت في ادارتنا اصلها انكليزي مثل رواية تنكرد لدزرائلي ورواية كليوباطرة لجورج ايبرس ورواية الشهامة والعفاف واصلها رواية ايڤنهو للسر ولتر سكوت ورواية عروسة النيل وهي لجورج ايبرس ايضاً والرواية التي نشرت في مقتطف هذه السنة

(١١) حفظ البيض

ومنهُ . نرجو ان تفيدونا عن طريقة لحفظ البيض من الفساد

ج . اذا راجعتم سني المقتطف الماضية وجدتم فيها طرقاً كثيرة لحفظ البيض من الفساد

(١٢) نمو الاظافر بعد قرطها

مصر . احد المشتركين . قرأنا شرحكم الكافي في مقتطفكم عن عادة قرط الاظافر . ونحن نعرف سيدةً عاكفة على هذه العادة منذ خمس واربعين سنة مداومة عليها بلا فتور حتى انها توصلت الى قرط جلد اناملها . والغريب انها تجد ما تقرطهُ دائماً فهل تنمو الاظافر دواماً حتى تكفي لما يقطع منها

ج يظهر لكم انها تنمو كذلك . والظاهر ان اصل اظافر هذه السيدة يبقى متهيجاً فيكثر ورود الدم اليهِ وتغذية اصول الاظافر لكي يسرع نموها اكثر من المعتاد . وذلك امر عادي فقد رأينا بعض النوامي الحبيبية تنمو عند اصل الظفر فيبلغ جرمها جرم الحمَّصة في اربع وعشرين ساعة ثم تُقطَع وتنمو كذلك في يوم آخر لشدَّة تهيُّج ما حولها



اوجه القمر في شهر دسمبر

	اليوم	الساعة	الدقيقة
الهلال	٧	٥	٣٦ صباحاً
الربع الاول	١٥	٠	٧ «
البدر	٢٢	٨	١ مساءً
الربع الاخير	٢٩	٥	٤٦ «

مواقع السيارات

يكون عطارد نجم المساء ويسهل رصده في اوائل الشهر ثم يقترب من الشمس في اواخره

والزهرة نجم المساء وتبقى ظاهرة ثلاث ساعات بعد غروب الشمس

والمريخ يطلع الساعة ١ والدقيقة ٣٠ صباحاً

والمشتري يحتجب الساعة الثامنة مساءً ويغيب الساعة الثانية صباحاً

وزحل يظهر اربع ساعات في المساء نحو الساعة التاسعة مساءً

الاستاذ فسك

فاتنا ان ننعي الى قراء المقتطف رجلاً فاضلاً عرفوهُ من اهتمامهِ الشديد بكتابة اللغة المصرية العامة بحروف رومانية وهو

الاستاذ فسك الاميركي

ولد في ولاية نيويورك سنة ١٨٣١ ودرس في مدرسة همِلتون الكلية واتمَّ دروسهُ في مدرسة ابسالا الجامعة باسوج. وجعل مساعداً في مكتبة استور العمومية بمدينة نيويورك ومن ثمَّ شرع في جمع مكتبة كبيرة من الكتب الاسلندية فجمع منها ٧٥٠٠ مجلد وهي اوسع مكتبة في الدنيا من نوعها. واشتغل بامور مختلفة فحرَّر كتاب مؤتمر لعب الشطرنج في نيويورك وجُعل سكرتيرًا للجمعية الجغرافية وأُتبع بسفارة اميركا في فينا. ثم جُعل استاذاً في مدرسة كورنل الجامعة للغات شمالي اوربا ومديراً لمكتبتها. وزار اسلندا سنة ١٨٧٥ فاحتفلت بهِ احتفالاً عظيماً واولم لهُ البارلمنت وليمة فاخرة دامت الليل كلهُ. واقترن سنة ١٨٨٠ بسيدة ذات ثروة طائلة توفيت في السنة التالية فترك اميركا واتى فلورنسا وابتاع قصرًا فاخرًا فيها كان يضيف فيهِ اصدقاءهُ من جميع الاقطار فينزلون على الرحب والسعة ويرون من الاثاث والرياش ما لا يُرَى الاَّ في قصور الملوك. وظلَّ مهتمًا بجمع الكتب النادرة فجمع ٧٠٠٠ مجلد من كتب دنتي

و٤٥٠٠ من كتب بتررك · وبين الكتب التي جمعها كتب غالية جدًّا يساوي الكتاب منها بضعة آلاف من الجنيهات

وكان واسع الخبرة كثير الاصدقاء عارفًا بكل شهير في الدنيا محبوبًا من الجميع . وهو من الكتّاب المعدودين والشعراء المجيدين · زار القطر المصري مرارًا وله فيهِ اصدقاء عديدون وقد اهتمَّ بالعربيَّة المحكية فيهِ وانفق نفقات طائلة على جمعها وكتابتها بالحروف الرومانية

فائدة الطعام الغليظ

لم يذكر احد الطعام الغليظ الذي يعسر مضغهُ ويعسر هضمهُ الأَّ قال انهُ مضرٌّ بالصحة الأَّ ان الدكتور سِيم ولص قرأَ مقالةً في مجمع اطباء الاسنان البريطاني بيَّن فيها فائدة الطعام الغليظ للاسنان وللمعدة ايضًا فقال ان اسنان الذين يأكلون الاطعمة الغليظة اجود جدًّا من اسنان الذين يأكلون الاطعمة اللينة السهلة الهضم ومعد اولئك وامعاؤُهم اجود من معد هؤُلاء وامعائهم اي ان الطعام الذي يقتضي مضغًا كثيرًا هو افضل للاسنان وللمعدة وللامعاء ايضًا لانهُ يمرنها على العمل ويقويها

ولقد بذلت الوسائل الفعالة لمقاومة الامراض وتقليل فتكها ولكن الامراض الناتجة عن ضعف الهضم اي عن اكل الاطعمة اللينة التي لاتقوي الاسنان والحنك ولا تقوي المعدة والامعاء لاتزال آخذة في الازدياد . وقام الاطباء ينهون عن اطعام الاطفال الآكل الغليظة التي تقتضي المضغ الشديد وذكروا لهذا النهي اسبابًا شتى ولكن التجارب اثبتت ان الاطفال الذين يأكلون الطعام الغليظ الذي يحتاج الى مضغ كثير تجود صحتهم ويكونون اصلح حالاً من الذين يأكلون الطعام اللين السهل المضغ · ويؤيد ذلك ان اولاد الجبال اصح من اولاد المدن

وقد زاد سوءُ الهضم والقبض حتى صارا من امراض التمدُّن وزاد ايضًا التهاب الزائدة الدودية لانهُ صار يبقى فيها اطعمة فاسدة لا تستطيع الامعاء ان تخرجها منها

وصار همُّ الامهات موجهًا الى منع كل طعام عسر الهضم عن اطفالهنَّ فيصير عمر الطفل بضع سنوات وهو لا يأكل الاَّ اللبن والاطعمة المطبوخة باللبن حينما يجب ان يأكل كل شيءٍ . ومن الغريب ان الاطباء يساعدون الامهات على ارتكاب هذا الخطإ الفظيع عوضًا عن ان يشيروا على الجميع بأكل كل الاطعمة التي استعدت لها اسنان الناس ومعدهم وامعاؤُهم مدة القرون الكثيرة التي وجد فيها نوع الانسان

مستقبل اليابان الصناعي

كتب احد اليابانيين مقالات كثيرة بيَّن فيها ان مستقبل اليابان صناعي وانها

ستفوق في الصناعة والتجارة ام الارض لان الفحم الحجري كثير فيها واهاليها حاذقون في الصناعة جدًّا والمواد الاصلية كثيرة عندهم او يسهل جلبها من البلدان القريبة منهم والاجور رخيصة واسباب المعيشة ميسورة وكل ذلك مسهل لارتقاء الصناعة فيها

فهم القطط

كتب بعضهم الى جريدة ناتشر يقول رأيت ثلاث قطط تعمل اعمالاً تدلُّ على الفكر والادراك . الاولى قطة كانت لتاجر مكتبهُ بجانب بيتهِ . وبينما كان ذات يوم جالساً في المكتب جاءَهُ خادمهُ يسأَلهُ ان كان قد قرع الجرس لهُ فاجابهُ كلاً . وفعل الخادم ذلك مرارًا حتى قلق سيدهُ من كثرة تردده عليهِ بلا داعٍ وعزم على المراقبة ليرى من يدق الجرس . وبينما هو يفكر في ما عسى ان يكون سبب قرعهِ اذا بهِ يدقُّ من غرفة الاكل فجاوب عليهِ وكان الذي قرعهُ قطتهُ فلما سمعت جوابهُ فرّت هاربة . فحبسها يوماً في الغرفة فقرعت الجرس على عادتها وكان كلما حبسها فيها تقرعهُ بلا خلاف

والثانية قطة لرجل آخر كان جالساً في مكتبتهِ ليلاً يقرأ فاذا بها دخلت وجعلت تموء وتمرُّ مخالبها عليهِ ثم تركض نحو الباب واعادت ذلك مرارًا فنهض من مجلسهِ وتبعها فسارت امامهُ الى المطبخ فرأى الطباخة نائمة قرب النار وقد سقطت جمرة على ملابسها فاخذت تحترق فأفاقها واطفأ النار ولولا الهرة لهلكت

والثالثة هرة وضعت جراء فاخذتهنَّ خادمة المنزل واغرقتهنَّ جميعاً لانهنَّ كنَّ يتعبنها وجاء ميعاد ولادة الهرة مرة اخرى فوضعت جراءها في مكان مستتر من غرفة النوم حيث لاتدخل الخادمة الاَّ نادرًا . فجعل اهل البيت يبحثون عن مكانهنَّ وهم لايهتدون اليهِ حتى اذا دخلت ربة المنزل غرفة النوم ذات ليلة سمعت صوتاً كما من هرة تقفز من مكان عالٍ فأَضاءَت المصباح فوجدت الهرة واقفة عند الباب ورأَت احد ستائر النافذة مطويًّا على الفراش والجراء عليهِ فوضعتهنَّ في سلة ووضعت السلة امام نار المطبخ . فغافلت الهرة اهل البيت ونقلت جراءها الى مكان في المكتبة يصعب الاهتداء اليهنَّ فيهِ . وانما فعلت ذلك لان الخادمة المذكورة قلما تدخل المكتبة وخصوصاً في المساء حين يكون سيدها جالساً يقرأ

وذكر آخر قطة كانت تقرع امام باب المنزل كلما أُقفل الباب وتركت خارجاً كأَنها تقرع ليفتح لها واخرى كانت تقصد نافذة الغرفة المضيئة ليلاً وتحدث صوتاً على الزجاج كأَنها تستأْذن في الدخول

موسم القطن المصري

ثبت الآن ان موسم هذا العام اقل مما قدّر بهِ اولاً فقد بلغ الوارد منهُ الى الاسكندرية حتى ٢٥ نوفمبر ٢٢٦١٤٨٣ قنطاراً يقابلهُ في العام الماضي ٢٦٩٧٠١١ والمتصدر الى الخارج ١٥٤٧٩٤٩ يقابلهُ ١٦٣٥٠٥٩ والباقي في الاسكندرية ١١٢٢٥٣٢ يقابلهُ في العام الماضي ١١٣٠٩٥٢ فقلَّ الوارد الى الاسكندرية ٤٣٦ الف قنطار عما كان في العام الماضي . ويرجح الآن ان موسم هذا العام لا يبلغ ستة ملايين قنطار واكثر النقص في مديرية البحيرة والجهات الشمالية من مديرية الغربية فان حاصل بعض الاطيان لم يبلغ ثلث ما كان يبلغهُ عادةً . ومع ذلك لم ترتفع الاسعار حتى الآن على نسبة قلة المحصول

التطعيم للوقاية من التيفويد

لما فشت الحمّى التيفويدية في الجنود الانكليزية ببلاد الترنسفال دعي الاستاذ ريط الانكليزي لتطعيمهم بطعمهِ الواقي من التيفويد فطعَّم مئة الف منهم . ثم اعترض البعض على عملهِ فأبطل تطعيم الجنود ورفعت نظارة الحربيّة الانكليزية الامر الى لجنتين من كبار الاطباء والباحثين فقررت اللجنتان ان هذا التطعيم يقي من التيفويد حقيقة فتقلّ بهِ الاصابات والوفيات فامرت نظارة الحربيَّة بالعود الى تطعيم الجنود

حرارة الشمس في السيارات

تبلغ حرارة الشمس على بُعد عطارد ٢١٠ درجات بميزان سنتغراد فتكاد تكفي لاذابة القصدير . وعلى بُعد الزهرة ٨٥ درجة بميزان سنتغراد فتكفي لاغلاء الكحول وعلى بُعد الارض ٢٧ درجة وهي متوسط حرارة الصيف نهاراً وعلى بُعد المريخ ٣٠ درجة تحت الصفر وذلك مثل برد قطبي الارض وعلى بُعد نبتون ٢١٩ درجة تحت الصفر وهو البرد الذي يجمد عندهُ النيتروجين ودرجة حرارة الشمس عند سطحها نحو ٦٠٠٠

الكسوف المقبل

ستكسف الشمس كسوفاً تامًّا في الثلاثين من شهر اغسطس المقبل وقد اخذ علماء الفلك يتهيأُون للذهاب الى الاماكن التي يرى منها لرصدهِ فيها وسيأتي وفود منهم الى القطر المصري والى تونس والجزائر

مهد الفرس

خطب الاستاذ اسبرن في مجمع ترقية العلوم البريطاني عن اصل الفرس فقال ان اصلهُ من اميركا الشمالية . هناك نشأ وارتقى وسار بعضهُ منها الى اميركا الجنوبية بطريق بناما وبعضهُ الى اسيا بطريق بوغاز بيرنغ ثم انقرضت الخيل من اميركا الشمالية والجنوبية قبل تغلب الاوربيين عليهما . ورجَّح ان

الفرس الاميركي كان جامعاً لصفات الفرس والحمار ثم انفصل الى نوعين في اسيا

النوم الفجائي

يقال ان رجلاً من سان فرنسسكو يعتريهِ النوم الفجائي فيكون واقفاً تكلمهُ فينام او يكون جالساً يغتسل في ماء مثلوج فينام ويكون واقفاً يخطب فينام . جال في اوربا وعرض نفسهُ على اشهر اطبائها فلم يجدوا لدائهِ دواء وزار بلاد البلجيك وطلب ملكها مقابلتهُ فاتى القصر وجلس في غرفة الاستقبال ودخل الملك ودنا منهُ ومدَّ اليهِ يدهُ ليصافحهُ فتثاءب ونام بغتةً فعاد الملك وتركهُ في سباتهِ . والرجل من كبار علماء القانون ولهُ شهرة واسعة في فسخ الوصايا وأُعطي مرةً عشرة آلاف جنيه لكي لا يتعرَّض لفسخ وصية

اسرع قطار

ذكرنا قبلاً ان القطرات الكهربائية التي امتحنت قرب برلين بلغت سرعتها ١٣٠ ميلاً في الساعة . ويقال الآن انهُ يمكن إبلاغ هذه السرعة ١٥٠ ميلاً في الساعة وقد عرض البعض ان يسيروا القطرات بين برلين وهمبرج بهذه السرعة ولكن الحكومة الالمانية لم تأذن في ذلك حتى الآن

معالجة الخشب بالسكَّر

استنبط احد الانكليز طريقة يقوى بها الخشب ويصلب جدًّا وهي ان يذاب سكَّر البنجر في اناء كبير ويحمى ويدخل الخشب اليهِ ويفرغ الهواء منهُ فتدخل دقائق السكَّر الياف الخشب وتقوم مقام الهواء الذي كان فيها فيصير الخشب صلباً متيناً ولا يعود يريّح ولو كان جديداً

نور الشمس والهواء النقي

نادينا منذ بضع عشرة سنة بان نور الشمس والهواء النقي خير التدابير الصحيَّة ولم يكن سبب ذلك معروفاً تمام المعرفة حينئذٍ كما كانت نتائجهُ معروفة اما الآن فعرف ان ميكروبات الامراض تعيش في الظلام وفي الهواء الفاسد وان نور الشمس والهواء النقي افعل الوسائل لاهلاكها وانقاذ الانسان من شرها فلا عجب اذا كان نور الشمس والهواء النقي خير التدابير الصحيَّة

سبب زرقة الجو

بحث الاستاذ سبرنغ في الاسباب التي ذكرت لزرقة الجو من ايام تندل الى الآن ففنَّدها كلها ثم قال ان الاكسجين نفسهُ ازرق اللون ووجودهُ في الجو كافٍ لظهورهِ ازرق

النحل الليلي

وُجد في بلاد الهند نحل يطير في الليل فقط ويبني اقراصاً كبيرة جدًّا طول القرص منها ست اقدام وعرضهُ اربع اقدام وثخنهُ نحو خمس عقد

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد التاسع والعشرين

